

إحياء علوم الدين

للإمام الفخري

مع مقدمة في التصوف الإسلامي ودراسة تحليلية لشخصية الغزالي
وفلسفته في الإحياء
بمقلم

الدكتور بدوي طنبانة

الأستاذ المساعد بكلية دار العلوم
بجامعة القاهرة

فيها كتب قيمة

مكتبة محمد بن إسماعيل حمزة (المقدمي)

From the Library of
Muhammad S. Hosien

المجلد الثاني

مكتبة وطبعة "كرياطة فوترا" سمارا

«لَإِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرًا لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ»

(قرآن كريم)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

(كتاب آداب الأكل)

(وهو الأول من ربيع العادات من كتاب إحياء علوم الدين)

الحمد لله الذي أحسن تدبير الكائنات ، غفّق الأرض والسموات ، وأنزل الماء الفرات من العصرات ، فأخرج به الحب والنبات ، وقدر الأرزاق والأقوات ، وحفظ بالمأكولات قنوى الحيوانات ، وأعان على الطاعات والأعمال الصالحات بمأكول الطيبات ، والصلاة على محمد ذي المعجزات الباهرات ، وعلى آله وأصحابه صلاة تتوالى على بحر الأوقات ، وتتضاعف بتعاقب الساعات ، وسلم تسليماً كثيراً .

أما بعد : فإن مقصد ذوى الألباب لقاء الله تعالى في دار الثواب ، ولا طريق إلى الوصول للقاء الله إلا بالعلم والعمل ، ولا يمكن الواظبة عليهما إلا بسلامة البدن ولا تصفوا سلامة البدن إلا بالأطعمة والأقوات ، والتناول منها بقدر الحاجة على تكرار الأوقات ، فمن هذا الوجه قال بعض السلف الصالحين إن الأكل من الدين ، وعليه نهى رب العالمين ، بقوله وهو أصدق القائلين - كلوا من الطيبات واعملوا صالحاً - فمن يقدم على الأكل ليستعين به على العلم والعمل ويقوى به على التقوى ، فلا ينبغي أن يترك نفسه مهملاً سدى ، يسترسل في الأكل استرسال البهائم في المرعى ، فإن ما هو ذريعة إلى الدين ووسيلة إليه ، ينبغي أن تظهر أنوار الدين عليه وإنما أنوار الدين آدابه وسننه التي يزوم العبد بزمها ، ويلجج التقي بإحجامها ، حتى يترن بينان الشرع شهوة الطعام في إقدامها وإحجامها ، فيصير بسببها مدفة للوزر ، ومجلبة للأجر ، وإن كان فيها أوفى حظ للنفس . قال صلى الله عليه وسلم «إن الرجل ليؤجر حتى في اللقمة يرفعها إلى فيه وإلى في امرأته»^(١) وإنما ذلك إذا رفعها بالدين ولدين مراعيًا فيه آدابه ووظائفه ، وهانحن نرشد إلى وظائف الدين في الأكل فرائضها وسننها وآدابها ومرواياتها وهياتها في أربعة أبواب . وفصل في آخرها . الباب الأول : فيما لا بد للأكل من مراعاته وإن انفرد بالأكل . الباب الثاني : فيما يزيد من الآداب بسبب الاجتماع على الأكل . الباب الثالث : فيما يخص تقديم الطعام إلى الإخوان الزائرين . الباب الرابع : فيما يخص الدعوة والضيافة وأشباهها .

(كتاب آداب الأكل)

(١) حدث إن الرجل ليؤجر في اللقمة يرفعها إلى فيه وإلى في امرأته من خدبت لسعد بن أبي وقاص وإنك معها أفتت من ثقة فاتها صدقة حتى اللقمة ترفعها إلى في امرأتك .

بقية

حوارف المعارف

لسهروردي

[الباب التاسع في ذكر من اتقى إلى الصوفية وليس منهم] فمن أولئك قوم يسون نفوسهم قلندرية تارة وملازمة أخرى وقد ذكرنا حال الملازمة وأنه حال شريف ومقام عزيز وتمسك بالسنن والآثار وتحقق بالإخلاص والصدق وليس مما يزعم للفتنون بشيء فأما القلندرية فهو إشارة إلى أقوام ملكهم سكر طيبة قلوبهم حتى خربوا السادات وطرحوا التقيد بآداب المجالسات والمخالطات وصاحوا في ميادين طيبة قلوبهم قتلت أعمالهم من الصوم والصلاة إلا الفرائض

الباب الأول : فيما لا بد للمفرد منه وهو ثلاثة أقسام قسم قبل الأكل وقسم مع الأكل وقسم بعد الفراغ منه
(القسم الأول في الآداب التي تقدم على الأكل وهي سبعة)

الأول : أن يكون الطعام بعد كونه حلالا في نفسه طيبا في جهة مكسبه موافقا للسنة والورع لم يكتب
بسبب مكروه في الشرع ولا يحكم هوى ومداينة في دين على ماسياتي في معنى الطيب المطلق في كتاب
الحلال والحرام وقد أمر الله تعالى بأكل الطيب وهو الحلال وقدم النهي عن الأكل على الباطل القتل
تفخيلا لأمر الحرام وتعظيما لبركة الحلال فقال تعالى - يا أيها الذين آمنوا لا تأكلوا أموالكم بينكم
بالباطل - إلى قوله - ولا تقتلوا أنفسكم - الآية فالأصل في الطعام كونه طيبا وهو من الفرائض وأصول الدين
الثاني : غسل اليد ، قال صلى الله عليه وسلم « الوضوء قبل الطعام ينفي الفقر وبعده ينفي اللمم ^(١) »
وفي رواية « ينفي الفقر قبل الطعام وبعده » ولأن اليد لا تخلو عن لوث في تعامل الأعمال فغسلها أقرب
إلى النظافة والزينة ولأن الأكل تقصد الاستعانة على الدين عبادة فهو جدير بأن يقدم عليه ما يجري
منه مجرى الطهارة من الصلاة . الثالث : أن يوضع الطعام على السفرة للوضوعة على الأرض فهو
أقرب إلى فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم من رفعه على المائدة كان رسول الله صلى الله عليه وسلم
إذا أتى بطعام وضعه على الأرض ^(٢) فهذا أقرب إلى التواضع فإن لم يكن فعل السفرة فإنها تذكر
السفر ويشد ذكر من السفر سفر الآخرة وحاجته إلى زاد التقوى وقال أنس بن مالك رحمه الله « ما أكل
رسول الله صلى الله عليه وسلم على خوان ولا في سكرجة ^(٣) » . قيل فعل ماذا كنتم تأكلون قال
على السفرة . وقيل أربع أحدثت بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم الموائد وللناخل والأشنان
والشبع . واعلم أنا وإن قلنا الأكل على السفرة أولى فلسنا نقول الأكل على المائدة منهي عنه
نهي كراهة أو تحريم إذ لم يثبت فيه نهى وما يقال إنه أبدع بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم فليس
كل ما أبدع منهي بل النهي بدعة تضاد سنة ثابتة وترفع أمرا من الشرع مع بقاء علته بل الإبداع قد يجب
في بعض الأحوال إذا تغيرت الأسباب وليس في المائدة إلا رفع الطعام عن الأرض لتيسير الأكل وأمثال
ذلك مما لا كراهة فيه والأربع التي جمعت في أنها مبدعة ليست متساوية بل الأشنان حسن لما فيه من
النظافة فإن الفصل مستحب للنظافة والأشنان أتم في التنظيف وكانوا لا يستعملونه لأنه ربما كان لا يتباد
عندهم أولا بتيسر أو كانوا متغولين بأمور أهم من الباعة في النظافة فقد كانوا لا يفسلون اليد أيضا
وكانت مناديلهم أخص أقدامهم وذلك لا يمنع كون الفصل مستحبا وأما النخل فالمقصود منه تطيب الطعام
وذلك سباح مالم ينه إلى التعم المفرط وأما المائدة فتيسر للأكل وهو أيضا مباح مالم ينه إلى الكبر
والتعظيم وأما الشبع فهو أشد هذه الأربعة فإنه يدعو إلى تهيج الشهوات وتحريك الأدوية في البدن
فلتدرك التفرقة بين هذه المبدعات . الرابع : أن يحسن الجلسة على السفرة في أول جلوسه ويستديمها كذلك

(الباب الأول)

(١) حديث الوضوء قبل الطعام ينفي الفقر وبعده يحذف اللمم وفي رواية ينفي الفقر قبل الطعام وبعده
القضاي في مسند الشهاب من رواية موسى الرضا عن آياته متصلا باللفظ الأول وللطبراني في الأوسط
من حديث ابن عباس الوضوء قبل الطعام وبعده مما ينفي الفقر ولأبي داود وت من حديث سلمان
بركة الطعام الوضوء قبله والوضوء بعده وكلها ضعيفة (٢) حديث كان إذا أتى بطعام وضعه على
الأرض أحمد في كتاب الزهد من رواية الحسن مرسلًا ورواه البزار من حديث أبي هريرة نحوه
وفيه مجاهد وثقه أحمد وضعه الدارقطني (٣) حديث أنس ما أكل رسول الله صلى الله عليه وسلم
على خوان ولا في سكرجة الحديث رواه مخ .

ولم يألوا بتناول شيء
من لذات الدنيا من
كل ما كان مباحا
برخصة الشرع وربما
اقتصروا على رطابة
الرخصة ولم يطلبوا
حقائق المزينة ومع
ذلك هم متمسكون
بترك الادخار وترك
الجمع والامتلاك ولا
يترسمون بمراسم
التشفين والتزهدين
والتعبدن وقنوا
بطية قلوبهم مع الله
تعالى واقتصروا على
ذلك وليس عندهم
تطلع إلى طلب مزيد
سوى ما هم عليه من
طية القلوب والفرق
بين اللامق والقنندري
أن اللامق يعمل
في كتم العبادات
والقنندري يعمل
في تخريب العادات
واللامق يتمسك بكل
أبواب البر والخير
ويرى الفضل فيه

« كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ربما جثا للأكل على ركبتيه وجلس على ظهر قدميه وربما نصب رجله اليمنى وجلس على اليسرى ^(١) » وكان يقول « لا آكل متكاً ^(٢) » إنما أنا عبد آكل كأيما كل العبد وأجلس كما يجلس العبد ^(٣) » والشرب متكاً مكروه للمعدة أيضاً ويكره الأكل قائماً ومتكاً إلا ما ينتقل به من الحبوب وروى عن علي بن كرم الله وجهه أنه أكل كمكاً على نرس وهو مضطجع ويقال منبطح على بطنه والعرب قد تفعله . الخامس : أن ينوي بأكله أن يتقوى به على طاعة الله تعالى ليكون مطيعاً بالأكل ولا يقصد التلذذ والتعم بالأكل قال إبراهيم بن شيان منذ ثمانين سنة ما أكلت شيئاً لشهوتي ومزمت مع ذلك على تقليل الأكل فإنه إذا أكل لأجل قوة العبادة لم تصدق نيته إلا بأكل ما دون الشبع فإن الشبع يمنع من العبادة ولا يقوى عليها فمن ضرورة هذه النية كسر الشهوة وإيثار القناعة على الاتساع قال رسول الله ﷺ « ماملأ آدمى وعاء شرباً من بطنه حسب ابن آدم لقيات يقمن ضله فان لم يفعل فثلث طعام وثلاث شراب وثلاث للنفس ^(٤) » ومن ضرورة هذه النية أن لا يمد اليد إلى الطعام إلا وهو جائع فيكون الجوع أحداً لا بد من تقديمه على الأكل ثم ينبغي أن يرفع اليد قبل الشبع ومن فعل ذلك استغنى عن الطبيب وسبأ في فائدة قلة الأكل وكيفية التدرج في التقليل منه في كتاب كسر شهوة الطعام من ربيع للمهلكات . السادس : أن يرضى بالموجود من الرزق والحاضر من الطعام ولا يجتهد في التعم وطلب الزيادة وانتظار الأدم بل من كرامة الخبز أن لا ينتظر به الأدم وقد ورد الأمر بكرايم الخبز ^(٥) فكل ما يديم الرمي ويقوى على العبادة فهو خير كثير لا ينبغي أن يستحقر بل لا ينتظر بالخبز الصلاة إن حضر وقتها إذا كان في الوقت متسع قال رسول الله ﷺ « إذا حضر العشاء والعشاء فابدءوا بالعشاء ^(٦) » وكان ابن عمر رضي الله عنهما ربما سمع قراءة الإمام ولا يقوم من عشاءه ومهما كانت النفس لا تنوي إلى الطعام ولم يكن في تأخير الطعام ضرر فالأولى تقديم الصلاة فأما إذا حضر الطعام وأقيمت الصلاة وكان في التأخير ما يبرد الطعام أو يشوش أمره فتقدمه أحب عند اتساع الوقت تأقت النفس أولم تنق لموم الخبز ولأن القلب لا يخلو عن الالتفات إلى الطعام الموضوع وإن لم يكن الجوع غالباً . السابع : أن يجتهد في تسخير الأيدي على الطعام ولو من أهله وولده قال صلى الله عليه وسلم « اجتمعوا على طعامكم بيارك لكم فيه ^(٧) » وقال أنس رضي الله عنه كان رسول الله صلى الله عليه وسلم

(١) حديث ربما جثا للأكل على ركبتيه وجلس على ظهر قدميه وربما نصب رجله اليمنى وجلس على اليسرى د من حديث عبد الله بن بشر في أثناء حديث أنوا تلك القصعة فالتفوا عليها فلما كثروا جثا رسول الله صلى الله عليه وسلم الحديث وله و ن من حديث أنس رأيته يأكل وهو مقع من الجوع وروى أبو الحسن بن المقرئ في الثمائل من حديثه كان إذا قصد على الطعام استوفى على ركبته اليسرى وأقام اليمنى ثم قال إنما أنا عبد آكل كأيما كل العبد وأفضل كما يفعل العبد وإسناده ضعيف (٢) حديث كان يقول لا آكل متكاً من حديث أبي جحيفة (٣) حديث إنما أنا عبد آكل كأيما كل العبد وأجلس كما يجلس العبد تقدم قبله من حديث أنس بلفظ وأفضل بدل وأجلس رواه البزار من حديث ابن عمر دون قوله وأجلس (٤) حديث ماملأ ابن آدم وعاء شرباً من بطنه الحديث ت وقال حسن ن . من حديث اللقضاء بن معديكرب (٥) حديث أكرموا الخبز البزار والطبراني وابن قانع من حديث عبد الله بن أم حرام بإسناد ضعيف جداً وذكره ابن الجوزي في الموضوعات (٦) حديث إذا حضر العشاء والعشاء فابدءوا بالعشاء تقدم في الصلاة والمرووف وأقيمت الصلاة (٧) حديث اجتمعوا على طعامكم بيارك لكم فيه د . من حديث وحشي بن حرب بإسناد حسن .

ولكن يغني الأعمال والأحوال ويوقف نفسه موقف العوام في هيئته وملبوسه وحركاته وأموار مسترا للحال لئلا يغلظ له وهو مع ذلك متطلع إلى طلب للزبد بلذل مجوده في كل ما يتقرب به العبد والقلندري لا يتقيد بهيمة ولا يتألى بما يعرف من حاله وما لا يعرف ولا ينمطف إلا على طيبة القلوب وهو رأس ماله والصوفي يضع الأشياء مواضعها ويدير الأوقات والأحوال كلها بالعلم يقيم الخلق مقامه ويقيم أمرا الحق مقامهم ويسترا ما ينبغي أن يستر ويظهر ما ينبغي أن يظهر ويأتى بالأمور في موضعها بحضور عقل وصحة توحيد وكال معرفة ورعاية صدق وإخلاص تقوم من للفنونين مما أوتهم ملائمة ولبسوا لبسة الصوفية لينسبوا بها إلى الصوفية ومما من

لأياكل وحده (١) وقال صلى الله عليه وسلم « خير الطعام ما كثرت عليه الأيدي [١] ».

(القسم الثاني في آداب حالة الأكل)

وهو أن يبدأ بسم الله في أوله وبالحمد لله في آخره ولو قال مع كل لقمة بسم الله فهو حسن حتى لا ينقله الشرع عن ذكر الله تعالى ويقول مع اللقمة الأولى بسم الله ومع الثانية بسم الله الرحمن ومع الثالثة بسم الله الرحمن الرحيم ويجهز به ليدكر غيره وبأكل باليمين ويبدأ بالملع ويغتم به ويصغر اللقمة ويجود مضغها ومالم يتلغها لم يعد اليد إلى الأخرى فإن ذلك هبة في الأكل وأن لا ينم ما كولا ، كان صلى الله عليه وسلم لا يصيب ما كولا كان إذا أجهجه أكله وإلا تركه (٢) وأن يأكل مما يليه إلا القاككة فإن له أن يجعل يده فيها قال صلى الله عليه وسلم « كل مما يليك (٣) » ثم كان صلى الله عليه وسلم يدور على القاككة قليل له في ذلك فقال ليس هو نوعا واحدا (٤) وأن لا يأكل من دورة القصعة ولا من وسط الطعام بل يأكل من استدارة الرغيف إلا إذا قل الخبز فيكسر الخبز ولا يقطع بالسكين (٥) ولا يقطع اللحم أيضا فقد نهى عنه وقال انهشوه نهشا (٦) ولا يوضع على الخبز قصعة ولا غيرها إلا ما يؤكل به قال ﷺ « أكرموا الخبز فإن الله تعالى أنزلهم من ركات السماء [٢] » ولا يمسح يده بالخبز وقال صلى الله عليه وسلم « إذا وقعت لقمة أحدكم فليأخذها وليطعم ما كان بها من أذى ولا يدعها للشيطان ولا يمسح يده بالتمديد حتى يلق أصابعه فإنه لا يدري في أي طعامه البركة (٧) » ولا ينفخ في الطعام الحار (٨) فهو منى عنه بل يصبر إلى أن يسهل أكله ويأكل من التمر وترايسا أو إحدى عشرة أو إحدى وعشرين أو ما اتفق ولا يجمع بين التمر والنوى في طبق ولا يجمع في كفه بل يضع النواقم فيه على ظهر كفه ثم يلقها وكذا كل ماله هم وتقل وأن لا يترك ما استرذله من الطعام وينظر حه في القصعة بل يتركه

(١) حديث أنس كان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يأكل وحده رواه الحرائطي في مكارم الأخلاق بسند ضعيف (٢) حديث أنس كان لا يصيب ما كولا إن أجهجه أكله وإلا تركه متفق عليه من حديث أبي هريرة (٣) حديث كل مما يليك متفق عليه من حديث عمر بن أبي سلمة (٤) حديث كان يدور على القاككة وقال ليس هو نوعا واحدا . من حديث عكراش بن دؤب وفيه وجالت يد رسول الله صلى الله عليه وسلم في الطبق فقال يا عكراش كل من حيث شئت فإنه غير لون واحد قالت غريب ورواه حب في الضفاء (٥) حديث النهى عن قطع الخبز بالسكين رواه حب في الضفاء من حديث أبي هريرة وفيه نوح بن أبي صبرم وهو كذاب ورواه البيهقي في الشعب من حديث أم سلمة بسند ضعيف (٦) حديث النهى عن قطع اللحم بالسكين د من حديث عائشة وقال انهشوه نهشا قال ن منكر و ت . من حديث صفوان بن أمية وانهشوا اللحم نهشا وسنده ضعيف (٧) حديث إذا وقعت لقمة أحدكم فليأخذها فليطعم ما كان بها من أذى ولا يدعها للشيطان ولا يمسح يده بالتمديد حتى يلق أصابعه فإنه لا يدري في أي طعامه البركة م من حديث أنس وجابر (٨) حديث النهى عن النفخ في الطعام والشراب أحمد في مسنده من حديث ابن عباس وهو عند أبي داود وت وصحه ابن ماجه إلا أنهم قالوا في الإلقاء وصحه من حديث أبي سعيد نهى عن النفخ في الشراب .

[١] (قوله وقال صلى الله عليه وسلم خير الطعام الخ) لم يتكلم عليه العراقي لسقوطه من نسخته كالم يذكره الفارح فليتأمل .

[٢] (قوله أكرموا الخبز الخ) لم يخرج العراقي وقد أخرجه الشارح عن الحكيم الترمذي وغيره فانظره .

الصوفية حتى يلم في غرور وغلط يسترون بلبسة الصوفية توقيتا تارة ودعوى أخرى ويتنهجون مناهج أهل الإباحة ويزعمون أن ضارهم خلصت إلى الله تعالى ويقولون هذا هو الظفر بالمراد والارتسام بمراسم الشريعة رتبة العوام والقاصرين الأفهام للنصيرين في مضيق الاقتداء تقليدا وهذا هو عين الإلحاد والزندقة والابساد فكل حقيقة ردتها الشريعة فهي زندقة وجهل هؤلاء الفرورون أن الشريعة حق البودية والحقيقة البودية هي حقيقة البودية ومن صار من أهل الحقيقة تفيد بحق البودية وجار مطالبا بأسور وزيادات لا يطالب بها من لم يصل إلى ذلك لأنه يخلع عن عنقه ربة التكليف ويحاصر باطنه التزيغ

مع الثفل حتى لا يلتبس على غيره فيأكله وأن لا يكثر الشرب في أثناء الطعام إلا إذا غص بلقعة أو صدق عطشه فقد قيل إن ذلك مستحب في الطب وأنه دباغ المعدة . وأما الشرب : فأدبه أن يأخذ الكوز بيمينه ويقول بسم الله ويشربه مصاً لا عباً قال صلى الله عليه وسلم « مصوا الماء ولا تبعوه عبا فان الكباد من السب (١) » ولا يشرب قائماً ولا مضطجماً فإنه صلى الله عليه وسلم نهى عن الشرب قائماً (٢) وروى أنه صلى الله عليه وسلم شرب قائماً (٣) ولعله كان لعذر ، ويراعى أسفل الكوز حتى لا يقطر عليه وينظر في الكوز قبل الشرب ولا يتجشأ ولا يتنفس في الكوز بل ينحيه عن فمه بالحمد ويرده بالتسمية وقد قال صلى الله عليه وسلم بعد الشرب « الحمد لله الذي جعله عذبا فراتا برحمته ولم يجعله ملحا أجاجا بذنوبنا (٤) » والكوز وكل ما يدار على القوم يدار يمينه « وقد شرب رسول الله صلى الله عليه وسلم لنا وأبو بكر رضى الله عنه عن شماله وأعرابي عن يمينه وعمر ناحيته فقال عمر رضى الله عنه أعط أبو بكر فناول الأعرابي وقال الأعرابي « ويشرب في ثلاثة أنفاس محمد الله في أواخرها ويسمى الله في أوائلها ويقول في آخر النفس الأول الحمد وفي الثاني يزيد رب العالمين وفي الثالث يزيد الرحمن الرحيم فهذا قريب من عشرين أدبا في حالة الأكل والشرب دلت عليها الأخبار والآثار .

(القسم الثالث ما يستحب بعد الطعام)

وهو أن يمسك قبل الشبع ويلقى أصابعه ثم يمسح بالتمديد ثم ينسلها ويلتقط فئات الطعام قال صلى الله عليه وسلم « من أكل ما يسقط من المائدة عاش في سعة وعوف في ولده (٥) » ويتخلل ولا يتلع كل ما يخرج من بين أسنانه بالخلال إلا ما يجمع من أصول أسنانه بلسانه أما المخرج بالخلال فيرميه وليتضمن بعد الحلال فيه أثر عن أهل البيت عليهم السلام وأن يلحق القصة ويشرب ماءها ويقال من لقي القصة وغسلها وشرب ماءها كان له عتق رقبة وأن التقاط القتات مهوور الحور العين وأن يشكر الله تعالى بقلبه على ما أطعمه فيرى الطعام نعمة منه قال الله تعالى - كلوا من طيبات ما رزقناكم واشكروا لله - ومنها أكل حلالا قال الحمد لله الذي نعمته تم الصالحات وتنزل البركات اللهم أطمعنا طيبا واستعملنا صالحا وإن أكل شبة فليقل الحمد لله على كل حال اللهم لا تجعله قوة لنا على معصيتك وبقراً بعد الطعام - قل هو الله أحد - و - لا يلاف قريش - ولا يقوم عن المائدة حتى ترفع أولا فإن أكل طعام الغير فليدع له وليقل اللهم أكثر خيره وبارك له فيما رزقته ويسر له أن يفعل فيه خيرا وقته بما أعطيه واجملنا وإياه من الشاكرين وإن أفطر عند قوم فليقل أفطر عندكم الصائمون وأكل طعامكم الأبرار وصلت عليكم الملائكة وليكثر الاستغفار والحزن على ما أكل من شبهة ليطفى بدموعه وحزنه حر النار التي تعرض لها لقوله صلى الله عليه وسلم

(١) حديث مصوا الماء مصاً ولا تبعوه عبا أبو منصور الديلمي في مسند الفردس من حديث أنس بالشرط الأول ولأبي داود في الراسيل من رواية عطاء بن أبي رباح إذا شربتم فاشربوا مصاً (٢) حديث النهي عن الشرب قائماً من حديث أنس وأبي سعيد وأبي هريرة (٣) حديث أنه صلى الله عليه وسلم شرب قائماً متفق عليه من حديث ابن عباس وذلك من زمزم (٤) حديث كان يقول بعد الشرب الحمد لله الذي جعل الماء عذبا فراتا برحمته ولم يجعله ملحا أجاجا بذنوبنا الطبراني في الدعاء مرسل من رواية أبي جعفر محمد بن علي بن الحسين (٥) حديث من أكل ما سقط من المائدة عاش في سعة وعوف في ولده أبو الشيخ في كتاب الثواب من حديث جابر بلطف آمن من الفقر والبصر والخدماء وصرف عن ولده الحق وله من حديث الحجاج بن علاط أعطى سعة من الرزق ووفى في ولده وكلاهما منكر جدا .

والتحريف . أخبرنا أبو زرعة عن أبيه الحافظ المقدسي قال أنا أبو محمد الخطيب ثنا أبو بكر بن محمد بن عمر قال ثنا أبو بكر بن أبي داود قال ثنا أحمد بن صالح قال ثنا عنبسة قال ثنا يونس بن يزيد قال قال محمد يعني الزهري أخبرني حميد بن عبد الرحمن أن عبدا لله ابن عتبة بن مسعود حدثه قال سمعت عمر بن الخطاب رضى الله عنه يقول إن أناسا كانوا يؤخذون بالوحي على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وإن الوحي قد انقطع وإنما نأخذكم الآن بما ظهر من أعمالكم فمن أظهر لنا خيرا أمناه وقربناه وليس إلينا من سريرته شيء ، الله تعالى يحاسبه في سريرته ومن أظهر لنا سوي ذلك لم نأمنه وإن قال سريرتي حسنة وعنه أيضا رضى الله

« كل لحم نبت من حرام فالنار أولى به » (١) وليس من يأكل ويصلي كمن يأكل ويلهو ويلقى إذا أكل
لنا اللهم بارك لنا فيما رزقنا وزدنا منه (٢) فإن أكل غيره قال اللهم بارك لنا فيما رزقنا وارزقنا خيرا
منه فذلك الدعاء مما خص به رسول الله صلى الله عليه وسلم اللين لموم نعمة ويستحب عقيب
الطعام أن يقول الحمد لله الذي أطعنا وسقانا وكفانا وآوانا سيدنا ومولانا يا كافي من كل شيء ولا يكتفي
منه شيء أطعمت من جوع وآمنت من خوف فلك الحمد آويت من يتم وهديت من ضلالة وأغثيت
من عيلة فلك الحمد حمدا كثيرا دائما طيبا نافعا مباركا فيه كما أنت أهله ومستحقه اللهم أطعمتنا طيبا
فاستعملنا صالحا واجعله عونا لنا على طاعتك ونفوذك أن نستعين به على نصيبك وأما غسل اليدين
بالأشنان فكيفيته أن يجعل الأشنان في كفه اليسرى ويضل الأصابع الثلاث من اليد اليمنى أولا
ويضرب أصابعه على الأشنان اليايس فيمسح به شفته ثم ينعم غسل التيم بأصبعه ويدلك ظاهر أسنانه
وباطنها والحنك واللسان ثم يضل أصابعه من ذلك بالماء ثم يدلك يقية الأشنان اليايس أصابعه
ظهورا وبطنا ويستغنى بذلك عن إعادة الأشنان إلى التيم وإعادة غسله .

(الباب الثاني فيما يزيد بسبب الاجتماع والشاركة في الأكل وهي سبعة)

الأول : أن لا يتدنى بالطعام ومعه من يستحق التقديم بكبر سن أو زيادة فضل إلا أن يكون هو التبويع
والتدنى به فينتدئ ينبغي أن لا يطول عليهم الانتظار إذا اشترأبوا للأكل واجتمعوا له . الثاني : أن
لا يسكروا على الطعام فإن ذلك من سيرة المعجم ولكن يشكمون بالمعروف ويتحدثون بحكايات
الصالحين في الأطعمة وغيرها . الثالث : أن يرفق برفيقه في القصة فلا يقصد أن يأكل زيادة على
ما يأكله فإن ذلك حرام إن لم يكن موافقا لرضا رفيقه مهما كان الطعام مشتركا بل ينبغي أن يقصد
الإيثار ولا يأكل تمرتين في دفة إلا إذا فعلوا ذلك أو استأذنهم فإن قلل رفيقه نشاطه ورغبه في
الأكل وقال له كل ولا يزيد في قوله كل على ثلاث مرات فإن ذلك إلحاح وإفراط . كان رسول الله
صلى الله عليه وسلم إذا خوطب في شيء ثلاثا لم يرجع بعد ثلاث (٣) وكان عليه السلام يكرر الكلام ثلاثا (٤)
فليس من الأدب الزيادة عليه فأما الخلف عليه بالأكل فمنوع قال الحسن بن علي رضي الله عنهما
الطعام أهون من أن يخلف عليه . الرابع : أن لا يحوج رفيقه إلى أن يقول له كل قال بعض الأدباء
أحسن الآكلين أكل من لا يحوج صاحبه إلى أن يتفقه في الأكل وحمل عن أخيه مؤنة القول
ولا ينبغي أن يدع شيئا مما يشبهه لأجل نظر الغير إليه فإن ذلك تصنع بل يجري على المعتاد ولا ينقص من
عادته شيئا في الوحدة ولكن يعود نفسه حسن الأدب في الوحدة حتى لا يحتاج إلى التصنع عند الاجتماع
نعم لو قال من أكله إشارا لإخوانه ونظرا لهم عند الحاجة إلى ذلك فهو حسن وإن زاد في الأكل
على نية المساعدة وتحريك نشاط القوم في الأكل فلا بأس به بل هو حسن وكان ابن المبارك يقدم

(١) حديث كل لحم نبت من حرام فالنار أولى به هو في شعب الإيمان من حديث كعب بن عجرة بلفظ
سحت وهو عندنا وحسنه بلفظ لا يربو لحم نبت من سحت إلا كانت النار أولى به (٢) حديث
القول عند أكل اللين اللهم بارك لنا فيما رزقنا وزدنا منه وحسنه و . من حديث ابن عباس إذا أكل
أحدم طعاما فليقل اللهم بارك لنا فيه وأطعمنا خيرا منه ومن سقاء الله لنا فليقل اللهم بارك لنا فيه وزدنا منه .

(الباب الثاني فيما يزيد بسبب الاجتماع والشاركة في الأكل)

(٣) حديث كان إذا خوطب في شيء ثلاثا لم يرجع بعد ثلاث أحمد من حديث جابر في حديث طويل
ومن حديث أبي حنيفة أيضا وإسنادهما حسن (٤) حديث كان يكرر الكلمة ثلاثا من حديث أنس
كان يعبد الكلمة ثلاثا .

عنه قال من عرض
نفسه لقتل فلا يلومن
من أساء به الظن فاذا
رأيتهم تهاونا بحدود
الشرع مهملا للصلوات
للقروضات لا يستد
بحلاوة التلاوة والصوم
والصلاة ويدخل في
المدخل للكروهة
المحرمة نرده ولا قبله
ولا قبل دعواه أن له
سريرة صالحة .
أخبرنا شيخنا ضياء
الدين أبو النجيب
السهروردي بإجازة عن
عمر بن أحمد عن ابن
خلف عن السلي قال
سمعت أبا بكر الرازي يقول
سمعت أبا محمد الجريري
يقول سمعت الجنيد
يقول لرجل ذكر للمرفة
فقال الرجل أهل للمرفة
بالله يصلون إلى ترك
الحركات من باب البر
والتقوى إلى الله تعالى
قال الجنيد إن هذا
قول قوم تكلموا
باسقاط الأعمال وهذه
عندي عظيمة والذي
يسرق ويرزى أحسن

فاخر الرطب إلى إخوانه ويقول من أكل أكثر أعطيته بكل نواة درهما وكان يسد النوى ويطوى كل من له فضل نوى بعده دراهم وذلك لدفع الحياء وزيادة النشاط في الانبساط . وقال جعفر بن محمد رضي الله عنهما أحب إخواني إلى أكثرهم أكلا وأعظمهم لقمة وأقلهم طي من يحوجني إلى تمهده في الأكل وكل هذا إشارة إلى الجري على العتاد وترك التصنع وقال جعفر رحمه الله أيضا تبين جودة عجة الرجل لأخيه بمجودة أكلة في منزله . الخامس : أن غسل اليد في الطست لأبأس به وله أن يتنخم فيه إن أكل وحده وإن أكل مع غيره فلا ينبغي أن يفعل ذلك فإذا قدم الطست إليه فخير له كراماله فليقبله . اجتمع أنس بن مالك وثابت البناني رضي الله عنهما على طعام فقدم أنس الطست إليه فامتنع ثابت فقال أنس إذا أكرمك أخوك فأقبل كرامته ولا تردّها فأما بكرم الله عز وجل وروى أن هرون الرشيد دعا أبا معاوية الضرير فصب الرشيد على يده في الطست فلما فرغ قال يا أبا معاوية تدرى من صب على يدك فقال لا قال صبه أمير المؤمنين فقال يا أمير المؤمنين إنما أكرمت العلم وأجلته فأجلك الله وأكرمك كما أجلت العلم وأهله . ولا بأس أن يجتمعوا على غسل اليد في الطست في حالة واحدة فهو أقرب إلى التواضع وأبعد عن طول الانتظار فإن لم يفعلوه فلا ينبغي أن يصب ماء كل واحد بل يجمع الماء في الطست قال صلى الله عليه وسلم « اجتمعوا وضوءكم جمع الله شملكم »^(١) قيل إن المراد به هذا . وكتب عمر بن عبد العزيز إلى الأمصار لا يرفع الطست من بين يدي قوم إلا معلومة ولا تشبهوا بالجعم وقال ابن مسعود اجتمعوا على غسل اليد في طست واحد ولا تسقوا بسنة الأعاجم والخدام الذي يصب الماء على اليد كره بعضهم أن يكون قائما وأحب أن يكون جالسا لأنه أقرب إلى التواضع وكره بعضهم جلوسه فروى أنه صب الماء على يد واحد خدام جالسا فقام الصوب عليه فقبله لمقت فقال أحدنا لا بد وأن يكون قائما وهذا أولى لأنه أبسر للصب والنسل وأقرب إلى تواضع الذي يصب وإذا كان له نية فيه تمكينه من الخدمة ليس فيه تكبر فإن العادة جارية بذلك ففي الطست إذن سبعة آداب أن لا يزيق فيه وأن يقدم به التبوع وأن يقبل الإكرام بالتقديم وأن يدار بمنه وأن يجتمع فيه جماعة وأن يجمع الماء فيه وأن يكون الخادم قائما وأن يعج الماء من فيه ويرسله من يده برفق حتى لا يرش على الفراش وعلى أصحابه وليصب صاحب المنزل بنفسه الماء على يد ضيفه هكذا فعل مالك بالشافعي رضي الله عنهما في أول نزوله عليه وقال لا يروعك ما رأيت مني فخدمة الضيف فرض . السادس : أن لا ينظر إلى أصحابه ولا يراقب أكلهم فيستحيون بل يفيض بصره عنهم ويشغل نفسه ولا يمسك قبل إخوانه إذا كانوا محتشمون الأكل بعده بل يمد اليد ويقبضها ويتناول قليلا قليلا إلى أن يتوفوا فإن كان قليل الأكل توقف في الابتداء وقلل الأكل حتى إذا توسعوا في الطعام أكل معهم أخيرا فقد فعل ذلك كثير من الصحابة رضي الله عنه فإن امتنع لسبب فليعذر إليهم دفعا للخلجة عنهم . السابع : أن لا يفعل ما يستقذره غيره فلا يفيض يده في القصعة ولا يقدم إليها رأسه عند وضع اللقمة فيه وإذا أخرج شيئا من فيه صرف وجهه عن الطعام وأخذ به يساره ولا يغمس اللقمة الدسمة في الخل ولا الخل في الدسومة فقد يكرهه غيرهم اللقمة التي قطعها بسننه لا يغمس بقيتها في المرققة والخل ولا يشكلم بما يذكر المستقذرات .

(الباب الثالث في آداب تقديم الطعام إلى الإخوان الزائرين)

تقديم الطعام إلى الإخوان فيه فضل كثير . قال جعفر بن محمد رضي الله عنهما إذا قدمت مع الإخوان على المائدة فأطبلوا الجلوس فانها ساعة لا تحسب عليكم من أعماركم . وقال الحسن رحمه الله كل ثقة

(١) حديث اجمعوا وضوءكم جمع الله شملكم رواه القضاة في مسند الشهاب من حديث أبي هريرة بإسناد لا بأس به وجعل ابن طاهر مكان أبي هريرة إبراهيم وقال إنه مضطرب وفيه نظر .

(الباب الثالث في تقديم الطعام إلى الإخوان الزائرين)

حالا من الذي يقول هذا وإن العارفين بالله أخذوا الأعمال عن الله وإليه رعون فيها ولو بقيت ألف عام لم تنقص من أعمال البر فدية إلا أن يحال بدونها وإنه لا أكد في معرفتي وأقوى لحالي ومن جملة أولئك قوم يقولون بالحلول ويرحمون أن الله تعالى يحل فيهم ويعمل في أجسام يصطفها ويسبق لأفهامهم معنى من قول النصاري في اللاهوت والناسوت . ومنهم من يستبيح النظر إلى اللسعات إشارة إلى هذا الوهم ويتخيل به أن من قال كلمات في بعض غلباته كان مضرا لشيء مما زعموه مثل قول الخلاج أنا الحق وما يحكي عن أبي يزيد من قوله سبحان حلتا أن تصدق في أبي يزيد أنه يقول ذلك لإعطي معنى الحكاية عن الله تعالى

ينفقها الرجل على نفسه وأبويه فمن دونهم يحاسب عليها البتة لإلتفات الرجل على إخوانه في الطعام فإن الله يستحي أن يسأله عن ذلك هذا مع ماورد من الأخبار في الإطعام قال صلى الله عليه وسلم « لا تزال لللائكة تصلي على أحدكم مادامت مائدته موضوعة بين يديه حتى ترفع »^(١) وروى عن بعض علماء خراسان أنه كان يقدم إلى إخوانه طعاما كثيرا لا يقدر أن يأكل جميعه وكان يقول بلضامن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال « إن الإخوان إذا رفعوا أيديهم عن الطعام لم يحاسب من أكل فضل ذلك »^(٢) فأنا أحب أن أستكثر مما أقدمه إليكم لأكل فضل ذلك وفي الخبر « لا يحاسب العبد على ما يأكل مع إخوانه »^(٣) وكان بعضهم يكثر الأكل مع الجماعة لذلك ويقل إذا أكل وحده وفي الخبر « ثلاثة لا يحاسب عليها العبد أكلة السحور وما أظفر عليه وما أكل مع الإخوان »^(٤) وقال صلى الله عليه وسلم : « لأن أجمع إخواني على صاع من طعام أحب إلي من أن أعثر رقبة وكان ابن عمر رضي الله عنهما يقول من كرم للره طيبزاده في سفره وبذله لأصحابه وكان الصحابة رضي الله عنهم يقولون الاجتماع على الطعام من مكارم الأخلاق وكانوا رضي الله عنهم يجتمعون على قراءة القرآن ولا يتفرقون إلا عن ذواق وقيل اجتماع الإخوان على الكفاية مع الأنس والألفة ليس هو من الدنيا وفي الخبر « يقول الله تعالى للعبيد يوم القيامة يا ابن آدم جئت فلم تطعمني فيقول كيف أطعمتك وأنت رب العالمين فيقول جاع أخوك للسلم فلم تطعمه ولو أطعمته كنت أطعمتي »^(٥) وقال عليه السلام « إذا جاءكم الزائر فأكرموه »^(٦) وقال صلى الله عليه وسلم « إن في الجنة غرضا يرى ظاهرها من باطنها وباطنها من ظاهرها لمن ألان الكلام وأطعم الطعام وصلى بالليل والناس نيام »^(٧) وقال صلى الله عليه وسلم « خيركم من أطعم الطعام »^(٨) وقال عليه السلام « من أطعم أخاه حتى يشبعه وسقاه حتى يرويه بعده الله من النار سبع خنادق ما بين كل خندقين مسيرة خمسمائة عام »^(٩) وأما آدابه : فبعضها في الدخول وبعضها في تقديم الطعام . أما الدخول فليس من السنة أن يقصد قوما متربصا لوقت طعامهم فيدخل عليهم وقت الأكل فإن ذلك من المفاجأة وقد نهى عنه قال الله تعالى - لا تدخلوا بيوت النبي إلا أن يؤذن لكم إلى طعام غير ناظرين إياه - يعني منتظرين حينه ونضجه وفي الخبر

(١) حديث لا تزال الملائكة تصلي على أحدكم مادامت مائدته موضوعة بين يديه حتى ترفع ، الطبراني في الأوسط من حديث عائشة بسند ضعيف (٢) حديث إن الإخوان إذا رفعوا أيديهم عن الطعام لا يحاسب من أكل من فضل ذلك الطعام ، لم أقف له على أصل (٣) حديث لا يحاسب العبد بما يأكل مع إخوانه هو في الحديث الذي بعده بمعناه (٤) حديث ثلاثة لا يحاسب عليها العبد أكلة السحور وما أظفر عليه وما أكل مع الإخوان ، الأزدى في الضعفاء من حديث جابر ثلاثة لا يشلون عن النعم : الصائم والتسحر والرجل يأكل مع ضيفه أورده في ترجمة سليمان بن داود الجزري وقال فيه منكر الحديث ولأبي منصور الديلمي في مسند الفردوس نحوه من حديث أبي هريرة (٥) حديث يقول الله للعبد يوم القيامة يا ابن آدم جئت فلم تطعمني الحديث م من حديث أبي هريرة بل فقط استطعنتك فلم تطعمني (٦) حديث إذا جاءكم الزائر فأكرموه ، الحرائطي في مكارم الأخلاق من حديث أنس وهو حديث منكر قاله ابن أبي حاتم في الملل عن أبيه (٧) حديث إن في الجنة غرضا يرى باطنها من ظاهرها وظاهرها من باطنها ، هي لمن ألان الكلام وأطعم الطعام وصلى بالليل والناس نيام ت من حديث علي وقال غريب لا تعرفه إلا من حديث عبد الرحمن بن إسحاق وقد تكلم فيه من قبل حفظه (٨) حديث خيركم من أطعم الطعام أحمد والحاكم من حديث صهيب وقال صحيح الإسناد (٩) حديث من أطعم أخاه حتى يشبعه وسقاه حتى يرويه بعده الله من النار سبع خنادق ما بين كل خندقين مسيرة خمسمائة عام الطبراني من حديث عبد الله بن عمر وقال ابن حبان ليس من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال الذهبي غريب منكر .

وهكذا ينبغي أن يستند في قول الحلّاج ذلك ولو علمنا أنه ذكر ذلك القول مضمرا لشيء من الحلول ردناه كما زدتم وقد أنانا رسول الله صلى الله عليه وسلم بشريعة يضاء نية يستقيم بها كل معوج وقد دلتنا عقولنا على ما يجوز وصف الله تعالى به وما لا يجوز والله تعالى منزّه أن يحل به شيء أو يحل شيء حتى لعل بعض القنوين يكون عنده ذكاء وفطنة غريزية ويكون قد سمع كلمات تعلقت بباطنه فيتألف له في فكره كلمات ينسبها إلى الله تعالى وأنها مكالمة الله تعالى إياه مثل أن يقول قال لي وقلت له وهذا رجل إما جاهل بنفسه وحديثا جاهل بربه وبكيفية للكلمة والمحادثة ، وإما عالم بطلان ما يقول ، بمحله

«من مشى إلى طعام لم يدع إليه مشى فاسقا وأكل حراما» (١) ولكن حق الداخل إذا لم يترى من وافق أن صادفهم على طعام أن لا يأكل ما لم يؤذن له فإذا قيل له كل نظر فإن علم أنهم يقولونه على حجة لمساعدته فليساعد وإن كانوا يقولونه حياء منه فلا ينبغي أن يأكل بل ينبغي أن يتكلم أما إذا كان جافا قصد بعض إخوانه ليطعمه ولم يترى به وقت أكله فلا بأس به . قصد رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر وعمر رضي الله عنهما منزل أبي الهيثم بن التيهان وأبي أيوب الأنصاري لأجل طعام يأكلونه وكانوا جياعا (٢) والدخول على مثل هذه الحالة إعانة لذلك المسلم على حيازة ثواب الإطعام وهي عادة السلف وكان عون بن عبد الله السعدي له ثلاثمائة وستون صديقا يدور عليهم في السنة وآخر ثلاثون يدور عليهم في الشهر وآخر سبعة يدور عليهم في الجمعة فكان إخوانهم معلومهم بدلا عن كتبهم وكان قيام أولئك بهم على قصد التبرك عبادا لهم فإن دخل ولم يجد صاحب الدار وكان واقفا بصدقاته عالما بفرجه إذا أكل من طعامه فله أن يأكل بغير إذنه إذ المراد من الإذن الرضا لا سيما في الأطعمة وأمرها على السنة قرب رجل بصرح بالأذن ويحلف وهو غير راض فأكل طعامه مكروه ورب غائب لم يأذن وأكل طعامه محبوب وقد قال تعالى - أو صدقكم - ودخل رسول الله صلى الله عليه وسلم دار بريرة وأكل طعامها وهي غائبة وكان الطعام من الصدقة فقال بلفت الصدقة محلها (٣) وذلك لعله يسرورها بذلك لذلك يجوز أن يدخل الدار بغير استئذان اكتفاء بلمه بالأذن فإن لم يعلم فلا بد من الاستئذان أولا ثم الدخول وكان محمد بن واسع وأصحابه يدخلون منزل الحسن فيأكلون ما يجدون بغير إذن وكان الحسن يدخل ويرى ذلك فيسري به ويقول هكذا كنا وروى عن الحسن رضي الله عنه أنه كان قائما يأكل من متاع يقال في السوق يأخذ من هذه الجودة بينة ومن هذه قسبة فقال له هشام ما بذاك يا أبا سعيد في الورع تأكل متاع الرجل بغير إذنه فقال بالكعب انظر على آية الأكل فتلا إلى قوله تعالى - أو صدقكم - فقال فمن الصديق يا أبا سعيد قال من استروحت إليه النفس واطمأن إليه القلب ومشى قوم إلى منزل سفيان الثوري فلم يجدوه ففتحوا الباب وأنزلوا السفرة وجعلوا يأكلون فدخل الثوري وجعل يقول ذكرتموني أخلاق السلف هكذا كانوا ، وزار قوم بعض التابعين ولم يكن عنده ما يقدمه إليهم فذهب إلى منزل بعض إخوانه فلم يصادقه في المنزل فدخل فظفر إلى قدر قد طبخها وإلى خبز قد خبزها وغير ذلك فجعله كله يقدمه إلى أصحابه وقال كلوا فجاء رب المنزل فلم ير شيئا فقبل له قد أخذه فلان فقال قد أحسن فلما لقيه قال يا أخى إن عادوا ضد فهذه آداب الدخول . وأما آداب التقديم : فترك التكلف أولا وتقديم ما حضر فإن لم يحضر شيء ولم

هواء على الدعوى بذلك ليوم أنه ظفر بشيء وكل هذا ضلال ويكون سبب تخرجه على هذا ما سمع من كلام بعض المحققين مخاطبات وردت عليهم بمد طول معاملات لهم ظاهرة وباطنة وتعتكهم بأصول القوم من صدق التقوى وكال الزهد في الدنيا فلما صفت أسرارهم تشككت في سرارهم مخاطبات موافقه للكتاب والسنة فزلت بهم تلك المخاطبات عند استغراق السرائر ولا يكون ذلك كلاما يسمعون بل كحديث في النفس يجدونه برؤية موافقا للكتاب والسنة مفهوما عند أهل موافقا للعلم ويكون ذلك مناجاة لسرارهم ومناجاة سرارهم إياهم فيثبتون لنفوسهم مقام العبودية ولمولاهم الربوبية

(١) حديث من مشى إلى طعام لم يدع إليه مشى فاسقا وأكل حراما هو من حديث عائشة نحوه وضعفه ولأبي داود من حديث ابن عمر من دخل على غير دعوة دخل سارقا وخرج مغيرا إسناده ضعيف (٢) حديث قصد رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر وعمر رضي الله عنهما منزل أبي الهيثم بن التيهان وأبي أيوب الأنصاري لأجل طعام يأكلونه ، أما قصة أبي الهيثم فرواها ت من حديث أبي هريرة وقال حسن غرب صحيح والقصة عند لم يكن ليس فيها ذكر لأبي الهيثم وإنما قال رجل من الأنصار ، وأما حديث قصد منزل أبي أيوب فرواها الطبراني في المعجم الصغير من حديث ابن عباس بسند ضعيف (٣) حديث دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم دار بريرة وأكل طعامها وهي غائبة وكان من الصدقة فقال بلفت الصدقة مكانها متفق عليه من حديث عائشة أهدى لبريرة لحم فقال النبي صلى الله عليه وسلم هو لها صدقة ولنا هدية ، وأما قوله بلفت محلها فقال في الشاة التي أعطيتها نسمة من الصدقة وهو متفق عليه أيضا من حديث أم عطية .

يملك فلا يستقرض لأجل ذلك فيشوش على نفسه وإن حضره ما هو محتاج إليه لقوته ولم تسمح نفسه
 بالتقديم فلا ينبغي أن يقدم . دخل بعضهم على زاهد وهو يأكل فقال لولا أني أخذته بدين لأطعمتك
 منه ، وقال بعض السلف في تفسير التكلف أن تطعم أخاك مالا تأكله أنت بل تقصد زيادة عليه
 في الجوده والقيمة وكان الفضيل يقول إنما تقاطع الناس بالتكلف يدعو أحدهم أخاه فيتكلف له
 فيقطعه عن الرجوع إليه وقال بعضهم ما أبالي بمن أتاني من إخواني فاني لا أتكلف له إنما أقرب
 ما عندي ولو تكلفت له فكرهت محبته وملكتة وقال بعضهم كنت أدخل على أخ لي فيتكلف لي
 قلت له إنك لا تأكل كل وحدك هذا ولا أنا لما بالنا إذا اجتمعنا أكلناه فاما أن تقطع هذا التكلف
 أو أقطع الحياء قطع التكلف ودام اجتماعنا بسببه ومن التكلف أن يقدم جميع ما عنده فيجحف
 بعياله وتؤذي قلوبهم . وروى أن رجلا دعا عليا رضي الله عنه فقال علي أجيبك على ثلاث شرائط
 لا تدخل من السوق شيئا ولا تدخر ما في البيت ولا تجحف بعيالك وكان بعضهم يقدم من كل ما في
 البيت فلا يترك نوعا إلا ويحضر شيئا منه وقال بعضهم دخلنا على جابر بن عبد الله فقدم إلينا خبزا
 وخلا وقال لولا أنا نهينا عن التكلف لتكلفتم لكم (١) وقال بعضهم إذا قصدت للزيارة قدم
 ما حضر وإن استزرت فلا تبق . ولا تذر وقال سلمان أمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن لا نتكلف
 للضيف ما ليس عندنا وأن نقدم إليه ما حضرنا (٢) وفي حديث يونس النبي صلى الله عليه وسلم أنه
 زاره إخوانه فقدم إليهم كسرا وجزأهم بقلال كان يزعه ثم قال لهم كلوا لولأن الله لمن الله التكلفين
 لتكلفتم لكم وعن أنس بن مالك رضي الله عنه وغيره من الصحابة أنهم كانوا يقدمون ما حضر
 من الكسر اليابسة وحشف التمر ويقولون لا ندرى أيهما أعظم وزرا الذي يحقر ما يقدم إليه
 أو الذي يحقر ما عنده أن يقدمه . الأدب الثاني : وهو للزائر أن لا يقترح ولا يتحكم شيء بعينه
 فربما يشق على الزور إحضاره فإن خيره أخوه بين طعامين فليخير أيسرها عليه كذلك السنة ففي
 الخبر أنه ما خير رسول الله صلى الله عليه وسلم بين شيتين إلا اختار أيسرها (٣) وروى الأعمش عن
 أبي وائل أنه قال مضيت مع صاحب لي نزور سلمان فقدم إلينا خبز شعير وملح جريشا قال صاحبي
 لو كان في هذا الملح ستر كان أطيب فخرج سلمان فخرج سلمان فخرج سلمان فخرج سلمان فخرج سلمان
 صاحبي الحمد لله الذي قمنا بما رزقنا فقال سلمان لو قمعت بما رزقت لم تكن مطهرتي مرهونة
 هذا إذا توهم تعذر ذلك على أخيه أو كراهته له فإن علم أنه يسر باقتراحه ويتيسر عليه ذلك
 فلا يكره له اقتراح فعل الشافعي رضي الله عنه ذلك مع الزعفراني إذ كان نازلا عنده
 يفتاد وكان الزعفراني يكتب كل يوم رقعة بما يطبخ من الألوان ويسلها إلى الجارية فأخذ
 الشافعي الرقعة في بعض الأيام وألقى بها لونا آخر بخطه ، فلما رأى الزعفراني ذلك اللون

(١) حديث دخلنا على جابر بن عبد الله فقدم إلينا خبزا وخلا وقال لولا أنا نهينا عن التكلف
 لتكلفتم لكم رواه أحمد دون قوله لولا أنا نهينا وهي من حديث سلمان الفارسي وسأني بعده
 وكلاهما ضعيف وللبخاري عن عمر بن الخطاب نهينا عن التكلف حديث (٢) حديث سلمان أمرنا
 رسول الله صلى الله عليه وسلم أن لا نتكلف للضيف ما ليس عندنا وأن نقدم إليه ما حضرنا الخرائطي
 في مكارم الأخلاق ، ولأحمد لولأن رسول الله صلى الله عليه وسلم نهانا أو لولا أنا نهينا أن يتكلف
 أحدنا لصاحبه لتكلفنا لك ، والطبراني نهانا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يتكلف للضيف ما ليس
 عندنا (٣) حديث ما خير رسول الله صلى الله عليه وسلم بين شيتين إلا اختار أيسرها متفق عليه
 من حديث عائشة وزاد ما لم يكن إنما ولم يذكرها م في بعض طرقه .

فيضيفون ما يجدونه
 إلى نفوسهم وإلى
 مولاهم وهم مع ذلك
 عالمون بأن ذلك ليس
 كلام الله وإنما هو
 علم حادث أحدثه الله
 في بواطنهم فطريق
 الأصحاء في ذلك القرار
 إلى الله تعالى من كل
 ما تحدث نفوسهم به
 حتى إذا برئت ساحتهم
 من الهوى ألهموا
 في بواطنهم شيئا
 ينسبونه إلى الله تعالى
 نسبة الحادث إلى
 المحدث لانسبة الكلام
 إلى التكلم لينصانوا
 عن الزيغ والتعريف
 ومن أولئك قوم
 يزعمون أنهم يفرقون
 في بحار التوحيد ولا
 يشبتون ويسقطون
 لنفوسهم حركة وفلا
 يزعمون أنهم مجبورون
 على الأشياء وأن لا فعل
 لهم مع فعل الله
 ويسترسلون في العاصي
 وكل ما تدعو النفس
 إليه ويركنون إلى
 البطالة ودوام الغفلة

أنكر وقال ما أمرت بهذا فمرضت عليه الرقة ملحقاً بها خط الشافعي فلما وقعت بينه على خطه فرح بذلك وأعتق الجارية سروراً باقتراح الشافعي عليه . وقال أبو بكر الكنانى دخلت على السريّ فبجاءتني وأخذ يحمل نصفه في القدر فقلت له أى شيء تعمل وأنا أشربه كله في مرة واحدة فضحك وقال هذا أفضل لك من حبة ، وقال بعضهم الأكل على ثلاثة أنواع مع الفقراء بالإيثار ومع الإخوان بالانبطاح ومع أبناء الدنيا بالأدب . الأدب الثالث : أن يشتهى الزور أخاه الزائر ويلتمس منه الاقتراح مهما كانت نفسه طيبة بفعل ما يقترح فذلك حسن وفيه أجر وفضل جليل . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من صادف من أخيه شهوة غفر له ومن سر أخاه المؤمن قد سر الله تعالى (١) » وقال صلى الله عليه وسلم فيما رواه جابر « من لاذ أخاه بما يشتهى كتب الله له ألف حسنة وعنه ألف سيئة ورفع له ألف درجة وأطعمه الله من ثلاث جنان الجنة الفردوس وجنة عدن وجنة الخلد (٢) » . الأدب الرابع : أن لا يقول له هل أقدم لك طعاماً بل ينبغي أن يضم إن كان قال لا يرد أن يطعمهم طعاماً فلا ينبغي أن يظهرهم عليه أو يصفه لهم قال الثوري إذا أردت أن لا تطعم عيالاً مما تأكله فلا تعدهم به ولا يروونه معك وقال بعض الصوفية إذا دخل عليكم الفقراء قدموا إليهم طعاماً وإذا دخل الفقهاء فسلوهم عن مسئلة فإذا دخل القراء فدلوهم على المهراب .

(الباب الرابع في آداب الضيافة)

ومطابق الآداب فيها ستة الدعوى أولاً ثم الإجابة ثم الحضور ثم تقديم الطعام ثم الأكل ثم الانصراف ولتقدم على شرحها إن شاء الله تعالى . فضيلة الضيافة : قال صلى الله عليه وسلم « لا تتكفوا للضيف فتبضوه فإنه من أبض الضيف قد أبض الله ومن أبض الله أبضه الله (٣) » وقال صلى الله عليه وسلم « لا خير فيمن لا يضيف (٤) » ومر رسول الله صلى الله عليه وسلم برجل له إبل وبقر كثيرة فلم يضيفه ومراة لها شويحات فذبحته فقال صلى الله عليه وسلم : انظروا إليهما إنما هذه الأخلاق يداها فمن شاء أن يمنعه خلقاً حسناً فعل (٥) » . وقال أبو رافع مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم « أنه نزل به صلى الله عليه وسلم ضيف فقال : قل لفلان اليهودي نزلني ضيف فأسلمني شيئاً من الدقيق إلى رجب فقال اليهودي والله ما أعلقه إلا برهن فأخبرته فقال والله إنى لأمين في السماء أمين في الأرض

(١) حديث من صادف من أخيه شهوة غفر الله له ومن سر أخاه المؤمن قد سر الله عز وجل البزار والطبراني من حديث أبي الدرداء من وافق من أخيه شهوة غفر له قال ابن الجوزي حديث موضوع وروى ابن حبان والعقيلي في الضعفاء من حديث أبي بكر الصديق من سر مؤمناً فأنما سر الله الحديث قال العقيلي باطل لأصله (٢) حديث جابر من لاذ أخاه بما يشتهى كتب الله له ألف حسنة الحديث ذكره ابن الجوزي في الموضوعات من رواية محمد بن نعيم عن ابن الزبير عن جابر وقال أحمد ابن حنبل هذا باطل كذب .

(الباب الرابع في آداب الضيافة)

(٣) حديث لا تتكفوا للضيف فتبضوه فإنه من أبض الضيف قد أبض الله ومن أبض الله أبضه الله ، أبو بكر بن لال في مكارم الأخلاق من حديث سلمان لا يتكفن أحد لضيفه ما لا يقدر عليه وفيه محمد بن الفرج الأزرق مشكك فيه (٤) حديث لا خير فيمن لا يضيف أحمد من حديث عتبة بن عامر وفيه ابن لهيعة (٥) حديث مر رسول الله صلى الله عليه وسلم برجل له إبل وبقر كثيرة فلم يضيفه ومراة لها شويحات فذبحته الحديث الخرائطي في مكارم الأخلاق من رواية أبي النعمان مرسلاً

والاغترار بالله والخروج من السنة وترك الحدود والأحكام والحلال والحرام . وقد سئل سهل عن رجل يقول أنا صائب لا أتحرك إلا إذا حركت قال هذا لا يقوله إلا حذر جليل إما صديق أو زنديق لأن الصديق يقول هذا القول إشارة إلى أن قوام الأشياء بالله مع إحكام الأصول ورعاية حدود العبودية والزنديق يقول ذلك إحالة للأشياء على الله وإسقاطاً للائمة عن نفسه وانحلالاً عن الدين ورسمه فأما من كان معتقداً للحلال والحرام والحدود والأحكام معترفاً بالمصية إذا صدرت منه معتقداً وجوب التوبة منها فهو سليم صحيح وإن كان تحت التصور بما يركن إليه من البطالة ويتروح بهوى النفس إلى

ولو أسلفني لأدبته فاذهب بدرعى وارهنه عنده ^(١) وكان إبراهيم الخليل صلوات الله عليه وسلامه إذا أراد أن يأكل خرج ميلاً أو ميالين يلتصق من يتعدى معه وكان يكنى أبا الضيفان ولصدق نيته فيه دامت ضيافته في مشهده إلى يومنا هذا فلا تنقض ليلة إلا ويأكل عنده جماعة من بين ثلاثة إلى عشرة إلى مائة وقال قوم الوضغ إنه لم يخل إلى الآن ليلة عن ضيف « وسئل رسول الله صلى الله عليه وسلم : ما الإيمان ؟ قال إطعام الطعام وبذل السلام ^(٢) » وقال ^(٣) « في الكفارات والدرجات إطعام الطعام والصلاة بالليل والناس نيام ^(٤) » وسئل عن الحج البرور فقال « إطعام الطعام وطيب الكلام ^(٥) » وقال أنس رضي الله عنه كل بيت لا يدخله ضيف لا تدخله الملائكة والأخبار الواردة في فضل الضيافة والإطعام لاتحصى فلنذكر آدابها . أما الدعوة : فينبغي للداعي أن يبعد بدعوته الأتقياء دون الفساق قال صلى الله عليه وسلم « أكل طعامك الأبرار ^(٦) » في دعائه لبعض من دعاه وقال صلى الله عليه وسلم « لا تأكل إلا طعام تقي ولا يأكل طعامك إلا تقي ^(٧) » ويقصد الفقراء دون الأغنياء على الخصوص . قال صلى الله عليه وسلم « شر الطعام طعام الوليمة يدعى إليها الأغنياء دون الفقراء ^(٨) » وينبغي أن لا يهمل أقربه في ضيافته فإن إهمالهم إجحاش وقطع رحم وكذلك يراعى الترتيب في أصدقائه ومعارفه فإن في تخصيص البعض إجحاشاً لقلوب الباقين ، وينبغي أن لا يقصد بدعوته البهاة والتفاخر بل استئالة قلوب الإخوان والتسكين بسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم في إطعام الطعام وإدخال السرور على قلوب المؤمنين ، وينبغي أن لا يدعو من يعلم أنه يشقى عليه الإجابة وإذا حضر تأذى بالحاضرين بسبب من الأسباب ، وينبغي أن لا يدعو إلا من يحب إجابته قال سفيان من دعا أحداً إلى طعام وهو يكره الإجابة فعليه خطيئة فإن أجاب الدعوة فعليه خطيئتان لأنه حمله على الأكل مع كراهة ولو علم ذلك لما كان يأكله وإطعام التقي إعانة على الطاعة وإطعام الفاسق تقوية على الفسق . قال رجل خياط لابن المبارك أنا أخيط ثياب السلاطين فهل تخاف أن أكون من أعوان الظلمة ؟ قال لا إنما أعوان الظلمة من يبيع منك الحيط والابرة أما أنت فمن الظلمة أنفسهم . وأما الإجابة فهي سنة مؤكدة وقد قيل بوجودها في بعض اللواضع قال صلى الله عليه وسلم « لو دعيت إلى كراع لأجبت ولو أهدى إلى ذراع لقبلت ^(٩) » وللإجابة خمسة آداب : الأول أن لا يميز التني بالإجابة عن الفقير فذلك هو التكبر النبي عنه ولأجل ذلك امتنع بعضهم عن أصل الإجابة وقال : انتظار المروة ذلك ، وقال آخر إذا وضعت يدي في قصعة غیری فقد ذلت له رفيقي ومن

(١) حديث أبي رافع أنه نزل برسول الله صلى الله عليه وسلم ضيف فقال قل لفلان اليهودي نزلني ضيف فأسلفني شيئاً من الدقيق إلى رجب الحديث رواه اسحاق بن راهويه في مسنده والحرائطي في مكارم الاخلاق وابن مردويه في التفسير باسناد ضعيف (٢) حديث سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم ما الإيمان قال إطعام الطعام وبذل السلام متفق عليه من حديث عبد الله بن عمرو بلفظ أي الإسلام خير ؟ قال تطعم الطعام وتقرى السلام على من عرفت ومن لم تعرف (٣) حديث قال صلى الله عليه وسلم في الكفارات والدرجات إطعام الطعام والصلاة بالليل والناس نيام ت وصححه وكذا من حديث معاذ وقد تقدم بعضه في الباب الرابع من الأذكار وهو حديث اللهم إني أسألك فعل الخيرات (٤) حديث سئل عن الحج البرور فقال إطعام الطعام وطيب الكلام تقدم في الحج (٥) حديث أكل طعامك الأبرار د من حديث أنس باسناد صحيح (٦) حديث لا تأكل إلا طعام تقي ولا يأكل طعامك إلا تقي تقدم في الزكاة (٧) حديث شر الطعام طعام الوليمة الحديث متفق عليه من حديث أبي هريرة . (٨) حديث لو دعيت إلى كراع لأجبت ولو أهدى إلى ذراع لقبلت خ من حديث أبي هريرة .

الأسفار والترحال في البلاد متوسلاً إلى تناول اللذات والشهوات غير متمسك بشيخ يؤدبه ويهذبه ويصمره بعيب ماهوفيه والله الموفق .

[الباب العاشر في شرح

رتبة للشيخة] ورد في

الحبر عن رسول الله

صلى الله عليه وسلم

« والذي نفس محمد

بيده لئن شتمت لأقسمن

لكم إن أحب عباد الله

تعالى إلى الله الدين

يحبون الله إلى عباده

ويحبون عباد الله

إلى الله ويمشون على

الأرض بالنصيحة »

وهذا الذي ذكره

رسول الله صلى الله

عليه وسلم هو رتبة

الشيخة والدعوة إلى

الله تعالى لأن الشيخ

يحب الله إلى عباده

حقيقة ويجب عباد

الله إلى الله ، ورتبة

الشيخة من أعلى الرتب

في طريق الصوفية

ونياة النبوة في الدعاء

إلى الله فأما وجه كون

الشيخ يحجب الله إلى عباده فلأن الشيخ يسلك بالمريد طريق الاقتداء برسول الله صلى الله عليه وسلم ومن صح اقتداؤه واتباعه أحبه الله تعالى قال الله تعالى - قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحبك الله - ووجه كونه يحجب عباد الله تعالى إليه أنه يسلك بالمريد طريق التزكية وإذا تزكت النفس انجلت مرآة القلب وانعكست فيه أنوار العظمة الإلهية ولاح فيه جمال التوحيد وانجذبت أحداق البصيرة إلى مطالعة أنوار جلال القدم ورؤية الكمال الأزلي فأحب العبد ربه لأعماله وذلك ميراث التزكية قال الله تعالى - قد أنزل من زكاه - وفلاحها بالظفر بمعرفة الله تعالى وأيضاً مرآة القلب إذا انجلت لاح فيها الدنيا بحسبها وحقيقتها

التكبرين ممن يحجب الأغنياء دون الفقراء وهو خلاف السنة كان صلى الله عليه وسلم يحجب دعوة العبد ودعوة المسكين (١) ومرو الحسن بن علي رضي الله عنهما بقوم من الساكين الذين يسألون الناس على قارة الطريق وقد نشروا كسرا على الأرض في الرمل وهم يأكلون وهو على بقلته فسلم عليهم فقالوا له هلم إلى الغداء يا ابن بنت رسول الله ﷺ فقال نعم إن الله لا يحب المتكبرين فنزل وتعد معهم على الأرض وأكل ثم سلم عليهم وركب وقال قد أجبتكم فأجيئوني قالوا نعم فوعدهم وقتا معلوما فحضروا فقدم إليهم فأخروا الطعام وجلس يأكل معهم ، وأما قول القائل إن من وضعت يدي في قصعته فقد ذلت له رقبتي ، فقد قال بعضهم هذا خلاف السنة وليس كذلك فإنه ذل إذا كان الداعي لا يفرح بالإجابة ولا يتقصد بهامنة وكان يرى ذلك يدا له على الدعو ورسول الله صلى الله عليه وسلم كان يحضر لعله أن الداعي له يتقصد منه ويرى ذلك شرفا وذخرا لنفسه في الدنيا والآخرة فهذا يختلف باختلاف الحال فمن ظن به أنه يستثقل الطعام وإنما يفعل ذلك مباهاة أو تكلفا فليس من السنة إجابته (٢) بل الأولى التملل ، ولذلك قال بعض الصوفية لا تجب إلا دعوة من يرى أنك أكلت رزقك وأنه سلم إليك ودية كانت لك عنده ويرى لك الفضل عليه في قبول تلك الوديعة منه وقال سري السقطي رحمه الله آه على لقمة ليس على الله فيها تبعة ولا مخلوق فيها منة فإذا علم الدعواته لامة في ذلك فلا ينبغي أن يرد وقال أبو تراب التخشي رحمه الله عليه عرض على طعام فامتنت فابتليت بالجوع أربعة عشر يوما فعلمت أنه عقوبته وقيل لمعروف الكرخي رضي الله عنه كل من دعاك تمر إليه فقال أنا ضيف أزل حيث أزلوني . الثاني : أنه لا ينبغي أن يمتنع عن الإجابة بعد المسافة كما لا يمتنع لفقر الداعي وعدم جاهه بل كل مسافة يمكن احتمالها في العادة لا ينبغي أن يمتنع لأجل ذلك يقال في التوراة أوبعض الكتب سربلاعد مريضا سربيلين شيع جنازة سر ثلاثة أميال أجب دعوة سر أربعة أميال زراخا في الله وإنما قدم إجابة الدعوة والزيارة لأن فيه قضاء حق الحي فهو أولى من البت وقال صلى الله عليه وسلم « لودعيت إلى كراع بالغميم لأجبت (٤) » وهو موضع على أميال من المدينة أفطرفه رسول الله صلى الله عليه وسلم في رمضان (٣) لما بلغه وقصر عنده في سفره (٥) . الثالث : أن لا يمتنع لكونه صائما بل يحضر فإن كان يسر أخاه إفطاره فليطفر وليحسب في إفطاره بنية إدخال السرور على قلب أخيه ما يحسب في الصوم وأفضل وذلك في صوم التطوع وإن لم يتحقق سرور

(١) حديث كان يحجب دعوة العبد ودعوة المسكين ت . من حديث أنس ذكر المسكين وضف ت وصححه ك (٢) حديث ليس من السنة إجابة من يطعم مباهاة أو تكلفا د من حديث ابن عباس أن النبي صلى الله عليه وسلم نهى عن طعام التبايرين قال د من رواه عن جرير لم يذكر فيه ابن عباس وللقيلي في الضعفاء نهى النبي صلى الله عليه وسلم عن طعام التباهيين والتبايرين المتعارضان بفعلهما للباهاة والرياء قاله أبو موسى اللدني (٣) حديث لودعيت إلى كراع بالغميم لأجبت ذكر الغيم فيه ليعرف والمعروف لودعيت إلى كراع كما تقدم قبله بثلاثة أحاديث ويرد هذه الزيادة ما رواه ت من حديث أنس لو أهدى إلى كراع لقبلت (٤) حديث إفطاره صلى الله عليه وسلم في رمضان لما بلغ كراع الغيم رواه من حديث جابر في عام الفتح (٥) حديث قصره صلى الله عليه وسلم في سفره عند كراع الغيم لم أقفله على أصل وللقطري في الصغير من حديث ابن عمر كان يقصر الصلاة بالعقيق يريد إذا بلغه وهذا رد الأول لأن بين العقيق وبين المدينة ثلاثة أميال أو أكثر وكراع الغيم بين مكة وعسفان والله أعلم .

قلبه فليصدق بالظاهر وليفطر وإن تحقق أنه متكلف فليتمل وقد قال صلى الله عليه وسلم لمن امتنع بعذر الصوم « تكلف لك أخوك وتقول إني صائم »^(١) وقد قال ابن عباس رضي الله عنهما من أفضل الحسنات إكرام الجلساء بالإفطار فالإفطار عبادة بهذه النية وحسن خلق فتوابه فوق ثواب الصوم ومهما لم يفطر فضيافته الطيب والمجمرة والحديث الطيب وقد قيل الكحل والدهن أحد القراءين. الرابع أن يمتنع من الإجابة إن كان الطعام طعام شبهة أو الموضع أو البساط المقروش من غير حلال أو كان يقام في الموضع منكر من فرش ديباج أو إنا، فضة أو تصوير حيوان على سقف أو حائط أو مباح شيء من الزايم واللاهية أو التشاغل بنوع من اللهو والعزف والمزل واللعب واستماع الغيبة والنميمة والزور والبهتان والكذب وشبه ذلك فكل ذلك مما يمنع الإجابة واستجابها ويوجب تحریمها أو كراهيتها وكذلك إذا كان الداعي ظالماً أو مبتدعاً أو فاسقاً أو شريراً أو متكلفاً طلباً للمباهاة والفخر. الخامس أن لا يقصد بالإجابة قضاء شهوة البطن فيكون عاملاً في أبواب الدنيا بل يحسن نيته ليصير بالإجابة عاملاً للأخرة وذلك بأن تكون نيته الاقتداء بسنة رسول الله ﷺ في قوله « لودعيت إلى كراع لأجبت » وينوي الحذر من معصية الله تعالى لقوله صلى الله عليه وسلم « من لم يحب الداعي فقد عصي الله ورسوله »^(٢) وينوي إكرام أخيه المؤمن اتباعاً لقوله صلى الله عليه وسلم « من أكرم أخاه المؤمن فكأنما أكرم الله »^(٣) وينوي إدخال السرور على قلبه امتثالاً لقوله صلى الله عليه وسلم « من أكرم أخاه المؤمن سرّاً مؤمناً فقد سر الله »^(٤) وينوي مع ذلك زيارته ليكون من المتحابين في الله إذ شرط رسول الله صلى الله عليه وسلم فيه التزاور والتبازل^(٥) وقد حصل البذل من أحد الجانبين فتحصل الزيارة من جانبه أيضاً وينوي ميانة نفسه عن أن يساء به الظن في امتناعه ويطلق اللسان فيه بأن يحمل على تكبر أو سوء خلق أو استحقار أخ مسلم أو ما يجرى مجراه فنه ست نيات تلحق إجابته بالقرابات أحداها فكيف مجموعها وكان بعض السلف يقول أنا أحب أن يكون لي في كل عمل نية حتى في الطعام والشراب وفي مثل هذا قال ﷺ « إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئ ما نوى فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله ومن كانت هجرته إلى دنيا يصيبها أو امرأة يزوجها فهجرته إلى ما هاجر إليه »^(٦) والنية إنما تؤثر في المباحات والطاعات أما النيات فلا فائدة لونها أن يسر إخوانه بمساعدتهم على شرب الخمر أو حرام آخر لم تنفع النية ولم يجز أن يقال الأعمال بالنيات بل لو قصد بالغزو الذي هو طاعة البهاة وطلب المال انصرف عن جهة الطاعة وكذلك المباح للرد بين وجوه الخبرات وغيرها يلتحق بوجوه الخبرات بالنية فتؤثر النية في هذين القسمين لا في القسم الثالث. وأما الحضور فأدبه أن يدخل الدار ولا يتصدر فيأخذ أحسن الأماكن بل يتواضع

(١) حديث وقال لمن امتنع بعذر الصوم تكلف لك أخوك وتقول إني صائم حق من حديث أبي سعيد الخدري صنعت لرسول الله صلى الله عليه وسلم طعاماً وأتاني هو وأصحابه فلما وضع الطعام قال رجل من القوم إني صائم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم دعاكم أخوكم وتكلف لكم الحديث ولقد أرقطني نحوه من حديث جابر (٢) حديث من لم يحب الداعي فقد عصي الله ورسوله متفق عليه من حديث أبي هريرة (٣) حديث من أكرم أخاه المؤمن فأنما يكرم الله تعالى الأصفياني في الترغيب والترهيب من حديث جابر والقبلي في الضعفاء من حديث أبي بكر وإسنادهما ضعيف (٤) حديث من سر مؤمناً قد سر الله نعم في الباب قبله (٥) حديث وجبت محبة للمزاورين في التبازلين في م من حديث أبي هريرة ولم يذكر المصنف هذا الحديث وإنما أعار إليه (٦) حديث الأعمال بالنيات متفق عليه من حديث محمد بن الخطاب .

وماهيتها ولاحت
الآخرة وشائها
بكنها وغايتها
فتكشف للبصرة
حقيقة الدارين
وحاصل التزاور فيجب
العبد الباقي وزهد في
القاني فتظهر فائدة
التركية وجدوى
الشيخة والترية
فالشيخ من جنود الله
تعالى يرشده الريدن
ويهدي به الطالبين .
أخبرنا أبو زرعة عن
أبيه الحافظ المقدسي
قال أنا أبو الفضل
عبد الواحد بن علي
بهذان قال أنا أبو بكر
محمد بن علي بن أحمد
الطوسي قال ثنا
أبو العباس محمد بن
يعقوب قال ثنا أبو عتبة
قال ثنا ببيعة قال ثنا
صفوان بن عمرو قال
حدثني الأزهر بن
عبد الله قال قد سمعت
عبد الله بن بشر صاحب
رسول الله صلى الله
عليه وسلم قال كان
يقال إذا اجتمع

ولا يطول الانتظار عليهم ولا يجعل بحيث يفاجئهم قبل تمام الاستعداد ولا يضيق السكان على الحاضرين بالترحمة بل إن أشار إليه صاحب المكان بموضع لا يخافه أئنة فانه قد يكون رتب في نفسه موضع كل واحد لمخالفته تشوش عليه وإن أشار إليه بعض الضيفان بالارتفاع إكراما فليتواضع قال صلى الله عليه وسلم « إن من التواضع لله الرضا بالدون من المجلس (١) » ولا ينبغي أن يجلس في مقابلة باب الحجرة الذي للنساء وسترهم ولا يكثر النظر إلى الموضع الذي يخرج منه الطعام فانه دليل على الشره ويغص بالتجبة والسؤال من يقرب منه إذا جلس وإذا دخل ضيف للمبيت فليعرفه صاحب المنزل عند الدخول القبلة وبيت الماء وموضع الوضوء كذلك فعل مالك بالشافعي رضى الله عنهما وغسل مالك يده قبل الطعام قبل القوم وقال النسل قبل الطعام لرب البيت أولى لأنه يدعو الناس إلى كرمه وحكمه أن يتقدم بالفصل وفي آخر الطعام يتأخر بالنسل لينتظر أن يدخل من يأكل فياكل كل معيه وإذا دخل فرأى منكرا غيره إن قدر وإلا أنكر بلسانه وانصرف ، والنكر فرش الديباج واستعمال أواني الفضة والذهب والتصوير على الحيطان وسماع للالهى والزماير وحضور النسوة للتكشفات الوجوه وغير ذلك من المهرمات حتى قال أحمد رحمه الله إذا رأى مكحلة رأسها مفضض ينبغي أن يخرج ولم يأذن في الجلوس إلا في ضبة وقال إذا رأى كلة فينبغي أن يخرج فان ذلك تكلف لا فائدة فيه ولا تدفع حرا ولا بردا ولا تستر شيئا وكذلك قال يخرج إذا رأى حيطان البيت مستورة بالديباج كأنستر الكعبة وقال إذا أكرى بيتا فيه صورة أو دخل الحمام ورأى صورة فينبغي أن يحكمها فان لم يقدر خرج وكل ما ذكره صحيح وإنما النظر في السكلة وتزيين الحيطان بالديباج فان ذلك لا ينهى إلى التحريم إذ الحرير يحرم على الرجال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « هذان حرام على ذكور أمتي حل لإناثهما (٢) » وما على الحائط ليس منسوباً إلى الذكور ولو حرم هذا الحرم تزيين السكبة بل الأولى بإباحته لموجب قوله تعالى - قل من حرم زينة الله - لأميا في وقت الزينة إذا لم يتخذ عادة للتفاخر وإن تخيل أن الرجال ينتفمون بالنظر إليه ولا يحرم على الرجال الانتفاع بالنظر إلى الديباج مهمالبه الجوارى والنساء والحيطان في معنى النساء إذ لسن موصوفات بالذكورة. وأما إحضار الطعام فله آداب خمسة : الأول تعجيل الطعام فذلك من إكرام الضيف وقد قال صلى الله عليه وسلم « من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه (٣) » ومهما حضر الأكرهون وغاب واحد أو اثنان وتأخروا عن الوقت للمعود فتحق الحاضرين في التعجيل أولى من حق أولئك في التأخير إلا أن يكون التأخر قفيرا أو ينكسر قلبه بذلك فلا بأس في التأخير وأحد الضيفين في قوله تعالى - هل أتاك حديث ضيف إبراهيم الكرمين - إنهم أكرموا بتعجيل الطعام إليهم دل عليه قوله تعالى - فما لبث أن جاء بعجل حنيد - وقوله - فراغ إلى أهله فجاء بعجل سمين - والروغان الذهاب بسرعة وقيل في خفية وقيل جاء بفخذ من لحم وإمامى عجلا لأنه عجله ولم يلبث قال حاتم الأصم العجلة من الشيطان إلا في خمسة فانه من سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم إطعام الضيف وتجهيز البيت

(١) حديث إن من التواضع لله الرضا بالدون من المجلس الخرائطى في مكارم الأخلاق وأبو نعيم في رياضة التطعين من حديث طلحة بن عبيد بسند جيد (٢) حديث هذان حرامان على ذكور أمتي دن . من حديث على وفيه أبو أفلح الحمداني جهله ابن القطان ون ت وصححه من حديث أبي موسى بنحوه . قلت الظاهر انقطاعه بين سعيد بن أبي هند وأبي موسى فأدخل أحمد بينهما رجلا لم يسم (٣) حديث من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه متفق عليه من حديث أبي سريح .

عشرون رجلا أو أكثر فان لم يكن فيهم من بهاب الله عز وجل فقد خطر الأمر على الشايخ وقال الله وبهم يتأدب المريدون ظاهرا وباطنا قال الله تعالى - أولئك الذين هدى الله فبهم اهتدوا - فالشايخ لما اعتدوا أهلوا للاقتداء بهم وجعلوا أئمة المتقين قال رسول الله صلى الله عليه وسلم حاكيا عن ربه : إذا كان الغالب على عبدي الاشتغال بي جعلت محنته ولذته في ذكرى فإذا جعلت محنته ولذته في ذكرى عشقني وعشقتة ورفعت الحجاب فيما بيني وبينه لا يسهو إذاسها الناس أولئك كلامهم كلام الأنبياء أولئك الأبطال حقا أولئك الذين إذا أردت بأهل الأرض عقوبة أو عذابا ذكرتهم فيها فصرقتهم عنهم والسرفى وصول السالك إلى رتبة الشيخة أن السالك

وتزويج البكر وقضاء الدين والتوب عن الذنب^(١) ويستحب التمجيل في الوليمة ، قيل الوليمة في أول يوم سنة وفي الثاني معروف وفي الثالث شرباء . الثاني : ترتيب الأطعمة بتقديم الفاكهة أولاً إن كانت كذلك أو فوق في الطباقها أسرع استحالة فينبغي أن تقع في أسفل المائدة وفي القرآن تنبيه على تقديم الفاكهة في قوله تعالى - وفاكهة مما يتخيرون - ثم قال - ولحم طير مما يشتهون - ثم أفضل ما يقدم بعد الفاكهة اللحم والتريد قد قال عليه السلام «فضل عائشة على النساء كفضل التريد على سائر الطعام» [١] فان جمع إليه حلالة بعده قد جمع الطيبات ودل على حصول الإكرام باللحم قوله تعالى : في ضيف إبراهيم إذا حضر الجبل الخنيد أي الخنوذ وهو الذي أجيد فضجه وهو أحد معنى الإكرام أعني تقديم اللحم وقال تعالى في وصف الطيبات - وآتيناك عليهما اللبن والسوى - اللبن العسل والسوى اللحم مسمى سلوى لأنه يتسلى به عن جميع الآدم لا يقوم غيره مقامه ولذلك قال عليه السلام «سيد الآدم اللحم» ثم قال بعد ذكر اللبن والسوى - كلوا من طيبات ما رزقناكم - فاللحم والحلاوة من الطيبات قال أبو سليمان الداراني رضي الله عنه أهل الطيبات يورث الرضا عن الله ويتم هذه الطيبات شرب الماء البارد وصب الماء القارظ إلى اليد عند الفصل قال الثمامون شرب الماء بلع يخلص الشكر وقال بعض الأديباء إذا دعوت إخوانك فأطعمتهم حصرية وبورانية وسقيتهم ماء بارداً فقد أكلت الضيافة وأتقى بعضهم دراهم في ضيافة فقال بعض الحكماء لم نكن نحتاج إلى هذا إذا كان خبرك جيداً وماؤك بارداً وخلك حامضاً فهو كفاية وقال بعضهم الحلاوة بعد الطعام خير من كثرة الألقان والتمسك على اللسان خير من زيادة لونين ويقال إن الملائكة تحضر للمائدة إذا كان عليها بقل فذلك أيضاً مستحب ولما فيه من الزين بالحضرة وفي الخبر إن اللسان الذي آتيت على بني إسرائيل كان عليها من كل البقول إلا السكران وكان عليها ثمرة عند رأسها خل وعند ذنبها ملح وسبعة أرغفة على كل رغيف زيتون وحب رمان فهذا إذا اجتمع حسن للمواقة . الثالث : أن يقدم من الألوان ألونها حتى يستوفي منها من يريد ولا يكثر الأكل بعده وعادة للترفين تقديم القليظ ليستأنف حركة الشهوة بمصادفة اللطيف بعده وهو خلاف السنة فانه حيلة في استكثار الأكل وكان من سنة المتقدمين أن يقدموا جملة الألوان دفعة واحدة وصفون القصاع من الطعام على اللسان لئلا يأكل كل واحد مما يشتهي وإن لم يكن عنده إلا لون واحد ذكره ليستوفوا منه ولا ينتظروا أطيب منه . ويحكى عن بعض أصحاب الروايات أنه كان يكتب نسخة بما يستحضر من الألوان ويعرض على الضيفان وقال بعض الشيوخ قدم إلى بعض الشايخ لونا بالشام فقلت عندنا بالعراق إنما يقدم هذا آخرها فقال وكذا عندنا بالشام ولم يكن له لون غيره فجلت منه وقال آخر كنا جماعة في ضيافة فقدم إلينا ألوان من الروس للشوية طيبها وقديداً فكنا لا نأكل كل نتظر بعدها لونا أو حملاً فجاءنا بالطست ولم يقدم غيرها

(١) حديث حاتم الأصم العجلة من الشيطان إلا في خمسة فأنها من سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم إطعام الطعام ونهيز البيت وتزويج البكر وقضاء الدين والتوبة من الذنوب من حديث سهل بن سعد الأئمة من الله والعجلة من الشيطان وسنده ضعيف وأما الاستثناء فروى د من حديث سعد بن أبي وقاص التؤدة في كل شيء إلا في عمل الآخرة قال الأعشى لأعلم إلا أنه رفهه وروى المزني في التهذيب في ترجمة محمد بن موسى بن قيس عن مشيخة من قومه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال الأئمة في كل شيء إلا في ثلاث إذا صبح في خيل الله وإذا نودي بالصلاة وإذا كانت الجنائز... الحديث وهذا مرسل وث من حديث علي ثلاثة لا تؤخرها الصلاة إذا أتت والجنائز إذا حضرت والأيم إذا وجدت كفؤاً وسنده حسن.

[١] حديث فضل عائشة لم يخرجها العراقي وخرجه الشارح عن الترمذي في الشمائل وغيره .

مأمور بسياسة النفس مبتلى بصفاتها لا يزال يسلك بصدق العامة حتى تطمئن نفسه وبطمأنيتها ينزع عنها البرودة واليوسة التي استصحبها من أصل خلقها وبها تستحى على الطاعة والاعتقاد للمبودية فأذا زالت اليوسة عنها ولانت بحرارة الروح الواصلة إليها وهذا القلب هو الذي ذكره الله تعالى في قوله - ثم تلين جلودهم وقلوبهم إلى ذكر الله - تعالى تجيب إلى العبادة وتلين للطاعة عند ذلك وقلب العبد متوسط بين الروح والنفس ذو وجهين أحدهما وجهه إلى النفس والوجه الآخر إلى الروح يستمد من الروح بوجهه الذي يليه ويمد النفس بوجهه الذي يليها حتى تطمئن النفس فأذا اطمأننت نفس السالك وفرغ من سياستها

فظهر بعضنا إلى بعض فقال بعض الشيوخ وكان مزاحا إن الله تعالى يقدر أن يخلق رءوسا بلا أبدان قال وبتنا تلك الليلة جياعا نطلب فتيانا إلى السحور فلهذا يستحب أن يقدم الجميع أو يغبر بما عنده . الرابع : أن لا يبادر إلى رفع الألوان قبل تمكنهم من الاستيفاء حتى يرفضوا الأيدي عنها فاعمل منهم من يكون بقية ذلك اللون أشهى عنده مما استحضروه أو بقيت فيه حاجة إلى الأكل فيتغنص عليه بالمبادرة وهي من التمكن على المائدة التي يقال إنها خير من لونين فيحتمل أن يكون المراد به قطع الاستعجال ومحتمل أن يكون أراد به سعة المكان . حكى عن السجوري وكان صوفيا مزاحا فحضر عند واحد من أبناء الدنيا على مائدة قدم إليهم حمل وكان في صاحب المائدة غل فلبس رأى القوم مزقوا الحمل كل ممزق مذاق صدره وقال يا غلام ارفع إلى الصبيان نرفع الحمل إلى داخل الدار قام السجوري يمدو خلف الحمل فقبل له إلى أين فقال آكل مع الصبيان فاستحيا الرجل وأمر برد الحمل ومن هذا الفن أن لا يرفع صاحب المائدة يده قبل القوم فأنهم يستحيون بل ينبغي أن يكون آخرهم أكلًا كان بعض السكرام يغبر القوم بجميع الألوان ويتركهم يستوفون فإذا قاربوا الفراغ جثا على ركبتيه ومد يده إلى الطعام وأكل وقال بسم الله ساعدوني بارك الله فيكم وعليكم وكان السلف يستحبون ذلك منه . الخامس : أن يقدم من الطعام قدر الكفاية فإن التقليل عن الكفاية نقص في المروءة والزيادة عليه تصنع ومراة لاسيا إذا كانت نفسه لا تسمح بأن يأكلوا الكل إلا أن يقدم الكثير وهو طيب النفس لو أخذوا الجميع ونوى أن يترك بفضل طعاهم إذ في الحديث لا يحاسب عليه . أحضر إبراهيم بن أدهم رحمه الله طعاما كثيرا على مائدته فقال سفيان يا أبا إسحاق أما تخاف أن يكون هذا سرفا فقال إبراهيم ليس في الطعام سرف فإن لم تكن هذه البنية فالتكثير تكلف قال ابن مسعود رضي الله عنه نهينا أن نجيب دعوة من يياهي بطعامه وكره جماعة من الصحابة أكل طعام البهاة ومن ذلك كان لا يرفع من بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم فضلة طعام قط لأنهم كانوا لا يقدمون إلا قدر الحاجة ولا يأكلون تمام الشبع وينبغي أن يزل أولا نصب أهل البيت حتى لا تكون أعينهم طامعة إلى رجوع شيء منه فلعلمه لا يرجع فضيق صدورهم وتطلق في الضيفان ألسنتهم ويكون قد أطمع الضيفان ما يتبعه كراهية قوم وذلك خيانة في حقهم وما بقي من الأطعمة فليس للضيفان أخذه وهو الذي تسميه الصوفية الزلة إلا إذا صرح صاحب الطعام بالاذن فيه غن قلب راض أو علم ذلك بقرينة حاله وأنه يفرج به فإن كان بظن كراهيته فلا ينبغي أن يؤخذ وإذا علم رضاه فينبغي مراعاة العدل والنصفة مع الرفقاء فلا ينبغي أن يأخذ الواحد إلا ما يخصه أو ما يرضى به رفيقه عن طوع لا عن حياء . فاما الانصراف : فله ثلاثة آداب . الأول : أن يخرج مع الضيف إلى باب الدار وهو سنة وذلك من إكرام الضيف وقد أمر بإكرامه قال عليه الصلاة والسلام « من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه » وقال عليه السلام « إن من سنة الضيف أن يشيع إلى باب الدار » [١] قال أبو قتادة قدم وفد النجاشي عن رسول الله ﷺ فقام يخدمهم بنفسه فقال له أصحابه نحن نكفئك يا رسول الله فقال كلا إنهم كانوا لأصحابي مكرمين وأنا أحب أن أكرمهم [٢] وتعلم الإكرام طلاقة الوجه وطيب الحديث عند الدخول والخروج وعلى المائدة قيل للأوزاعي رضي الله عنه ما كرامة الضيف قال طلاقة الوجه وطيب الحديث وقال يزيد بن أبي زياد ما دخلت على عبد الرحمن ابن أبي ليلى إلا حدثنا حديثا حسنا وأطعمنا طعاما حسنا الثاني أن يصرف الضيف طيب النفس وإن جرى في حقه نقص فذلك من حسن الخلق والتواضع قال صلى الله عليه وسلم « إن الرجل ليدرك بحسن [١]

أشهى سلوكه وتمكن من سياسة النفس واتقادت نفسه وفاءت إلى أمر الله ثم القلب يشرب إلى السياسة لما فيه من التوجه إلى النفس فتقوم نفوس اللريدين والطالبيين والصادقين عنده مقام نفسه لوجود الجنسية في عين النفية من وجه ولوجود التألف بين الشيخ والمريد من وجه التألف الإلهي قال الله تعالى - لو أنفقت مافي الأرض جميعا ما أنفقت بين قلوبهم ولكن الله ألف بينهم - فيسوس نفوس الريدين كما كان يسوس نفسه من قبل ويكون في الشيخ حيثئذ معنى التخالق بأخلاق الله تعالى من معنى قول الله تعالى : الأطال شوق الأبرار إلى لقائي وافي إلى لقائهم لأشد شوقا وبما هيا الله تعالى من حسن التأليف بين

[١] حديث إن من سنة وكذا حديث إكرام وفد النجاشي وعديث إن الرجل ليدرك بحسنهم المراق .

خلقه درجة الصائم القائم » ودعى بعض السلف برسول فلم يصادفه الرسول فلما سمع حضر وكانوا قد تفرقوا وفرغوا وخرجوا فخرج إليه صاحب المنزل . وقال قد خرج القوم فقال هل بقي بقية قال لا قال فكسرة إن بقيت قال لم تبقى قال فالتقدر أمسحها قال قد غسلتها فانصرف بحمد الله تعالى فقيل له في ذلك فقال قد أحسن الرجل دعانا بنية وردنا بنية فهذا هو معنى التواضع وحسن الخلق . وحكى أن أستاذ أبي القاسم الجنيد دناه صبي إلى دعوة أيه أربع مرات فرده الأب في المرات الأربع وهو يرجع في كل مرة تطيبا لقلب الصبي بالحضور وقلب الأب بالانصراف فهذه تقوس قد ذلت بالتواضع لله تعالى واطمأنت بالتوحيد وصارت تشاهد في كل رد وقبول عبرة فيما بينها وبين ربها فلا تنكسر بما يجرى من العباد من الإذلال كما لا تستبشر بما يجرى منهم من الإكرام بل يرون السكل من الواحد القهار ولذلك قال بعضهم أنا لأجيب الدعوة إلا لأني أتذكر بها طعام الجنة أي هو طعام طيب يحمل عنا كدته ومؤنته وحسابه . الثالث : أن لا يخرج إلا برضا صاحب المنزل وإذنه ويراعى قلبه في قدر الإقامة وإذ انزل ضيفا فلا يزيد على ثلاثة أيام فرما يترحم به ويحتاج إلى إخراجه قال صلى الله عليه وسلم « الضيافة ثلاثة أيام فما زاد فصدقة ^(١) » نعم لو ألح رب البيت عليه عن خلوص قلبه لله المقام إذ ذاك ويستحب أن يكون عنده فراش للضيف النازل قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « فراش للرجل وفراش للمرأة وفراش للضيف والرابع للشيطان ^(٢) » .

(فصل يجمع آدابا ومناهى طيبة وشرعية متفرقة)

الأول : حكى عن إبراهيم النخعي أنه قال الأكل في السوق دناءة ^(٣) وأسند إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وإسناده قريب وقد نقل عنه عن ابن عمر رضي الله عنهما أنه قال : كنا نأكل على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحن نمتشى ونشرب ونحن قيام ^(٤) . وروى بعض المشايخ من التصوفة المروفين يأكل في السوق فقيل له في ذلك فقال ويحك أجوع في السوق وآكل في البيت فقيل تدخل المسجد قال أستحي أن أدخل بيته للأكل فيه ووجه الجمع أن الأكل في السوق تواضع وترك تكاف من بعض الناس فهو حسن وخرق مروءة من بعضهم فهو مكروه وهو مختلف بآداب البلاد وأحوال الأشخاص فمن لا يليق ذلك بسائر أعماله حمل ذلك على قلة الروءة وفرط الشرة ويقدر ذلك في الشهادة ومن يلقى ذلك بجميع أحواله وأعماله في ترك التكلف كان ذلك منه تواضعا . الثاني : قال علي رضي الله عنه من ابتدأ غذاءه بالملح أذهب الله عنه سبعين نوعا من البلاء ومن أكل في يوم سبع تمرات عجوة قتلت كل دابة في بطنه ومن أكل كل يوم إحدى وعشرين زبينة حمراء لم ير في جسده شيئا يسكره واللحم يثبت اللحم والتريد طعام العرب والبسقارجات تعظم البطن وترخي الألتين ولحم البقر داء ولبنها شفاء وممنها دواء والشحم يخرج مثله من الداء ولئن تستشفى النساء بشيء أفضل من الرطب ، والسّمك يذيب الجسد وقراءة القرآن والسواك ينهبان البلغم ومن أراد البقاء ولا بقاء فليأكل بالعداء ^(٥) حديث الضيافة ثلاثة أيام فإذا دقة متفق عليه من حديث أبي شريح الخزاعي ^(٦) حديث فراش للرجل وفراش للمرأة وفراش للضيف والرابع للشيطان م من حديث جابر ^(٧) حديث الأكل في السوق دناءة الطبراني من حديث أبي أمامة وهو ضيف ورواه ابن عدي . كمال من حديثه وحديث أبي هريرة ^(٨) حديث ابن عمر كنانا كل على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحن نمتشى ونشرب ونحن قيام وصححه .

الصاحب والمصحب
يصير المرید جزء
الشیخ كما أن الولد
جزء الوالد في الولادة
الطبیعیة وتصر هذه
الولادة آتفا ولادة
معنویة كما ورد عن
عیسی صلوات الله علیه
لن یلج ملکوت
السما من لم یولد مرتین
فبالولادة الأولى یصر له
ارتباط بعالم الملك وبهذه
الولادة یصر له ارتباط
بالمملکوت قال الله
تعالی . وكذلك نرى
لإبراهیم ملکوت
السماوات والأرض
ولیکون من الموقنین .
وصرف الیقین علی
الکمال یحصل فی هذه
الولادة وبهذه الولادة
یستحق میراث الأنبیاء
ومن لم یصله میراث
الأنبیاء ما ولد وإن
کان علی کمال من
الفطنة والدکاء لأن
الفطنة والدکاء نتیجة
العقل والعقل إذا کان
بابا من نور الشرع
لا بدخل للمملکوت

وليكرر العشاء وليلبس الحذاء ولين يتداوى الناس بجناء مثل السم [١]. وليقل غشيان النساء وليخفف الرداء وهو الدين . الثالث : قلل الحجاج لبعض الأطباء صفه الى صفة آخذ بها ولا أعدوها قال لا تتكح من النساء إلا فتاة ولا تأكل من اللحم إلا فتية ولا تأكل كل المطبوخ حتى ينعم فضجه ولا تشربين دواء إلا من علة ولا تأكل كل من الفاكهة إلا أنضجها ولا تأكل كل طعام إلا أجدت مضغه وكل ما أحببت من الطعام ولا تشربين عليه فإذا شربت فلا تأكل عليه شيئا ولا تحبسي الغائط والبول وإذا أكلت بالتهار فم وإذا أكلت بالليل فامشي قبل أن تنام ولومائة خطوة وفي معناه قول العرب قد تمدت تمش تمش يعني تمدت كقال الله تعالى - ثم ذهب إلى أهله يتمطى - أى يتمطط ويقال إن حبس البول يفسد الجسد كما يفسد النهر ما حوله إذا سد مجراه . الرابع : في الجبر : قطع العروق مسقمة وترك العشاء مهمة (١) والعرب تقول ترك الضاء يذهب بشحم الكافة يعنى الألية وقال بعض الحكماء لابنه يابن لا تخرج من منزلك حتى تأخذ حلك أى تغذى إذ به يبقى الحلم وبزول الطيش وهو أيضا أقل لشهوته لما يرى في السوق وقال حكيم لسمين أرى عليك قطيفة من نسج أضراسك فم هي قال من أكل كل باب البروصغار الغز وأدهن بجام بنفسج وألبس الكتان . الخامس : الحمية تضر بالصحيح كما يضر تركها بالمرضى هكذا قيل وقال بعضهم من احتسب فهو على يقين من السكره وعلى شك من العوافي وهذا حسن في حال الصحة « ورأى رسول الله صلى الله عليه وسلم صبييا يأكل تمرا وإحدى عينيه رمداء فقال أنا أكل التمر وأنت رمد فقال يا رسول الله إنما أكل بالشق الآخر (٢) » يعنى جانب السليمة فضحك رسول الله ﷺ . السادس : أنه يستحب أن يحمل طعام إلى أهل البيت ، ولما جاء نعى جعفر بن أبي طالب قال عليه السلام « إن آل جعفر شغلوا بيتهم عن صنع طعامهم فأحملوا إليهم مايا كلون (٣) » فذلك سنة وإذا قدم ذلك إلى الجمع حل الآكل منه إلا ما يهيا للنوايح والعينات عليه بالبكاء والجوع فلا ينبغي أن يؤكل معهم . السابع : لا ينبغي أن يحضر طعام ظام فان أكره فليقلل الأكل ولا يقصد الطعام الأطيب . رد بعض الزكبي شهادة من حضر طعام سلطان فقال كنت مكرها فقال رأيتك تقصد الأطيب وتكبر اللقمة وما كنت مكرها عليه وأجبر السلطان هذا الزكى على الآكل فقال إما أن آكل وأخلى التزكية أو أركى ولا آكل فلم يجذوا بدا من تركته فتركوه . وحكى أن ذا النون المصرى حبس ولم يأكل أياما في السجن فكانت له أخت في الله فبعثت إليه طعاما من مغز لها على يد السجان فامتنع فلم يأكل فعاتبته المرأة بعد ذلك فقال كان حلالا ولكن جاعنى على طبق ظام وأشار به إلى يد السجان وهذا غاية الورع . الثامن : حكى عن فتح الموصلى رحمه الله أنه دخل على بشر الحافى زائرا فأخرج بشر درهما فدفعه لأحمد الجلاء خادمه وقال اشتر به طعاما جيدا وأدما طيبا ، قال فاشتريت خبزا نظيفا وقلت : لم يقل النبي صلى الله عليه وسلم لشئء

(١) حديث قطع العروق مسقمة وترك العشاء مهمة ابن عدى في الكامل من حديث عبد الله بن جراد بالشرط الأول وت من حديث أنس بالشرط الثانى وكلاهما ضعيف وروى ابن ماجه الشرط الثانى من حديث جابر (٢) حديث رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم صبييا يأكل تمرا وإحدى عينيه رمداء فقال له أنا أكل التمر وأنت رمد فقال إنما أمضغ بالشق الآخر فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن حديث صهيب بإسناد جيد (٣) حديث لما جاء نعى جعفر بن أبي طالب قال صلى الله عليه وسلم إن آل جعفر شغلوا بيتهم عن طعامهم فأحملوا إليهم مايا كلون د ت . من حديث عبد الله بن جعفر نحوه بسند حسن وابن ماجه نحوه من حديث أسماء بنت عميس .

ولا يزال مترددا في الملك ولهذا وقف على برهان من المعلوم الرياضية لأنه تصرف في الملك ولم يرتق إلى الملكوت والملك ظاهر الكون والملكوت باطن الكون والعقل لسان الروح والبصيرة التى منها تنبت أشعة الهداية قلب الروح واللسان ترجمان القلب وكل ما ينطق به الترجمان معلوم عند من ترجم عنه وليس بكل ما عند من يترجم عنه يبرز إلى الترجمان فهذا المعنى حرم الواقفون مع مجرد العقول العرية عن نور الهداية الذى هو موهبة الله تعالى وعند الأنبياء وأتباعهم الصواب وأسبل دونهم الحجاب لو قوفهم مع الترجمان وحرمانهم غاية التبيان وكما أن فى الولادة الطبيعية ذرات الأولاد فى صلب الأب مودعة تنقل إلى أصلاب الأولاد

[١] قوله وليكرر العشاء إلى قوله السمن ليس موجودا بنسخة الشارح ولعلها الأظهر فلي تأمل اه .

اللهم برك لنا فيه وزدنا منه (١) سوى اللين فلتعيرت لللين واشترت تمرا جيما قدمت إليه فأكل وأخذ الباقي فقال جبرأتون لم قلت لعترا طعما علينا لأن الطعام الطيب يستخرج خالص الشكر أتدرون لم يقل لي كذا لأنه ليس للضيف أن يقول لصاحب الدار كل أتدرون لم حملنا بلي لأنه إذا صح التوكل لم يضر الحمل . وحكى أبو حنيفة الروذباري رحمه الله عز وجل أنه اتخذ ضيافة فأوقد فيها ألف سراج فقال لمرجل قد أسرفت فقال له ادخل فكل ما أوقدته لغير الله فأطفئه فدخل الرجل فلم يقدر على إطفاء واحد منها فاقطع . واشترى أبو حنيفة الروذباري أحمالا من السكر وأمر الخلاويين حتى بنوا جدارا من السكر عليه شرف ومحاريب على أعمدة منقوشة كلها من سكر ثم دعا الصوفية حتى هدموها واتبوها . التاسع قال الشافعي رضي الله عنه : الأكل كل على أربعة أنحاء الأكل كل باصبع من التفت وباصبعين من السكر وثلاث أصابع من السنة (٢) وبأربع وحسن من الشره . وأربعة أشياء تقوى البدن أكل اللحم وشتم الطيب وكثرة القسل من غير جماع ولبس الكتان ، وأربعة توهن البدن كثرة الجماع وكثرة اللحم وكثرة شرب الماء على الريق وكثرة أكل الخوخة ، وأربعة تقوى البصر الجلوس تجاه القبلة والكحل عند النوم والنظر إلى الحضرة وتنظيف اللبس وأربعة توهن البصر النظر إلى القدر والنظر إلى المصلوب والنظر إلى فرج المرأة والعود في استدبار القبلة ، وأربعة تزيد في الجماع أكل الصافير وأكل الأطرغل الأكبر وأكل الفستق وأكل الجرجير . والنوم على أربعة أنحاء قوم على القفا وهو نوم الأنبياء عليهم السلام يتفكرون في خلق السموات والأرض ونوم على اليمن وهو نوم العلماء والعباد ونوم على الشمال وهو نوم الملوك ليهضم طعامهم ونوم على الوجه وهو نوم الشياطين ، وأربعة تزيد في العقل ترك الفضول من الكلام والدواك . ومجالسة الصالحين والعلماء ، وأربعة هن من العبادة لا يخطو خطوة إلا على وضوء وكثرة السجود ولزوم الساجد وكثرة قراءة القرآن . وقال أيضا عجبت لمن يدخل الحمام على الريق ثم يؤخر الأكل بعد أن يخرج كيف لا يموت وعجبت لمن احتجم ثم يادر الأكل كيف لا يموت وقال لم أر شيئا أنفع في الوباء من البنفسج يدهن به ويشرب والله أعلم بالصواب .

(كتاب آداب النكاح)

(وهو الكتاب الثاني من ربيع المعاديات من كتاب إحياء علوم الدين)

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي لا تصادف سهام الأوهام في عجائب صنعه مجرى ولا ترجع العقول عن أوائل بدايتها إلا والهة حيرى ولا تزال لطائف نعمه على العالمين ترى في تنوالي عليهم اختبارا وقهرا ومن بدائع ألطافه أن خلق من الماء بشرا فجعله نسبا وصهرا وصلط على الخلق شهوة اضطهرهم بها إلى الخرائة جبرا واستبق بها نسلهم إقهارا وقسرا ثم عظم أمرا الأنساب وجعل لها قدرا حفرم بسببها السفاح وبالغ في تقييعه ردعا وزجرا وجعل اقتحامه جريمة فاحشة وأمرا إمرأ وندب إلى النكاح وحث عليه استحبابا وأمرا فسبحان من كتب اللوت على عباده فأذلهم به هدماء وكسرا ثم بث بذور النطف في أراضى الأرحام وأنشأ منها خلقا وجعله لكسر اللوت جبرا تنبها على أن يحار القادير فياضة على العالمين نعمًا

(١) حديث اللهم برك لنا فيه وزدنا منه قاله عند شرب اللبن تقدم في آخر الباب الأول من آداب الأكل
(٢) حديث الأكل ثلاث أصابع من السنة مسلم من حديث كعب بن مالك كان النبي ﷺ يأكل ثلاث أصابع . وروى ابن الجوزي في الطل من حديث ابن عباس موقوفا كل ثلاث أصابع فانه من السنة .

(كتاب آداب النكاح)

بمدد كل ولد ذرة وهي
القرات التي خاطبها
الله تعالى يوم الميثاق
بألت بربكم قالوا بلى
حيث مسح ظهر آدم
وهو ملق بيطن نمان
بين مكة والطائف
فسالت الثرات من
مسام جسده كما يسيل
العرق بمد كل ولد
من ولد آدم ذرة ثم
لما خوطبت وأجأت
ردت إلى ظهر آدم فمن
الآباء من تنفذ الذرات
في صلبه ومنهم من لم
يودع في صلبه شيء
فينقطع نسله وهكذا
الشايع فمنهم من تكثر
أولاده ويأخذون
منه العلوم والأحوال
ويودعونها غيرهم كما
وصلت إليهم من النبي
صلى الله عليه وسلم
بواسطة الصعبة ومنهم
من تقل أولاده ومنهم
من ينقطع نسله وهذا
النسل هو الذي رد
الله على الكفار حيث
قالوا عهد أبتر لانسلك
له قال الله تعالى - إن

وضرا وخيرا وشرا وعسرا ويسرا وطيا ونسرا والصلاة والسلام على محمد المبعوث بالإندار والبشرى وعلى آله وأصحابه صلاة لا يستطيع لها الحساب عدا ولا حسرا وسلم تسليما كثيرا . أما بعد : فإن النكاح معين على الدين ومهين للشياطين وحسن دون عدو الله حين وسبب للتكثير الذي به مباحها سيد المرسلين لسائر النبيين لما أحراه بأن تتحرى أسبابه وتغفط سننه وآدابه وتشرح مقاصدهم وآرايه وتفصل فضوله وأبوابه والقدر اللهم من أحكامه ينكشف في ثلاثة أبواب . الباب الأول : في الترغيب فيه وعنه . الباب الثاني . في الآداب المرعية في العقد والعاقدين . الباب الثالث : في آداب العاشرة بعد العقد إلى الفراق (الباب الأول في الترغيب في النكاح والترغيب عنه)

اعلم أن العلماء قد اختلفوا في فضل النكاح فبالغ بعضهم فيه حتى زعم أنه أفضل من التخلي لعبادة الله واعترف آخرون بفضله ولكن قدموا عليه التخلي لعبادة الله مهما لم تتق النفس إلى النكاح نوقانا يشوش الحال ويدعو إلى الوقوع وقال آخرون الأفضل تركه في زمانها هذا وقد كان له فضيلة من قبل إذ لم تكن الأكساب محظورة وأخلاق النساء مذمومة ولا ينكشف الحق فيه إلا بأن تقدم أولا ماورد من الأخبار والآثار في الترغيب فيه والترغيب عنه ثم تشرح فوائد النكاح وغوائله حتى يتضح منها فضيلة النكاح وتركه في حق كل من سلم من غوائله أو لم يسلم منها .

(الترغيب في النكاح)

أما من الآيات فقد قال الله تعالى - وأنكحوا الأيامى منكم - وهذا أمر وقال تعالى - فلا تنكحوا من أن ينكحن أزواجهن - وهذا منع من الضل ونهى عنه وقال تعالى في وصف الرسل ومدحهم - ولقد أرسلنا رسلا من قبلك وجعلنا لهم أزواجا وذرية - فذكر ذلك في معرض الامتنان وإظهار الفضل ومدح أوليائه بسؤال ذلك في الدعاء فقال - والذين يقولون ربنا هب لنا من أزواجنا وذرياتنا قررة أعين - الآية ويقال إن الله تعالى لم يذكر في كتابه من الأنبياء إلا للتأهلين فقالوا إن يحيى صلى الله عليه وسلم قد تزوج ولم يجمع قيل إنما فعل ذلك لنيل الفضل وإقامة السنة وقيل لنقض البصر وأما عيسى عليه السلام فانه سينكح إذا نزل الأرض ويولد له . وأما الأخبار فقوله **بُيِّنَ** « النكاح سنن من رغب عن سنن فقد رغب عن » وقال صلى الله عليه وسلم « النكاح سنن من أحب فطرق فليست بسنن ^(١) » وقال أيضا صلى الله عليه وسلم « تناكحوا تكثرُوا فاني أباهي بكم الأم يوم القيامة حتى بالسقط ^(٢) » وقال أيضا عليه السلام « من رغب عن سنن فليس مني وإن من سنن النكاح لمن أحبني فليست بسنن ^(٣) » وقال صلى الله عليه وسلم « من ترك التزويج مخافة العيلة فليس منا ^(٤) »

(الباب الأول في الترغيب في النكاح)

(١) حديث النكاح سنن من أحب فطرق فليست بسنن أبو يعلى في مسنده مع تقديم وتأخير من حديث ابن عباس بسند حسن (٢) حديث تناكحوا تكثرُوا فاني أباهي بكم الأم يوم القيامة حتى بالسقط أبو بكر بن مردويه في تفسيره من حديث ابن عمر قوله حتى بالسقط وإسناده ضعيف وذكره بهذه الزيادة البيهقي في المعرفة عن الشافعي أنه بلغه (٣) حديث من رغب عن سنن فليس مني وإن من سنن النكاح لمن أحبني فليست بسنن بسنن متفق على أوله من حديث أنس من رغب عن سنن فليس مني وباقيه تقدم قبله بحديث (٤) حديث من ترك التزويج خوف العيلة فليس منا رواه أبو منصور الديلمي في مسند الفردوس من حديث أبي سعيد بسند ضعيف وللهارمي في مسنده والبنو في معجمه وأبي داود في الراسل من حديث أبي نعيم من قدر على أن ينكح فلم ينكح فليس منا وأبو نعيم اختلف في صحته

شأنك هو الأبر -
والافضل رسول الله
صلى الله عليه وسلم باقى
إلى أن تقوم الساعة
وبالنسبة المضمونة يصل
ميراث العلم إلى أهل
العلم . أخبرنا شيخنا
ضياء الدين أبو النجيب
السهروردي إمامنا قال
أنا أبو عبد الرحمن
للأبى قال أنا أبو
الحسن الداودى قال
أنا أبو محمد الحموى
قال أنا أبو عمران
السمرقندى قال أنا
أبو محمد الدارمى قال أنا
نصر بن علي قال حدثنا
عبد الله بن داود عن
عاصم عن رجاء بن
حيوة عن داود بن
جميل عن كثير بن
قيس قال كنت جالسا
مع أبي الدرداء في
مسجد دمشق فأتاه
رجل فقال يا أبا الدرداء
إني أمنتك من المدينة
مدينة الرسول صلى
الله عليه وسلم لحديث
بلغني عنك أنك تحدثه
عن رسول الله صلى الله

وهذا من لطف الامتناع للأصل الترك وقال صلى الله عليه وسلم « من كان ذا طول فليتزوج ^(١) » وقال « من استطاع منكم الباءة فليتزوج فإنه أغض للبصر وأحصن للفرج ومن لا فليصم فإن الصوم له وجاء ^(٢) » وهذا يدل على أن سبب الترغيب فيه خوف الفساد في العين والفرج والوجاه هو عبارة عن رض الحسنيين للفحل حتى تزول فعولته فهو مستعار للضعف عن الوقاع في الصوم وقال صلى الله عليه وسلم « إذا أناكم من ترضون دينه وأمانته فزوجوه إلا تفعلوه تكن فتنة في الأرض وفساد كبير ^(٣) » وهذا أيضا تمثيل الترغيب لحوف الفساد . وقال ^(٤) « من نكح لله وأنكح لله استحق ولاية الله ^(٥) » وقال صلى الله عليه وسلم « من تزوج فقد أجز شطر دينه فليثق الله في الشطر الثاني ^(٥) » وهذا أيضا إشارة إلى أن فضيلته لأجل التحرز من المخالفة تحصنا من الفساد فكان الفساد لدين المرء في الأغلب فرجه ويطنه وقد كفي بالتزويج أحدهما ، وقال صلى الله عليه وسلم « كل عمل ابن آدم ينقطع إلا ثلاثا ولد صالح يدعوه ^(٦) » الحديث ولا يوصل إلى هذا إلا بالنكاح . وأما الآثار فقال عمر رضي الله عنه : لا يمنع من النكاح إلا عجز أو فجور ، فيبين أن الدين غير مانع منه وحصر للمانع في أمرين مذمومين . وقال ابن عباس رضي الله عنهما : لا يتم نسك الناسك حتى يتزوج يحتمل أنه جعله من النسك وتسمه له ، ولكن الظاهر أنه أراد به أنه لا يسلم قلبه لتلبية الشهوة إلا بالتزويج ولا يتم النسك إلا بفرار القلب ولذلك كان يجمع غلغله لما أدركوا عكرمة وكريما وغيرها ويقول إن أردتم النكاح أنكحتم فان العبد إذا زنى زرع الإيمان من قلبه ، وكان ابن مسعود رضي الله عنه يقول لو لم يبق من عمرى إلا عشرة أيام لأحببت أن أتزوج لكيلا ألقى الله عزبا ومات امرأتان لمعاذ بن جبل رضي الله عنه في الطاعون وكان هو أيضا مطمونا قال زوجوني فاني أكره أن ألقى الله عزبا وهذا منهما يدل على أهمارأيا في النكاح فضلا لا من حيث التحرز عن غائلة الشهوة وكان عمر رضي الله عنه يكثر النكاح ويقول ما أتزوج إلا لأجل الولد « وكان بعض الصحابة قد انقطع إلى رسول الله ^(ﷺ) يخدمه ويبيب عنده لحاجة إن طرقت فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : ألا تتزوج ؟ فقال يا رسول الله إني فقير لا شيء لي وأقطع عن خدمتك فكت ثم عاد ثانيا فأعاد الجواب ثم نفكر الصحابي وقال والله لرسول الله صلى الله عليه وسلم أعلم بما يصلحني في دنياي وآخرتي وما يقريني إلى الله مني ولئن قال لي الثالثة لأقبلن فقال له الثالثة ألا تتزوج قال قلت يا رسول الله زوجني قال اذهب إلى بني فلان قتل إن رسول الله صلى الله عليه وسلم يأمركم أن تزوجوني فتناسكم قال قلت يا رسول الله لا شيء لي قال لأصحابه اجمعوا

(١) حديث من كان ذا طول فليتزوج . من حديث عائشة بسند ضعيف (٢) حديث من استطاع منكم الباءة فليتزوج الحديث متفق عليه من حديث ابن مسعود (٣) حديث إذا أناكم من ترضون دينه وأمانته فزوجوه إلا تفعلوه تكن فتنة في الأرض وفساد كبير ت من حديث أبي هريرة ونقل عن خ أنه لم يعمده محفوظا وقال د إنه خطأ ورواه ت أيضا من حديث أبي حاتم المزني وحسنه ورواه د في الراصيل وأعله ابن القطان بإرساله وضعف رواه (٤) حديث من نكح لله وأنكح لله استحق ولاية الله عز وجل أحمد بسند ضعيف من حديث معاذ بن أنس من أعطى لله وأحب لله وأبغض لله وأنكح لله فقد استكمل إيمانه (٥) حديث من تزوج فقد أجز شطر دينه فليثق الله في الشطر الآخر ، ابن الجوزي في العلل من حديث أنس بسند ضعيف وهو عند الطبراني في الأوسط بلفظ قد استكمل نصف الإيمان وفي المستدرک وصحح إسناده بلفظ من رزقه الله امرأة سالحة قد أعانه على شطر دينه الحديث (٦) حديث كل عمل ابن آدم ينقطع إلا ثلاثة فذكر فيه وولد صالح يدعوه م من حديث أبي هريرة بنحوه .

عليه وسلم قال فإ
جاء بك نجارة قال لا
قال ولا جاء بك غيره
قال لا قال صحت
رسول الله صلى الله عليه
وسلم يقول « من سلك
طريقا يلتبس به علما
سلك الله به طريقا
من طرق الجنة وإن
الملائكة لنضع أجنتها
رضا لطالب العلم وإن
طالب العلم يستغفر له
من في السماء والأرض
حتى الحيتان في الماء
وإن فضل العالم على
العابد كفضل القمر
على سائر النجوم وإن
العلماء هم ورثة الأنبياء
إن الأنبياء لم يورثوا
دينارا ولا درهما إنما
أورثوا العلم فمن أخذه
أخذ بحظه أو بحظ
وافره فأول ما أودعت
الحكمة والعلم عند آدم
أبي البشر عليه السلام
ثم انتقل منه كما انتقل
منه النسيان والعصيان
وماتدعو إليه النفس
والشيطان كما ورد إن
الله تعالى أمر جبرائيل

لأخيك وزن نواة من ذهب فجمعوا له فذهبوا به إلى القوم فأنسكحوه فقال له أولم يجمعوا له من الأصحاب شاة للوليمة (١) » وهذا التكرير يدل على فضل في نفس النكاح ويحتمل أنه توسم فيه الحاجة إلى النكاح وحكى أن بعض العباد في الأمم السالفة فاق أهل زمانه في العبادة فذكر لني زمانه حسن عبادته فقال نعم الرجل هو لولا أنه تارك لني من السنة فاعثم العابد بما سمع ذلك فسأل النبي عن ذلك فقال أنت تارك للتزويج فقال لمست أحرمه ولكني فقير وأنا عيال على الناس قال أنا أزوجهك ابنتي فزوجه النبي عليه السلام ابنته ، وقال جبر بن الحرث : فضل على أحمد بن حنبل ثلاث يطلب الحلال لنفسه ولغيره وأنا أطلبه لنفسى فقط ولا تساعه في النكاح وضيق عنه ولأنه نصب إماما للعامة ، ويقال إن أحمد رحمه الله تزوج في اليوم الثاني لوفاة أمه عليه عيдаؤه وقال أكره أن أبيت عزبا ، وأما بشر فانه لما قيل له إن الناس يشكمون فيك تركك النكاح ويقولون هو تارك السنة فقال قولوا لهم هو مشغول بالفرض عن السنة وعونب مرة أخرى فقال ما يمنعني من التزويج إلا قوله تعالى - ولهن مثل الذي عليهن بالمعروف - فذكر ذلك لأحمد فقال وأين مثل بشر إنه قد عد على مثل حد السنان ومع ذلك قد روي أنه روى في المنام قبل له ما فعل الله بك فقال رفضت منازل في الجنة وأشرف بي على مقامات الأنبياء ولم أبلغ منازل التأهلين وفي رواية قال لي ما كنت أحب أن تلقاني عزيا قال قلنا له ما فعل أبو نصر النار فقال رفع فوقي سبعين درجة قلنا بماذا فقد كنا نراك فوقه قال يصبره على بيناته والعيال ، وقال سفيان بن عيينة : كثرة النساء ليست من الدنيا لأن عليا رضي الله عنه كان أزهد أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان له أربع نسوة وسبع عشرة سرية فالتكاح سنة ماضية وخلق من أخلاق الأنبياء ، وقال رجل لإبراهيم بن آدم رحمه الله طوبى لك فقد تفرغت للعبادة بالمزوجة فقال لروعة منك بسبب العيال أفضل من جميع ما أنافيه قال فما الذي يمنحك من النكاح فقال مالي حاجة في امرأة وما أريد أن أغر امرأة بنفسى ، وقد قيل فضل التأهل على العزب كفضل المجاهد على القاعد وركعة من متأهل أفضل من سبعين ركعة من عزب . وأما ما جاء في الترهيب عن النكاح : فقد قال عليه السلام « خير الناس بعد المائتين الحنيف الحاذ الذي لأهل له ولا ولد (٢) » وقال صلى الله عليه وسلم « يأتي على الناس زمان يكون هلاك الرجل على يد زوجته وأبويه وولده يعبرونه بالفقر ويكلفونه ما لا يطيق ، فيدخل المداخل التي يذهب فيها دينه فيهلك (٣) » وفي الخبر « قللة العيال أحد اليسارين وكثرتهم أحد الفقيرين (٤) » وسئل أبو سليمان الداراني عن النكاح فقال الصبر عنهن خير من الصبر عليهن والصبر عليهن خير من الصبر على النار ، وقال أيضا الوحيد يجد من حلاوة العمل وفراغ القلب ما لا يجد التأهل ، وقال مرة ما رأيت أحدا من أصحابنا تزوج ثبث على مرتبته الأولى .

(١) حدثت كان بعض الصحابة قد انقطع إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وبقيت عنده حاجة إن طرقت فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم ألا تزوج الحديث أحمد من حديث ربيعة الأسلمي في حديث طويل وهو صاحب القصة بأسناد حسن (٢) حديث خير الناس بعد المائتين الحنيف الحاذ الذي لأهل له ولا ولد أبو يعلى من حديث حذيفة ورواه الخطابي في العزلة من حديثه وحديث أبي أمامة وكلاهما ضعيف (٣) حديث يأتي على الناس زمان يكون هلاك الرجل على يد زوجته وأبويه وولده يعبرونه بالفقر ويكلفونه ما لا يطيق فيدخل المداخل التي يذهب فيها دينه فيهلك الخطابي في العزلة من حديث ابن مسعود نحوه وللبهقي في الزهد نحوه من حديث أبي هريرة وكلاهما ضعيف (٤) حديث قللة العيال أحد اليسارين وكثرتهم أحد الفقيرين القضاعي في مسند الشباب من حديث علي وأبو منصور الديلمي في مسند الفردوس من حديث عبد الله بن عمر وابن هلال المزني كلاهما بالشرط الأول بسندين ضعيفين .

حتى أخذ قبضة من أجزاء الأرض والله تعالى نظر إلى الأجزاء الأرضية التي كونها من الجوهرة التي خلقها أولا فصار من مواقع نظراته إليها خاصية السماع من الله تعالى والجواب حيث خاطب السموات والأرضين بقوله - اثبتا طوعا أو كرها قلنا آمنا بطاعتين - فحملت أجزاء الأرض بهذا الخطاب خاصة ثم انتزعت هذه الخاصة منها بأخذ أجزائها لتركيب صورة آدم فركب جسد آدم من أجزاء أرضية محتوية على هذه الخاصة فمن حيث نسبة أجزاء الأرض تركب فيه الهوى حتى مد يده إلى شجرة الفناء وهي شجرة الخطية في أكثر الأقاويل فتطرق لقلبه الفناء وبإكرام الله إياه بنفخ الروح الذي أخبر عنه بقوله - فإذا سويته ونفخت

وقال أيضا : ثلاث من طلبهن فقد ركن إلى الدنيا من طلب معاشا أو زوج امرأة أو كتب الحديث . وقال الحسن رحمه الله إذا أراد الله بعبده خيرا لم يشغل به أهل ولا مال . وقال ابن أبي الحواري تاجر جماعة في هذا الحديث فاستقر رأيهم على أنه ليس معناه أن لا يكون له بل أن يكون له ولا يشغلانه وهو إشارة إلى قول أبي سليمان المدايني ما شغلك عن الله من أهل ومال وولد فهو عليك مشغوم ، وبالجملة لم ينقل عن أحد الترغيب عن النكاح مطلقا إلا مقرونا بشرط . وأما الترغيب في النكاح فقد ورد مطلقا ومقرونا بشرط فلنكشف الغطاء عنه بمصر آفات النكاح وفوائده .

آفات النكاح وفوائده : وفيه فوائد خمسة الولد وكثر الشهوة وتدير المنزل وكثرة العشرة ومجاهدة النفس بالقيام بهن . الفائدة الأولى . الولد : وهو الأصل وله وضع النكاح والقصود إبقاء النسل وأن لا يغلو العالم عن جنس الأنس وإنما الشهوة خلقت باعثة مستحثة كالموكل بالفعل في إخراج البذر والأثني في التمكن من الحرث تاطفا بهما في الساقية إلى اقتناس الولد بسبب الوقاع كالقطن بالطين في بث الحب الذي يشتهيه ليساق إلى الشبكة وكانت القدرة الأزلية غير قاصرة عن اختراع الأشخاص ابتداء من غير حرائة وازدواج ولكن الحكمة اقتضت ترتيب السبل على الأسباب مع الانتفاء عنها إظهارا للقدرة وإتماما لعجائب الصنعة وتحقيقا لما سبقت به الشبهة وحقت به الكلمة وجري به القلم وفي التوصل إلى الولد قرينة من أربعة أوجه هي الأصل في الترغيب فيه عند الأمن من غوائل الشهوة حتى لم يحب أحدهم أن يليق الله عزبا . الأول موافقة حجة الله بالسمي في تحصيل الولد لإبقاء جنس الإنسان والثاني طلب حجة رسول الله صلى الله عليه وسلم في تكثير من به مباهاته . والثالث طلب التبرك بدعاء الولد الصالح بعده . والرابع طلب الشفاعة بموت الولد الصغير إذا مات قبله . أما الوجه الأول فهو أدق الوجوه وأبعدها عن أفهام الجاهيل وهو أحقها وأقواها عند ذوي البصائر النافذة في عجائب صنع الله تعالى وبحار حكمه ، ويانه أن السيد إذا سلم إلى عبده البذر وآلات الحرث وهياكله أرضا مهياة للحرثة وكان العبد قادرا على الحرثة وكل به من يتقاضاه عليها فإن تكامل وعطل آلة الحرث وترك البذر ضائعا حتى فسد ودفع الموكل عن نفسه بنوع من الحيلة كان مستحقا للعتق والعتاب من سيده والله تعالى خلق الزوجين وخلق الله ذكر والأثنين وخلق النطفة في الفقار وهياكلها في الأثنين عروقا وبحار وخلق الرحم قرارا ومستودعا للنطفة وسلط متقاضى الشهوة على كل واحد من الذكر والأنثى فهذه الأفعال والآلات تشهد بلسان ذلق في الاعراب عن مراد خالقها وتنادي أرباب الأبواب بتعريف ما أعدت له ، هذا إن لم يصرح به الخالق تعالى على لسان رسوله صلى الله عليه وسلم بالمراد حيث قال « تناكحوا تأسلوا » فكيف وقد صرح بالأمر وباح بالسر فكل مجتمع عن النكاح معرض عن الحرثة مضيع للبذر مطلق لما خلق الله من الآلات العدة وجان على مقصود الفطرة والحكمة المفهومة من شواهد الحافظة المكتوبة على هذه الأعضاء بخط الهي ليس برقم حروف وأصوات يقرؤه كل من له بصيرة ربانية نافذة في إدراك دقائق الحكمة الأزلية ولذلك عظم الفرع الأمر في القتل للأولاد وفي الوأد لأنه منع لتمام الوجود وإليه أشار من قال العزل أحد الوادين فالناكح ساع في إتمام ما أحب الله تعالى تمامه والمرض مطلق ومضيع لما كره الله ضياعه ولأجل حجة الله تعالى لبقاء النفوس أمر بالاطعام وحث عليه وعبر عنه بعبارة القرض فقال - من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا - فإن قلت : قولك إن بقاء النسل والنفس محبوب : وهم أن فناءها مكروه عند الله وهو فرق بين الموت والحياة بالإضافة إلى إرادة الله تعالى ومعلوم أن الكل بمشيئة الله وأن الله غني عن العالمين فمن أين يتميز عنده موتهم عن حياتهم أو بقاءهم عن فناءهم . فاعلم أن هذه الكلمة حق

فيه من روحى - قال العلم والحكمة في القسوة صار ذا نفس منقوسة وبنفع الروح صار ذا روح روحاني وشرح هذا يطول فصار قلبه معدن الحكمة وقلبه معدن الهوى فانتقل منه العلم والهوى وصار ميراثه في ولده فصار من طريق الولادة أبا بواسطة الطباع التي هي معتد الهوى ومن طريق الولادة للمنية أبا بواسطة العلم فالولادة الظاهرة تطرق إليها الفناء والولادة الضمنية محمية من الفناء لأنها وجدت من شجرة الخلد وهي شجرة العلم لا شجرة الخنطة التي سماها إبليس شجرة الخلد فإبليس يرى الشيء بضده فبين أن الشيخ هو الأب معنى وحكيما كان شيخنا شيخ الاسلام أبو النجيب السهروردي رحمه الله يقول ولدى من سلك طريقا واهتدى بهدي فالشيخ

أريد بها بطلان ما ذكرناه لا ينافي إضافة الكائنات كلها إلى إرادة الله خيرها وشرها ونفعها وضرها
ولكن المحبة والكرهية بضادان وكلاهما لا يضادان الإرادة فرب مراد مكروه ورب مراد محبوب فالمعاصي
مكروهة وهي مع الكراهة مرادة والطاعات مرادة وهي مع كونها مرادة محبوبة ومرضية أما الكفر
والشر فلا يقول إنه مرضى ومحبوب بل هو مراد وقد قال الله تعالى - ولا يرضى لعباده الكفر - فكيف
يكون القناء بالإضافة إلى محبة الله وكرهته كالبقاء فإنه تعالى يقول « ما ترددت في شيء كترددى في
قبض روح عبدى السلم هو يكره الموت وأنا أكره مسأته ولا بدله من الموت (١) » قوله لا بدله
من الموت إشارة إلى سبق الإرادة والتقدير المذكور في قوله تعالى - نحن قدرنا بينكم الموت - وفى
قوله تعالى - الذى خلق الموت والحياة - ولانقضية بين قوله تعالى - نحن قدرنا بينكم الموت -
وبين قوله « وأنا أكره مسأته » ولكن إيضاح الحق في هذا يستدعى تحقيق معنى الإرادة والمحبة
والكرهية وبيان حقائقها فان السابق إلى الأفهام منها أمور تناسب إرادة الخلق ومحبتهم وكرهاتهم
وهيات قبين صفات الله تعالى وصفات الخلق من البعد ما بين ذاته العزيز وذاتهم وكما أن ذوات الخلق
جوهر وعرض وذات الله مقدس عنه ولا يناسب ما ليس بجوهر وعرض الجوهر والعرض فكذا
صفاته لاتناسب صفات الخلق وهذه الحقائق داخلية في علم المكاشفة ووراء سر القدر الذى منع
من إفشائه فلنقتصر عن ذكره ولنقتصر على ما نبهنا عليه من الفرق بين الإقدام على النكاح
والإحجام عنه فان أحدهما مضيع نسل أدام الله وجوده من آدم عليه السلام عقباً بعد عقب إلى أن انتهى
إليه فالمتنع عن النكاح قد حسم الوجود للستدام من لدن وجود آدم عليه السلام على نفسه
فما أتى لاعتقابه ولو كان الباعث على النكاح مجرد دفع الشهوة لما قال معاذ في الطاعون
زوجونى لألقى الله عزياً . فان قلت لما كان معاذ يتوقع ولداً في ذلك الوقت فما وجه رغبته فيه .
نأقول الولد يحصل بالوقاع ويحصل الوقاع بياض الشهوة وذلك أمر لا يدخل في الاختيار إنما العلق
باختيار العبد إحضار المحرك للشهوة وذلك متوقع في كل حال فن عقد قد أدى ما عليه وفصل ما إليه
والباقي خارج عن اختياره ولذلك يستحب النكاح للعنين أيضاً فان نهضت الشهوة خفية لا يطلع
عليها حتى إن المسوح الذى لا يتوقع له ولد لا يقطع الاستجاب أيضاً في حقه على الوجه الذى يستحب
للأصلح إمرار الوسى على رأسه اقتداء بغيره وتشبهاً بالسلف الصالحين وكما يستحب الرمل والاضطباع
في الحج الآن وقد كان المراد منه أولاً إظهار الجلالة للكفار فصار الاقتداء والتشبه بالدين أظهر وأجل
سنة في حق من بعدهم ويضعف هذا الاستجاب بالإضافة إلى الاستجاب في حق القادر على الحرث
وربما يزداد ضعفاً بما يقابله من كراهة تعطيل المرأة وتضييعها فيما يرجع إلى قضاء الوطر فان ذلك
لا يغلو عن نوع من الخطر فهذا المعنى هو الذى ينبه على شدة إنكارهم ترك النكاح مع قنور
الشهوة . الوجه الثانى السعى في محبة رسول الله صلى الله عليه وسلم ورضاه بشكثير ما به مباحاته إذ
قد صرح رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك ويدل على مراعاة أمر الولد جملة بالوجوه كلها ما روى
عن عمر رضى الله عنه أنه كان ينكح كثيراً ويقول إنما أنكح للولد وما روى من الأخبار في
مذمة المرأة العقيم إذ قال عليه السلام « لحصير في ناحية البيت خير من امرأة لائل (٢) »

(١) حديث أنه تعالى يقول ما ترددت في شيء كترددى في قبض روح عبدى السلم يكره الموت
وأنا أكره مسأته ولا بدله منه خ من حديث أبى هريرة انفرد به خالد بن مخلد القطوانى وهو
متكلم فيه (٢) حديث الحصير في ناحية البيت خير من امرأة لائل أبو عمر التوفائى في كتاب معاشره
الأهلين موقوفاً على عمر بن الخطاب ولم أجده مرفوعاً .

الذى يكنسب بطريقة
للأحوال قد يكون
مأخوذاً في ابتدائه في
طريق المحبين وقد
يكون مأخوذاً في طريق
المحبوبين وذلك أن أمر
الصالحين والسالكين
ينقسم أربعة أقسام
سالك مجرد ومجذوب
مجرد وسالك متدارك
بالجذبة ومجذوب
متدارك بالسلك
فالسالك المجرد لا يؤهل
للمشيخة ولا يسلطها لبقاء
صفاته نفسه عليه
فيقف عند حظه من
رحمة الله تعالى في مقام
للعامة والرياسة ولا
يرتقى إلى حال يروح بها
عن وهج المكابدة
والمجذوب المجرد من
غير سلوك بيادته الحق
بآيات اليقين ويرفع
عن قلبه شيئاً من
الحجاب ولا يؤخذ في
طريق العامة وللعامة
أمر تام سوف تشرحه
في موضعه إن شاء الله
تعالى وهذا أيضاً
لا يؤهل للمشيخة ويقف

وقال « خير نسائك المولود الودود (١) » وقال « سوداء ولود خير من حسناء لاتلد (٢) » وهذا يدل على أن طلب الولد أدخل في اقتضاء فضل النكاح من طلب دفع غائلة الشهوة لأن الحسناء أصلح للتحسين وغض البصر وقطع الشهوة . الوجه الثالث أن يبقى بعده ولدا صالحا يدعوله كما ورد في الخبر أن جميع عمل ابن آدم منقطع إلا ثلاثا فذكر الولد الصالح وفي الخبر « إن الأدعية تعرض على الموتى على أطباق من نور (٣) » وقول القائل إن الولد ربما لم يكن صالحا لا يؤثر فيه فانه مؤمن والصالح هو الغالب على أولاد ذوى الدين لاسيما إذا عزم على تربيته وحمله على الصلاح وبالجملة دعاء المؤمن لأبويه مفيد برا كان أو فاجرا فهو مثاب على دعواته وحسناته فانه من كسبه وغير مؤاخذ بسيئاته فانه لاتزر وأزره وزر أخرى ولذلك قال تعالى - ألحقنا بهم ذرياتهم وما ألتناهم من عملهم من شيء - أى ماتصنامهم من أعمالهم وجعلنا أولادهم مزيدا فى إحسانهم . الوجه الرابع أن يموت الولد قبله فيكون له شفيعا فقد روى عن رسول الله ﷺ أنه قال « إن الطفل يجر بأبويه إلى الجنة (٤) » وفي بعض الأخبار « يأخذ بثوبه كما أنا الآن أخذ بثوبك (٥) » وقال أيضا صلى الله عليه وسلم « إن المولود يقال له ادخل الجنة فيقف على باب الجنة فيظل محببنا أى تمتلئ غيظا وغضا » ويقول لأدخل الجنة إلا وأبواى معى فيقال ادخلوا أبويه معه الجنة (٦) » وفي خير آخر « إن الأطفال يجتمعون في موقف القيامة عند عرض الخلائق للحساب فيقال للملائكة اذهبوا هؤلاء إلى الجنة فيقفون على باب الجنة فيقال لهم مرحبا بذرارى المسلمين ادخلوا لاحتساب عليكم فيقولون فأين آبائنا وأمهاتنا فيقول الحزنة إن آباءكم وأمهاتكم ليسوا مثلكم إنه كانت لهم ذنوب وسيئات فهم يحاسبون عليها ويطالبون قال فيتضاغون ويضجون على أبواب الجنة ضجة واحدة فيقول الله سبحانه وهو أعلم بهم ماهذه الضجة فيقولون ربنا أطفال المسلمين قالوا لا ندخل الجنة إلا مع آباءنا فيقول الله تعالى تغلغلوا الجمع فخذوا

(١) حديث خير نسائك المولود الودود البيهقي من حديث ابن أبي أديه الصدى قال البيهقي وروى بإسناد صحيح عن سعيد بن يسار مرسلا (٢) حديث سوداء ولود خير من حسناء لاتلد ابن حبان فى الضعفاء من رواية بهز بن حكيم عن أبيه عن جده ولا يصح [١] (٣) حديث إن الأدعية تعرض على الموتى على أطباق من نور رويناه فى الأربعين المشهورة من رواية أبى هذبة عن أنس فى الصدقة عن الليث وأبو هذبة كذاب (٤) حديث إن الطفل يجر بأبويه إلى الجنة . من حديث على وقال السقط بدل الطفل وله من حديث معاذ إن الطفل ليجر أمه بسرره إلى الجنة إذا هى احتسبته وكلامها ضعيف (٥) حديث إنه يأخذ بثوبه كما أنا الآن أخذ بثوبك م من حديث أبى هريرة (٦) حديث إن المولود يقال له ادخل الجنة فيقف على باب الجنة فيظل محببنا أى تمتلئ غيظا وغضا ويقول لأدخل إلا وأبواى معى الحديث حب فى الضعفاء من رواية بهز بن حكيم عن أبيه عن جده ولا يصح ون من حديث أبى هريرة يقال لهم ادخلوا الجنة فيقولون حتى يدخل آباؤنا فيقال ادخلوا الجنة أتم وآباؤكم وإسناده جيد .

[١] وجد بهامش العراق بأحد النسخ العول عليها مانعه قلت : ولأبى يعلى بسند ضعيف ذروا الحسناء العقيم وعليكم بالسوداء المولود فإنى مكاتركم بكم الأمم رواه عبد الله وله من حديث أبى موسى إن رجلا أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال إن امرأة قد أعجبتنى لا تلد أفأ تزوجها ؟ قال لا فأعرض عنها ثم تتبعها نفسه فقال يا رسول الله قد أعجبتنى هذه المرأة ونحرها أعجبتنى لها ونحرها أفأ تزوجها ؟ قال لا امرأة سوداء ولود أحب إلى منها أما شجرت أنى مكاتركم بكم الأمم سنه ضعيف .

عند حظه من الله مروا بحاله غير مأخوذة فى طريق أعماله ماعدا الفريضة والسالك الذى تدورك بالجنبة هو الذى كانت بدايته بالمجاهدة والكاينة والعاملة بالإخلاص والوفاء بالشروط ثم أخرج من وهج الكاينة إلى روح الحال فوجد العمل بعد العلقم وتروح بنسبات الفضل ويرز من مضيق الكاينة إلى متسع الساهة وأونس بنفحات القرب وقبح له باب من للشاهدة فوجد دواءه وفاض وعائوه وصدرت منه كلمات الحكمة ومالت إليه القلوب وتوالى عليه فتوح الغيب وصار ظاهره مسندا وباطنه مشاهدا وصلح للجلوة وصار له فى جلوته خلوة فيقلب ولا يقلب ويفترس ولا يفترس يؤهل مثل هذا الشيخة لأنه أخذ فى طريق

بأيدي آبائهم فأدخلوهم الجنة^(١) » وقال صلى الله عليه وسلم « من مات له اثنان من الولد فقد احتضر بحظار من النار^(٢) » وقال ﷺ من مات له ثلاثة لم يبلغوا الحنث أدخله الله الجنة بفضل رحمته إياهم قيل يارسول الله واثنان قال واثنان^(٣) . وحكى أن بعض الصالحين كان يعرض عليه التزويج فيأبى برهة من دهره قال فانتبه من نومه ذات يوم وقال زوجوني زوجوني فزوجوه فسل عن ذلك فقال لعل الله يرزقني ولدا ويقضه فيكون لي مقدمة في الآخرة ثم قال رأيت في المنام كأن القيامة قد قامت وكأني في جملة الخلاق في الوقف وبني من العطش ما كاد أن يقطع عني وكذا الخلاق في شدة العطش والسكر فتنحن كذلك إذ ولدان يتخللون الجمع عليهم مناديل من نور وبأيديهم أباريق من فضة وأكواب من ذهب وهم يسقون الواحد بعد الواحد يتخللون الجمع ويتجاوزون أكر الناس فحمدت يدي إلى أحدهم وقلت استغنى قد أجهدني العطش فقال ليس لك فينا ولد إنما نسقي آباءنا فقلت ومن أتم قالوا نحن من مات من أطفال المسلمين وأحد للماني المذكورة في قوله تعالى - فأتوا حركم آني شتم وقدموا لأنفسكم - تقديم الأطفال إلى الآخرة فقد ظهر بهذه الوجوه الأربعة أن أكثر فضل النكاح لأجل كونه سببا للولد . الفاعلة الثانية : التحصن عن الشيطان وكسر التوقان ودفع غوائل الشهوة وغض البصر وحفظ الفرج وإليه الإشارة بقوله عليه السلام « من نكح فقد حصن نصف دينه فليتنق الله في الشطر الآخر » وإليه الإشارة بقوله « عليكم بالباءة فمن لم يستطع فليصم بالصوم فإن الصوم له وجاء » وأكثر ما قلناه من الآثار والأخبار إشارة إلى هذا المعنى وهذا للمعنى دون الأول لأن الشهوة موكلة بتقاضى تحصيل الولد فالنكاح كاف لشغله دافع لجلعه وصارف لشر سطوته وليس من يجيب مولاه رغبة في تحصيل رضاه كمن يجيب لطلب الخلاص عن غائلة التوكيل فالشهوة والولد مقدران وبينهما ارتباط وليس يجوز أن يقال للقعود اللذة والولد لازم منها كإلزام مثلاً قضاء الحاجة من الأكل وليس مقصودا في ذاته بل الولد هو المقصود بالنظر والحكمة والشهوة باعثة عليه ولعمري في الشهوة حكمة أخرى سوى الإلحاق إلى الإيلاء وهو ما في قضائها من اللذة التي لا توازيها لذة لودامت فهي منبهة على اللذات الموعودة في الجنان إذ التزغيب في لذة لم يجد لها ذوقا فلا ينفع فهو رغب العنين في لذة الجماع أو الصبي في لذة الملك والسلطنة لم ينفع التزغيب وإحدى فوائد لذات الدنيا الرغبة في دوامها في الجنة ليكون باعثا على عبادة الله فانظر إلى الحكمة ثم إلى الرحمة ثم إلى التعمية الإلهية كيف عبيت تحت شهوة واحدة حياتان حياة ظاهرة وحياة باطنة والحياة الظاهرة حياة المرء ببقاء نسله فإنه نوع من دوام الوجود والحياة الباطنة هي الحياة الأخروية فإن هذه اللذة الناقصة بسرعة الانصرام تحرك الرغبة في اللذة الكاملة بلذة الدوام فيستحث على العبادة

(١) حديث إن الأطفال يجتمعون في موقف القيامة عند عرض الخلاق للحساب فيقال للملائكة اذهبوا بهؤلاء إلى الجنة فيقفون على باب الجنة فيقال لهم مرحبا بذراري المسلمين ادخلوا لاحتساب عليكم فيقولون أين آباؤنا وأمهاتنا الحديث بطوله لم أجده أصلا يعتمد عليه (٢) حديث من مات له اثنان من الولد احتضر بحظار من نار البرار والطبراني من حديث زهير بن أبي علقمة جاءت امرأة من الأنصار إلى رسول الله ﷺ فقالت يارسول الله إنه مات لي اثنان سوى هذا فقال لقد احتظرت من دون النار بحظار شديد ولمسلم من حديث أبي هريرة في المرأة التي قالت دفنت ثلاثة لقد احتظرت بحظار شديد من النار (٣) حديث من مات له ثلاثة لم يبلغوا الحنث أدخله الله الجنة بفضل رحمته إياهم قيل يارسول الله واثنان قال واثنان خ من حديث أنس دون ذكر الاثنين وهو عند أحمد بهذه الزيادة من حديث معاذ وهو متفق عليه من حديث أبي سعيد بلفظ إنما امرأة بنحو منه .

المحبين ومنح حالا من أحوال المقربين بعدما دخل من طريق أعمال الأبرار الصالحين ويكون له أتباع ينتقل منه إليهم علوم ويظهر بطريقه بركة ولكن قد يكون محبوسا في حاله محكما حاله فيه لا يطلق من وثاق الحال ولا يبلغ كال النوال يقف عند حظه وهو حظ وافر سنى والذين أوتوا العلم درجات ولكن المقام الأكمل في الشيخة القسم الرابع وهو المجذوب للتدارك بالسلوك يادته الحق بالكشوف وأنوار اليقين ويرفع عن قلبه الحجب ويستتير بأنوار الشاهدة وينشرح وينفسح قلبه ويتجافى عن دار الغرور وينيب إلى دار الخلود ويرتوى من بحر الحال ويتخلص من الأغلال والأعلال ويقول معلنا لا أعبد ربا لم أره ثم

الواصلة إليها فيستفيد العبد بشدة الرغبة فيها تيسر الواظبة على ما يوصله إلى نعيم الجنان وما من ذرة من ذرات بدن الانسان باطناً وظاهراً ذرات بل ملكوت السموات والأرض إلا وتحتها من لطائف الحكمة وعجايبها ما تعجز العقول فيها ولكن إنما ينكشف للقلوب الطاهرة بقدر صفائها وبقدر رغبتها عن زهرة الدنيا وغرورها وغوائلها فالتكاح بسبب دفع فائقة الشهوة مهم في الدين لسكل من لا يؤتى عن عجز وعنة وهم غالب الخلق فان الشهوة إذا غلبت ولم يقاومها قوة التقوى جرت إلى اقتحام الفواحش وإليه أشار بقوله عليه الصلاة والسلام عن الله تعالى - إلا تفعلوه تكن فتنة في الأرض وفساد كبير - وإن كان ملجماً بلجام التقوى فتأنيته أن يكف الجوارح عن إجابة الشهوة فيخس البصر ويحفظ الفرج فأما حفظ القلب عن الوسواس والفكر فلا يدخل تحت اختياره بل لا تزال النفس تجاذبه وتعده بأمر الوقوع ولا يفتقر عنه الشيطان للوسوس إليه في أكثر الأوقات وقد يمرض له ذلك في أثناء الصلاة حتى يجرى على خاطره من أمور الوقوع ما لو صرح به بين يدي أحسن الخلق لاستحيا منه والله مطلع على قلبه والقلب في حق الله كاللسان في حق الخلق ورأس الأمور للريد في سلوك طريق الآخرة قلبه والواظبة على الصوم لا تقطع مادة الوسوسة في حق أكثر الخلق إلا أن يضاف إليه ضعف في البدن وفساد في الزاج ولذلك قال ابن عباس رضي الله عنهما لا يتم نكاح الناحك إلا بالنكاح وهذه عنة عامة قل من يتخلص منها قال قتادة في معنى قوله تعالى - ولا تعملنا ما لا طاقة لنا به - هو القلة . وعن عكرمة ومجاهد أنهما قالاً في معنى قوله تعالى - وخلق الانسان ضعيفاً - إنه لا يصبر عن النساء وقال قياض بن نجيع إذا قام ذكر الرجل ذهب ثلثا عقله وبعضهم يقول ذهب ثلث دينه وفي نوادر التفسير عن ابن عباس رضي الله عنهما - ومن شرفا سقى إذا وقب - قال قيام الذكر وهذه بلية غالبية إذا هاجت لا يقاومها عقل ولا دين وهي مع أنها صالحة لأن تكون باعثة على الحياتين كما سبق فهي أقوى آلة الشيطان على بني آدم وإليه أشار عليه السلام بقوله « ما رأيت من ناقصات عقل ودين أغلب لدى الألباب منك (١) » وإنما ذلك لميجان الشهوة وقال صلى الله عليه وسلم في دعائه « اللهم إني أعوذ بك من شرمي وبصري وقلبي وشرمني (٢) » وقال « أسألك أن تطهر قلبي وتحفظ فرجي (٣) » فما يستعين منه رسول الله صلى الله عليه وسلم كيف يجوز التساهل فيه لغيره وكان بعض الصالحين يكثر التكاح حتى لا يكاد يخلو من اثنتين وثلاث فإنكر عليه بعض الصوفية فقال هل يعرف أحد منكم أنه جلس بين يدي الله تعالى جلسة أو وقف بين يديه موقفاً في معاملة غفرت على قلبه خاطر شهوة فقالوا يصيبنا من ذلك كثير فقال لورضيت في عمري كله بمثل حالكم في وقت واحد لما تزوجت لكني ما خطر على قلبي خاطر يشغلني عن حالي إلا نفذته فاستريح وأرجع إلى شغلي ومنذ أربعين سنة ما خطر على قلبي معصية وأنكر بعض الناس حال الصوفية فقال له بعض ذوى الدين ما لدى تنكر منهم قال يأكلون كثيراً قال وأنت أيضاً لو حفظت عيفك وفرجك كما يحفظون لنكحت كما ينكحون . وكان الجنب يقول أحتاج إلى الجماع كما أحتاج إلى القوت فالزوجة على التحقيق قوت وسبب لطهارة القلب ولذلك أمر رسول الله

(١) حديث ما رأيت من ناقصات عقل ودين أغلب لدى الألباب منك م من حديث ابن عمر واتفقا عليه من حديث أبي سعيد ولم يسق م لفظه (٢) حديث اللهم إني أعوذ بك من شر شرمي وبصري وشرمني تقدم في الدعوات (٣) حديث أسألك أن تطهر قلبي وتحفظ فرجي هو في الدعوات من حديث أم سلمة بإسناد فيه لين .

من بطنه على
ظاهره وتجري عليه
صورة المجاهدة والمعاملة
من غير مكابدة وعناء
بل بلاذة وهناء ويصير
قلبه بصفة قلبه
لا يتلاء قلبه بحب
ربه ويلين جلده كما
لان قلبه وعلامة لين
جلده إجابة قلبه للعمل
كاجابة قلبه فيزيده
الله تعالى إرادة خاصة
ويرزقه محبة خاصة
من محبة المحبوبين
المراد من ينقطع فيواصل
ويعرض عنه فيواصل
يذهب عنه جمود
النفس ويصطلى
بحرارة الروح
وتنكشف عن قلبه
عروق النفس قال الله
تعالى - الله نزل أحسن
الحديث كتاباً متشابهاً
مثاني تتشعر منه
جلود الدين يخشون
ربه ثم تلين جلودهم
وقلوبهم إلى ذكر الله -
أخبر أن الجلود تلين
كما أن القلوب تلين
ولا يكون هذا إلا

صلى الله عليه وسلم كل من وقع نظره على امرأة فتأقت إليها نفسه أن يجامع أهله (١) ، لأن ذلك يدفع الوسواس عن النفس وروى جابر رضى الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم رأى امرأة فدخل على زينب فقضى حاجته وخرج وقال صلى الله عليه وسلم : إن المرأة إذا أقبلت أقبلت بصورة شيطان فإذا رأى أحدكم امرأة فأعجبته فليأت أهله فإن معها مثل الذي معها (٢) وقال عليه السلام « لا تدخلوا على النفيات وهي التي غاب زوجها فإن الشيطان يجري من أحدكم مجرى الدم قلنا ومنك قال ومنى ولكن الله أعانني عليه فأسلم (٣) » قال سفیان بن عيينة فأسلم معناه فأسلم أنا منه هذا معناه فإن الشيطان لا يسلم وكذلك يحكى عن ابن عمر رضى الله عنهما وكان من زهاد الصحابة وعلمائهم أنه كان يطر من الصوم على الجماع قبل الأكل وربما جامع قبل أن يصلى المغرب ثم يفتسل ويصلى وذلك لتفريغ القلب لعبادة الله وإخراج غدة الشيطان منه وروى أنه جامع ثلاثا من جواربه في شهر رمضان قبل العشاء الأخيرة وقال ابن عباس خير هذه الأمة أكثرها نساء (٤) ولما كانت الشهوة أغلب على مزاج العرب كان استكثار الصالحين منهم للنكاح أشد ولأجل فراغ القلب أبيض نكاح الأمة عند خوف العنت مع أن فيه إرقاق الولد وهونوع إهلاك وهو محرم على كل من قدر على حرة ولكن إرقاق الولد أهون من إهلاك الدين وليس فيه إلا تنقيص الحياة على الولد مدة وفي اقتحام الفاحشة تفويت الحياة الأخروية التي تستحق الأعمار الطويلة بالإضافة إلى يوم من أيامها وروى أنه انصرف الناس ذات يوم من مجلس ابن عباس وبقي شاب لم يرح فقال له ابن عباس هل لك من حاجة قال نعم أردت أن أسأل مسألة فاستحييت من الناس وأنا الآن أهالك وأهلك قال ابن عباس إن العالم بمنزلة الوالد لما كنت أضيق به إلى أهلك فأفوض إلى به قال إني شاب لازوجتي وربما خشيت العنت على نفسي فربما استمنييت يدي فهل في ذلك معصية فأعرض عنه ابن عباس ثم قال آف وآف نكاح الأمة خير منه وهو خير من الزنا فهذا تنبيه على أن العرب القلم مردد بين ثلاثة شرور أدناها نكاح الأمة وفيه إرقاق الولد وأشد منه الاستمناء باليد وأخفها الزنا ولم يطلق ابن عباس الاباحة في شيء منها لأنهما محذوران يفرع إليهما حذرا من الوقوع في محذور أشد منه كما يفرع إلى تناول الميتة حذرا من هلاك النفس فليس ترجيح أهون الشرين في معنى الاباحة للطفة ولا في معنى الخير المطلق وليس قطع اليد للتأكل من الخيرات وإن كان يؤذن فيه عند إشراف النفس على الهلاك فاذن في النكاح فضل من هذا الوجه ولكن هذا لا يعم الكل بل الأكثر فرب شخص قرت شهوته لكبر سن أو مرض أو غيره فيعتمد هذا الباعث في حقه ويبقى ماسبق من أمر الولد فإن ذلك عام إلا للمسوح وهو نادر ومن الطباع ما تغلب عليها الشهوة بحيث لا تحصى المرأة الواحدة فيستحب لصاحبها الزيادة على الواحدة إلى الأربع فإن يسر الله له مودة ورحمة واطمأن قلبه بهن وإلا فيستحب له الاستبدال فقد نكح على رضى الله عنه بعد وفاة فاطمة عليها السلام بسبع ليال ويقال

(١) حديث أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم كل من وقع بصره على امرأة فتأقت نفسه إليها أن يجامع أهله أحمد من حديث أبي كبشة الأنماري حين مرت به امرأة فوقع في قلبه شهوة النساء فدخل فأتى بعض أزواجه وقال فكذلك فافعلوا فإنه من أمثال أفعالكم إتيان الحلال وإسناده جيد (٢) حديث جابر رأى امرأة فدخل على زينب فقضى حاجته الحديث مسلم والترمذي واللفظ له وقال حسن صحيح (٣) حديث لا تدخلوا على النفيات فإن الشيطان يجري من أحدكم مجرى الدم الحديث ت من حديث جابر وقال غريب ومسلم من حديث عبد الله بن عمر ولا يدخل بمديوم هذا على مغية إلا ومطر رجل أو اثنتان (٤) حديث ابن عباس خير هذه الأمة أكثرها نساء يعني النبي صلى الله عليه وسلم رواه ع .

حال المحبوب للسراد وقد ورد في الخبر أن إبليس سأل السبيل إلى القلب قبل له يحرم عليك ولكن السبيل لك في مجارى المروق للشبكة بالنفس إلى حد القلب فإذا دخلت المروق عرفت فيها من ضيق مجاريها وامتزج عرقك بماء الرحمة للترشح من جانب القلب في مجرى واحد ويصل بذلك سلطانك إلى القلب ومن جعلته نيبا أو وليا قلعت تلك المروق من باطن قلبه فيصير القلب سليما فإذا دخلت المروق لم تصل إلى الشبكة بالقلب فلا يصل إلى القلب سلطانك فالمحبوب للراد الذي أهل للشيخة سلم قلبه وانشرح صدره ولان جلده فصار قلبه بطبع الروح ونفسه بطبع القلب ولانت النفس بعد أن كانت أمارا بالسوء مستعينة

إن الحسن بن علي كان منكاحاً حتى نكح زيادة عن مائتي امرأة وكان ربما عقد على أربع في وقت واحد وربما طلق أربعاً في وقت واحد واستبدل بهنّ وقد قال عليه الصلاة والسلام «لحسن أشبه خلقي وخلقى» (١) وقال صلى الله عليه وسلم «حسن مني وحسين مني» (٢) قيل إن كثرة نكاحه أحد ما أشبه به خلق رسول الله صلى الله عليه وسلم وتزوج الغيرة بن شعبة بثمانين امرأة وكان في الصحابة من له الثلاث والأربع ومن كان له اثنتان لا يحصى ومهما كان الباعث معلوماً فينبغي أن يكون العلاج بقدر العلة فالمراد تسكين النفس فلينظر إليه في الكثرة والقلة . الفائدة الثالثة : ترويح النفس وإيناسها بالمجاسة والنظر واللعبة إراحة للقلب وتقوية له على العبادة فإن النفس ملول وهى عن الحق تقور لأنه على خلاف طبعها فلو كلفت الدائمة بالإكراه على ما يخالفها جمحت وثابت وإذارت وحّت بالذات في بعض الأوقات قويت ونشطت وفي الاستئناس بالنساء من الاستراحة ما يزيل الكرب ويروح القلب وينبى أن يكون للنفس المتقين استراحات بالمباحات ولذلك قال الله تعالى - ليسكن إليها - وقال على رضى الله عنه روحوا القلوب ساعة فأنها إذا كرهت عمت وفي الخبر «على العاقل أن يكون له ثلاث ساعات ساعة يتاجى فيها ربه وساعة يحاسب فيها نفسه وساعة يخلو فيها بمطعمه ومشربه فإن في هذه الساعة عوناً على تلك الساعات» (٣) ومثله بلفظ آخر «لا يكون العاقل ظاعناً إلا في ثلاث تزود لمعاد وأمرمة لمعاش أولته في غير محرم» (٤) وقال عليه الصلاة والسلام «لكل عامل شرة ولكل شرة فترة فمن كانت فترته إلى سنى فقد اهتدى» (٥) «والشرّة الجبد والمكابدة بحمة وقوة وذلك في ابتداء الإرادة والفترة الوقوف للاستراحة وكان أبو الدرداء يقول إنى لأستجم تقى بشىء من الله لأتقوى بذلك فيما بعد على الحق وفي بعض الأخبار عن رسول الله ﷺ أنه قال «شكوت إلى جبريل عليه السلام ضغني عن الوقاع فدلى على الهريسة» (٦) وهذا إن صح لا يحمل له إلا الاستعداد للاستراحة ولا يمكن تعليله بدفع الشهوة فإنه استتارة للشهوة ومن عدم الشهوة عدم الأكر من هذا الأنس وقال عليه الصلاة والسلام «حب إلى من دنياكم ثلاث الطيب والنساء وقرّة عينى في الصلاة» (٧) فهذه أيضاً فائدة لا ينكرها من جرب إتهاب نفسه في الأفكار والآذكار وصنوف الأعمال

(١) حديث أنه قال للحسن بن علي أشبهت خلقى وخلقى قلت المعروف أنه قال هذا اللفظ لجعفر بن أبي طالب كما هو متفق عليه من حديث البراء ولكن الحسن أيضاً كان يشبه النبي صلى الله عليه وسلم كما هو متفق عليه من حديث أبي جحيفة والترمذى ومجحه وابن حبان من حديث أنس لم يكن أحد أشبه برسول الله صلى الله عليه وسلم من الحسن (٢) حديث حسن مني وحسين مني على أحمد من حديث الترمذى بن معديكرب بسند جيد (٣) حديث على العاقل أن يكون له ثلاث ساعات ساعة فيها يتاجى ربه وساعة يحاسب فيها نفسه وساعة يخلو فيها بمطعمه ومشربه حب من حديث أبي ذر في حديث طويل أن ذلك في صحف إبراهيم (٤) حديث لا يكون العاقل ظاعناً إلا في ثلاث تزود لمعاد أو مرمة لمعاش أولته في غير محرم حب من حديث أبي ذر الطويل أن ذلك في صحف إبراهيم (٥) حديث لكل عامل شرة ولكل شرة فترة فمن كانت فترته إلى سنى فقد اهتدى أحمد والطبرانى من حديث عبد الله بن عمرو والترمذى نحو من هذا من حديث أبي هريرة وقال حسن صحيح (٦) حديث شكوت إلى جبريل ضغني عن الوقاع فدلى على الهريسة عد من حديث حذيفة وابن عباس والعقيلي من حديث معاذ وجابر بن سمرة وابن حبان في الضعفاء من حديث حذيفة والأزدى في الضعفاء من حديث أبي هريرة بطرق كلها ضعيفة قال ابن عدى موضوع وقال العقيلي باطل (٧) حديث حب إلى من دنياكم الطيب والنساء وقرّة عينى في الصلاة لمن حديث أنس بإسناد جيد وضعفه العقيلي .

ولأن الجلالين النفس ورد إلى صورة الأفعال بعد وجدان الحال ولا يزال روحه يجذب إلى الحضرة الإلهية فيستبغ الروح القلب ويستبغ النفس القلب فامتزجت الأعمال القلبية والقاليية وانخرق الظاهر إلى الباطن والباطن إلى الظاهر والقدرة إلى الحكمة والحكمة إلى القدرة والدنيا إلى الآخرة والآخرة إلى الدنيا ويصح له أن يقول لو كشف الغطاء ما زددت يقيناً فند ذلك يطلق من وثاق الحال ويكون مسيطراً على الحال لا الحسالة مسيطراً عليه وصير حراً من كل وجه والشيخ الأول الذى أخذ في طريق المحيين حر من رقى النفس ولكن ربما كان باقياً في رقى القلب وهذا

وهي خارجة عن الفائدةين السابقتين حتى إنها تطرد في حق المسحور ومن لاشهوة إلا أن ههنا الفائدة
تجمل للنكاح فضيلة بالإضافة إلى هذه النية وقل من يقصد بالنكاح ذلك : وأما قصد الولد وقصد دفع
الشهوة وأمثالها فهو مما يكثر ثم رب شخص يستأنس بالنظر إلى الماء الجاري والحضرة وأمثالها
ولا يحتاج إلى ترويع النفس بمحادثة النساء وملاعبة بن فيختلف هذا باختلاف الأحوال والأشخاص
فلينبه له . الفائدة الرابعة : تفرغ القلب عن تدبير المنزل والتكفل بشغل الطبخ والكس والغرض
وتتظيف الأواني وتهب أسباب العيشة فإن الإنسان لو لم يكن له شهوة الواقع لتعذر عليه العيش في منزله
وحده إذ لو تكفل بجميع أشغال المنزل لضاعأ كثر أوقاته ولم يتفرغ لعلم والعمل فالمرأة الصالحة الصالحة
للمنزل عون على الدين بهذه الطريق واختلال هذه الأسباب شواغل ومشوشات للقلب ومنهفات
للعيش ولذلك قال أبو سليمان الداراني رحمه الله الزوجة الصالحة ليست من الدنيا فاتها تفرغك للآخرة
وإنما تفرغها بتدبير المنزل وبقضاء الشهوة جميعا وقال محمد بن كعب القرظي في معنى قوله تعالى - ربنا
آتنا في الدنيا حسنة - قال المرأة الصالحة وقال عليه الصلاة والسلام « ليتخذ أحدكم قلبا عا كرا ولسانا
ذاكرا وزوجة مؤمنة صالحة تعينه على آخرته (١) » فانظر كيف جمع بينهما وبين الذكر والتكروفي بعض
التفسير في قوله تعالى - فلنحيينه حياة طيبة - قال الزوجة الصالحة وكان عمر بن الخطاب رضي الله
عنه يقول ما أعطى المبد بعد الإيمان بالله خيرا من امرأة صالحة وإن من غنا لا يحذى منه ومن
غلا لا يندى منه وقوله لا يحذى أي لا يتناض عنه بعطاء وقال عليه الصلاة والسلام « فضلت على آدم
بخصلتين كانت زوجته عوناً له على المعصية وأزواجى أعوان على الطاعة وكان شيطانه كافرا وشيطاني
مسلم لا يأمر إلا بخير (٢) » فمدعواوتها على الطاعة فضيلة فهذه أيضا من الفوائد التي تصدها الصالحون
إلا أنها تخص بعض الأشخاص الذين لا كافل لهم ولا مدبر ولا تدعو إلى أمر أي بل الجمع ربما ينقص
العيشة ويضطرب به أمور المنزل ويدخل في هذه الفائدة قصد الاستكثار بعشيرتها وما يحصل من
القوة بسبب تداخل العشائر فإن ذلك مما يحتاج إليه في دفع الشرور وطلب السلامة ولذلك قيل ذل من
لا ناصر له ومن وجد من يدفع عنه الشرور سلم حاله وفرغ قلبه للعبادة فإن الدل مشوش للقلب والعز
بالكثرة دافع للذل . الفائدة الخامسة : مجاهدة النفس ورياضتها بالرعاية والولاية والقيام بحقوق
الأهل والضرب على أخلاقهم واحتمال الأذى منهم والسعي في إصلاحهم وإرشادهم إلى طريق الدين
والاجتهاد في كسب الحلال لأجلهم والقيام بتربيته لأولاده فكل هذه أعمال عظيمة الفضل فاتها
رعاية وولاية والأهل والولد رعية وفضل الرعاية عظيم وإنما يحرز منها من يحرز خيفة من القصور
عن القيام بحقوقها والاقتد قال عليه الصلاة والسلام « يوم من وال عادل أفضل من عبادة سبعين سنة ثم قلب
ألا كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته (٣) » وليس من اشتغل بإصلاح نفسه وغيره كمن اشتغل

(١) حديث ليتخذ أحدكم قلبا عا كرا ولسانا ذاكرا وزوجة مؤمنة تعينه على آخرته ت وحسنه وه
واللفظ له من حديث وفيه انقطاع (٢) حديث فضلت على آدم صلى الله عليه وسلم بخصلتين كانت
زوجته عوناً له على المعصية وأزواجى أعوان على الطاعة وكان شيطانه كافرا وشيطاني مسلم لا يأمر إلا
بخير رواه الخطيب في التاريخ من حديث ابن عمر وفيه محمد بن وليد بن أبان بن القلانسي قال ابن عدي
كان يضع الحديث ولمسلم من حديث ابن مسعود ما منكم من أحد إلا وقد وكل بعقرينه من الجن قالوا
ويا لك يا رسول الله قل وأنا إلا أن الله أعانني عليه فأسلم ولا يأمرني إلا بخير (٣) حديث يوم من وال
عادل أفضل من عبادة سبعين سنة ثم قال ألا كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته طب وهق من
حديث ابن عباس وقد تقدم بلفظ ستين سنة دون مابعد فانه متفق عليه من حديث ابن عمر .

الشيخ في طريق
المحبوبين حر من رق
القلب كما هو حر من رق
النفس وذلك أن النفس
حجاب ظلماتي أرضى
أعتق منه الأول
والقلب حجاب نوراني
مماوى أعتق منه
الآخر فصار له بالقلبه
ولوقته لا لوقته فبعد
ألقه حقاً وآمن به صدقا
ويسجد لله سواده
وخاله ويؤمن به فؤاده
ويقرب به لسانه كما قال
رسول الله صلى الله
عليه وسلم في بعض
سجوده ولا يتخلف
عن العبودية منه شعرة
وتصير عبادته مشاكلة
 لعبادة الملائكة - وقد
يسجد من في السموات
والأرض طوعا وكرها
وظلالهم بالقعود
والأصالة فالقوال هي
الظلال الساجدة لظلال
الأرواح القريبة في عالم
الشهادة الأصل كشف
والظل لطيف وفي عالم
الغيب الأصل لطيف
والظل كشف فيسجد

بإصلاح نفسه فقط ولا من صبر على الأذى كمن ربه نفسه وأراحها فمقاساة الأهل والولد بمنزلة الجهاد في سبيل الله ولذلك قال بشر فضل عليّ أحمد بن حنبل ثلاث إحداها أنه يطلب الحلال لنفسه ولغيره وقد قال عليه الصلاة والسلام «ما أنفق الرجل على أهله فهو صدقة وإن الرجل ليؤجر في اللقمة يرفعها إلى في امرأته» (١) وقال بعضهم لبعض العلماء من كل عمل أعطاني الله نصيباً حتى ذكر الحج والجهاد وغيرهما فقال له أين أنت من عمل الأبدال قال وما هو قال كسب الحلال والثقة على العيال وقال ابن المبارك وهو مع إخوانه في الغزو تملكون عملاً أفضل مما نحن فيه قالوا ما نعلم ذلك قال أنا أعلم قالوا فما هو قال رجل متعفف ذو عائلة قام من الليل فنظر إلى صبيانه نياماً متكشفين فسترهم وغطاهم بثوبه فعمله أفضل مما نحن فيه وقال صلى الله عليه وسلم «من حسنت صلاته وكثر عياله وقل ماله ولم يقرب المسلمين كان معي في الجنة كهاتين» (٢) وفي حديث آخر «إن الله يحب الفقير المتعفف أبا العيال» (٣) وفي الحديث «إذا كثرت ذنوب العبد ابتلاه الله بهم العيال ليكفرها عنه» (٤) وقال بعض السلف من الذنوب ذنوب لا يكفرها إلا التمسك بالعيال وفيه أثر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال «من الذنوب ذنوب لا يكفرها إلا التمسك بالعيلة» (٥) وقال مالك «من كان له ثلاث بنات فأنتق عليهن وأحسن إليهن حتى يغنين الله عنه أوجب الله له الجنة ألبنة ألبنة إلا أن يعمل عملاً لا يغفر له» (٦) كان ابن عباس إذا حدث بهذا قال والله هو من غرائب الحديث وغرره وروى أن بعض المتعبدين كان يحسن القيام على زوجته إلى أن ماتت فعرض عليه التزويج فامتنع وقال الوحدة أروح قلبي وأجمع لحمي ثم قال رأيت في المنام بعد جمعة من وفاتها كأن أبواب السماء فتحت وكأن رجالاً ينزلون ويسرون في الهواء يتبع بعضهم بعضاً فكلما نزل واحد نظر إلى وقال لمن وراءه هذا هو للشوم فيقول الآخرون نعم ويقول الثالث كذلك ويقول الرابع نعم فخطت أن أسألم هيئة من ذلك إلى أن مر بي آخرهم وكان غلاماً قلمت لياها من هذا الشوم الذي توشون إليه فقال أنت قلت ولم ذاك قال كنت أرفع عملك في أعمال المجاهدين في سبيل الله فذ جمعة أمرت أن أنزع عملك مع الخائفين فما ندرى ما أحدثت فقال لإخوانه زوجوني زوجوني فلم يكن تفارقه زوجان أو ثلاث وفي أخبار الأنبياء عليهم السلام أن قوماً دخلوا على يونس النبي عليه السلام فأضافهم فكان يدخل ويخرج إلى منزله فتؤذيه امرأته وتستطيل عليه وهو ساكت فتعجبوا من ذلك فقال لا تعجوا فاني سألت الله تعالى وقلت ما أنت معاقب لي به في الآخرة فعجله لي في الدنيا قال إن عقوبتك بنت فلان تزوج بها

(١) حديث ما أنفق الرجل على أهله فهو صدقة وإن الرجل ليؤجر في رفع اللقمة إلى في امرأته من حديث ابن مسعود إذا أنفق الرجل على أهله نفقة وهو يحتسبها كانت له صدقة ولهما من حديث سعد بن أبي وقاص ومهما أنفقت فهو لك صدقة حتى اللقمة ترفعها إلى في امرأتك (٢) حديث من حسنت صلاته وكثر عياله وقل ماله ولم يقرب المسلمين كان معي في الجنة كهاتين أبو يعلى من حديث أبي سعيد الخدري بسند ضعيف (٣) حديث إن الله يحب الفقير المتعفف أبا العيال من حديث عمران بن حصين بسند ضعيف (٤) حديث إذا كثرت ذنوب العبد ابتلاه الله بهم العيال ليكفرها أحمد من حديث عائشة إلا أنه قال بالحزن وفيه ليث بن أبي سليم مختلف فيه (٥) حديث من الذنوب ذنوب لا يكفرها إلا التمسك بالعيلة الطبراني في الأوسط وأبو نعيم في الحلية والخطيب في التلخيص المتشابه من حديث أبي هريرة بأسناد ضعيف (٦) حديث من كان له ثلاث بنات فأنتق عليهن وأحسن إليهن حتى يغنين الله عنه أوجب الله له الجنة ألبنة ألبنة إلا أن يعمل عملاً لا يغفر له الحرانطي في مكارم الأخلاق من حديث ابن عباس بسند ضعيف وهو عنده بلفظ آخر ولأبي داود واللفظ له والترمذي من حديث أبي سعيد من عاله ثلاث بنات فأدبهن وزوجهن وأحسن إليهن فله الجنة ورجاله ثقات وفي سننه اختلاف .

لطيف العبد وكشفه وليس هذا لمن أخذ في طريق الحبين لأنه يستتبع صور الأعمال ويعتلى بما أنيل من وجدان الحال وذلك قصور في العلم وقلة في الحظ ولو كثر العلم رأى ارتباط الأعمال بالأحوال كارتباط الروح بالجسد رأى أن لا غنى عن الأعمال كما لا غنى في عالم الشهادة عن القوالب فإذا تمت القوالب باقية فالعمل باق ومن صح في القيام الذي وصفناه هو الشيخ المطلق والعارف الحقير المحبوب المتق نظر دواء وكلامه شفاء بالله ينطق وبالله يسكت كما ورد ولا يزال العبد يتقرب إلى بالنوافل حتى أحبه فإذا أحبته كنت له سمياً وبصراً وبدا ومؤيداً بي ينطق وبني يصير الحديث فالشيخ يعطى بالله ويعنع بالله فلا رغبة له في عطاء ومنع لعينه بل

قزوت بها وأنا صابر على ماترون منها وفي الصبر على ذلك رياضة النفس وكسر الغضب وتحسين الخلق فان للفرد نفسه أو المشارك لمن حسن خلقه لا ترشح منه خباثت النفس الباطنة ولا تنكشف بواطن عيوبه فحق على سالك طريق الآخرة أن يحترّب نفسه للتعرض لأمثال هذه المحركات واعتياد الصبر عليها لتمتدل أخلاقه وترتاض نفسه ويصفو عن الصفات الذميمة باطنه والصبر على العيال مع أن الرياضة ومجاهدة تكفل لهم وقيام بهم وعبادة في نفسها فهذه أيضا من الفوائد ولكنه لا ينفع بها إلا أحد رجلين إما رجل قصد المجاهدة والرياضة وتهذيب الأخلاق لكونه في بداية الطريق فلا يمد أن يرى هذا طريقا في المجاهدة وترتاض به نفسه وإما رجل من العابدين ليس له سير بالباطن وحركة بالفكر والقلب وإنما عمله عمل الجوارح بصلاة أو حج أو غيره فعمله لأهله وأولاده بكسب الحلال لهم والقيام بترتيبهم أفضل له من العبادات اللازمة لبدنه التي لا تمتدّ خيرها إلى غيره فأما الرجل المهذب الأخلاق إما بكفاية في أصل الحلقة أو بمجاهدة سابقة إذا كان له سير في الباطن وحركة بفكر القلب في العلوم والمكاشفات فلا ينبغي أن يتزوج لهذا الغرض فإن الرياضة هو مكفي فيها وأما العبادات في العمل بالكسب لهم فالعلم أفضل من ذلك لأنه أيضا عمل وفائده أكثر من ذلك وأعم وأشمل لسائر الخلق من فائدة الكسب على العيال فهذه فوائد النكاح في الدين التي بها يحكم له بالفضيلة . أما آفات النكاح ثلاث . الأولى : وهي أقواها العجز عن طلب الحلال فإن ذلك لا يتيسر لكل أحد لاسيما في هذه الأوقات مع اضطراب المعاش فيكون النكاح سببا في التوسع للطلب والاطعام من الحرام وفيه هلاك أهله والتمزب في أمن من ذلك وأما التزوج ففي الأكثر يدخل في مداخل سوء فيتبع هوى زوجته ويبيع آخرته بديناره وفي الخبر « إن العبد ليوقف عند اللزآن وله من الحسنات أمثال الجبال فيسأل عن رعاية عائلته والقيام بهم وعن ماله من أين اكتسبه وفيهم أنفقه حتى يستغرق بتلك المطالبات كل أعماله فلا يبقى له حسنة فتنادى لللائكة هذا الذي أكل عياله حسناته في الدنيا وارتمن اليوم بأعماله ويقال إن أول ما يتعلق بالرجل في القيامة أهله وولده فيوقفونه بين يدي الله تعالى ويقولون يا ربناخذنا بحقناتمه فانهاعلمنا ما نجعل وكان يطعمنا الحرام ونحن لانعلم فيقتص لهم منه (١) » وقال بعض السلف إذا أراد الله بعبده شرا سلط عليه في الدنيا أنيابا تنشه يعني العيال . وقال عليه الصلاة والسلام « لا يلقى الله أحد بذنب أعظم من جهالة أهله (٢) » فهذه آفة عامة قل من يتخاص منها إلا من له مال موروث أو مكتسب من حلال يبقى به وبأهله وكان له من القناعة ما ينمعه من الزيادة فإن ذاك يتخلص من هذه الآفة أو من هو محترف ومقتدر على كسب حلال من الباحات باحتطاب أو اصطياد أو كان في صناعة لا تتعلق بالسلطين ويقدر على أن يعامل به أهل الخير ومن ظاهره السلامة وغالب ماله الحلال وقال ابن سالم رحمه الله وقد سئل عن التزوج فقال هو أفضل في زماننا هذا لمن أدركه شبق غالب مثل الحمار يرى الأتان فلا يتبى عنها بالضرب ولا يملك نفسه فإن ملك نفسه فتركه أولى . الآفة الثانية : القصور عن القيام بمقتضى الصبر على أخلاقهن واحتمال الأذى منهن وهذه دون الأولى في العموم فإن القدرة على هذا أسير من القدرة على الأولى وتحسين الخلق مع النساء والقيام بحظوظهن أهون من طلب الحلال وفي هذا أيضا خطر لأنه راع ومشول عن رعيته وقال عليه الصلاة والسلام « كفى بالمرء إثمًا أن يضيع من يعول (٣) »

(١) حديث إن العبد ليوقف عند اللزآن وله من الحسنات أمثال الجبال ويسأل عن رعاية عياله والقيام بهم الحديث لم أقف له على أصل (٢) حديث لا يلقى الله أحد بذنب أعظم من جهالة أهله ذكره صاحب الفردوس من حديث أبي سعيد ولم يحده ولده أبو منصور في مسنده (٣) حديث كفى بالمرء إثمًا أن يضيع من يعول دن يلفظ من يقوت وهو عندم بلفظ آخر .

هو مع مراد الحق والحق يعرفه مراده فيكون في الأشياء بمراد الله تعالى لا بمراد نفسه فان علم أن الله تعالى يريد منه الدخول في صورة محمودة دخل فيها لمراد الله تعالى لا لكون الصورة محمودة بخلاف الخادم القائم بواجب خدمة عباد الله تعالى .

[الباب الحادي عشر في شرح حال الخادم ومن يشبه به]

أوحى الله تعالى إلى داود عليه السلام وقال يا داود إذا رأيت لي طالبا فكن له خادما الخادم يدخل في الجنة راعيا في الثواب وفيها أعد الله تعالى للعباد ويتصدي لإيصال الراحة ويفرغ خاطر القلبين على الله تعالى عن مهام معاشهم ويغفل ما فعله الله تعالى بنية صالحة فالشيخ واقف مع مراد الله تعالى والخادم واقف

وروى أن الهارب من عياله بمنزلة العبد الهارب الآبق لا تقبل له صلاة ولا صيام حتى يرجع إليهم ومن يقصر عن القيام بمحرمين وإن كان حاضرا فهو بمنزلة هارب فقد قال تعالى - قوا أنفسكم وأهليكم نارا - أمرنا أن نقيم النار كأنني أنفستنا والانسان قد يعجز عن القيام بحق نفسه وإذا تزوج تضاعف عليه الحق وانضفت إلى نفسه نفس أخرى والنفس أماراة بالسوء إن كثرت كثرا الأمر بالسوء غالبا ولذلك اعتذر بعضهم من التزويج وقال أنا مبتلى بنفسى وكيف أضيف إليها نفسا أخرى كما قيل .

لن يسع الفأرة جعرها علفت المكس في دبرها

وكذلك اعتذر إبراهيم بن آدم رحمه الله وقال لأغر امرأة بنفسى ولا حاجة لى فيهن أى من القيام بمحرمين ومحرمين وإستاعهن وأنا عاجز عنه وكذلك اعتذر بشر وقال يعنى من النكاح قوله تعالى - ولهن مثل الذى عليهن - وكان يقول لو كنت أعول دجاجة لحفت أن أصير جلادا على الجسر ورؤى سفيان بن عيينة رحمه الله على باب السلطان فقيل له ما هذا موقفك فقال وهل رأيت ذاعيل أفلح وكان سفيان يقول :

يا حبذا العزبة والفتاح ومسكن تحرقه الرياح لاصخب فيه ولا صباح

فهذه آفة عامة أيضا وإن كانت دون عموم الأولى لا يسلم منها إلا حكيم عاقل حسن الأخلاق بصير بمادات النساء صبور على لسانهن وقاف عن اتباع شهواتهن حريص على الوفاء بمحرم يتفادى عن زللهم ويدارى بعقله أخلاقهم والأغلب على الناس السفه والفظاظة والجدة والطيش وسوء الخلق وعدم الانصاف مع طلب تمام الانصاف ومثل هذا يزداد بالنكاح فسادا من هذا الوجه لا محالة فالوحدة أسلم له . الآفة الثالثة : وهى دون الأولى والثانية أن يكون الأهل والولد شاغلا له عن الله تعالى وجاذبا له إلى طلب الدنيا وحن تديب العيشة للأولاد بكثرة جمع المال وإدخالهم وطب التفاخر والتكاثرتهم وكل ما شغل عن الله من أهل ومال وولد فهو مشغوم على صاحبه ولست أعنى بهذا أن يدعو إلى محظور فإن ذلك مما اندرج تحت الآفة الأولى والثانية بل أن يدعو إلى التمتع بالمباح بل إلى الإغراق فى ملاعبة النساء وموانستن والامعان فى التمتع بهن ويشور من النكاح أنواع من الشواغل من هذا الجنس تستغرق القلب فينقض الليل والنهار ولا يتفرغ المرء فيها للتفكير فى الآخرة والاستعداد لها ولذلك قال إبراهيم بن آدم رحمه الله من تعود أخذ النساء لم يحم منه شيء وقال أبو سليمان رحمه الله من تزوج قد ركن إلى الدنيا أى يدعو ذلك إلى الركون إلى الدنيا فهذه مجامع الآفات والفوائد فالحكم على شخص واحد بأن الأفضل له النكاح أو العزوبة مطلقا قصور عن الاحاطة بمجامع هذه الأمور بل تتخذ هذه الفوائد والآفات معتبرا وحكما ويعرض المرید عليه نفسه فإن اتفت فى حقه الآفات واجتمعت الفوائد بأن كان له مال حلال وخلق حسن وجد فى الدين تام لا يشغله النكاح عن الله وهو مع ذلك شاب محتاج إلى تسكين الشهوة ومنفرد محتاج إلى تدبير للنزل والتحصن بالعشرة فلا يمارى فى أن النكاح أفضل له مع ما فيه من السعى فى تحصيل الولد فإن اتفت الفوائد واجتمعت الآفات فالعزوبة أفضل له وإن تقابل الأمران وهو الغالب فينبى أن يوزن بالميزان القسط حظ تلك الفائدة فى الزيادة من دينه وحظ تلك الآفات فى النقصان منه فإذا غلب على الظن رجحان أحدهما حكم به وأظهر الفوائد الولد وتسكين الشهوة وأظهر الآفات الحاجة إلى كسب الحرام والاشتغال عن الله فلنفرض تقابل هذه الأمور فنقول من لم يكن فى أذية من الشهوة وكانت فائدة نكاحه فى السعى لتحصيل الولد وكانت الآفة الحاجة إلى كسب الحرام والاشتغال عن الله فالعزوبة له أولى فلا خير فيما يشغل عن الله ولا خير فى كسب الحرام ولا يبنى بنقصان هذين الأمرين

مع نيته فالخادم يفعل
الشيء لله تعالى والشيخ
يفعل الشيء لله فالشيخ
فى مقام المقرين والخادم
فى مقام الأبرار فيختار
الخادم البذل والإيثار
والارتفاق من الأغيار
للأغيار ووظيفة وقته
تصديقه لخدمة عباد الله
وفيه يعرف الفضل
ويرجعه على نوافله
وأعماله وقد يقيم من
لا يعرف الخادم من
الشيخ الخادم مقام
الشيخ وربما جهل
الخادم أيضا حال نفسه
فيحسب نفسه شيعة لقلة
العلم واندراس علوم
القوم فى هذا الزمان
وقناعة كثير من
الفقراء من الشايخ
باللحمة دون العلم والحال
فكل من كان أكثر
إطعاما هو عندهم أحق
بالمشيخة ولا يعلمون
أنه خادم وليس بشيخ
والخادم فى مقام حسن
وحظ صالح من الله
تعالى . وقد ورد ما يدل
على فضل الخادم فيها

أمر الولد فإن النكاح لأولد سعى في طلب حياة لأولد موهومة وهذا نقصان في الدين ناجز حفظه
لحياة نفسه وصونها عن الهلاك أهم من السعى في الولد وذلك ربح والدين رأس مال وفي فساد الدين
بطلان الحياة الأخروية وذهاب رأس المال ولا تقاوم هذه الفائدة إحدى هاتين الآتين وأما إذا
انضاف إلى أمر الولد حاجة كسر الشهوة لتوقان النفس إلى النكاح نظر فإن لم يقو لجأه التقوى
رأسه وخاف على نفسه الزنا فالنكاح له أولى لأنه متردد بين أن يقتحم الزنا أو يأكل الحرام والكسب
الحرام أهون الشرين وإن كان يثق بنفسه أنه لا يزني ولكن لا يقدر مع ذلك على غض البصر
عن الحرام فترك النكاح أولى لأن النظر حرام والكسب من غير وجه حرام والكسب يقع دائماً
وفيه عصيان وعصيان أهله والنظر يقع أحياناً وهو يخصه وينصرم على قرب والنظر زنا العين ولكن
إذا لم يصدقه الفرج فهو إلى الغنى أقرب من أكل الحرام إلا أن يخاف إضفاء النظر إلى مصيبة الفرج
فيرجع ذلك إلى خوف الفتنة وإذا ثبت هذا فالحالة الثالثة وهو أن يقوى على غض البصر ولكن
لا يقوى على دفع الأفكار الشاغلة للقلب أولى بترك النكاح لأن عمل القلب إلى الغنى أقرب وإنما
يراد فراغ القلب للعبادة ولا تتم عبادة مع الكسب الحرام وأكله وإطعامه فهكذا ينبغي أن توزن
هذه الآفات بالفوائد ويحكم بحسبها ومن أحاط بهذا لم يشكك عليه شيء مما قلنا عن السلف من
ترغيب في النكاح مرة ورغبة عنه أخرى إذ ذلك بحسب الأحوال صحيح . فإن قلت فمن أمن
الآفات فما الأفضل له التخلي لعبادة الله أو النكاح ؟ فأقول يجمع بينهما لأن النكاح ليس مانعاً من
التخلي لعبادة الله من حيث إنه عقد ولكن من حيث الحاجة إلى الكسب فإن قدر على الكسب
الحلال فالنكاح أيضاً أفضل لأن الليل وسائر أوقات النهار يمكن التخلي فيه للعبادة والواظبة على
العبادة من غير استراحة غير ممكن فإن فرض كونه مستغرقاً للأوقات بالكسب حتى لا يبقى له وقت
سوى أوقات الكتابة والنوم والأكل وقضاء الحاجة فإن كان الرجل ممن لا يسلك سبيل الآخرة
إلا بالصلاة النافلة أو الحج وما يجري مجراه من الأعمال البدنية فالنكاح له أفضل لأن في كسب الحلال
والقيام بالأهل والسعى في تحصيل الولد والصبر على أخلاق النساء أنواعاً من العبادات لا يقصر فضلها
عن نوافل العبادات وإن كان عبادته بالعلم والفكر وسير الباطن والكسب يشوش عليه ذلك فترك
النكاح أفضل . فإن قلت فلم ترك عيسى عليه السلام النكاح مع فضله وإن كان الأفضل التخلي
لعبادة الله فلم استكثر رسولنا صلى الله عليه وسلم من الأزواج . فأعلم أن الأفضل الجمع بينهما في حق
من قدر ومن قوت منته وعلت همته فلا يشغله عن الله شاغل ورسولنا عليه السلام أخذ بالقوة
وجمع بين فضل العبادة والنكاح ولقد كان مع تسع من النسوة ^(١) متخلياً لعبادة الله وكان قضاء
الوطر بالنكاح في حقه غير مانع كما لا يكون قضاء الحاجة في حق المشغولين بتدبيرات الدنيا مانعاً لهم
عن التدبير حتى يشتغلوا في الظاهر بقضاء الحاجة وقلوبهم مشغوفة بهمهمهم غير غافلة عن مهماتهم
وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم علواً درجته لا يمنعه أمر هذا العالم عن حضور القلب مع الله تعالى
فكان ينزل عليه الوحي وهو في فراش امرأته ^(٢) ومتى سلم مثل هذا النصب لغيره فلا يبعد أن
يغير السواقي ما لا يغير البحر الحضم فلا ينبغي أن يقاس عليه غيره . وأما عيسى صلى الله عليه وسلم
فانه أخذ بالحزم لا بالقوة واحتاط لنفسه ولعل حاله كانت حالة يؤثر فيها الاشتغال بالأهل أو يتعذر

(١) حديث جمعه صلى الله عليه وسلم بين تسع نسوة خ من حديث أنس وله من حديثه أيضاً
وهن إحدى عشرة (٢) حديث كان ينزل عليه الوحي وهو في فراش امرأته خ من حديث أنس
بأنه سلمة لا تؤذي في عائشة فانه والله ما نزل على الوحي وأنا في لحاف امرأة منكن غيرها .

أخبرنا الشيخ أبو زرعة
ابن الحافظ أبي الفضل
محمد بن طاهر القديسي
عن أبيه قال أنا
أبو الفضل محمد بن
عبد الله القرقي قال
حدثنا أبو الحسن محمد
ابن الحسين بن داود
العلوي قال حدثنا
أبو حامد الحافظ قال
حدثنا العباس بن محمد
الدوري وأبو الأزهر
قالا حدثنا أبو داود
قال حدثنا سفيان عن
الأوزاعي عن يحيى بن
أبي كثير عن أبي سلمة
عن أبي هريرة أن النبي
صلى الله عليه وسلم أتى
بطعام وهو بمكة
الظهران فقال لأبي بكر
وعمر كلا فقالا إنا
صائمان فقال ارحلا
صاحبيكما اعملا
صاحبيكما ادنوا فكل
يمنى أنكما ضعفتما
بالصوم عن الخدمة
فاحتجنا إلى من
يخدمكما فكلوا واخدموا
أنفسكما فالخادم يحرم
على حيازة الفضل

معهما طلب الحلال أولا يتيسر فيها الجمع بين النكاح والتخل للعبادة فأثر التخل للعبادة وهم أعلم بأسرار أحوالهم وأحكام أعصارهم في طيب للكاسب وأخلاق النساء وما على الناكح من غوائل النكاح وماله فيه ، ومهما كانت الأحوال متقسمة حتى يكون النكاح في بعضها أفضل وتركه في بعضها أفضل فنحن أن نزل أفعال الأنبياء على الأفضل في كل حال والله أعلم .

(الباب الثاني فيما راعى حالة العقد من أحوال المرأة وشروط العقد)

أما العقد فأركاناه وشروطه لينتقد ويفيد الحل أربعة : الأول إذن الولي فإن لم يكن فالسلطان . الثاني رضا المرأة إن كانت نيبا بالغا أو كانت بكرا بالغا ولكن يزوجه غير الأب والجد . الثالث حضور شاهدين ظاهري العدالة فإن كانا مستورين حكمنا بالانقضاء للحاجة . الرابع إيجاب وقبول متصل به بلفظ الإنكاح أو التزويج أو معناها الخاص بكل لسان من شخصين مكلفين ليس فيهما امرأة سواء كان هو الزوج أو الولي أو وكيلهما . وأما آدابه فتقديم الخطبة مع الولي لا في حال عدة المرأة بل بعد انقضائها إن كانت معتدة ولا في حال سبق غيره بالخطبة إذ نهى عن الخطبة على الخطبة (١) ومن آدابه الخطبة قبل النكاح ومزج التعميد بالإيجاب والقبول فيقول المزوج المحدث والصلاة على رسول الله زوجتك ابنتي فلانة ويقول الزوج الحمد لله والصلاة على رسول الله قبلت نكاحها على هذا الصداق وليكن الصداق معلوما خفيفا والتعميد قبل الخطبة أيضا مستحب . ومن آدابه : أن يلقى أمر الزوج إلى سمع الزوجة وإن كانت بكرا فذلك أخرى وأولى بالألفة ولذلك يستحب النظر إليها قبل النكاح فانه أخرى أن يؤدم بينهما . ومن الآداب إحضار جمع من أهل الصلاح زيادة على الشاهدين اللذين هما ركنان للصحة ، ومنها أن ينوي بالنكاح إقامة السنة وغض البصر وطاب الولد وسائر الفوائد التي ذكرناها ولا يكون قصده مجرد الهوى والتمتع فيصير عمله من أعمال الدنيا ولا يمنع ذلك هذه النيات فرب حق يوافق الهوى قال عمر بن العزيز رحمه الله إذا وافق الحق الهوى فهو الزيد بالزيبان ولا يستحيل أن يكون كل واحد من حظ النفس وحق الدين باعثا معا ويستحب أن يعقد في المسجد وفي شهر شوال قالت عائشة رضي الله عنها تزوجني رسول الله صلى الله عليه وسلم في شوال وبني في شوال (٢) . وأما للنكوة فيعتبر فيها نوعان : أحدهما للحل . والثاني لطيب المعيشة وحصول المقاصد . النوع الأول ما يعتبر فيه للحل : وهو أن تكون خالية عن موانع النكاح والوانع تسعة عشر : الأول أن تكون منكوبة للغير . الثاني أن تكون معتدة للغير سواء كانت عدة وفاة أو طلاق أو وطء شبهة أو كانت في استبراء وطء عن ملك عين . الثالث أن تكون مرتدة عن الدين لجريان كلمة على لسانها من كلمات الكفر . الرابع أن تكون مجوسية . الخامس أن تكون وثنية أو زندقية لا تنسب إلى نبي وكتاب ومنهن المعتقات لمذهب الإباحة فلا يحل نكاحهن وكذلك كل معتدة مذهب فاسدا بحكم بكفر معتقده . السادس أن تكون كاتبة قد دانت بدينهم بعد التبديل أو بعد مبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم ومع ذلك فليست من نسب بني إسرائيل فإذا عدت كنا الحاصلين لم يحل نكاحها وإن عدت النسب فقط فقيه خلاف . السابع أن تكون رقيقة والتناكح حرا قادرا على طول الحرية أو غير خائف من العنت . الثامن أن تكون كلها أو بعضها مملوكا للتناكح ملك عين التاسع أن تكون قريبة للزوج

(الباب الثاني فيما راعى حالة العقد)

(١) حديث النهي عن الخطبة على الخطبة متفق عليه من حديث ابن عمر ولا يخطب على خطبة أخيه حتى يترك الخطاب قبله أو يأذن له (٢) حديث عائشة تزوجني رسول الله صلى الله عليه وسلم في شوال وبني في شوال م .

فيوصل بالكسب تارة وبلاسترقاق والدروزة تارة أخرى وباستجلاب الوصف إلى نفسه تارة لعله أنه قيم بذلك صالح لإيصاله إلى الوقوف عليهم ولا يبالى أن يدخل في كل مدخل لا يذمه الشرع لحيازة الفضل بالخدمة ويرى الشيخ نفوذ البصيرة وقوة العلم أن الاتفاق يحتاج إلى علم تام ومعاناة تخليص النية عن شوائب النفس والشهوة الخفية ولو خلصت نية ما رغب في ذلك لوجود مراده فيه وحاله ترك المراد وإقامة مراد الحق . أخبرنا أبو زرعة بإجازة قال أنا أبو بكر أحمد بن علي بن خلف بإجازة قال أنا الشيخ أبو عبد الرحمن السلمي يقول سمعت محمد بن الحسين بن الحشاش يقول سمعت جعفر بن محمد يقول سمعت الجنيدي يقول سمعت

بأن تكون من أصوله أو فصول أول أصوله أو من أول فصل من كل أصل بعده أصل وأغنى بالأصول الأمهات والجندات وبفصوله الأولاد والأحفاد وبفصول أول أصوله الإخوة وأولادهم وبأول فصل من كل أصل بعده أصل العمات والحالات دون أولادهن . العاشر : أن تكون محرمة بالرضاع ويحرم من الرضاع ما يحرم من النسب من الأصول والفصول كما سبق ولكن المحرم خمس رضعات وما دون ذلك لا يحرم . الحادى عشر : المحرم بالمصاهرة وهو أن يكون النكاح قد نكح ابنتها أو جدتها أو ملك بعقد أو شبهة عقد [١] من قبل أو وطئها أو وطئ بشبهة في عقد أو وطئ أمها أو إحدى جداتها بعقد أو شبهة عقد فجرد العقد على المرأة يحرم أمهاتها ولا يحرم فروعها إلا بالوطء أو يكون قد نكحها أبوه أو ابنه قبل . الثانى عشر : أن تكون النكحة خامسة أى يكون تحت النكاح أربع سواها إما فى نفس النكاح أو فى عدة الرجعة فإن كانت فى عدة بينونة لم تمنع الخامسة . الثالث عشر : أن يكون تحت النكاح أختها أو عماتها أو خالتها فيكون بالنكاح جامعا بينهما وكل شخصين بينهما قرابة لو كان أحدهما ذكرا والآخر أنثى لم يحز بينهما النكاح فلا يجوز أن يجمع بينهما . الرابع عشر : أن يكون هذا النكاح قد طلقها ثلاثا فهي لا تحل له مالم يطأها زوج غيره فى نكاح صحيح . الخامس عشر : أن يكون النكاح قد لاعنها فاتها تحرم عليه أبدا بعد الطلاق . السادس عشر : أن تكون محرمة بهج أو عمره أو كان الزوج كذلك فلا ينقذ النكاح إلا بمدة تمام التحلل . السابع عشر : أن تكون ثيبا صغيرة فلا يصح نكاحها إلا بعد البلوغ . الثامن عشر : أن تكون بتيمة فلا يصح نكاحها إلا بعد البلوغ . التاسع عشر : أن تكون من أزواج رسول الله صلى الله عليه وسلم ممن توفى عنها أو دخل بها فانهن أمهات المؤمنين وذلك لا يوجد فى زماننا فهذه هى الواضع المحرمة . أما الحصول للطبيعية للعيش التى لابد من مراعاتها فى المرأة ليوم العقد وتتوفر مقاصده ثمانية : الدين والخلق والحسن وخفة المهر والولادة والبكارة والنسب وأن لا تكون قرابة قريبة . الأولى أن تكون صالحة ذات دين فهذا هو الأصل وبه ينبغي أن يقع الاعتناء فاتها إن كانت ضعيفة الدين فى صيانة نفسها وفزوجها أرزت زوجها وسودت بين الناس وجهه وشوشت بالغيرة قلبه وتنقص بذلك عيشه فإن سلك سبيل الحمية والغيرة لم يزل فى بلاء وعنة وإن سلك سبيل التساهل كان متهاونا بدينه وعرضه ومنسوبا إلى قلة الحمية والأثقة وإذا كانت مع الفساد جميلة كان بلاؤها أشد إذ يشق على الزوج مفارقتها فلا يصبر عنها ولا يصبر عليها ويكون كالذى جاء إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال يا رسول الله إن لى امرأة لا ترد يد لاس قال طلقها فقال إني أحبها قال أمسكها (١) وإنما أمره بامساكها خوفا عليه بأنه إذا طلقها أتبعها نفسه وفسد هو أيضا معها فرأى ما فى دوام نكاحه من دفع الفساد عنه مع ضيق قلبه أولى وإن كانت فاسدة الدين باستهلاك ماله أو بوجه آخر لم يزل العيش مشوشا معه فإن سكنت ولم ينكره كان شريكا فى العصية مخالفا لقوله تعالى - قوا أنفسكم وأهليكم نارا - وإن أنكره وخاصم تنقص العمر ولهذا بالغ رسول الله صلى الله عليه وسلم فى التحريض على ذات الدين فقال « تنكح المرأة لما لها وجمالها وحسبها » (١) حديث جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال إن لى امرأة لا ترد يد لاس قال طلقها الحديث د ن من حديث ابن عباس قال ن ليس بثابت والرسول أولى بالصواب وقال أحمد حديث منكر وذكره ابن الجوزى فى الموضوعات .

[١] قوله أو ملك بعقد أو شبهة عقد ليس بنسخة الشارح وهو الصواب لأن الملك ليس من المحرمات اهـ .

السرى يقول أعرف طريقا مختصرا قصدا إلى الجنة فقلت له ماهو قال لا تسأل من أحد شيئا ولا تأخذ من أحد شيئا ولا يكن معك شيء تغطى منه أحدا شيئا والخدام يرى أن من طريق الجنة الخدمة والبذل والإيثار فيقدم الخدمة على التوافل ويرى فضلا للخدمة فضل على النافلة التى يأتى بها العبد طالبا لها الثواب غير النافلة التى يتوخى بها صحة حاله مع الله تعالى لوجود عقد قبل وعد . وما يدل على فضل الخدمة على النافلة ما أخبرنا أبو زرعة قال أخبرنى والذى الحافظ القدسى قال أنا أبو بكر محمد بن أحمد السمسار بأصفهان قال أنا إبراهيم بن عبد الله ابن خرشيد قال حدثنا الحسين بن إسماعيل الحمامل قال

ودينها فليك بذات الدين تربت يداك^(١) وفي حديث آخر «من نسكح المرأة لمالها وجمالها حرم جمالها ومالها ومن نسكحها لدينها رزقه الله مالها وجمالها^(٢)» وقال صلى الله عليه وسلم «لا تنكح المرأة لجمالها فلعل جمالها يرد بها ولا لمالها فلعل مالها يطمسها وينكح المرأة لدينها^(٣)» وإنما بالغ في الحث على الدين لأن مثل هذه المرأة تكون عوناً على الدين فأما إذا لم تكن متدينة كانت شاغلة عن الدين ومشوشة له. الثانية حسن الخلق وذلك أصل مهم في طلب القراغة والاستعانة على الدين فانها إذا كانت سليطة بذية اللسان سيئة الخلق كافرة للنم كان الضرر منها أكثر من النفع والصبر على لسان النساء مما يعتجن به الأولياء قال بعض العرب : لا تنكحوا من النساء ستة إلا نانة ولا مائة ولا خاتنة ولا تنكحوا أحداً قولا براقاً ولا شداقة . أما الأنانة فهي التي تكثر الأنين والتشكي وتصب رأسها كل ساعة فتكاح المراضعة أو تنكح النمارضة لاخريفه ، وللنانة التي تمنى على زوجها فتقول فلتك لأجلك كذا وكذا ، والخنانة التي تمنى إلى زوج آخر أو ولدها من زوج آخر وهذا أيضاً مما يجب اجتنابه ، والحدافة التي ترمى إلى كل شيء بعدتها فتشبهه وتنكح الزوج شراءه ؛ والبراقة تحتل معنيين أحدهما أن تكون طول النهار في تقبيل وجهها وتزيينه ليكون لوجهها بريق يحصل بالصنع والثاني أن تغضب على الطعام فلا تأكل إلا وحدها وتستقل نصيبها من كل شيء وهذه لغة عمانية يقولون برقت المرأة وبرق الصبي الطعام إذا غضب عنده ، والشداقة للشفقة الكثيرة الكلام ومنه قوله عليه السلام « إن الله تعالى يفيض الثرائين للتشدين^(٤) » وحكى أن السامع الأزدى لقي إلياس عليه السلام في سياحته فأمره بالتزوج ونهاه عن التبتل ثم قال لا تنكح أربما المختلة والبارية والعامرة والناشر ، فأما المختلة فهي التي تطلب الخلع كل ساعة من غير سبب ، والبارية الباهية بغيرها للفاخرة بأسباب الدنيا ، والعامرة القاسقة التي تعرف بخليل وخن وهي التي قال الله تعالى - ولا متخذات أخدان - والناشر التي تعول على زوجها بالفعال والقتال والنشر العالي من الأرض ، وكان على رضى الله عنه يقول : شر خصال الرجال خير خصال النساء البخل والزهو والجبن فان المرأة إذا كانت بخيلة حفظت مالها ومال زوجها وإذا كانت مزهوة استنكفت أن تكلم كل أحد بكلام لين حبيب وإذا كانت جبانة فرقت من كل شيء فلم تخرج من بيتها واتفقت مواضع التهمة خيفة من زوجها فهذه الحكايات ترشد إلى مجامع الأخلاق المطلوبة في النكاح . الثالثة حسن الوجه فذلك أيضاً مطلوب إذ به يحصل التحسن والطبع لا يكتفى بالديمعة غالباً كيف والغالب أن حسن الخلق والخلق لا يفرقان وما نقلناه من الحث على الدين وأن المرأة لا تنكح لجمالها ليس زاجراً عن رعاية الجمال بل هو زجر عن النكاح لأجل الجمال المحض مع الفساد في الدين فان الجمال وحده في غالب الأمر يرغب في النكاح ويهون أمر الدين ويبدل على الالتفات إلى

(١) حديث تنكح المرأة لمالها وجمالها وحسبها ودينها فليك بذات الدين مثقف عليه من حديث أنى هريرة (٢) حديث من نكح المرأة لمالها وجمالها حرم مالها وجمالها الحديث الطبراني في الأوسط من حديث أنس من تزوج امرأة لمزها لم يزد الله إلا ذلاً ومن تزوجها لمالها لم يزد الله إلا فقراً ومن تزوجها لحسبها لم يزد الله إلا دناءة ومن تزوج امرأة لم يرد بها إلا أن يفض بصره ويحسن فرجه أو يصل رحمه بركة الله له فيها وبارك لها فيه ورواه حب في الضفباء (٣) حديث لا تنكح المرأة لجمالها فقل جمالها يرد بها . من حديث عبد الله بن عمرو بسند ضعيف (٤) حديث إن الله يفيض الثرائين للتشدين وحسنه من حديث جابر وإن أبغضكم إلى وأبعدكم منى يوم القيامة الثرثارون والمتشدقون، ولأنى داود والترمذى وحسنه من حديث عبد الله بن عمرو إن الله يفيض البليغ من الرجال الذى يتخلل بلسانه تخلل الباقرة بلسانها .

ثنا أبو السائب قال
ثنا أبو معاوية قال
ثنا غاصم عن مورق
عن أنس قال كنا مع
رسول الله صلى الله
عليه وسلم لنا الصائم
ومنا للفقير فنزلنا منزلاً
في يوم حار شديد
الحر لنا من يتقى
الشمس يده
وأكثرنا ظلاً صاحب
الكساء يستظل به
فنام الصائمون وقام
الفقيرون فضربوا
الأبنية وسقوا الركاب
فقال رسول الله صلى
الله عليه وسلم « ذهب
اللفطرون اليوم بالأجر »
وهذا حديث يدل على
فضل الخدمة على النافذة
والخادم له مقام عزيز
يرغب فيه فأما من
لم يعرف تخليص النية
من شوائب النفس
ويتشبه بالخادم
ويتصدى لخدمة
الفقراء ويدخل في
مداخل الخدام بحسن
الارادة بطلب الناس
بالخدام فتصكون

معنى الجمال أن الألف والمودة تحصل به غالبا وقد ندب الشرع إلى مراعاة أسباب الألفة ولذلك استحب النظر فقال « إذا أوقع الله في نفس أحدكم من امرأة فلينظر إليها فإنه أحرى أن يؤدم بينهما ^(١) » أي يؤلف بينهما من وقوع الألفة على الألفة وهي الجملة الباطنة والبشرة الجملة الظاهرة وإنما ذكر ذلك للبالغة في الائتلاف وقال عليه الصلاة والسلام « إن في أعين الأنصار شيئا فإذا أراد أحدكم أن يتزوج منهن فلينظر إليهن ^(٢) » قيل كان في أعينهم عشي وقيل صغر وكان بعض الورعين لا يتكحون كراهم إلا بعد النظر احترازا من الغرور وقال الأعمش كل تزويج يقع على غير نظر فأخروه ثم وغم ومعلوم أن النظر لا يعرف الحلق والدين والمال وإنما يعرف الجمال من التبع وروى أن رجلا تزوج على عهد عمر رضي الله عنه وكان قد خضب فنصل خضابه فاستعدى عليه أهل المرأة إلى عمر وقالوا حسبيته شابا فأوجبه عمر ضربا وقال غررت القوم وروى أن بلالا وصييا أنيا أهل بيت من العرب غلبا إليهم فقبل لهمامن أنما فقال بلال أنا بلال وهذا أخي صيب كنا ضالين فهدانا الله وكنا عموكين فأعقنا الله وكنا عائلين فأغنا الله فان تزوجونا فالحمد لله وإن تردونا فسيحان الله قالوا بل تزوجنا والحمد لله فقال صيب لبلال لو ذكرت مشاهدنا وسواقتنا مع رسول الله ﷺ فقال استك قد صدقت فأنكحك الصدق ، والغرور يقع في الجمال والحلق جميعا فيستحب إزالة الغرور في الجمال بالنظر وفي الحلق بالوصف والاستيصال فينبغي أن يقدم ذلك على النكاح ولا يوصف في أخلاقها وجمالها إلا من هو بصير صادق خبير بالظاهر والباطن ولا يميل إليها فيفرط في الثناء ولا يحسدها فيقصير فالطباع مائلة في مبادئ النكاح ووصف النكوحات إلى الإفراط والتفريط وقل من يصدق فيه ويقتصد بل الحداد والاعتراف أغلب والاحتياط فيه مهم لمن يخشى على نفسه التشوف إلى غير زوجته . فأما من أراد من الزوجة مجرد السنة أو الولد أو تدبير المنزل فهو رغب عن الجمال فهو إلى الزهد أقرب لأنه على الجملة باب من الدنيا وإن كان قديمين على الدين في حق بعض الأشخاص قال أبو سليمان الداراني الزهد في كل شيء حتى في المرأة يتزوج الرجل العجوز إشارا للزهد في الدنيا وقد كان مالك بن دينار رحمه الله يقول بترك أحدكم أن يتزوج بتيمة فيؤجر فيها إن أطعمها وكساها تكون خفيفة الثؤنة ترضى باليسير ويتزوج بنت فلان وفلان يعني أبناء الدنيا فتشبهى عليه الشهوات وتقول اكسني كذا وكذا واختار أحمد بن حنبل عوراء على أختها وكانت أختها جميلة فسأل من أعقلهما فقبل العوراء فقال زوجوني إياها فهذا دأب من لم يقصد التمتع ، فأما من لا يأمن على دينه مالم يكن له مستمتع فليطلب الجمال فالتلذذ بالمباح حصن للدين . وقد قيل إذا كانت المرأة حسنة خيرة الأخلاق سوداء الحدقة والشعر كبيرة العين بيضاء اللون محبة لزوجها قاصرة الطرف عليه فهي على صورة الحور العين فإن الله تعالى وصف نساء أهل الجنة بهذه الصفة في قوله - خيرات حسان - أراد بالخيرات حسنات الأخلاق وفي قوله - قاصرات الطرف - وفي قوله - عربا آرابا - العروب هي العاشقة لزوجها المشتهية للوقوع به تتم اللذة والحور البياض والحوراء شديدة بياض العين شديدة سوادها في سواد الشعر والعيناء الواسعة العين . وقال عليه الصلاة والسلام « خير نساءكم من إذا نظر إليها زوجها سرته وإذا أمرها أطاعته وإذا غاب

خدمته مشوبة منها ما يصيب فيها لموضع إيمانه وحسن إرادته في خدمة القوم ومنها ما لا يصيب فيها لما فيه من مزج الهوى فيضع الشيء في غير موضعه وقد يخدم جهوا في بعض تصاريفه ويخدم من لا يستحق الخدمة في بعض أوقاته ويجب الخدمة والثناء من الحلق مع ما يجب من الثواب ورضا الله تعالى وزجرا خدم للثناء وربما امتنع من الخدمة لوجود هوى يغامره في حق من يلقاه بعكروه ولا يراعى واجب الخدمة في طرف الرضا والغضب لانحراف مزاج قلبه بوجود الهوى والخدم لا يتبع الهوى في الخدمة في الرضا والغضب ولا يأخذ في الله لومة لائم ويضع الشيء موضعه فإذا كان الشخص الذي وصفناه آتفا متخادما وليس بخادما ولا يميز بين

(١) حديث إذا أوقع الله في نفس أحدكم من امرأة فلينظر إليها فإنه أحرى أن يؤدم بينهما ابن ماجه بسند ضعيف من حديث أحمد بن مسleme دون قوله فإنه أحرى ولا ترمذى وحسنه والذماني وابن ماجه من حديث المغيرة بن شعبه أنه خطب امرأة فقال النبي صلى الله عليه وسلم انظر إليها فإنه أحرى أن يؤدم بينكما (٢) حديث إن في أعين الأنصار شيئا فإذا أراد أحدكم أن يتزوج منهن فلينظر إليهن مسلم من حديث أبي هريرة نحوه .

عنها حفظته في نفسها وماله^(١) » وإنما يسر بالنظر إليها إذا كانت حجة للزوج . الرابعة أن تكون خفيفة الهر . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « خير النساء أحسنهن وجوها وأرخصهن مهورا^(٢) » وقد نهى عن المغالة في المهر^(٣) تزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم بعض نسائه على عشرة دراهم وأثاث بيت وكان رحي يد وجرة ووسادة من آدم حشوها ليف^(٤) ، وأولم على بعض نسائه عديدين من شعير^(٥) وعلى أخرى عديدين من تمر ومدين من سويق^(٦) ، وكان عمر رضى الله عنه ينهى عن المغالة في الصداق ويقول مات تزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا زوج بناته بأكثر من أربع مائة درهم^(٧) ولو كانت المغالة بمهور النساء مكرمة لسبق إليها رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد تزوج بعض أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم على نواة من ذهب قيمتها خمسة دراهم^(٨) وزوج سعيد بن المسيب ابنته من أبي هريرة رضى الله عنه على درهمين ثم حملها هو إليه ليلا فأدخلها هو من الباب ثم انصرف ثم جاءها بعد سبعة أيام فلم عليها ولو تزوج على عشرة دراهم للخروج عن خلاف العلماء فلا بأس به وفي الخبر « من بركة المرأة سرعة تزويجها وسرعة رحما » أى الولادة « ويسر مهرها^(٩) » وقال أيضا « أبركهن أقلهن مهرا^(١٠) » وكانت كره المغالة في المهر من جهة المرأة

(١) حديث خير نساكم التي إذا نظر إليها زوجها سرته وإن أمرها أطاعته وإذا غاب عنها حفظته في نفسها وماله النساء من حديث أبي هريرة نحوه بسند صحيح وقال ولا تغالfe في نفسها ولا مالها وعند أحمد في نفسها وماله ولأبي داود نحوه من حديث ابن عباس بسند صحيح (٢) حديث خير النساء أحسنهن وجوها وأرخصهن مهورا ابن حبان من حديث ابن عباس خيرهن أسرهن صداقا وله من حديث عائشة من عن المرأة تسهيل أمرها وقلة صداقها وروى أبو عمر التوقاني في كتاب معاشرته الأهلين إن أعظم النساء بركة أصبحن وجوها وأقلهن مهرا وصححه (٣) حديث النبي عن المغالة في المهر أصحاب السنن الأربعة موقوفا على عمر وصححه الترمذى (٤) حديث تزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم بعض نسائه على عشرة دراهم وأثاث بيت وكان رحي يد وجرة ووسادة من آدم حشوها ليف أبو داود الطيالسي والبخاري من حديث أنس تزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم أم سلمة على متاع بيت قيمته عشرة دراهم قال البخاري ورأيت في موضع آخر تزوجها على متاع بيت ورحى قيمته أربعون درهما ورواه الطبراني في الأوسط من حديث أبي سعيد وكلاهما ضعيف ولأحمد من حديث على لما زوجه فاطمة بث معها بخميلة ووسادة آدم حشوها ليف ورحلين وسقاء وجرتين ورواه الحاكم وصححه إسناده وابن حبان مختصرا (٥) حديث أولم على بعض نسائه عديدين من شعير البخاري من حديث عائشة (٦) حديث وأولم على أخرى عديدين تمر ومدى سويق الأربعة من حديث أنس أولم على صفية بسويق وتمر ولمسلم فجعل الرجل يحىء بفضل التمر وفضل السويق وفي الصحيحين التمر والأنط والسمن وليس في شيء من الأصول تقييد التمر والسويق عديدين (٧) حديث كان عمر ينهى عن المغالة ويقول مات تزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا زوج بناته بأكثر من أربع مائة درهم الأربعة من حديث عمر قال الترمذى حسن صحيح (٨) حديث تزوج بعض أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم على وزن نواة من ذهب يقال قيمتها خمسة دراهم متفق عليه من حديث أنس أن عبد الرحمن بن عوف تزوج على ذلك وتقويها بخمسة دراهم رواه البيهقي (٩) حديث من بركة المرأة سرعة تزويجها وسرعة رحما أى الولادة وتيسر مهرها أحمد والبيهقي من حديث عائشة من عن المرأة أن تيسر خطبتها وأن يتيسر صداقها وأن يتيسر رحما قال عروة يعنى الولادة وإسناده جيد (١٠) حديث أبركهن أقلهن مهرا أبو عمر التوقاني في معاشرته الأهلين من حديث عائشة إن أعظم النساء بركة أصبحن وجوها وأقلهن مهرا وقد تقدم ولأحمد والبيهقي أن أعظم النساء بركة أسرهن

الحادم والتخادم إلا من له علم بصحة النبات وتخليصها من شوائب الهوى والتخادم النجيب يبلغ ثواب الحادم في كثير من تصاريفه ولا يبلغ رتبته لتخلفه عن حاله بوجود مزج هواه وأما من أقيم لخدمة الفقراء بتسليم وقف إليه أو توفير رفق عليه وهو يخدم لئال بصييه أو حظ عاجل يدركه فهو في الخدمة لنفسه لا لغيره فلواقطع رفقه ماخدم وربما استخدم من يخدم فهو مع حظ نفسه يخدم من يخدمه ويحتاج إليه في المحافل يتكثربه ويقم به جاء نفسه بكثرة الأتباع والأشباع فهو خادم هواه وطالب دنياه يحرم مناره وليله في تحصيل ما يقيم به جاهه ويرضى نفسه وأهله وولده فيتسع في الدنيا ويتزنا بغير رضى الخدام والفقراء وتنتشر نفسه

فيكره السؤال عن مالها من جهة الرجل ولا ينبغي أن ينكح طمعا في المال قال الثوري إذا تزوج وقال أي شيء للمرأة فاعلم أنه ليس وإذا أهدى إليهم فلا ينبغي أن يهدى ليضطرم إلى المقابلة بأكثر منه وكذلك إذا أهدوا إليه فية طلب الزيادة نية فاسدة فأما التهادي فمستحب وهو سبب المودة قال عليه السلام «تهادوا تحابوا» (١) «وأما طلب الزيادة فداخل في قوله تعالى - ولأن تنكح - أي تعطى لطلب أكثر وتحت قوله تعالى - وما آتيت من ربا ليربوا في أموال الناس - فإن الربا هو الزيادة وهذا طلب زيادة على الجملة وإن لم يكن في الأموال الربوية فكل ذلك مكروه وبدعة في النكاح يشبه التجارة والقمار ويفسد مقاصد النكاح . الخامسة أن تكون المرأة ولودا فإن عرفت بالعقر فليمتنع عن تزوجها قال عليه السلام «عليكم بالولود الودود» (٢) «فإن لم يكن لها زوج ولم يعرف حالها فإراعى صحتها وشاؤها فإنها تكون ولودا في الغالب مع هذين الوصفين . السادسة أن تكون بكرًا قال عليه السلام لجابر وقد نكح ثيبا «هلا بكرا اتلاعها وتلاعبك» (٣) «وفي البكارة ثلاث فوائد إحداها أن تحب الزوج وتألفه فيؤثر في معنى الود وقد قال ﷺ «عليكم بالودود» والطباع مجبولة على الأنس بأول ما لوف. وأما التي اختبرت الرجال ومارست الأحوال فرعا لا ترضى بعض الأوصاف التي تخالف ما ألقت فتقتل الزوج . الثانية أن ذلك أكل في مودته لها فإن الطبع ينفر عن التي مسها غير الزوج نفرة ما وذلك يتقل على الطبع مهما يذكر وبعض الطباع في هذا أشد نفورا . الثالثة أنها لا تنحن إلى الزوج الأول وآ كدالحب ما يقع مع الحبيب الأول غالبا : السابعة أن تكون نسية أعني أن تكون من أهل بيت الدين والصالح فانها تستر بناتها وبنيها فإذا لم تكن مؤدبة لم تحسن التأديب والتربية ولذلك قال عليه السلام «إياكم وخضراء الدمن قليل ما خضراء الدمن قال ثارئة الحسناء في النبت السوء» (٤) «وقال عليه السلام» تخيروا لنطفكم فإن العرق نزاع» (٥) . الثامنة أن لا تكون من القرابة القريبة فإن ذلك يقلل الشهوة قال صلى الله عليه وسلم «لا تنكحوا القرابة القريبة فإن الولد يخاف ضاويا» (٦) «أي تخيفا وذلك لتأثيره في تضعيف الشهوة فإن الشهوة إنما تنبعث بقوة الاحساس بالنظر واللمس وإنما يقوى الاحساس بالأمر الغريب الجديد فأما اليهود الذي دام النظر إليه مدة فانه يضعف الحس عن تمام إدراكه والتأثر به ولا تنبعث به الشهوة فهذه هي الخصال المرغوبة في النساء ويجب على الولي أيضا أن يراعى خصال الزوج ولينظر لكرمه فلا يزوجه ممن ساء خلقه أو خلقه أوضف دينه أو قصر عن القيام بخونها أو كان لا يكافئها

بطلب المخطوط
ويستولى عليه حب
الرياسة وكلما كثر رقه
كثرت مواد هواه
واستطاع على الفقراء
ويحوج الفقراء إلى
التخلق المفرط له تطلبا
لرضاءه وتوقيا لضيئه
وميله عليهم بقطع
ما ينوبهم من الوقف
فهذا أحسن حاله أن
يسمى مستخدما فليس
بمخادم ولا متخدما ومع
ذلك كله ربما نال
برحمتهم باختياره
خدمتهم على خدمة
غيرهم وبناته إلى إلههم
وقد أوردنا الخبر السند
الدين في سياقه «هم القوم
الذي لا يشقى بهم
جليسهم» والله الموفق
والعلمين .

[الباب الثاني عشر
في شرح خرقه الشايع
الصوفية]

لبس الخرقه ارتباط بين
الشيخ وبين المريد
وتحكيم من المريد
للشيخ في نفسه
والتحكيم سائق في
الشرع لصالح دينوية

صداقا وإسناده جيد (١) حديث تهادوا تحابوا البخاري في كتاب الأدب المفرد والبيهقي من حديث أبي هريرة بسند جيد (٢) حديث عليكم بالودود الودود أبو داود والنسائي من حديث معقل بن يسار تزوجوا الودود الودود وإسناده صحيح (٣) حديث قال جابر وقد نكح ثيبا هلا بكرا اتلاعها وتلاعبك متفق عليه من حديث جابر (٤) حديث إياكم وخضراء الدمن قليل وما خضراء الدمن قال المرأة الحسناء في النبت السوء الدارقطني في الأفراد والرامهرمزي في الأمثال من حديث أبي سعيد الخدري قال الدارقطني تفرد به الواقدي وهو ضعيف (٥) حديث تخيروا لنطفكم فإن العرق دحاس ابن ماجه من حديث عائشة مختصرا دون قوله فإن العرق وروى أبو منصور الديلمي في مسند الفردوس من حديث أنس تزوجوا في الحجر الصالح فإن العرق دساس وروى أبو موسى التميمي في كتاب تضييع العمر والأيام من حديث ابن عمر وانظر في أي نصاب تضع لذلك فإن العرق دساس وكلاهما ضعيف . (٦) حديث لا تنكحوا القرابة فإن الولد يخاف ضاويا قال ابن الصلاح لم أجده أصلا معتمدا . قلت إنما يعرف من قول عمر إنه قال لآل السائب قد أضويتم فانكحوا في التوابغ رواه إبراهيم الحارثي في غريب الحديث وقال معناه تزوجوا الغرائب قال ويقال اغربوا ولا تضووا .

في نسبها قال عليه السلام « النكاح رق فليُنظر أحدكم أين يضع كريمة (١) » والاحتياط في حقها أهم لأنها رقيقة بالنكاح لا يخلص لها والزوج قادر على الطلاق بكل حال ومهما زوج ابنته ظلما أو فاسقا أو مبتدعا أو شاربا خمر فقد جنى على دينه وتعرض لخطأ الله لما قطع من حق الرحم وسوء الاختيار وقال رجل للحسن قد خطب ابنتي جماعة فمن أزوجها ؟ قال ممن يتقى الله فإن أحبها أكرمها وإن أبغضها لم يظلمها وقال عليه السلام « من زوج كريمة من فاسق فقد قطع رحمها (٢) » .

الباب الثالث : في آداب العاشرة وما يجري في دوام النكاح والنظر فيما على الزوج وفيما على الزوجة .

أما : الزوج فعليه مراعاة الاعتدال والأدب في اثني عشر أمرا في الوليمة والعاشرة والدعابة والسياسة والغيرة والنفقة والتعليم والقسم والتأديب في النشوز والوقوع والولادة والمفارقة بالطلاق . الأدب الأول الوليمة وهي مستحبة قال أنس رضي الله عنه « رأى رسول الله ﷺ على عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه أثر صفرة فقال ما هذا فقال تزوجت امرأة على وزن نواة من ذهب فقال بارك الله لك أولم ولو بشاة (٣) » وأولم رسول الله صلى الله عليه وسلم على صفية بتمر وسويق (٤) وقال صلى الله عليه وسلم « طعام أول يوم حق وطعام الثاني سنة وطعام الثالث سمعة ومن سمع مع الله به (٥) » ولم يرفعه إلا زياد ابن عبد الله وهو غريب وتستحب تهنيئته فيقول من دخل على الزوج : بارك الله لك وبارك عليك وجمع بينكما في خير (٦) وروى أبو هريرة رضي الله عنه أنه عليه السلام أمر بذلك ويستحب إظهار النكاح قال عليه السلام « فصل ما بين الحلال والحرام الدف والصوت (٧) » وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « أعلنوا هذا النكاح واجعلوه في المساجد واضربوا عليه بالدفوف (٨) » وعن الربيع بنت معوذ قالت « جاء رسول الله ﷺ فدخل على غداة بني بى فجلس على فراشي وجواريات لنا يضربن بدفهن ويندن من قتل من آبائي إلى أن قالت إحداهن * فبنا نبى يعلم ما في غد * فقال لها اسكتي عن هذه وقولي الذي كنت تقولين قبلها (٩) » . الأدب الثاني : حسن الخلق معهن

(١) حديث النكاح رق فليُنظر أحدكم أين يضع كريمة رواه أبو عمر التوفاني في مباشرة الأهلين موقوفا على عائشة وأسماء ابنتي أبي بكر . قال البيهقي وروى ذلك مرفوعا والموقوف أصح (٢) حديث من زوج كريمة من فاسق فقد قطع رحمها ابن حبان في الضعفاء من حديث أنس ورواه في الثقات من قول الشعبي بإسناد صحيح .

(الباب الثالث في آداب العاشرة)

(٣) حديث أنس رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم على عبد الرحمن بن عوف أثر الصفرة فقال ما هذا قال تزوجت امرأة على وزن نواة من ذهب فقال بارك الله لك أولم ولو بشاة متفق عليه (٤) حديث أولم على صفية بسويق وتمر الأربعة من حديث أنس ولمسلم نحوه وقد تقدم (٥) حديث طعام أول يوم حق وطعام الثاني سنة وطعام الثالث سمعة ومن سمع مع الله به قال المصنف لم يرفعه إلا زياد بن عبد الله قلت هكذا قال الترمذي بعد أن أخرجه من حديث ابن مسعود وضعفه (٦) حديث أبي هريرة في تهنيئة الزوج بارك الله لك وبارك عليك وجمع بينكما في خير أبو داود والترمذي وصححه وابن ماجه وتقدم في الدعوات (٧) حديث فصل ما بين الحلال والحرام الدف والصوت الترمذي وحسنه وابن ماجه من حديث محمد بن حاطب (٨) حديث أعلنوا هذا النكاح واجعلوه في المساجد واضربوا عليه بالدف الترمذي من حديث عائشة وحسنه وضعفه البيهقي (٩) حديث الربيع بنت معوذ جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم فدخل على غداة بني بى فجلس على فراشي وجواريات لنا يضربن بدفوفهن الحديث رواه البخاري وقال يوم بدر وقع في بعض نسخ الإحياء يوم يمات وهو وهم .

فإذا ينكر النكر
لبس الحرقه على طالب
صادق في طلبه يتقصده
شيخا بحسن ظن
وعقيد يحكمه في نفسه
لمصالح دينه يرشده
ويهديه ويعرفه طريق
الواجب ويصمره
بآفات النفوس وفساد
الأعمال ومداخل
العدو فيسلم نفسه
إليه ويستسلم رأيه
واستصوابه في جميع
تصاريفه فيلبسه الحرقه
إظهارا للتصرف فيه
فيكون لبس الحرقه
علامة التفويض
والتسليم ودخوله في
حكم الشيخ دخوله
في حكم الله وحكم رسوله
وإحياء سنة المبايعه
مع رسول الله صلى الله
عليه وسلم . أخبرنا
أبو زرعة قال أخبرني
والذي الحافظ المقدسي
قال أنا أبو الحسين
أحمد بن محمد البزار
قال أنا أحمد بن محمد
أخي يميم قال ثنا يحيى
ابن محمد بن صاعد

واحتال الأذى منهن ترحمنا عليهن لقصور عقولهن قال الله تعالى - وعاشروهن بالمعروف - وقال في تعظيم حقهن - وأخذن منكم ميثاقا غليظا - وقال - والصاحب بالجانب - قيل هي المرأة « وآخر ما وصى به رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاث كان يتكلم بهن حتى تلجلج لسانه وخفي كلامه جعل يقول: الصلاة الصلاة وماملكت أيمانكم لا تكلفوهم ما لا يطيقون الله الله في النساء فانهن عوان في أيديكم يعني أسراهن أخذتموهن بأمانة الله واستحللتم فروجهن بكلمة الله ^(١) » وقال عليه السلام « من صبر على سوء خلق امرأته أعطاه الله من الأجر مثل ما أعطى أيوب على بلائه ومن صبرت على سوء خلق زوجها أعطاه الله مثل ثواب أمية امرأة فرعون ^(٢) » . واعلم أنه ليس حسن الخلق معها كف الأذى عنها بل احتمال الأذى منها والحلم عند طيشها وغضبها اقتداء برسول الله صلى الله عليه وسلم فقد كانت أزواجه تراجعنه الكلام وتهجره الواحدة منهن يوما إلى الليل ^(٣) وراجعت امرأة عمر رضي الله عنه عمر في الكلام فقال أتراجعيني بالكساء قالت إن أزواج رسول الله صلى الله عليه وسلم راجعنه وهو خير منك ^(٤) فقال عمر خابت حفصة وخسرت إن راجعنه ثم قال لحفصة لا تغتري بآبنة ابن أبي قحافة فانها حب رسول الله صلى الله عليه وسلم وخوفها من المراجعة وروى أنه دفعت إحداهن في صدر رسول الله صلى الله عليه وسلم فزبرتها أمها فقال عليه السلام دعها فانهن يصنعن أكثر من ذلك ^(٥) وجرى بينه وبين عائشة كلام حتى أدخلها بينهما أبا بكر رضي الله عنه حكما واستشهد فقال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم تكلمين أو أنتكلمين فقالت بل تكلم أنت ولا تقل إلا حقا فبلغها أبو بكر حتى دمي فوها وقاله بإعديتها نفسها أو يقول غير الحق فاستجارت رسول الله صلى الله عليه وسلم وقعدت خلف ظهره فقال له النبي صلى الله عليه وسلم لم ندعك لهذا ولا أردنا منك هذا ^(٦) وقالت له مرة في كلام غضبت عنده أنت الذي تزعم أنك نبي الله فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم واحتدل ذلك حلما وكرما ^(٧)

(١) حديث آخر ما وصى به رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاث كان يتكلم بهن حتى تلجلج لسانه وخفي كلامه جعل يقول الصلاة وماملكت أيمانكم لا تكلفوهم ما لا يطيقون الله الله في النساء فانهن عوان عندكم الحديث النسائي في الكبرى وابن ماجه من حديث أم سلمة أن النبي صلى الله عليه وسلم وهو في الموت جعل يقول الصلاة وماملكت أيمانكم فما زال يقولها وما يقبض بها لسانه وأما الوصية بالنساء فالمعروف أن ذلك كان في حجة الوداع رواء مسلم من حديث جابر الطويل وفيه فالتقوا الله في النساء فانكم أخذتموهن بأمانة الله الحديث (٢) حديث من صبر على سوء خلق امرأته أعطاه الله من الأجر مثل ما أعطى أيوب على بلائه الحديث لم أقف له على أصل (٣) حديث كان أزواجه صلى الله عليه وسلم تراجعنه الحديث وتهجره الواحدة منهن يوما إلى الليل متفق عليه من حديث عمر في الحديث الطويل في قوله تعالى - فان نظاهرا عليه - (٤) حديث وراجعت امرأة عمر في الكلام فقال أتراجعيني بالكساء قالت إن أزواج رسول الله صلى الله عليه وسلم راجعنه وهو خير منك الحديث هو الحديث الذي قبله وليس فيه قوله بالكساء ولا قولها هو خير منك (٥) حديث دفعت إحداهن في صدر رسول الله صلى الله عليه وسلم فزبرتها أمها فقال صلى الله عليه وسلم دعها فانهن يصنعن أكثر من ذلك لم أقف له على أصل (٦) حديث جرى بينه وبين عائشة كلام حتى أدخل بينهما أبا بكر حكما الحديث الطبراني في الأوسط والحطيب في التاريخ من حديث عائشة بسند ضعيف (٧) حديث قالت له عائشة مرة غضبت عنده وأنت الذي تزعم أنك نبي فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم أبو يعلى في مسنده وأبو الشيخ في كتاب الأمثال من حديث عائشة وفيه ابن اسحاق وقد نفعه .

قال ثنا عمرو بن طي
ابن حفظة قال سمعت
عبد الوهاب الثقفي
يقول سمعت يحيى
ابن سعيد يقول حدثني
عبادة بن الوليد بن
عبادة بن الصامت قال
أخبرني أبي عن أبيه
قال « يا أيها رسول الله
صلى الله عليه وسلم طي
السمع والطاعة في
السرو والبسر والنشط
والسكره وأن لا تنازع
الأمر أهله وأن تقول
بالحق حيث كنا ولا
تخاف في الله لومة لائم »
ففي الحرقة معنى المباشرة
والحرقة عتبة الدخول
في الصعبة والقصود
الكلية هو الصعبة
وبالصعبة يرجى للريد
كل خير . وروى عن
أبي يزيد أنه قال من لم
يكن له أستاذ فإمامه
الشیطان . وحكي
الأستاذ أبو القاسم
القشيري عن شيخه
أبي طي الدقاق أنه قال
الشجرة إذا نبتت
بنفسها من غير غارس

وكان يقول لها إني لأعرف غضبك من رضاك قالت وكيف تعرفه ؟ قال إذا رضيت قلت لا وإله محمد وإذا غضبت قلت لا وإله إبراهيم قالت صدقت إنما أهبج اسمك ^(١) ويقال إن أول حب وقع في الإسلام حب النبي صلى الله عليه وسلم لعائشة رضي الله عنها ^(٢) وكان يقول لها كنت لك كأي زرع لأم زرع غير أنه لا أطلقك ^(٣) وكان يقول لنسائه « لا تؤذوني في عائشة فانه والله ما نزل على الوحي وأنا في لحاف امرأة منكن غيرها ^(٤) وقال أنس رضي الله عنه كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أرحم الناس بالنساء والصبيان ^(٥) . الثالث أن يزيد على احتمال الأذى بالمداعبة والترح والملاعبة فهي التي تطيب قلوب النساء وقد كان رسول الله ﷺ يعزج معهن وينزل إلى درجات عقولهن في الأعمال والأخلاق حتى روى أنه صلى الله عليه وسلم كان يسابق عائشة في المدو فسبته يوما وسبقها في بعض الأيام فقال عليه السلام هذه بتلك ^(٦) وفي الخبر أنه كان صلى الله عليه وسلم من أفكها الناس مع نسائه ^(٧) وقالت عائشة رضي الله عنها « سمعت أصوات أناس من الحبشة وغيرهم وهم يلعبون في يوم عاشوراء فقال لي رسول الله ﷺ آتبعين أن ترى لعبهم ؟ قالت قلت نعم فأرسل إليهم فجاءوا وقام رسول الله صلى الله عليه وسلم بين البابين فوضع كفه على الباب ومد يده وضعت ذقني على يده وجعلوا يلعبون وأنظروا جعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول حسبك وأقول اسكت مرتين أو ثلاثا ثم قال يا عائشة حسبك فقلت نعم فأشار إليهم فانصرفوا ^(٨) » فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « أكل المؤمنين إيماننا أحسنهم خلقا وألطفهم بأهله ^(٩) » وقال عليه السلام « خيركم خيركم لنسائهم وأخيركم لنسائي ^(١٠) »

(١) حديث كان يقول لعائشة إني لأعرف غضبك من رضاك الحديث متفق عليه في حديثها .
 (٢) حديث أول حب وقع في الإسلام حب النبي صلى الله عليه وسلم لعائشة الشبان من حديث عمرو بن العاص أنه قال أي الناس أحب إليك يا رسول الله قال عائشة الحديث وأما كونه أول فرواه ابن الجوزي في الموضوعات من حديث أنس ولعله أراد بالمدينة كما في الحديث الآخر أن ابن الزبير أول مولود ولد في الإسلام يريد بالمدينة وإلا فحجة النبي صلى الله عليه وسلم لحديجة أمر معروف يشهد له الأحاديث الصحيحة (٣) حديث كان يقول لعائشة كنت لك كأي زرع لأم زرع غير أني لأطلقك متفق عليه من حديث عائشة دون الاستثناء ورواه بهذه الزيادة الزبير بن بكار والخطيب (٤) حديث لا تؤذوني في عائشة فانه والله ما نزل على الوحي وأنا في لحاف امرأة منكن غيرها البخاري من حديث عائشة (٥) حديث أنس كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أرحم الناس بالنساء والصبيان من لم يلفظ ما رأيت أحدا كان أرحم بالعيال من رسول الله صلى الله عليه وسلم زاد على ابن عبد العزيز والبقوي والصبيان (٦) حديث سابقته صلى الله عليه وسلم لعائشة فسبته ثم سبقها وقال هذه بتلك أبو داود والنسائي من الكبرى وابن ماجه في حديث عائشة بسند صحيح (٧) حديث كان من أفكها الناس مع نسائه الحسن بن سفيان في مسنده من حديث أنس دون قوله مع نسائه ورواه البزار والطبراني في الصغير والأوسط فقالا مع صبي وفي إسناده ابن لمية (٨) حديث عائشة سمعت أصوات أناس من الحبشة وغيرهم وهم يلعبون يوم عاشوراء فقال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم آتبعين أن ترى لعبهم الحديث متفق عليه مع اختلاف دون ذكر يوم عاشوراء وإنما قال يوم عيد ودون قولها اسكت وفي رواية للنسائي في الكبرى . قلت لا تعجل مرتين وفيه فقال يا حيراء وسند صحيح (٩) حديث أكل المؤمنين إيماننا أحسنهم خلقا وألطفهم بأهله الترمذي والنسائي واللفظ له والحاكم وقال رواه ثقات على شرط الشيخين (١٠) حديث خياركم خيركم لنسائه وأنا خيركم لنسائي الترمذي وصححه من حديث أبي هريرة دون قوله وأنا خيركم لنسائي وله من حديث عائشة وصححه خيركم خيركم لأهله وأنا خيركم.

لحافها تورق ولا شمر وهو كما قال ويجوز أنها شمر كالأشجار التي في الأودية والجبال ولكن لا يكون لها كهنتها طعم فأكهة البساتين والفرس إذا تقل من موضع إلى موضع آخر يكون أحسن حالا وأكثر نعمة لدخول التصرف فيه وقد اعتبر الشرع وجود التعليم في السكب العلم وأحل ما يقتله بخلاف غير العلم . ونسخت كثيرا من الشاي يقولون من لم يرفلح لا يفلح ولنا في رسول الله صلى الله عليه وسلم أسوة حسنة وأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم تلقوا العلوم والآداب من رسول الله صلى الله عليه وسلم كما روى عن بعض الصحابة « علما رسول الله صلى الله عليه وسلم كل شيء حتى الحرمة » فالمريد الصادق إذا دخل تحت

وقال عمر رضي الله عنه مع خشوته ينبغي للرجل أن يكون في أهله مثل الصبي فإذا التمسوا ما عنده وجد رجلاً . وقال لقمان رحمه الله ينبغي للعاقل أن يكون في أهله كاصبي وإذا كان في القوم وجد رجلاً وفي تفسير الخبر الروي « إن الله يفيض الجعظري الجواظ (١) » قيل هو الشديد على أهله المتكبر في نفسه . وهو أحد ما قيل في معنى قوله تعالى عتَلَّ قيل العتل هو القظ اللسان الغليظ القلب على أهله . وقال عليه السلام لجابر « هلا بكرا تلاعبها وتلاعبك (٢) » ووصفت أعرابية زوجها وقدمات قالت والله لقد كان ضحوكاً إذا ولح سكينتا إذا خرج آكلاً ما وجد غير مسائل عما فقد . الرابع : أن لا يتبسط في الدعابة وحسن الخلق والواقفة باتباع هواها إلى حد يفسد خلقها ويسقط بالكلية هيئته عندها بل يراعى الاعتدال فيه فلا يدع الهية والانقياض مهما رأى منكراً ولا يفتح باب الساعدة على المنكرات أثبتة بل مهما رأى ما يخالف الشرع والروعة تمر وامتنع قال الحسن وأما ما أصبح رجل يطيع امرأته فبات هو يإلا كبه الله في النار . وقال عمر رضي الله عنه خالفوا النساء فإن في خلافهن البركة وقد قيل شاوروهن وخالفوهن وقد قال عليه السلام « نفس عبد الزوجة (٣) » وإنما قال ذلك لأنه إذا أطاعها في هواها فهو عبدها وقد نفس فإن الله ملكة المرأة فملكها نفسه فقد عكس الأمر وقلب القضية وأطاع الشيطان لما قال - ولأمرهم فليغيرن خلق الله - إذ حق الرجل أن يكون منبوعاً لا تابعاً وقد نعى الله الرجال قوامين على النساء ومضى الزوج سيدها فقال تعالى - وألفيا سيدها لدى الباب - فإذا انقلب السيد مسخراً فقد تبدل نعمة الله بكفراً ونفس المرأة على مثال نفسك إن أرسلت عنانها قليلاً جمحت بك طويلاً وإن أرخت عذارها قرأ جذبتك ذراعاً وإن كبحتها وشدت يدك عليها في محل الشدة ملكتها . قال الشافعي رضي الله عنه : ثلاثة إن أكرمهم أهانوك وإن أهنتهم أكرموك المرأة والحامد والنبطي أراد به إن محضت الإكرام ولم تنزع غلظتك بدينك وفظاظتك برفقتك وكانت نساء العرب يملن بناتهن اختبار الأزواج وكانت المرأة تقول لا بنتها اختبري زوجك قبل الإقدام والجراءة عليه انزعى زوج رحمه فإن سكت قططي اللحم على ترسه فإن سكت فكسرى العظام بسينه فإن سكت فاجعلى الا كاف على ظهره وامتيطيه فأنما هو حمارك وعلى الجملة فبالعدل قامت السموات والأرض فكل ما جاوز حده انعكس على ضده فينبغي أن تسلك سبيل الاقتصاد في مخالفة والواقفة وتتبع الحق في جميع ذلك لتسلم من شرهن فإن كدهن عظيم وشرهن فاش والغالب عليهن سوء الخلق وركاكة العقل ولا يستدل ذلك منهن إلا بنوع لطف بمزوج سياسة . وقال عليه السلام « مثل المرأة الصالحة في النساء كمثل الغراب الأعصم بين مائة غراب (٤) » والأعصم يعني الأبيض البطن وفي وصية لقمان لابنه يابى اتق المرأة السوء فانها تشبيك

(١) حديث إن الله يفيض الجعظري الجواظ أبو بكر بن لال في مكارم الأخلاق من حديث أنى هريرة بسند ضعيف وهو في الصحيحين من حديث جارية بن وهب الخزاعي بلفظ ألا أخبزكم بأهل النار كل عتَل جواظ مستكبر ولأبي داود لا يدخل الجنة الجواظ ولا الجعظري (٢) حديث قال لجابر هلا بكرا تلاعبها وتلاعبك متفق عليه من حديثه وقد تقدم (٣) حديث نفس عبد الزوجة لما أقفله على أصل والمعروف نفس عبد الدينار وعبد الدرهم الحديث رواه البخاري من حديث أبي هريرة (٤) حديث مثل المرأة الصالحة في النساء كمثل الغراب الأعصم من مائة غراب الطبراني من حديث أبي أمامة بسند ضعيف ولأحمد من حديث عمرو بن العاص كنامع رسول الله صلى الله عليه وسلم بمرا الظهران فإذا بغريان كثيرة فيها غراب أعصم أحمر المنقار فقال لا يدخل الجنة من النساء إلا مثل هذا الغراب في هذه الغريان وإسناده صحيح وهو في السنن الكبرى للنسائي .

حكم الشيخ وصحبه وتأدب بأدابه يسرى من باطن الشيخ حال إلى باطن المرید كسراج يقتبس من سراج وكلام الشيخ يلقح باطن المرید ويكون مقال الشيخ مستودع فائس الحال وينتقل الحال من الشيخ إلى المرید بواسطة الصحة وسماع المقال ولا يكون هذا إلا لمرید حضر نفسه مع الشيخ وانسلخ من إرادة نفسه وفي في الشيخ بترك اختيار نفسه فبالأنف الإلهي يصير بين صاحب والصاحب امتزاج وارتباط بالنسبة الروحية والطهارة الفطرية ثم لا يزال المرید مع الشيخ كذلك متأدياً بترك الاختيار حتى يرتقى من ترك الاختيار مع الشيخ إلى ترك الاختيار مع الله تعالى ويفهم من الله كما كان يفهم من الشيخ ومبدأ

قبل الشيب واتفق شرار النساء فانهن لا يدعون إلى خير وكن من خيارهن على خير . وقال عليه السلام «استعينوا من الفواقير الثلاث»^(١) وعدن من المرأة سوء فانها المشية قبل الشيب وفي لفظ آخر «إن دخلت عليها سبتك وإن غبت عنها خاتك» وقد قال عليه السلام في خيرات النساء «إنكن صواحبات يوسف»^(٢) يعني إن صرفكن أبا بكر عن التقدم في الصلاة ميل منكن عن الحق إلى الهوى وقال الله تعالى حين أفضين سر رسول الله صلى الله عليه وسلم إن توبا إلى الله فقد صفت قلوبكما أي مالت وقال ذلك في خير أزواجه^(٣) وقال عليه السلام «لا يفلح قوم تعلقهم امرأة»^(٤) وقد زبر عمر رضي الله عنه امرأته لما راجته وقال ما أنت إلا لعبة في جانب البيت إن كانت لنا إليك حاجة ولا جلست كما أنت فاذن فيهن شر وفيهن ضعف فالسياسة والحشونة علاج الشر واللطاية والرحمة علاج الضعف والطبيب الحاذق هو الذي يقدر العلاج بقدر الداء فلينظر الرجل أولا إلى أخلاقها بالتجربة ثم ليعاملها بما يصلحها كما يقتضيه حالها . الخامس : الاعتدال في الغيرة وهو أن لا يتفاضل عن مبادئ الأمور التي تخشى غوائلها ولا يبالغ في إساءة الظن والتعنّت وتجسس البواطن فقد نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن تتبع عورات النساء^(٥) وفي لفظ آخر أن تبغ النساء ولما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم من سفره قال قبل دخول المدينة لا تطرقوا النساء ليلا تخالفه رجلان فسبقا قرأى كل واحد في منزله ما يكره^(٦) وفي الخبر المشهور «للرأة كالضلع إن قومته كسرتة فدعه تستمع به على عوج»^(٧) وهذا في تهذيب أخلاقها وقال عليه السلام «إن من الغيرة غيرة يبغضها الله عز وجل وهي غيرة الرجل على أهله من غير رية»^(٨) لأن ذلك من سوء الظن الذي نهينا عنه فإن بغض الظن إنم وقال علي رضي الله عنه لا تسكر الغيرة على أهلك فترى بالسوء من أجلك وأما الغيرة في محلها فلا بد منها وهي محمودة وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم «إن الله تعالى يغار للؤمن ويغار وغيره الله تعالى أن يأتي الرجل المؤمن ما حرم عليه»^(٩) وقال عليه السلام «أتعجبون من غيرة سعد أنا والله أغير منه والله أغير مني»^(١٠)

(١) حديث استعينوا من الفواقير الثلاث وعدمهن للمرأة سوء فانها المشية قبل الشيب وفي لفظ آخر أن دخلت عليها لسبتك وإن غبت عنها خاتك أبو منصور الديلمي في مسند الفردوس من حديث أبي هريرة بسند ضعيف واللفظ الآخر رواه الطبراني من حديث فضالة بن عبيد ثلاث من الفواقير وذكر منها وامرأة إن حضرت آذتك وإن غبت عنها خاتك وسنده حسن (٢) حديث إنكن صواحبات يوسف متفق عليه من حديث عائشة (٣) حديث نزول قوله تعالى إن توبا إلى الله فقد صفت قلوبكما في خير أزواجه متفق عليه من حديث عمر والمرأتان عائشة وحفصة (٤) حديث لا يفلح قوم تعلقهم امرأة البخاري من حديث أبي بكر نحوه (٥) حديث نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن تتبع عورات النساء الطبراني في الأوسط من حديث جابر نهى أن تطلب عثرات النساء والحديث عند مسلم بلفظ نهى أن يطرق الرجل أهله ليلا يخونهم أو يطلب عثراتهم واقتصر البخاري منه على ذكر النهي عن الطروق ليلا (٦) حديث أنه قال قبل دخول المدينة لا تطرقوا أهلكم ليلا تخالفه رجلان فعبا إلى منازلهما قرأى كل واحد في بيته ما يكره أحمد من حديث ابن عمر بسند جيد (٧) حديث المرأة كالضلع إن أردت فتيحه كسرتة الحديث متفق عليه من حديث أبي هريرة (٨) حديث غيرة يبغضها الله وهي غيرة الرجل على أهله من غير رية أبو داود والنسائي وابن حبان من حديث جابر ابن عتيك (٩) حديث الله يغار للؤمن ويغار وغيره الله تعالى أن يأتي الرجل المؤمن ما حرم الله عليه متفق عليه من حديث أبي هريرة ولم يقل البخاري والمؤمن يغار (١٠) حديث أتعجبون من غيرة سعد والله أنا أغير منه والله أغير مني الحديث متفق عليه من حديث الغيرة بن شعبة .

هذا الخبر كله للمصحة
واللازمة للشيخ
والحرقة مقدمة ذلك
ووجه لبس الحرقة من
السنة ما أخبرنا الشيخ
أبو زرعة عن أبيه
الحافظ أبي الفضل
للقدس قال أنا أبو بكر
أحمد بن علي بن خلف
الأديب النيسابوري
قال أنا الحاكم أبو
عبد الله محمد بن
عبد الله الحافظ قال
أنا محمد بن اسحاق قال
أنا أبو مسلم إبراهيم بن
عبد الله المصري قال
ثنا أبو الوليد قال ثنا
اسحاق بن سعيد قال
ثنا أبي قال حدثني
أم خالد بنت خالد قالت
«أبى النبي عليه السلام
يثيب فيها خيمة
سوداء صغيرة فقال
من ترون أكوهذه ؟
فكث القوم فقال
رسول الله صلى الله
عليه وسلم اتوني بأمر
خاله قالت فأتى في
فألبسها يده فقال
أبلى وأخلق بفولها

ولأجل غيرة الله تعالى حرم الفواحش مظهر وباطن ولا أحد أسب إليه العذر من الله ولذلك بحث للندرين والبشرى ولا أحد أحب إليه الدخ من الله ولأجل ذلك وعد الجنة وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « رأيت ليلة أسرى بي في الجنة قصرا وبضائه جارية فقلت لمن هذا القصر فقيل لعمر فأردت أن أنظر إليها فذكرت غيرتك يا عمر فبكى عمر وقال أعليك أغار يا رسول الله (١) » وكان الحسن يقول أمدعون نساءكم ليزاحمن العلوج في الأسواق قبح الله من لا يغار ، وقال عليه الصلاة والسلام « إن من الفيرة ما يحبه الله ومنها ما يفضه الله ومن الخيلاء ما يحبه الله ومنها ما يفضه الله فأما الفيرة التي يحبها الله فالفيرة في الرية والفيرة التي يفضها الله فالفيرة في غيرية والاختيال الذي يحبه الله اختيال الرجل بنفسه عند القتال وعند الصدمة والاختيال الذي يفضه الله الاختيال في الباطن (٢) » وقال عليه الصلاة والسلام « إني لأخيور وما من امرئ لا يغار إلا منكوس القلب (٣) » والطريق القبيح عن الفيرة أن لا يدخل عليها الرجال وهي لا تخرج إلى الأسواق وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لابنته فاطمة عليها السلام « أي شيء خير للمرأة ؟ قالت أن لا ترى رجلا ولا يراها رجل فضمها إليه وقال ذرية بعضها من بعض (٤) » فاستحسن قولها وكان أصحاب رسول الله ﷺ يسدون الكوى والثقب في الحيطان كذا تطلع النسوان إلى الرجال ورأى معاذ امرأته تطلع في الكوة فضرها ورأى امرأته قد دفعت إلى غلامه فتأخذه قد أكلت منها فضرها وقال عمر رضي الله عنه أعرأ النساء يلزمن الرجال وإنما قال ذلك لأنهن لا يرغبن في الخروج في الهيئة الزينة وقال عودوا نساءكم لا وكان قد أذن رسول الله صلى الله عليه وسلم للنساء في حضور السجد (٥) والصواب الآن النع إلا العجائز بل استصوب ذلك في زمان الصحابة حتى قالت عائشة رضي الله عنها : لو علم النبي ﷺ ما أحدثت النساء بعده لمتنهن من الخروج (٦) . ولما قال ابن عمر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لا تمنعوا إماء الله مساجد الله فقال بعض ولده بلى والله لمتنهن فضره وغضب عليه وقال سمعني أقول قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تمنعوا فتقول بلى (٧) » وإنما استعجرا على مخالفة لعله بتغير الزمان وإنما غضب عليه

(١) حديث رأيت ليلة أسرى بي في الجنة قصرا وبضائه جارية فقلت لمن هذا القصر فقيل لعمر الحديث متفق عليه من حديث جابر دون ذكر ليلة أسرى بي ولم يذكر الجارية وذكر الجارية في حديث آخر متفق عليه من حديث أبي هريرة بينا أنا نائم رأيتني في الجنة الحديث (٢) حديث إن من الفيرة ما يحبه الله تعالى ومنها ما يفضه الله تعالى الحديث أبو داود والنسائي وابن حبان من حديث جابر بن عتيك وهو الذي تقدم قبله بأربعة أحاديث (٣) حديث إني لأخيور وما من امرئ لا يغار إلا منكوس القلب تقدم أوله وأما آخره فرواه أبو عمر التوفاني في كتاب معاشر الأهلين من رواية عبد الله بن محمد مرسلا والظاهر أنه عبد الله بن الحنفية (٤) حديث قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لابنته فاطمة أي شيء خير للمرأة فقالت أن لا ترى رجلا الحديث [١] البزار والدارقطني في الأفراد من حديث علي بسند ضعيف (٥) حديث الإذن للنساء في حضور المساجد متفق عليه من حديث ابن عمر ائذوا للنساء بالدليل إلى المساجد (٦) حديث قالت عائشة لو علم النبي صلى الله عليه وسلم ما أحدث النساء بعده لمتنهن من الخروج متفق عليه قال البخاري لمتنهن من المساجد (٧) حديث ابن عمر لا تمنعوا إماء الله مساجد الله فقال بعض ولده بلى والله الحديث متفق عليه .

[١] بهامش النسخة الصحيحة : قلت وروى أبو نعيم في الحلية من حديث أنس أن النبي صلى الله عليه وسلم قال ما خير للنساء فلم ندر ما تقول فصار علي إلى فاطمة فأخبرها بذلك فقالت فم لا قلت له خير لهن أن لا يرين الرجال ولا يراهن الرجال فرجع فأخبره بذلك فقال له من عليك هذا قال فاطمة قال إنها باضعة مني .

مرتين وجعل ينظر إلى علم في الخيصة أصفر وأحمر ويقول بأمر خاله هذا سنه . والسنه هو الحسن بلسان الحبشة ولا يخفى أن لبس الحرقة على الهيئة التي تعتمد الشيوخ في هذا الزمان لم يكن في زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم وهذه الهيئة والاجتماع لها والاعتداد بها من استحسان الشيوخ وأصله من الحديث فارويته والشاهد لذلك أيضا التحكيم الذي ذكرناه وأما اقتداء برسول الله صلى الله عليه وسلم سلم أنهم وأكد من الاقتداء به في دعاء الخلق إلى الحق وقد ذكر الله تعالى في كلامه القديم تحكيم الأمة رسول الله صلى الله عليه وسلم وتحكيم المرید شيخه إحياء سنة ذلك التحكيم قال الله تعالى - فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك

لإطلاقة اللفظ بالخالصة ظاهراً من غير إظهار العذر وكذلك كان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أذن لمن في الأعياد خاصة أن يخرج من (١) ولكن لا يخرج إلا برضا أزواجهن والخروج الآن مباح للمرأة العفيفة برضا زوجها ولكن القعود أسلم وينبغي أن لا يخرج إلا لهم فان الخروج للنظارات والأموال التي ليست مهمة تخرج في الروعة وربما نفى إلى القصد فإذا خرجت فينبغي أن تنص بصرها عن الرجال ، ولنا قول إن وجه الرجل في حقها عورة كوجه المرأة في حق بل هو كوجه الصبي الأمرد في حق الرجل فيحرم النظر عند خوف الفتنة فقط فان لم تكن فتنة فلا إثم يزل الرجال على عمر الزمان مكشوف الوجوه والنساء يخرجن مستقبات ولو كان وجوه الرجال عورة في حق النساء لأمروا بالتستيب أو منعن من الخروج إلا لضرورة . السادس : الاعتدال في النفقة فلا ينبغي أن يقتصر عليهن في الاتفاق ولا ينبغي أن يسرف بل يقتصد قال تعالى - وكلوا واشربوا ولا تسرفوا - وقال تعالى - ولا تجعل يدك مغلولة إلى عنقك ولا تبسطها كل البسط - وقد قال رسول الله ﷺ « خيركم خيركم لأهله (٢) » وقال صلى الله عليه وسلم « دينار أنفقته في سبيل الله ودينار أنفقته في رقبة ودينار تصدقت به على مسكين ودينار أنفقته على أهلك أعظمها أجراً الذي أنفقته على أهلك (٣) » وقيل كان لعل رضى الله عنه أربع نسوة فكان يشتري لكل واحدة في كل أربعة أيام لحماً بدرهم ، وقال الحسن رضى الله عنه كانوا في الرجال محاصيب وفي الأثاث والثياب مجاديب وقال ابن سيرين يستحب للرجل أن يعمل لأهله في كل جمعة فالزوجة وكأن الخلاوة وإن لم تكن من اللهجات ولكن تركها بالكلية فقبح في العادة وينبغي أن يأمرها بالتصدق بقايا الطعام وما يفسد لوترك فهذا أقل درجات الخير وللمرأة أن تفعل ذلك بحكم الحال من غير صريح إذن من الزوج ولا ينبغي أن يستأثر عن أهله بما كوله طيب فلا يطعمهم منه فان ذلك مما يوغر الصدور ويعد عن العاشرة بالمعروف فان كان مزماً على ذلك فليأكله بخفية بحيث لا يعرف أهله ولا ينبغي أن يصف عندهم طعاماً ليس يريد إطعامهم إياه وإذا أكل فيقعد العيال كلهم على مائدته فقد قال سفيان رضى الله عنه بلغنا أن الله وملائكته يصلون على أهل بيت يأكلون جماعة وأهم ما يجب عليه مراعاته في الإنفاق أن يطعمها من الحلال ولا يدخل مداخل السوء لأجلها فان ذلك جناية عليها لامرأته لها وقد أوردنا الأخبار الواردة في ذلك عند ذكر آفات التكاح . السابع : أن يعلم الزوج من علم الحيض وأحكامه ما يحترزه الاحتراز الواجب ويحرم زوجته أحكام الصلاة وما يقضى منها في الحيض وما لا يقضى فانه أمر بأن يقبها النار بقوله تعالى - قوا أنفسكم وأهليكم نارا - فعليه أن يلقيها اعتقاد أهل السنة ويزيل عن قلبها كل بدعة إن استمعت إليها ويخوفها في الله إن تساهت في أمر الدين ويعلمها من أحكام الحيض والاستحاضة ما يحتاج إليه وعلم الاستحاضة بطول فأما الذي لا بد من إرشاد النساء إليه في أمر الحيض بيان الصلوات التي تقضيها فانها مهما انقطع دمها قبل المغرب بمقدار ركعة فعليها قضاء الظهر والعصر وإذا انقطع قبل الصبح بمقدار ركعة فعليها قضاء المغرب والعشاء وهذا أقل ما يراعيه النساء فان كان الرجل قائماً بتعليمها فليس لها الخروج لسؤال العلماء وإن قصر علم الرجل ولكن ناب عنها في السؤال فأخبرها بجواب الفتى فليس لها الخروج فان لم يكن ذلك فلها الخروج للسؤال بل عليها ذلك وبعض الرجل عنها ومهما تملت ما هو من الفرائض عايمها فليس لها أن تخرج إلى مجلس ذكر ولا إلى تعلم فضل إلا برضاء

(١) حديث الإذن لمن في الأعياد متفق عليه من حديث أم عطية (٢) حديث خيركم خيركم لأهله الترمذي من حديث عائشة وصححه وقد تقدم (٣) حديث دينار أنفقته في سبيل الله ودينار أنفقته في رقبة ودينار تصدقت به على مسكين ودينار أنفقته على أهلك أعظمها أجراً الدينار الذي أنفقته على أهلك مسلم من حديث أبي هريرة .

فما شجر بينهم ثم لا يجحدوا في أنفسهم حرجاً مما قضيت ويسلموا تسليماً وسبب نزول هذه الآية « أن الزبير بن العوام رضى الله عنه اختصم هو وآخر إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم في شراج من الحرمة والشراج مسيل الماء كانا يسقيان به النخل فقال النبي عليه الصلاة والسلام للزبير : اسق يا زبير ثم أرسل الماء إلى جارك ، فغضب الرجل وقال قضى رسول الله لابن عمته » فأنزل الله تعالى هذه الآية يعلم فيها الأدب مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وشرط عليهم في الآية التسليم وهو الانقياد ظاهر أو نفي الجرح وهو الانقياد باطنا وهذا شرط المريد مع الشيخ بسد التحكيم فليس الحرقه يزيل اتهام الشيخ عن باطنه في جميع تصاريفه ويحذر

ومهما أهملت المرأة حكما من أحكام الحيض والاستحاضة ولم يطمس الرجل خرج الرجل معها وشاركها في الاسم . الثامن : إذا كان له نسوة فينبغي أن يعدل بينهما ولا يميل إلى بعضهن فإن خرج إلى سفر وأراد استصحاب واحدة أقرع بينهما ^(١) كذلك كان يفعل رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فإن ظلم امرأة بليتها قضى لها فإن القضاء واجب عليه وعند ذلك يحتاج إلى معرفة أحكام القسم وذلك يطول ذكره وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من كان له امرأتان فمال إلى إحداها دون الأخرى وفي لفظ ولم يعدل بينهما جاء يوم القيامة وأحشفه مائل ^(٢) » وإنما عليه العدل في العطاء والبيت وأما في الحب والواقع فذلك لا يدخل تحت الاختيار قال الله تعالى - ولئن تستطيعوا أن تعدلوا بين النساء ولو حرصتم - أي لاتعدلوا في شهوة القلب وميل النفس ويتبع ذلك التفاوت في الواقع « وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعدل بينهما في العطاء والبيت وفي الليالي ويقول : اللهم هذا جهدي فيما أملك ولا طاقتي فيما أملك ^(٣) » يعني الحب وقد كانت عائشة رضي الله عنها أحب نساءه إليه ^(٤) وسائر نساءه يعرفن ذلك « وكان يطاف به محمولا في مرضه في كل يوم وكل ليلة فيبيت عند كل واحدة منهن ويقول ابن أناسا فظننت لذلك امرأة منهن فقالت إنما يسأل عن يوم عائشة فقلنا يا رسول الله قد أذن لك أن تكون في بيت عائشة فإنه يشق عليك أن تحمل في كل ليلة فقال وقد رضيت بذلك قلقي نعم قال فحولوني إلى بيت عائشة ^(٥) » ومهما وهبت واحدة ليلتها لصاحبها ورضى الزوج بذلك ثبت الحق لها كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقسم بين نساءه فقصد أن يطلق سودة بنت زمعة لما كبرت فوهبت ليلتها لعائشة وسألته أن يقرها على الزوجة حتى تحضر في زمرة نساءه فتركها وكان لا يقسم لها ويقسم لعائشة ليلتين ولسائر أزواجه ليلة ^(٦) ولكنه صلى الله عليه وسلم لحسن عدله وقوته كان إذا تناقت نفسه إلى واحدة من النساء في غير نوبتها فجامعها طاف في يومه أو ليلته على سائر نساءه فمن ذلك ما روى عن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم طاف على نساءه في ليلة واحدة ^(٧) وعن أنس أنه عليه السلام

(١) حديث الشريعة بين أزواجه إذا أراد سفرها متفق عليه من حديث عائشة (٢) حديث من كان له امرأتان فمال إلى إحداها دون الأخرى وفي لفظ آخر لم يعدل بينهما جاء يوم القيامة وأحشفه مائل أصحاب السنن وابن حبان من حديث أبي هريرة قال أبو داود وابن حبان فقال مع إحداها وقال الترمذي فلم يعدل بينهما (٣) حديث كان يعدل بينهما ويقول اللهم هذا جهدي فيما أملك ولا طاقتي فيما أملك ولا أملك أصحاب السنن وابن حبان من حديث عائشة نحوه (٤) حديث كانت عائشة أحب نساءه إليه متفق عليه من حديث عمرو بن المأمون أنه قال أي الناس أحب إليك يا رسول الله قال عائشة وقد تقدم (٥) حديث كان يطاف به محمولا في مرضه كل يوم وليلة فيبيت عند كل واحدة ويقول ابن أناسا فظننت لذلك امرأة منهن فقالت إنما يسأل عن يوم عائشة فقلنا يا رسول الله قد أذن لك أن تكون في بيت عائشة فإنه يشق عليك أن تحمل في كل ليلة فقال وقد رضيت بذلك قلقي نعم قال فحولوني إلى بيت عائشة (٦) حديث كان يعدل بينهما (٧) حديث عائشة رضي الله عنها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم طاف على نساءه في ليلة واحدة

الاعتراض على الشيوخ
فانه السام القاتل للمريدين
وقل أن يكون للمريد
يعترض على الشيخ بباطنه
فيطلع ويذكر المريد
في كل ما أشكل عليه
من تصارييف الشيخ
قصة موسى مع الحضر
عليه السلام كيف كان
يصدر من الحضر
تصارييف ينكرها
موسى ثم لما كشف
له عن معناها بان
لموسى وجه الصواب
في ذلك فهكذا ينبغي
للمريد أن يعلم أن كل
تصرف أشكل عليه
صحته من الشيخ
عند الشيخ فيه يان
وبرهان للصحة ويد
الشيخ في لبس الحرقة
تنوب عن يد رسول
الله صلى الله عليه وسلم
وتسليم المريد له تسليم
فه ورسوله قال الله
تعالى - إن الذين
يبيعونك إنما يبيعون
الله بدهاء فوق أيديهم
فمن نكث فإثمنا نكث
على نفسه - ويأخذ

طاف على تسع نسوة في ضحوة نهار^(١)، التاسع: في النشوز ومهما وقع بينهما خصام ولم يلتئم أمرهما فإن كان من جانبها جميعا أو من الرجل فلا تسلط الزوجة على زوجها ولا يقدر على إصلاحها فلا بد من تكمين أحدهما من أهله والآخر من أهلها لينظرا بينهما ويصلحا أمرهما - إن يريد إصلاحها فلا بد من الله بينهما - وقد ثبت عمر رضي الله عنه حكما إلى زوجين ضاد ولم يصلح أمرهما فعلاه بالهرة وقال إن الله تعالى يقول - إن يريد إصلاحا يوفق الله بينهما - ضاد الرجل وأحسن النية وتلطف بهما فأصلح بينهما وأما إذا كان النشوز من المرأة خاصة فالرجال قوامون على النساء - فله أن يؤدبها ويعملها على الطاعة قهرا وكذا إذا كانت تاركة للصلاة فله حملها على الصلاة قهرا ولكن ينبغي أن يتدرج في تأديبها وهو أن يقدم أولا الوعظ والتعذير والتخويف فإن لم ينفع ولاها ظهره في الضجع أو انقرد عنها بالفراش وهجرها وهو في البيت معها من ليلة إلى ثلاث ليال فإن لم ينفع ذلك فيها ضربها ضربا غير مبرح بحيث يؤلمها ولا يكسر لها عظما ولا يدمي لها جسا ولا يضرب وجهها فذلك منهي عنه وقد قيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم «ما حق للمرأة على الرجل؟ قال يطعمها إذا طعم ويكسوها إذا اكتسى ولا يقيح الوجه ولا يضرب إلا ضربا غير مبرح ولا يهجرها إلا في البيت^(٢)» وله أن يضرب عليها ويهجرها في أمر من أمور الدين إلى عشر وإلى عشرين وإلى شهر فعل ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا أرسل إلى زينب بهدية فردتها عليه فقالت له التي هو في بيتها لقد أفتأتك إذ ردت عليك هديتك^(٣) أي أذلتك واستصغرتك فقال صلى الله عليه وسلم: أنئن أهون على الله أن تعمتني ثم غضب عليهن كلهن شهرا إلى أن عاد إليهن - العاشر: في آداب الجماع ويستحب أن يبدأ باسم الله تعالى ويقرأ قل هو الله أحد أولا ويكبر ويهلل ويقول بسم الله العلي العظيم اللهم اجعلها ذرية طيبة إن كنت قدرت أن تخرج ذلك من سلبى وقال عليه السلام «لو أن أحدكم إذا أتى أهله قال اللهم جنبني الشيطان وجنب الشيطان ما رزقتنا فإن كان بينهما ولد لم يضره الشيطان^(٤)» وإذا قربت من الإزال قتل في نفسك ولا تحرك شفتيك - الحمد لله الذي خلق من الماء بشرا - الآية وكان بعض أصحاب الحديث يكبر حتى يسمع أهل الدار صوته ثم ينحرف عن القبلة ولا يستقبل القبلة بالواقع إكراما للقبلة وليغضب نفسه وأهله ثوب «كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يغطي رأسه ويغض صوته ويقول للمرأة: عليك بالسكينة^(٥)» وفي الخبر «إذا جامع أحدكم أهله فلا يتجردان تجرد العيرين^(٦)» أي الحارين وليقدم التلطف بالكلام والتقبل

صلى الله عليه وسلم فيطوف على نساءه ثم يصبح محرما ينضح طيبا^(١) حديث أنس أنه طاف على تسع نسوة في ضحوة نهار ابن عدى في الكامل والبخارى كان يطوف على نساءه في ليلة واحدة وله تسع نسوة^(٢) حديث قبل له ما حق المرأة على الرجل فقال يطعمها إذا طعم ويكسوها إذا اكتسى ولا يقيح الوجه ولا يضرب إلا ضربا غير مبرح ولا يهجرها إلا في البيت أبو داود والنسائي في الكبرى وابن ماجه من رواية معاوية بن حيدة بسند جيد وقال ولا يضرب الوجه ولا يقيح وفي رواية لأبي داود ولا يقيح الوجه ولا تضرب^(٣) حديث هجره صلى الله عليه وسلم نساء شهرا لما أرسل بهدية إلى زينب فردتها فقالت له التي في بيتها لقد أفتأتك الحديث ذكره ابن الجوزي في الوفاء بغير إسناد وفي الصحيحين من حديث عمر كان أقسم أن لا يدخل عليهن شهرا من شدة موجدته عليهن وفي رواية من حديث جابر ثم اعترضني شهرا^(٤) حديث لو أن أحدكم إذا أتى أهله قال اللهم جنبنا الشيطان الحديث متفق عليه من حديث ابن عباس^(٥) حديث كان يغطي رأسه ويغض صوته ويقول للمرأة عليك بالسكينة الخطيب من حديث أم سلمة بسند ضعيف^(٦) حديث إذا جامع أحدكم امرأته فلا يتجردان تجرد العيرين ابن ماجه من حديث عتبة بن عبد بسند ضعيف .

الشيخ على المرید
عهد الوفاء بشرائط
الحرقة ويعرفه حقوق
الحرقة فالشيخ المرید
صورة يستشف المرید
من وراء هذه الصورة
الطالبات الإلهية
وللراعي النبوة
ويستقد المرید أن
الشيخ باب فتحه الله
تعالى إلى جناب كرمه
منه يدخل وإليه يرجع
وينزل بالشيخ سوانحه
ومهامه الدينية
والدنيوية ويعتقد أن
الشيخ ينزل بالله
الكریم ما ينزل
المرید به ويرجع في
ذلك إلى الله المرید كما
يرجع المرید إليه
وللشيخ باب مفتوح
من المكالمات والمحادثة
في النوم واليقظة فلا
يتصرف الشيخ في
المرید بهواه فهو أمانة
الله عنده ويستغني
إلى الله بمخايج المرید
كما يستغني بمخايج
نفسه ومهام دينه ودنياه
قال الله تعالى - وما كان

قال صلى الله عليه وسلم «لا يقمن أحدكم على امرأته كما تقع البهيمة وليكن بينهما رسول قيل وما الرسول يا رسول الله قال القبلة والكلام» (١) وقال صلى الله عليه وسلم «ثلاث من العجز في الرجل أن يلقي من يحب معرفته يفارقه قبل أن يعلم اسمه ونسبه والثاني أن يكرمه أحد فيرد عليه كرامته والثالث أن يقارب الرجل جاريته أو زوجته فيصيبها قبل أن يحدثها ويؤانسها ويضاجعها فيقضى حاجته منها قبل أن تقضى حاجتها منه» (٢) ويكره له الجماع في ثلاث ليال من الشهر الأول والآخر والنصف يقال إن الشيطان يحضر الجماع في هذه الليالي ويقال إن الشياطين يجامعون فيها وروى كراهة ذلك عن علي ومعاوية وأبي هريرة رضي الله عنهم ومن العلماء من استحب الجماع يوم الجمعة وليلته تحقيقاً لأحد التأويلين من قوله صلى الله عليه وسلم «رحم الله من غسل واغتسل» (٣) الحديث ثم إذا قضى وطره فليتمهل على أهله حتى تقضى هي أيضاً نهيتهما فإن إنزالها ربما يتأخر فميسج شهوتها ثم القعود عنها إنداء لها والاختلاف في طبع الإنزال يوجب التناظر مهما كان الزوج سابقاً إلى الإنزال والتوافق في وقت الإنزال الله عندها ليستغل الرجل نفسه عنها فأنهار بما تستحي وينبغي أن يأتيها في كل أربع ليال مرة فهو أعدل إذ عدد النساء أربعة فجاز التأخير إلى هذا الحد ، ثم ينبغي أن يزيد أو ينقص بحسب حاجتها في التحصين فإن تحصينها واجب عليه وإن كان لا يثبت المطالبة بالوطء فذلك لفسر المطالبة والوفاء بها ولا يأتيها في الحيض ولا بعد انقضائه وقبل النسل فهو محرم بنص الكتاب وقيل إن ذلك يورث الجذام في الولد وله أن يستمتع بجميع بدن الحائض ولا يأتيها في غير المأني إذ حرم غشيان الحائض لأجل الأذى والأذى في غير المأني دائم فهو أشد تحريراً من إتيان الحائض وقوله تعالى - فأتوا حرثكم أني شتمتم - أي أي وقت شتمتم وله أن يستحي يديها وأن يستمتع بما تحت الأزار بما يشتهي سوى الوقاع وينبغي أن تنزّر المرأة بأزار من حقوها إلى فوق الركبة في حال الحيض فهذا من الأدب وله أن يؤاكل الحائض ويخالطها في المضاجعة وغيرها وليس عليه اجتنابها وإن أراد أن يجامع ثانياً بعد أخرى فليفسل فرجه أولاً وإن احتلم فلا يجامع حتى يفسل فرجه أو يبول ويكره الجماع في أول الليل حتى لا ينام على غير طهارة فإن أراد النوم أو الأكل فليتوضأ أولاً وضوء الصلاة فذلك سنة قال ابن عمر «قلت للنبي صلى الله عليه وسلم : أينام أحدنا وهو جنب قال نعم إذا توضأ» (٤) ولكن قد وردت في رخصة قالت عائشة رضي الله عنها «كان النبي ﷺ ينام جنباً لم يمسه ماء» (٥) ومهما عاد إلى فراشه فليمسح وجهه فرائشه أو لينفضه فإنه لا يدرى ما حدث عليه بعده ولا ينبغي أن يحلق أو يقلم أو يستحذ أو يخرج الدم أو يبين من نفسه جزءاً وهو جنب إذ ترد إليه سائر أجزائه في الآخرة فيعود جنباً ويقال إن كل شعرة قطالة يجنابها ومن الآداب أن لا يعزل بل لا يبرح إلا إلى محل الحث وهو الرحم فامن نسمة قدر الله كونها إلا وهي كائنة (٦) هكذا قال رسول الله ﷺ فان عزل فقد اختلف العلماء في إباحته وكراهته على أربع مذاهب فمن ميسج

لبشر أن يكاحه الله إلا
وحياً أو من وراء حجاب
أو يرسل رسولا -
فإرسال الرسول يخص
بالأنبياء والوحي كذلك
والكلام من وراء
حجاب بالإلهام والمحواف
والنمام وغير ذلك
للشيوخ والراشخين
في العلم . واعلم أن
للمريدين مع الشيوخ
أوان ارتضاع وأوان
فطام وقد سبق شرح
الولادة المعنوية فأوان
الارتضاع أوان لزوم
الصحة والشيخ يعلم
وقت ذلك فلا ينبغي
للمريد أن يفارق
الشيخ إلا بإذنه قال
الله تعالى تأدياً للامة -
إنما المؤمنون الذين
آمنوا بالله ورسوله وإذا
كانوا معه على أمر
جامع لم يذهبوا حتى
يستأذنوه إن الذين
يستأذنونك أولئك
الذين يؤمنون بالله
ورسوله فإذا استأذنوك
لبعض شأنهم فاذن
لن شئت منهم - وأى

(١) حديث لا يقمن أحدكم على امرأته كما تقع البهيمة الحديث أبو منصور الديلمي في مسند الفردوس من حديث أنس وهو منكر (٢) حديث ثلاث من العجز في الرجل أن يلقي من يحب معرفته يفارقه قبل أن يعرف اسمه الحديث أبو منصور الديلمي من حديث أنصر منه وهو بعض الحديث الذي قبله (٤) حديث رحم الله من غسل واغتسل تقدم في الباب الخامس من الصلاة (٤) حديث ابن عمر قالت للنبي صلى الله عليه وسلم أينام أحدنا وهو جنب قال نعم إذا توضأ متفق عليه من حديثه أن عمر سأل لأن عبد الله هو السائل (٥) حديث عائشة كان ينام جنباً لم يمسه ماء أبو داود والترمذي وابن ماجه وقال يزيد بن هارون إنه وهم ونقل البيهقي عن الحفاظ الطعن فيه قال وهو صحيح من جهة الرواية (٦) حديث مامن نسمة قدر الله كونها إلا وهي كائنة متفق عليه من حديث أبي سعيد .

مطلقا بكل حال ومن محرم بكل حال ومن قائل يحل برضاها ولا يحل دون رضاها وكأن هذا القائل يحرم الإبداء دون العزل ومن قائل يباح في المملوكة دون الحرية والصحيح عندنا أن ذلك مباح وأما الكراهية فانها تطلق لتبى التحريم ولتبى التنزيه وترك الفضيلة فهو مكروه بالمعنى الثالث أى فيه ترك فضيلة كما يقال يكره للقاعد في المسجد أن يقعد فارغا لا يشتغل بذكر أو صلاة ويكره للحاضر في مكة مقايها أن لا يخرج كل سنة والمراد بهذه الكراهية ترك الأولى والفضيلة تقطع وهذا ثابت لما بيناه من الفضيلة في الولد ولما روى عن النبي صلى الله عليه وسلم « إن الرجل ليجمع أهله فيكتب له بجماعه أجر ولد ذكر قاتل في سبيل الله قتل (١) » وإنما قال ذلك لأنه لو ولد له مثل هذا الولد لكان له أجر التسبب إليه مع أن الله تعالى خلقه وحبيه ومقويه على الجهاد والذي إليه من التسبب فقد فعله وهو الوقاع وذلك عند الإئمان في الرحم وإنما قلنا لا كراهة بمعنى التحريم والتنزيه لأن إثبات النهي إنما يمكن بنص أو قياس على منصوص ولا نص ولا أصل يقاس عليه بل ههنا أصل يقاس عليه وهو ترك النكاح أصلا أو ترك الجماع بعد النكاح أو ترك الإنزال بعد الإيلاج فكل ذلك ترك للأفضل وليس بارتكاب نهى ولا فرق إذ الولد يتكون بوقوع النطفة في الرحم ولها أربعة أسباب النكاح ثم الوقاع ثم الصبر إلى الإنزال بعد الجماع ثم الوقوف لينصب المني في الرحم وبعض هذه الأسباب أقرب من بعض فالامتناع عن الرابع كالامتناع عن الثالث وكذا الثالث كالثاني والثاني كالأول وليس هذا كالإجهاض والوآد لأن ذلك جناية على موجود حاصل وله أيضا مراتب وأول مراتب الوجود أن تقع النطفة في الرحم وتختلط بماء المرأة وتستعمل لقبول الحياة وإفساد ذلك جناية فإن صارت مضغة وعلقة كانت الجناية أوحش وإن تقع فيه الروح واستوت الخلق ازدادت الجناية تفاحشا ومنتهى التفاحش في الجناية بعد الاتصال حيا وإنما قلنا مبدأ سبب الوجود من حيث وقوع المني في الرحم لا من حيث الخروج من الإحليل لأن الولد لا يخلق من منى الرجل وحده بل من الزوجين جميعا إيمان مائه ومائها أو من مائه ودم الحيض قال بعض أهل التشريع إن للمضغة تخلق بتقدير الله من دم الحيض وإن الدم منها كاللبن من الرائب وإن النطفة من الرجل شرط في خثور دم الحيض وانقاده كالإشعة للبن إذ بها ينمى الرائب وكيفما كان فإماء المرأة ركن في الانقاده فيجرى لما آن جرى الإيجاب والقبول في الوجود الحكمى في العقود فمن أوجب ثم رجع قبل القبول لا يكون جانبا على العقد بالنقض والفسخ ومهما اجتمع الإيجاب والقبول كان الزوج بعد رضا وفسخا وقطعا وكما أن النطفة في الفقار لا يتخلق منها الولد فكذا بعد الخروج من الإحليل ما لم يمتزج بماء المرأة أو دمها فهذا هو القياس الجلى . فإن قلت فإن لم يكن العزل مكروها من حيث إنه دفع لوجود الولد فلا يبعد أن يكره لأجل النية الباعثة عليه إذ لا يبعث عليه إلا نية فاسدة فيها شيء من شوائب الشرك الخفى . فأقول البات الباعثة عن العزل خمس : الأولى في السرارى وهو حفظ الملك عن الهلاك باستحقاق العتاق وقصد استبقاء الملك بترك الإعتاق ودفع أسبابه ليس بمنهى عنه . الثانية استبقاء جمال المرأة ومنها لدوام التمتع واستبقاء حياتها خوفا من خطر الطلق وهذا أيضا ليس بمنهى عنه . الثالثة الخوف من كثرة الحرج بسبب كثرة الأولاد والاحتراز من الحاجة إلى التعب في الكسب ودخول مداخل السوء . وهذا أيضا غير منهى عنه . فإن قلت الحرج معين على الدين ، نعم الكمال والفضل في التوكل والثقة بضمان الله حيث قال - وما من دابة في الأرض إلا على الله رزقها - ولا جرم فيه سقوط عن ذروة الكمال وترك الأفضل ولكن النظر إلى العواقب وحفظ المال وادخاره مع كونه مناقضا للتوكل لا تقول إنه منهى عنه . الرابعة الخوف من الأولاد الاناث لما يعتقد في تزويجهن من المعرة كما كانت من عادة

(١) حديث إن الرجل ليجمع أهله فيكتب له من جماعه أجر ولد ذكر . قاتل في سبيل الله لم أجده أصلا .

أمر جامع أعظم من أمر الدين فلا يأذن الشيخ للمريد في المفارقة إلا بعد علمه بأن آن له أو أن القطام وأنه يقدر أن يستقل بنفسه واستقلاله بنفسه أن يفتح له باب الفهم من الله تعالى فإذا بلغ المريد رتبة إنزال الحوائج والهام بالله والفهم من الله تعالى بتعريفاته وتنبيهاته سبحانه وتعالى لعبده السائل المحتاج فقد بلغ أو أن فطامه متى فارق قبل أو أن القطام يناله من الإعلال في الطريق بالرجوع إلى الدنيا ومتابعة الهوى ما يناله الفطوم لغير أو أنه في الولادة الطبيعية وهذا التلازم بصحبة الشايخ للمريد الحقيقي والمريد الحقيقي يلبس خرقة الإرادة . واعلم أن الخرقة خرقتان خرقة الإرادة وخرقة التبرك والأصل الذي قصده الشايخ للمريد من خرقة

الإرادة وخرقة التبرك
تشبه بخرقة الإرادة
فخرقة الإرادة للمريد
الحقيقي وخرقة التبرك
للمعتبى ومن تشبه
بقوم فهو منهم وسر
الخرقة أن الطالب
الصادق إذا دخل في
صحبة الشيخ وسلم
نفسه وصار كالولد
الصغير مع والد يريه
الشيخ يعلمه المستمد
من الله تعالى بسبق
الاتقار وحسن
الاستقامة ويكون
للشيخ نفوذ بصيرته
الإشراف على البواطن
قد يكون للريد
يلبس الحشن ككتاب
للتفسين للزهدين
وله في تلك الهيئة
من اللبوس هوى
كامن في نفسه ليري
بين الزهادة فأشد
ما عليه لبس الناعم
وللنفس هوى واختيار
في هيئة مخصوصة من
الملبوس في قصر
السك والتدليل وطوله
وخشونته ونعومتها على

العرب في قتلهم الإناث فهذه نية فاسدة لو ترك بسببها أصل النكاح أو أصل الوقاع أثم بها لا يترك النكاح والوطء فكذا في العزل والفساد في اعتقاد المعرة في سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم أشد وينزل منزلة امرأة تركت النكاح استنكافاً من أن يعلوها رجل فكانت تشبه بالرجال ولا ترجع السكراة إلى عين ترك النكاح . الخامسة أن تمتنع المرأة لتعزها ومباهاة في النظافة والتحرز من الطلق والنفس والرضاع وكان ذلك عادة نساء الحوارج لمباقتن في استعمال المياه حتى كن يقضين صلوات أيام الحيض ولا يدخلن الحلاء إلا عراة فهذه بدعة تخالف السنة فهي نية فاسدة واستأذنت واحدة منهن على عائشة رضي الله عنها لما قدمت البصرة فلم تأذن لها فيكون القصد هو القاسد دون منع الولادة . فان قلت قد قال النبي ﷺ « من ترك النكاح مخافة العيال فليس منا ثلاثاً (١) » . قلت فالعزل كترك النكاح وقوله ليس منا أي ليس موافقاً لنا على سنتنا وطريقتنا وسنتنا فعل الأفضل . فان قلت قد قال صلى الله عليه وسلم في العزل « ذاك الوأد الحفي وقرأ وإذا اللوءودة سئلت (٢) » وهذا في الصحيح قلنا وفي الصحيح أيضاً أخبار صحيحة (٣) في الإباحة وقوله الوأد الحفي كقوله التبرك الحفي وذلك يوجب كراهة لا تحريماً . فان قلت قد قال ابن عباس العزل هو الوأد الأصفر فان المنوع وجوده به هو اللوءودة الصغرى . قلنا هذا قياس منه دفع الوجود على قطعه وهو قياس ضعيف ولذلك أنكره عليه رضي الله عنه لما سئل قال ولا تكون موءودة إلا بعد سبغ أي بعد الأخرى سبعة أطوار وتلا الآية الواردة في أطوار الخلقة وهي قوله تعالى - ولقد خلقنا الإنسان من سلاله من طين ثم جعلناه نطفة في قرار مكين - إلى قوله - ثم أنشأناه خلقاً آخر - أي نفخنا فيه الروح ، ثم تلا قوله تعالى في الآية - وإذا اللوءودة سئلت وإذا نظرت إلى ما قدمناه في طريق القياس والاعتبار ظهر لك تفاوت منصب علي وابن عباس رضي الله عنهما في القوم على المعاني ودرك العلوم كيف وفي المتفق عليه في الصحيحين عن جابر أنه قال « كنا نغزل على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم والقرآن ينزل » وفي لفظ آخر « كنا نغزل فبلغ ذلك نبي الله ﷺ فلم ينهنا (٤) » وفيه أيضاً عن جابر أنه قال « إن رجلاً أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال إن لي جارية هي خادمتنا وساقيتنا في النخل وأنا أطوف عليها وأكره أن تحمل فقال عليه الصلاة والسلام اعزل عنها إن شئت فانه سيأتيها ما قدر لها فلبث الرجل ما شاء الله ثم أتاه فقال إن الجارية قد حملت فقال قد قلت سيأتيها ما قدر لها (٥) » كل ذلك في الصحيحين . الحادى عشر : في آداب الولادة وهي خمسة : الأول أن لا يكثر فرسه بالذكر وحزنه بالأثني فانه لا يدرى الحيرة له في أيهما فكم من صاحب ابن يتمنى أن لا يكون له أو يتمنى أن يكون بنتاً بل السلامة منهن أكثر والثواب فيهن أجزل

(١) حديث من ترك النكاح مخافة العيال فليس منا تقدم في أوائل النكاح (٢) حديث قال صلى الله عليه وسلم في العزل ذلك الوأد الحفي مسلم من حديث جذامة بنت وهب (٣) حديث أحاديث إباحة العزل مسلم من حديث أبي سعيد أنهم سألوه عن العزل فقال لا عليكم أن لا تفعلوه ورواه النسائي من حديث أبي صرمة وللتبخين من حديث جابر كنا نغزل على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم زاد مسلم فبلغ ذلك نبي الله صلى الله عليه وسلم فلم ينهنا وللتبخين من حديث أبي هريرة سئل عن العزل فقبل اليهود تزعم أنها اللوءودة الصغرى فقال كذبت يهود . قال البيهقي رواية الإباحة أكثر وأحفظ (٤) حديث جابر المتفق عليه في الصحيحين كنا نغزل على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم ينهنا هو كما ذكر متفق عليه إلا أن قوله فلم ينهنا انفرد بها مسلم (٥) حديث جابر أن رجلاً أتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال إن لي جارية هي خادمتنا وساقيتنا في النخل وأنا أطوف عليها وأكره أن تحمل فقال اعزل عنها إن شئت الحديث ذكر المصنف أنه في الصحيحين وليس كذلك وإنما انفرد به مسلم .

قال صلى الله عليه وسلم «من كان له ابنة فأدبها فأحسن تأديبها وغذاها فأحسن غذاها وأسبغ عليها من النعمة التي أسبغ الله عليه كانت له مينة وميسرة من النار إلى الجنة» (١) وقال ابن عباس رضي الله عنهما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «ما من أحد يدرك ابنتين فيحسن إليهما ما يحبتهن إلا أدخلتهما الجنة» (٢) وقال أنس قال رسول الله ﷺ «من كانت له ابنتان أو أختان فأحسن إليهما ما يحبتهن كنت أنا وهو في الجنة كهاتين» (٣) وقال أنس قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «من خرج إلى سوق من أسواق المسلمين فاشترى شيئا فحمله إلى بيته غصص به الإناث دون الذكور نظر الله إليه ومن نظر الله إليه لم يعذبه» (٤) وعن أنس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «من حمل طرفه من السوق إلى عياله فكأنما حمل إليهم صدقة حتى يضعها فيهم وليداً بالاناث قبل الذكور فانه من فرح أنى فكأنما بكى من خشية الله ومن بكى من خشية حرم الله بدنه على النار» (٥) وقال أبو هريرة قال صلى الله عليه وسلم «من كانت له ثلاث بنات أو أخوات فصر على لأوائهن وضرائهن أدخله الله الجنة بفضل رحمته إياهن فقال رجل وثنتان يا رسول الله؟ قال وثنتان فقال رجل أو واحدة؟ فقال واحدة» (٦) . الأدب الثاني : أن يؤذن في أذن الولد روى رافع عن أبيه قال «رأيت النبي ﷺ قد أذن في أذن الحسن حين ولدت فاطمة رضي الله عنها» (٧) وروى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال «من ولده مولود فأذن في أذنه اليمنى وأقام في أذنه اليسرى دفعت عنه أم الصبيان» (٨) ويستحب أن يلتقوه أول انطلاق لسانه لا إله إلا الله ليكون ذلك أول حديثه والختان في اليوم السابع ورد به الخبر (٩) . الأدب الثالث : أن تسميه اسمًا حسنًا فذلك من حق الولد وقال صلى الله عليه وسلم «إذا سميت فبئدوا» (١٠) وقال عليه الصلاة والسلام

(١) حديث من كانت له ابنة فأدبها وأحسن أدبها وغذاها فأحسن غذاها الحديث الطبراني في الكبير والحرائطي في مكارم الأخلاق من حديث ابن مسعود بسند ضعيف (٢) حديث ابن عباس ما من أحد يدرك ابنتين فيحسن إليهما ما يحبتهن إلا أدخلتهما الجنة ابن ماجه والحاكم وقال صحيح الإسناد (٣) حديث أنس من كانت له ابنتان أو أختان فأحسن إليهما ما يحبتهن كنت أنا وهو في الجنة كهاتين الحرائطي في مكارم الأخلاق بسند ضعيف ورواه الترمذي بلفظ من عال جارينين وقال حسن غريب (٤) حديث أنس من خرج إلى سوق من أسواق المسلمين فاشترى شيئا فحمله إلى بيته غصص به الإناث دون الذكور نظر الله إليه ومن نظر الله إليه لم يعذبه الحرائطي بسند ضعيف (٥) حديث أنس من حمل طرفه من السوق إلى عياله فكأنما حمل إليهم صدقة الحرائطي بسند ضعيف جدا وابن عدي في الكامل وقال ابن الجوزي حديث موضوع (٦) حديث أبي هريرة من كانت له ثلاث بنات أو أخوات فصر على لأوائهن الحديث الحرائطي واللفظ له والحاكم ولم يقل أو أخوات وقال صحيح الإسناد (٧) حديث أبي رافع رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم أذن في أذن الحسين حين ولدت فاطمة أحمد واللفظ له وأبو داود والترمذي وصححه إلا أنهما قالا الحسن مكبرا وضعفه ابن القطان (٨) حديث من ولده مولود وأذن في أذنه اليمنى وأقام في أذنه اليسرى رفعت عنه أم الصبيان أبو يعلى الموصلي وابن السني في اليوم والليلة والبيهقي في شعب الإيمان من حديث الحسين بن علي بسند ضعيف (٩) حديث الختان في اليوم السابع الطبراني في الصغير من حديث جابر بسند ضعيف أن رسول الله صلى الله عليه وسلم علق عن الحسن والحسين وختنهما لسبعة أيام وإسناده ضعيف واختلف في إسناده فقيل عبد الملك بن إبراهيم بن زهير عن أبيه عن جدّه (١٠) حديث إذا سميت فبئدوا الطبراني من حديث عبد الملك بن أبي زهير عن أبيه معاذ وصحح إسناده والبيهقي من حديث عائشة .

قدر حسابها وهواها
فلبس الشيخ مثل
هذا الراكن لتلك
الهيئة ثوبا يكسر
بذلك على نفسه هواها
وغرضها وقد يكون
على المرید ملبوس ناعم
أو هيئة في اللبوس
تسرب النفس إلى تلك
الهيئة بالعادة فلبس
الشيخ ما يخرج النفس
من عاداتها وهواها
فتصرف الشيخ في
الملبوس كتصرفه في
الظنوم وكتصرفه في
صوم المرید وإفطاره
وكتصرفه في أمر دينه
إلى ما يرى له من الصلحة
من دوام الذكر ودوام
التفكير في الصلاة ودوام
التلاوة ودوام الخدمة
وكتصرفه فيه برده
إلى السكب والفتوح
أو غير ذلك فللشيخ
إشراف على البواطن
وتنوع الاستعدادات
قيام كل مرید من أمر
نمائه ومعاده بما
يصلح له ولتنوع
الاستعدادات تنوعت

« أحب الأسماء إلى الله عبد الله وعبد الرحمن ^(١) » وقال « سموا باسمي ولا تكونوا بكنتي ^(٢) » قال العلماء كان ذلك في عصره صلى الله عليه وسلم إذ كان ينادى يا أبا القاسم والآل فلا بأس نعم لا يجمع بين اسمه وكنته وقد قال صلى الله عليه وسلم « لا تجمعوا بين اسمي وكنتي ^(٣) » وقيل إن هذا أيضا كان في حياته وتسمى رجل أبا عيسى فقال عليه السلام « إن عيسى لأب له ^(٤) » فيكره ذلك والسقط ينبغي أن يسمى قال عبد الرحمن بن يزيد بن معاوية بلغني أن السقطي صرخ يوم القيامة وراء أبيه فيقول أنت ضيعتي وتركنتي لا اسم لي فقال عمر بن عبد العزيز كيف وقد لا يدري أنه غلام أو جارية فقال عبد الرحمن من الأسماء ما يجمعها كعزة وعمارة وطلحة وعتبة وقال صلى الله عليه وسلم « إنكم تدعون يوم القيامة بأسماءكم وأسماء آبائكم فأحسنوا أسماءكم ^(٥) » ومن كان له اسم يكره يستحب تبديله أبدل رسول الله صلى الله عليه وسلم اسم العاص بعبد الله ^(٦) « وكان اسم زينب بركة قال عليه السلام : تركي نفسها فها زينب ^(٧) » وكذلك ورد النبي في تسمية أفلح ويسار ونافع وبركة ^(٨) لأنه يقال أئمة بركة فقال : لا . الرابع العقيقة عن الذكر بشاتين وعن الأنثى بشاة ولا بأس بالشاة ذكرًا كان أو أنثى وروى عائشة رضي الله عنها « أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أمر في الغلام أن يعق بشاتين مكافتين وفي الجارية بشاة ^(٩) » وروى « أنه عقى عن الحسن بشاة ^(١٠) » وهذا رخصة في الاختصار على واحدة وقال صلى الله عليه وسلم « مع الغلام عقيقته فأهريقوا عنه دماء وأمطبوا عنه الأذى ^(١١) » ومن السنة أن يتصدق بوزن شعره ذهبًا أوضة تصدور فيه خبر « أنه عليه السلام أمر فاطمة رضي الله عنها يوم سابع حسين أن تحلق شعره وتتصدق بزنة شعره فضة ^(١٢) »

(١) حديث أحب الأسماء إلى الله عبد الله وعبد الرحمن مسلم من حديث ابن عمر (٢) حديث سموا باسمي ولا تكونوا بكنتي متفق عليه من حديث جابر وفي لفظ تسموا (٣) حديث لا تجمعوا بين اسمي وكنتي أحمد وابن حبان من حديث أبي هريرة ولأبي داود والترمذي وحسنه وابن حبان من حديث جابر من سمى باسمي فلا يتكفى بكنتي ومن تكفى بكنتي فلا ينسب باسمي . (٤) حديث إن عيسى لأب له أبو عمر التوفاني في كتاب معاشرة الأهلين من حديث ابن عمر بسند ضعيف ولأبي داود أن عمر ضرب ابنا له تكفى أبا عيسى وأنكر على لليرة بن شعبة تكنيه بأبي عيسى فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم كنانى وإسناده صحيح (٥) حديث إنكم تدعون يوم القيامة بأسماءكم وأسماء آبائكم فأحسنوا أسماءكم أبو داود من حديث أبي الدرداء قال النووي بإسناد جيد وقال البيهقي إنه مرسل (٦) حديث بدل رسول الله صلى الله عليه وسلم اسم العاص بعبد الله رواه البيهقي من حديث عبد الله بن الحارث بن جزء الزيندي بسند صحيح (٧) حديث قال صلى الله عليه وسلم زينب وكان اسمها بركة تركي نفسها فها زينب متفق عليه من حديث أبي هريرة (٨) حديث النبي في تسمية أفلح ويسار ونافع وبركة مسلم من حديث سمرة بن جندب إلا أنه جعل مكان بركة رباحا وله من حديث جابر أراد النبي صلى الله عليه وسلم أن ينهي أن يسمى يعلى وبركة الحديث (٩) حديث عائشة أمر في الغلام بشاتين مكافتين وفي الجارية بشاة الترمذي وصححه (١٠) حديث عقى عن الحسن بشاة الترمذي من حديث علي وقال ليس إسناده متصل ووصله الحاكم إلا أنه قال حسين ورواه أبو داود من حديث ابن عباس إلا أنه قال كبشا (١١) حديث مع الغلام عقيقته فأهريقوا عنه دماء وأمطبوا عنه الأذى البخاري من حديث سلمان ابن عامر الضبي (١٢) حديث أمر فاطمة يوم سابع حسين أن تحلق شعره ويتصدق بزنة شعره فضة الحاكم وصححه من حديث علي وهو عند الترمذي منقطع بلفظ حسن وقال ليس إسناده متصل ورواه أحمد من حديث أبي رافع .

مراتب الدعوة قال الله تعالى - ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن - بالحكمة رتبة في الدعوة والموعظة كذلك والمجادلة كذلك فمن يدعى بالحكمة لا يدعى بالموعظة ومن يدعى بالموعظة لا تصلح دعوته بالحكمة فكذا الشيخ يعلم من هو على وضع الأبرار ومن هو على وضع القبرين ومن يصلح لدوام الذكر ومن يصلح لدوام الصلاة ومن لهوى في التختن أو في التتم فيخلع للرئيس عادية ويخرجه من مضيق هوى نفسه ويطعمه باختياره ويلبسه باختياره ثوبا يصلح له وهبته تصلح له ويدأوى بالخرقة المخصوصة والمبينة المخصوصة داه هواء ويتوخى بذلك تقريره

قالت عائشة رضي الله عنها لا يكسر للعقيقة عظم . الخامس أن يحنكه بتمر أو حلوة وروى عن أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنهما قالت « ولدت عبد الله بن الزبير بقاء ثم أتيت به رسول الله صلى الله عليه وسلم فوضعت في حجره ثم دعا بتمر فضعها ثم نفل في فيه (١) » فكان أول شيء دخل جوفه ريق رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم حنكه بتمر ثم دعا له وبرك عليه وكان أول مولود ولد في الإسلام قهر حوا به فرحاً شديداً لأنهم قبلهم إن اليهود قد سحرتمكم فلا يولد لكم . الثاني عشر : في الطلاق وليعلم أنه مباح ولكنه أنقض الباحات إلى الله تعالى وإنما يكون مباحاً إذا لم يكن فيه إيذاء بالباطل وبهما طلقها قد آذاها ولا يباح إيذاء الغير إلا بحاجة من جانبها أو بضرورة من جانبها قال الله تعالى - فإن أطلعكم فلا تبغوا عليهن سبيلاً - أي لا تطلبوا إحيلة لافراق وإن كرهها أبوه فليطلقها قال ابن عمر رضي الله عنهما « كان تحق امرأة أحبها وكان أبي يكرهها وبأمرني بطلاقها فراجعت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا ابن عمر طلق امرأتك (٢) » فهذا يدل على أن حق الوالد مقدم ولكن والديكرهها لا يفرض فاسد مثل عمر وبهما آذنت زوجها وبذت على أهله فهي جانية وكذلك مهما كانت سيئة الخلق أو فاسدة الدين قال ابن مسعود في قوله تعالى - ولا يخرجن إلا أن يأتين بفاحشة مبينة - مهما بذت على أهله وآذت زوجها فهو فاحشة وهذا أزيد به في العدة ولكنه تنبيه على التصود وإن كان الأذى من الزوج فلها أن تفتدي بذلك مالها ويكرم للرجل أن يأخذ منها أكثر مما أعطى فإن ذلك إحجاف بها وتحامل عليها وتجارة على البضع قال تعالى - فلا جناح عليهما فيما اتدت به - فرد ما أخذته فما دونه لائق بالقداء فإن سألت الطلاق بغير ما بأس فهي آفة قال صلى الله عليه وسلم « أيما امرأة سألت زوجها طلاقاً من غير ما بأس لم ترح رائحة الجنة (٣) » وفي لفظ آخر فالجنة عليها حرام وفي لفظ آخر أنه عليه السلام قال « المختلعات هن النافقات (٤) » ثم ليراع الزوج في الطلاق أربعة أمور . الأول أن يطلقها في طهر لم يحامها فيه فإن الطلاق في الحيض أو الطهر الذي جامع فيه بدعي حرام وإن كان واقفاً لما فيه من تطويل العدة عليها فإن فعل ذلك فليراجعها « طلق ابن عمر زوجته في الحيض فقال صلى الله عليه وسلم لمرء : مره فليراجعها حتى تطهر ثم تحيض ثم تطهر ثم إن شاء طلقها وإن شاء أمسكها فذلك المدة التي أمر الله أن يطلق لها النساء (٥) » وإنما أمره بالصبر بعد الرجعة طهرين ثلاثاً يكون مقصود الرجعة الطلاق قط . الثاني : أن يقتصر على طلقة واحدة فلا يجمع بين الثلاث لأن الطلقة الواحدة بعد العدة تفيد القصد ويستفيد بها الرجعة إن ندم في العدة وتجديد النكاح إن أراد بعد العدة وإذا طلق ثلاثاً ربما ندم فيحتاج إلى أن يتزوجها محلل وإلى الصبر مدة وعقد المحلل منهي عنه ويكون هو السامح فيه ثم يكون قلبه معلقاً بزوجة الغير وتطليقه أعنى زوجة المحلل بعد أن زوج منه ثم يورث ذلك تفريقاً من الزوجة وكل ذلك ثمرة الجمع وفي الواحدة كفاية في المقصود من غير محذور ولست

(١) حديث أسماء ولدت عبد الله بن الزبير بقاء ثم أتت به رسول الله صلى الله عليه وسلم فوضعه في حجره ثم دعا بتمر فضعها ثم نفل في فيه الحديث متفق عليه (٢) حديث ابن عمر كانت تحق امرأة أحبها وكان أبي يكرهها فأمرني بطلاقها الحديث أصحاب السنن قال ت حسن صحيح (٣) حديث أيما امرأة سألت زوجها طلاقاً من غير ما بأس لم ترح رائحة الجنة وفي لفظ فالجنة عليها حرام أبو داود والترمذي وحسنه وابن ماجه وابن حبان من حديث ثوبان (٤) حديث المختلعات هن النافقات النساء من حديث أبي هريرة وقال لم يسمع الحسن من أبي هريرة قال ومع هذا لم أسمعه إلا من حديث أبي هريرة قلت روى الطبراني من حديث عتبة بن عامر بسند ضعيف (٥) حديث طلق ابن عمر زوجته في الحيض فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لمرء مره فليراجعها الحديث متفق عليه من حديث ابن عمر .

إلى رضا مولاه فالمرید
الصادق الملتب باطنه
بنار الإرادة في يده أمره
وحدة إرادته كالملسوع
الحريص على من يرقبه
ويداويه فإذا صادف
شيخاً أثبت من باطن
الشيخ صدق العناية
به لاطلاعه عليه
وينبث من باطن
المرید صدق المحبة
بتألف القلوب وتسام
الأرواح وظهور سر
السابقة فيهما باجتماعهما
له وفي الله وبالله
فيكون القميص الذي
يلبس المرید خرقه
تبشر المرید بحسن
عناية الشيخ به فيعمل
عند المرید عمل قبص
يوسف عند يعقوب
عليهما السلام . وقد
نقل أن إبراهيم
الحليل عليه السلام
حين أتى في النار جرد
من ثيابه وقذف في
النار عرياناً فأنام جبريل
عليه السلام بقميص
من حرير الجنة
وألپسه إياه وكان ذلك

أقول الجع حرام لكنه مكروه بهذه المعاني وأعني بالكراهة تركه النظر لنفسه . الثالث أن يتألف في التعلل بتطليقها من غير تعنيف واستخفاف وتطبيب قلبها بهدية على سبيل الإمتاع والجبر لما فجها به من أذى الفراق قال تعالى - ومتوهن - وذلك واجب مهما لم يسم لها مهر في أصل النكاح . كان الحسن بن علي رضي الله عنهما مطلقا ومنكاحا ووجه ذات يوم بعض أصحابه لطلاق امرأتين من نسائه وقال قل لهما اعتدا وأمره أن يدفع إلى كل واحدة عشرة آلاف درهم ففعل فلما رجع إليه قال ماذا فعلتا قال أما إحداها فنكست رأسها وتكست وأما الأخرى فبكت واتسجت وصمعتها تقول متاع قليل من حبيب مفارق فأطرق الحسن وترحم لها وقال لو كنت مراجعا امرأة بعد مفارقتها لراجعتها . ودخل الحسن ذات يوم على عبد الرحمن بن الحرث بن هشام فقيه المدينة ورئيسها ولم يكن له بالمدينة نظير وبه ضربت للث عائشة رضي الله عنها حيث قالت لو لم أسر سيري ذلك لكان أحب إلي من أن يكون لي ستة عشر ذكرا من رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل عبد الرحمن بن الحرث بن هشام فدخل عليه الحسن في بيته ففضله عبد الرحمن وأجلسه في مجلسه وقال ألا أرسلت إلي فكنك أجيئك فقال الحاجة لنا قال وما هي قال جئتك خاطبا ابنتك فأطرق عبد الرحمن ثم رفع رأسه وقال والله ما على وجه الأرض أحد يثنى عليها أعز علي منك ولكنت تعلم أن ابنتي بضعة مني يسوؤني ما يسوؤها ويسرني ما يسرها وأنت مطلق فأخاف أن تطلقها وإن فعلت خشيت أن يتغير قلبي في محبتك وأكره أن يتغير قلبي عليك فأنت بضعة من رسول الله صلى الله عليه وسلم فإن شرطت أن لا تطلقها زوجتك فكنت الحسن وقام وخرج وقال بعض أهل بيته سمعته وهو عشي ويقول : ما أراد عبد الرحمن إلا أن يجعل ابنته طوقا في عنقي . وكان على رضي الله عنه ينسج من كثرة تطليقه فكان يستدر منه على اللبر ويقول في خطبته : إن حسنا مطلقا فلا تنكحوه حتى قام رجل من همدان فقال والله يا أمير المؤمنين لننكحه ما شاء فإن أحب أمسك وإن شاء ترك فسر ذلك عليا وقال :

لو كنت بوابا على باب جنة قلت لهمدان ادخلي بسلام

وهذا تنبيه على أن من طعن في حبيبه من أهل وولد بنوع حياء فلا ينبغي أن يوافق عليه فهذه الواقعة قبيحة بل الأدب المخالفة ما أمكن فإن ذلك أسر لقلبه وأوفق لباطن دأبه والقصد من هذا بيان أن الطلاق مباح وقد وعد الله القى في الفراق والنكاح جميعا فقال - وأنكحوا الأيامي منكم والصالحين من عبادكم وإمائكم إن يكونوا قراء فينهم الله من فضله - وقال سبحانه وتعالى - وإن يفرقا بض الله كلا من سعة - . الرابع : أن لا يفتي سرها لافي الطلاق ولا عند النكاح فقد ورد في إفشاء سر النساء في الخبر الصحيح وعيد عظيم ^(١) . وروى عن بعض الصالحين أنه أراد إطلاق امرأة فقيل له ما الذي يريك فيها فقال العاقل لا يهتك ستر امرأته فلما طلقها قيل له لم تطلقها قال مالي ولا امرأة أخرى فهذا بيان ما على الزوج .

(القسم الثاني من هذا الباب النظر في حقوق الزوج عليها)

والقول الثاني فيه أن النكاح نوع رقي فله رقيقة له فليها طاعة الزوج مطلقا في كل ما يطلب منها في نفسها بما لا معصية فيه وقد ورد في تعظيم حق الزوج عليها أخبار كثيرة قال صلى الله عليه وسلم « أيعا امرأة ماتت وزوجها عنها راض دخل الجنة » ^(٢) « وكان رجل قد خرج إلى سفر وعهد إلى امرأته أن لا تنزل

(١) حديث الوعيد في إفشاء سر المرأة مسلم من حديث أبي سعيد قال : قال رسول الله ﷺ : إن أعظم الأمانة عند الله يوم القيامة الرجل يفضي إلى امرأته وتفضي إليه ثم يفتي سرها (٢) حديث أيعا امرأة ماتت وزوجها راض عنها دخل الجنة الترمذي وقال حسن غريب وابن ماجه من حديث أم سلمة .

عند إبراهيم عليه السلام فلما مات ورثه اسحق فلما مات ورثه يعقوب فجعل يعقوب عليه السلام ذلك القميص في تعويد وجهه في عنق يوسف فكان لا يفارقه لما ألقى في البئر عريانا جاء جبريل وكان عليه التصويد فأخرج القميص منه وألبسه إليه . أخبرنا الشيخ العالم رضي الدين أحمد ابن اسمعيل القزويني بإجازة قال أنا أبو سعيد محمد بن أبي العباس قال أنا القاضي محمد بن سعيد قال أنا أبو اسحق أحمد بن محمد قال أخبرني ابن فنجويه الحسين بن محمد قال ثنا محمد بن جعفر قال ثنا الحسن بن علويه قال ثنا اسمعيل بن عيسى قال ثنا إسحق بن بشر عن ابن السدي عن أبيه عن مجاهد قال كان يوسف عليه السلام أعلم بالله تعالى

من العلو إلى السفلى وكان أبوها في الأسفل فرض فأرسلت المرأة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم تستأذن في النزول إلى أبيها فقال **عليه السلام** : أطعمي زوجك ففأت فاستأمرته فقال أطعمي زوجك فدفن أبوها فأرسل رسول الله صلى الله عليه وسلم إليها يخبرها أن الله قد غفر لأبيها بطاعتها لزوجها ^(١) . وقال صلى الله عليه وسلم «إذا صلت المرأة خمسها وصامت شهرها وحفظت فرجها وأطاعت زوجها دخلت جنة ربها ^(٢) » وأضاف طاعة الزوج إلى مباني الاسلام وذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم النساء فقال «حاملات والداة مرضعات رحيمات بأولادهن لولامياتين أزواجهن دخل مصلياتهن الجنة ^(٣) » وقال صلى الله عليه وسلم «اطلمت في النار فإذا أكثر أهلها النساء ، قلن لم يارسول الله ؟ قال يكثرن اللعن ويكثرون الشير ^(٤) » يعني الزوج للعائش وفي خبر آخر «اطلمت في الجنة فإذا أقل أهلها النساء قتلن أين النساء قال شغلن الأحرار الذهب والزعفران ^(٥) » يعني الحلى ومصنغات الثياب . وقالت عائشة رضي الله عنها «أنت فتاة إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقالت يارسول الله إني فتاة أخطب فأكره التزويج فما حق الزوج على المرأة قال : لو كان من فرقه إلى قدمه صديد فلحسته ما أدت شكره قالت أقلأ أزواج قال بل تزوجي فانه خير ^(٦) » قال ابن عباس «أنت امرأة من ختم إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت إني امرأة أيم وأريد أن أزواج فما حق الزوج ؟ قال : إن من حق الزوج على الزوجة إذا أرادها فراودها عن نفسها وهي على ظهر بعير لا تمتعه ومن حقه أن لا تعطى شيئا من بيته إلا بإذنه فإن فعلت ذلك كان الوزر عليها والأجر له ومن حقه أن لا تصوم تطوعا إلا بإذنه فإن فعلت جاعت وعطشت ولم يقبل منها وإن خرجت من بينها بغير إذنه لعن الملائكة حتى ترجع إلى بيته أو تتوب ^(٧) » وقال صلى الله عليه وسلم «لو أمرت أحدا أن يسجد لأحد لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها من عظم حقه عليها ^(٨) »

(١) حديث كان رجل خرج إلى سفر وعهد إلى امرأته أن لا تنزل من العلو إلى السفلى وكان أبوها في السفلى فرض الحديث الطبراني في الأوسط من حديث أنس بسند ضعيف إلا أنه قال غفر لأبيها (٢) حديث إذا صلت المرأة خمسها وصامت شهرها الحديث ابن حبان من حديث أبي هريرة (٣) حديث ذكر النساء فقال حاملات والداة مرضعات الحديث ابن ماجه والحاكم وصححه من حديث أبي أمامة دون قوله مرضعات وهي عند الطبراني في الصغير (٤) حديث اطلمت في النار فإذا أكثر أهلها النساء الحديث متفق عليه من حديث ابن عباس (٥) حديث اطلمت في الجنة فإذا أقل أهلها النساء قتلن أين النساء قال شغلن الأحرار الذهب والزعفران أحمد من حديث أبي أمامة بسند ضعيف وقال الحرير بدل الزعفران ولمسلم من حديث عزة الأشجعية وبل للنساء من الأحرار بن الذهب والزعفران وسنده ضعيف (٦) حديث عائشة أنت فتاة إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقالت يابني الله إني فتاة أخطب وإني أكره التزويج فما حق الزوج على المرأة الحديث الحاكم وصححه إسناده من حديث أبي هريرة دون قوله بل تزوجي فإنه خير ولم أره من حديث عائشة (٧) حديث ابن عباس أنت امرأة من ختم إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت إني امرأة أيم وأريد أن أزواج فما حق الزوج الحديث البيهقي مقتصر على شطر الحديث ورواه بتمامه من حديث ابن عمر وفيه ضعف (٨) حديث لو أمرت أحدا أن يسجد لأحد لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها والولد لأبيه من عظم حقهما عليهما الترمذي وابن حبان من حديث أبي هريرة دون قوله والولد لأبيه فلم أرها وكذلك رواه أبو داود من حديث قيس بن سعد وابن ماجه من حديث عائشة وابن حبان من حديث ابن أبي أوفى .

من أن لا يعلم أن قبضه لا يرد على مقبوض بصره ولكن ذلك كان قبض إبراهيم وذكر ما ذكرناه قال فأمره جبرائيل أن أرسل بقميصك فإن فيه ريح الجنة لا يقع على مبتلى أو مقبض إلا يصح وعوفي فتكون الحرقه عند المريد الصادق متحممة إليه عرف الجنة لما عنده من الاعتداد بالصحة لله ويرى لبس الحرقه من عناية الله به وفضل من الله فأما خرقه التبرك فيطلبها من مقطوعة التبرك بزي القوم ومثل هذا لا يطلب بشرائط الصحة بل يوصى بلزوم حدود الشرع ومخالطة هذه الطائفة لتمود عليه بركتهم ويتأدب بأدابهم نسوف برقيه ذلك إلى الأهلية لحرقه الإرادة فعلى هذا خرقه التبرك مبذولة لكل طالب

وقال صلى الله عليه وسلم « أقرب ما تكون المرأة من وجه ربها إذا كانت في قصر بيتها وإن صلاتها في محن دارها أفضل من صلاتها في المسجد وصلاتها في بيتها أفضل من صلاتها في محن دارها وصلاتها في محن دارها أفضل من صلاتها في بيتها (١) » والمخدع بيت في بيت وذلك للستر ولذلك قال عليه السلام « المرأة عورة فإذا خرجت استشرفها الشيطان (٢) » وقال أيضا « للمرأة عشر عورات فإذا تزوجت ستر الزوج عورة واحدة فإذا ماتت ستر القبر العشر عورات (٣) » حقوق الزوج على الزوجة كثيرة وأهمها أمران أحدهما الصيانة والستر والآخر ترك اللطافة مما وراء الحاجة والتعفف عن كسبه إذا كان حراما وهكذا كانت عادة النساء في السلف كان الرجل إذا خرج من منزله يقول له امرأته وأبنته إياك وكسب الحرام فانا نصبر على الجوع والضر ولا نصبر على النار . وهم رجل من السلف بالسفر فكره جيرانه سفره فقالوا لزوجته لم ترين بسفره ولم يدع لك نفقة فقالت زوجي منذ عرفته عرفته كالا وما عرفته رزاقا ولي رب رزاق يذهب الأكل ويبقى الرزاق . وخطبت رابعة بنت اسماعيل أحمد بن أبي الحواري فكره ذلك لما كان فيه من العبادة وقال لها والله مالي همه في النساء لتغلي بحالي فقالت إني لأشغل بحالي منك ومالي شهوة ولكن ورثت مالا جزيلا من زوجي فأردت أن تنفقه على أخوانك وأعرف بك الصالحين فيكون لي طريقا إلى الله عز وجل فقال حتى أستاذن أستاذي فرجع إلى أبي سليمان الداراني قال وكان ينهاني عن التزويج ويقول ما تزوج أحد من أصحابنا إلا تغير فلما سمع كلامها قال تزوج بها فانها ولىة لله هذا كلام الصديقين قال فتزوجتها فكان في منزلنا كن من جص قفى من غسل أيدي المتعجلين للخروج بعد الأكل فضلا عن غسل بالأشنان قال وتزوجت عليها ثلاث نسوة فكانت تطعمني الطيبات وتطينني وتقول اذهب بنشاطك وقوتك إلى أزواجك وكانت رابعة هذه تشبه في أهل الشام رابعة العدوية بالبصرة . ومن الواجبات عليها أن لا تفرط في ماله بل تحفظه عليه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لا يحل لها أن تطعم من بيته إلا بإذنه إلا الرطب من الطعام الذي يخاف فسادَه فإن أطعمت عن رضاه كان لها مثل أجره وإن أطعمت بغير إذنه كان له الأجر وعليها الوزر (٤) » ومن حقها على الوالدين تعليمها حسن المعاشرة وآداب العشرة مع الزوج كما روى أن أسماء

(١) حديث أقرب ما تكون المرأة من ربها إذا كانت في قصر بيتها فان صلاتها في محن دارها أفضل من صلاتها في المسجد الحديث ابن حبان من حديث ابن مسعود بأول الحديث دون آخره وآخره رواه أبو داود مختصرا من حديثه دون ذكر محن الدار ورواه البيهقي من حديث عائشة بلفظ ولأن تصلي في الدار خير لها من أن تصلي في المسجد وإسناده حسن ولابن حبان من حديث أم حميد بنحوه (٢) حديث المرأة عورة فإذا خرجت استشرفها الشيطان الترمذي وقال حسن صحيح وابن حبان من حديث ابن مسعود (٣) حديث للمرأة عشر عورات فإذا تزوجت ستر الزوج عورة الحديث الحافظ أبو بكر محمد بن عمر الجماعي في تاريخ الطالبين من حديث علي بن سعيد ضعيف والطبراني في الصغير من حديث ابن عباس للمرأة ستران قيل وماها قال الزوج والقبر (٤) حديث لا يحل لها أن تطعم من بيته إلا بإذنه إلا الرطب من الطعام الحديث أبو داود الطيالسي والبيهقي من حديث ابن عمر في حديث فيه ولا تعطى من بيته شيئا إلا بإذنه فان فعلت ذلك كان له الأجر وعليها الوزر ولأبي داود من حديث سعد قالت امرأة يارسول الله إنا كل على آباءنا وأبنائنا وأزواجنا فما يحل لنا من أموالهم قال الرطب تأكله وتهديته وقد صحح الدارقطني في العمل أن سعدا هذا رجل من الأنصار ليس ابن أبي وقاص واختاره ابن القطان ومسلم من حديث عائشة إذا أنفقت المرأة من طعام بيتها غير مفسدة كان لها أجرها بما أنفقت ولزوجها أجره بما كسب .

وخبرة الإرادة ممنوعة إلا من الصادق الراغب وليس الأزرق من استحسان الشيوخ في الحرقة فان رأى شيخ أن يلبس مريدا غير الأزرق فليس لأحد أن يترش عليه لأن الشايع آراؤهم فيها يفعلون بحكم الوقت وكان شيخنا يقول كان الفقير يلبس قصير الأكم ليكون أعون على الخدمة ويجوز للشيخ أن يلبس المريد خرقا في دفعات على قدر ما يتلح من الصلحة للمريد في ذلك على ما أسلفناه من تداوى هواء في اللبوس والملون فيختار الأزرق لأنه أرفق للفقير لكونه يعمل الوسخ ولا يحوج إلى زيادة القسل لهذا المعنى فحسب وما عدا هذا من الوجوه التي يذكرها بعض

بنت خاتمة القزاري قالت لا يفتها عند الزوج : إنك خرجت من العش الذي فيه درجت فصرت إلى فراش
لم تعرفه وقرين لم تألفه فكوني له أرضا يكن لك حماء وكوني له مهادا يكن لك عمادا وكوني له أمة يكن
لك عبدا لا تلحق به فيفلاك ولا تباعدى عنه فينساك إن دنا منك فأقرى منه وإن نأى فابعدى عنه واحفظى
أنفه وصممه وعينه فلا يشمن منك إلا طيبا ولا يسمع إلا حسنا ولا ينظر إلا جميلا . وقال رجل لزوجته :

خذى العفو متى تستدعى مودى ولا تنطقى فى سورى حين أغضب
ولا تقريقى فترك الدف مرة فانك لا تدريين كيف للغب
ولا تنكرى الشكوى تنذهب بالهوى وبأباك قلبى والقلوب تغلب
فانى رأيت الحب فى القلب والأذى إذا اجتماعا لم يلبث الحب يذهب

فأقول الجامع فى آداب المرأة من غير تطويل أن تكون قاعدة فى قصر بيتها لازمة لمزنها لا يكثر
صمودها وإطاعتها قليلة الكلام لجيرانها لا تدخل عليهم إلا فى حال يوجب الدخول تحفظ بعلها فى
غيبته وأطلب مسرته فى جميع أمورها ولا تخونه فى نفسها وماله ولا تخرج من بيتها إلا بإذنه فإن
خرجت بإذنه فمختفية فى هيئة رثة أطلب الواضع الحالية دون الشوارع والأسواق محترمة من أن
يسمع غريب صوتها أو يعرفها بشخصها لا تعرف إلى صديق بعلها فى حاجتها بل تتنكر على من تظن
أنه يعرفها أو تعرفه مهما صلاح شأنها وتدير بيتها مقبلة على صلاتها وصيامها وإذا استأذن صديق
لبعها على الباب وليس البعل حاضرا لم تستفهم ولم تعاوده فى الكلام غيره على نفسها وجلها وتكون
قائمة من زوجها بما رزق الله وتقدم حقه على حق نفسها وحق سائر أقاربها منتظفة فى نفسها مستعدة
فى الأحوال كلها للتمتع بها إن شاء مشفقة على أولادها حافظة للسر عليهم قصيرة اللسان عن سب
الأولاد ومراجعة الزوج وقد قال صلى الله عليه وسلم « أنا وامرأة سفعاء الحدين كهاتين فى الجنة
امرأة آمنت من زوجها وحبت نفسها على بناتها حتى نابوا أو ماتوا (١) » وقال صلى الله عليه وسلم
« حرم الله على كل آدمى الجنة بدخلها قبل غير أنى أنظر عن يمينى فإذا امرأة تبادرنى إلى باب الجنة
فأقول ما لهذا تبادرنى فيقال لى يا محمد هذه امرأة كانت حسناء جميلة وكان عندها يتامى لها فصبرت
عليهن حتى بلغ أمرهن الذى بلغ فشكر الله لها ذلك (٢) » . ومن آدابها أن لا تتفاخر على الزوج
بجمالها ولا تزدري زوجها لقبه فقد روى أن الأصمعى قال دخلت البادية فإذا أنا بامرأة من أحسن
الناس وجها نحت رجل من أقبح الناس وجها فقلت لها ياهنه أترضين لنفسك أن تكونى نحت
مثله قالت ياهذا اسكت فقد أسأت فى قولك لعله أحسن فيما بينه وبين خالقه فجعلنى نوابه أولمى
أسأت فيما بينى وبين خالقي فجعله عقوبتى أفلا أرضى بما رضى الله لى فأسكتنى . وقال الأصمعى رأيت
فى البادية امرأة عليها قميص أحمر وهى مخضبة ويدها سبعة فقلت ما أبعد هذا من هذا فقالت :

والله منى جانب لا أضيقه والله منى والبطلالة جانب

فصلت أنها امرأة سالحة لها زوج تزين له . ومن آداب المرأة ملازمة الصلاح والاحتياض فى غيبة
زوجها والرجوع إلى اللعب والانبساط وأسباب اللذة فى حضور زوجها ولا يبنى أن تؤذى زوجها
بمخال روى عن معاذ بن جبل قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لا تؤذى امرأة زوجها فى الدنيا إلا
قالت زوجته من الحور العين لا تؤذيه قالتك الله فانما هو عندك دخیل يوشك أن يفارقك إلينا (٣) »

(١) حديث أنا وامرأة سفعاء الحدين كهاتين الحديث أبو داود من حديث أنى مالك الأشجعي بسند
ضعيف (٢) حديث حرم الله على كل آدمى الجنة أن يدخل قبل غير أنى أنظر عن يمينى فإذا امرأة
تبادرنى إلى باب الجنة الحرائطى فى مكارم الأخلاق من حديث أبى هريرة بسند ضعيف (٣) حديث معاذ

المصوفة فى ذلك كلام
إقناعى من كلام
التصميم ليس من
الدين والحقيقة بشيء
سمعت الشيخ سيد
الدين أبى الفجر الممدانى
رحمه الله قال : كنت
يغداد عند أبى بكر
الشروطى فخرج إلينا
فقير من زاوية عليه
ثوب وسخ فقال له بعض
الفقراء لم لا تغسل
ثوبك فقال يا أخى
ما أفترغ فقال الشيخ
أبو الفخر لا زال أتذكرك
حلاوة قول الفقير
ما أفترغ لأنه كان
صادقا فى ذلك فأجد
قمة تقوه وبركة
بتذكارى ذلك
فاختاروا اللون لهذا
للعنى لأنهم من رعاية
وقتهم فى شغل شاغل
والأفأى ثوب البس
الشيخ المريد من
أيض وغير ذلك
فالشيوخ ولاية ذلك
بحسن مقصده ووفور
علمه وقد رأينا من
الشيوخ من لا يلبس

ومما يجب عليها من حقوق النكاح إذا مات عنها زوجها أن لاتعد عليه أكثر من أربعة أشهر وعشرا
وتجنب الطيب والزينة في هذه المدة قالت زينب بنت أبي سلمة دخلت على أم حبيبة زوج النبي صلى الله
عليه وسلم حين توفي أبوها أبو سفيان بن حرب فعدت بطيب فيه صفرة خلوق أو غيره فدهنت به جارية
ثم مست بعارضها ثم قالت والله مالي بالطيب من حاجة غير أني سمعت رسول الله ﷺ يقول « لا يحل لامرأة
تؤمن بالله واليوم الآخر أن تعد على ميت أكثر من ثلاثة أيام إلا على زوج أربعة أشهر وعشرا (١) »
ويلزمها لزوم مسكن النكاح إلى آخر العدة وليس لها الانتقال إلى أهلها ولا الخروج إلا للضرورة .
ومن آدابها أن تقوم بكل خدمة في الدار تقدر عليها قدر وى عن أسماء بنت أبي بكر الصديق رضى الله
عنهما أنها قالت تزوجني الزير وماله في الأرض من مال ولا مملوك ولا شيء غير فرسه وناضحه فكننت أعلف
فرسه وأكفيه مؤنته وأسوسه وأدق النوى لناضحه وأعلفه وأسقي الماء وأخرز غربه وأعجن وكنت
أقل النوى على رأسى من ثنى فرسخ حتى أرسل إلى أبي بكر بحارية فكفتنى سياسة القرس فكأناء عتقى (٢)
ولقيت رسول الله ﷺ يوما ومعه أصحابه والنوى على رأسى فقال صلى الله عليه وسلم أح أخ لينسخ ناقته
ويعملنى خلفه فاستحييت أن أسير مع الرجال وذكر الزير وغيرته وكان أغبر الناس ففرف رسول الله
صلى الله عليه وسلم أنى قد استحييت فجنبت الزير فحكيت له ما جرى فقال والله لحملك النوى على رأسك
أشد على من ركوبك معه . ثم كتاب آداب النكاح بحمد الله ومنه وصلى الله على كل عبد مصطفى .

(كتاب آداب الكسب والعاش)

وهو الكتاب الثالث من ربيع العادات من كتاب إحياء علوم الدين

(بسم الله الرحمن الرحيم)

نحمد الله حمد واحد الحق في توحيد ماسوى الواحد الحق وتلاشى . ونمجده تمجيد من يصح بأن
كل شيء ماسوى الله باطل ولا يتحاشى . وأن كل من في السموات والأرض لن يخلقوا ذابا ولو اجتمعوا
له ولا فراشا . ونشكره إذ رفع السماء لباده سقفا مبينا ومهد الأرض بساطا لهم وفراشا . وكور الليل
على النهار فجعل الليل لباسا وجعل النهار معاشا . لينتشروا في ابتغاء فضله وينتشوا به عن ضراعة
الحاجات انتعاشا . ونصلى على رسوله الذى يصدر المؤمنون عن حوضه رواء به دور ودهم عليه عطاشا .
وعلى آله وأصحابه الذين لم يدعوا فى نصرة دينه تشمرا وانكماش . وسلم تسليما كثيرا .

[أما بعد] فإن رب الأرباب ومسبب الأسباب . جعل الآخرة دار الثواب والعقاب والدنيا دار
التحل والاضطراب . والتشمير والاكتساب . وليس التشمر فى الدنيا مقصورا على العباد دون العاش
بل العاش ذريعة إلى العباد ومعين عليه فالله الدنيا مزرعة الآخرة ومدرجة إليها . والناس ثلاثة رجل
شغله معاشه عن معاده فهو من الهالكين ورجل شغله معاده عن معاشه فهو من الفائزين والأقرب
إلى الاعتدال هو الثالث الذى شغله معاشه لمعاده فهو من القاصدين . ولن ينال رتبة الاقتصاد
من لم يلازم فى طلب المعيشة منهج السداد ولن يتنزه من طلب الدنيا وسيلة إلى الآخرة وذريعة مالم

لاتؤذى امرأة زوجها فى الدنيا إلا قالت زوجته من الحور العين لاتؤذيه الحديث الترمذى وقال حسن
غريب وابن ماجه (١) حديث أم حبيبة لا يحل لامرأة تؤمن بالله واليوم الآخر أن تعد على ميت
أكثر من ثلاثة أيام إلا على زوج أربعة أشهر وعشرا متفق عليه (٢) حديث أسماء تزوجنى الزير وماله
فى الأرض من ماله ولا مملوك ولا شيء غير فرس وناضح فكننت أعلف فرسه الحديث متفق عليه .

(كتاب آداب الكسب)

الحرقه وبسلك بأقوام
من غير لبس الحرقه
ويؤخذ منه العلوم
والآداب وقد كان
طبقة من السلف
الصالحين لا يعرفون
الحرقه ولا يلبسونها
للريدين فمن يلبسها
فله مقصد صحيح وأصل
من السنة وشاهد من
الشرع ومن لا يلبسها
فله رأي له فى ذلك
مقصد صحيح وكل
تصارييف الأشايح محمولة
على السداد والصواب
ولا تخلو عن نية صالحة
فيه والله تعالى ينفع بهم
وبآثارهم إن شاء الله
تعالى .

[الباب الثالث عشر
فى فضيلة سكان الرباط]
قال الله تعالى - فى بيوت
أذن الله أن ترفع
ويذكر فيها اسمه يسبح
له فيها بالغدو والآصال
رجال لا تلهيهم تجارة
ولا بيع عن ذكر الله
 وإقام الصلاة وإيتاء
 الزكاة يخافون يوما
 تتقلب فيه القلوب

يتأدب في طلبها بآداب الشريعة . وهانحن نورد آداب التجارات والصناعات وضروب الاكتسابات وسننها ونشرحها في خمسة أبواب . الباب الأول : في فضل السكس والحث عليه . الباب الثاني : في علم صحيح البيع والشراء والمعاملات . الباب الثالث : في بيان العدل في المعاملة . الباب الرابع : في بيان الإحسان فيها . الباب الخامس : في شفقة التاجر على نفسه ودينه .

(الباب الأول في فضل السكس والحث عليه)

أما من الكتاب قوله تعالى - وجعلنا النهار معاشا - فذكره في معرض الامتنان ، وقال تعالى - وجعلنا لكم فيها معاشا قليلا ماتشكرون - فجعلها ربك نعمة وطلب الشكر عليها وقال تعالى - ليس عليكم جناح أن تبتنؤا فضلا من ربكم - وقال تعالى - وآخرون يضربون في الأرض يبتغون من فضل الله - وقال تعالى - فانتشروا في الأرض وابتغوا من فضل الله - وأما الأخبار : فقد قال صلى الله عليه وسلم « من الذنوب ذنوب لا يكفرها إلا الهمة في طلب العيشة ^(١) » وقال عليه الصلاة والسلام « التاجر الصدوق يحشر يوم القيامة مع الصديقين والشهداء ^(٢) » وقال صلى الله عليه وسلم « من طلب الدنيا حلالا وتعففا عن المسئلة وسعيا على عياله وتعظفا على جاره لقي الله ووجهه كالقمر ليلة البدر ^(٣) » « وكان صلى الله عليه وسلم جالسا مع أصحابه ذات يوم فنظروا إلى شاب ذي جلد وقوة وقد بكر يسعى فقالوا ويح هذا لو كان شبابه وجلده في سبيل الله فقال صلى الله عليه وسلم : لا تقولوا هذا فإنه إن كان يسعى على نفسه ليكفها عن المسئلة ويغنيها عن الناس فهو في سبيل الله وإن كان يسعى على أبوين ضعيفين أو ذرية ضعاف ليغنيهم ويكفيهم فهو في سبيل الله وإن كان يسعى تضاخرا وتكاثرا فهو في سبيل الشيطان ^(٤) » وقال صلى الله عليه وسلم « إن الله يحب العبد يتخذ المهنة يستغنى بها عن الناس ويغنى العبد يعلم العلم يتخذ مهنة ^(٥) » وفي الخبر « إن الله تعالى يحب المؤمن المحترف ^(٦) » وقال صلى الله عليه وسلم أحل ما أكل الرجل من كسبه وكل بيع مبرور ^(٧) » وفي خبر آخر

(الباب الأول في فضل السكس والحث عليه)

(١) حديث من الذنوب ذنوب لا يكفرها إلا الهمة في طلب العيشة تقدم في السكاح (٢) حديث التاجر الصدوق يحشر يوم القيامة مع الصديقين والشهداء الترمذي والحاكم من حديث أبي سعيد قال الترمذي حسن وقال الحاكم إنه من مراسيل الحسن ولا بن ماجه والحاكم نحوه من حديث ابن عمر (٣) حديث من طلب الدنيا حلالا وتعففا عن المسئلة وسعيا على عياله الحديث أبو الشيخ في كتاب الثواب وأبو نعيم في الحلية والبيهقي في شعب الإيمان من حديث أبي هريرة بسند ضعيف (٤) حديث كان صلى الله عليه وسلم جالسا مع أصحابه ذات يوم فنظروا إلى شاب ذي جلد وقوة وقد بكر يسعى فقالوا ويح هذا لو كان جلده في سبيل الله الحديث الطبراني في معاجمه الثلاثة من حديث كعب بن عجرة بسند ضعيف (٥) حديث إن الله يحب العبد يتخذ المهنة يستغنى بها عن الناس الحديث لم أجده هكذا ، وروى أبو منصور الديلمي في مسند الفردوس من حديث علي بن أبي حمزة عن أبيه عن النبي صلى الله عليه وسلم في طلب الحلال وفيه محمد بن سهل العطار قال الدارقطني يضع الحديث (٦) حديث إن الله يحب المؤمن المحترف الطبراني وابن عدى وضعفه من حديث ابن عمر (٧) حديث أحل ما أكل الرجل من كسبه وكل بيع مبرور أحمد من حديث رافع بن خديج قيل يارسول الله أي السكس أطيب قال عمل الرجل يده وكل عمل مبرور ورواه البزار والحاكم من رواية سعيد بن عمير عن عمه قال الحاكم صحيح الاسناد قال وذكر يحيى بن معين أن عم سعيد البراء بن عازب ورواه البيهقي من رواية سعيد بن عمير مرسلا وقال هذا هو المحفوظ وخطأ قول من قال عن عمه وحكاة عن البخاري ورواه أحمد والحاكم من رواية

والأبصار - قيل إن هذه البيوت هي الساجد وقيل بيوت المدينة وقيل بيوت النبي عليه السلام والسلام : وقيل لما نزلت هذه الآية قام أبو بكر رضي الله عنه وقال يارسول الله هذه البيوت منها بيت على وفاطمة قال نعم أفضلها . وقال الحسن : بقاع الأرض كلها جعلت مسجدا لرسول الله عليه الصلاة والسلام فبلى هذا الاعتبار بالرجال الدارين لا بصور البقاع وأي بقعة حوت رجالا بهذا الوصف هي البيوت التي أذن الله أن ترفع : روى أنس ابن مالك رضي الله عنه أنه قال « ما من صباح ولا رواح إلا وبقاع الأرض ينادى بعضها بعضها هل مرت بك اليوم أحد صلى عليك أو ذكر الله عليك فمن قائله نعم ومن قائله لا فاذا قالت نعم علمت أن لها عليها بذلك فضلا وما

«أحل ما أكل العبد كسب يد الصانع إذا نصح» (١) وقال عليه السلام «عليكم بالتجارة فإن فيها تسعة أعشار الرزق» (٢) وروى أن عيسى عليه السلام رأى رجلاً فقال ما تنصح؟ قال أتعبد قال من يعولك؟ قال أخى قال أخوك أعبد منك وقال نبينا صلى الله عليه وسلم «إني لأعلم شيئا يقرّ بكم من الجنة ويعمدكم من النار إلا أمرتكم به وإنى لأعلم شيئا يعدكم من الجنة ويقرّ بكم من النار إلا نهيتكم عنه وإن الروح الأمين نفث في روعي إن نفسا لن تموت حتى تستوفى رزقها وإن أبطلها عنها فاتقوا الله وأجملوا في الطلب» أمر بالإجمال في الطلب ولم يقل اتركوا الطلب ثم قال في آخره «ولا يجملنكم استبطاء شيء من الرزق على أن تطلبوه بمعصية الله تعالى فإن لا ينال ما عنده بمعصيته» (٣) وقال صلى الله عليه وسلم «الأسواق موائد الله تعالى فمن أتاها أصاب منها» (٤) وقال عليه السلام «لأن يأخذ أحدكم حبله فيختطب على ظهره خير من أن يأتي رجلاً أعطاه الله من فضله فيسأله أعطاه أو منعه» (٥) وقال «من فتح على نفسه باباً من السؤال فتح الله عليه سبعين باباً من الفقر» (٦). وأما الآثار: فقد قال لقمان الحكيم لابنه: يا بني استغن بالكسب الحلال عن الفقر فإنه ما افتقر أحد قط إلا أصابه ثلاث خصال رقة في دينه وضعف في عقله وذهاب مروءته وأعظم من هذه الثلاث استخفاف الناس به. وقال عمر رضي الله عنه: لا يقعد أحدكم عن طلب الرزق ويقول اللهم ارزقني فقد علمتم أن السماء لا تمطر ذهباً ولافضة وكان زيد بن مسعدة يفرس في أرضه فقال له عمر رضي الله عنه أصبت استغن عن الناس يكن أصولك وكرم لك عليهم كما قال صاحبكم أحيحة: فلن أزال على الزوراء أغمرها إن الكريم على الإخوان ذو المال

وقال ابن مسعود رضي الله عنه إني لأكره أن أرى الرجل فارغاً لافي أمر دينه ولا في أمر آخرته. وسئل إبراهيم عن التاجر الصدوق أهو أحب إليك أم التفرغ للهبادة قال التاجر الصدوق أحب إليّ لأنه في جهاد يأتيه الشيطان من طريق المسكيات والبرازان ومن قبل الأخذ والعطاء فيجاهده وخالفه الحسن البصري في هذا وقال عمر رضي الله عنه: مامن موضع يأتي اللوت فيه أحب إلي من موطن أتسوق فيه لأهل أبيع وأشتري وقال الهيثم ربما يلغى عن الرجل يقع في فأذكر استغنائى عنه فيكون ذلك على وقال أيوب كسب فيه شيء أحب إلي من سؤال الناس وجاءت ربح

جميع بن عمير عن خاله أبي بردة وجميع ضعيف والله أعلم (١) حديث أهل ما أكل العبد كسب الصانع إذا نصح أحمد من حديث أبي هريرة خير الكسب كسب العامل إذا نصح وإسناده حسن (٢) حديث عليكم بالتجارة فإن فيها تسعة أعشار الرزق إبراهيم الحربي في غريب الحديث من حديث نعم بن عبد الرحمن تسعة أعشار الرزق في التجارة ورجاله ثقات ونعم هذا قال فيه ابن منده ذكر في الصحابة ولا يصح وقال أبو حاتم الرازي وابن حبان إنه تابعي فالحديث مرسل (٣) حديث إني لأعلم شيئا يعدكم من الجنة ويقر بكم من النار إلا نهيتكم عنه فإن الروح الأمين نفث في روعي أن نفسا لن تموت حتى تستوفى رزقها الحديث ابن أبي الدنيا في القناعة والحاكم من حديث ابن مسعود وذكره شاهد الحديث أبي حميد وجابر ومحمد على شرط الشيخين وهما مختصران ورواه البيهقي في شعب الإيمان وقال إنه منقطع (٤) حديث الأسواق موائد الله فمن أتاها أصاب منها ورواه في الطيوريات من قول الحسن البصري ولم أجده مرفوعاً (٥) حديث لأن يأخذ أحدكم حبله فيختطب على ظهره خير له من أن يأتي رجلاً الحديث متفق عليه من حديث أبي هريرة (٦) حديث من فتح على نفسه باباً من السؤال فتح الله عليه سبعين باباً من الفقر الترمذي من حديث أبي كبشة الأثمارى ولافتح عبد باب مسئلة إلا فتح الله عليه باب فقر أو كلمة نحوها وقال حسن صحيح.

من عبد ذكر الله تعالى على بقعة من الأرض أو صلى الله عليها إلا شهدت له بذلك عند ربه وبكت عليه يوم يموت. ، وقيل في قوله تعالى - فما بكت عليهم السماء والأرض - تنبيه على فضيلة أهل الله تعالى من أهل طاعته لأن الأرض تبكي عليهم ولا تبكي على من ركن إلى الدنيا واتبع الهوى فسكان الرباط هم الرجال لأنهم ربطوا أنفسهم على طاعة الله تعالى وانقطعوا إلى الله فأقام الله لهم الدنيا خادمة. وروى عمران بن الحصين قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «من انقطع إلى الله كفاه الله مؤنته ورزقه من حيث لا يحتسب ومن انقطع إلى الدنيا وكفه الله إليها» وأصل الرباط ما يربط فيه الحيول ثم قيل لكل ثمر يدفع أهله عن

عاصفة في البحر فقال أهل السفينة لإبراهيم بن آدم رحمه الله وكان معهم فيها أما ترى هذه الشدة فقال ما هذه الشدة إنما الشدة الحاجة إلى الناس . وقال أيوب قال لي أبو قلابة الزم السوق فإن الثني من العافية يعني الثني عن الناس . وقيل لأحمد ما تقول فيمن جلس في بيته أو مسجده وقال لا أعمل شيئا حتى يأتي رزقي فقال أحمد هذا رجل جهل العلم أما سمع قول النبي صلى الله عليه وسلم « إن الله جعل رزقي تحت ظل رمحي ^(١) » وقوله عليه السلام حين ذكر الطير فقال « تغدو خفاصا وتروح بطانا ^(٢) » فذكر أنها تغدو في طلب الرزق ، وكان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يتجرون في البر والبحر ويعملون في تجميعهم والتدوية بهم وقال أبو قلابة لرجل لأن أراك تطلب معاشك أحب إلى من أن أراك في زاوية المسجد . وروى أن الأوزاعي لقي إبراهيم بن آدم رحمه الله وطى عنقه خزمة حطب فقال له يا أبا اسحق إلى متى هذا إخوانك يكفونك فقال دعني عن هذا يا أبا عمرو فإنه بلغني أنه من وقف موقف مذلة في طلب الحلال وجبت له الجنة وقال أبو سليمان الناراني ليس العبادة عندنا أن تصف قدميك وعيرك بقوتك ولكن ابدأ برغيفك فأحرزها ثم تعبد . وقال معاذ بن جبل رضى الله عنه ينادى مناد يوم القيامة أين بضاء الله في أرضه فيقوم سؤال المساجد فهذه مذمة الشرع لسؤال والاتكال على كفاية الأغيار ومن ليس له مال موروث فلا ينجي من ذلك إلا الكسب والتجارة . فان قلت فقد قال صلى الله عليه وسلم « ما أوحى إلى أن اجمع المال وكن من التاجرين ولكن أوحى إلى أن يسبح محمد ربك وكن من الساجدين واعبد ربك حتى يأتيك اليقين ^(٣) » وقيل لسلمان الفارسي أوصنا فقال من استطاع منكم أن يموت حاجا أو غزيا أو طامرا المسجد به فليفعل ولا يموتن تاجرا ولا خائنا . فالجواب أن وجه الجمع بين هذه الأخبار تفصيل الأحوال فنقول لسنا نقول التجارة أفضل مطلقا من كل شيء ولكن التجارة إما أن تطلب بها الكفاية أو الثروة أو الزيادة على الكفاية فان طلب منها الزيادة على الكفاية لاستكثار المال وادخاره لا يصرف إلى الخيرات والصدقات فهي مذمومة لأنه إقبال على الدنيا التي جها رأس كل خطيئة فان كان مع ذلك ظالمًا خائنا فهو ظالم فاسق وهذا ما أراده سلمان بقوله لا تمت تاجرا ولا خائنا وأراد بالتاجر طالب الزيادة فأما إذا طلب بها الكفاية لنفسه وأولاده وكان يقدر على كفايتهم السؤال فالتجارة تنفعا عن السؤال أفضل وإن كان لا يحتاج إلى السؤال وكان يعطى من غير سؤال فالكسب أفضل لأنه إنما يعطى لأنه سائل بلسان حاله ومناد بين الناس بفقره فالتعفف والتستر أولى من البطالة بل من الاشتغال بالعبادات البدنية وترك الكسب أفضل لأربعة عابدين بالعبادات البدنية أو رجل له سير بالباطن وعمل بالقلب في علوم الأحوال والكشافات أو عالم مشغول بتربية علم الظاهر مما ينتفع الناس به في دينهم كالمفتي والمفسر والمحدث وأمثالهم أو رجل مشغول بمصالح المسلمين وقد تكفل بأمورهم كالسلطان والقاضي والشاهد فهؤلاء إذا كانوا يكفون من الأموال المرصدة للمصالح والأوقاف المسبلة على الفقراء والعلماء فإقبالهم على ما هم فيه أفضل من اشتغالهم بالكسب ولهذا أوحى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يسبح محمد ربك وكن من الساجدين ولم يوح إليه أن كن من التاجرين لأنه كان جامعا لهذه المعاني الأربعة إلى زيادات لا يحيط بها الوصف ولهذا أشار الصحابة على أبي بكر رضى الله عنهم بترك التجارة لما ولي الخلافة إذ كان ذلك يشغله عن المصالح وكان يأخذ كفايته من مال المصالح ورأى ذلك أولى

(١) حديث إن الله جعل رزقي تحت ظل رمحي أحمد من حديث ابن عمر جعل رزقي تحت ظل رمحي وإسناده صحيح (٢) حديث ذكر الطير فقال تغدو خفاصا وتروح بطانا الترمذي وابن ماجه من حديث عمر قال الترمذي حسن صحيح (٣) حديث ما أوحى إلى أن اجمع المال وكن من التاجرين ولكن أوحى إلى أن يسبح محمد ربك وكن من الساجدين ابن مردويه في التفسير من حديث ابن مسعود بسند فيه لين.

وراءه رباط فالجهاد للرباط يدفع عمن وراءه والقيم في الرباط على طاعة الله يدفع به وبدعائه البلاء عن العباد والبلاء . أخبرنا الشيخ العالم رضى الدين أبو الخير أحمد بن اسمعيل القزويني بإجازة قال أنا أبو سعيد محمد ابن أبي العباس الحلي قال أخبرنا القاضي محمد ابن سعيد القرخاذي قال أنا أبو اسحق أحمد ابن محمد قال أنا الحسين ابن محمد قال أنا أبو بكر ابن خزيمة قال حدثنا عبد الله بن أحمد بن حنبل قال حدثني أبو حميد الحمصي قال حدثنا يحيى بن سعيد القطار [١] قال حدثنا حفص بن سليمان عن محمد بن سوقة عن وبرة بن عبد الرحمن

[١] قوله بالهامش القطار هكذا بنسخة وفي أخرى العطار ولله القطان بالنون وليحرر .

ثم لما توفي أوصى برده إلى بيت المال ولكنه رآه في الابتداء أولى ، ول هؤلاء الأربعة حالتان أخريان إحداهما أن تكون كفايتهم عند ترك الكسب من أيدي الناس وما يتصدق به عليهم من زكاة أو صدقة من غير حاجة إلى سؤال فترك الكسب والاشتغال بتمام فيه أولى إذ فيه إعانة الناس على الخيرات وقبول منهم لها وحق عليهم وأفضل لهم . الحالة الثانية الحاجة إلى السؤال وهذا في محل النظر والتشديدات التي رويها في السؤال وذمه تدل ظاهرا على أن التعفف عن السؤال أولى وإطلاق القول فيه من غير ملاحظة الأحوال والأشخاص عسير بل هو موكول إلى اجتهد العبد ونظيره لنفسه بأن يقابل ما يأتي في السؤال من المذلة وهتك الروء والحاجة إلى التثقل والإلحاح بما يحصل من اشتغاله بالعلم والعمل من الفائدة له ولغيره فرب شخص تكثر فائدة الحلق وفائدته في اشتغاله بالعلم أو العمل ويهون عليه بأدنى تعريض في السؤال تحصيل الكفاية وربما يكون بالعكس وربما يقابل المطلوب والمحذور فينبغي أن يستفتي الربيد فيه قلبه وإن أفتاه المفتون فإن الفتاوى لا تحيط بتفاصيل الصور ودقائق الأحوال ولقد كان في السلف من له ثلثائة وستون صديقا ينزل على كل واحد منهم ليلة ومنهم من له ثلاثون وكانوا يشتغلون بالعبادة لهم بأن التكفين بهم يتقلدون منة من قبولهم لبرائهم فكان قبولهم لبرائهم خيرا مضافا لهم إلى عباداتهم فينبغي أن يدقق النظر في هذه الأمور فإن أجر الآخذ كأجر المعطى مهما كان الآخذ يستعين به على الدين والمعطى يعطيه عن طيب قلب ومن اطلع على هذه المعاني أمكنه أن يتعرف حال نفسه ويستوضح من قلبه ما هو الأفضل له بالإضافة إلى حاله ووقته فهذه فضيلة الكسب وليكن العقد الذي به الكتاب جامعا لأربعة أمور الصحة والعدل والإحسان والشفقة على الدين ونحن نقف في كل واحد بابا ونبتدى بذكر أسباب الصحة في الباب الثاني .

(الباب الثاني في علم الكسب بطريق البيع والربا والسلام والإجارة والقراض والشركة)
وبين شروط الشرع في صحة هذه التصرفات التي هي مدار الكسب في الشرع)

اعلم أن تحصيل علم هذا الباب واجب على كل مسلم مكتسب لأن طلب العلم فريضة على كل مسلم وإنما هو طلب العلم المحتاج إليه والمكتسب يحتاج إلى علم الكسب ومهما حصل علم هذا الباب وقف على مفسدات العاملة فيتقيا وما شد عنه من القروع المشكلة فيقع على سبب إشكالها فيتوقف فيها إلى أن يسأل فانه إذا لم يعلم أسباب الفساد بعلم جملي فلا يدري متى يجب عليه التوقف والسؤال ولو قال لأقدم العلم ولكنني أصبر إلى أن تقع لي الواقعة فعندها أعلم وأستفتي فيقال له وبم تعلم وقوع الواقعة مهما لم تعلم جمل مفسدات العقود فانه يستمر في التصرفات ويظنها صحيحة مباحة فلا بد له من هذا القدر من علم التجارة لتمييزه للبائع عن المحذور وموضع الإشكال عن موضع الوضوح ولذلك روى عن عمر رضي الله عنه أنه كان يطوف السوق ويضرب بعض التجار بالدره ويقول لا يبيع في سوقنا إلا بمن يفقه وإلا أكل الربا شاء أم أبى ، وعلم العقود كثير ولكن هذه العقود الستة لا تنفك المكاسب عنها وهي البيع والربا والسلام والإجارة والشركة والقراض فلنشرح شروطها .

(العقد الأول البيع)

وقد أحله الله تعالى وله ثلاثة أركان الباقد والمقود عليه واللفظ . الركن الأول : العاقد ينبغي للتاجر أن لا يعامل بالبيع أربعة الصي والمجنون والعبد والأعمى لأن الصي غير مكلف وكذا المجنون وبهما باطل فلا يصح بيع الصي وإن أذن له فيه الولي عند الشافعي وما أخذه منهما مضمون عليه لهما وما سلمه في العاملة إليهما فضاع في أيديهما فهو الضائع له . وأما العبد العاقل فلا يصح بيعه وشراؤه إلا بإذن سيده

(الباب الثاني في علم الكسب)

عن ابن عمر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن الله تعالى لينفذ بالمسلم الصالح عن مائة من أهل بيته ومن جيرانه البلاء » . وروى عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال « لولا عباد الله ركن وصية رضع وبهائم رضع لصب عليكم العذاب صبا ثم يرض زضا » وروى جابر بن عبد الله قال : قال النبي صلى الله عليه وسلم « إن الله تعالى ليصلح بصلاح الرجل ولده وولد ولده وأهل دويرته ودويرات حوله ولا يزالون في حفظ الله مادام فيهم » وروى داود بن صالح قال قال لي أبو سلمة ابن عبد الرحمن يا ابن أخي هل تدري في أي شيء نزلت هذه الآية - اصبروا وصابروا ورباطوا - قلت لا قال يا ابن أخي لم يكن في

فلى البقال والحجاز والقصاب وغيرهم أن لا ياملوا المبيد ما تاذن لهم السادة في معاملتهم وذلك بأن يسمعه صريحا أو ينتشر في البلد أنه مأذون له في الشراء لسيده وفي البيع له فيقول له على الاستفاضة أو على قول عدل بخبره بذلك فإن عامله بغير إذن السيد فقد باطل وما أخذه منه مضمون عليه لسيده وما تسلمه إن ضاع في يد العبد لا يتماق برقبته ولا جثته سيده بل ليس له إلا اللطابة إذا عتق . وأما الأعمى فإنه يبيع ويشترى ما لا يرى فلا يصح ذلك فليأمره بأن يوكل ويكلا بصيرا ليشتري له أو يبيع فيصح توكله وصرح يبيع وكيله فإن عامله التاجر بنفسه فالعامله فاسدة وما أخذه منه مضمون عليه بقيمته وما تسلمه إليه أيضا مضمون له بقيمته . وأما الكافر فتجوز معاملته لكن لا يباع منه الصحف ولا العبد المسلم ولا يباع منه السلاح إن كان من أهل الحرب فإن فعل فهي معاملات مردودة وهو باعص بها ربه . وأما الجندي من الأتراك والتركية والمرب والأكراد والسراق والخونة وأكلة الربا والظلمة وكل من أكثر ماله حرام فلا ينبغي أن يتلك مما في أيديهم شيئا لأجل أنها حرام إلا إذا عرف شيئا بينه أنه حلال وسيأتي تفصيل ذلك في كتاب الحلال والحرام . الركن الثاني في العقود عليه : وهو المال المقصود نقله من أحد العاقدين إلى الآخر إما كان أو شئنا فيعتبر في ستة شروط . الأول أن لا يكون نجسا في عينه فلا يصح بيع كلب وخنزير ولا بيع زبل وعذرة ولا بيع العاج والأواني المتخذة منه فإن العظم ينجس بالموت ولا يظهر القيل بالذبح ولا يظهر عظمه بالتذكية ولا يجوز بيع الحجر ولا بيع الودك النجس المستخرج من الحيوانات التي لا تؤكل وإن يصلح للاستصباح أو طلاء السفن ولا يأس يبيع الدهن الطاهر في عينه الذي نجس بوقوع نجاسة أو موت فأرة فإنه يجوز الاتفاق به في غير الأكل وهو في عينه ليس بنجس وكذلك لا يرى بأسا ببيع زرار القز فإنه أصل حيوان ينتفع به وتشبيهه بالبيض وهو أصل حيوان أولى من تشبيهه بالروث ويجوز بيع فأرة السك ويقضى بطهارتها إذا انفصلت من الظبية في حالة الحياة . الثاني أن يكون متعنا به فلا يجوز بيع الحشرات ولا الفأرة ولا الحية ولا الثفات إلى اتفان الشعب بالحية وكذا لا الثفات إلى اتفان أصحاب الحق باخراجها من السلة وعرضها على الناس ويجوز بيع الهررة والنحل وبيع الفهد والأسد وما يصلح لصيد أو ينتفع بجلده ويجوز بيع القيل لأجل الحل ويجوز بيع الطوطى وهى البيضاء والطاوس والطيور المبيحة الصور وإن كانت لا تؤكل فإن التفرج بأصواتها والنظر إليها غرض مقصود مباح وإنما الكلب هو الذى لا يجوز أن يقتنى إعجابا بصورته لئى رسول الله صلى الله عليه وسلم عنه ^(١) ولا يجوز بيع العود والصنج والزامير واللاهى فإنه لا منفعة لها شرعا وكذا بيع الصور المصنوعة من الطين كالحيوانات التي تباع في الأعياد للرب الصبيان فإن كسرها واجب شرعا وصور الأشجار متسامح بها وأما الثياب والأطباق وعليها صور الحيوانات فيصح بيعها وكذا الستور وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لما نشأ رضى الله عنها « اغذى منها نمارق ^(٢) » ولا يجوز استعمالها منصوبة ويجوز موضوعة وإذا جاز الاتفان من وجه صح البيع لذلك الوجه . الثالث أن يكون التصرف فيه مملوكا للعائد أو مأذونا من جهة المالك ولا يجوز أن يشتري من غير المالك انتظارا للأذن من المالك بل لو رضى بعد ذلك وجب استئذان العقد ولا ينبغي أن يشتري من الزوجة مال الزوج ولا من الزوج مال الزوجة ولا من الوالد مال الولد ولا من الولد مال الوالد اعتمادا على أنه لو عرف لرضى به فإنه إذا لم يكن الرضا متقدما لم يصح البيع وأمثال ذلك مما يجري في الأسواق فواجب على العبد للتدين أن يحترز منه . الرابع أن يكون العقود عليه مقدورا على تسليمه

(١) حديث النهى عن اقتناء الكلب متفق عليه من حديث ابن عمر من اقتنى كلبا إلا كلب ماشية أو ضاريا نقص من عمله كل يوم قيراطان (٢) حديث اغذى منها نمارق يقوله لعائشة متفق عليه من حديثها .

ومن رسول الله صلى الله عليه وسلم غزوريط فيه ما خيل ولكنه انتظار الصلاة بعد الصلاة فالرباط للجهاد النفس والتقسيم في الرباط مزابط مجاهد نفسه قال الله تعالى سواجدهوا في الله حق جهاده - قال عبد الله ابن المبارك هو مجاهدة النفس والمهوى وذلك حق الجهاد وهو الجهاد الأصغر على ما روى في الخبر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال حين رجع من بعض غزواته « رجنا من الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر » . وقيل : إن بعض الصالحين كتب إلى أخ له يستدعيه إلى القزوف فكتب إليه يأخى كل الثغور بمجتمعة لي في بيت واحد والباب على مردود فكتب إليه أخوه لو كان الناس كلهم ثرموا ما ثرمته اختلت أمور

شرعا وحما فلا لا يقدر على تسليمه حتما لا يصح بيعه كالأبق والسكك في الماء والجنين في البطن وعصب الفحل وكذلك بيع الصوف على ظهر الحيوان واللبن في الضرع لا يجوز فانه يتعذر تسليمه لاختلاط غير المبيع بالمبيع والمعجوز عن تسليمه شرعا كالمرهون والوقوف والمستولدة فلا يصح بيعها أيضا وكذا بيع الأم دون الولد إذا كان الولد صغيرا وكذا بيع الولد دون الأم لأن تسليمه تفريق بينهما وهو حرام فلا يصح التفريق بينهما بالبيع . الخامس : أن يكون المبيع معلوم العين والقدر والوصف أما العلم بالعين فبأن يشير إليه بعينه فلو قال بعتك شاة من هذا القطيع أي شاة أردت أو ثوبا من هذه الثياب التي بين يديك أو زراعا من هذا الكرباس وخذه من أي جانب شئت أو عشرة أذرع من هذه الأرض وخذه من أي طرف شئت فالبيع باطل وكل ذلك مما يعتاده المتساهلون في الدين إلا أن يبيع شاة ما مثل أن يبيع نصف الشيء أو عشرة فان ذلك جائز . وأما العلم بالقدر فاعلم يحصل بالكيل أو الوزن أو النظر إليه فلو قال بعتك هذا الثوب بمائة به فلان ثوبه وهما لا يدريان ذلك فهو باطل ولو قال بعتك بزنة هذه الصنجة فهو باطل إذا لم تكن الصنجة معلومة ولو قال بعتك هذه الصبرة من الخنطة فهو باطل أو قال بعتك بهذه الصبرة من الدراهم أو بهذه القطعة من الذهب وهو يراها صبح البيع وكان تخمينه بالنظر كافيا في معرفة المقدار ، وأما العلم بالوصف فيحصل بالرؤية في الأعيان ولا يصح بيع الغائب إلا إذا سبقت رؤيته منذ مدة لا يظلم التفريق فيها والوصف لا يقوم مقام العيان هذا أحد الذهبين ولا يجوز بيع الثوب في المنسج اعتمادا على الرقوم ولا يبيع الخنطة في سنبها ويجوز بيع الأرز في قشرته التي يدخر فيها وكذا بيع الجوز واللوز في القشرة السفلى ولا يجوز في القشرتين ويجوز بيع البافلاء الرطب في قشره للحاجة ويتسامح ببيع القفاح لجريان عادة الأولين به ولكن نجمله لأنه يعرض فان اشتراه لبيعه فالقياس بطلانه لأنه ليس مستترا ستر خلقه ولا يبعد أن يتسامح به إذ في إخراجها إفساده كالرمان وما يستر بستر خلق معه . السادس : أن يكون المبيع مقبوضا إن كان قد استفاد ملكه بمعاوضة وهذا شرط خاص وقد نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن بيع ما لم يقبض (١) ويستوى فيه العقار والمنقول فكل ما اشتراه أو باعه قبل القبض فيعه باطل وقبض المنقول بالنقل وقبض العقار بالتخلية وقبض ما يباعه بشرط الكيل لا يتم إلا بأن يكتاله . وأما بيع الميراث والوصية والوديعة وما لم يكن الملك حاصلا فيه بمعاوضة فهو جائز قبل القبض . الركن الثالث : لفظ العقد فلا بد من جريان إيجاب وقبول متصل به بلفظ دال على المقصود مفهم إما صريح أو كناية فلو قال أعطيتك هذا بذلك بدل قوله بعتك فقال قبلته جاز مهما قصد به البيع لأنه قد يحتمل الإعارة إذا كان في توين أو دابتين والنية تدفع الاحتمال والصريح أقطع للخصومة ولكن الكناية تفيد الملك والحل أيضا فيما يختاره ولا يثنى أن يقرن بالبيع شرطا على خلاف مقتضى العقد فلو شرط أن يزيد شيئا آخر أو أن يحمل المبيع إلى داره أو يشتري الحطب بشرط النقل إلى داره كل ذلك فاسد إلا إذا أفرد استجاره على النقل بأجرة معلومة منفردة عن الشراء للمنقول ومهما لم يجز بينهما إلا المعاطاة بالفعل دون التلفظ باللسان لم ينعقد البيع عند الشافعي أصلا وانعقد عند أبي حنيفة إن كان في المحقرات ثم ضبط المحقرات عسير فان رد الأمر إلى العادات فقد جاوز الناس المحقرات في المعاطاة إذ تقدم الدلال إلى البراز يأخذ منه ثوبا دياجا قيمته عشرة دنانير مثلا ويجعله إلى المشتري ويعود إليه بأنه ارتضاء فيقول له خذ عشرة فيأخذ من صاحبه العشرة ويحملها ويسلمها إلى البراز فيأخذها ويتصرف فيها ومشتري الثوب يقطعه ولم يجز بينهما إيجاب وقبول أصلا وكذلك يجتمع المجهزون على حانوت

المسلمين وغلب الكفار فلا بد من القزو والجهاد فكتب إليه يأخى لو لزم الناس ما أنا عليه وقالوا في زواياهم على سجداتهم الله أكبر انهم سور قسطنطينية . وقال بعض الحكماء ارتفاع الأصوات في بيوت العبادات بحسن الثياب وصفاء الطويات محل ما عقده الأفلاك الدائرات في اجتماع أهل الروابط صبح على الوجه للوضوح له الربط وتحقق أهل الربط بحسن المعاملة ورعاية الأوقات وتوقي ما يفسد الأعمال واعتقاد ما يصحح الأحوال عادت البركة على البلاد والعباد . وقال سري السقطي في قوله تعالى - اصبروا وصابروا - وربطوا - اصبروا عن الدنيا رجاء السلامة وصابروا عند القتال بالثبات والاستقامة وربطوا أهواء النفس

(١) حديث النهي عن بيع ما لم يقبض متفق عليه من حديث ابن عباس .

البيع فيعرض متاعا قيمته مائة دينار مثلا فيمن يزيد فيقول أحدهم هذا على بتسعين ويقول الآخر هذا على بخمسة وتسعين ويقول الآخر هذا بمائة فيقال له زن فزن ويسلم ويأخذ المتاع من غير إيجاب وقبول وقد استمرت به العادات وهذه من الضلالت التي ليست قبل العلاج إذ الاحتمالات ثلاثة . إما فتح باب المعاطاة مطلقا في الحقيق والتفيس وهو محال إذ فيه ثقل للملك من غير لفظ دال عليه وقد أحل الله البيع والبيع اسم للإيجاب والقبول ولم يمر ولم ينطلق اسم البيع على مجرد فعل تسليم وتسليم فهاذا يحكم بانتقال الملك من الجانبين لاسيما في الجوابري والعييد والعقارات والدواب النفيسة وما يكثر التنازع فيه إذ قلنا تسليم أن يرجع ويقول قد ندمت وما بعته إذ لم يصدر مني إلا مجرد تسليم وذلك ليس ببيع . الاحتمال الثاني أن نسد الباب بالكلية كما قال الشافعي رحمه الله من بطلان العقد وفيه إشكال من وجهين أحدهما أنه يشبه أن يكون ذلك في المحقرات معتادا في زمن الصحابة ولو كانوا يتكفون الإيجاب والقبول مع البقال والحجاز والقباب لثقل عليهم فله ولنقل ذلك تقلا منتشرا ولكان يشهر وقت الإعراض بالكلية عن تلك العادة فإن الأعصار في مثل هذا تفاوت . والثاني أن الناس الآن قد انهمكوا فيه فلا يشتري الإنسان شيئا من الأطعمة وغيرها إلا ويعلم أن البائع قد ملكه بالمعاطاة فأى فائدة في تلفظه بالعقد إذا كان الأمر كذلك . الاحتمال الثالث أن يفصل بين المحقرات وغيرها كما قال أبو حنيفة رحمه الله وعند ذلك يتصر الضبط في المحقرات ويشكل وجه ثقل للملك من غير لفظ يدل عليه وقد ذهب ابن سريج إلى تخرج قول للشافعي رحمه الله على وقته وهو أقرب الاحتمالات إلى الاعتدال فلا بأس لومنا إليه لمسيس الحاجب ولعموم ذلك بين الخلق ولما يغلب على الظن بأن ذلك كان معتادا في الأعصار الأول . فأما الجواب عن الإشكالين فهو أن نقول أما الضبط في الفصل بين المحقرات وغيرها فليس علينا تكلفه بالتقدير فإن ذلك غير ممكن بل له طرفان واضحان إذ لا يخفى أن شراء البقل وقليل من الفواكه والخبز واللحم من العدود من المحقرات التي لا يعتاد فيها إلا المعاطاة وطالب الإيجاب والقبول فيه يعد مستقصيا ويستبد تكليفه لذلك ويستعمل وينسب إلى أنه يقيم الوزن لأمر حقير ولا وجه له فهذا طرف الحقارة والطرف الثاني الدواب والعييد والعقارات والياب النفيسة فذلك مما لا يستبعد تكلف الإيجاب والقبول فيها وبينهما أوساط متشابهة يشك فيها هي في محل الشبهة فحق ذي الدين أن يميل إليها إلى الاحتياط وجميع ضوابط الشرع فيما يعلم بالعادة كذلك ينقسم إلى أطراف واضحة وأوساط مشككة وأما الثاني وهو طلب سبب لنقل الملك فهو أن يجعل الفعل باليد أخذًا وتسليمًا سببا إذ اللفظ لم يكن سببا لعينه بل لدلالته وهذا الفعل قد دل على مقصود البيع دلالة مستمرة في العادة وانضم إليه مسيس الحاجة وعادة الأولين وأطراف جميع العادات بقبول الهدايا من غير إيجاب وقبول مع التصرف فيها ، وأي فرق بين أن يكون فيه عوض أولا يكون إذ الملك لا بد من نقله في الهبة أيضا إلا أن العادة السالفة لم تفرق في الهدايا بين الحقيق والتفيس بل كان طلب الإيجاب والقبول يستقبح فيه كيف كان وفي البيع لم يستقبح في غير المحقرات هذا ما تراه أعدل الاحتمالات وحق الورع المتدين أن لا يذعن الإيجاب والقبول للخروج عن شبهة الخلاف فلا ينبغي أن يمتنع من ذلك لأجل أن البائع قد تملكه بغير إيجاب وقبول فإن ذلك لا يعرف تحقيقا فربما اشتراه بقبول وإيجاب فإن كان حاضرا عند شرائه أو أقر البائع به فليمتنع منه وليشتر من غيره فإن كان الشيء عقمرا وهو إليه محتاج فليلتفظ بالإيجاب والقبول فإنه يستفيد به قطع الخصومة في المستقبل معه إذ الرجوع من اللفظ الصريح غير ممكن ومن الفعل ممكن . فإن قلت فإن أمكن هذا فيما يشتريه فكيف فعل إذا حضر في ضيافة أو على مائدة وهو يعلم أن أصحابا يكفون بالمعاطاة في البيع والشراء

الروامة واتقوا ما يقب
لكم الندامة لعلكم
تفلحون غدا على بساط
الكرامة وقيل اصبروا
على بلائي وصابروا
على نعمائي وربطوا في
دار أعدائي وانفوا
حجة من سوائى لعلكم
تفلحون غدا بلغائي .
وهذه شرائط ساكن
الرباط قطع الماملة مع
الخلق وفتح الماملة مع
الحق وترك الاكتساب
اكتفاء بكفالة مسبب
الأسباب . وحسب
النفس عن الخالطات
واجتناب التبعات
وعائق ليله ونهاره
العبادة متعوضا بها
عن كل عادة يشغله
حفظ الأوقات وملازمة
الأوراد وانتظار
الصلوات واجتناب
الغفلات ليكون بذلك
مرابطا مجاهدا . حدثنا
شيخنا أبو النجيب
السهروردي قال أنا ابن
نهبان محمد الكاتب
قال أنا الحسن بن
شاذان قال أنا دعلج

أوسع منهم ذلك أوثقه أوجب عليه الامتناع من الأكل . فأقول : يجب عليه الامتناع من الشراء إذا كان ذلك الشيء الذي اشتروه مقدارا نفيسا ولم يكن من المحقرات . وأما الأكل فلا يجب الامتناع منه فإني أقول إن تردنا في جعل الفعل دلالة على قتل الملك فلا ينبغي أن لا نجعله دلالة على الإباحة فإن أمر الإباحة أوسع وأمر قتل الملك أضيق فكل مطعوم جرى فيه بيع معاطاة فتسليم البائع إذن في الأكل يعلم ذلك بقرينة الحال كإذن الحمامي في دخول الحمام والإذن في الإطعام لمن يريده للشترى فينزل منزلة ما لو قال أبحث لك أن تأكل هذا الطعام أو تطعم من أردت فإنه يحل له ولو صرح وقال كل هذا الطعام ثم اغرم لي عوضه لحل الأكل ويلزم الضمان بدلا كل هذا قياس الفقه عندي ولكنه بعد المعاطاة آكل ملكه ومتلف له ضليه الضمان وذلك في ذمته والتمن الذي سلمه إن كان مثل قيمته قد ظفر المستحق بمثل حقه فله أن يملكهما معجز عن مطالبة من عليه وإن كان قادرا على مطالبته فإنه لا يملك ما ظفر به من ملكه لأنه ربما لا يرضى بتلك العين أن يصرفها إلى دينه ضليه للمراجعة وأما هنا فقد عرف رضا بقرينة الحال عند التسليم فلا يبعد أن يجعل الفعل دلالة على الرضا بأن يستوفي دينه مما يسلم إليه فيأخذه بحقه لكن على كل الأحوال جانب البائع أغمض لأن ما أخذه قد يريد بالملك ليتصرف فيه ولا يملكه التملك إلا إذا ألتف عين طعامه في يد الشترى ثم ربما يفترق إلى استئناف قصد التملك ثم يكون قد تملك بمجرد رضا استفادته من الفعل دون القول . وأما جانب الشترى للطعام وهو لا يريد إلا الأكل فهين فإن ذلك يباح بالإباحة المفهومة من قرينة الحال ولكن ربما يلزم من مشاورته أن الضيف يضمن ما ألتفه وإنما يسقط الضمان عنه إذا تملك البائع ما أخذه من الشترى فيسقط فيكون كالمقاضي دينه والمتحمل عنه فهذا مانراه في قاعدة المعاطاة على عمومها والعلم عند الله وهذه احتمالات وظنون رددناها ولا يمكن بناء الفتوى إلا على هذه الظنون ، وأما الورع فإنه ينبغي أن يستغنى قلبه ويتقى مواضع الشبه .

(العقد الثاني عقد الربا)

- وقد حرّم الله تعالى وشدد الأمر فيه ويجب الاحتراز منه على الصياغة التعاملين على التقدين وعلى التعاملين على الأطعمة إذ لا ربا إلا في نقد أو في طعام وعلى الصيرفي أن يحترز من النسيئة والفضل . أما النسيئة فإن لا يبيع شيئا من جواهر التقدين بشيء من جواهر التقدين إلا بداء يد وهو أن يجري التقابض في المجلس وهذا احتراز من النسيئة وتسليم الصياغة الذهب إلى دار الضرب وشراء الدنانير الضرورية حرام من حيث النساء ومن حيث إن الغالب أن يجري فيه تفاضل إذ لا يرد المضروب بمثل وزنه . وأما الفضل فيحترز منه في ثلاثة أمور في بيع السكر بالصحيح فلا يجوز المعاملة فيه ما إلا مع المائلة وفي بيع الجيد بالردى فلا ينبغي أن يشتري رديا بجيد دونه في الوزن أو يبيع رديا بجيد فوقة في الوزن أعنى إذا باع الذهب بالذهب والفضة بالفضة فإن اختلف الجنسان فلا حرج في الفضل والثالث في المركبات من الذهب والفضة كالدنانير المخلوطة من الذهب والفضة إن كان مقدار الذهب مجهولا لم تصح المعاملة عليها أصلا إلا إذا كان ذلك نقدا جاريا في البلد فإنا نرخص في المعاملة عليه إذا لم يقابل بالنقد وكذا الدراهم النقوشة بالنحاس إن لم تكن رائجة في البلد لم تصح المعاملة عليها لأن المقصود منها النقرة وهي مجهولة وإن كان نقدا رائجا في البلد رخصنا في المعاملة لأجل الحاجة وخروج النقرة عن أن يقصد استخراجها ولكن لا يقابل بالنقرة أصلا وكذلك كل حلي مركب من ذهب وفضة فلا يجوز شراؤه لا بالذهب ولا بالفضة بل ينبغي أن يشتري بمتاع آخر إن كان قدر الذهب منه معلوما إلا إذا كان مموها بالذهب أو مموها لا يحصل منه ذهب مقصود عند المرض على النار فيجوز بيعها بمثلها

قال أنا البغوي عن أبي عبيد القاسم بن سلام قال حدثنا صفوان عن الحرث عن سميد ابن المسيب عن علي بن أبي طالب رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إسباغ الوضوء في المكاره وإعمال الأقدام إلى الساجد وانتظار الصلاة بعد الصلاة يغسل الخطايا غسلا » . وفي رواية « ألا أخبركم بما يحو الله به الخطايا وترفع به الدرجات قالوا بلى يا رسول الله قال إسباغ الوضوء في المكاره وكثرة الخطا إلى الساجد وانتظار الصلاة بعد الصلاة فذلكم الرباط فذلكم الرباط » [الباب الرابع عشر في مشابهة أهل الرباط بأهل الصفة] قال الله تعالى - لمسجد أسس على التقوى من أول يوم أحق أن تقوم فيه فيه رجال يحبون

من التمرة بما أريد من غير التمرة وكذلك لا يجوز للصير في أن يشتري قلادة فيها خرز وذهب بذهب
ولأن يبيعه بل بالفضة يدا بيد إن لم يكن فيها فضة ولا يجوز شراء ثوب منسوج بذهب يحصل منه
ذهب مقصود عند العرض على النار بذهب ويجوز بالنضة وغيرها . وأما للتعاملون على الأطعمة فعليهم
التقاض في المجلس اختلف جنس الطعام البيع والشترى أولم يختلف فإن اتحد المجلس فعليهم التقاض
ومراعاة المائلة والمتاد في هذا معاملة القصاب بأن يسلم إليه النقم ويشترى بها اللحم نقدا أو نسيئة
فهو حرام ومعاملة الحجاز بأن يسلم إليه الخنطة ويشترى بها الخبز نسيئة أو نقدا فهو حرام ومعاملة
المصار بأن يسلم إليه البرز والسمن والزيتون ليأخذ منه الأدهان فهو حرام وكذا اللبن يعطى
اللبن ليأخذ منه اللبن والسمن والزبد وسائر أجزاء اللبن فهو أيضا حرام ولا يباع الطعام بغير جنسه
من الطعام إلا نقدا وبجنسه إلا نقدا ومتائلا وكل ما يتخذ من الشيء المطعوم فلا يجوز أن يباع به متائلا
ولامتفاضلا فلا يباع بالخنطة دقيق وخبر وسويق ولا بالعنب والتمر دبس وخل وعصير ولا باللبن سمن
وزبد ومخيض ومصل وجبن والمائلة لاتفيد إذا لم يكن الطعام في حال كمال الادخار فلا يباع الرطب
بالرطب والعنب بالعنب متفاضلا ومتائلا غمده حمل مقنعة في تعريف البيع والتنبية على ما يشعر التاجر
بمشارت الفساد حتى يستفيق فيها إذا تشكك والتبس عليه شيء منها وإذا لم يعرف هذا لم يتفطن
لمواضع السؤال واقتحم الربا والحرام وهو لا يدري .

(العقد الثالث السلم)

وليراع التاجر فيه عشرة شروط . الأول : أن يكون رأس المال معلوما على مثله حتى لو تمرد تسليم
المسلم فيه أمكن الرجوع إلى قيمة رأس المال فإن أسلم كفا من الدراهم جزا في كره خنطة لم يصح
في أحد القولين . الثاني : أن يسلم رأس المال في مجلس العقد قبل التفرق فلو تفرقا قبل القبض
انفسخ السلم . الثالث : أن يكون المسلم فيه مما يمكن تعريف أوصافه كالحبوب والحيوانات والمعادن
والقطن والصوف والإبريسم والألبان واللحوم ومتاع المطارين وأشباهاها ولا يجوز في المعونات
والمركبات وما يختلف أجزاؤه كالنسيئة المصنوعة والتبيل المعمول والخفاف والتعال المختلفة أجزاؤها
وصنعتها وجلود الحيوانات ويجوز السلم في الخبز وما يتطرق إليه من اختلاف قدر الملح والماء بكثرة
الطبخ وقلته يعني عنه ويتسامح فيه . الرابع : أن يستقصى وصف هذه الأمور القابلة للوصف
حتى لا يبقى وصف متفاوت به القيمة تفاوت لا يتغابن بمثل الناس إلا ذكره فإن ذلك الوصف هو القائم
مقام الرؤية في البيع . الخامس : أن يجعل الأجل معلوما إن كان مؤجلا فلا يؤجل إلى الحصاد
ولإلى إدراك الثمار بل إلى الأشهر والأيام فإن الإدراك قد يتقدم وقد يتأخر . السادس : أن يكون
المسلم فيه مما يقدر على تسليمه وقت المحل ويؤمن فيه وجوده غالبا فلا ينبغي أن يسلم في العنب إلى
أجل لا يدرك فيه وكذا سائر القواكه فإن كان الغالب وجوده وجاء المحل وعجز عن التسليم بسبب
آفة فله أن يمهله إن شاء أو يفسخ ويرجع في رأس المال إن شاء . السابع : أن يذكر مكان التسليم
فيما يختلف الفرض به كي لا يثير ذلك نزاعا . الثامن : أن لا يعلقه بمعين فيقول من خنطة هذا الزرع
أو ثمرة هذا البستان فإن ذلك يطل كونه ديناً نعم لو أضاف إلى ثمرة بلد أو قرية كبيرة لم يضر ذلك
التاسع : أن لا يسلم في شيء نفيس عزيز الوجود مثل درة موصوفة بمن وجود مثلها أو جارية حسنة
معها ولدها أو غير ذلك مما لا يقدر عليه غالبا . العاشر : أن لا يسلم في طعام مهما كان رأس المال طعاما
سواء كان من جنسه أو لم يكن ولا يسلم في نقد إذا كان رأس المال نقدا وقد ذكرنا هذا في الربا .

أن يتطهروا والله يحب
الطاهرين - هذا وصف
أصحاب رسول الله
صلى الله عليه وسلم
قيل لهم ماذا كنتم
تصنعون حتى أتى الله
عليكم بهذا الشأن قالوا
كنا نتبع الماء الحجر
وهذا أشبه هذا من
الآداب وظيفه صوفية
الربط يلزمونه
ويتعاهدونه والرباط
يبتهم ومضربهم ولكل
قوم دار والرباط دارهم
وقد شابهوا أهل الصفة
في ذلك على ما أخبرنا
أبوزرعة عن أبيه
الحافظ القدسي قال
أنا أحمد بن محمد
البرزقي قال أنا عيسى
ابن علي الوزير قال
حدثنا عبد الله البغوي
قال حدثنا وهبان بن
بقية قال حدثنا خالد
ابن عبد الله عن داود
ابن أبي هند عن أبي
الحرث حرب بن أبي
الأسود عن طلحة
رضي الله عنه قال
كان الرجل إذا قدم

(العقد الرابع الإجارة)

وله ركنان الأجرة والمنفعة فأما العائدو اللفظ فيعتبر فيه ما ذكرناه في البيع والأجرة كالتن فينبغي أن يكون معلوما وموصوفا بكل ما شرطناه في البيع إن كان مينا فان كان دينيا فينبغي أن يكون معلوم الصفة والقدر وليحترز فيه عن أمور جرت العادة بها وذلك مثل كراء الدار بمارتها فذلك باطل إذ قدر العادة مجهول ولو قدر دراهم وشرط على الكسرى أن يصرفها إلى العماره لم يجوز لأن عمله في الصرف إلى العماره مجهول . ومنها استئجار السلاخ على أن يأخذ الجلد بعد السلع واستئجار حمال الجيف بجلد الجيفة واستئجار الطحان بالنخالة أو يعمى الدقيق فهو باطل وكذلك كل ما يتوقف حصوله وانصاله على عمل الأجير فلا يجوز أن يجعل أجرة . ومنها أن يقدر في إجارة النور والحوائث مبلغ الأجرة فلو قال لكل شهر دينار ولم يقدر أشهر الإجارة كانت المدة مجهولة ولم تنفذ الإجارة . الركن الثاني : للنفعة المقصودة بالإجارة وهي العمل وحده إن كان عمل مباح معلوم يلحق العامل فيه كلفة وينطوع به الغير عن الغير فيجوز الاستئجار عليه وجملة فروع الباب تدرج تحت هذه الرابطة ولكننا لانطول بشرحها فقد طولنا القول فيها في التفهيمات وإنما نشير إلى ماتم به البلوى فليراجع في العمل للتأجر عليه خمسة أمور : الأول أن يكون متقوما بأن يكون فيه كلفة ونصب فلو استأجر طعاما ليزين به الدكان أو أشجارا ليخفف عليها الثياب أو دراهم ليزين بها الدكان لم يجوز فان هذه للنافع تجري مجرى حبة مسمومة وحبة بر من الأعيان وذلك لا يجوز بيعه وهي كالنظر في مرآة الغير والشرب من بئر والاستئجار بمقداره والاقباض من ناره ولهذا لو استأجر ياباط على أن يسلكم بكلمة يروجها سلعته لم يجوز وما يأخذه الباعون عوضا عن حشمتهم وجاههم وقبول قولهم في رويج السلع فهو حرام إذ ليس يصدر منهم إلا كلمة لاتصفيها ولا قيمة لها وإنما يحل لهم ذلك إذا تبوا بكثرة التردد أو بكثرة الكلام في تأليف أمر المعاملة ثم لا يستحقون إلا أجرة الثلث فأما ما نواطأ عليه الباعة فهو ظلم وليس مأخوذا بالحق . الثاني : أن لا تتضمن الإجارة استيفاء عين مقصودة فلا يجوز إجارة الكرم لارتفاعه ولا إجارة للواشي للبنا ولا إجارة البساتين كثارها ويجوز استئجار للرضعة ويكون اللبن تابعا لأن إفراده غير ممكن وكذا يتسامح بحجر الوراق وخيظ الخياط لأنهما لا يقصدان على حالهما . الثالث : أن يكون العمل مقدورا على تسليمه حسا وشرعا فلا يصح استئجار الضعيف على عمل لا يقدر عليه ولا استئجار الأخرس على التعليم ونحوه وما يحرم فعله فالشرع يمنع من تسليمه كالأستئجار على قلع سن سلية أو قطع عضو لا يرخس الشرع في قطعه أو استئجار الخائف على كس السجد أو العلم على تعليم السحر أو الفحش أو استئجار زوجة الغير على الإرضاع دون إذن زوجها أو استئجار المصور على تصوير الحيوانات أو استئجار الصانع على صيغة الأوان من الذهب والفضة فكل ذلك باطل . الرابع : أن لا يكون العمل واجبا على الأجير أو لا يكون بحيث لا تجرى النيابة فيه عن المستأجر فلا يجوز أخذ الأجرة على الجهاد ولا على سائر العبادات التي لا نيابة فيها إذ لا يقع ذلك عن المستأجر ويجوز عن الحج وغسل الميت وحفر القبور ودفن الموتى وحمل الجنائز وفي أخذ الأجرة على إمامة صلاة التراويح وعلى الأذان وعلى التصدي للتدريس وإقراء القرآن خلاف أما الاستئجار على تعليم مسألة بعينها أو تعليم سورة بعينها لشخص معين فصحيح . الخامس : أن يكون العمل والمنفعة معلوما فالخياط يصرف عمله بالثوب والعلم يصرف عمله بتعيين السورة ومقدارها وحمل الثوب يعرف بمقدار المحمول وبمقدار المسافة وكل ما يثير خصومة في العادة فلا يجوز إيماله وتفصيل ذلك يطول وإنما ذكرنا هذا القدر لعرف به جليات الأحكام ويتفطن به لمواضع الاشكال فيسأل فان الاستقصاء شأن المفتي لا شأن العوام .

للدينة وكان له بها عريف ينزل على عريفه فان لم يكن له بها عريف تنزل الصفة وكنت فيمن نزل الصفة فالقوم في الرباط مرابطون متفقون على قصد واحد وعزم واحد وأحوال متناسبة ووضع الربط لهذا للمنى أن يصكون سكانها بوصف ما قال الله تعالى - وزعنا ما في صدورهم من غل إخوانا على سرر متقابلين - واللقابة باستواء السر والعلانية ومن أضمر لأخيه غلا فليس بمقابل له وإن كان وجهه إليه فأهل الصفة هكذا كانوا لأن منار الفل والحقد وجود الدنيا وحب الدنيا رأس كل خطيئة فأهل الصفة رفضوا الدنيا وكانوا لا يرجعون إلى زرع ولا إلى ضرع فزال الأحماد والفل عن مواطنهم وهكذا أهل الربط متقابلون

(العقد الخامس القراض)

وليراع فيه ثلاثة أركان . الركن الأول : رأس المال وشرطه أن يكون قدما معلوما مسلما إلى العامل فلا يجوز القراض على الفلوس ولا على العروض فإن التجارة تضيق فيه ولا يجوز على صرة من الدراهم لأن قدر الربح لا يتبين فيه ولو شرط مالك اليد لنفسه لم يجوز لأن فيه تضيق طريق التجارة : الركن الثاني : الربح وليكن معلوما بالجزئية بأن شرط له الثلث أو النصف أو ما شاء فلو قال على أن لك من الربح مائة والباقي لي لم يجوز إذ ربما لا يكون الربح أكثر من مائة فلا يجوز تقديره بمقدار معين بل بمقدار شائع . الثالث : العمل الذي على العامل . وشرطه أن يكون تجارة غير مضيقة عليه بتعيين وتأنيث فلو شرط أن يشتري بالمال مائتة ليطلب نسلها فيتقاسم النسل أو حنطة فيخزنها ويتقاسم الربح لم يصح لأن القراض مأذون فيه في التجارة وهو البيع والشراء وما يقع من ضرورتها فقط وهذه حرف أعنى الخبز ورعاية اللواشي ولوضيق عليه وشرط أن لا يشتري إلا من فلان أولا يتجر إلا في الحزب الأحمر أو شرط ما يضيق باب التجارة فسد العقد ثم مهما إنعقد فالعامل وكيل فيتصرف بالعبئة تصرف الوكلاء ومهما أراد المالك الفسخ فله ذلك فإذا فسخ في حالة والمالك كله فيها فقد لم يخف وجه القسمة وإن كان عروضا ولا ربح فيه رد عليه ولم يكن للمالك تسكينه أن يرده إلى النقد لأن العقد قد انفسخ وهو لم يلتزم شيئا وإن قال العامل أيمه وأني المالك فالتبوع رأى المالك إلا إذا وجد العامل زبونا يظهر بسببه ربح على رأس المال ومهما كان ربح فعلى العامل بيع مقدار رأس المال بخمس رأس المال لا بنقد آخر حتى يتميز الفاضل ربعا فيشتركان فيه وليس عليهم بيع الفاضل على رأس المال ومهما كان رأس السنة فعليهم تعرف قيمة المال لأجل الزكاة فإذا كان قد ظهر من الربح شيء فالأقرب أن زكاة نصيب العامل على العامل وأنه يملك الربح بالظهور وليس للعامل أن يسافر بمال القراض دون إذن المالك فإن فعل صحت تصرفاته ولكنه إذا فعل ضمن الأعيان والأثمان جميعا لأن عدوانه بالنقل يتعدى إلى ثمن الثقول وإن سافر بالإذن جاز وثقة النقل وحفظ المال على مال القراض كما أن ثقة الوزن والكيل والحل الذي لا يعتاد التاجر مثله على رأس المال فأما نشر الثوب وطيه والعمل اليسير المعتاد فليس له أن يئذل عليه أجرة وعلى العامل ثقته وسكناء في البلد وليس عليه أجرة الخانوت ومهما تجرد في السفر لمال القراض فثقته في السفر على مال القراض فإذا رجع فله أن يرد بقايا آلات السفر من المظهرة والسفرة وغيرها .

(العقد السادس الشركة)

وهي أربعة أنواع : ثلاثة منها باطلة . الأول : شركة الفاوضة وهو أن يقولوا تفاوضنا لشترك في كل مالنا وعلينا بومالاها ممتازان فهي باطلة . الثاني : شركة الأبدان وهو أن يتشارطا الاشتراك في أجرة العمل فهي باطلة . الثالث : شركة الوجوه وهو أن يكون لأحدهما حشمة وقول مقبول فيكون من جهته التفتيل ومن جهة غيره العمل فهذا أيضا باطل ، وإنما الصحيح العقد الرابع المسمى شركة العنان . وهو أن يختلط مالاها بحيث يتعذر التمييز بينهما إلا بقسمة ويأذن كل واحد منهما لصاحبه في التصرف ثم حكمهما توزيع الربح والحسran على قدر المالين ولا يجوز أن يغير ذلك بالشرط ثم بال عزل يتمتع التصرف عن العزول والقسمة يفصل الملك عن الملك والصحيح أنه يجوز عقد الشركة العروض المشتركة ولا يشترط النقد بخلاف القراض فهذا القدر من علم الفقه يجب تعلمه على كل مكتسب وإلا اقتحم الحرام من حيث لا يدري . وأما معاملة القصاب والحجاز والبقال فلا يستثنى عنها المكتسب وغير المكتسب والحلل فيها من ثلاثة وجوه من إهمال شروط البيع وإهمال

بظواهرهم وبواطنهم
يجتمعون على الألفة
والمودة يجتمعون
للحرام ويجتمعون
للطعام ويتعرفون بركة
الاجتماع . روى وحشى
ابن حرب عن أبيه عن
جده أنهم قالوا يا رسول
الله إنا نأكل ولا نشبع
قال لعلكم تفرقون
على طعامكم اجتمعوا
واذكروا الله تعالى
يسارك لكم فيه .
وروى أنس بن مالك
رضي الله عنه قال
« ما أكل رسول الله
صلى الله عليه وسلم
على خوان ولا في
سكرجة ولا خبز له
مرقق قبيل فلي أي
شيء كانوا يأكلون
قال على السفر » فالعباد
والزهاد طلبوا الاخراج
لدخول الآفات عليهم
بالاجتماع وكون
نفسهم تفتلق للأهوية
والخوض فيما لا ينفع
فأروا السلامة في
الوحدة والصوفية لقوة
عملهم وصحة حالهم
نزع عنهم ذلك

شروط السلم أو الاقتصار على المعاطاة إذا العادات جازية بكتبه الخطوط على هؤلاء بحاجات كل يوم ثم الحاسبة في كل مدة ثم التوفيق بحسب ما يقع عليه التراضي وذلك مما نرى القضاء بإباحته للحاجة ويحمل تسليمهم على إباحة التناول مع انتظار العوض فيحل آكله ولكن يجب الضمان بأكله وتلزم قيمته يوم الإتيان فتجتمع في الدمة تلك القيم فإذا وقع التراضي على مقدار ما قبضى أن يلتبس منهم الإبراء للطلاق حتى لا تبقى عليه عهدة إن تطرق إليه تفاوت في التوفيق فهذا ما يجب القناعة به فإن تكليف وزن الثمن لكل حاجة من الحوائج في كل يوم وكل ساعة تكليف شطط وكذا تكليف الإعجاب والقبول وتقدير عن كل قدر يسير منه فيه عسر وإذا كثرت كل نوع سهل تفرعه والله للوفيق .

(الباب الثالث في بيان العدل واجتناب الظلم في العامة)

اعلم أن العامة قد تجري على وجه عكس الحق بصحتها وانقضاءها ولكنها تستعمل على ظلم يتعرض به العامل لسخط الله تعالى إذ ليس كل نهي يقتضي فساد العقد وهذا الظلم يمتنع به ما استصر به الخير وهو منقسم إلى ما يعم ضرره وإلى ما يخص العامل .

(القسم الأول : فيما يعم ضرره . وهو أنواع)

النوع الأول : الاحتكار فائع الطعام يدخر الطعام ينتظر به غلاء الأسعار وهو ظلم عام وصاحبه مذموم في الشرع قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من احتكر الطعام أربعين يوماً ثم تصدق به لم تكن صدقته كفارة لاحتكاره ^(١) » وروى ابن عمر عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال « من احتكر الطعام أربعين يوماً قد برى من الله وبرى الله منه ^(٢) » وقيل فكأنما قتل الناس جميعاً . وعن علي رضي الله عنه من احتكر الطعام أربعين يوماً قسا قلبه وعنه أيضاً أنه أحرق طعاماً محتكراً بالنار وروى في فضل ترك الاحتكار عنه ^(٣) « من جلب طعاماً فباعه بسعر يومه فكأنه تصدق به وفي لفظ آخر فكأنما أعتق رقبة ^(٤) » وقيل في قوله تعالى - ومن يرد فيه بإلحاد بظلم نذقه من عذاب أليم - إن الاحتكار من الظلم ودخل تحت الوعيد وعن بعض السلف أنه كان بواسطة فحيز سفية حنطة إلى البصرة وكتب إلى وكيله ببيع هذا الطعام يوم يدخل البصرة ولا تؤخره إلى غد فوافق سعة في السر فقال له التجار لو أخرته جمعة رحمت فيه أضاعفه فأخره جمعة فربح فيه أمثاله وكتب إلى صاحبه بذلك فكتب إليه صاحب الطعام يا هذا إنا كنا قنعنا بربح يسير مع سلامة ديننا وإنك قد خالفت وما نحب أن نربح أضاعفه بنهب شيء من الدين فقد جنبت علينا جناية فإذا أتاك كتابي هذا فخذ المال كله فتصدق به على فقراء البصرة وليتقى أنجو من إثم الاحتكار كفافاً لا على ولاي . واعلم أن النهي مطلق ويتعلق النظر به في الوقت والجنس أما الجنس فيطرأ النهي في أجناس الأقوات أما ما ليس بقوت ولا هو معين على القوت كالأدوية والعقاقير

(الباب الثالث في بيان العدل)

(١) حديث من احتكر الطعام أربعين يوماً ثم تصدق به لم تكن صدقته كفارة لاحتكاره أبو منصور الديلمي في مسند الفردوس من حديث علي والخطيب في التاريخ من حديث أنس بسندين ضعيفين (٢) حديث ابن عمر من احتكر الطعام أربعين يوماً قد برى من الله وبرى الله منه أحمد والحاكم بسند جيد وقال ابن عدي ليس بحفوظ من حديث ابن عمر (٣) حديث من جلب طعاماً فباعه بسعر يومه فكأنما تصدق به وفي لفظ آخر فكأنما أعتق رقبة ابن مردويه في التفسير من حديث ابن مسعود بسند ضعيف ما من جالب يجلب طعاماً إلى بلد من بلدان المسلمين فيبيعه بنصر يومه إلا كانت منزلته عند الله منزلة الشهيد وللحاكم من حديث اليسع بن المغيرة إن الجالب إلى سوقنا كالجاهد في سبيل الله وهو مرسل

هموا والاجتماع في بيوت الجماعة على السجادة فسجادة كل واحد زاوية وهم كل واحد مهمه ولعل الواحد منهم لا يتخطى همه سجدته ولهم في اتخاذ السجادة وجه من السنة . وروى أبو سلمة ابن عبد الرحمن عن عائشة رضي الله عنها قالت « كنت أجعل لرسول الله صلى الله عليه وسلم حصيراً من اللبغ يصل على عليه من الليل » وروى ميمونة زوجة رسول الله صلى الله عليه وسلم قالت « كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يمسح له الحجرة في المسجد حتى يصل عليها » والرباط يحتوي على شبان وشيوخ وأصحاب خدمة وأرباب خلوة فالشايخ بالزوايا أليق نظراً إلى ما تدعو إليه النفس من النوم والراحة والاستعداد بالحركات والسكنات فللنفس

والزعران وأمثاله فلا يمتدئ النهي إليه وإن كان مظلوماً وأما ما يعمين على القوت كاللحم والفواكه وما يمدد مسداً يفتى عن القوت في بعض الأحوال وإن كان لا يمكن الداومة عليه فهذا في محل النظر فمن العلماء من طرد التحريم في السمن والعسل والشيرج والخبز والريث وما يجري مجراه وأما الوقت فيحتمل أيضاً طرد النهي في جميع الأوقات وعليه تدل الحكاية التي ذكرناها في الطعام الذي صادف بالبصرة سعة في السرر ويحتمل أن يخص بوقت قلة الأطعمة وحاجة الناس إليه حتى يكون في تأخير بيعه ضرراً فأمّا إذا اتسعت الأطعمة وكثرت واستغنى الناس عنها ولم يرغبوا فيها إلا بقيمة قليلة فانظر صاحب الطعام ذلك ولم ينتظر قحطاً فليس في هذا إضرار وإذا كان الزمان زمان قحط كان في ادخار العسل والسمن والشيرج وأمثالها إضرار فينبغي أن يقضى بتحريمه ويهول في نفي التحريم وإثباته على الضرر فإنه مفهوم قطعاً من تخصيص الطعام وإذا لم يكن ضرراً فلا يخلو احتكار الأقوات عن كراهية فإنه ينتظر مبادئ الضرر وهو ارتفاع الأسعار وانتظار مبادئ الضرر عند زور كاتظار عين الضرر ولكنه دونه وانتظار عين الضرر أيضاً ودون الإضرار فيقدر درجات الأضرار متفاوتة درجات الكراهية والتحريم وبالجملة التجارة في الأقوات مما لا يستحب لأنه طلب ربح والأقوات أصول خلقت قواماً والربح من الزايا فينبغي أن يطلب الربح فيما خلق من جملة الزايا التي لا ضرورة للخلق إليها ولذلك أوصى بعض التابعين رجلاً وقال لا تسلم ولديك في بيعتين ولا في صئمتين يبيع الطعام ويسع الأكل فإن فإنه يتمنى الغلاء وموت الناس والصنعتان أن يكون جزاءاً فإنها صنعة تقسى القلب أو صواغاً فإنه يزخرف الدنيا بالذهب والفضة . النوع الثاني ترويح الزيف من الدرهم في أثناء النقد فهو ظلم إذ يستغربه للعامل إن لم يعرف وإن عرف فسروجه على غيره فكذلك الثالث والرابع ولا يزال يتردد في الأيدي ويم الضرر ويتسع الفساد ويكون وزر السك ووباله راجعاً إليه فإنه هو الذي فتح هذا الباب قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «من سن سنة سيئة فعمل بها من بعده كان عليه وزرها ومثل وزر من عمل بها لا ينقص من أوزانهم شيئاً» (١) وقال بعضهم إنفاق درهم زيف أشد من سرقة مائة درهم لأن السرقة مصيبة واحدة وقد تمت وانقطعت وإنفاق الزيف بدعة أظهرها في الدين وسنة سيئة يعمل بها من بعده فيكون عليه وزرها بعد موته إلى مائة سنة أو مائتي سنة إلى أن يفتى ذلك الدرهم ويكون عليه مافسد من أموال الناس بسنته وطوبى لمن إذا مات مات معه ذنوبه والويل الطويل لمن يموت وتبقى ذنوبه مائة سنة ومائتي سنة أو أكثر يعذب بها في قبره ويسئل عنها إلى آخر انقراضها قال تعالى - ونكتب ما قدموا وآثارهم - أي نكتب أيضاً ما أخرجه من آثار أعمالهم كما نكتب ما قدموه وفي مثله قوله تعالى - ينبأ الإنسان يومئذ بما قدم وأخر - وإنما أخر آثار أعماله من سنة سيئة عمل بها غيره . وليعلم أن في الزيف خمسة أمور : الأول أنه إذا رد عليه شيء منه فينبغي أن يطرحه في بر بحيث لا يعتد إليه اليد وإياه أن يروجه في بيع آخر وإن أفده بحيث لا يمكن التعامل به جاز . الثاني أنه يجب على التاجر تعلم النقد لا يستغنى بنفسه ولكن لا يسلم إلى مسلم زيفاً وهو لا يدري فيكون آثماً بتقصيره في تعلم ذلك العلم فاسكن عمل علم به يتم نصيح المسلمين فيجب تحصيله ولكل هذا كان السلف يتعلمون علامات النقد نظراً لدينهم لاله نياهم . الثالث أنه إن سلم وعرف للعامل أنه زيف لم يخرج عن الإثم لأنه ليس بأخذ إلا لوجه على غيره ولا يخبره ولو لم يعزم على ذلك لكان لا يرغب في أخذه أصلاً فاعلموا يتخلص من إثم الضرر الذي يخص معامله

(١) حديث من سن سنة سيئة فعمل بها من بعده كان عليه وزرها ووزر من عمل بها لا ينقص من أوزانهم شيء مسلم من حديث جرير بن عبد الله .

شوق إلى التفرد والاسترسال في وجوه الفرق والشاب يضيق عليه مجال النفس بالعمود في بيت الجماعة والانكشاف لنظر الأغيار لشكر الصيون عليه فيتقيد ويتأدب ولا يكون هذا إلا إذا كان جمع الرباط في بيت الجماعة مهتمين بحفظ الأوقات وضبط الأنفاس وحراسة الحواس كما كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم - لكل امرئ منهم يومئذ شأن يغنيه - كان عندهم من هم الآخرة ما يشغلهم عن اشتغال البعض ببعض وهكذا ينبغي لأهل الصدق والصوفية أن يكون اجتماعهم غير مضرب بوقتهم فإذا تخلل أوقات الشبان اللغو واللغو فالأولى أن يلزم الشاب الطالب للوحدة والعزلة ويؤثر الشيخ الشاب بزواياه وموضع خلوته ليحبس

قسط . الرابع : أن يأخذ الزيف ليعمل بقوله صلى الله عليه وسلم « رحم الله امرأ سهل البيع سهل الشراء سهل القضاء سهل الاقتضاء »^(١) فهو داخل في بركة هذا الدعاء إن عزم على طرحه في بر وإن كان عازماً على أن يروجه في معاملة فهذا شرّ روجه الشيطان عليه في معرض الخبر فلا يدخل تحت من تساهل في الاقتضاء . الخامس أن الزيف نعت به مالا تقرر فيه أصلاً بل هو محمول أو مالا ذهب فيه أعنى في الدنانير أما مافيه تقرر فإن كان مخلوطاً بالنحاس وهو قد البلد فقد اختلف العلماء في المعاملة عليه وجل رأينا الرخصة فيه إذا كان ذلك قد البلد سواء علم مقدار التقرّة أو لم يعلم وإن لم يكن هو قد البلد لم يجوز إلا إذا علم قدر التقرّة فإن كان في ماله قطعة تقرتها ناقصة عن قد البلد فعليه أن يخبر به معاملة وأن لا يعامل به إلا من لا يستحل الترويج في جملة النقد بطريق التلبس فأما من يستحل ذلك فتسليمه إليه تسليط له على الفساد فهو كبيع العنب ممن يعلم أنه يتخذه خمرًا وذلك محظور وإعانة على الشر ومشاركة فيه وسلوك طريق الحق بمثل هذا في التجارة أشد من اللواظبة على نوافل العبادات والتخلي لها ولذلك قال بعضهم التاجر الصدوق أفضل عند الله من المتعب وقد كان السلف يحاطون في مثل ذلك حتى روى عن بعض الغزاة في سبيل الله أنه قال حملت على فرسي لأقتل علياً قصير بي فرسي فرجعت ثم دنا مني العليج فحملت ثانية فقصر فرسي فرجعت ثم حملت الثالثة فنفر مني فرسي وكنت لأعتاد ذلك منه فرجعت حزناً وجلست منكسر الرأس منكسر القلب لما فاقني من العليج وما ظهر لي من خلق الفرس فوضعت رأسي على عمود الفسطاط وفرسي قائم فرأيت في النوم كأن الفرس يخاطبني ويقول لي بالله عليك أردت أن تأخذ على العليج ثلاث مرات وأنت بالأمس اشتريت لي علماً ودفعته في ثمنه درهما زائفاً لا يكون هذا أبداً قال فانتبهت فزعا فذهبت إلى العلاف وأبدلت ذلك الدرهم فهذا مثال ما يعم ضرره وليقس عليه أمثاله .

(القسم الثاني ما يخص ضرره العامل)

فكل ما يستضره العامل فهو ظلم وإنما العدل أن لا يضر بأخيه المسلم والضابط الكلّي فيه أن لا يعب لأخيه إلا ما يعب لنفسه فكل ماله وعمله به شق عليه وتقل على قلبه فينبغي أن لا يعامل غيره به بل ينبغي أن يستوى عنده درهمه ودرهم غيره قال بعضهم : من باع أخاه شيئاً بدرهم وليس يصلح له لو اشتراه لنفسه إلا بعمسة دوائق فانه قد ترك النصح للمأمور به في المعاملة ولم يعب لأخيه ما يعب لنفسه هذه جملة فأمّا تفصيله ففي أربعة أمور أن لا يثني على السلعة بما ليس فيها وأن لا يكتف من عبوها وخفايا صفاتها شيئاً أصلاً وأن لا يكتف في وزنها ومقدارها شيئاً وأن لا يكتف من سعرها ماله وعرفه العامل لا تمتنع عنه : أما الأول فهو ترك الشاء فإن وصفه للسلعة إن كان بما ليس فيها فهو كذب فإن قبل المشتري ذلك فهو تلبس وظلم مع كونه كذبا وإن لم يقبل فهو كذب وإسقاط مبرومة إذ الكذب الذي يروج قد لا يقدح في ظاهر المروءة وإن أثني على السلعة بما فيها فهو هذيان وتكلم بكلام لا يعنيه وهو محاسب على كل كلمة تصدر منه أنه لم تكلم بها قال الله تعالى - ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد - إلا أن يثني على السلعة بما فيها مما لا يعرفه المشتري مالم يذكره كما يصفه من خفي أخلاق العبيد والجواري والدواب فلا بأس بذكر القدر الموجود منه من غير مبالغة وإطّباب وليكن قصده منه أن يعرفه أخوه المسلم فيرغب فيه وتتقضى بسببه حاجته ولا ينبغي أن يخلف عليه البتة فانه إن كان كاذباً فقد جاء باليمين القموس وهي من الكبائر التي تنذر الديار بلاقع وإن كان صادقاً فقد جعل الله تعالى عرضه لأيمانه وقد أساء فيه إذ الدنيا أحسن من أن يقصد ترويحها بذكر اسم الله من غير ضرورة ،

(١) حديث رحم الله امرأ سهل البيع سهل الشراء سهل القضاء سهل الاقتضاء البخاري من حديث جابر .

القلب نفسه عن
دواعي الهوى والخوض
فيها لا ينبغي ويكون
الشيخ في بيت الجماعة
قوة حاله وصبره على
مداواة الناس وتخلصه
من تبعات المخالطة
وحضور وقاره بين الجمع
فينضبط به التبر ولا
يتكدر هو وأما الخدمة
فلأن من دخل الرباط
مبتدئاً ولم يذق طعم
العلم ولم يتنبه لغفائس
الأحوال أن يؤمر
بالخدمة لتكون عبادته
خدمة ويحبب بحسن
الخدمة قلوب أهل الله
إليه فتشمله بركة ذلك
ويصين الإخوان
للمشتغلين بالعبادة . قال
رسول الله صلى الله
عليه وسلم « المؤمنون
إخوة يطلب بعضهم إلى
بعض الحوائج فيقضى
بعضهم إلى بعض
الحوائج يقضى الله لهم
حاجاتهم يوم القيامة »
فيتحفظ بالخدمة
عن البطالة التي تعبت
القلب والخدمة عند

وفي الخبر « ويل للتاجر من بلى والله ولا والله وويل للصانع من غد وبعد غد »^(١) وفي الخبر « البيِّن الكاذبة منفقة للسلعة بمحقة البركة »^(٢) وروى أبو هريرة رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال « ثلاثة لا ينظر الله إليهم يوم القيامة عتل مستكبر ومنان بيطيته ومعتق سلعته يمينه »^(٣) فإذا كان الثناء على السلعة مع الصدق مكروها من حيث إنه فضول لا يزيد في الرزق فلا ينبغي التغليظ في أمر البيِّن وقد روى عن يونس بن عبيد وكان خزازا أنه طلب منه خزل لشراء فأخرج غلامه سقط الخزل ونشره ونظر إليه وقال اللهم ارزقنا الجنة فقال لغلامه رده إلى موضعه ولم يبعه وخاف أن يكون ذلك تعريضا بالثناء على السلعة فتل هؤلاء هم الذين تجروا في الدنيا ولم يضيعوا دينهم في تجارتهم بل علموا أن ربح الآخرة أولى بالطلب من ربح الدنيا . الثاني : أن يظهر جميع عيوب البيع حميها وجلبها ولا يكتم منها شيئا فذلك واجب فإن أخفاء كان ظلما غاشا والنفس حرام وكان تاركا للنصح في العاملة والنصح واجب ومهما أظهر أحسن وجهي الثوب وأخفى الثاني كان غاشا وكذلك إذا عرض الثياب في المواضع المظلمة وكذلك إذا عرض أحسن فردى الحنف أو التعل وأمثاله ويدل على تحريم الغش ما روى « أنه مر عليه الصلاة والسلام برجل يبيع طعاما فأعجبه فأدخل يده فيه فرأى بلا فقال ما هذا قال أسابته السماء فقال فهلا جعلته فوق الطعام حتى يراه الناس من غشنا فليس منا »^(٤) ويدل على وجوب النصح بإظهار العيوب ما روى أن النبي صلى الله عليه وسلم لما بايع جريرا على الإسلام ذهب لينصرف فجذب نوبه واشترط عليه النصح لكل مسلم^(٥) فكان جرير إذا قام إلى السلعة يبيعها بصر عيوبها ثم خيره وقال إن شئت فخذ وإن شئت فانرك قليل له إنك إذا فعلت مثل هذا لم تنفذ لك بيع فقال إنا يا أبا رسول الله ﷺ على النصح لكل مسلم وكان واثلة بن الأسقع واقفا فباع رجل ناقة له بثلاثة درهم ففعل واثلة وقد ذهب الرجل بالناقة فسعى وراءه وجعل يصيح به يا هذا اشتريتها للحمل وللظهر فقال بل للظهر فقال إن تخفيها تخبأ قدرتيه وإنها لا تتبع السير فعاذ فردها فتقصها البائع مائة درهم وقال لو ائله رحمت الله أقصدت على بيعي فقال إنا يا أبا رسول الله صلى الله عليه وسلم على النصح لكل مسلم وقال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « لا يعمل لأحد يبيع يما إلا أن يبين آفته ولا يعمل لمن يعلم ذلك إلا تبينه »^(٦) وقد فهموا من النصح أن لا يرضى لأخيه إلا ما يرضاه لنفسه ولم يستقدوا أن ذلك من الفضائل وزيادة القامات بل اعتقدوا أنه من شروط الإسلام الداخلة تحت بيعتهم وهذا أمر يشق على أكثر الخلق فلذلك يختارون التحلي للعبادة والاعتزال عن الناس لأن القيام بحقوق الله مع المخالطة والعاملة بمجاهدة لا يقوم بها إلا الصديقون ولما يتيسر ذلك على العبد إلا بأن يعتقد أمرين . أحدهما أن تلبسه العيوب وتروجه

(١) حديث ويل للتاجر من بلى والله ولا والله وويل للصانع من غد وبعد غد لم أقف له على أصل و ذكر صاحب مسند القروس من حديث أنس بغير إسناد نحوه (٢) حديث البيِّن الكاذبة منفقة للسلعة بمحقة البركة متفق عليه من حديث أبي هريرة بلفظ الحلف وهو عند البيهقي بلفظ المصنف (٣) حديث أبي هريرة ثلاثة لا ينظر الله إليهم يوم القيامة عائل مستكبر ومنان بيطيته ومنفق سلعته يمينه مسلم من حديثه إلا أنه لم يذكر فيها إلا عائل مستكبر ولهما ثلاثة لا يكلمهم الله ولا ينظر إليهم رجل حلف على سلعة لقد أعطى فيها أكثر مما أعطى وهو كاذب ولمسلم من حديث أبي ذر الثمان والسبل إزاره والمتفق سلعته بالخلف الكاذب (٤) حديث مر برجل يبيع طعاما فأعجبه فأدخل يده فرأى بلا فقال ما هذا الحديث مسلم من حديث أبي هريرة (٥) حديث جرير بن عبد الله يا أبا رسول الله صلى الله عليه وسلم على النصح لكل مسلم متفق عليه (٦) حديث واثلة لا يعمل لأحد يبيع يما إلا أن يبين ما فيه ولا يعمل لمن يعلم ذلك إلا يئنه الحاكم وقال صحيح الإسناد والبيهقي.

القوم من جملة العمل الصالح وهي طريق من طرق الواجد تكسبهم الأوصاف الجميلة والأحوال الحسنة ولا يرون استخدام من ليس من جنسهم ولا متطلعا إلى الاهتداء بهديهم . أخبرنا الشيخ الثقة أبو الفتح قال أنا أبو الفضل حميد ابن أحمد قال أنا الحافظ أبو نعيم قال ثنا سليمان ابن أحمد قال ثنا علي ابن عبد العزيز قال ثنا أبو عبيد قال ثنا عبد الرحمن بن مهدي عن شريك عن أبي هلال الطائي عن وثيق بن الرومي قال كنت مملوكا لعمري الخطاب رضى الله عنه فكان يقول لي أسلم فانك إن أسلمت استمنت بك على أمانة للمسلمين فانه لا ينبغي أن أستعين على أماناتهم بمن ليس منهم قلت فأبيت فقال عمر لا إكراه في الدين فظنا

السلع لا يزيد في رزقه بل يحقه ويذهب يركته وما يجمعه من ممرقات التلبسات يهلكه الله دفعة واحدة .
 قد حكى أن واحداً كان له بقرة يحلبها ويخلط بلبنها الماء ويبيعه فجاء سيل ففرق البقرة فقال بعض
 أولاده إن تلك اللبنة المنفرقة التي صيبتها في اللبن اجتمعت دفعة واحدة وأخذت البقرة كيف وقد
 قال صلى الله عليه وسلم « البيعان إذا صدقا ونصحا بورك لهما في بيعهما وإذا كتما وكذبا نزلت بركة
 بيعهما (١) » وفي الحديث « يد الله على الشريكين ما لم يتخاونا فإذا تخاونا رفع يده عنهما (٢) » فإذا لا يزيد
 مال من خيانة كالا ينقص من صدقة ومن لا يصدق الزيادة والنقصان إلا بالميزان لم يصدق بهذا الحديث
 ومن عرف أن الدرهم الواحد قديليارك فيه حتى يكون سببا لسعادة الإنسان في الدنيا والدين والآلاف
 المؤلفة قد ينزع الله البركة منها حتى تكون سببا لهلاك مالكها بحيث يتمنى الإفلاس منها وبراه أسلح
 له في بعض أحواله فيعرف معنى قولنا إن الخيانة لا تزيد في المال والصدقة لا تنقص منه والمعنى الثاني الذي
 لا بد من اعتقاده لئيم له النصع ويتيسر عليه أن يعلم أن ربح الآخرة وغناها خير من ربح الدنيا وأن فوائد
 أموال الدنيا تنقضي بانقضاء العمر وتبقى مظالمها وأوزارها فكيف يستجير العاقل أن يستبدل الذي هو
 أدنى بالذي هو خير والخير كله في سلامة الدين قال رسول الله ﷺ « لا تزال لآله إلا الله تدفع عن الخلق
 سخط الله ما لم يؤثروا صفقة دنياهم على آخرتهم (٣) » وفي لفظ آخر « ما لم يبالوا ما نقص من دنياهم بسلامة
 دينهم فإذا فعلوا ذلك وقالوا لا إله إلا الله قال الله تعالى كذبتم لستم بها صادقين » وفي حديث آخر « من
 قال لا إله إلا الله مخلصا دخل الجنة قيل وما إخلاصه قال أن يحزره عما حرم الله (٤) » وقال أيضا ما آمن
 بالقرآن من استحل محارمه ومن علم أن هذه الأمور قاذحة في إيمانه وأن إيمانه رأس ماله في
 تجارته في الآخرة لم يضع رأس ماله لعد لعد لا آخر له بسبب ربح ينفع به أياما معدودة . وعن
 بعض التابعين أنه قال لودخلت الجامع وهو غاص بأهله وقيل لي من خير هؤلاء . قلت من أنصحهم
 لهم فإذا قالوا هذا قلت هو خيرهم ولوقيل لي من شرهم قلت من أغشهم لهم فإذا قيل هذا قلت هو
 شرهم والتمس حرام في البيوع والصنائع جميعا ولا ينبغي أن يتهاون الصانع بعمله على وجه لوعامله به
 غيره لما ارتضاء لنفسه بل ينبغي أن يحسن الصنعة ويحكمها ثم يبين عيبها إن كان فيها عيب
 فبذلك يتخلص . وسأل رجل حذاء بن سالم فقال كيف لي أن أسام في بيع النعال فقال اجعل الوجهين
 سواء ولا تفضل اليمنى على الأخرى وجود الحشو وليكن شيئا واحدا تاما وقارب بين الخرز ولا تطبق
 إحدى النعلين على الأخرى ومن هذا الفن ما سئل عنه أحمد بن حنبل رحمه الله من الرفو بحيث
 لا يتبين قال لا يجوز لمن يبيعه أن يخفيه وإنما يحل للرفا إذا علم أنه بظلمه وأنه لا يريد البيع . فان قلت
 فلا تتم للمعاملة مهما وجب على الإنسان أن يذكر عيوب البيع . فأقول ليس كذلك إذ شرط التاجر أن
 لا يشتري للبيع إلا الجيد الذي يرتضيه لنفسه لو أمسكه ثم يفتح في بيعه بربح يسير فيبارك الله له فيه ولا

(١) حديث البيعان إذا صدقا ونصحا بورك لهما في بيعهما الحديث متفق عليه من حديث حكيم
 ابن حزام (٢) حديث يد الله على الشريكين ما لم يتخاونا فإذا تخاونا رفع يده عنهما أبو داود والحاكم
 من حديث أبي هريرة وقال صحيح الإسناد (٣) حديث لا تزال لآله إلا الله تدفع عن الخلق
 سخط الله ما لم يؤثروا صفقة دنياهم على آخرتهم الحديث أبو يعلى والبيهقي في الشعب من حديث أنس
 بسند ضعيف وفي رواية للترمذي الحكيم في النوادر حتى إذا نزلوا بالنزل الذي لا يباليون ما نقص
 من دينهم إذا سلت لهم دنياهم الحديث وللطبراني في الأوسط نحوه من حديث عائشة وهو ضعيف
 أيضا (٤) حديث من قال لا إله إلا الله مخلصا دخل الجنة قيل وما إخلاصها قال تحجزه عما حرم الله الطبراني
 من حديث زيد بن أرقم في معجمه الكبير والأوسط بإسناد حسن .

حضرته الوفاة اعتقني
 فقال اذهب حيث شئت
 فالتسوم يكرهون
 خدمة الأغيار ويأبون
 مخالطتهم أيضا فان
 من لا يحب طريقهم
 ربما استضر بالنظر
 إليهم أكثر مما ينفع
 فاتهم بشر وتبدؤهم
 أمور بمقتضى طبع
 البشر وينكرها القبر
 لقلة علمه بما قصد
 فيكون إياهم لموضع
 الشفقة على الخلق
 لا من طريق التمزز
 والترفع على أحد
 من المسلمين والشاب
 الطالب إذا خدم أهل
 الله المشغولين بطاعته
 يشاركهم في الثواب
 وحيث لم يؤهل
 لأحوالهم السنية يخدم
 من أهل لها فخدمته
 لأهل القرب علامة
 حب الله تعالى . أخبرنا
 الثقة أبو الفتح محمد
 ابن سليمان قال أنا
 أبو الفضل حميد بن
 أحمد قال أنا الحافظ
 أبو نعيم قال ثنا

يحتاج إلى تلبس وإنما تعذر هذا لأنهم لا يقنعون بالريح اليسير وليس يسلم الكثير إلا بتلبس فمن
 تعود هذا لم يشتر الصيب فإن وقع في يده معيب نادرا فليذكره وليقنع بقيمته باع ابن سيرين شاة قال
 المشتري أربأ إليك من عيب فيها إنها تقلب العلف برجلها وباع الحسن بن صالح جارية فقال للمشتري إنها
 تنحمت مرة عندنا فما فكذا كانت سيرة أهل الدين فمن لا يقدر عليه فليترك العاملة أو ليوطن
 نفسه على عذاب الآخرة . الثالث أن لا يكتم في القدر شيئا وذلك بتعديل الميزان والآخياط فيه وفي
 الكيل فينبغي أن يكيل كما يكتال قال الله تعالى - ويل للطففين الذين إذا اكتالوا على الناس
 يستوفون وإذا كالوهم أو وزنوهم يخسرون - ولا يخلص من هذا إلا بأن يرجع إذا أعطى ويستقي إذا
 أخذ إذ العدل الحقيقي قلما يتصور فليستظهر بظهور الزيادة والتقصن فان من استقصى حقه بكتاله
 يوشك أن يتعداه وكان بعضهم يقول : لا أشتري الويل من الله بحبة فكان إذا أخذ نقص نصف حبة
 وإذا أعطى زاد حبة وكان يقول : ويل لمن باع حبة حبة عرضها السموات والأرض وما أخسر من
 باع طوبى بويل وإنما بالقوا في الاحتراز من هذا وشبهه لأنها مظالم لا يمكن التوبة منها إذ لا يعرف
 أصحاب الجباب حتى يحققهم ويؤدى حقوقهم ولذلك لما اشترى رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئا
 قال للوزان لما كان ينزنته «زن وأرجح^(١)» ونظر فضيل إلى ابنه وهو يسئل دينارا يريد أن يصرفه
 وينزل تسكيله وينقيه حتى لا يزيد وزنه بسبب ذلك فقال يا بني فلك هذا أفضل من حجتين وعشرين
 عمرة وقال بعض السلف سمعت للتاجر والبائع كيف ينحو زن وعلف بالنهار وينام بالليل وقال سليمان
 عليه السلام لابنه : يا بني كمتدخل الحبة بين الحجرين كذلك تدخل الخبطية بين المتبايعين . وصلى بعض
 الصالحين على منحن قيل له إنه كان فاسقا فسكت فأعيد عليه فقال كأنك قلت لي كان صاحب ميزانين
 يعطى بأحدهما ويأخذ بالآخر أنشأ به إلى أن فسقه مظنة بينه وبين الله تعالى وهذا من مظالم العباد
 والساعة والعفوية أبعد والتشديد في أمر الميزان عظيم والخلاص منه يحصل بحبة ونصف حبة وفي قراءة
 عبد الله بن مسعود رضي الله عنه - لا تطعوا في الميزان وأقيعوا الوزن باللسان ولا تحسروا الميزان - أي لبيان
 الميزان فان نقصان والرجحان يظهر بحيلة وبالجملة كل من ينصف نفسه من غيره ولو في كلمة ولا ينصف
 عثم ما ينصف فهو داخل تحت قوله تعالى - ويل للطففين الذين إذا اكتالوا على الناس يستوفون - الآيات
 فان تحريم ذلك في الكيل ليس لكونه مكيبال لكونه أمرا مقصود ترك العدل والنصفة فيه فهو جار
 في جميع الأعمال فصاحب الميزان في خطر الويل وكل مكلف فهو صاحب موازين في أفعاله وأقواله وخطراته
 فالويل له إن عدل عن العدل ومال عن الاستقامة ولولا تعذر هذا واستحالت له لما ورد قوله تعالى - وإن منكم
 إلا واردها كان على ربك حتما مقضيا - فلا ينفك عبد ليس معصوما عن الميل عن الاستقامة إلا أن درجات
 الميل متفاوت متفاوتا فلذلك تفاوت مدة مقامهم في النار إلى أو ان الخلاص حتى لا يبقى بعضهم
 إلا بقدر تحلة القسم ويبقى بعضهم ألفا وألوف سنين فنسأل الله تعالى أن يقربنا من الاستقامة والعدل
 فان الاشتداد على متن الصراط المستقيم من غير ميل عنه غيره طموع فيه فانه أدق من الشعرة وأحد من
 السيف ولولا أن كان المستقيم عليه لا يقدر على جواز الصراط الممدود على متن النار الذي من صفته
 أنه أدق من الشعرة وأحد من السيف وبقدر الاستقامة على هذا الصراط المستقيم يخف العبد يوم القيامة على
 الصراط وكل من خلط بالطعام ربا أو غيره ثم كاله فهو من اللطفين في الكيل وكل قصاب وزن مع اللحم
 عظما لم يجز العادة بمثله فهو من اللطفين في الوزن وقس على هذا سائر التقديرات حتى في الدرع الذي يتعاطاه البراز

(١) حديث قال للوزان زن وأرجح أصحاب السنن والحاكم من حديث سويد بن قيس قال
 الترمذي حسن صحيح وقال الحاكم صحيح على شرط مسلم .

أبو بكر بن خلاد قال
 ثنا الحرث بن أبي
 أسامة قال ثنا معاوية
 ابن عمرو قال ثنا
 أبو اسحاق عن حميد
 عن أنس بن مالك
 رضي الله عنه قال
 لما انصرف رسول الله
 صلى الله عليه وسلم من
 تبوك قال حين دنا
 من المدينة إن
 بالمدينة أقواما
 ما سرتهم من سير ولا
 قطعهم واديا إلا كانوا
 معكم قالوا وهم في المدينة
 قال « نعم حبسهم المذمر »
 فالتفتهم بخدمة القوم
 فتوق عن بلوغ درجاتهم
 بنذر القصور وعدم
 الأهلية فقام حول
 الحى بأذلا مجهوده في
 الخدمة يتعلل بالأثر
 حيث منع النظر فجراه
 الله على ذلك أحسن
 الجزاء وأنا له من
 جزيل العطاء وهكذا
 كان أهل الصفة
 يتعاونون على البر
 والتفوى ويجتمعون
 على الصالح الدينية

فانه إذا اشترى أرسل الثوب في وقت الدرع ولم يمدد وإذا باع مده في الدرع ليظهر تفاوتاً في القدر فكل ذلك من التطفيل للمرض صاحبه لقول . الرابع أن يصدق في سعر الوقت ولا يغني منه شيئاً قد نهى رسول الله ﷺ عن تلقى الركبان ^(١) ونهى عن النجش ^(٢) أما تلقى الركبان فهو أن يستقبل الرقعة ويتلقى المتاع ويكذب في سعر البلد فقد قال صلى الله عليه وسلم « لا تلقوا الركبان » ومن تلقاها فصاحب السلمة بالخيار بعد أن يقدم السوق وهذا الشراء منعقد ولكنه إن ظهر كذبه ثبت للبائع الخيار وإن كان صادقاً ففي الخيار خلاف لتعارض عموم الخبر مع زوال التلبس ونهى أيضاً أن يبيع حاضر لباد ^(٣) وهو أن يقدم البدوي البلد ومعه قوت يريد أن يتسارع إلى بيعه فيقول له الحضري أركه عندي حتى أغالى في ثمنه وأنظر ارتفاع سعره وهذا في القوت محرم وفي سائر السلع خلاف والأظهر تحريمه لعموم النهي ولأنه تأخير للتضييق على الناس على الجملة من غير فائدة للفضولي المضيق ونهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن النجش وهو أن يتقدم إلى البائع بين يدي الراغب المشتري ويطلب السعة بزيادة وهو لا يريد بها وإنما يريد تحريك رغبة المشتري فيها فهذا إن لم تجرم مواطأة مع البائع فهو فعل حرام من صاحبه والبيع منعقد وإن جرى مواطأة ففي ثبوت الخيار خلاف والأولى إثبات الخيار لأنه تقرير بفعل يضاهي التقرير في المصراة وتلقى الركبان فهذه الناهي تدل على أنه لا يجوز أن يلبس على البائع والمشتري في سعر الوقت ويحكم منه أمراً لوعله لما أقدم على العقد ففعل هذا من الغش الحرام المضاد للنصح الواجب . فقد حكى عن رجل من التابعين أنه كان بالبصرة وله غلام بالسوس مجهز إليه السكر فكتب إليه غلامه إن قصب السكر قد أصابته آفة في هذه السنة فاشتر السكر قال فاشترى سكرًا كثيرًا فلما جاء وقته ربح فيه ثلاثين ألفاً فانصرف إلى منزله فأفكر ليلته وقال ربحت ثلاثين ألفاً وخسرت نصع رجل من المسلمين فلما أصبح غدا إلى بائع السكر فدفع إليه ثلاثين ألفاً وقال بارك الله لك فيها فقال ومن أين صارت لي فقال إني كنتك حقيقة الحال وكان السكر قد غلا في ذلك الوقت فقال رحمك الله قد أعلفتني الآن وقد طيبت لك قال فرجع بها إلى منزله وتفكر ربات ساهرا وقال مانصحتة فلعلة استجيتا مني فتركها لي ففكر إليه من الغد وقال عافاك الله خذ مالك إليك فهو أطيب قلبي فأخذ منه ثلاثين ألفاً فهذه الأخبار في المناهي والحكايات تدل على أنه ليس له أن يستمتع بفرصة ويتهمز غفلة صاحب المتاع ويغني من البائع غلاء السعر أو من المشتري تراجع الأسعار فان فعل ذلك كان ظالماً تاركا للعدل والنصح للمسلمين ومهما باع مراعاة بأن يقول بعث بما قام على أوجع اشتريته فعليه أن يصدق ثم يجب عليه أن يخبر بما حدث بعد العقد من عيب أو نقصان ولو اشترى إلى أجل وجب ذكره ولو اشترى مسامحة من صديقه أو ولده يجب ذكره لأن المعامل يعول على عادته في الاستقصاء أنه لا يترك النظر لنفسه فإذا تركه بسبب من الأسباب فيجب إخباره إذ الاعتماد فيه على أماته .

(الباب الرابع في الإحسان في المعاملة)

وقد أمر الله تعالى بالعدل والإحسان جميعاً والعدل سبب النجاة فقط وهو يجري من التجارة مجرى رأس المال والإحسان سبب الفوز ونيل السعادة وهو يجري من التجارة مجرى الربح ولا يعد من العقلاء من قنع في معاملات الدنيا برأس ماله فكذا في معاملات الآخرة فلا ينبغي للمدين أن يقتصر على العدل (١) حديث النهي عن تلقى الركبان متفق عليه من حديث ابن عباس وأبي هريرة (٢) حديث النهي عن النجش متفق عليه من حديث ابن عمر وأبي هريرة (٣) حديث النهي عن بيع الحاضر للبادي متفق عليه من حديث ابن عباس وأبي هريرة وأنس .

(الباب الرابع في الإحسان في المعاملة)

ومواساة الاخوان
بالمال والبدن .

[الباب الخامس عشر
في خصائص أهل
الربط والصوفية
فيما يتعاهدونه
ويختصون به]

أعلم أن تأسيس هذه
الربط من زينة هذه
اللة الهادية الهديّة
ولسكان الربط أحوال
تميزوا بها عن غيرهم
من الطوائف وهم على
هدى من ربهم قال
الله تعالى - أولئك
الذين هدى الله فبهداهم
اتقوا - وما يرى من
التقصير في حق البعض
من أهل زماننا
والتخلف عن طريق
سلفهم لا يقدح في أصل
أمرهم وحمّة طريقهم
وهذا القدر الباقي من
الأثر واجتماع المتصوفة
في الربط وما هيا الله
تعالى لهم من الرفق
بركة جمعية بواطن
للشايخ المصنفين وأثر
من آثار منع الحق في
حقهم وصورة الاجتماع

واجتناب الظلم ويدع أبواب الإحسان وقد قال الله - وأحسن كما أحسن الله إليك - وقال عز وجل - إن الله يأمر بالعدل والإحسان - وقال سبحانه - إن رحمت الله قريب من المحسنين - ونفى بالإحسان فعل ما ينفع به العامل وهو غير واجب عليه ولكنه فضل منه فإن الواجب يدخل في باب العدل وترك الظلم وقد ذكرناه وتنازل رتبة الإحسان بواحد من ستة أمور : الأول في اللقائبة فينبغي أن لا يبين صاحبه بما لا يتغابن به في العادة فأما أصل اللقائبة فما ذون فيه لأن البيع للريح ولا يمكن ذلك إلا بغير ما ولكن يراعى فيه التقريب فإن بدل المشتري زيادة على الريح المتنازل إما لشدة رغبته أو لشدة حاجته في الحال إليه فينبغي أن يتمتع من قبوله فذلك من الإحسان ومهمالم يكن تلبيس لم يكن أخذ الزيادة ظلما وقد ذهب بعض العلماء إلى أن الغبن بما يزيد على الثلث يوجب الخيار ولنا نرى ذلك ولكن من الإحسان أن يحيط ذلك الغبن . يروى أنه كان عند يونس بن عبيد حلل مختلفة الأثمان ضرب قيمة كل حلة منها أربع مائة وضرب كل حلة قيمتها مائتان فر إلى الصلاة وخلف ابن أخيه في الدكان فجاء أعرابي وطلب حلة بأربع مائة ففرض عليه من حلل المائتين فاستحسنها ورضيها فاشتراها ففرض بها وهي على يديه فاستقبله يونس فرف حلتها فقال للأعرابي بكم اشتريت فقال بأربع مائة فقال لا تساوى أكثر من مائتين فأرجع حتى تردها فقال هذه تساوى في بلدنا خمسمائة وأنا أرتضيها فقال له يونس انصرف فان النصح في الدين خير من الدنيا بما فيها ثم رده إلى الدكان ورد عليه مائتي درهم وخاصم ابن أخيه في ذلك وقتله وقال أما استحييت أما اتقيت الله ترجع مثل الثمن وتترك النصح للمسلمين فقال والله ما أخذها إلا وهو راض بها قال فهلا رضيته بما ترضاه لنفسك وهذا إن كان فيه إخفاء سعر وتلبيس فهو من باب الظلم وقد سبق وفي الحديث « غبن المسترسل حرام ^(١) » وكان الزبير بن عدي يقول أدركت ثمانية عشر من الصحابة ما منهم أحد يحسن يشتري لما بدرهم فبين مثل هؤلاء المسترسلين ظلم إن كان من غير تلبيس فهو من ترك الإحسان ولما يتم هذا إلا بنوع تلبيس وإخفاء سعر الوقت وإنما الإحسان المحض ما نقل عن السري السقطي أنه اشترى كرلوز بستين دينارا وكتب في روزنامه ثلاثة دنانير ربحه وكأنه رأى أن يربح على الشرة نصف دينار فصار اللوز بستين فأثناء الدلال وطلب اللوز فقال خذه قال بكم فقال بثلاثة وستين فقال الدلال وكان من الصالحين قد صار اللوز بستين فقال السري قد عقدت عقدا لأحله لست أعيه إلا بثلاثة وستين فقال الدلال وأنا عقدت بيني وبين الله أن لا أغش مسلما لست آخذ منك إلا بستين قال فلا الدلال اشترى منه ولا السري باعه فهذا محض الإحسان من الجانبين فانه مع العلم بحقيقة الحال . وروى عن محمد بن النكدر أنه كان له شق بعضها بخمسة وبعضها بعشرة فباع في غيبته غلامه شقة من الخمسات بعشرة فلما عرف لم يزل يطلب ذلك الأعرابي لأشترى طول النهار حتى وجده فقال له إن الغلام قد غلط فباعك ما يساوي خمسة بعشرة فقال يا هذا قد رضيت فقال وإن رضيت فانا لا نرضى لك إلا ما نرضاه لأنفسنا فاختر إحدى ثلاث خصال إما أن تأخذ شقة من العشرينات بدارهمك وإما أن نرد عليك خمسة وإما أن ترد شقتنا وتأخذ دراهمك فقال أعطني خمسة فرد عليه خمسة وانصرف الأعرابي يسأل ويقول من هذا الشيخ فقيل له هذا محمد بن النكدر فقال لا إله إلا الله هذا الذي نستسقي به في البوادي إذا قمنا فهذا إحسان في أن لا يربح على الشرة إلا نصفاً أو واحداً على ما جرت به العادة في مثل ذلك المتاع في ذلك المكان ومن قنع بربح قليل كثرت معاملاته واستفاد من تكررها ربحاً كثيراً وبه تظهر البركة . كان على رضى الله عنه يدور في سوق الكوفة بالدرة ويقول معاشر التجار

(١) حديث غبن المسترسل حرام الطبراني من حديث أبي أمامة بسند ضعيف والبيهقي من حديث جابر بسند جيد وقال ربا بدل حرام .

في الربط الآن على طاعة الله والترسم بظاهر الآداب عكس نور الجمية من بواطن المؤمنين وسلوك الخلف في مناهج السلف فهم في الربط كجسد واحد بقلوب متفقة وعزائم متحدة ولا يوجد هذا في غيرهم من الطوائف قال الله تعالى في وصف المؤمنين - كأنهم بنية مرصوص - ويعكس ذلك وصف الأعداء فقال - تحسبهم جميعا وقلوبهم شتى - وروى النعمان بن بشير قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « إنما المؤمنون كجسد رجل واحد إذا اشتكى عضو من أعضائه اشتكى جسده أجمع وإذا اشتكى مؤمن من المؤمنين اشتكى للمؤمنين » فالصوفية وتلبيهم اللازمة من حفظ اجتماع البواطن وإزالة التفرقة بإزالة شعث البواطن لأنهم بنسبة الأرواح

خذوا الحق تسلموا لا تردوا قليل الريح فتعزموا كثيره قيل لعبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه ما سبب يسارك قال ثلاث ما رددت رجحا قط ولا طلب من حيوان فأخرت بيعه ولا بست بنسيئة ويقال إنه باع ألف ناقة لماريح إلا علقها باع كل عقال بدرهم فريح فيها ألفا وريح من نفقته عليها ليومه ألفا . الثاني : في احتمال الغبن والمشتري إن اشترى طعاما من ضعيف أو شيئا من فقير فلا بأس أن يحتمل الغبن ويتساهل ويكون به محسنا وداخلا في قوله عليه السلام « رحم الله امرأ سهل البيع سهل الشراء » فأما إذا اشترى من غني تاجر يطلب الريح زيادة على حاجته فاحتمال الغبن منه ليس محمودا بل هو تضييع مال من غير أجر ولأحمد قد ورد في حديث من طريق أهل البيت « الغبون في الشراء لا محمود ولا مأجور (١) » وكان إياس بن معاوية بن قره قاضي البصرة وكان من عقلاء التابعين يقول لست بخب والحب لا يغني ولا يغني ابن سيرين ولكن يغني الحسن ويغني أبي يعنى معاوية بن قره والكمال في أن لا يغني ولا يغني كما وصف بعضهم عمر رضي الله عنه فقال كان أكرم من أن يخذع وأعقل من أن يخذع وكان الحسن والحسين وغيرهما من خيار السلف يستقصون في الشراء ثم يهبون مع ذلك الجزيل من المال قليل لبعضهم تستقصي في شرائك على اليسير ثم تهيب الكثير ولا تنال قال إن الواهب يعطي فضله وإن الغبون يغني عقله وقال بعضهم إنما أغني عقل وجرى فلا أمكن الغابن منه وإذا وهبت أعطى الله ولا أستر من شيئا . الثالث : في استيفاء الثمن وسائر الديون والإحسان فيهمرة بالمساعة وحط البعض ومرة بالإمهال والتأخير ومرة بالمساهلة في طلب جودة النقد وكل ذلك مندوب إليه ومحث عليه قال النبي صلى الله عليه وسلم « رحم الله امرأ سهل البيع سهل الشراء سهل القضاء سهل الاقتضاء (٢) » فليغتم دعاء الرسول صلى الله عليه وسلم وقال صلى الله عليه وسلم « اصبح يسمع لك (٣) » وقال صلى الله عليه وسلم « من أنظر مصرا أو ترك له حاسبه الله حسابا يسيرا » وفي لفظ آخر ، أظله الله تحت ظل عرشه يوم لا ظل إلا ظله (٤) » وذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلا كان مسرفا على نفسه حوسب فلم يوجد له حسنة فقيل له هل عملت خيرا قط فقال لا إلا أني كنت رجلا أدين الناس فأقول لفتيانى ساعحوا للوسر وأنظروا العسر (٥) » وفي لفظ آخر « ونجاوزوا عن العسر فقال الله تعالى نحن أحق بذلك منك فجاوز الله عنه وغفر له » وقال صلى الله عليه وسلم « من أقرض دينارا إلى أجل فله بكل يوم صدقة إلى أجله فإذا حل الأجل فأنظره بعده فله بكل يوم مثل ذلك الدين صدقة (٦) » وقد كان من السلف من لا يحب أن يقضى غريمه الدين لأجل هذا الخبر حتى يكون كاتصدق بجميعة في كل يوم وقال صلى الله عليه وسلم « رأيت على باب

(١) حديث من طريق أهل البيت الغبون لا محمود ولا مأجور الترمذي الحكيم في التوادر من رواية عبيد الله بن الحسن عن أبيه عن جده ورواه أبو يعلى من حديث الحسين بن علي يرفعه قال الذهبي هو منكر (٢) حديث رحم الله سهل البيع سهل الشراء تقدم في الباب قبله (٣) حديث اصبح يسمع لك الطبراني من حديث ابن عباس ورجاله ثقات (٤) حديث من أنظر مصرا أو ترك له حاسبه الله حسابا يسيرا وفي لفظ آخر أظله الله تحت ظله يوم لا ظل إلا ظله مسلم باللفظ الثاني من حديث أبي اليسر كعب بن عمرو (٥) حديث ذكر رجلا كان مسرفا على نفسه حوسب فلم يوجد له حسنة فقيل له هل عملت خيرا قط فقال لا إلا أني كنت رجلا أدين الناس فأقول لفتيانى ساعحوا للوسر الحديث مسلم من حديث أبي مسعود الأنصاري وهو متفق عليه بنحوه من حديث حذيفة (٦) حديث من أقرض دينارا إلى أجل فله بكل يوم صدقة إلى أجله فإذا حل الأجل فأنظره بعده فله بكل يوم مثل ذلك الدين صدقة ابن ماجه من حديث بريدة من أنظر مصرا كان له مثله كل يوم صدقة ومن أنظره بعد أجله كان له مثله في كل يوم صدقة وسنده ضعيف ورواه أحمد والحاكم وقال صحيح على شرط الشيخين .

اجتمعوا وبرابطة التأليف الإلهي اتفقوا وبمشاهدة القلوب تواطوا ولتهذيب النفوس وتصفية القلوب في الرباط رابطوا فلا بد لهم من التألف والتودد والنصح . روى أبو هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « المؤمن يألف ويؤلف ولا يفيمن لا يألف ولا يؤلف » . وأخبرنا أبو زرعة طاهر بن الحافظ أبي الفضل للقدس عن أبيه قال ثنا أبو القاسم الفضل ابن أبي حرب قال أنا أحمد بن الحسين الخيري قال أنا أبو سهل ابن زياد القطان قال ثنا الحسين بن مكرم قال ثنا يزيد بن هرون الواسطي قال ثنا محمد ابن عمرو عن أبي سلمة عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « الأرواح جنود مجنونة فما تعارفت

الجنة مكتوبا الصدقة بعشر أمثالها والقرض بنان عشرة ^(١) « قيل في معناه إن الصدقة تقع في يد المحتاج وغير المحتاج ولا يحتمل ذلك الاستقراض لإحتياج » ونظر النبي صلى الله عليه وسلم إلى رجل يلزم رجلا يدين فأومأ إلى صاحب الدين يده أن يضع الشطر ففعل فقال للديون قم فأعطه ^(٢) « وكل من باع شيئا وترك ثمنه في الحال ولم يرهق إلى طلبه قم وفي معنى المقرض . وروى أن الحسن البصري باع بغلة له بأربعمائة درهم فلما استوجب المال قال له المشتري اصبح يا أبا سعيد قال قد أسقطت عنك مائة قال له فأحسن يا أبا سعيد فقال قد وهبت لك مائة أخرى فقبض من حقه مائتي درهم فقيل له يا أبا سعيد هذا نصف الثمن فقال هكذا يكون الإحسان والإفلا وفي الخبر « خذ حقه في كفاف وعفاف واف أو غير واف يحاسبك الله حسابا يسيرا ^(٣) » . الرابع : في توفية الدين ومن الإحسان فيه حسن القضاء وذلك بأن يئتمنى إلى صاحب الحق ولا يكلفه أن يئتمنى إليه يتقاضاه فقد قال صلى الله عليه وسلم « خيركم أحسنكم قضاء ^(٤) » ومهما قدر على قضاء الدين فليأدر إليه ولوقبل وقته وليسلم أجود مما شرط عليه وأحسن وإن عجز فليؤن قضاءه مهما قدر قال صلى الله عليه وسلم « من آذ أن ديناً وهو ينوي قضاءه وكل الله به ملائكة يحفظونه ويدعون له حتى يقضيه ^(٥) » وكان جماعة من السلف يستقرضون من غير حاجة لهذا الخبر ومهما كلفه صاحب الحق بكلام خشن فليحتمله وإيقابله باللفظ اقتداء برسول الله صلى الله عليه وسلم « إذ جاءه صاحب الدين عند حلول الأجل ولم يكن قد اتفق قضاؤه فجعل الرجل يشدد الكلام على رسول الله ﷺ فهم به أصحابه فقال : دعوه فإن لصاحب الحق مقالا ^(٦) » ومهما دار الكلام بين المستقرض والمقرض فالإحسان أن يكون الميل الأكثر للتوسطين إلى من عليه الدين فإن المقرض يفرض عن غنى والمستقرض يستقرض عن حاجة وكذلك ينبغي أن تكون الإعانة للمشتري أكثر فإن البائع راغب عن السلطة ينبغي ترويعها والمشتري محتاج إليها هذا هو الأحسن الآن يتعدى من عليه الدين حده فعند ذلك نصرته في منعه عن تمديه وإعانة صاحبه إذ قال ﷺ « انصر أخاك ظالماً أو مظلوماً قيل كيف تنصره ظالماً فقال منعك إياه من الظلم نصرة له ^(٧) » . الخامس : أن يقبل من يستقبله فانه لا يستقبل إلا متمسكاً مستضر بالبيع ولا ينبغي أن يرضى لنفسه أن يكون سبب استضرار أخيه قال صلى الله عليه وسلم « من قال نادماً صفقته أقاله الله عثرته يوم القيامة ^(٨) » أو كما قال . السادس : أن يقصد في معاملته جماعاً من الفقراء بالنسيئة وهو في الحال عازم على أن لا يظلمهم إن لم تظهر لهم ميسرة فقد كان في صالحى السلف من له دفتران للحساب أحدهما ترجمته مجهولة فيه أسماء من لا يعرفه

(١) حديث رأيت على باب الجنة مكتوبا الصدقة بعشر أمثالها والقرض بنان عشرة ابن ماجه من حديث أنس بإسناد ضعيف . (٢) حديث أوماً إلى صاحب الدين يده ضع الشطر الحديث متفق عليه من حديث كعب بن مالك (٣) حديث خذ حقه في عفاف الحديث ابن ماجه من حديث أبي هريرة بإسناد حسن دون قوله يحاسبك الله حسابا يسيرا وله ولا بن حبان والحاكم وصححه نحوه من حديث ابن عمر وعائشة (٤) حديث خيركم أحسنكم قضاء متفق عليه من حديث أبي هريرة (٥) حديث من آذ أن ديناً وهو ينوي قضاءه وكل به ملائكة يحفظونه ويدعون له حتى يقضيه أحمد من حديث عائشة ما من عبد كانت له نية في أداء دينه إلا كان معه من الله عون وحافظ وفي رواية له لم يزل معه من الله حارس وفي رواية للطبراني في الأوسط إلا كان معه عون من الله عليه حتى يقضيه عنه (٦) حديث دعوه فإن لصاحب الحق مقالا متفق عليه من حديث أبي هريرة (٧) حديث انصر أخاك ظالماً أو مظلوماً الحديث متفق عليه من حديث أنس (٨) حديث من أقال نادماً صفقته أقاله الله عثرته يوم القيامة أبو داود والحاكم من حديث أبي هريرة وقال صحيح على شرط مسلم

منها اتلف وماتناكر
منها اختلف فهم
باجتماعهم تجتمع
بواظهم وتقيدهم
نفوسهم لأن بعضهم
عين على البعض على
ماورد « المؤمن مرآة
المؤمن » فأى وقت
ظهر من أحدهم أثر
الفرقة نافروه لأن
الفرقة تظهر بظهور
النفس وظهور النفس
من تضيق حق الوقت
فأى وقت ظهرت
نفس الفقير علموا منه
خروجه عن دائرة
الجمعة وحكموا عليه
بتضييع حكم الوقت
وإهمال السياسة وحسن
الرعاية فيقاد بالنافرة
إلى دائرة الجمعة .
أخبرنا شيخنا ضياء
الدين أبو النجيب
عبد القاهر السهروردي
إجازة قال أنا الشيخ
العالم عصام الدين أبو
حنيفة عمر بن أحمد
ابن منصور الصفاق
أنا أبو بكر أحمد بن
خلف الشيرازي قال أنا

من الضعفاء والفقراء وذلك أن الفقير كان يرى الطعام أو الفاكهة فيشتبه فيقول أحتاج إلى خمسة أرطال مثلاً من هذا وليس معي ثمنه فكان يقول خذني واقض ثمنه عند الليرة ولم يكن يد هذا من الخيار بل عدّ من الخيار من لم يكن ثبت اسمه في دفتر أصلاً ولا يحمله ديناً لكن يقول خذ ما تريد فإن يسرك فاقض وإلا فانت في حل منه وسعة فهذه طرق تجارات السلف وقد انبرست والقائم به عى لهذه السنة وبالجملة التجارة محك الرجال وبها تتخزن دين الرجل وورعه ولذلك قيل : لا يزنك من الرء قميص رفعة أو إزار فوق كعب الساق منه رفعة أو جبين لاح فيه أثر قد قلعه ولدى الدرهم فانظر غيه أو ورعه ولذلك قيل إذا أتني على الرجل خيرانه في الحضر وأصحابه في السفر ومعاملوه في الأسواق فلا تشكوا في صلاحه وشهد عند عمر رضى الله عنه شاهد فقال اتقني بمن يعرفك فأنا رجل فأتني عليه خيراً فقال له عمر أنت جاره الأدنى الذي يعرف مدخله ومخرجه قال لا فقال كنت رفيقه في السفر الذي يستدل به على مكارم الأخلاق فقال لا قال فعاملته بالدينار والدرهم الذي يستبين به ورع الرجل قال لا قال أظنك رأيته قائماً في السجدة يههم بالقرآن يخفض رأسه طوراً ويرفعه أخرى قال نعم فقال اذهب فليست تعرفه وقال للرجل اذهب فأتني بمن يعرفك .

(الباب الخامس في شفقة التاجر على دينه فيما يخصه وبعم آخرته)

ولا ينبغي للتاجر أن يشغله معاشه عن معاده فيكون عمره ضائعاً وصفقته خاسرة وما يفوت من الربح في الآخرة لا يفي به ما ينال في الدنيا فيكون ممن اشترى الحياة الدنيا بالآخرة بل العاقل ينبغي أن يشفق على نفسه وشفقته على نفسه يحفظ رأس ماله ورأس ماله دينه وتجارته فيه قال بعض السلف أولى الأشياء بالعاقل أحوجه إليه في العاجل وأحوج شيء إليه في العاجل أحمد عاقبة في الأجل وقال معاذ بن جبل رضى الله عنه في وصيته إنه لا بد لك من نصيبك في الدنيا وأنت إلى نصيبك من الآخرة أحوج فابداً بنصيبك من الآخرة فخذ فانك ستمر على نصيبك من الدنيا فتنتظمه قال الله تعالى - ولا تنس نصيبك من الدنيا - لا تنس في الدنيا نصيبك منها للآخرة فانها مزرعة الآخرة وفيها تكتسب الحسنات وإنما تتم شفقة التاجر على دينه بمراعاة سبعة أمور . الأول : حسن النية والعقيدة في ابتداء التجارة فلينبهها الاستعفاف عن السؤال وكف الطمع عن الناس استغناء بالحلل عنهم واستعانة بما يكسبه على الدين وقياماً بكفاية العيال ليكون من جملة المجاهدين به ولينبه النصح للسلمين وأن يحب لسائر الخلق ما يحب لنفسه ولينبه اتباع طريق العدل والإحسان في معاملته كما ذكرناه ولينبه الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في كل ما يراه في السوق فإذا أضمر هذه العقائد والنيات كان عاملاً في طريق الآخرة فإن استفاد مالا فهو مزيد وإن خسر في الدنيا ربح في الآخرة . الثاني : أن يقصد القيام في صنعه أو تجارته بفرض من فروض الكفايات فإن الصناعات والتجارات لو تركت بطلت المعاش وهلك أكثر الخلق فانتظام أمر الكل يتعاون الكل وتكفل كل فريق بعمله ولو أقبل كلهم على صنعة واحدة لم تطلت البواقي وهلكوا وعلى هذا حمل بعض الناس قوله ﷺ «اختلاف أممي رحمة» (١) أي اختلاف همهم في الصناعات والحرف ومن الصناعات ما هي مهمة ومنها ما يستغنى عنها لرجوعها إلى طلب الثم والتزين في الدنيا فليشتغل بصناعة مهمة ليكون في قيامه بها كافياً عن السلمين مهما في الدين وليجتنب صناعة النقش والصياغة وتشديد البنيان بالجص وجميع ما تخرف به الدنيا فكل ذلك كرهه

الشيخ أبو عبد الرحمن محمد بن الحسين السدي قال سمعت محمد ابن عبد الله يقول سمعت رويماً يقول لا يزال الصوفية غير مائتافوا فإذا اصطالحوا هلكوا وهذه إشارة من رويهم إلى حسن تفقد بعضهم أحوال بعض إشفاقاً من ظهور النفوس يقول إذا اصطالحوا أو رفضوا المنافرة من بينهم يخاف أن تخامر البواطن للساهلة والراءاة ومساعدة البعض البعض في إهمال دقيق آدابهم وبذلك تظهر النفوس وتستولى وقد كان عمر بن الخطاب رضى الله عنه يقول : رحم الله امرأ أهدى إلى عيوى . وأخبرنا أبو زرعة عن أبيه الحافظ القدسي قال أنا أبو عبد الله محمد ابن عبد العزيز الهروي قال أنا عبد الرحمن بن أبي شريح قال أنا أبو القاسم البغوي قال

(الباب الخامس في شفقة التاجر على دينه)

(١) حديث اختلاف أممي رحمة تقدم في العلم .

ذو الدين فأما عمل الملاحى والآلات التي يحرم استعمالها فاجتناب ذلك من قبيل ترك الظلم ومن جملة ذلك خياطة الحياط القباء من الإبريسم للرجال وصياغة الصانع مراكب القناهب أو خواتيم الذهب للرجال فكل ذلك من المعاصى والأجرة للأخوة عليه حرام ولذلك أوجبنا الزكاة فيها وإن كنا لانوجب الزكاة في الحلى لأنها إذا قصدت للرجال فهي محرمة وكونها مهية للنساء لا يلحقها بالحلى الباح ما لم يقصد ذلك بها فيكتسب حكمها من القصد وقد كررنا أن يبيع الطعام ويبيع الأكفان مكروه لأنه يوجب انتظار موت الناس وحاجتهم بقاء السر ويكره أن يكون جزارا لما فيه من تساوة القلب وأن يكون حجابا أو كناسا لما فيه من غمارة النجاسة وكذا الدباغ وما في معناه وكره ابن سيرين الدلالة وكره قتادة أجرة الدلال ولعل السبب فيه قلة استغناء الدلال عن الكذب والافراط في الثناء على السلعة لترويجها ولأن العمل فيه لا يتقدر قد يقل وقد يكثر ولا ينظر في مقدار الأجرة إلى عمله بل إلى قدر قيمة الثوب هذا هو العادة وهو ظلم بل ينبغي أن ينظر إلى قدر الثمن وكرهوا شراء الحيوان للتجارة لأن المشتري يكره قضاء الله فيه وهو الموت الذى يصدده لعمالة وحلوله وقيل بيع الحيوان واشترى اللواتن وكرهوا الصرف لأن الاحتراز فيه عن دقائق الربا عسير ولأنه طلب لدقائق الصفات فيما لا يقصد أعيانها وإنما يقصد رواجها وقماييم للصيرفي ربح الأبعاد جهالة معاملته بدقائق النقد قلما يسلم الصيرفي وإن احتاط ويكره للصيرفي وغيره كسر الصحيح والدنانير إلا عند الشك في جودته أو عند ضرورة قال أحمد بن حنبل رحمه الله وردته عن رسول الله صلى الله عليه وسلم (١) وعن أصحابه في الصياغة من الصالح وأنا أكره الكسر وقال يشتري بالدنانير دراهم ثم يشتري بالدرهم ذهبا ويصوغه واستحبوا تجارة البر قال سعيد بن المسيب ما من تجارة أحب إلى من البر ما لم يكن فيها إيمان وقد روى «خير تجارتكم البر وخير صناعتكم الحرز» (٢) وفي حديث آخر «لواتجر أهل الجنة لا تجروا في البر ولواتجر أهل النار لا تجروا في الصرف» (٣) وقد كان غالب أعمال الأخيار من السلف عشر صنائع الحرز والتجارة والحمل والحياطة والحذو والقصارة وعمل الخفاف وعمل الحديد وعمل المغازل ومعالجة صيد البر والبحر والوراقة قال عبد الوهاب الوراق قال لي أحمد بن حنبل ما صنعتك قلت الوراقة قال كسب طيب ولو كنت صانعا يسدى لصنت صنعتك ثم قال لي لا تكتب إلا بواسطة واستبق الحوائش وظهور الأجزاء وأربعة من الصنائع موسومون عند الناس بضعف الرأي الحماكة والقطانون والمغازليون والمعلمون ولعل ذلك لأن أكثر مخالطتهم مع النساء والصبيان ومخالطة ضعفاء العقول تضعف العقل كما أن مخالطة العقلاء تزيد في العقل وعن مجاهد أن مريم عليها السلام مرت في طلبها ليعسى عليه السلام بحماكة فطلبت الطريق فأرعدوها غير الطريق فقالت اللهم انزع البركة من كسبهم وأمتهم قراء وحقرهم في أعين الناس فاستجيب دعاؤها وكره السلف أخذ الأجرة على كل ما هو من قبيل المبادات وفروض الكفايات كغسل الموتى ودقهم وكذا الأذان وصلاة التراويح وإن حكم

(١) حديث النهي عن كسر الدينار والدرهم أبو داود والترمذي وابن ماجه والحاكم من رواية علقمة ابن عبد الله عن أبيه قال نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن تكسر سكة المسلمين الجائزة بينهم إلا من بأس زاد الحاكم أن يكسر الدرهم فيجعل فضة ويكسر الدينار فيجعل ذهبا وضعفه ابن حبان (٢) حديث خير تجارتكم البر وخير صناعتكم الحرز لم أقف له على إسناد وكره صاحب الفردوس من حديث علي بن أبي طالب (٣) حديث لواتجر أهل الجنة لا تجروا في البر ولواتجر أهل النار لا تجروا في الصرف أبو منصور الديلمي في مسند الفردوس من حديث أبي سعيد بسند ضعيف . وروى أبو يعلى والعقيلي في الضعفاء الشطر الأول من حديث أبي بكر الصديق .

حدثنا مصعب بن عبد الله الزيري قال حدثني إبراهيم بن سعد عن صالح عن ابن شهاب أن محمد بن نعان أخبر بأن عمر قال في مجلس فيه المهاجرون والأنصار أرايتم لو ترخست في بعض الأمور ماذا كنتم فاعلن قال فكننا قال فقال ذلك مرتين أو ثلاثا أرايتم لو ترخست في بعض الأمور ماذا كنتم فاعلن قال بشر بن سعد لو فطنت ذلك قومناك تخوم القدرح فقال عمر أتم إذن أتم وإذا ظهرت نفس الصوفي بفضب وخصومة مع بعض الإخوان فشرط أخيه أن يقابل نفسه بالقلب فان النفس إذا قبلت بالقلب انعمت مادة الشر وإذا قبلت النفس بالنفس ثارت الفتنة وذهبت العصمة قال الله تعالى - ادفع بالتي هي أحسن فإذا

بصحة الاستئجار عليه وكذا تعليم القرآن وتعليم علم الشرع فان هذه أعمال حقها أن يتجر فيها
للاخرة وأخذ الأجرة عليها استبدال بالدنيا عن الآخرة ولا يستحب ذلك . الثالث أن لا يمتدح
الدنيا عن سوق الآخرة وأسواق الآخرة المساجد قال الله تعالى - رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن
ذكر الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة - وقال الله تعالى - في يوت أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه -
فينبغي أن يجعل أول النهار إلى وقت دخول السوق لآخرته فيلزم السجود ويأطلب على الأوراد كان عمر
رضي الله عنه يقول للتجار اجعلوا أول نهاركم لآخرتكم وما بعدكم لدنياكم وكان صالحو السلف يجعلون
أول النهار وآخره للآخرة والوسط للتجارة ولم يكن يبيع الهريسة والردوس بكرة إلا الصبيان وأهل
الذمة لأنهم كانوا في المساجد بعدد في الخبر « إن الملائكة إذا صعدت بصحيفة العبد وفيها في أول النهار
وفي آخره ذكر الله وخير كفر الله عنه ما بينهما من سيئ الأعمال (١) » وفي الخبر « تلتقي ملائكة
الليل والنهار عند طلوع الفجر وعند صلاة العصر فيقول الله تعالى وهو أعلم بهم كيف تركتم عبادي
فيقولون تركناهم وهم يصلون وجئناهم وهم يصلون فيقول الله سبحانه وتعالى أشهدكم أني قد غفرت
لهم (٢) » ثم يسمعون الأذان في وسط النهار للأولى والعصر فينبغي أن لا يهرج على شغل وينزعج عن
مكانه ويدع كل ما كان فيه لما يفوته من فضيلة التكبير الأولى مع الإمام في أول الوقت لا توازيها
الدنيا بما فيها ومهما لم يحضر الجماعة عصي عند بعض العلماء وقد كان السلف يبتدرون عند الأذان
ويخلون الأسواق للصبيان وأهل الذمة وكانوا يستأجرون بالقراريط لحفظ الحوائث في أوقات
الصلوات وكان ذلك معيشة لهم وقد جاء في تفسير قوله تعالى - لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله -
إنهم كانوا حدادين وخرازين فكان أخذهم إذا رفع المطرقة أو غرز الإشتي فسمع الأذان لم يخرج
الإشتي من الغرز ولم يرفع المطرقة ورمى بها وقام إلى الصلاة . الرابعة أن لا يقتصر على هذا بل يلزم
ذكر الله سبحانه في السوق ويشتمل بالتهليل والتسبيح فذكر الله في السوق بين العاقلين أفضل قال
صلى الله عليه وسلم « ذاكر الله في العاقلين كالقاتل خلف الفارين وكالحى بين الأموات » وفي لفظ آخر
« كالشجرة الخضراء بين المهشم » وقال صلى الله عليه وسلم « من دخل السوق فقال لا إله إلا الله وحده
لا شريك له له الملك وله الحمد يحيى ويميت وهو حي لا يموت بيده الخير وهو على كل شيء قدير كتب
الله له ألف ألف حسنة (٣) » وكان ابن عمر وسالم بن عبد الله ومحمد بن واسع وغيرهم يدخلون السوق
قاصدين لنيل فضيلة هذا الذكر وقال الحسن ذاكر الله في السوق يحيى يوم القيامة له ضوء كضوء القمر
وبرهان كبرهان الشمس ومن استغفر الله في السوق غفر الله له بعدد أهلها وكان عمر رضي الله عنه
إذا دخل السوق قال اللهم إني أعوذ بك من الكفر والفسوق ومن شر ما أحاطت به السوق اللهم
إني أعوذ بك من عيب فاجرة وصفة خاسرة وقال أبو جعفر القرطبي كنا يوما عند الجنيد فجري ذكر
ناس يجلسون في المساجد ويتشبهون بالصوفية ويقصرون عما يجب عليهم من حق الجلوس ويمسكون
من يدخل السوق فقال الجنيد كم ممن هو في السوق حكمه أن يدخل المسجد يأخذ باذن بعض من فيه

(١) حديث إن الملائكة إذا صعدت بصحيفة العبد في أول النهار وآخره ذكر وخير كفر الله ما بينهما
من سيئ الأعمال أبو يعلى من حديث أنس بسند ضعيف بمعناه (٢) حديث تلتقي ملائكة الليل
وملائكة النهار عند طلوع الفجر وعند صلاة العصر فيقول الله وهو أعلم كيف تركتم عبادي
الحديث متفق عليه من حديث أبي هريرة يتعاقبون فيكم ملائكة بالليل وملائكة بالنهار ويجتمعون
في صلاة الغداة وصلاة العصر الحديث (٣) حديث من دخل السوق فقال لا إله إلا الله وحده شريك له
الحديث تقدم في الأذكار .

الذي بينك وبينه
عداوة كأنه ولي حميم .
وما يلقاها إلا الذين
صبروا - ثم الشيخ
أو الخادم إذا شكك إليه
صغير من أخيه فله أن
يأتب أيهما شاء فيقول
للمتحدى لم تعدت
وللمتحدى عليه ما الذي
أذنبت حتى تعدت
عليك وسلط عليك
وهلا قابلت نفسه
بالقلب رققا بأخيك
وإعطاء للفتوة
والصحة حقها فكل
منهما جان وخارج عن
دائرة الجمعية فيرد إلى
الدائرة بالتقار فيعود
إلى الاستغفار ولا يسلك
طريق الأصرار روت
عائشة رضي الله عنها
قالت « كان يقول رسول
الله صلى الله عليه وسلم :
اللهم اجعلني من
الذين إذا أحسنوا
استبشروا وإذا أساءوا
استغفروا » فيكون
الاستغفار ظاهرا مع
الإخوان وباطنا مع الله
تعالى ويرون الله في

فيخرجه ويجلس مكانه وإنى لأعرف رجلا يدخل السوق ورذه كل يوم ثلثمائة ركة وثلاثون ألف نسيجة قال فسبق إلى وهمى أنه يعنى نفسه فكذا كانت تجارة من يتجر لطلب الكفاية لالتئم في الدنيا فإن من يطلب الدنيا للاستعانة بها على الآخرة كيف يدع ربح الآخرة والسوق والسجد والبيت له حكم واحد وإنما التجارة بالتقوى قال صلى الله عليه وسلم « اتق الله حينما كنت (١) » فوظيفة التقوى لا تنقطع عن التجردين للدين كيفما تقلبت بهم الأحوال وبه تكون حياتهم وعيشهم إذ فيه يرون تجارتهم وربهم وقد قيل من أحب الآخرة عاش ومن أحب الدنيا طاش والأحقق يندو ويروح في لاش والعاقل عن عيوب نفسه فتاش . الخامس : أن لا يكون شديد الحرص على السوق والتجارة وذلك بأن يكون أول داخل وآخر خارج وبأن يركب البحر في التجارة فهما مكروهان يقال إن من ركب البحر فقد استقصى في طلب الرزق وفي الخبر « لا يركب البحر إلا لحج أو عمرة أو غزو (٢) » وكان عبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله عنهما يقول لا تكن أول داخل في السوق ولا آخر خارج منها فإن بها باض الشيطان وفرغ روى عن معاذ بن جبل وعبد الله بن عمر أن ابليس يقول لولبه زلت ورسر بكتائبك فأت أصحاب الأسواق زين لهم الكذب والحلف والحديمة والمكر والحياة وكن مع أول داخل وآخر خارج منها وفي الخبر « شر البقاع الأسواق وشر أهلها أولهم دخولا وآخرهم خروجا (٣) » وتعلم هذا الاحتراز أن يراقب وقت كفايته فإذا حصل كفاية وقته انصرف واشتغل بتجارة الآخرة هكذا كانوا صالحو السلف لقد كان منهم من إذا ربح دافعا انصرف قناعة به وكان حماد بن سعدة يبيع الحز في سبط بين يديه فكان إذا ربح جبتين رفع سبطه وانصرف وقال إبراهيم بن بشار قلت لابراهيم بن آدم رحمه الله أمر اليوم أعمل في الطين فقال يا ابن بشار إنك طالب ومطلوب يطلبك من لا تقوته وتطلب ما قد كفيته أما رأيت حريصنا محروما وضعيفا مرزوقا قتلت إن لى دافعا عند البقال فقال عز على بك تملك دافعا وتطلب العمل وقد كان فيهم من ينصرف بعد الظهر ومنهم بعد العصر ومنهم من لا يعمل في الأسبوع إلا يوما أو يومين وكانوا يكتفون به . السادس : أن لا يقتصر على اجتناب الحرام بل يتقى مواضع الشبهات ومظان الريب ولا ينظر إلى الفتاوى بل يستفق قلبه فإذا وجد فيه حرازة اجتنبه وإذا حمل إليه ساعة رابه أمرها سأل عنها حتى يعرف وإلا أكل الشبهة « وقد حمل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم لبن فقال من أين لكم هذا ؟ فقالوا من الشاة فقال ومن أين لكم هذه الشاة ؟ فقبل من موضع كذا فشرب منه ثم قال : إنا معاشرا الأنبياء أمرنا أن لا نأكل إلا طيبا ولا نعمل إلا صالحا (٤) » وقال « إن الله تعالى أمر المؤمنين بما أمر به المرسلين فقال - يا أيها الذين آمنوا كلوا من طيبات ما رزقناكم - (٥) » فسأل النبي صلى الله عليه وسلم عن أصل الشيء وأصل أصله ولم يزد لأن ما وراء ذلك يتعذر وسنين في كتاب الحلال والحرام موضع وجوب هذا السؤال فإنه كان عليه السلام لا يسأل

(١) حديث اتق الله حينما كنت (٢) حديث أنى ذر - وصححه (٣) حديث لا يركب البحر إلا لحجة أو عمرة أو غزو أبو داود من حديث عبد الله بن عمر وقيل إنه منقطع (٤) حديث شر البقاع الأسواق وشر أهلها أولهم دخولا وآخرهم خروجا تقدم صدر الحديث في الباب السادس من العلم وروى أبو نعيم في كتاب حرمة المساجد من حديث ابن عباس أبيض البقاع إلى الله الأسواق وأبيض أهلها إلى الله أولهم دخولا وآخرهم خروجا (٥) حديث سؤاله عن اللبن والشاة وقوله إنا معاشرا الأنبياء أمرنا أن لا نأكل إلا طيبا ولا نعمل إلا صالحا الطبراني من حديث أم عبد الله أخت شدد بن أوس بسند ضعيف (٥) حديث إن الله أمر المؤمنين بما أمر به المرسلين الحديث مسلم من حديث أبي هريرة .

استغفارهم فلهذا المني
يقفون في صف النعال
على أقدامهم تواضعا
وانكسارا ومجعت
شيخنا يقول للفقير إذا
جرى بينه وبين بعض
إخوانه وحشة غم
واستغفر فيقول الفقير
ما أرى باطنيا صافيا ولا
أوتر القيام للاستغفار
ظاهرا من غير صفاء
الباطن فيقول أنت قم
فبركة سعيك وقيامك
ترزق الصفاء فكان
يجد ذلك ويرى أثره
عند الفقير وترق
القلوب وترفع الوحشة
وهذا من خاصية هذه
الطائفة لا يبيتون
والبواطن منظوية على
وحشة ولا يجتمعون
للطعام والبواطن تضمر
وحشة ولا يرون
الاجتماع ظاهرا في شيء
من أمورهم إلا بعد
الاجتماع بالبواطن
وذهاب التفرقة والشك
فإذا قام الفقير للاستغفار
لا يجوز رد استغفاره
بالحال . روى عبد الله

عن كل ما يعمل إليه (١) وإنما الواجب أن ينظر التاجر إلى من يعامله فكل منسوب إلى ظلم أو خيانة أو سرقة أو ربا فلا يعامله وكذا الأجناد والظلة لا يعاملهم البتة ولا يعامل أصحابهم وأعدائهم لأنه معين بذلك على الظلم . وحي عن رجل أنه تولى عمارة سور لثغر من الثغور . قال فوقع في نقي من ذلك شيء وإن كان ذلك العمل من الخيرات بل من فرائض الاسلام ولكن كان الأمير الذي تولى في عمله من الظلة قال فسألت سفيان رضي الله عنه فقال لا تبك عنونا لهم على قليل ولا كثير فقلت هذا سور في سبيل الله للمسلمين فقال نعم ولكن أقل ما يدخل عليك أن تحب بقاءهم ليوفر لك أجرك فتكون قد أحبيت بقاء من يعصى الله وقد جاء في الخبر « من دعا لظلم بالبقاء فقد أحب أن يعصى الله في أرضه » (٢) وفي الحديث « إن الله لا يغضب إذا مدح القاسق » (٣) وفي حديث آخر « من أكرم فاسقا فقد أعان على هدم الاسلام » (٤) ودخل سفيان على للهدى ويده درج أبيض فقال ياسفيان أعطني النواة حتى أكتب فقال أخبرني أي شيء تكتب فإن كان حقا أعطيتك وطلب بعض الأمراء من بعض العلماء المحبوبين عنده أن يناوله طينا ليختم به الكتاب فقال ناوئى الكتاب أولا حتى أنظر ما فيه فكنا كانوا يعجزون عن معاونة الظلة ومعاملتهم أشد أنواع الاعانة فينبى أن يجتنبها ذوو الدين ما وجدوا إليه سبيلا وبالجملة فينبى أن ينقسم الناس عنده إلى من يعامل ومن لا يعامل وليكن من يعامله أقل ممن لا يعامله في هذا الزمان قال بعضهم أتى على الناس زمان كان الرجل يدخل السوق ويقول من ترون لى أن أعامل من الناس فيقال له عامل من شئت ثم أتى زمان آخر كانوا يقولون عامل من شئت إلا فلانا وفلانا ثم أتى زمان آخر فكان يقال لا تعامل أحدا إلا فلانا وفلانا وأخشى أن يأتي زمان يذهب هذا أيضا وكأنه قد كان الذي كان يحذر أن يكون إنما الله وإنما إليه راجعون . السابع : ينبى أن يراقب جميع مجارى معاملته مع واحد من معامليه فانه يراقب ومحاسب فليعد الجواب ليوم الحساب والعقاب في كل صلة وقوله إنه لم أقدم عليها ولأجل ماذا فانه يقال إنه يوقف التاجر يوم القيامة مع كل رجل كان باعه شيئا وقفة ومحاسب عن كل واحد محاسبة على عدد من عمله قال بعضهم رأيت بعض التجار في النوم فقلت ماذا فعل الله بك فقال نشر على خمسين ألف صحيفة فقلت هذه كلها ذنوب فقال هذه معاملات الناس بعدد كل انسان عاملته في الدنيا لكل انسان صحيفة مفردة فيما بينى وبينه من أول معاملته إلى آخرها فهذا ما على المكتسب في عمله من العدل والاحسان والشفقة على الدين فان اقتصر على العدل كان من الصالحين

(١) حديث كان لا يسأل عن كل ما يعمل إليه أحمد من حديث جابر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه مروا بامرأة فذبحت لهم شاة الحديث فأخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم لقمة فلم يستطع أن يسيها فقال هذه شاة ذبحت بغير إذن أهلها الحديث وله من حديث أبي هريرة كان إذا أتى بطعام من غير أهله سأل عنه الحديث وإسنادهما جيد وفي هذا أنه كان لا يسأل عما أتى به من عند أهله والله أعلم (٢) حديث من دعا لظلم بالبقاء فقد أحب أن يعصى الله في أرضه لم أجده مرفوعا وإنما رواه ابن أبي الدنيا في كتاب الصمت من قوله الحسن وقد ذكره المصنف هكذا على الصواب في آفات اللسان (٣) حديث إن الله لا يغضب إذا مدح القاسق ابن أبي الدنيا في الصمت وابن عدى في الكامل وأبو يعلى والبيهقي في الشعب من حديث أنس بسند ضعيف (٤) حديث من أكرم فاسقا فقد أعان على هدم الاسلام غريب بهذا اللفظ والمعروف من وقر صاحب بدعة الحديث رواه ابن عدى من حديث عائشة والطبراني في الأوسط وأبو نعيم في الحلية من حديث عبد الله بن بسر بأسانيد ضعيفة قال ابن الجوزى كلها موضوعة

ابن عمر رضي الله عنهما
عن رسول الله صلى الله
عليه وسلم قال « ارحموا
ترحموا واغفروا يغفر
لكم » . والصفوة في
تهليل يد الشيخ بعد
الاستفاز أسل من
السنة . روى عبد الله
ابن عمر قال « كنت في
سرية من سرايا رسول
الله صلى الله عليه وسلم
خاص الناس حصة
فكنت فيمن خاص
قلنا كيف نصنع وقد
فررنا من الرخصيوننا
بالضرب قلنا لودخلنا
للدينة فقتلنا فيها ثم قلنا
لو عرضنا أنفسنا على
رسول الله صلى الله عليه
وسلم فإن كان لنا توبة
وإلا ذهبنا فأتينا
قبل صلاة الغداة نفرج
قال من القوم قلنا نحن
الفرارون قال لا بل
أنتم العكارون أنا فتكم
أنا فئة المسلمين » يقال
عكر الرجل إذا تولى ثم
كر راجعا والعكار
المطاف والرجاع قال
فأتينا حتى قلنا يده »

وإن أضاف إليه الإحسان كان من القريين وإن راعى مع ذلك وظائف الدين كما ذكر في الباب الخامس كان من الصديقين والله أعلم بالصواب تم كتاب آداب الكسب والعيشة بمحمد الله ومنه .

(كتاب الحلال والحرام)

وهو الكتاب الرابع من ربيع العادات من كتب إحياء علوم الدين

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي خلق الإنسان من طين لازب وصلصال ، ثم ركب صورته في أحسن تقويم وأتم اعتدال ، ثم غذاه في أول نشوء بلبن استصفاة من بين فرت ودم سائقا كالماء الزلال ، ثم حماه بما آتاه من طيبات الرزق عن دواعي الضعف والانحلال ، ثم قيد شهوته العادية له عن السطوت والصلال ، وقهرها بما اقترضه عليه من طلب القوت الحلال ، وهزم بكسرهما جند الشيطان للتشمر للاضلال ، ولقد كان يجري من ابن آدم مجرى الدم السيل ، فضيق عليه عزة الحلال المجرى والمجال ، إذا كان لا يذوقه إلى أعماق العروق إلا الشهوة المائلة إلى الغلبة والاسترسال ، فبقى لما زمت بزمام الحلال خائبا خاسرا ماله من ناصر ولا وال . والصلاة على محمد الهادي من الضلال وعلى آله خير آل وسلم تسليما كثيرا . أما بعد . فقد قال صلى الله عليه وسلم « طلب الحلال فريضة على كل مسلم »^(١) رواه ابن مسعود رضي الله عنه وهذه الفريضة من بين سائر الفرائض أعصاها على العقول فهما وأثقلها على الجوارح فعلا ولقد اندرس بالكلية علما وعملا وصار غموض علمه سببا لاندراس عمله إذ ظن الجهال أن الحلال مفقود وأن السبيل دون الوصول إليه مسدود وأنه لم يبق من الطيبات إلا اللاء القرات والحشيش التابت في الموات وما عده قد أخبثته الأيدي العادية وأفسدته المعاملات الفاسدة وإذا تعذرت القناعة بالحشيش من النبات لم يبق وجه سوى الاتساع في المحرمات فرفضوا هذا القطب من الدين أصلا ولم يدركوا بين الأموال فرقا وفضلا وهيئات هيئات فالحلال بين والحرام بين وبينهما أمور مشبهات ولا تزال هذه الثلاثة مقترنات كيفما تقلبت الحالات ولما كانت هذه بدعة عم في الدين ضررها واستطار في الخلق شررها وجب كشف الغطاء عن فسادها بالإرشاد إلى مدرك الفرق بين الحلال والحرام والشبهة على وجه التحقيق والبيان ولا يخرجها التضيق عن حيز الإمكان . ونحن نوضح ذلك في سبعة أبواب . الباب الأول : في فضيلة طلب الحلال ومذمة الحرام ودرجات الحلال والحرام . الباب الثاني : في مراتب الشبهات ومثاراتها وتمييزها عن الحلال والحرام . الباب الثالث : في البحث والسؤال والمعجوم والاهمال ومظاهرها في الحلال والحرام . الباب الرابع : في كيفية خروج التائب عن الظالم للسالية . الباب الخامس : في إدارات السلاطين وصلاتهم وما يحل منها وما يحرم . الباب السادس : في الدخول على السلاطين ومخالطتهم . الباب السابع : في مسائل متفرقة .

(الباب الأول في فضيلة الحلال ومذمة الحرام ، وبيان أضاف الحلال

ودرجاته وأصناف الحرام ودرجات الورع فيه)

(فضيلة الحلال ومذمة الحرام)

(كتاب الحلال والحرام)

(الباب الأول في فضيلة طلب الحلال)

(١) حديث ابن مسعود طلب الحلال فريضة على كل مسلم تقدم في الزكاة دون قوله على كل مسلم وللطبراني في الأوسط من حديث أنس واجب على كل مسلم وإسناده ضعيف .

وروى أن أبا عبيدة ابن الجراح قبل يد عمر عند قدومه وروى عن أبي مرثد الضوي أنه قال « أتينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت إليه وقبلت يده » فهذا رخصة في جواز بتقيل اليد ولكن أدب الصوفي أنه متى رأى نفسه تنعز بذلك أو تظهر بوضفها أن يتمتع من ذلك فإن سلم من ذلك فلا بأس بتقيل اليد ومعايهم للاخوان عقيب الاستغفار لرجوعهم إلى الألفة بعد الوحشة وقدومهم من سفر الهجرة بالفرقة إلى أوطان الجمعية بظهور النفس تقربوا وبعثوا وبقيّة النفس والاستغفار قسّموا ورجعوا ومن استغفر إلى أخيه ولم يقبله قد أخطأ قد ورد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في ذلك وعيد روى عنه عليه

قال الله تعالى - كلوا من الطيبات واعملوا صالحا - أمر بالأكل من الطيبات قبل العمل وقيل إن المراد به الحلال وقال تعالى - ولا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل - وقال تعالى - إن الدين يا كلون أموال اليتامى ظلما - الآية . وقال تعالى - يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وذروا ما بينكم من الربا إن كنتم مؤمنين - ثم قال - فإن لم تفعلوا فأذنوا بحرب من الله ورسوله - ثم قال - وإن تبتم فلكم رءوس أموالكم - ثم قال - ومن عاد فأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون - جعل آكل الربا أول الأمر مؤذنا بمحاربة الله وفي آخره متعرضا للنار والآيات الواردة في الحلال والحرام لا تحصى وروى ابن مسعود رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال « طلب الحلال فريضة على كل مسلم » ولما قال صلى الله عليه وسلم « طلب العلم فريضة على كل مسلم ^(١) » قال بعض العلماء أراد به طلب علم الحلال والحرام وجعل المراد بالحديثين واحدا وقال صلى الله عليه وسلم « من سعى على عياله من حله فهو كالمجاهد في سبيل الله ومن طلب الدنيا حلالا في غفاف كان في درجة الشهداء ^(٢) » وقال صلى الله عليه وسلم « من أكل الحلال أربعين يوما نور الله قلبه وأجرى يتابع الحكمة من قلبه على لسانه ^(٣) » وفي رواية « زهد الله في الدنيا » وروى « أن سعدا سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يسأل الله تعالى أن يجعله محاب الدعوة فقال له أطب طعمتك تستجب دعوتك ^(٤) » ولما ذكر صلى الله عليه وسلم الحرص على الدنيا قال « رب أشعث أغبر مشرد في الأسفار مطعمه حرام وملبسه حرام وغذى بالحرام يرفع يديه فيقول يارب يارب فأتى يستجاب لك ^(٥) » وفي حديث ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم « إن لله ملكا على بيت المقدس ينادى كل ليلة من أكل حراما لم يقبل منه صرف ولا عدل ^(٦) » فقيل الصرف النافلة والعطل الفريضة وقال صلى الله عليه وسلم « من اشترى ثوبا بشرة دراهم وفي ثمنه درهم حرام لم يقبل الله صلاته لآدام عليه منه شيء ^(٧) » وقال صلى الله عليه وسلم « كل لحم نبت من حرام فالنار أولى به ^(٨) » وقال صلى الله عليه وسلم

(١) حديث طلب العلم فريضة على كل مسلم تقدم في العلم (٢) حديث من سعى على عياله من حله فهو كالمجاهد في سبيل الله ومن طلب الدنيا في غفاف كان في درجة الشهداء الطبراني في الأوسط من حديث أبي هريرة من سعى على عياله في سبيل الله ولأبي منصور في مسند الفردوس من طلب مكسبة من باب حلال يكف بها وجهه عن مسئلة الناس وولده وعياله جاء يوم القيامة مع النبيين والصديقين وإسنادها ضعيف (٣) حديث من أكل الحلال أربعين يوما نور الله قلبه وأجرى يتابع الحكمة من قلبه على لسانه أبو نعيم في الحلية من حديث أبي أيوب من أخلص لله أربعين يوما ظهرت يتابع الحكمة من قلبه على لسانه ولأبي عندي نحوه من حديث أبي موسى . وقال حديث منكر (٤) حديث أن سعدا سأل النبي صلى الله عليه وسلم أن يسأل الله أن يجعله محاب الدعوة فقال له أطب طعمتك تستجب دعوتك الطبراني في الأوسط من حديث ابن عباس وفيه من لا أعرفه (٥) حديث رب أشعث أغبر مشرد في الأسفار مطعمه حرام وملبسه حرام الحديث مسلم من حديث أبي هريرة بلفظ ثم ذكر الرجل يطيل السفر أشعث أغبر الحديث (٦) حديث ابن عباس إن لله ملكا على بيت المقدس ينادى كل ليلة من أكل حراما لم يقبل منه صرف ولا عدل لم أقف له على أصل ولأبي منصور الديلمي في مسند الفردوس من حديث ابن مسعود من أكل لقعة من حرام لم يقبل منه صلاة أربعين ليلة الحديث وهو منكر (٧) حديث من اشترى ثوبا بشرة دراهم في ثمنه درهم حرام لم يقبل الله صلاته وعليه منه شيء أحمد من حديث ابن عمر بسند ضعيف . (٨) حديث كل لحم نبت من الحرام فالنار أولى به الترمذي من حديث كعب بن عجرة وحسنه وقد تقدم

للصلاة والسلام أنه قال « من اعتذر إليه أخوه معذرة فلم يقبها كان عليه مثل خطيئة صاحب الكوس » وروى جابر أيضا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم « من اتصل إليه فلم يقبل لم يرد الخوض » ومن السنة أن يقدم للاخوان شيئا بعد الاستغفار روى أن كعب بن مالك قال للنبي صلى الله عليه وسلم : إن من توبخ أن أخلع من مالي كله وأهجر دار قومي التي فيها أتيت الدين . فقال له النبي عليه الصلاة والسلام « يعجزك من ذلك الثلث » فصارت سنة الصوفية للطالبة بالقراءة بعد الاستغفار وللناقرة وكل قصدهم رعاية التألف حتى تكون بواطنهم على الاجتماع كأن ظواهرهم على الاجتماع وهذا أمر تفردوا به من بين طوائف الإسلام . ثم

« من لا يال من أين اكتسب المال لم يال الله من أين أدخله النار »^(١) وقال صلى الله عليه وسلم « العبادة عشرة أجزاء تسعة منها في طلب الحلال »^(٢) روى هذا مرفوعاً وموقوفاً على بعض الصحابة أيضاً وقال صلى الله عليه وسلم « من أمسى واناب من طلب الحلال بات مغفوراً له وأصبح والله عنراض »^(٣) وقال صلى الله عليه وسلم « من أصاب مالا من مأثم فوصل به رحماً أو تصدق به أو أنفقه في سبيل الله جمع الله ذلك جميعاً ثم قدفه في النار »^(٤) وقال عليه السلام « خير دينكم الورع »^(٥) وقال صلى الله عليه وسلم « من لقي الله ورعاً أعطاه الله ثواب الاسلام كله »^(٦) ويروى أن الله تعالى قال في بعض كتبه وأما الورعون فأنا أستحي أن أحاسبهم وقال صلى الله عليه وسلم « درهم من ربا أشد عند الله من ثلاثين زنية في الاسلام »^(٧) وفي حديث أبي هريرة رضى الله عنه « المدة حوض البدن والعروق إليها واردة فإذا صحت المدة صدرت العروق بالصحة وإذا سقمت صدرت بالسقم »^(٨) ومثل الطعنة من الدين مثل الأساس من البنيان فإذا ثبت الأساس وقوى استقام البنيان وارتفع وإذا ضعف الأساس واعوجج انهار البنيان ووقع . وقال الله عز وجل - أئمن أسس بنيانه على تقوى من الله - الآية وفي الحديث « من اكتسب مالا من حرام فإن تصدق به لم يقبل منه وإن تركه وراءه كان زاده إلى النار »^(٩) وقد ذكرنا جملة من الأخبار في كتاب آداب الكسب تكشف عن فضيلة الكسب الحلال . وأما الآثار : فقد ورد أن الصديق رضى الله عنه شرب لبنا من كسب عبده ثم سأل عبده فقال تكهنت لقوم فأعطوني فأدخل أصابعه في فيه وجعل يقي حتى ظننت أن نفسه ستخرج ثم قال اللهم إني أعترز إليك مما حملت العروق وخالط الأمعاء »^(١٠) وفي بعض الأخبار أنه

(١) حديث من لم يال من أين اكتسب المال لم يال الله عز وجل من أين أدخله النار أبو منصور الديلمي في مسند الفردوس من حديث ابن عمر قال ابن العربي في عارضة الأحوذى شرح الترمذى إنه باطل لم يصح ولا يصح (٢) حديث العبادة عشرة أجزاء تسعة منها في طلب الحلال أبو منصور الديلمي من حديث أنس إلا أنه قال تسعة في الصمت والعاشرة كسب اليد من الحلال وهو منكر (٣) حديث من أمسى واناب من طلب الحلال بات مغفوراً له وأصبح والله عنه راض الطبراني في الأوسط من حديث ابن عباس من أمسى كالا من عمل يديه أمسى مغفوراً له وفيه ضعف (٤) حديث من أصاب مالا من مأثم فوصل به رحماً أو تصدق به أو أنفقه في سبيل الله جمع الله ذلك جميعاً ثم قدفه في النار أبو داود في الراسيل من رواية القاسم بن عجمرة مرسل (٥) حديث خير دينكم الورع تقدم في العلم (٦) حديث من لقي الله ورعاً أعطاه ثواب الاسلام كله لم أقف له على أصل (٧) حديث درهم من ربا أشد عند الله من ثلاثين زنية في الاسلام أحمد والدارقطني من حديث عبد الله بن حنظلة وقال ستة وثلاثين ورجاله ثقات وقبل عن حنظلة الزاهد عن كعب مرفوعاً والطبراني في الصغير من حديث ابن عباس ثلاثة وثلاثين وسنده ضعيف (٨) حديث أبي هريرة المدة حوض البدن والعروق إليها واردة الحديث الطبراني في الأوسط والعقيلي في الضعفاء وقال باطل لأصل له (٩) حديث من اكتسب مالا من حرام فإن تصدق به لم يقبل منه وإن تركه وراءه كان زاده إلى النار أحمد من حديث ابن مسعود بسند ضعيف وابن حبان من حديث أبي هريرة من جمع مالا من حرام ثم تصدق به لم يكن له فيه أجر وكان إصره عليه (١٠) حديث إن أبا بكر شرب لبنا من كسب عبده ثم سأل فقال تكهنت لقوم فأعطوني فأدخل أصبعه في فيه وجعل يقي وفي بعض الأخبار أنه صلى الله عليه وسلم لما أخبر بذلك قال أوما علمتم أن الصديق لا يدخل جوفه إلا طيبا البخارى من حديث عائشة كان لأبي بكر غلام يخرج له الحراج وكان أبو بكر يأكل من خراجه فجاء يوماً بشئ فأكل منه أبو بكر .

شرط الفقير الصادق إذا سكن الرباط وأراد أن يأكل من وقعه أو بما يطلب لسكانه بالدروزة أن يكون عنده من الشغل بالله مالا يسعه الكسب وإلا إذا كان للبطالة والحوض فيما لا يعنى عنده مجال ولا يقوم بشروط أهل الارادة من الجهد والاجتهاد فلا ينبغي له أن يأكل من مال الرباط بل يكتبسب ويأكل من كسبه لأن طعام الرباط لأقوام كمل شغلهم بالله غفمتهم الدنيا لشغلهم بخدمة مولاهم إلا أن يكون تحت سياسة شيخ عالم بالطريق ينتفع بصحته ويهتدى بهديه فيرى الشيخ أن يطعمه من مال الرباط فلا يكون تصرف الشيخ إلا بصحة بصيرة ومن جملة ما يكون للشيخ في ذلك من النية أن يشغله بخدمة الفقراء .

صلى الله عليه وسلم أخبر بذلك فقال أو ما علمتم أن الصديق لا يدخل جوفه إلا طيباً وكذلك شرب
عمر رضي الله عنه من لبن إبل الصدقة غلطاً فأدخل أصبعه وتيقاً وقالت عائشة رضي الله عنها إنكم
لتخفون عن أفضل العبادة هو الورع وقال عبدالله بن عمر رضي الله عنهما صليتم حتى تكونوا كالحنابا
وصمت حتى تكونوا كالأوتار لم يقبل ذلك منكم إلا بورع حاجز وقال إبراهيم بن أدهم رحمه الله
ما أدرك من أدرك إلا من كان يقبل ما يدخل جوفه وقال الفضيل من عرف ما يدخل جوفه كتب الله
صديقاً فانظر عند من تظفر يأسكين وقيل لإبراهيم بن أدهم رحمه الله لم لا تشرب من ماء زمزم فقال
لو كان لي دلو شربت منه وقال سفيان الثوري رضي الله عنه من أنفق من الحرام في طاعة الله كان
كن طهر الثوب النجس بالبول والثوب النجس لا يطهره إلا الماء والذنب لا يكفره إلا الحلال وقال
يحيى بن معاذ الطاعة خزانة من خزائن الله إلا أن مفتاحها الدعاء وأسانته قم الحلال وقال ابن
عباس رضي الله عنهما لا يقبل الله صلاة امرئ في جوفه حرام وقال سهل التستري لا يبلغ الصديق حقيقة
الإيمان حتى يكون فيه أربع خصال : أداء الفرائض بالسنة وأكل الحلال بالورع واجتناب التهي من
الظاهر والباطن والصبر على ذلك إلى الموت وقال من أحب أن يكشف بآيات الصديقين فلا يأت كل إلا
حلالاً ولا يصل إلا في سنة أو ضرورة ويقال من أكل الشبهة أربعين يوماً أظلم قلبه وهو تأويل قوله
تعالى - كلا بل يدان على قلوبهم ما كانوا يكسبون - وقال ابن المبارك ردة درهم من شبهة أحب إلى
من أن أتصدق بمائة ألف درهم ومائة ألف ألف ومائة ألف حتى بلغ إلى ستائة ألف وقال بعض السلف
إن الجيد يأكل أكلة فيقلب قلبه فينقل كما ينقل الأديم ولا يعود إلى حاله أبداً وقال سهل رضي الله
عنه من أكل الحرام عصت جوارحه شاء أم أبى علم أولم يعلم ومن كانت طمعه حلالاً أطاعته جوارحه
ووقت للخيرات وقال بعض السلف إن أول لقمة يأكلها العبد من حلال يغفر له ما سلف من ذنوبه
ومن أقام نفسه مقام ذلك في طلب الحلال تساقطت عنه ذنوبه كتساقط ورق الشجر . وروى في آثار
السلف أن الواعظ كان إذا جلس للناس قال الملاء تفقدوا منه ثلاثاً فإن كان معتقداً لبدعة فلا
تجالسوه فإنه عن لسان الشيطان ينطق وإن كان سيء الطعمة فمن الهوى ينطق فإن لم يكن مكين
العقل فإنه يفسد بكلامه أكثر مما يصلح فلا تجالسوه وفي الأخبار المشهورة عن علي عليه السلام وغيره
إن الدنيا حلالها حساب وحرامها عذاب وزاد آخرون وشبهتها عتاب . وروى أن بعض الصالحين دفع
طعاماً إلى بعض الأبدال فلم يأكل فسأله عن ذلك فقال نحن لأننا كل الإحلالاً فذلك تستقيم قلوبنا
ويدوم حالنا ونكشف للسكرات ونشاهد الآخرة ولو أكلنا مما تأكلون ثلاثة أيام لما رجعنا إلى شيء
من علم اليقين ولذهب الخوف والشهادة من قلوبنا فقال له الرجل فاني أصوم الدهر وأختم القرآن في
كل شهر ثلاثين مرة فقال له البدال هذه الشربة التي رأيته شربتها من الليل أحب إلى من ثلاثين
ختمة في ثلثمائة ركعة من أعمالك وكانت شربته من لبن ظبية وحشية وقد كان بين أحمد بن حنبل
ويحيى بن معين محبة طويلة فهجره أحمد إذ سمعه يقول إني لأسأل أحداً شيئاً ولو أعطاني الشيطان
شيئاً لأكلته حتى اعتذر يحيى وقال كنت أمزح فقال تمزح بالدين أما علمت أن الأكل من الدين
قدمه الله تعالى على العمل الصالح فقال - كلوا من الطيبات واعملوا صالحاً - وفي الخبر أنه مكتوب في التوراة
« من لم يبال من أين مطعمه لم يبال الله من أي أبواب النيران أدخله » وعن علي رضي الله عنه
أنه لم يأكل بعد قتل عثمان ونهب الدار طعاماً إلا غثوماً خذراً من الشبهة واجتمع الفضيل بن عياض
وقال له الغلام أنتدري ما هذا فقال وما هو قال كنت تكلمت لإنسان في الجاهلية فذكره دون
الرفوع منه فلم أجده .

فيكون ما يأكله في
مقابلة خدمته . روى
عن أبي عمرو الأثرجاني
قال ألفت عند الجيد
مئة فما رأيت قط إلا
وأنا مشتغل بنوع من
العبادة فما كلفني حتى
كان يوم من الأيام
خلا للوضع من الجماعة
فصمت وزعت ثيابي
وحسنت للوضع
ونظفته ورششته
وغسلت موضع الطهارة
فرجع الشيخ ورأى
على أثر الفبار فدعا لي
ورحب بي وقال أحسن
عليك بها ثلاث مرات
ولا يزال مشايخ الصوفية
يندبون الشباب إلى
الخدمة حفظاً لهم عن
البطالة وكل واحد
يكون له حظ من
الخدمة وحظ من
الخدمة . روى أبو
محمدة قال : جعل
رسول الله صلى الله
عليه وسلم لنا الأذان
والساقية لبني هاشم
والحجاجة لبني عبدالدار
وبهذا يقتدى مشايخ

وابن عينة وابن المبارك عند وهيب بن الورد بمكة فذكروا الرطب فقال وهيب هو من أحب الطعام إلى إلا أني لا آكله لاختلاط رطب مكة ببساتين زيدة وغيرها فقال له ابن المبارك إن نظرت في مثل هذا ضاق عليك الحزب قال وما سببه قال إن أصول الضياع قد اختلطت بالصوافي ففنى على وهيب فقال سفيان قتلت الرجل فقال ابن المبارك ما أردت إلا أن أهون عليه فلما أفاق قال لله على أن لا آكل خبزاً أبداً حتى ألقاه قال فكان يشرب اللبن فأتته أمه بلبن فسألها فقالت هو من شاة بني فلان فسأل عن ثمنها وأنه من ابن كان لهم فذكرت فلما أدناه من فيه قال بقي أنها من ابن كانت ترعى فسكت فلم يشرب لأنها كانت ترعى من موضع فيه حق للمسلمين فقالت أمه اشرب فإن الله يفرلك فقال ما أحب أن يفرلى وقد شربته فأنا لمغفرته بمعصيته وكان بشر الخافي رحمه الله من الورعين قليله من أين تأكل ؟ قال من حيث تأكلون ولكن ليس من يأكل وهو يبيك كن يأكل وهو يضعك وقال يد أقصر من يد ولقمة أصغر من لقمة وهكذا كانوا يحترزون من الشبهات .

(أصناف الحلال ومداخله)

اعلم أن تفصيل الحلال إنما يتولى بيانه كتب الفقه ويستغنى الريد عن تطويله بأن يكون له طعمة معينة يعرف بالفتوى حلها لا يأكل من غيرها فأما من يتوسع في الأكل من وجوه متفرقة فيفتقر إلى علم الحلال والحرام كله كإفصلناه في كتب الفقه ونحن الآن نشير إلى مجامعه في سياق تقسيم وهو أن للمال إنما يحرم إما المعنى في عينه أو لخلل في جهة اكتسابه .

(القسم الأول)

الحرام لصفة في عينه كالخمر والحزير وغيرها وتفصيله أن الأعيان المأكولة على وجه الأرض لا تعدو ثلاثة أقسام فإنها إما أن تكون من المعادن كالملح والطين وغيرها أو من النبات أو من الحيوانات . أما المعادن فهي أجزاء الأرض وجميع ما يخرج منها فلا يحرم أكله إلا من حيث إنه يضر بالآكل وفي بعضها ما يجري مجرى السم والحزير لو كان مضراً لحرم أكله والطين الذي يبتاد أكله لا يحرم إلا من حيث الضرر وفائدة قولنا إنه لا يحرم مع أنه لا يؤكل أنه لو وقع شيء منها في مرققة أو طعام مائع لم يضر به محرماً . وأما النبات فلا يحرم منه إلا ما يزيل العقل أو يزيل الحياة أو الصحة فزيل العقل البنج والخمر وسائر المسكرات ومزيل الحياة السموم ومزيل الصحة الأدوية في غير وقتها وكأن مجموع هذا يرجع إلى الضرر إلا الخمر والمسكرات فإن الذي لا يسكر منها أيضاً حرام مع قلته لعينه ولصفته وهي الشدة الطرية وأما السم فاذا خرج عن كونه مضراً لقلته أو لعجنه بغيره فلا يحرم وأما الحيوانات فتقسم إلى ما يؤكل وإلى ما لا يؤكل وتفصيله في كتاب الأطعمة والنظر بطول في تفصيله لاسيما في الطيور والفريسة وحيوانات البر والبحر وما يحل أكله منها فأنما يحل إذا ذبح ذبحاً شرعياً روى فيه شروط الذابح والآلة والمذبح وذلك مذكور في كتاب الصيد والذابح وما لم يذبح ذبحاً شرعياً أو مات فهو حرام ولا يحل إلا ميتان السمك والجراد وفي مناهما ما يستحيل من الأطعمة كدود التفاح والحل والجبن فإن الاحتراز منها غير ممكن فأما إذا أفردت وأكلت فتحكمها حكم الذباب والحفشاء والعقرب وكل ما ليس له نفس سائلة لاسبب في تحريرها إلا الاستقذار ولولم يكن لكان لا يكره فإن وجد شخص لا يستقدره لم يلتفت إلى خصوص طبعه فإنه التحق بالحجائب لمعوم الاستقذار فيكرهه أكله كالجوع الخاط وشربه كرهه ذلك وليست السكراة نجاستها فإن الصحيح أنها لا تنجس بالموت إذا أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بأن يعقل الذباب في الطعام إذا وقع فيه ^(١) وربما يكون حاراً ويكون ذلك سبب موته

(١) حديث الأمر بأن يعقل الذباب في الطعام إذا وقع فيه البخاري من حديث أبي هريرة .

الصوفية في تفريق الخدم على الفقراء ولا يعذر في ترك نوع من الخدمة إلا كامل الشغل بوقته ولا نفي بكامل الشغل شغل الجوارح ولكن نفي به دوام الرعاية والمحاسبة والشغل بالقلب والقالب وقتاً وبالقلب دون القالب وقتاً وتفقد الزيادة من نقصان فإن قيام الفقير بحقوق الوقت شغل تام وبذلك يؤدي شكر نعمة الفراغ ونعمة الكفاية وفي البطالة كفران نعمة الفراغ والكفاية أخبرنا شيخنا ضياء الدين أبو العجيب عبد القاهر إجازة قال أنا عمر بن أحمد بن منصور قال أنا أحمد بن خلف قال أنا الشيخ أبو عبد الرحمن محمد ابن الحسين قال سمعت أبا الفضل بن حمدون يقول سمعت علي بن عبد الحميد القضايري يقول سمعت السري

ولوتهرت نعمة أو ذبابة في قدر لم يجب إراقها إذ الاستقذر هو جرمة إذا بقي له جرم ولم ينجس حتى يحرم
بالنجاسة وهذا يدل على أن تحريره للاستقذار ولذلك نقول لو وقع جزء من آدمى ميت في قدر ولو وزن
دائق حرم السكل بالنجاسة فإن الصحيح أن الآدمي لا ينجس بالموت ولكن لأن أكله محرم احتراماً
لاستقذاراً وأما الحيوانات لما كولة إذا ذبحت بشرط الشرع فلا تلحق جميع أجزائها بل يحرم منها الدم
والفرث وكل ما يقضى بنجاسته منها بل تناول النجاسة مطلقاً محرم ولكن ليس في الأعيان شيء
محرم نجس إلا من الحيوانات وأما من النبات فالمسكرات فقط دون ما يزيل العقل ولا يسكر كالبنج فإن
نجاسة السكر تغليظ لآزجر عنه لكونه في مظنة التشوف ومهما وقعت قطرة من النجاسة أو جزء
من نجاسة جامدة في مرققة أو طعام أو دهن حرم أكل جميعه ولا يحرم الاتفاع به لغير الأكل فيجوز
الاستصباح بالدهن النجس وكذا طلاء السفن والحيوانات وغيرها فهذه مجامع ما يحرم لصفة في ذاته .
(القسم الثاني ما يحرم لحلل في جهة إثبات اليد عليه)

وفيه ينسج النظر فنقول أخذ المال إما أن يكون باختيار المالك أو بغير اختياره فالذي يكون بغير اختياره
كالإرث والذي يكون باختياره إما أن لا يكون من مالك كنبيل المادن أو يكون من مالك والذي أخذ من
مالك فاما أن يؤخذ قهراً أو يؤخذ تراضياً والمأخوذ قهراً إما أن يكون إسقاط عصمة المالك كالنظام
أو لاستحقاق الأخذ كزكاة المتعدين والتفقات الواجبة عليهم والمأخوذ تراضياً إما أن يؤخذ بعوض
كالبيع والصدقات والأجرة وإما أن يؤخذ بغير عوض كالهبة والوصية فيحصل من هذا السياق ستة
أقسام . الأول : ما يؤخذ من غير مالك كنبيل المادن وإحياء الموات والاصطياد والاحتطاب والاستقاء
من الأنهار والاحتشاش فهذا حلال بشرط أن لا يكون المأخوذ مختصاً بذى حرمة من الآدميين فإذا
انفك من الاختصاصات ملكها أخذها وتفصيل ذلك في كتاب إحياء الموات . الثاني : المأخوذ قهراً
عن لاجرم له وهو النقي . والثانية وسائر أموال الكفار والهاربين وذلك حلال للمسلمين إذا أخرجوا
منها الخمس وقسموها بين المستحقين بالعدل ولم يأخذوها من كافر له حرمة وأمان وعهد وتفصيل هذه
الشروط في كتاب السير من كتاب النقي والثانية وكتاب الجزية . الثالث : ما يؤخذ قهراً باستحقاق
عند امتناع من وجب عليه فيؤخذ دون رضاه وذلك حلال إذا تم سبب الاستحقاق وتم وصف المستحق
التي به استحقاقه واقتصر على القدر المستحق واستوفاه ممن يملك الاستيفاء من قاض أو سلطان
أو مستحق وتفصيل ذلك في كتاب تفريق الصدقات وكتاب الوقف وكتاب النفقات إذ فيها النظر في
صفة المستحقين للزكاة والوقف والنفقة وغيرها من الحقوق فإذا استوفيت شرائطها كان للمأخوذ
حلالاً . الرابع : ما يؤخذ تراضياً بمعاوضة وذلك حلال إذا روعي شرط العوضين وشرط العاقدين
وشرط اللفظين أعني الإيجاب والقبول مع ما تعبد الشرع به من اجتناب الشروط المفسدة ويان
ذلك في كتاب البيع والسلم والإجارة والحوالة والضمان والقراض والشركة والساقاة والشفعة والصلح
والخلع والكتابة والصدقات وسائر المعارضات . الخامس : ما يؤخذ عن رضا من غير عوض وهو
حلال إذا روعي فيه شرط العقود عليه وشرط العاقدين وشرط العقد ولم يؤد إلى ضرر بوارث
أو غيره وذلك مذكور في كتاب الهبات والوصايا والصدقات . السادس : ما يحصل بغير اختيار
كالإرث وهو حلال إذا كان للورث قد اكتسب المال من بعض الجهات الخمس على وجه حلال
ثم كان ذلك بعد قضاء الدين وتنفيذ الوصايا وتعديل القسمة بين الورثة وإخراج الزكاة والجلب
والكفارة إن كان واجباً وذلك مذكور في كتاب الوصايا والفرائض فهذه مجامع مداخل الحلال
والحرام أو ماناً إلى حيلتها ليعلم المريد أنه إن كانت طعمته متفرقة لأمس جهة معينة فلا يستغنى عن

يقول من لا يعرف
قدر النعم سلبها من
حيث لا يعلم . وقد
يذكر الشيخ العاجز
عن الكسب في تناول
طعام الرباط ولا يبعد
الشاب هذا في شرط
طريق القوم على
الإطلاق فاما من حيث
قوى الشرع فإن
كان شرط الوقف على
التصوفة وطى من تزياد
بزي للتصوفة ولبس
خرقهم فيجوز أكل
ذلك لهم على الإطلاق
قوى وفي ذلك
القناعة بالرخصة دون
العزبة التي هي شغل
أهل الإرادة وإن
كان شرط الوقف على
من يسلك طريق
الصوفية عملاً وحالاً
فلا يجوز أكله لأهل
البطالات والراكبين
إلى تصنيع الأوقات
وطرق أهل الإرادة
عند مشايخ الصوفية
مشهورة . أخبرنا
الشيخ الثقة أبو الفتح
قال أنا أبو الفضل

علم هذه الأمور فكل ما يأكله من جهة من هذه الجهات ينبغي أن يستفق فيه أهل العلم ولا يقدم عليه بالجهل فانه كما يقال للعالم لم خالفت علمك يقال للجاهل لم لازمت جهلك ولم تعلم بعد أن قيل لك طلب العلم فريضة على كل مسلم .

(درجات الحلال والحرام)

اعلم أن الحرام كله خبيث لكن بعضه أخبث من بعض والحلال كله طيب ولكن بعضه أطيب من بعض وأصنى من بعض وكما أن الطبيب يحكم على كل حلو بالحرارة ولكن يقول بعضها حار في الدرجة الأولى كالسكر وبعضها حار في الثانية كاللانيذ وبعضها حار في الثالثة كالذهب وبعضها حار في الرابعة كالعدل كذلك الحرام بعضه خبيث في الدرجة الأولى وبعضه في الثانية أو الثالثة أو الرابعة وكذا الحلال تفاوت درجات صفاته وطيبه فلنقتد بأهل الطب في الاصطلاح على أربع درجات تقريرا وإن كان التحقيق لا يوجب هذا الحصر إذ يتطرق إلى كل درجة من الدرجات أيضا تفاوت لا ينحصر فإن من السكر ما هو أشد حرارة من سكر آخر وكذا غيره فلذلك نقول الورع عن الحرام على أربع درجات : ورع العدول وهو الذي يجب الفسق باقتحامه وتسقط العدالة به ويثبت اسم العصيان والتعرض للنار بسببه وهو الورع عن كل ما محرمة فتاوى الفقهاء . الثانية : ورع الصالحين وهو الامتناع عما يتطرق إليه احتمال التحريم ولكن الملقى يرخس في تناول بناء على الظاهر فهو من مواقع الشبهة على الجملة فلنسم التحرج عن ذلك ورع الصالحين وهو في الدرجة الثانية . الثالثة : مالا تحرمه الفتوى ولا شبهة في حله ولكن يخاف منه أداؤه إلى محرم وهو ترك مالا بأس به مخافة مما به بأس وهذا ورع المتقين قال صلى الله عليه وسلم « لا يبلغ العبد درجة المتقين حتى يدع مالا بأس به مخافة ما به بأس »^(١) الرابعة : مالا بأس به أصلا ولا يخاف منه أن يؤدي إلى ما به بأس ولكنه يتناول لغير الله وعلى غير نية التقوى به على عبادة الله أو تتطرق إلى أسبابه السهلة له كراهية أو معصية والامتناع منه ورع الصديقين فهذه درجات الحلال جملة إلى أن تفصلها بالأمثلة والشواهد . وأما الحرام الذي ذكرناه في الدرجة الأولى وهو الذي بشرط التورع عنه في العدالة واطراح صفة الفسق فهو أيضا على درجات في الحبث فالأخوذ بعقد فاسد كالمعاطاة مثلا فيألا يجوز فيه المعاطاة حرام ولكن ليس في درجة المنصوب على سبيل القهر بل المنصوب أغلظ إذ فيه ترك طريق الشرع في الاكتساب وإيذاء الغير وليس في المعاطاة إيذاء وإنما فيه ترك طريق التمسك فقط ثم ترك طريق التمسك بالمعاطاة أهون من تركه بالربا وهذا التفاوت يدرك بتشديد الشرع ووعيده وتأكيده في بعض الناهي على ما سيأتي في كتاب التوبة عند ذكر الفرق بين الكبيرة والصغيرة بل للأخوذ ظلما من فقير أو صالح أو من ينعم أخبث وأعظم من للأخوذ من قوى أو غنى أو فاسق لأن درجات الإيذاء تختلف باختلاف درجات المؤذى فهذه دقائق في تفاصيل الحبث لا ينبغي أن يذهل عنها فلو لا اختلاف درجات العصاة لما اختلفت دركات النار وإذا عرفت مئارات التخليط فلا حاجة إلى حصره في ثلاث درجات أو أربعة فإن ذلك جار مجرى التحكم والتشبه وهو طلب حصرها لاحصائه وبذلك على اختلاف درجات الحرام في الحبث ما سيأتي في تعارض المهنورات وترجيح بعضها على بعض حتى إذا اضطر إلى أكل ميتة أو أكل طعام الغير أو أكل صيد الحرم فانا ندم بعض هذا على بعض .

(١) حديث لا يبلغ العبد درجة للمتقين حتى يدع مالا بأس به مخافة ما به بأس ابن ماجه وقد تقدم .

حميد قال أنا الحافظ
أبو نعيم قال حدثنا
أبو العباس أحمد بن
محمد بن يوسف قال
حدثنا جعفر الفرياني
قال حدثنا محمد بن
الحسين البلخي
بسمرقند قال حدثنا
عبد الله بن المبارك
قال حدثنا سعيد بن
أبي أيوب الخزازي قال
حدثنا عبد الله بن
الوليد عن أبي سلمان
الليثي عن أبي سعيد
الحدرى عن النبي
صلى الله عليه وسلم
أنه قال « مثل المؤمن
كمثل الفرس في
آخيته يحول ويرجع
إلى آخيته وإن المؤمن
يسهو ثم يرجع إلى
الإيمان فاطمئنا
طعامكم الأتقياء وأولوا
معرفةكم المؤمنين » .
[الباب السادس عشر
في ذكر اختلافه
أحوال مشايخهم في
الفروا المقام] اختلف
أحوال مشايخ الصوفية
فمنهم من سافر في

(أمثلة الدرجات الأربع في الورع وشواهدا)

أما الدرجة الأولى : وهي ورع المدول فكل ما اقتضى الفتوى تحريره مما يدخل في الداخر الستة التي ذكرناها من مداخل الحرام لفقد شرط من الشروط فهو الحرام المطلق الذي ينسب مقتضاه إلى الفسق والمصيبة وهو الذي زيده بالحرام المطلق ولا يحتاج إلى أمثلة وشواهد . وأما الدرجة الثانية : فأمثلتها كل شبهة لا نوجب اجتنابها ولكن يستحب اجتنابها كما سيأتي في باب الشبهات إذ من الشبهات ما يجب اجتنابها فتلحق بالحرام ومنها ما يكره اجتنابها فالورع عنها ورع الوسوسين كمن يتمتع من الاصطياد خوفا من أن يكون الصيد قد أفلت من إنسان أخذه وملكه وهذا وسواس ومنها ما يستحب اجتنابها ولا يجب وهو الذي ينزل عليه قوله صلى الله عليه وسلم « دع ما يريك إلى ما لا يريك » (١) ونحمله على نهى التنزيه وكذلك قوله صلى الله عليه وسلم « كل ما أصميت ودع ما أتميت » (٢) والإغماء أن يجرح الصيد فيغيب عنه ثم يدركه ميتا إذ يحتمل أنه مات بسقطة أو بسبب آخر والذي تختاره كما سيأتي أن هذا ليس بحرام ولكن تركه من ورع الصالحين وقوله دع ما يريك أمر تنزيه إذ ورد في بعض الروايات كل منه وإن غاب عنك ما لم تجد فيه أثرا غير سهمك ولذلك قال صلى الله عليه وسلم لعدي بن حاتم في الكلب العلم : وإن أكل فلا تأكل فاني أخاف أن يكون إنما أمسك على نفسه على سبيل التنزيه لأجل الخوف إذ قال لأبي ثعلبة الخشني « كل منه فقال وإن أكل منه فقال وإن أكل » (٣) وذلك لأن حالة أبي ثعلبة وهو فقير مكتسب لا تحتمل هذا الورع وحال عدي كان يحتمله . يحكى عن ابن سيرين أنه ترك لشريك له أربعة آلاف درهم لأنه حاك في قلبه شيء مع اتفاق العلماء على أنه لا بأس به فأمثلة هذه الدرجة نذكرها في العرض لدرجات الشبهة فكل ما هو شبهة لا يجب اجتنابه فهو مثال هذه الدرجة . أما الدرجة الثالثة : وهي ورع المتقين فيشهد لها قوله ﷺ « لا يبلغ العبد درجة المتقين حتى يدع مالا بأس به مخافة ما به بأس » وقال عمر رضي الله عنه كنا ندع تسعة أعشار الحلال مخافة أن تقع في الحرام وقيل إن هذا عن ابن عباس رضي الله عنهما وقال أبو الدرداء إن من تمام التقوى أن يتقى العبد في مثقال ذرة حتى يترك بعض ما يرى أنه حلال خشية أن يكون حراما حتى يكون حجابا بينه وبين النار ولهذا كان لبعضهم مائة درهم على إنسان لحملها إليه فأخذ تسعة وتسعين وتورع عن استبقاء السكل خيفة الزيادة وكان بعضهم يتحوز فكل ما يستوفيه يأخذه بنقصان حبة وما يعطيه يوفيه بزيادة حبة ليكون ذلك حاجزا من النار ومن هذه الدرجة الأحرار عما يتسامح به الناس فإن ذلك حلال في الفتوى ولكن يخاف من فتح بابه أن ينجر إلى غيره وتآلف النفس الاسترسال وترك الورع فمن ذلك ما روى عن علي بن معبد أنه قال كنت ما كنا في بيت بكراء فكتبت كتابا وأردت أن آخذ من تراب الحائط لأنزبه وأجفئه ثم قلت الحائط ليس لي فقالت لي نفسي وما قدر تراب من حائط فأخذت من التراب حاجتي فلما نمت فاذا أنا بشخص واقف يقول يا علي بن معبد يعلم غدا الذي يقول وما قدر تراب من حائط ولعل معنى ذلك أنه يرى كيف يحط من منزلته فان للتقوى درجة تفوت بفوات ورع المتقين وليس المراد به أن يستحق

(١) حديث دع ما يريك إلى ما لا يريك النسائي والترمذي والحاكم ومصححاه من حديث الحسن ابن علي (٢) حديث كل ما أصميت ودع ما أتميت الطبراني في الأوسط من حديث ابن عباس والبيهقي موقوفا عليه وقال إن الرفوع ضعيف (٣) حديث قال لأبي ثعلبة كل منه فقال وإن أكل قال وإن أكل أبو داود من رواية عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده ومن حديث أبي ثعلبة أيضا مختصرا وإسنادها جيد والبيهقي موقوفا عليه وقال إن الرفوع ضعيف

بدايته وأقام في نهايته ومنهم من أقام في بدايته وسافر في نهايته ومنهم من أقام ولم يسافر ومنهم من استدام السفر ولم يؤثر الإقامة ونسرح حال كل واحد منهم ومقصده فيما رام فأما الذي سافر في بدايته وأقام في نهايته فقصده بالسفر لمعان منها تعلم شيء من العلم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « اطلبوا العلم ولو بالطين » وقال بعضهم لو سافر رجل من الشام إلى أقصى اليمن في كلمة تدل على هدى ما كان سفره ضائعا . وتقل أن جابر بن عبد الله رحل من المدينة إلى مصر في شهر لحديث بلغه أن أنسا يحدث به عن رسول الله صلى الله عليه عليه وسلم وقد قال عليه السلام « من خرج من بيته في طلب العلم فهو في سبيل الله حتى يرجع » وقيل في تفسير قوله تعالى - السائحون -

عقوبة على فعله ، ومن ذلك ما روى أن عمر رضى الله عنه وصله مسك من البحرين فقال وددت لو أن امرأة وزنت حتى أقسمه بين المسلمين فقالت امرأته عائكة أنا أجيد الوزن فسكت عنها ثم أعاد القول فأعادت الجواب فقال لا أحببت أن تضعيه بكفة ثم تقولين فيها أثر الغبار فمسحين بها عنقك فأصيب بذلك فضلا على المسلمين . وكان يوزن بين يدي عمر بن عبدالعزيز مسك للمسلمين فأخذ بأثفه حتى لا تصيبه الرائحة وقال وهل ينفع منه إلا بريحه لما استبعد ذلك منه « وأخذ الحسن رضى الله عنه بكرة من تمر الصدقة وكان صغيرا فقال ^{عليه السلام} كعب كعب (١) » أى ألقها ، ومن ذلك ما روى بعضهم أنه كان عند محتضر فأت ليلا فقال أطفئوا السراج فقد حدث للورثة حق في الدهن ، وروى سليمان التيمي عن نسيمة المطارة قالت كان عمر رضى الله عنه يدفع إلى امرأته طيبا من طيب المسلمين لتيمة فيأعني طيبا فجعلت تقوم وتزيد وتتقص وتكسر بأسنانها فتعلق بأصبعها شيء منه فقالت به هكذا بأصبعها ثم مسحت به خمارها فدخل عمر رضى الله عنه فقال ماهذه الرائحة فأخبرته فقال طيب المسلمين تأخذينه فانزع الخمار من رأسها وأخذ جرة من الماء فجعل يصب على الخمار ثم يدلكه في التراب ثم يشمه ثم يصب الماء ثم يدلكه في التراب ويشمه حتى لم يبق له ريح قالت ثم أتيتها مرة أخرى فلما وزنت علق منه شيء بأصبعها فأدخلت أصبعها فيها ثم مسحت به التراب فهذا من عمر رضى الله عنه ورع التقوى لحوف أداء ذلك إلى غيره وإلا ففصل الخمار ما كان بعيد الطيب إلى المسلمين ولكن أثلفه عليها زجرا وردعا واتقاء من أن يتعدى الأمر إلى غيره ، ومن ذلك ما سئل أحمد بن حنبل رحمه الله عن رجل يكون في المسجد يحمل حجرة لبعض السلاطين ويغير المسجد بالعود فقال ينبغي أن يخرج من المسجد فإنه لا ينفع من العود إلا براحمته وهذا قديقارب الحرام فإن القدر الذي يعقب ثوبه من رائحة الطيب قديقصد وقد ييخل به فلا يدري أنه يتسامح به أم لا ، وسئل أحمد بن حنبل عمن سقطت منه ورقة فيها أحاديث فهل لمن وجدها أن يكتب منها ثم يردها فقال لا بل يستأذن ثم يكتب ، وهذا أيضا قد يشك في أن صاحبها هل يرضى به أم لا فها هو في محل الشك والأصل تحريمه فهو حرام وتركه من الدرجة الأولى ومن ذلك التورع عن الزينة لأنه يخاف منها أن تدعو إلى غيرها وإن كانت الزينة مباحة في نفسها ، وقد سئل أحمد بن حنبل عن النعال السنية فقال أما أنا فلا أستعملها ولكن إن كان للطين فأرجو وأما من أراد الزينة فلا ، ومن ذلك أن عمر رضى الله عنه لما ولى الخلافة كانت له زوجة يحبها فطلقها خيفة أن تشير عليه بشفاعه في باطل فيطيعها ويطلب رضاها وهذا من ترك ما لا بأس به مخافة مما به الأس أى مخافة من أن يقضى إليه وأكثر اللباعات داعية إلى المخطورات حتى استكثرت الأكل واستعان الطيب للمتعزب فإنه يحرك الشهوة ثم الشهوة تدعو إلى الفكر والفكر يدعو إلى النظر والنظر يدعو إلى غيره وكذلك النظر إلى دور الأغنياء وتجملهم مباح في نفسه ولكن يهيج الحرص ويدعو إلى طلب مثله ويلزم منه ارتكاب ما لا يحل في تحصيله وهكذا اللباعات كلها إذا لم تؤخذ بقدر الحاجة في وقت الحاجة مع التحرز من غوائلها بالمعرفة أولا ثم بالحذر ثانيا فقلما تخلو عاقبتها عن خطر وكذا كل ما أخذ بالشهوة قلما تخلو عن خطر حتى كره أحمد بن حنبل تجصيص الحيطان وقال أما تجصيص الأرض فيمنع التراب وأما تجصيص الحيطان فزينة لا فائدة فيه حتى أنكر تجصيص المساجد وتزيينها واستدل بما روى عن النبي صلى الله عليه وسلم « أنه سئل أن يكحل المسجد فقال لا ، عريش كعريش موسى (٢) »

(١) حديث أخذ الحسن بن علي بكرة من الصدقة وكان صغيرا فقال النبي صلى الله عليه وسلم كعب كعب ألقها . البخاري من حديث أبي هريرة (٢) حديث أنه سئل أن يكحل المسجد فقال لا ، عريش كعريش موسى الدارقطني في الأفراد من حديث أبي الدرداء وقال غريب .

أنهم طلاب العلم . حدثنا شيخنا ضياء الدين أبو النجيب السهروردي إماما قال أنا أبو الفتح عبد الملك الهروي قال أنا أبو نصر الترياق قال أنا الجراحي قال أنا أبو العباس المحبوبي قال أنا أبو عيسى الترمذي قال حدثنا وكيع قال حدثنا أبو داود عن سفیان عن أبي هرون قال كنا نأتى أبا سعيد فيقول مرحبا بوصية رسول الله صلى الله عليه وسلم إن النبي عليه السلام قال « إن الناس لكم تبع وإن الرجال يأتونكم من أقطار الأرض يتفقهون في الدين فإذا أتوكم فاستوصوا بهم خيرا » وقال عليه السلام « طلب العلم فريضة على كل مسلم » وروت عائشة رضى الله عنها قالت : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « إن الله تعالى أوحى إلى لانه من

وإنما هو شيء مثل الكحل يطل به فلم يخص رسول الله صلى الله عليه وسلم فيه وكراهه السلف الثوب الرقيق وقالوا من رق ثوبه رق دينه وكل ذلك خوفا من سريان اتباع الشهوات في اللباجات إلى غيرها فان المظنور والباح تشبيها النفس بشهوة واحدة وإذا تعوت الشهوة للساحة استرسلت فاقضى خوف التقوى الورع عن هذا كله فكل حلال انفك عن مثل هذه الخائفة فهو الحلال الطيب في الدرجة الثالثة وهو كل ما لا يتقدم في أسبابه محبة ولا يستعان به على محبة ولا يقصد منه في الحال واللال قضاء وطرب بل يتناول لله تعالى قسط وللتقوى على عبادته واستبقاء الحياة لأجله هؤلاء هم الذين يرون كل ما ليس لله حراما امتثالا لقوله تعالى - قل الله ثم ذرهم في خواصهم يلعبون - وهذه رتبة الموحدين للتجريد عن حظوظ أنفسهم التفردين لله تعالى بالقصد ولا شك في أن من يتورع عما يوصل إليه أو يستعان عليه بمحبة ليتورع عما يقترن بسبب اكتسابه محبة أو كراهية في ذلك ماروي عن يحيى بن كثير أنه شرب الدواء فقالت له امرأته لو تمسكت في الدار قليلا حتى يصل الدواء فقال هذه مشية لأعرفها وأنا أحاسب نفسي منذ ثلاثين سنة فكأنه لم تحضره نية في هذه المشية تتعلق بالدين فلم يجرز الاقدام عليها . وعن سري رحمه الله أنه قال انتهيت إلى حشيش في جبل وماء يخرج منه فتناولت من الحشيش وشربت من الماء وقلت في نفسي إن كنت قدأكلت يوما حلالا طيبا فهو هذا اليوم فتهتفي هاتف إن القوة التي أوصلتك إلى هذا الموضع من أين هي فرجت وندمت ومن هذا ماروي عن ذى النون المصري أنه كان جائعا مجبوسا فبعثت إليه امرأة سالحة طعاما على يد السجان فلم يأكل ثم اعتذر وقال جاءني على طبق ظالم يعني أن القوة التي أوصلت الطعام إلى لم تكن طيبة وهذه الغاية القصوى في الورع . ومن ذلك أن بشرى رحمه الله كان لا يشرب للماء من الأنهار التي حفرها الأمراء فان النهر سبب لجريان الماء ووصوله إليه وإن كان الماء مباحا في نفسه فيكون كالمستمتع بالنهر المفقور بأعمال الأجراء وقد أعطوا الأجرة من الحرام ولذلك امتنع بعضهم من الغيب الحلال من كرم حلال وقال لصاحب أفدته إذ سقيته من الماء الذي يجري في النهر الذي حفرته الظلمة وهذا أبعد عن الظلم من شرب نفس الماء لأنه احتراز من استمداد الغيب من ذلك الماء . وكان بعضهم إذا فر في طريق الحج لم يشرب من المصانع التي عملتها الظلمة مع أن الماء مباح ولكنه بقي محفوظا بالمصنع الذي عمل به بما لا حرام فكأنه انتفاع به وامتناع ذى النون من تناول الطعام من يد السجان أعظم من هذا كله لأن يد السجان لا توصف بأنه حرام بخلاف الطبقة الغصوب إذا حمل عليه ولكنه وصل إليه بقوة اكتسبت بالغذاء الحرام ولذلك تقي الصديق رضى الله عنه من اللبن خيفة من أن يحدث الحرام فيه فوهم أنه شربه عن جهل وكان لا يجب إخراجه ولكن تخليه البطن عن الحثيث من ورع الصديقين ومن ذلك التورع من كسب حلال اكتسبه خياط يخطط في المسجد فان أحمد رحمه الله كره جلوس الخياط في المسجد . وسئل عن المغازلي يجلس في قبة في القابر في وقت يخاف من الطر فقال إنما هي من أمر الآخرة وكره جلوسه فيها وأطلقا بعضهم سراجا أسرجه غلامه من قوم يكره ما لهم وامتنع من تسجير تنور الخبز وقد بقي فيه جرم من حطب مكروه وامتنع بعضهم من أن يحكم شمع نعله في مشعل السلطان فهذه دقائق الورع عند السالك طريق الآخرة والتحقيق فيه أن الورع له أول وهو الامتناع مما حرمته الفتوى وهو ورع العدول وله غاية وهو ورع الصديقين وذلك هو الامتناع من كل ما ليس لله مما أخذ بشهوة أو توصل إليه بمكروه أو اتصل بسببه مكروه وبينهما درجات في الاحتياط فكما كان البعد أشد تشديدا على نفسه كان أخف ظهرا يوم القيامة وأسرع جوازا على الصراط وأبعد عن أن

سلكه مسلكا في طلب العلم سهلته له طريقا إلى الجنة ومن جهة مقاصدهم في البداية لقاء الشايع والإخوان الصادقين فلهذا كل صادق مزيد وقد ينفعه لحظ الرجال كما ينفعه لحظ الرجال . وقد قيل من لا ينمك لحظه لا ينمك لفظه وهذا القول في وجهان أحدهما أن الرجل الصديق بكلم الصادقين بلسان فله أكثر ما يكلمهم بلسان قوله فإذا نظر الصادق إلى تصاريحه في مودعه ومصدره وخلوته وجلوته وكلامه وسكوته ينفع بالنظر إليه فهو تقع الحفظ ومن لا يكون حاله وأفعاله هكذا فلفظه أيضا لا ينفع لأنه يتكلم بهوا ونورانية القول على قدر نورانية القلب ونورانية القلب بحسب الاستقامة والقيام بواجب حق

ترجع كفة سيئاته على كفة حسناته وتتفاوت للنازل في الآخرة بحسب تفاوت هذه الدرجات في الورع كما تتفاوت درجات النار في حق الظلمة بحسب تفاوت درجات الحرام في الجثث ، وإذا علت حقيقة الأمر فإليك الخيار فإن شئت فاستكثر من الاحتياط وإن شئت فرخص. فلتنفسك تحتاط وعلى نفسك ترخص والسلام .

(الباب الثاني في مراتب الشبهات ومشاراتها وتمييزها عن الحلال والحرام)

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « الحلال بين والحرام بين وبينهما أمور مشبهات لا يعلمها كثير من الناس فمن اتقى الشبهات فقد استبرأ لدينه وعرضه ومن وقع في الشبهات واقع الحرام كالراعى حول الحمى يوشك أن يقع فيه (١) » فهذا الحديث نص في إثبات الأقسام الثلاثة والمشكل منها القسم المتوسط الذي لا يعرفه كثير من الناس وهو الشبهة فلا بد من بيانها وكشف القطاء عنها فإن ما لا يعرفه الكثير فقد يعرفه القليل فنقول : الحلال للطلق هو الذي خلا عن ذاته الصفات الموجبة للتحريم في عينه وانحل عن أسبابه ما تطرق إليه تحريم أو كراهية ومثاله اللحم الذي يأخذه الإنسان من المطر قبل أن يقع على ملك أحد ويكون هو واقفاً عند جمعه وأخذه من الهواء في ملك نفسه أو في أرض مباحة والحرام المحض هو ما فيه صفة محرمة لا يشك فيها كالشدة المطربة في الحجر والنجاسة في البول أو حصل بسبب منهي عنه قطعاً كالحصل بالظلم والربا ونظائره فهذان طرفان ظاهران ويلتحق بالطرفين ما تحقق أمره ولكنه احتمل تميزه ولم يكن لذلك الاحتمال سبب يدل عليه فإن صيد البر والبحر حلال ومن أخذ ظلية فيحتمل أن يكون قد ملكها صياد ثم أفلتت منه وكذلك السمك يحتمل أن يكون قد تزلق من الصياد بعد وقوعه في يده وخريطته فمثل هذا الاحتمال لا يتطرق إلى ماء للطر المختطف من الهواء ولكنه في معنى ماء النظر والاحتراز منه وسواس ، ولنسم هذا الفن ورع للوسوسين حتى تلتحق به أمثاله وذلك لأن هذا وهم مجرد لادلالة عليه نعم لودل عليه دليل فإن كان قاطعاً كالوجود حلقه في أذن السمكة أو كان محتملاً كالوجود على الظبية جراحة يحتمل أن يكون كذا لا يقدر عليه إلا بعد الضبط ويحتمل أن يكون جرحاً فهذا موضع الورع وإذا انتفت الدلالة من كل وجه فالاحتمال للمدوم دلالة كالأحتمال للمدوم في نفسه ومن هذا الجنس من يستعير داراً فيغيب عنه المير فيخرج ويقول لهله مات وصار الحق للوارث فهذا وسواس إذ لم يدل على موته سبب قاطع أو مشكك إذ الشبهة المذمومة ما تنشأ من الشك والشك عبارة عن اعتقادين متقابلين نشأ عن سببين فما لا سبب له لا يثبت عقده في النفس حتى يساوى العقد المقابل له فيصير شكاً ولهذا نقول : من شك أنه صلى ثلاثاً أو أربعاً أخذ بالثلاث إذ الأصل عدم الزيادة ولو سئل إنسان أن صلاة الظهر التي أداها قبل هذا بغير سنين كانت ثلاثاً أو أربعاً لم يتحقق قطعاً أنها أربعة وإذا لم يقطع جواز أن تكون ثلاثة وهذا التجويز لا يكون شكاً إذ لم يحضره سبب أو وجب اعتقاد كونها ثلاثاً فلنفهم حقيقة الشك حتى لا يشتبه الوهم والتجويز بغير سبب فهذا يلتحق بالحلال المطلق ويلتحق بالحرام المحض ما تحقق تحريمه وإن أمكن طريان محلل ولكن لم يدل عليه سبب كمن في يده طعام لمورثه الذي لا وارث له سواء فغاب عنه فقال يحتمل أنه مات وقد انتقل الملك إلى فأكله فأقدمه عليه إقدام على حرام محض لأنه احتمال لا مستند له فلا ينبغي أن يعدّ هذا النمط من أقسام الشبهات وإنما الشبهة نعتي بها ما شقبت علينا أمره بأن تعارض لنا فيه اعتقاداتان صدرا عن سببين مقتضيين للاعتقادين . ومشارات الشبهة خمسة :

(الباب الثاني في مراتب الشبهات)

(١) حديث الحلال بين والحرام بين متفق عليه من حديث الثعلبي بن بشر .

الصودية وحقيقتها
والوجه الثاني أن نظر
الطعام الراسخين في العلم
والرجال البالغين ريباً
نافع ينظر أحدهم إلى
الرجل الصادق
فيستكشف بنور
بصيرته حسن استمداد
الصادق واستنباطه
لمواهب الله تعالى
الخاصة فيقع في قلبه
عجبة الصادق من
الريدين وينظر إليه
نظر عجة عن بصيرة
وهم من جنود الله تعالى
فيصحبون بنظرهم
أحوالاً سنية ويهبون
آثاراً مرضية وماذا
ينكر المنكر من قدرة
الله أن الله سبحانه وتعالى
كاجل في بعض الأفاعي
من الخاصة أنه إذا
نظر إلى إنسان يهلكه
بنظره أن يجعل في نظر
بعض خواص عباده
أنه إذا نظر إلى طالب
صادق يكسبه حالاً
وحياة وقد كان شيخاً
رحم الله يطوف في
مسجد الحيف يعني

(لثار الأول الشك في السبب المحلل والمهرم)

وذلك لا يغلو إما أن يكون متعادلاً أو غلب أحد الاحتمالين فإن تعادل الاحتمالين كان الحكم لما عرف قبله فيستحب ولا يترك بالشك وإن غلب أحد الاحتمالين عليه بأن صدر عن دلالة معتبرة كان الحكم للغالب ولا يتبين هذا إلا بالأمثال والشواهد فلنقسمه على أقسام أربعة . القسم الأول : أن يكون التحريم معلوماً من قبل ثم يقع الشك في المحلل فهذه شبهة يجب اجتنابها ويحرم الإقدام عليها . مثاله : أن يرى إلى صيد فيجرحه ويقع في الماء فيصادفه ميتاً ولا يدري أنه مات بالفرق أو بالجرح فهذا حرام لأن الأصل التحريم إلا إذا مات بطريق معين وقد وقع الشك في الطريق فلا يترك اليقين بالشك كما في الأحداث والنجاسات وركعات الصلاة وغيرها على هذا ينزل قوله عليه السلام لعدي بن حاتم « لا تأكله فلهله قتله غير كلبك ^(١) » فذلك كان صلى الله عليه وسلم إذا أتى بشيء اشتبه عليه أنه صدقة أو هدية سأل عنه حتى يعلم أيهما هو ^(٢) وروى « أنه صلى الله عليه وسلم أرق ليلة فقال له بعض نسائه أرقتي يا رسول الله فقال أجل وجدت عمرة غشيت أن تكون من الصدقة ^(٣) » وفي رواية « فأكلتها غشيت أن تكون من الصدقة » ومن ذلك ما روى عن بعضهم أنه قال « كنا في سفر مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فأصابنا الجوع فزنا منزلاً كثير الضباب فبينما القدور تغلي بها إذ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أمة مسخت من بني إسرائيل أخشى أن تكون هذه فأكفأنا القدور ^(٤) » ثم أعلمه الله بعد ذلك أنه لم يمسخ الله خلقاً فجعل له نسلاً ^(٥) وكان امتناعه أولاً لأن الأصل عدم الحل وشك في كون الشيء محلاً . القسم الثاني : أن يعرف الحل ويشك في المهرم فالأصل الحل وله الحكم كما إذا نكح امرأتين رجلان وطار طائر فقال أحدهما إن كان هذا غراباً فامرأتى طالق وقال الآخر إن لم يكن غراباً فامرأتى طالق والتبس أمر الطائر فلا يقضى بالتحريم في واحدة منهما ولا يلزمهما اجتنابهما ولكن الورع اجتنابهما وتطليقهما حتى يحل لائر الأزوج وقد أمر مكحول بالاجتناب في هذه المسئلة وأقوى الشعبي بالاجتناب في رجلين كانا قد تنازعا فقال أحدهما للآخر أنت حسود فقال الآخر أحسننا زوجته طالق ثلاثاً فقال الآخر نعم وأشكل الأمر وهذا إن أراد به اجتناب الورع فصحيح وإن أراد التحريم المحقق فلا وجه له إذ ثبت في الياه والنجاسات والأحداث والصلوات أن اليقين لا يجب تركه بالشك وهذا في معناه . فإن قلت وأى مناسبة بين هذا وبين ذلك فاعلم أنه لا يحتاج إلى المناسبة فإنه لازم من غير ذلك في بعض الصور فإنه مهما تيقن طهارة الماء ثم شك في نجاسته جاز له أن يتوضأ به فكيف لا يجوز أن يشربه وإذا جوز الشرب قد سلم أن اليقين لا يزال بالشك إلا أن ههنا دقة وهو أن وزان الماء أن يشك في أنه طلق زوجته أم لا فيقال الأصل أنه مطلق

- (١) حديث لا تأكله فلهله قتله غير كلبك قاله لعدي بن حاتم متفق عليه من حديثه (٢) حديث كان إذا أتى بشيء اشتبه عليه أنه صدقة أو هبة يسأل عنه البخاري من حديث أبي هريرة (٣) حديث أنه أرق ليلة فقال له بعض نسائه أرقتي يا رسول الله فقال أجل وجدت عمرة فأكلتها غشيت أن تكون من الصدقة أحمد من رواية عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده بإسناد حسن (٤) حديث كنا في سفر مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فأصابنا الجوع فزنا منزلاً كثير الضباب فبينما القدور تغلي بها إذ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أمة مسخت من بني إسرائيل أخشى أن تكون هذه فأكفأنا القدور ابن حبان والبيهقي من حديث عبد الرحمن وحسنه وروى أبو داود والنسائي وابن ماجه حديث ثابت بن زيد نحوه مع اختلاف قال البخاري وحديث ثابت أصح (٥) حديث أنه لم يمسخ الله خلقاً فجعل له نسلاً مسلم من حديث ابن مسعود .

ويتصفح وجوه الناس قبل له في ذلك فقال لله جاد إذا نظروا إلى شخص أكسبه معادة فانا أنطلب ذلك ومن جملة للقائد في السفر اجتناب قطع للالوفات والانسلخ من ركون النفس إلى معهود ومعلوم والتعامل على النفس بتجرع مرارة فرقة الإلاف والخلاف والأهل والأوطان فمن صبر على تلك الالوفات محسباً عند الله أجراً فقد حاز فضلاً عظيماً . أخبرنا أبو زرعة بن أبي الفضل الحافظ القدسي عن أبيه قال أنا القاضي أبو منصور محمد بن أحمد الفقيه الأصمغاني . قال أنا أبو إسحاق إبراهيم بن عبد الله بن خريشد قوله قال حدثنا أبو بكر عبد الله ابن محمد بن زياد النيسابوري قال حدثنا يونس بن عبد الأعلى

ووزان مسئلة الطائر أن يتحقق نجاسة أحد الإناءين ويشبهه عنه فلا يجوز أن يستعمل أحدهما
بغير اجتهاد لأنه قابل يقين النجاسة يقين الطهارة فيبطل الاستصحاب فكذلك هنا قد وقع الطلاق
على إحدى الزوجتين قطعا والتبس عين المطلقة بغير المطلقة فنقول اختلف أصحاب الشافعي في الإناءين
على ثلاثة أوجه فقال قوم يستحب بغير اجتهاد وقال قوم بعد حصول يقين النجاسة في مقابلة يقين
الطهارة يجب الاجتناب ولا يفي الاجتهاد وقال المقصدون يجتهد وهو الصحيح ولكن وزانه أن
تكون له زوجتان فيقول إن كان غرابا فزنب طالق وإن لم يكن فصرمة طالق فلا جرم لا يجوز له
غشيانها بالاستصحاب ولا يجوز الاجتهاد إذ لا علامة ونحوهما عليه لأنه لو وظئهما كان مقتضا
للحرام قطعا وإن وطئ أحدهما وقال أقصر على هذه كان متحكما بتعيينها من غير ترجيح ففي هذا
اقترب حكم شخص واحد أو شخصين لأن التحريم على شخص واحد متحقق بخلاف الشخصين إذ كل
واحد شك في التحريم في حق نفسه . فان قيل فلو كان الإناءان لشخصين فينبغي أن يستغنى عن
الاجتهاد ويتوأسا كل واحد بإنائه لأنه يقين طهارته وقد شك الآن فيه فنقول هذا محتمل في الفقه
والأرجح في ظني المنع وأن تعدد الشخصين هنا كاتحاده لأن صحة الوضوء لا تستدعي ملكا بل وضوء
الإنسان بما غيره في رفع الحدث كوضوئه بما نفسه فلا يتبين لاختلاف الملك واتحاده أثر بخلاف الوطء
لزوجة الغير فإنه لا يحل ولأن للعلامات مدخلا في النجاسات والاجتهاد فيه ممكن بخلاف الطلاق فوجب
ثبوت الاستصحاب بعلامة يدفع بها قوة يقين النجاسة للمقابلة ليقين الطهارة وأبواب الاستصحاب
والترجيحات من غوامض الفقه ودقائقه وقد استقصيناه في كتب الفقه ولنا قصد الآن إلا التنبيه على
قواعدها . القسم الثالث : أن يكون الأصل التحريم ولكن طرأ ما أوجب تحليله بظن غالب فهو
مشكوك فيه والغالب حله فهذا ينظر فيه فان استند غلبة الظن إلى سبب معتبر شرعا فالذي نختار
فيه أنه محل واجتنابه من الورع . مثاله : أن يرمى إلى صيد فيجب ثم يدركه ميتا وليس عليه أثر
سوى سهمه ولكن محتمل أنه مات بسقطة أو بسبب آخر فان ظهر عليه أثر صدمة أو جراحة
أخرى التحق بالقسم الأول وقد اختلف قول الشافعي رحمه الله في هذا القسم والختار أنه محلال لأن
الجرح سبب ظاهر وقد تحقق والأصل أنه لم يطرأ غيره عليه فطريانه مشكوك فيه فلا يدفع اليقين
بالشك . فان قيل فقد قال ابن عباس : كل ما أصحمت ودع ما أئمت . وروى عائشة رضي الله عنها « أن رجلا
أتى النبي ﷺ بأرنب فقال رميت عرفتي فيها سمى فقال أصحمت أو أئمت فقال بل أئمت قال إن الليل
خاف من خلق الله لا يقدر قدره إلا الذي خلقه فله أعان على قتله شيء (١) » وكذلك قال صلى الله عليه وسلم
لعدي بن حاتم في كلبه العلم « وإن أكل فلاناً كل فاني أخاف أن يكون إنما أمسك على نفسه (٢) »
والغالب أن الكلب العلم لا يسيء خلقه ولا يمسك إلا على صاحبه ومع ذلك نهى عنه وهذا التحقيق وهو أن
الحل إنما يتحقق إذا تحقق تمام السبب وتمام السبب بأن يفضى إلى الموت سليما من طريان غيره عليه

(١) حديث عائشة أن رجلا أتى النبي صلى الله عليه وسلم بأرنب فقال رميت عرفتي فيها سمى فقال أصحمت أو أئمت قال بل أئمت قال إن الليل خلق من خلق الله لا يقدر قدره إلا الذي خلقه فله أعان على قتله شيء ليس هذا من حديث عائشة وإنما رواه موسى بن أبي عائشة عن أبي رزين قال جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم بصيد فقال إن رميته من الليل فأعياني ووجدت سهمي فيه من الغد وعرفت سهمي فقال الليل خلق من خلق الله عظيم له أعانك عليها شيء رواه أبو داود في الراسيل والبيهقي وقال أبو رزين اسمه مسعود والحديث مرسل قاله البخاري (٢) حديث قال لعدي في كلبه العلم وإن أكل فلاناً كل فاني أخاف أن يكون إنما أمسك على نفسه متفق عليه من حديثه .

قال حدثنا بن وهب
قال حدثني يحيى بن
عبد الله عن أبي عبد
الرحمن عن عبد الله
ابن عمرو بن العاص
قال « مات رجل بالمدينة
ممن ولد بها فبلى عليه
رسول الله صلى الله
عليه وسلم ثم قال
ليته مات بغير مولده
قالوا ولم ذلك يا رسول
الله قال إن الرجل إذا
مات بغير مولده قيس له
من مولده إلى منقطع
أثره من الجنة » ومن
جملة للقاصد في السفر
استكشاف دقائق
النفوس واستخراج
رعوناتها ودعائها
لأنها لا تمكك قبيح
حقائق ذلك بغير السفر
ومضى السفر سرا لأنه
يسفر عن الأخلاق
وإذا وقف على داله
يتشعر لدوائه وقد
يكون أثر السفر في
نفس للبندى كآثر
النوافل من الصلاة
والصوم والتجود وغير
ذلك وذلك أن للتأمل

وقد شك فيه فهو شك في تمام السبب حتى اشتبه أن موته على الحل أو على الحرمة فلا يكون هذا في معنى ما تحقق موته على الحل في ساعته ثم شك فيما يطرأ عليه . فالجواب أن نهى ابن عباس ونهى رسول الله صلى الله عليه وسلم محمول على الورع والنزاهة بدليل ما روى في بعض الروايات أنه قال « كل من غاب عنك ما لم تجد فيه أثرا غير سهمك » (١) وهذا تنبيه على للنهي الذي ذكرناه وهو أنه إن وجد أثرا آخر فقد تعارض السببان بتعارض الظن وإن لم يجد سوى جرحه حصل غلبة للظن فيحكم به على الاستصحاب كما يحكم على الاستصحاب بخبر الواحد والقياس للظنون والعمومات للظنونة وغيرها . وأما قول القائل إنه لم يتحقق موته على الحل في ساعة فيكون شكاً في السبب فليس كذلك بل السبب قد تحقق إذ الجرح سبب الموت فطريان الغير شك فيه ويدل على صحة هذا الإجماع على أن من جرح وغاب فوجد ميتا فيجب القصاص على جرحه بل إن لم يجب يحتمل أن يكون موته بهيجان خلط في باطنه كما يموت الإنسان فجأة فينبغي أن لا يجب القصاص إلا بحز الزينة والجرح للذنب لأن العلل القائمة في الباطن لا تؤمن لأجلها يموت فجأة ولا قائل بذلك مع أن القصاص مبنى على الشبهة وكذلك جنين للذكاة جلال ولعله مات قبل ذبح الأصل لا بسبب ذبحه أو لم ينفخ فيه الروح وغرة الجنين يجب ولعل الروح لم ينفخ فيه أو كان قد مات قبل الجنابة بسبب آخر ولكن يبنى على الأسباب الظاهرة فإن الاحتمال الآخر إذا لم يستند إلى دلالة تدل عليه التحق بالوهم والوسواس كاذكرناه فكذلك هذا وأما قوله صلى الله عليه وسلم « أخاف أن يكون إنما أمسك على نفسه » فللشافعي رحمه الله في هذه الصورة قولان والذي نختاره الحكم بالتحريم لأن السبب قد تعارض إذ الكلب للملك كالألة والوكيل يمسك على صاحبه فيحل ولو استرسل للعلم بنفسه فأخذ لم يعمل لأنه يتصور منه أن يصطاد لنفسه ومنها انبثت بأشارته ثم كل دل ابتداء انبثاته على أنه نازل منزلة آله وأنه يسمى في وكالته ونيابته ودل أكله آخر على أنه أمسك لنفسه لاصحابه فقد تعارض السبب الدال فيتعارض الاحتمال والأصل التحريم فيستصحب ولا يزال بالشك وهو كما لو وكل رجلا بأن يشتري له جارية فاشترى جارية ومات قبل أن يبين أنه اشتراها لنفسه أو لموكله لم يعمل للموكل وطؤها لأن للوكيل قدرة على الشراء لنفسه ولموكله جيبا ولا دليل مرجح والأصل التحريم فهذا يلتحق بالقسم الأول لا بالقسم الثالث . القسم الرابع : أن يكون الحل معلوما ولكن ينطب على الظن طريان محرم بسبب معتبر في غلبة الظن شرعا فيرفع الاستصحاب ويقضى بالتحريم إذ بان لنا أن الاستصحاب ضعيف ولا يثبت له حكم مع غالب الظن . ومثاله أن يؤدي اجتهداه إلى نجاسة أحد الإنامين بالاعتقاد على علامة معينة توجب غلبة الظن فتوجب تحريم شربه كما أوجب منع الوضوء به وكذا إذا قال إن قتل زيد عمرا أو قتل زيد صيدا منفردا بقتله فامرأتى طالق فبحرجه وغاب عنه فوجد ميتا حرمت زوجته لأن الظاهر أنه منفرد بقتله كما سبق وقد نص الشافعي رحمه الله أن من وجد في القدران ماء متغيرا احتمل أن يكون تغيره بطول الكسك أو بالنجاسة فيستعمله ولو رأى ظبية بالث فيه ثم وجدته متغيرا واحتمل أن يكون بالبول أو بطول الكسك لم يحز استعماله إذ صار البول الشاهد دلالة مقلبة لاحتمال النجاسة وهو مثال ما ذكرناه وهذا في غلبة ظن استند إلى علامة متعلقة بعين الشيء فأما غلبة الظن لامن جهة علامة تتعلق بعين الشيء فقد اختلف قول الشافعي رحمه الله عنه في أن أصل الحل هل يزال به إذا اختلف قوله في التوضؤ من أواني الشركين ومدمن الخمر والصلاة في القابر للتبوشة والصلاة مع طين الشوارع

(١) حديث كل من غاب عنك ما لم تجد فيه أثر سهم غيرك متفق عليه من حديث عدي بن حاتم

سأخ سائر إلى الله تعالى
من أوطان الغلات
إلى محل القربات
وللسافر يقطع المسافات
ويتقلب في للفاوز
والقلوات بحسن النية
فه تعالى سائرا إلى الله
تعالى بمراغمة الهوى
ومهاجرة ملاذ الدنيا .
أخبرنا شيخنا إجازة
قال أنا عمر بن أحمد قال
أنا أحمد بن محمد بن
خلف قال أنا أبو
عبد الرحمن السلي
قال سمعت عبد الواحد
ابن بكر يقول سمعت
على بن عبد الرحيم
يقول سمعت النووي
يقول التصوف ترك
كل حظ النفس فإذا
سافر للبندى تاركا
حظ النفس تطمئن
النفس وتلين كالتلين
بدوام النافذة ويكون
لها بالفرد باغ ينهب
عنها الحشونة واليوسه
الجيلية والبفونة
الطبيعية كالجلد يمود
من هيئة الجلود إلى
هيئة الثياب خمود

أعنى المقدار الزائد على ما يتعدى الاحتراز عنه وعبر الأصحاب عنه بأنه إذا تعارض الأصل والغالب فأيهما يعتبر وهذا جار في حل الشرب من أواني مدمن الحجر والسكرين لأن النجس لا يحل شربه فإذا ما أخذ النجاسة والحل واحد فالتردد في أحدهما يوجب التردد في الآخر واللهى أخثاره أن الأصل هو المعتبر وأن العلامة إذا لم تملق بعين تناول لم توجب رفع الأصل وسيأتي بيان ذلك وبرهانه في المثار الثاني للشبهة وهي شبهة الخلط قد اتضح من هذا حكم حلال شك في طريان محرم عليه أوطن وحكم حرام شك في طريان محلل عليه أوطن وبأن الفرق بين ظن يستند إلى علامة في عين الشيء وبين مالا يستند إليه وكل ما حكمنا في هذه الأقسام الأربعة بحله فهو حلال في الدرجة الأولى والاحتياط تركه فالقدم عليه لا يكون من زمرة التيقن والصالحين بل من زمرة المدول الذين لا يقض في فتوى الشرع بقسمة وعصيانهم واستحقاقهم العقوبة إلا ما ألحقناه برتبة الوسواس فان الاحتراز عنه ليس من الورع أصلا .

(المثار الثاني للشبهة شك منشؤه الاختلاط)

وذلك بأن يختلط الحرام بالحلال ويشبه الأمر ولا يميز والخلط لا يخلو إما أن يقع بعدد لا يحصر من الجانبين أو من أحدهما أو بسدد محصور فان اختلط بمحصور فلا يخلو إما أن يكون اختلاط امتزاج بحيث لا يميز بالإشارة كاختلاط اللائمات أو يكون اختلاط استبهاج مع التميز للأعيان كاختلاط الأعبد والدور والأفراق والذي يختلط بالاستبهاج فلا يخلو إما أن يكون مما يقصد عنه كالعروض أو لا يقصد كالنفود فيخرج من هذا التقسيم ثلاثة أقسام . القسم الأول : أن تستبهم العين بسدد محصور كما لو اختلطت البتة بمذكاة أو بشر مذكيات أو اختلطت رضعة بشرة نسوة أو يتزوج إحدى الأختين ثم تلبس بهذه شبهة يجب اجتنابها بالإجماع لأنه لا مجال للاجتهاد والعلامات في هذا وإذا اختلطت بسدد محصور صارت الجملة كالشيء الواحد فتقابل فيه يقين التحريم والتحليل ولا فرق في هذا بين أن يثبت حل فطرأ اختلاط بمحرم كما لو وقع الطلاق على إحدى زوجتين في مسألة الطائر أو يختلط قبل الاستحلال كما لو اختلطت رضعة بأجنبية فأراد استحلال واحدة وهذا قد يشكل في طريان التحريم كطلاق إحدى الزوجتين لما سبق من الاستصحاب وقد نبهنا على وجه الجواب وهو أن يقين التحريم قابل يقين الحل فصف الاستصحاب وجانب الخطر أغلب في نظر الشرع فلذلك ترجع وهذا إذا اختلط حلال محصور بمحرم محصور فان اختلط حلال محصور بمحرم غير محصور فلا يخفى أن وجوب الاجتناب أولى . القسم الثاني : حرام محصور بحلال غير محصور كما لو اختلطت رضعة أو عشر رضائع بنسوة بلد كبير فلا يلزم بهذا اجتناب نكاح نساء أهل البلد بل له أن ينكح من شاء منهن وهذا لا يجوز أن يملك بكثرة الحلال إذ يلزم عليه أن يجوز النكاح إذا اختلطت واحدة حرام بنسوة حلال ولا قائل به بل الملة الغلبة والحاجة جميعا إذ كل من ضاع له رضيع أو قريب أو محرم بمصاهرة أو سبب من الأسباب فلا يمكن أن يسد عليه باب النكاح وكذلك من علم أن مال الدنيا خالطه حرام قطعا لا يلزمه ترك الشراء والأكل فان ذلك حرج ومافى الدين من حرج ويعلم هذا بأنه لما سرق في زمان رسول الله صلى الله عليه وسلم مجن (١) وغل واحد في الغنيمة عباءة (٢) لم يتمتع أحد من شراء المجان والعباءة في الدنيا وكذلك كل ما سرق وكذلك كان

(١) حديث سرقه المجن في زمان رسول الله صلى الله عليه وسلم متفق عليه من حديث ابن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قطع سارقا في مجن قيمته ثلاثة دراهم (٢) حديث غل واحد من الضام عباءة البخاري من حديث عبد الله بن عمر ، واسم الغال كركرة

النفس من طيبة
الطيبان إلى طيبة
الإيمان . ومن جهة
المقاصد في السفر رؤية
الآثار والعبر وتسريح
النظر في مسارج الفكر
ومطالعة أجزاء الأرض
والجبال ومواطن
أقدام الرجال واستماع
التسبيح من ذرات
الجمادات والهمم من
لأن حال القطع
التجاورات قد تجد
اليقظة بتجدد مستودع
العبر والآيات وتوفر
بمطالعة للشاهد
والواقف الشواهد
والدلالات قال الله تعالى
- سنريهم آياتنا في
الآفاق وفي أنفسهم حتى
يتبين لهم أنه الحق -
وقد كان السرى يقول
لصوفية : إذا خرج
الشتاء ودخل أمدار
وأورقت الأشجار طاب
الانتشار . ومن جهة
المقاصد بالسفر لإثارة
الحول والطراح حظ
القبول صدق الصافي
يتم على أحسن الحال

يعرف أن في الناس من يرى في الدراهم والدنانير وماترك رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا الناس الدراهم والدنانير بالسكية^(١) وبالجملة إنما تنفك الدنيا عن الحرام إذا عصم الخلق كلهم عن المعاصي وهو محال وإذا لم يشترط هذا في الدنيا لم يشترط أيضا في بلد إلا إذا وقع بين جماعة محصورين بل اجتناب هذا من ورع اللوسوسين إذ لم ينقل ذلك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا عن أحد من الصحابة ولا يتصور الوفاء به في ملة من الملل ولا في عصر من الأعصار . فان قلت فكل عدد محصور في علم الله فما حد المحصور ولو أراد الانسان أن يحصر أهل بلد لقدر عليه أيضا إن تمكن منه . فاعلم أن تحديد أمثال هذه الأمور غير ممكن وإنما يضبط بالتقريب . فنقول كل عدد لو اجتمع على صعيد واحد لمر على الناظر عددهم بمجرد النظر كالألف والألفين فهو غير محصور وما سهل كالشرة والعشرين فهو محصور وبين الطرفين أوساط متشابهة تلحق بأحد الطرفين بالظن وما وقع الشك فيه استفتى فيه القلب فان الإثم حراز القلوب وفي مثل هذا المقام قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو ابصت « استفت قلبك وإن أتوك وأتوك وأتوك »^(٢) وكذا الأقسام الأربعة التي ذكرناها في التار الأول يقع فيها أطراف متقابلة واضحة في النفي والاثبات وأوساط متشابهة فالمتقى يفتى بالظن وعلى المستفتى أن يستفتى قلبه فان حاك في صدره شيء فهو الآثم بينه وبين الله فلا ينجي في الآخرة فتوى المتقى فانه يفتى بالظاهر والله يتولى السرائر . القسم الثالث : أن يختلط حرام لا يحصر بحلال لا يحصر حكم الأموال في زماننا هذا فالذي يأخذ الأحكام من الصور قد يظن أن نسبة غير المحصور إلى غير المحصور كنسبة المحصور إلى المحصور وقد حكمنا ثم بالتحريم فلنحكم هنا به والذي نخاره خلاف ذلك وهو أنه لا يحرم بهذا الاختلاط أن يتناول شيء بينه احتمال أنه حرام وأنه حلال إلا أن يقترن بتلك العين علامة تدل على أنه من الحرام فان لم يكن في العين علامة تدل على أنه من الحرام فتركه ورع وأخذه حلال لا يغسق به آكله ومن العلامات أن يأخذه من يد ساطان ظالم إلى غير ذلك من العلامات التي سيأتي ذكرها ويدل عليه الأثر والقياس فأما الأثر فما علم في زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم والخلفاء الراشدين بعده إذ كانت أثمان الخمر ودراهم الربا من أيدي أهل القمة مختلطة بالأموال وكذا غلول الأموال وكذا غلول الغنيمة ومن الوقت الذي نهى صلى الله عليه وسلم عن الربا إذ قال « أول ربا أضعه ربا العباس »^(٣) ماترك الناس الربا بأجمعهم كما لم يتركوا شرب الخمر وسائر المعاصي حتى روي أن بعض أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم باع الخمر فقال عمر رضي الله عنه لعن الله فلانا هو أول من سب الخمر إذ لم يكن قد فهم أن تحريم الخمر تحريم لشئها وقال صلى الله عليه وسلم « إن فلانا يجر في النار عبادا قد غلبها »^(٤) وقتل رجل فقتلوا متاعه فوجدوا فيه خرزات من خرز اليهود لا تساوي درهمين قد غلبها^(٥) وكذا أدرك أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم الأمراء الظلمة ولم يمتنع أحدهم عن الشراء والبيع في الموق بسبب نهب المدينة وقد نهى أصحاب يزيد ثلاثة أيام وكان من يمتنع من تلك الأموال مشارا إليه في الورع والأكثرين لم يمتنعوا

(١) حديث إن في الناس من كان يرى في الدراهم والدنانير وماترك رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا الناس الدراهم بالدراهم بالسكية هذا معروف وسيأتي حديث جابر بعده بحديث وهو يدل على ذلك (٢) حديث استفت قلبك وإن أتوك وأتوك وأتوك قاله لو ابصت تقدم (٣) حديث أول ربا أضعه ربا العباس مسلم من حديث جابر (٤) حديث إن فلانا في النار يجر عبادا قد غلبها البخاري من حديث عبد الله بن عمر وتقدم قبله بثلاثة أحاديث (٥) حديث قتل رجل فقتلوا متاعه فوجدوا فيه خرز من خرز اليهود لا تساوي درهمين قد غلبها أبو داود والنسائي وابن ماجه من حديث زيد بن خالد الجهني .

ويرزق من الخلق حسن الاقبال وقبلا يكون صادق متمسك بمرورة الاخلاص ذو قلب عامر لا ويرزق إقبال الخلق حتى سمعت بعض الشايخ يحكي عن بعضهم أنه قال : أريد إقبال الخلق على لا أني أبلغ نفسي حظها من الهوى فاني لا أبالي إقبالا أو أدبروا ولكن لكون إقبال الخلق علامة تدل على صحة الحال فاذا ابتلى المرید بذلك لا يأمن نفسه أن تدخل عليه بطريق الرحكون إلى الخلق وربما يفتح عليه باب من الرفق وتدخل النفس عليه من طريق السير والدخول في الأسباب المحموده وتزبه فيه وجه لاصلة والفضيلة في خدمة عباد الله وبذل الوجود ولا تزال النفس به والشيطان حتى يجره إلى السكون إلى الأسباب واستجلاء

مع الاختلاط وكثرة الأموال المنهوبة في أيام الظلمة ومن أوجب مالم يوجب السلف الصالح وزعم أنه تفتن من الشرع مالم يفتنوا له فهو موسوس يحتل العقل ولوجاز أن يزداد عليهم في أمثال هذا لجاز مخالفتهم في مسائل لا مستند فيها سوى اتفاقهم كقولهم إن الجدة كالأم في التحريم وابن الإبن كالابن وشعر الخنزير وشحمه كاللحم المذكور تحريمه في القرآن والربا جار فيما عدا الأشياء الستة وذلك محال فانهم أولى بفهم الشرع من غيرهم . وأما القياس فهو أنه لو فتح هذا الباب لانسد باب جميع التصرفات وخرب العالم إذ الفسق يغلب على الناس ويتساهلون بسببه في شروط الشرع في العقود ويؤدى ذلك لامحالة إلى الاختلاط . فان قيل قد قلتم أنه صلى الله عليه وسلم امتنع من الضب وقال « أخشى أن يكون مما مسخه الله » وهو في اختلاط غير المحصور ؟ قلنا يحمل ذلك على التنزه والورع أو نقول الضب شكل غريب ربما يدل على أنه من المسخ فهي دلالة في عين المتناول . فإن قيل هذا معلوم في زمان رسول الله صلى الله عليه وسلم وزمان الصحابة بسبب الربا والسرقه والنهب وغلول الضيعة وغيرها ولكن كانت هي الأقل بالإضافة إلى الحلال فماذا نقول في زماننا وقد صار الحرام أكثر مافي أيدي الناس لفساد المعاملات وإهمال شروطها وكثرة الربا وأموال السلاطين الظلمة ، فمن أخذ مالا لم يشهد عليه علامة معينة في عينه للتحريم فهل هو حرام أم لا ؟ فأقول ليس ذلك حراما وإنما الورع تركه وهذا الورع أهم من الورع إذا كان قليلا . ولكن الجواب عن هذا أن قول القائل أكثر الأموال حرام في زماننا غلط محض ومنشؤه الغفلة عن الفرق بين الكثير والأكثر فأكثر الناس بل أكثر الفقهاء يظنون أن ما ليس بنادر فهو الأكثر ويتوهمون أنهم قسبان متقابلان ليس بينهما ثالث وليس كذلك بل الأقسام ثلاثة قليل وهو النادر وكثير وأكثر . ومثاله أن الخنثى فيما بين الخلق نادر وإذا أصيب إليه المريض وجد كثيرا وكذا السفر حتى يقال الرض والسفر من الأعذار العامة والاستحاضة من الأعذار النادرة ، ومعلوم أن المرض ليس بنادر وليس بالأكثر أيضا بل هو كثير والفقير إذا تساهل وقال الرض والسفر غالب وهو عذر عام أراد به أنه ليس بنادر فإن لم يرد هذا فهو غلط والصحيح والمقيم هو الأكثر والمسافر والمريض كثير والمستحاضة والخنثى نادر فإذا فهم هذا فتقول قول القائل الحرام أكثر باطل لأن مستند هذا القائل إما أن يكون كثرة الظلمة والجنديبة أو كثرة الربا والمعاملات الفاسدة أو كثرة الأبدى التي تكررت من أول الاسلام إلى زماننا هذا على أصول الأموال الموجودة اليوم . أما المستند الأول فباطل فإن الظالم كثير وليس هو بالأكثر فانهم الجنديبة إذ لا يظلم إلا ذو غلبة وشوكة وهم إذا أصيبوا إلى كل العالم لم يملغوا عشر عشرين فكل سلطان يجتمع عليه من الجنود مائة ألف مثلا فيملك إقليبا يجمع ألف ألف وزيادة ولعل بلدة واحدة من بلاد مملكته يزيد عديدها على جميع عسكره ولو كان عدد السلاطين أكثر من عدد الرعايا لهلك الكل إذ كان يجب على كل واحد من الرعية أن يقوم بعشرة منهم مثلا مع تنصيرهم في المعيشة ولا يتصور ذلك بل كفاية الواحد منهم تجمع من ألف من الرعية وزيادة وكذا القول في السراق فإن البلدة الكبيرة تشتمل منهم على قدر قليل . وأما المستند الثاني وهو كثرة الربا والمعاملات الفاسدة فهي أيضا كثيرة وليست بالأكثر إذ أكثر المسلمين يتعاملون بشروط الشرع فعدد هؤلاء أكثر والذي يعامل بالربا أو غيره فلو عدت معاملاته وحده لكان عدد الصحيح منها يزيد على الفاسد إلا أن يطلب الانسان بوجهه في البلد خصوصا بالمجانة والحبث وقلة الدين حتى يتصور أن يقال معاملاته الفاسدة أكثر ومثل ذلك المخصوص نادر وإن كان كثيرا فليس بالأكثر لو كان كل معاملاته فاسدة كيف ولا يخفى هو أيضا عن معاملات صحيحة تساوى الفاسدة أو تزيد عليها وهذا مقطوع به لمن تأمله وإنما غلب

قبول الخلق وربما قويا عليه لجراه إلى التصنع والتصل ويتسع الحرق على الرابع . وصحت أن بعض الصالحين قال لمريد له أنت الآن وصلت إلى مقام لا يدخل عليك الشيطان من طريق الشر ولكن يدخل عليك من طريق الخير وهذا مزلة عظيمة للأقدام فانه تعالى يذكرك الصادق إذا ابتلى بشئ من ذلك وبزجه بالعناية السابقة والعونة اللاحقة إلى السفر فيفارق للعارف والموضع الذي فتح عليه هذا الباب فيه ويتجرد لله تعالى بالخروج إلى السفر وهذا من أحسن للقاصد في الأسفار للصادقين فهذه حمل القاصد للطلوبة للشايع في بداياتهم ماعيدا الحج والعمرة وزيارة بيت القدس ، وقد نقل

هذا على النفوس الفاسدة لاستكثار النفوس الفاسدة واستبعادها إياه واستعظامها له وإن كان نادر حتى ربما يظن أن الزنا وشرب الخمر قد شاع كما شاع الحرام فينبخل أنهم الأكثرون وهو خطأ فانهم الأقلون وإن كان فيهم كثرة . وأما المستند الثالث وهو أخيلها أن يقال الأموال إنما تحصل من المعادن والنبات والحيوان والنبات والحيوان حاصلان بالتوالد فإذا نظرنا إلى شاة مثلا وهي تلد في كل سنة فيكون عدد أصولها إلى زمان رسول الله صلى الله عليه وسلم قريبا من خمسمائة ولا يغلو هذا أن يتطرق إلى أصل من تلك الأصول غصب أو معاملة فاسدة فكيف يقدر أن تسلم أصولها عن تصرف باطل إلى زماننا هذا وكذا بذور الحبوب والقواكه تحتاج إلى خمسمائة أصل أو ألف أصل مثلا إلى أول الشرع ولا يكون هذا حلالا ما لم يكن أصله وأصل أصله كذلك إلى أول زمان النبوة حلالا وأما المعادن فهي التي يمكن نيلها على سبيل الابتداء وهي أقل الأموال وأكثر ما يستعمل منها الدراهم والدنانير ولا يخرج إلا من دار الضرب وهي في أيدي الظلمة مثل المعادن في أيديهم يمتعون الناس منها ويلزمون الفقراء استخراجها بالأعمال الشاقة ثم يأخذونها منهم غصبا فإذا نظر إلى هذا علم أن بقاء دينار واحد بحيث لا يتطرق إليه عقد فاسد ولا ظلم وقت النيل ولا وقت الضرب في دار الضرب ولا بعده في معاملات الصرف والربا بعيد نادر أو محال فلا يبقى إذن حلال إلا الصيد والخبث في الصحارى والمواضع والمقار والخطيب المباح ثم من يحصله لا يقدر على أكله فيفتقر إلى أن يشتري به الحبوب والحيوانات التي لا تحصل إلا بالاستقنيات والتوالد فيكون قد بذل حلالا في مقابلة حرام فهذا هو أحد الطرق تحيلا . والجواب أن هذه القلة لم تنشأ من كثرة الحرام المخلوط بالحلال فخرج عن النمط الذي نحن فيه والتحق بما ذكرناه من قبل وهو تمارض الأصل والغالب إذ الأصل في هذه الأموال قبولها للتصرفات وجواز التراضي عليها وقد طرأ سبب غالب يخرجها عن صلاحه فيضاهي هذا محل القولين للشافعي رضي الله عنه في حكم النجاسات والصحيح عندنا أنه تجوز الصلاة في الشوارع إذا لم يجد فيها نجاسة فإن طين الشوارع طاهر وأن الوضوء من أواني الشركين جائز وأن الصلاة في المقابر المبنية بجائزة فنثبت هذا أولا ثم نقيس ما نحن فيه عليه ويدل على ذلك توضع رسول الله صلى الله عليه وسلم من مزادة مشركة ، وتوضؤ عمر رضي الله عنه من جرة نصرانية ، مع أن مشربهم الخمر ومطعمهم الخنزير ولا يحترزون عما نجسه شرعنا ، فكيف تسلم أوانيهم من أيديهم ، بل نقول نعلم قطعا أنهم كانوا يلبسون القراء المدبوغة والثياب المصبوغة والمقصورة ومن تأمل أحوال الدباغين والقصارين والصباغين علم أن الغالب عليهم النجاسة والطهارة في تلك الثياب محال أو نادر ، بل نقول نعلم أنهم كانوا يأكلون خبز البر والشعير ولا يسلونه مع أنه يداس بالقر والحيوانات وهي تبول عليه وتروث وقفا يخلص منها ، وكانوا يركبون الدواب وهي تمرق وما كانوا يسلون ظهورها مع كثرة تمرغها في النجاسات بل كل دابة تخرج من بطن أمها وعليها رطوبات نجسة قد تزيلها الأمطار وقد لا تزيلها وما كان يحترز عنها ، وكانوا يمشون حفاة في الطرق وبالجمال ويصلون معها ويجلسون على التراب ويمشون في الطين من غير حاجة ، وكانوا لا يمشون في البول والعذرة ولا يجلسون عليهما ويستترهون منه ، ومتى تسلم الشوارع عن النجاسات مع كثرة الكلاب وأبوالها وكثرة الدواب وأرواثها ، ولا ينبغي أن نظن أن الأعصار أو الأمصار تختلف في مثل هذا حتى يظن أن الشوارع كانت تفضل في عصرهم أو كانت تهرس من الدواب هيات فذلك معلوم استحالة بالعادة قطعا فدل على أنهم لم يحترزوا إلا من نجاسة مشاهدة أو علامة على النجاسة دالة على العين ، فأما الظن الغالب الذي يستتر من ردة هيراهم إلى مجارى الأحوال فلم يمتدروا وهذا عند الشافعي رحمه الله وهو يرى أن الماء القليل ينجس من غير تغير واقع .

أن ابن عمر خرج من المدينة قاصدا إلى بيت المقدس وصلى فيه الصلوات الخمس ثم أسرع راجعا إلى المدينة من القدس . ثم إذا من الله على الصادق بإحكام أمور بدايته قلبه في الأسفار ومنحه الحفظ من الاعتبار وأخذ نصيه من العلم قدر حاجته واستفاد من مجاورة الصالحين وانتش في قلبه فوائد النظر إلى حال للتبين وتطربا بطنه باستنشاق عرف معارف المقربين وتحصن بحماية نظر أهل الله وخاصته وسير أحوال النفس وأسفر السفر عن دلائل أخلاقها وشهواتها الخفية وسقط عن باطنه نظر الخلق وصار يطلب ولا يطلب كما قال الله تعالى إخبارا عن موسى - ففررت منكم لما خفتكم فوهد لي ربي حكما وجعلني من المرسلين - فعد ذلك

إذ لم يزل الصحابة يدخلون الحمامات ويتوضؤون من الحياض وفيها المياه القليلة والأبدى المختلفة تسمى فيها على الدوام وهذا قاطع في هذا الغرض ومهما ثبت جواز التوضؤ من جرة نصرانية ثبت جواز شربه والتحقيق حكم الحل بحكم النجاسة . فان قيل لا يجوز قياس الحل على النجاسة إذ كانوا يتوسعون في أمور الطهارات ويعتزلون من شبهات الحرام غاية التحرز فكيف يقاس عليها . قلنا إن أريد به أنهم صلوا مع النجاسة والصلاة معها محبة وهي عماد الدين فبش الظن بل يجب أن نتقدم فيهم أنهم احترزوا عن كل نجاسة وجب اجتنابها وإنما تسامحوا حيث لم يجب وكان في محل تسامحهم هذه الصورة التي تعارض فيها الأصل والغالب فبان أن الغالب الذي لا يستند إلى علامة تتعلق بعين ما فيه النظر مطرح وأما تورعهم في الحلال فكان بطريق التقوى وهو ترك ما لا بأس به مخافة ما به بأس لأن أمر الأموال مخوف والنفس تميل إليها إن لم تضبط عنها وأمر الطهارة ليس كذلك فقد امتنع طائفة منهم عن الحلال المحض خيفة أن يشغل قلبه . وقد حكى عن واحد منهم أنه احترز من الوضوء بماء البحر وهو الطهور المحض فالإقتراق في ذلك لا يقدح في الغرض الذي أجمنا فيه على أن تجري في هذا الاستنداد على الجواب الذي قدمناه في المستدين السابقين ولا نسلم ما ذكره من أن الأكثر هو الحرام لأن المال وإن كثرت أصوله فليس بواجب أن يكون في أصوله حرام بل الأموال الوجودية اليوم مما تطرق الظلم إلى أصول بعضها دون بعض وكما أن الذي يتبدأ غصبه اليوم هو الأقل بالإضافة إلى ما لا يغصب ولا يسرق فهكذا كل مال في كل عصر وفي كل أصل فالمغصوب من مال الدنيا والتناول في كل زمان بالفساد بالإضافة إلى غيره أقل ولنا ندري أن هذا الفرع بعينه من أي القسمين فلانسلم أن الغالب تحريره فانه كإزالة المغصوب بالتوالد يزبد غير المغصوب بالتوالد فيكون فرع الأكثر لا محالة في كل عصر وزمان أكثر بل الغالب أن الحبوب المنصوبة تنصب للأكل لا للبذر وكذا الحيوانات المنصوبة أكثرها يؤكل ولا يقتنى للتوالد فكيف يقال إن فروع الحرام أكثر ولم تزل أصول الحلال أكثر من أصول الحرام وليتفهم المترشد من هذا طريق معرفة الأكثر فانه مزلة قدم وأكثر العلماء يغلطون فيه فكيف العوام هذا في التولدات من الحيوانات والحبوب فأما المعادن فانها مخلقة مسجلة يأخذها في بلاد الترك وغيرها من شاء ولكن قد يأخذ السلاطين بعضها منهم أو يأخذون الأقل لا محالة إلا أكثر ومن حاز من السلاطين معدن فظلمه بمنع الناس منه فأما ما يأخذه الآخذ منه فيأخذه من السلطان بأجرة والصحيح أنه يجوز الاستئابة في إثبات اليد على الباحات والاستتجار عليها فالاستئجار على الاستئابة إذا حاز الماء دخل في ملك المستقي له واستحق الأجرة فكذلك النيل فإذا فرغنا على هذا لم تحرم عين الذهب إلا أن يقدر ظلمه بنقصان أجرة العمل وذلك قليل بالإضافة ثم لا يوجب تحريم عين الذهب بل يكون ظالما ببقاء الأجرة في ذمته وأما دار الضرب فليس الذهب الخارج منها من أعيان ذهب السلطان الذي غصبه وظلم به الناس بل التجار يحملون إليهم الذهب المسبوك أو النقد الرديء ويستأجرونهم على السبك والضرب ويأخذون مثل وزن ما سلموه إليهم إلا شيئا قليلا يتركونه أجرة لهم على العمل وذلك جائز وإن فرض دنائير مضروبة من دنائير السلطان فهو بالإضافة إلى مال التجار أقل لا محالة ، نعم السلطان يظلم أجراء دار الضرب بأن يأخذ منهم ضريبة لأنه خصصهم بها من بين سائر الناس حتى توفر عليهم ماله بحشمة السلطان فما يأخذه السلطان عوض من حشمة وذلك من باب الظلم وهو قليل بالإضافة إلى ما يخرج من دار الضرب فلا يسلم لأهل دار الضرب والسلطان من جملة ما يخرج منه من المائة واحد وهو عشر العشر فكيف يكون هو الأكثر فهذه أغاليط سبقت إلى القلوب بالوهم وتشمر لتزيينها جماعة ممن رقى دينهم حتى قبحوا الورع وسدوا بابها واستقبحوا تمييز من يميز بين مال ومال وذلك عين البدع والضلالات . فان قيل فلو قدر

يرده الحق إلى مقامه
وعنده يجزى له إمامه
ويجعله إماما للمؤمنين به
يقتدى وعلم للمؤمنين
به يهتدى . وأما الذي
أقام في بدايته وسافر
في نهايته يكون ذلك
شخصا يسر الله له في
بداية أمره محبة صحيحة
وقيض له شيئا عالما
يسلك به الطريق
ويدرجه إلى منازل
التحقيق في لازم موضع
إرادته ويلتزم بصحة
من يرد عنه عادته
وقد كان الشبل يقول
للحضري في ابتداء
أمره إن خطر يالك
من الجمعة إلى الجمعة غير
الله فحرام عليك أن
تعصني فمن رزق
مثل هذه الصحة
يحرم عليه السفر
فالصحة خير له من
كل سفر وفضيلة
يقصدها . أخبرنا رضي
الدين أبو الخير أحمد
ابن اسمعيل القزويني
إجازة قال أنا أبو
الظفر عبد النعم بن

غلبة الحرام. وقد اختلط غير محصور بغير محصور فإذا تقولون فيه إذا لم يكن في المعين للتناولة علامة خاصة . فنقول الذي نراه أن تركه ورجع وأن أخذه ليس بحرام لأن الأصل الحل ولا يرفع الإجماع معينة كافي طين الشوارع ونظائرهما بل أزيد . وأقول : لو طبق الحرام الدنيا حتى علم يقينا أنه لم يبق في الدنيا لسكنت أقول نستأنف تمهيد الشروط من وقتنا ونعفو عما سلف وقول ما جاوز حده انعكس إلى ضده فهما حرم الكل حل الكل ، وبرهانه أنه إذا وقعت هذه الواقعة فالاختلالات خمسة : أحدها أن يقال يمنع الناس إلا كل حتى يموتوا من عند آخرهم . الثاني أن يقتصروا منها على قدر الضرورة وسد الرمي يزجون عليها أياما إلى اللوث . الثالث أن يقال يتناولون قدر الحاجة كيف شاءوا سرقة وغصبا وتراضيا من غير تمييز بين مال ومال وجهه وجهة . الرابع أن يتبعوا شروط الشرع ويستأنفوا قواعده من غير اقتصار على قدر الحاجة . الخامس أن يقتصروا مع شروط الشرع على قدر الحاجة أما الأول فلا يخفى بطلانه وأما الثاني فباطل قطعاً لأنه إذا اقتصر الناس على سد الرمي وزجوا أو قامهم على الضعف فشا فيهم الموتان وبطلت الأعمال والصناعات وخرت الدنيا بالكسبية وفي خراب الدنيا خراب الدين لأنها مزرعة الآخرة وأحكام الخلافة والقضاء والسياسات بل أكثر أحكام الفقه مقعودها حفظ مصالح الدنيا لئيمها مصالح الدين وأما الثالث وهو الاقتصار على قدر الحاجة من غير زيادة عليه مع التسوية بين مال ومال بالنصب والسرقة والتراضي وكيفما اتفق فهو رفع لسد الشرع بين الفسدين وبين أنواع الفساد فتحت الأيدي بالنصب والسرقة وأنواع الظلم ولا يمكن زجرهم منه إذ يقولون ليس يتميز صاحب اليد باستحقاق عاقبته حرام عليه وعلينا وذو اليد له قدر الحاجة فقط فإن كان هو محتاجا فإنا أيضا محتاجون وإن كان الذي أخذته في حق زائدا على الحاجة فقد سرقته ممن هو زائد على حاجته يومه وإذا لم يراع حاجته اليوم والسنة فما الذي يراعى وكيف يضبط وهذا يؤدي إلى بطلان سياسة الشرع وإغراء أهل الفساد بالفساد فلا يبقى إلا الاحتمال الرابع وهو أن يقال كل ذي يد على ما في يده وهو أولى به لا يجوز أن يؤخذ منه سرقة وغصبا بل يؤخذ برضاه والتراضي هو طريق الشرع وإذا لم يجز إلا بالتراضي فللتراضي أيضا مناج في الشرع تتعلق به الصالح فإن لم يعتبر فلم يتميز أصل التراضي وتقطعت تفصيله . وأما الاحتمال الخامس وهو الاقتصار على قدر الحاجة مع الاكتساب بطريق الشرع من أصحاب الأيدي فهو الذي نراه لا نقا بالورع لمن يريد سلوك طريق الآخرة ولكن لا وجه لا يجابه على الكفاية ولا لإدخاله في فتوى العامة لأن أيدي الظلمة تمتد إلى الزيادة على قدر الحاجة في أيدي الناس وكذا أيدي السراق وكل من غلب سلب وكل من وجد فرصة سرق ويقول لاحق له إلا في قدر الحاجة وأنما محتاج ولا يبقى إلا أن يجب على السلطان أن يخرج كل زيادة على قدر الحاجة من أيدي الملاك ويستوعبها أهل الحاجة ويدير على الكل الأموال يوما فيوما أوسنة فسنه وفيه تكليف شطط وتضييع أموال . أما تكليف الشطط فهو أن السلطان لا يقدر على القيام بهذا مع كثرة الخلق بل لا يتصور ذلك أصلا وأما التضييع فهو أن ما فضل عن الحاجة من الفواكه واللحوم والحبوب ينبغي أن يلقى في البحر أو يترك حتى يتعفن فإن الذي خلقه الله من الفواكه والحبوب زائد على قدر توسع الخلق وترفعهم فكيف على قدر حاجتهم ثم يؤدي ذلك إلى سقوط الحجج والزكاة والكفارات المالية وكل عبادة نيطت بالثني عن الناس إذا أصبح الناس لا يملكون إلا قدر حاجتهم وهو في غاية القبح بل أقول لو ورد نبي في مثل هذا الزمان لوجب عليه أن يستأنف الأمر ويعهد تفصيل أسباب الأملاك بالتراضي وسائر الطرق ويفعل ما يفعله لو وجد جميع الأموال حلالا من غير فرق وأعني بقولي يجب عليه إذا كان النبي ممن بعث لمصلحة الخلق في دينهم ودنياهم إذ لا يتم الصلاح برد الكفاية إلى قدر الضرورة والحاجة إليه فإن لم يبعث للصالح لم يجب هذا ونحن نجوز أن يقدر الله سببا يهلك به الخلق عن آخرهم فيفوت دينهم ويضلون في دينهم فانه يضل من يشاء ويهتدي من

عبد الكريم بن
هوازن القشيري عن
والده الأستاذ أبي
القاسم قال سمعت محمد
ابن عبد الله الصوفي
يقول سمعت عياش بن
أبي الصخر يقول يقول
أبا بكر الزقاق يقول
لا يكون المرید مریدا
حتى لا يكتب عليه
صاحب الشمال شيئا
عشرين سنة فمن رزق
صحة من يندبه إلى
مثل هذه الأحوال
السنية والعزائم القوية
يحرم عليه المفاخرة
واختيار السفر ثم إذا
أحكم أمره في الابتداء
بازروم الصعبة وحسن
الاقتداء وارتوى من
الأحوال وبلغ مبلغ
الرجال وانجس من
قلبه عيون ماء الحياة
وصارت نفسه مكسبة
للسعادات يستنشق
نفس الرحمن من صدور
الصادقين من الإخوان
في أقطار الأرض
وشاسع البلدان يشرب
إلى التلاق وينبث

يشاء ويميت من يشاء ويحيى من يشاء ولكننا نقدر الأمر جاريا على ما ألف من سنة الله تعالى في بعثة الأنبياء أصلاح الدين والدنيا ومال أنذر هذا وقد كان ما أقدره فلقد بعث الله نبينا صلى الله عليه وسلم على فترة من الرسل وكان شرع عيسى عليه السلام قد مضى عليه قريب من ستانة سنة والناس متعممون إلى مكذبين له من اليهود وعبدة الأوثان وإلى مصدقين له قدشاع الفسق فيهم كاشاع في زماننا الآن والكفار غناطون بفروع الشريعة والأموال كانت في أيدي المكذبين له وللصدقين أما للكاذبون فكانوا يتعاملون بغير شرع عيسى عليه السلام وأما الصدقون فكانوا يتعاملون مع أصل التصديق كما يتساهل الآن المسلمون مع أن العهد بالنبوة أقرب فكانت الأموال كلها أو أكثرها أو كثير منها حراما وعفا عليه السلام عما سلف ولم تعرض له وخصص أصحاب الأيدي بالأموال ومهدا الشرع ومثبت تحريره في شرع لا يتقلب جلالا ليعترض رسول ولا يتقلب جلالا بأن يسلم الذي في يده الحرام فانا لا نأخذ في الجزية من أهل الذمة ما نعرفه بعينه أنه نحن خير أومال ربا فقد كانت أموالهم في ذلك الزمان كأموالنا الآن وأمر العرب كان أشد لعموم النهب والغارة فيهم فبان أن الاحتمال الرابع متعين في الفتوى والاحتمال الخامس هو طريق الورع بل تمام الورع الاتصاف في الباج على قدر الحاجة وترك التوسع في الدنيا بالكلية وذلك طريق الآخرة ونحن الآن نتكلم في الفقه النوط بمصالح الخلق وتوى الظاهر له حكم ومنهاج على حسب مقتضى المصالح وطريق الدين الذي لا يقدر على سلوكه إلا الآحاد ولواشغل الخلق كلهم به لبطل النظام وخرب العالم فان ذلك طلب ملك كبير في الآخرة ولواشغل كل الخلق بطلب ملك الدنيا وتركوا الحرف الدينية والصناعات الحسنيات لبطل النظام ثم يطل يطلانه الملك أيضا فالمحترفون إنما سخروا لينتظم الملك للملوك وكذلك القبلون على الدنيا سخرها ليسلم طريق الدين لدوى الدين وهو ملك الآخرة ولولاها لماسلم لدوى الدين أيضا دينهم فشرط سلامة الدين لهم أن يمرض الأكثرون عن طريقهم ويستغلوا بأموال الدنيا وذلك قسمة سبقت بها المشيئة الأزلية وإليه الإشارة بقوله تعالى - نحن قسمنا بينهم معيشتهم في الحياة الدنيا ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات ليتخذ بعضهم بعضا سخريا - فان قيل لا حاجة إلى تقدير عموم التحريم حتى لا يبقى حلال فان ذلك يرواقع وهو معلوم ولا شك في أن البعض حرام وذلك البعض هو الأقل أو الأ أكثر فيه نظر وما ذكرتموه من أنه الأقل بالإضافة إلى الكل جلى ولكن لا بد من دليل يحصل على تجويزه ليس من المصالح الرسالة وما ذكرتموه من التفسيرات كلها مبالغ مرسلة فلا بد لها من شاهد معين تقاس عليه حتى يكون الدليل مقبولا بالاتفاق فان بعض العلماء لا يقبل المصالح الرسالة . فأقول إن سلم أن الحرام هو الأقل فيكفي بنا برهاننا عصر رسول الله صلى الله عليه وسلم والصحابة مع وجود الربا والسرقة والغلول والنهب وإن قدر زمان يكون الأكثر هو الحرام فيعمل التناول أيضا فبرهانه ثلاثة أمور . الأول: التقسيم الذي حصرناه وأبطلنا منه أربعة وأثبتنا القسم الخامس فان ذلك إذا أجرى فيما إذا كان الكل حراما كان أخرى فيما إذا كان الحرام هو الأكثر والأقل وقول القائل هو مصلحة رسالة هوس فان ذلك إنما نخيل من تخيله في أمور مظنونة وهذا مقطوع به فانا لا نشك في أن مصلحة الدين والدنيا مراد الشرع وهو معلوم بالضرورة وليس يظنون ولا شك في أن رد كافة الناس إلى قدر الضرورة أو الحاجة أو إلى الخشيش والصيد مخرب للدنيا أولا وللدين بواسطة الدنيا ثانيا فانه لا يشك فيه لا يحتاج إلى أصل يشهد له وإنما يستشهد على الحيات المظنونة المتعلقة بأحاد الأشخاص . البرهان الثاني : أن يعلى قياس محرر مردود إلى أصل يتفق الفقهاء الآنسون بالآقيسة الجزئية عليه وإلا كانت الجزئيات مستحقة عند المصلين بالإضافة إلى مثل ما ذكرناه من الأمر الكلى الذي هو ضرورة النبي لو بعث في زمان عم التحريم فيه حتى لو حكم بغيره لحرب العالم والقياس المهرر الجزئي هو أنه قد تناقض

إلى الطواف في الآفاق
يسيره الله تعالى في
البلاد لقائدة العباد
ويستخرج بمخاطب
حاله خب أهل الصدق
والتطمين إلى من
يخبر عن الحق ويذر
في أراضى القلوب ينذر
الفلاح ويكثر بركة
نفسه وصحبته أهل
الصلاح وهذا مثل
هذه الأمة الهادية في
الإنجيل كزراع أخرج
شطاء فأزروه فاستغلظ
فاستوى على سوقه
تعود بركة البعض
على البعض وتسرى
الأحوال من البعض
إلى البعض ويكون
طريق الوراثة معمورا
وعلم الإفادة منشورا .
أخبرنا شيخنا قال أنا
الإمام عبد الحبار البيهقي
في كتابه قال أنا
أبو بكر البيهقي قال
أنا أبو علي الروذباري
قال ثنا أبو بكر بن
داست قال ثنا أبو داود
قال أنا يحيى بن أيوب
قال ثنا اسماعيل بن

أصل وغالب فيما انقطعت فيه العلامات العينة من الأمور التي ليست محصورة فيحكم بالأصل لا بالغالب قياساً على طين الشوارع وجرة التصرانية وأواني الشرابين وذلك قد أثبتناه من قبل بفعل الصحابة وتولنا انقطعت العلامات العينة احتراز عن الأواني التي يتطرق الاجتهاد إليها وقولنا ليست محصورة احتراز عن التباس اللينة والرضيعة بالذكية والأجنبية . فان قيل كون الماء طهوراً مستيقن وهو الأصل ومن يسل أن الأصل في الأموال الحل بل الأصل فيها التحريم . فنقول الأمور التي لا تحرم لصفة في عينها حرمة الحر والخنزير خلقت على صفة تستعد لقبول للعلامات بالتراضي كما خلق للماء مستعداً للوضوء وقد وقع الشك في بطلان هذا الاستعداد منهما فلا فرق بين الأمرين فإنها تخرج عن قبول المعاملة بالتراضي بدخول الظلم عليها كما يخرج الماء عن قبول الوضوء بدخول النجاسة عليه ولا فرق بين الأمرين . والجواب الثاني أن اليد دلالة ظاهرة دالة على الملك نازلة منزلة الاستصحاب وأقوى منه بدليل أن الشرع ألحقه به إذ من ادعى عليه دين فالتقول قوله لأن الأصل براءة ذمته وهذا استصحاب ومن ادعى عليه ملك في يده فالتقول أيضاً قوله إقامة لليد مقام الاستصحاب فكل ما وجد في يد إنسان فالأصل أنه ملكه ما لم يدل على خلافه علامة معينة . البرهان الثالث : هو أن كل ما دل على جنس لا يحصر ولا يدل على معين لم يعتبر وإن كان قطعاً بأن لا يعتبر إذا دل بطريق الظن أولى وبأنه أن ما علم أنه ملك زيد فحقه من التصرف فيه بغير إذنه ولو علم أن له مالاً في العالم ولكن وقع اليأس عن الوقوف عليه وعلى وارثه فهو مال مرصود لمصالح المسلمين يجوز التصرف فيه بحكم المصلحة ولو دل على أن له مالاً محصوراً في عشرة مثلاً أو عشرين امتنع التصرف فيه بحكم المصلحة فالذي يشك في أن له مالاً سوى صاحب اليد أم لا لا يزيد على الذي يتيقن قطعاً أن له مالاً ولكن لا يعرف عينه فليجز التصرف فيه بالمصلحة والمصلحة ما ذكرناه في الأقسام الخمسة فيكون هذا الأصل شاهداً له وكيف لا وكل مال ضائع فقد مالكة بصرفه السلطان إلى المصالح ومن المصالح الفقراء وغيرهم فلو صرف إلى فقير ملكه ونفذ فيه تصرفه فلو سرقة منه سارق قطعت يده فكيف نفذ تصرفه في ملك الغير ليس ذلك إلا لحكمنا بأن المصلحة تقتضي أن ينتقل الملك إليه ويحل له قضيتها بموجب المصلحة . فان قيل ذلك يخص بالتصرف فيه السلطان . فنقول والسلطان لم يجوز له التصرف في ملك غيره بغير إذنه لاسبابه إلا المصلحة وهو أنه لو ترك لضاع فهو مردد بين تضيقه وصرفه إلى مهم والعرف إلى مهم أصلح من التضيق فرجع عليه والمصلحة فيما يشك فيه ولا يلزم تحريره أن يحكم فيه بدلالة اليد ويترك على أرباب الأيدي إذا تزعاعها بالشك وتسكينهم الاقتصار على الحاجة يؤدي إلى الضرر الذي ذكرناه وجهات المصلحة تختلف فان السلطان تارة يرى أن المصلحة أن يبنى بذلك المال قنطرة وتارة أن يصرفه إلى جند الإسلام وتارة إلى الفقراء ويدور مع المصلحة كيفما دارت وكذلك الفتوى في مثل هذا تدور على المصلحة وقد خرج من هذا أن الخلق غير مأخوذ في أعيان الأموال بظنون لا تستند إلى خصوص دلالة في ملك الأعيان كالمؤاخذ السلطان والفقراء الآخذون منه بملهم أن المال له مالك حيث لم يتعلق العلم بعين مالك مضاف إليه ولا فرق بين عين المال وبين عين الأملاك في هذا المعنى فهذا بيان شبهة الاختلاط ولم يبق إلا النظر في امتزاج المائعات والدرهم والعروض في يد مالك واحد وسأيت بياناً في باب تفصيل طريق الخروج من الظلم .

(لثار الثالث للشبهة أن يتصل بالسبب المحلل معصية)

إما في قرائنه وإما في لواحقه وإما في سوابقه أو في عومته وكانت من المعاصي التي لا توجب فساد العقد وإبطال السبب المحلل . مثال المعصية في القرائن : البيع في وقت النداء يوم الجمعة والبيع بالسكين

جنفر قال أخبرني العلامة ابن عبد الرحمن عن أبيه عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « من دعا إلى هدى كان له من الأجر مثل أجور من اتبعه لا ينقص ذلك من أجورهم شيئاً ومن دعا إلى ضلالة كان عليه من الإثم مثل آثام من اتبعه لا ينقص ذلك من آثامهم شيئاً » فأما من أقام ولم يسافر يكون ذلك شخصاً ربه الحق سبحانه وتعالى وتولاه وفتح عليه أبواب الخير وجذبه بضائته . وقد ورد جذبهم جذبات الحق توازي عمل الثقلين ثم لما علم منه الصدق ورأى حاجته إلى من ينتفع به ساق إليه بعض الصديقين حتى أيده بلطفه ولطفه وتداركه بلطفه ولطفه بقوة حاله وكفاه يسير الصعبة لكمال

للمصوبة والاحتطاب بالتقدم للنصب والبيع على بيع الغير والسوم على سومه فكل من ورد في العقود ولم يدل على فساد العقد فإن الامتناع من جميع ذلك ورع وإن لم يكن الاستفادة هذه الأساليب محكوماً بتحريمه وتسمية هذا النمط شبهة فيه تسمع لأن الشبهة في غالب الأمر تطلق لإرادة الاشتباه والجهل ولا اشتباه هنا بل العيان بالدعج بسكين الغير معلوم وحل الديعة أيضاً معلوم ولكن قد تشتق الشبهة من المشابهة وتناول الحاصل من هذه الأمور مكروه والكراهة تشبه التحريم فإن أريد بالشبهة هذا فتسمية هذا شبهة له وجه وإلا فينبغي أن يسمى هذا كراهة لا شبهة وإذا عرف المعنى فلا مشاحة في الأسامي فساد الفقهاء التماسح في الاطلاقات. ثم اعلم أن هذه الكراهة لها ثلاث درجات : الأولى منها تقرب من الحرام والورع عنه مهم والأخيرة تنهى إلى نوع من المبالغة تكاد تلتحق بورع اللوسوسين وبينهما أوساط نازعة إلى الطرفين فالكراهة في صيد كلب منصوب أشد منها في الديعة بسكين منصوب أول للقتنص بسهم منصوب إذ الكلب له اختيار وقد اختلف في أن الحاصل به لمالك الكلب أو للصيد ويلييه شبهة البذر وللزروع في الأرض للمصوبة فإن الزرع لمالك البذر ولكن فيه شبهة ولو أثبتنا حق الحبس لمالك الأرض في الزرع لكان كالتفنن الحرام ولكن الأقيس أن لا يثبت حق حبس كما لو طعن بطاحونة منصوبة واقتنص بشبكة منصوبة إذ لا يتعلق حق صاحب الشبكة في منعها بالصيد ويلييه الاحتطاب بالتقدم للنصب ثم ذبحه ملك نفسه بالسكين للنصب إذ لم يذهب أحد إلى تحريم الديعة ويلييه البيع في وقت النداء فإنه ضعيف التعلق عقصود العقد وإن ذهب قوم إلى فساد العقد إذ ليس فيه إلا أنه اشتغل بالبيع عن واجب آخر كان عليه ولو أفسد البيع عتله لأفسد بيع كل من عليه درهم زكاة أو صلاة فائتة وجوبها على الفور أو في ذمته مظلمة دانت فإن الاشتغال بالبيع مانع له عن القيام بالواجبات فليس للجمعة إلا الوجوب بعد النداء وينجر ذلك إلى أن لا يصح نكاح أولاد الظلمة وكل من في ذمته درهم لأنه اشتغل بقوله عن الفعل الواجب عليه إلا من حيث ورد في يوم الجمعة نهى على الخصوص ربما سبق إلى الأفهام خصلية فيه فتكون الكراهة أشد ولا بأس بالحذر منه ولكن قد ينجر إلى الوسواس حتى يتخرج عن نكاح بنات أرباب المظالم وسائر ممالئهم . وقد حكى عن بعضهم أنه اشترى شيئاً من رجل فسمع أنه اشتراه يوم الجمعة فردّه خيفة أن يكون ذلك مما اشتراه وقت النداء وهذا غاية المبالغة أنه رد بالشك ومثل هذا الوهم في تقدير الناهي أو للفسادات لا يتقطع عن يوم السبت وسائر الأيام والورع حسن والمبالغة فيه أحسن ولكن إلى حد معلوم فقد قال عليه السلام « هلك المتطعمون »^(١) فليحذر من أمثال هذه المبالغات فإنها وإن كانت لا تضر صاحبها ربما أوهم عند الغير أن مثل ذلك مهم ثم سجز عما هو أيسر منه فترك أصل الورع وهو مستند أكثر الناس في زماننا هذا إذ ضيق عليهم الطريق فأبسوا عن القيام به فاطرحوه فسكاً أن اللوسوس في الطهارة قد يسجز عن الطهارة فتركها فكذا بعض اللوسوسين في الحلال المسبق إلى أوهاهم أن مال الدنيا كله حرام فتوسموا فتركوا التمييز وهو عين الضلال . وأما مثال الواحق : فهو كل تصرف يفضي في سياقه إلى مصيبة وأغلاء بيع العنب من الحمار وبيع الغلام من العروف بالفجور بالغلان وبيع السيف من قطاع الطريق وقد اختلف العلماء في صحة ذلك وفي حل الثمن للأخوذ منه والأقيس أن ذلك صحيح ولما أخوذ حلال والرجل عاص بمقده كما يصح بالدعج بالسكين للنصب والديعة حلال وإن كان يصح عيان الإغانة على للمصبة إذ لا يتعلق ذلك بين العقد لما أخوذ من هذا مكروه كراهة شديدة وترك من نورع المهم وليس بحرام ويلييه في الرتبة بيع العنب ممن يشرب الخمر ولم يكن خماراً وبيع السيف ممن يضرب ويظلم أيضاً

(١) حديث هلك المتطعمون مسلم من حديث ابن مسعود وتقدم في قواعد العقائد .

الأهلية في صاحب
والصحب وإجراء
سنة الله تعالى في إعطاء
الأسباب حتم الأقامة
رسم الحكمة يحوج
إلى يسير الصعبة فيتنبه
بالقليل للكثير وينتبه
اليسير من الصعبة عن
المحظا الكبير ويكتفي
بوافر حظ الاستبصار
عن الأسفار ويتعوض
بأشعة الأنوار عن
مطالعة الغير والآثار
كما قال بعضهم الناس
يقولون افحصوا
أعينكم وأبصروا وأنا
أقول غمضوا أعينكم
وأبصروا . وصحت
بعض الصالحين يقول
لله عباد طور سيناء
ركبهم تكون ذرهم وسهم
على ركبهم وهم
في عز القرب فمن
يتبع له معين
الحياة في ظلمة خلونه
فماذا يصنع بدخول
الظلمات ومن اندرج
له أطباق السموات
في طي شهبه ماذا
يصنع بتقلب طرفه في

لأن الاحتمال قد تعارض وقد كره السلف بيع السيف في وقت الفتنة خفية أن يشتريه ظاهراً فهذا وزع فوق الأول والكرهية فيه أخف ويليه ما هو مبالغة ويكاد يلتحق بالوسواس وهو قول جماعة أنه لا يجوز معاملة الفلاحين بآلات الحرث لأنهم يستعينون بها على الحرثة ويبيعون الطعام من الظلمة ولا يبيع منهم البقر والغدان وآلات الحرث وهذا ورع الوسوسة إذ ينجر إلى أن لا يبيع من الفلاح طعام لأنه يتقوى به على الحرثة ولا يسقى من الماء العام لذلك وينتهي هذا إلى حد التنطع للنهي عنه وكل متوجه إلى شيء على قصد خير لا بد وأن يسرف إن لم يذمه العلم المحقق وربما يقدم على ما يكون بدعة في الدين ليستضر الناس بعده بها وهو يظن أنه مشغول بالخير ولهذا قال عليه السلام «فضل العالم على العابد كفضلي على أدنى رجل من أحماني» ^(١) والتنتطعون هم الذين يغشون عليهم أن يكونوا ممن قيل فيهم - الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا - وبالمجلة لا ينبغي للإنسان أن يشتغل بدقائق الورع إلا بحضرة عالم متقن فإنه إذ جاوز ما رسم له وتصرف بذهنه من غير مباح كان ما يفعله أكثر مما يصلحه وقد روى عن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه أنه أحرق كرمه خوفاً من أن يباع العنب ممن يتخذة خمرا وهذا لا أعرف له وجهاً إن لم يعرف هو سبباً خاصاً يوجب الإحراق إذ ما أحرق كرمه ونخله من كان أرفع قدراً منه من الصحابة ولوجاز هذا لجواز قطع الله كرمه خوفاً من الزنا وقطع اللسان خوفاً من الكذب. إلى غير ذلك من الإلتفات . وأما اللقدمات : فلتطرق المعصية إليها ثلاث درجات . الدرجة العليا التي تشتد الكراهة فيها : ما بقي أثره في التناول كالأكل من شاة علفت بلف مفصوب أو رعت في مرعى حرام فإن ذلك معصية وقد كان سبباً لبقائها وربما يكون الباقي من دمه والحمى وأجزائها من ذلك اللطف وهذا الورع مهم وإن لم يكن واجباً وتقل ذلك عن جماعة من السلف وكان لأبي عبد الله الطوسي التروغندي شاة يحملها على رقبته كل يوم إلى الصحراء ويرعاها وهو يصلي وكان يأكل من لبنها ففعل عنها ساعة فتناولت من ورق كرم على طرف بستان فتركها في البستان ولم يستحل أخذها . فإن قيل فقد روى عن عبد الله بن عمر وعبيد الله أنهما اشتريا إبلاً فبعثاها إلى الحمى فرعته إبلهما حتى سمحت فقال عمر رضي الله عنه أرعيتاها في الحمى فقالا نعم فشاطرها فهذا يدل على أنه رأى اللحم الحاصل من اللطف لصاحب اللطف فليوجب هذا تحريمها . قلنا ليس كذلك فإن اللطف يفسد بالأكل واللحم خلق جديد وليس عين اللطف فلا شركة لصاحب اللطف شرعاً ولكن عمر غرمها قيعة الكلاء ورأى ذلك مثل شطر الإبل فأخذ الشطر بالاجتهاد كما شاطر سعد بن أبي وقاص ماله لما أن قدم من الكوفة وكذلك شاطر أباهريرة رضي الله عنه إذ رأى أن كل ذلك لا يستحقه العامل ورأى شطر ذلك كافياً على حق عملهم وقدره بالشطر اجتهدا . الرتبة الوسطى : ما نقل عن بشر بن الحرث من امتناعه عن الماء الساقي في نهر اجتفره الظلمة لأن النهر موصل إليه وقد عصى الله بحفره وامتنع آخر عن عنب كرم يسقي بماء يجري في نهر حفر ظلماً وهو أرفع منه وأبلغ في الورع وامتنع آخر من الشرب من مصانع السلاطين في الطرق وأعلى من ذلك امتناع ذي النون من طعام حلال أوصل إليه على يد سجان وقوله إنه جاءني على يد ظالم ودرجات هذه الرتبة لا تنحصر . الرتبة الثالثة : وهي قريب من الوسواس والمبالغة أن يمتنع من حلال وصل على يد رجل عصى الله بالزنا أو القذف وليس هو كالأوعى بأكل الحرام فإن الوصول قوته الحاصلة من الغذاء الحرام والزنا والقذف لا يوجب قوة يستعان بها على الحمل بل الامتناع من أخذ حلال وصل على يد كافر وسواس بخلاف أكل الحرام إذ الكفر لا يتعلق بحمل الطعام وينجر هذا إلى أن لا يؤخذ من يد من عصى الله ولو بنية أو كذبة وهو غاية التنطع والإسراف فليضبط ما عرف من ورع ذي النون وبشر بالمعصية في السبب

(١) حديث فضل العالم على العابد كفضلي على أدنى رجل من أحماني تقدم في العلم .

السماوات ومن جمعت أحقاد بصيرته متفرقات السكائن ماذا يستفيد من طي الفلوات ومن خلص بخاصية فطرته إلى جمع الأرواح ماذا تفيد زيادة الأشباح . قيل أرسل ذوالنون المصري إلى أبي يزيد رجلاً وقال قل له إلى متى هذا النوم والراحة وقد صارت القافلة فقال للرسول قل لأخي الرجل من ينام الليل كله ثم يصبح في الزل قبل القافلة فقال ذوالنون هيثا له هذا كلام لا يبلغه أحوالنا . وكان بشر يقول يا ميمش القراء سيحوا تطيوا فان الماء إذا كثرت بكتته في موضع تغير وقيل قال بعضهم عند هذا الكلام صرخوا حتى لا تنفخ فإذا أدام الريد سير الباطن يقطع مسافة النفس الأمارة بالسوء حتى قطع منازل آفاتهما

الموصل كالنهر وقوة اليد الاستفادة بالغذاء الحرام ولو امتنع عن الشرب بالكوز لأن صانع الفخار الذي عمل الكوز كان قد عصى الله يوما بضرب إنسان أوشتمه لكان هذا وسواسا ولو امتنع من لحم شاة ساقها آكل حرام فهذا أبعد من يد السجان لأن الطعام يسوقه قوة السجان والشاة تسمى بنفسها والسائق يمتنع عن المعدول في الطريق فقط فهذا قريب من الوسواس فانظر كيف تدرجنا في بيان ما تدعى إليه هذه الأمور . واعلم أن كل هذا خارج عن فتوى علماء الظاهر فإن فتوى الفقيه تختص بالدرجة الأولى التي يمكن تكليف عامة الخلق بها ولو اجتمعوا عليه لم يخرب العالم دون ما عده من ورع التقيين والصالحين والفتوى في هذا ما قاله عليه السلام « لو أبصرت قلبك ما أبصرت قلبك » استفت قلبك وإن أتوك وأتوك وأتوك » وعرف ذلك إذ قال « الإثم حزاز القلوب (١) » وكل ما حاك في صدر المرء من هذه الأسباب فلما أقدم عليه مع حزازة القلب استغربه وأظلم قلبه بقدر الحزازة التي يجدها بل لو أقدم على حرام في علم الله وهو يظن أنه حلال لم يؤثر ذلك في قساوة قلبه ولو أقدم على ما هو حلال في فتوى علماء الظاهر ولكنه يجد حزازة في قلبه فذلك يضره وإنما الذي ذكرناه في النسي عن البالغة أردنا به أن القلب الصافي المعتدل هو الذي لا يجد حزازة في مثل تلك الأمور فإن مال قلب موسوس عن الاعتدال ووجد الحزازة فأقدم مع ما يجده في قلبه فذلك يضره لأنه مأخوذ في حق نفسه بينه وبين الله تعالى بفتوى قلبه وكذلك يشدد على الموسوس في الطهارة ونية الصلاة فإنه إذا غلب على قلبه أن الماء لم يصل إلى جميع أجزائه ثلاث مرات لغلبة الوسوسة فيجب عليه أن يستعمل الرابعة وصار ذلك حكما في حقه وإن كان محظا في نفسه أولئك قوم شددوا فشد الله عليهم ولذلك شدد على قوم موسى عليه السلام لما استقصوا في السؤال عن البقرة ولواخذوا أولا بعموم لفظ البقرة وكل ما ينطلق عليه الاسم لأجزأهم ذلك فلا تغفل عن هذه الدقائق التي رددناها نفيا وإثباتا فإن من لا يطلع على كنه الكلام ولا يحيط بمجامعه يوشك أن يزل في درك مقاصده . وأما المصية في العوض فله أيضا درجات . الدرجة العليا : التي تشتد الكراهة فيها أن يشتري شيئا في الذمة ويقضى ثمنه من غضب أو مال حرام فينظر فإن سلم إليه البائع الطعام قبل قبض الثمن بطيب قلبه فأكله قبل قضاء الثمن فهو حلال وتركه ليس بواجب بالإجماع أعني قبل قضاء الثمن ولا هو أيضا من الورع المؤكد فإن قضى الثمن بعد الأكل من الحرام فكأنه لم يقض الثمن ولو لم يقضه أصلا لكان متقلدا للمظلمة بترك ذمته مرتنة بالدين ولا يتقلب ذلك حراما فإن قضى الثمن من الحرام وأبرأه البائع مع العلم بأنه حرام قد برئت ذمته ولم يبق عليه إلا مظلمة تصرفه في الدرام الحرام بصرفها إلى البائع وإن أبرأه على ظن أن الثمن حلال فلا تحصل البراءة لأنه يبرئه مما أخذه إبراء استيفاء ولا يصلح ذلك للإبراء هذا حكم المشتري والإكل منه وحكم الذمة وإن لم يسلم إليه بطيب قلبه ولكن أخذه فأكله حرام سواء أكله قبل توفية الثمن من الحرام أو بعده لأن الذي نومي الفتوى به ثبوت حق الحبس للبائع حتى يتعين مملكته بإقباض النقد كاتمين ملك المشتري وإنما يطل حق حبسه إما بالإبراء أو بالاستيفاء ولم يجزئ شيئا منهما ولكنه أكل ملك نفسه وهو عاص به عصيان الراهن للطعام إذا أكله بغير إذن المرتهن وبينه وبين أكل طعام الغير فرق ولكن أصل التحريم شامل لهذا كله إذا قبض قبل توفية الثمن إما بطيب قلبه أو من غير طيب قلبه فأما إذا أوفى الثمن الحرام أو لا ثم قبض فإن كان البائع عالما بأن الثمن حرام ومع هذا أقبض المبيع بطل حق حبسه وبقي له الثمن في ذمته إذا ما أخذه ليس بشئ ولا يصير أكل المبيع حراما بسبب بقاء الثمن فأما إذا لم يعلم أنه حرام وكان بحيث لو علم لما رضى به ولا أقبض المبيع فحق حبسه لا يطل بهذا التلبس فأكله حرام محرم أكله المرهون إلى أن يبرئه أو يوفى من حلال

(١) حديث الإثم حزاز القلوب تقدم في العلم .

وبدل أخلاقها
للمنومة بالهمودة
وعائق الإقبال على
الله تعالى بالصدق
والإخلاص اجتمع له
المنفقات واستفاد في
حضرة أكثر من سفره
لكون السفر لا يخلو
من متاع وكلف
ومشوات وطوارق
ونوازل بتجدد الضعف
عن سياستها بالعلم
للضعفاء ولا يقدر على
تسليط العلم على
متجددات السفر
وطواره إلا الأقوياء
قال عمر بن الخطاب
رضي الله عنه للذي
زكى عنده رجلا : هل
صحبته في السفر الذي
يستدل به على مكرم
الأخلاق قال لا قال
ما أراك تعرفه فإذا
حفظ الله عبده في بداية
أمره من تشويش
السفر وثمرته بجمع العلم
وحسن الإقبال في
الحضر وساق إليه من
الرجال من اكتسب
به صلاح الحال قد

أورضى هو بالحرام ويرى فيصح إيراؤه ولا يصح رضاه بالحرام فهذا مقتضى الفقه ويان الحكم في الدرجة الأولى من الحل والحرمه فأما الامتناع عنه فمن الورع المله لأن المصية إذا امتكت من السبب الموصل إلى التئء تشتد الكراهية فيه كسابق وأقوى الأسباب للوصلة الثمن ولولا الثمن الحرام لما رضى البائع بتسليمه إليه فرضاء لا يخرج عنه كونه مكروها كراهية شديدة ولكن العدالة لا تخرم به وتزول به درجة التقوى والورع ولو اشترى سلطان مثلاً ثوباً أو أرضاً في الذمة وقبضه برضا البائع قبل توفية الثمن وسلمه إلى قيه أو غيره صلة أو خلعة وهو شاك في أنه سيقضى عنه من الحلال أو الحرام فهذا أخلف إذ وقع الشك في تطرق المصية إلى الثمن وتفاوت خفته بتفاوت كثرة الحرام وقتله في مال ذلك السلطان وما يغلب على الظن فيه وبعضه أشد من بعض والرجوع فيه إلى ما يتفرد في القلب . الرتبة الوسطى : أن لا يكون العوض غصباً ولا حراماً ولكن تبيعاً لمصية كالمسلم عوضاً عن الثمن عنباً والأخذ شارب الحمر أو سيفا وهو قاطع طريق فهذا لا يوجب تحريماً في مبيع اشتراه في الذمة ولكن يقتضى فيه كراهية دون الكراهية التي في الغصب وتفاوت درجات هذه الرتبة أيضاً بتفاوت غلبة للمصية على قابض الثمن وندوره ومهما كان العوض حراماً فبذله حرام وإن احتمل تحريمه ولكن أيسر بظن فبذله مكروه وعليه ينزل عندى التئء عن كسب الحجام وكراهته (١) إذ نهى عنه عليه السلام مرات ثم أمر بأن يلف الناضح (٢) وما سبق إلى الوهم من أن سببه مباشرة النجاسة والقذر فاسد إذ يجب طرده في الدباغ والكناس ولا قائل به وإن قيل به فلا يمكن طرده في القصاب إذ كيف يكون كسبه مكروها وهو بدل عن اللحم واللحم في نفسه غير مكروه وعامة القصاب النجاسة أكثر منه للحجام والفصاد فإن الحجام يأخذ الدم بالمحجعة ويمسحه بالقطنه ولكن السبب أن في الحجاماة والفصد تخريب بنية الحيوان وإخراجاً لدمه وبه قوام حياته والأصل فيه التحريم وإنما عمل بضرورة وتعلم الحاجة والضرورة بحسب واجتهاد وربما يظن نافعا ويكون ضاراً فيكون حراماً عند الله تعالى ولكن يحكم بحله بالظن والحسب ولذلك لا يجوز للفصاد فصدصى وعبد ومعتوه إلا بإذن وليه وقول طبيب ولولا أنه حلال في الظاهر لما أعطى عليه السلام أجرة الحجام (٣) ولولا أنه يحتمل التحريم لما نهى عنه فلا يمكن الجمع بين إعطائه ونهيه إلا باستبطاء هذا المعنى وهذا كان ينبغي أن نذكره في القرائن والقرونة بالسبب فإنه أقرب إليه . الرتبة السفلى : وهى درجة الموسوسين وذلك أن يحلف إنسان على أن لا يلبس من غزل أمه فباع غزلها واشترى به ثوباً فهذا لا كراهية فيه والورع عنه وسوسة وروى عن النيرة أنه قال في هذه الواقعة لا يجوز واستشهد بأن النبي ﷺ قال «لئن الله اليهود حرمت عليهم الخمر فباعوها وأكلوا أثمانها» (٤) وهذا غلط

أحسن إليه . قيل في تفسير قوله تعالى - ومن يتق الله يجعل له مخرجاً ويرزقه من حيث لا يحتسب - هو الرجل للقطع إلى الله يشكل عليه شيء من أمر الدين فيحت الله إليه من محل إشكاله فإذا ثبت قدمه على شروط البداية رزق وهو في القام من غير سفر ثمات النهاية فيستقر في الحضراتها وأبتداه وأقيم في هذا القام جمع من الصالحين وأما الذى أدام السفر فرأى صلاح قلبه وصحة حاله في ذلك يقول بعضهم اجتهد أن تكون كل ليلة ضيف مسجداً ولا تموت إلا بين منزلين . وكان من هذه الطبقة إبراهيم الخواص ما كان يقيم في بلد أكثر من أربعين يوماً وكان يرى أن أقام أكثر من أربعين يوماً يفسد عليه توكله فكان علم الناس

(١) حديث التئء عن كسب الحجام وكراهته ابن ماجه من حديث أبي مسعود الأنصارى والنسائى من حديث أبي هريرة بإسنادين صحيحين نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن كسب الحجام وللبخارى من حديث أبي جحيفة نهى عن غنم الدم ولمسلم من حديث رافع بن خديج كسب الحجام خبيث (٢) حديث نهى عنه مرات ثم أمر بأن يلف الناضح أبو داود والترمذى وحسنه وابن ماجه من حديث محبسة أنه استأذن النبي صلى الله عليه وسلم في إجارة الحجام فنهأ عنها فلم يزل يسأل ويستأذن حتى قال ألعفه ناضحك وأطعمه رقيقك وفي رواية لأحمد أنه زجره عن كسبه فقال ألا أطعمه أبتاماً إلى قال لا قال أفلا أتصدق به قال لا فرخص له أن يلفه ناضحه (٣) حديث أعطى رسول الله صلى الله عليه وسلم أجرة الحجام متفق عليه من حديث ابن عباس (٤) حديث للنيرة أن النبي صلى الله عليه وسلم لئن اليهود حرمت عليهم الخمر فباعوها لم أجدهم هكذا والعروف أن ذلك في الشحوم ففي الصحيحين من حديث جابر قاتل الله اليهود إن الله لما حرم عليهم شحومها جعله ثم باعوه فأكلوا ثمنه .

لأن بيع الخمر باطل إلا لم يبق للخمر منفعة في الشرع ونعم البيع الباطل حرام وليس هذا من ذلك بل مثال هذا أن يملك الرجل جارية هي أخته من الرضاع فباع بجارية أجنبية فليس لأحد أن يتورع منه وتشبيه ذلك ببيع الخمر غاية السرف في هذا الطرف وقد عرفنا جميع الدرجات وكيفية التدرج فيها وإن كان تفاوت هذه الدرجات لا ينحصر في ثلاث أو أربع ولا في عدد ولكن المقصود من التعديد التقريب والتفهم . فان قيل فقد قال صلى الله عليه وسلم «من اشترى ثوبا بمشرة دراهم فيها درهم حرام لم يقبل الله له صلاة ما كان عليه» (١) ثم أدخل ابن عمر أصبعه في أذنيه وقال صمتا إن لم أكن سمعته منه . قلنا ذلك محمول على ما لو اشترى بمشرة بعينها لا في الذمة وإذا اشترى في الذمة فقد حكمنا بالتحريم في أكثر الصور فليحمل عليها ثم كم من ملك يتوعد عليه بمنع قبول الصلاة لمصية تطرقت إلى سببه وإن لم يدل ذلك على فساد العقد كالشترى في وقت النداء وغيره .

(المثار الرابع الاختلاف في الأدلة)

فان ذلك كالاختلاف في السبب لأن السبب سبب لحكم الحل والحل والحمة والدليل سبب لمعرفة الحل والحمة فهو سبب في حق المعرفة ومالم يثبت في معرفة الغير فلا فائدة لثبوته في نفسه وإن جرى سببه في علم الله وهو إما أن يكون لتعارض أدلة الشرع أو لتعارض الصلوات الدالة أو لتعارض التشابه . القسم الأول : أن تعارض أدلة الشرع مثل تعارض عموميين من القرآن أو السنة أو تعارض قياسين أو تعارض قياس وعموم وكل ذلك يورث الشك ويرجع فيه إلى الاستصحاب أو الأصل المعلوم قبله إن لم يكن ترجيح فإن ظهر ترجيح في جانب الحذر وجب الأخذ به وإن ظهر في جانب الحل جاز الأخذ به ولكن الورع تركه واتقاء مواضع الخلاف مهم في الورع في حق الفتى والمقلد وإن كان المقلد يجوز له أن يأخذ بما أفتى له مقلده الذي يظن أنه أفضل علماء بلده ويعرف ذلك بالتسامع كما يعرف أفضل أطباء البلد بالتسامع والقرائن وإن كان لا يحسن الطب وليس للمستفتي أن ينتقد من المذهب أوسعها عليه بل عليه أن يبحث حتى يلقب على ظنه الأفضل ثم يتبعه فلا يخالفه أصلا ، نعم إن أفتى له إمامه بشيء وإمامه فيه مخالف فالفرار من الخلاف إلى الإجماع من الورع المؤكد وكذا المجتهد إذا تعارضت عنده الأدلة ورجح جانب الحل بحسب وتخمين وظن فالورع له الاجتناب فلقد كان للفتون يفتون بجمل أشياء لا يقدمون عليها قط تورعا منها وحذرا من الشبهة فيها فلنقسم هذا أيضا على ثلاث مراتب . الرتبة الأولى : ما يتأكد الاستحباب في التورع عنه وهو ما يقوى فيه دليل المخالف ويدق وجه ترجيح المذهب الآخر عليه فمن المهمات التورع عن فريسة الكلب المعلم إذا أكل منها وإن أفتى الفتى بأنه حلال لأن الترجيح فيه فاض وقد اخترنا أن ذلك حرام وهو أقيس قولي الشافعي رحمه الله ومهما وجد للشافعي قول جديد موافق لمذهب أبي حنيفة رحمه الله أو غيره من الأئمة كان الورع فيه مهما وإن أفتى الفتى بالقول الآخر ومن ذلك الورع عن متروك التسمية وإن لم يختلف فيه قول الشافعي رحمه الله لأن الآية ظاهرة في إيجابها والأخبار متواترة فيه فانه صلى الله عليه وسلم قال لكل من سأله عن الصيد « إذا أرسلت كلبك المعلم وذكرت عليه اسم الله فكل » (٢) ونقل ذلك على التكرار وقد شهر النبي بالبسملة (٣) وكل ذلك يقوى دليل الاشتراط

(١) حديث من اشترى ثوبا بمشرة دراهم الحديث تقدم في الباب قبله (٢) حديث إذا أرسلت كلبك وذكرت اسم الله فكل متفق عليه من حديث عذرى بن حاتم ومن حديث أبي ثعلبة الخشني (٣) حديث التسمية على النبي متفق عليه من حديث رافع بن خديج ما أنهر الدم وذكر اسم الله عليه فكلوا ليس السن والظفر .

ومعرقهم إياه براء سيبا
ومعلوما . وحكى عنه
أنه قال مكثت في البادية
أحد عشر يوما لم آكل
وتطلعت نفسي أن
آكل من حشيش البر
فرايت الحذر مقبلا
نحوي فهربت منه ثم
التفت فإذا هو رجع
عني فقيل لم هربت منه
قال تشوقت نفسي
أن يفتني فهو لاء
القرارون بدينهم .
أخبرنا أبو زرعة طاهر
ابن الحافظ أبي الفضل
القدس عن أبيه قال
أنا أبو بكر أحمد بن علي
قال أنا أبو عبد الله بن
يوسف بن نامية قال
ثنا أبو محمد الزهري
القاضي قال ثنا محمد بن
عبد الله بن أسباط قال
ثنا أبو نعيم قال ثنا محمود
يعني ابن مسلم عن عثمان
ابن عبد الله بن أوس
عن سليمان بن هرمز
عن عبد الله عن
رسول الله صلى الله
عليه وسلم قال « أحب
شيء إلى الله القرباء »

ولكن لما سمع قوله صلى الله عليه وسلم «أؤمن يذبح على اسم الله تعالى سمى ولم يسم» (١) واحتمل أن يكون هذا عاما موجبا لصرف الآية وسائر الأخبار عن ظواهرها ويحتمل أن يخص هذا بالناس ويترك الظواهر ولا تأويل وكان حمله على الناس ممكنا تمهيدا لعنهم في ترك التسمية بالنسيان وكان تعميمه وتأويل الآية ممكنا إمكانا أقرب رجحنا ذلك ولا ننكر رفع الاحتمال المقابل له فالورع عن مثل هذا مهم واقع في الدرجة الأولى . الثانية : وهي مزاحمة لدرجة الوسواس أن يتورع الانسان عن أكل الجنين الذي يصادف في بطن الحيوان الذبوح وعن الضب وقد صح في الصحاح من الأخبار حديث الجنين إن ذكاته ذكاة أمه (٢) صحة لا يتطرق احتمال إلى متنه ولا ضعف إلى سننه وكذلك صح أنه أكل الضب على مائدة رسول الله صلى الله عليه وسلم (٣) وقد قل ذلك في الصحيحين وأظن أن أباحيفة لم تبلمه هذه الأحاديث ولو بلغت لقال بها إن أنصف وإن لم ينصف منصف فيه كان خلافه غلطا لا يعتد به ولا يورث شبهة كما لو لم يخالف وعلم الشيء بخبر الواحد . الرتبة الثالثة : أن لا يشتر في المسئلة خلاف أصلا ولكن يكون الحل معلوما بخبر الواحد فيقول القائل قد اختلف الناس في خبر الواحد فمنهم من لا يقبله فأنا أتورع فان النقلة وإن كانوا عدولا فالغلط جائز عليهم والكذب لغرض خفي جائز عليهم لأن العدل أيضا قد يكذب والوهم جائز عليه فانه قد يسبق إلى سمعهم خلاف ما يقوله القائل وكذا إلى فهمهم فهذا ورع لم ينقل مثله عن الصحابة فيما كانوا يسمعون من عدل تسكن قوسهم إليه وأما إذا تطرقت شبهة بسبب خاص ودلالة معينة في حق الراوي فالتوقف وجه ظاهر وإن كان عدلا . وخلاف من خالف في أخبار الآحاد غير معتد به وهو تكلاف النظام في أصل الإجماع وقوله إنه ليس بحجة ولو جاز مثل هذا الورع لكان من الورع أن يمتنع الانسان من أن يأخذ ميراث الجد أبي الأب ويقول ليس في كتاب الله ذكر إلا للبنين وإلحاق ابن الابن بالابن بإجماع الصحابة وهم غير معصومين والغلط عليهم جائز إذ خالف النظام فيه وهذا هوس ويتداعى إلى أن يترك ما علم بمومات القرآن إذ من المتكلمين من ذهب إلى أن العمومات لاصفة لها وإنما يحتج بما فهمه الصحابة منها بالقرائن والدلالات وكل ذلك وسواس فاذن لاطرف من أطراف الشبهات إلا وفيها غلو وإسراف فليفهم ذلك ومهما أشكل أمر من هذه الأمور فليستفت فيه القلب وليدع الورع ما يريه إلى ما لا يريه وليترك حزاز القلوب وحكايات الصدور وذلك يختلف

(١) حديث المؤمن يذبح على اسم الله سمى أو لم يسم قال المصنف إنه صح . قلت لا يعرف بهذا اللفظ فضلا عن محته ولأبي داود في المراسيل من رواية الصلت مرفوعا ذبيحة للسلم حلال ذكر اسم الله أو لم يذكر ولا طبراني في الأوسط والدارقطني وابن عدى والبيهقي من حديث أبي هريرة قال رجل يارسل الله الرجل منا يذبح وينسى أن يسمى الله فقال اسم الله على كل مسلم قال ابن عدى منكر والدارقطني والبيهقي من حديث ابن عباس للسلم يكفيه اسمه فإن نسي أن يسمى حين يذبح فليسم وليذكر اسم الله ثم ليأكل كل فيه محمد بن سنان ضعفه الجمهور (٢) حديث ذكاة الجنين ذكاة أمه قال المصنف إنه صح لا يتطرق احتمال إلى متنه ولا ضعف إلى سننه وأخذ هذا من إمام الحرمين فانه كذا قال في الأساليب والحديث رواه أبو داود والترمذي وحسنه وابن ماجه وابن حبان من حديث أبي سعيد والحاكم من حديث أبي هريرة وقال صحيح الاسناد وليس كذلك للطبراني في الصغير من حديث ابن عمر بسند جيد وقال عبد الحق لا يحتج بأسانيد كلها (٣) حديث أكل الضب على مائدة رسول الله صلى الله عليه وسلم قال المصنف هو في الصحيحين وهو كما ذكره من حديث ابن عمر وابن عباس وخالد بن الوليد .

قبل ومن الغريب ؟ قال
الفرارون بدينهم
يجمعون إلى عيسى
ابن مريم يوم القيامة
وهذه كلها أحوال
اختلفت واتبع أربابها
الصحة وحسن النية
مع الله وحسن النية
يقتضى الصدق
والصدق لعنه عمود
كيف تقلبت الأحوال
لمن سافر ينبغي أن
يفقد حاله ويصح
نيتة ولا يقدر على
تخليص النية من
شوائب النفس إلا
كثير العلم تام التقوى
وافر الحظ من الزهد
في الدنيا ومن انطوى
على هوى كامن ولم
يستقم في الزهد
لا يقدر على تصحيح
النية قد يدعو إلى
السفر نشاط جبلي
قصاني وهو يظن أن
ذلك داعية الحق ولا
يميز بين داعية الحق
وداعية النفس
ويحتاج الشخص في
علم صحة النية إلى العلم

بالأشخاص والوقائع ولكن ينبغي أن يحفظ قلبه عن دواعي الوسواس حتى لا يحكم إلا بالحق فلا ينطوى على حزن في مظان الوسواس ولا يغلو عن الحزاة في مظان الكراهة وما أعز مثل هذا القلب ولذلك لم يرد عليه السلام كل أحد إلى قنوى القلب وإنما قال ذلك لوابصة لما كان قد عرف من حاله (١) . القسم الثاني : تعارض العلامات الدالة على الحل والحزمة فانه قد ينهب نوع من المتاع في وقت ويندر وقوع مثله من غير النهب فيرى مثلاً في يد رجل من أهل الصلاح فيدل صلاحه على أنه حلال ويدل نوع المتاع وندوره من غير النهب على أنه حرام فيتعارض الأمران وكذلك يجبر عدل أنه حرام وآخر أنه حلال أو تعارض شهادة فاسقين أو قول صبي وبالغ فإن ظهر ترجيح حكم به والورع الاجتناب وإن لم يظهر ترجيح وجب التوقف وسيأتي تفصيله في باب التعرف والبحث والسؤال . القسم الثالث : تعارض الأشياء في الصفات التي تناط بها الأحكام . مثله أن يوصى بمال للفقهاء فيعلم أن الفاضل في الفقه داخل فيه وأن الذي ابتداء التعلم من يوم أو شهر لا يدخل فيه ويتنهما درجات لا تعصى يقع الشك فيها فالمتقى يفتى بحسب الظن والورع الاجتناب وهذا أغمض مئارات الشبهة فإن فيها صوراً يتغير للمتنى فيها تحجراً لازماً لاحيلة له فيه إذ يكون للتصنيف بصفة في درجة متوسطة بين الدرجتين للتقابلين لا يظهر له ميله إلى أحدهما وكذلك الصدقات المصروفة إلى المحتاجين فإن من لا شيء له معلوم أنه محتاج ومن له مال كثير معلوم أنه غنى ويتصدى بينهما مسائل غامضة كمن له دار وأثاث وثياب وكتب فإن قدر الحاجة منه لا يمنع من الصرف إليه والفاضل يمنع والحاجة ليست محدودة وإنما تدرك بالتقريب ويتعدى منه النظر في مقدار سعة الدار وأبنيتها ومقدار قيمتها السكونها في وسط البلد ووقوع الاكتفاء بدار دونها وكذلك في نوع أثاث البيت إذا كان من الصفر لا من الخرف وكذلك في عددها وكذلك في قيمتها وكذلك فيما لا يحتاج إليه كل يوم وما يحتاج إليه كل سنة من آلات الشتاء وما لا يحتاج إليه إلا في سنين وشيء من ذلك لا خدله والوجه في هذا ما قاله عليه السلام « دع ما يريك إلى ما لا يريك » (٢) وكل ذلك في محل الريب وإن توقف المتن فلا وجه إلا التوقف وإن أفتى المتن بظن وتخمين فالورع التوقف وهو أهم واقع الورع وكذلك ما يجب بقدر الكفاية من نفقة الأقارب وكسوة الزوجات وكفاية الفقهاء والعلماء على بيت المال إذ فيه طرفان يعلم أن أحدهما قاصر وأن الآخر زائد ويبيهما أمور متشابهة تختلف باختلاف الشخص والحال والمطلع على الحاجات هو الله تعالى وليس للبشر وقوف على حدودها فما دون الرطل المكي في اليوم قاصر عن كفاية الرجل الضخم وما فوق ثلاثة أرطال زائد على الكفاية وما بينهما لا يتحقق له حد فليدع الورع ما يريه إلى ما لا يريه وهذا جار في كل حكم نيط بسبب يعرف ذلك السبب بلفظ العرب إذا العرب وسائر أهل اللغات ثم يقدروا مضمّنات اللغات بحدود محدودة تنقطع أطرافها عن مقابلاتها كلفظ الستة فانه لا يحتمل مادونها وما فوقها من الأعداد وسائر ألفاظ الحساب والتقدير فليست الألفاظ اللغوية كذلك فلا لفظ في كتاب الله وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا وينتظر الشك إلى أوساط في مقتضياتها تدور بين أطراف متقابلة فتعظم الحاجة إلى هذا الفن في الوصايا والأوقاف فالوقوف على الصوفية مثلاً مما يصح ومن الداخل تحت موجب هذا اللفظ هذا من الغوامض فكذلك سائر الألفاظ وسنشير إلى مقتضى لفظ الصوفية على الخصوص

(١) حديث لم يرد كل أحد إلى قنوى قلبه وإنما قال ذلك لوابصة وتقدم حديث وابصة وروى الطبراني من حديث وائلة أنه قال ذلك لوائلة أيضاً وفيه العلاء بن ثعلبة مجهول .

(٢) حديث دع ما يريك إلى ما لا يريك تقدم في الباب قبله .

بمعرفة الخواطر وشروح
الخواطر وعليها يحتاج
إلى باب مفرد لنفسه
ونومى الآن إلى ذلك
برمز يدركه من نازله
شيء من ذلك فأكثر
الفقراء من علم ذلك
ومعرفته على بعد .
اعلم أن ما ذكرناه من
نشاط النفس واقع
للفقير في كثير من
الأمر قد يجد الفقير
الروح بالخروج إلى
بعض الصحارى
والبساتين ويكون
ذلك الروح مضراً به
في ثانی الحال وإن كان
يتراءى له طيبة القلب
في الوقت وسبب طيبة
قلبه في الوقت أن النفس
تفسح وتتسع يلوغ
غرضها وتيسر يسر
هواها بالخروج إلى
الصحراء والقرى وإذا
اتمت بمدت عن
القلب وتحت عنه
متشوّفة إلى متعلق
هواها فيترجّح القلب
للاصحراء بل يبعد
النفس منه كشخص

ليعلم به طريق التصرف في الألفاظ وإلا فلا مطمع في استيفائها فهذه اشتباهات تشور من علامات متعارضة تجذب إلى طرفين متقابلين وكل ذلك من الشبهات يجب اجتنابها إذا لم يرجع جانب الجدل بدلالة تغلب على الظن أو باستصحاب بموجب قوله صلى الله عليه وسلم «دع ما يريك إلى ما لا يريك» وبموجب سائر الأدلة التي سبق ذكرها فهذه منارات الشبهات وبعضها أشد من بعض ولو تظاهرت شبهات شتى على شيء واحد كان الأمر أغلظ. مثل أن يأخذ طعاما مختلفا فيه عوضا عن غيب بآعه من خمار بعد النداء يوم الجمعة والبايع قد خالط ماله حرام وليس هو أكثر ماله ولكنه صار مشتبها به فقد يؤدي ترادف الشبهات إلى أن يشتد الأمر في اقتحامها فهذه مراتب عرفنا طريق الوقوف عليها وليس في قوة البشر حصرها فما انضح من هذا الشرح أخذه وما التبس فليجتنب فإن الإثم حراز القلب وحيث قضينا باستثناء القلب أردنا به حيث أباح الفقه أمأحيث حرمه فيجب الامتناع ثم لا يمول على كل قلب قرب موسوس ينفر عن كل شيء ورب شره متساهل يطمئن إلى كل شيء ولا اعتبار بهذين القلبين وإنما الاعتبار بقلب العالم الموفق المراقب لدقائق الأحوال وهو المحك الذي يمتحن به خفايا الأمور ، وما أعز هذا القلب في القلوب فمن لم يثق بقلب نفسه فليتمسك النور من قلب بهذه الصفة وليعرض عليه واقته ، وجاء في الزبور : إن الله تعالى أوحى إلى داود عليه السلام قل لبي إسرائيل إني لأنظر إلى صلاتكم ولا صيامكم ولكن أنظر إلى من شك في شيء فتركه لأجل فذاك الذي أنظر إليه وأؤيده بنصري وأباهي به ملائكتي .

(الباب الثالث : في البحث ، والسؤال ، والم هجوم ، والإجمال ومظانها)

اعلم أن كل من قدم إليك طعاما أو هدية أو أردت أن تشتري منه أو تنهب فليس لك أن تفتش عنه وتساءل وتقول هذا مما لا أعقق حله فلا آخذه بل أفتش عنه وليس لك أيضا أن تترك البحث فأخذ كل ما لا تتيقن تحريمه بل السؤال واجب مرة وحرام مرة ومندوب مرة ومكروه مرة فلا بد من تفصيله ، والقول الشافي فيه هو أن مظنة السؤال مواقع الريية ومفشا الريية ومثارها إما أمر يتعلق بالمال أو يتعلق بصاحب المال .

(البار الأول أحوال المالك)

وله بالإضافة إلى معرفتك ثلاثة أحوال إما أن يكون مجهولا أو مشكوكا فيه أو معلوما بنوع ظن يستند إلى دلالة . الحالة الأولى : أن يكون مجهولا والمجهول هو الذي ليس معه قرينة تدل على فساده وظلمه كزى الأجناد ولا ما يدل على صلاحه ككتاب أهل التصوف والتجارة والعلم وغيرها من العلامات فإذا دخلت قرية لا تعرفها فرأيت رجلا لا تعرف من حاله شيئا ولا عليه علامة تنسبه إلى أهل صلاح أو أهل فساد فهو مجهول وإذا دخلت بلدة غريبا ودخلت سوقا ووجدت رجلا خبازا أو قصابا أو غيره ولا علامة تدل على كونه مريا أو خائنا ولا ما يدل على نفيه فهو مجهول ولا يدرى حاله ولا نقول إنه مشكوك فيه لأن الشك عبارة عن اعتقادين متقابلين لهما سببان متقابلان وأكثر الفقهاء لا يدركون الفرق بين ما لا يدرى وبين ما يشك فيه وقد عرفت مما سبق أن الورع ترك ما لا يدرى . قال يوسف بن أسباط منذ ثلاثين سنة ما حاك في قلبي شيء إلا تركته وتسكمت جماعة في أشق الأعمال فقالوا هو الورع فقالوا لهم حسان بن أبي سنان ما شيء عندي أسهل من الورع إذا حاك في صدري شيء تركته فهذا شرط الورع وإنما تذكر الآن حكم الظاهر ، فنقول حكم هذه الحالة أن المجهول إن قدم إليك طعاما أو حمل إليك هدية أو أردت أن تشتري من دكانه شيئا فلا يلزمك السؤال بل يده وكونه مسلما دلائل كافيتان

(الباب الثالث : في البحث والسؤال)

بما عده عنه قرين يستقله ثم إذا عاد الفقير إلى زاويته واستفتح ديوان معاملته وميز دستور حاله يجد النفس مقارنة للقلب بمزيد تغلب موجب لثبته بها وكلما ازداد ثقلها تكدر القلب وسبب زيادة ثقلها استرسالها في تناول هواها فيصير الخروج إلى الصحراء عين الداء ويظن الفقير أنه ترويح ودواء فلو صبر على الوحدة والخلوة ازدادت النفس ذوبانا وخفت ولطفت وصارت قرينا صالحا للقلب لا يستقلها وعلى هذا تجاس التروح بالأسفار قلل النفس وثبات إلى توهم التروحات فمن فطن لهذه الحقيقة لا يفتقر بالتروحات المستعارة التي لا تحمد عاقبتها ولا تؤمن غائلتها ويتثبت عند ظهور خاطر السفر ولا يكثر بالخطر بل يطرحه بدم اللاتفات

في الهجوم على أخذه ، وليس لك أن تقول الفساد والظلم غالب على الناس فهذه وسوسة وسوء ظن بهذا السلم بينه وإن بعض الظن إثم وهذا السلم يستحق بإسلامه عليك أن لا تنسى الظن به فإن أسأت الظن به في عينه لأنك رأيت فسادا من غيره قد جنبت عليه وأمنت به في الحال قدما من غير شك ولو أخذت المال لكان كونه حراما مشكوكا فيه ويدل عليه أنا نعلم أن الصحابة رضي الله عنهم في غزوانهم وأسفارهم كانوا ينزلون في القرى ولا يردون القرى ويدخلون البلاد ولا يعجزون من الأسواق وكان الحرام أيضا موجودا في زمانهم وماتل عنهم سؤال إلا عن رية إذ كان صلى الله عليه وسلم لا يسأل عن كل ما يحمل إليه بل يسأل في أول قدومه إلى المدينة عما يحمل إليه أصدقة أم هدية (١) لأن قرينة الحال تدل وهو دخول المهاجرين المدينة وهم قراء فطلب على الظن أن ما يحمل إليهم بطريق الصدقة ، ثم إسلام للمعطى ويده لا يدلان على أنه ليس بصدقة ، وكان يدعى إلى الضيافات فيجب ولا يسأل أصدقة أم لا (٢) إذ العادة ما جرت بالتصدق بالضيافة ، ولذلك دعت أم سليم (٣) ودعا الحياط (٤) كما في الحديث الذي رواه أنس بن مالك رضي الله عنه وقدم إليه طعاما فيه قرع ، ودعا الرجل الفارسي فقال عليه الصلاة والسلام «أنا وعائشة فقال لا قال فلا ثم أجابه بعد فذهب هو وعائشة يتساوآن قريبا إليهما إهالة (٥) » ولم ينقل السؤال في شيء من ذلك ، وسأل أبو بكر رضي الله عنه عبده عن كسبه لما رآه من أمره ، وسأل عمر رضي الله عنه الذي سقاه من لبن إبل الصدقة إذ رآه وكان أعجبه طعمه ولم يكن على ما كان يألفه كل مرة وهذه أسباب الرتبة وكل من وجد ضيافة عند رجل مجهول لم يكن عاصيا بأجابته من غير تفتيش بل لو رأى في داره تجملا ومالا كثيرا فليس له أن يقول الحلال عز و هذا كثير فمن أين يجتمع هذا من الحلال بل هذا الشخص بعينه يحتمل أن يكون ورث مالا أو اكتسبه فهو بعينه يستحق إحسان الظن به ، وأزيد على هذا وأقول ليس له أن يسأله بل إن كان يتورع فلا يدخل جوفه إلا ما يدرى من أين هو فهو حسن فليتلطف في الترك وإن كان لا بد له من أكله فليأكل بغير سؤال إذ لا يزال إيداء وهتك ستر وإعماش وهو حرام بلا شك . فان قلت لعله لا يتأذى فأقول لعله يتأذى فأنت تسأل حذرا من لعل فان قننت فقلل ماله حلال وليس الهم المحذور في إيداء مسلم بأقل من الهم في أكل الشبهة والحرام والغالب على الناس الاستيحاش بالتفتيش ولا يجوز له أن يسأل من غيره من حيث يدرى هو به لأن الإيداء في ذلك أكثر وإن سأل من حيث لا يدرى هو فيه إساءة ظن وهتك ستر وفيه نجس وفيه تشبث بالنية وإن لم يكن ذلك صريحا وكل ذلك منهي عنه في آية واحدة قال الله تعالى - اجتنبوا كثيرا من الظن إن بعض الظن إثم ولا تجسسوا ولا يغتب بعضكم بعضا - وكم زاهد جاهل يوحش القلوب بالتفتيش ويتكلم الكلام الحسن المؤذى وإنما يحسن الشيطان ذلك عنده طلبا للشبهة بأكل الحلال ولو كان باعته محض الدين لكان خوفه على قلب مسلم أن يتأذى

(١) حديث سؤاله في أول قدومه إلى المدينة عما يحمل إليه أصدقة أم هدية أحمد والحاكم وقال صحيح الاسناد من حديث سلمان أن النبي صلى الله عليه وسلم لما قدم المدينة أتاه سلمان بطعام فسأله عنه أصدقة أم هدية الحديث تقدم في الباب قبله من حديث أبي هريرة (٢) حديث كان يدعى إلى الضيافات فيجب ولا يسأل أصدقة أم لا هذا معروف مشهور من ذلك في الصحيحين من حديث أبي مسعود الأنصاري في صحيح أبي شعيب طعاما لرسول الله صلى الله عليه وسلم ودعا خامس خمسة . (٣) حديث دعت أم سليم متفق عليه من حديث أنس (٤) حديث أنس أن خياطا دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقدم إليه طعاما فيه قرع متفق عليه (٥) حديث دعا الرجل الفارسي فقال أنا وعائشة الحديث مسلم عن أنس .

مسيئا ظنه بالنفس
وتسوياتها ومن هذا
القبيل والله أعلم قول
رسول الله صلى الله
عليه وسلم «إن الشمس
تطلع من بين قرني
الشیطان» فيكون
لنفس عند طلوع
الشمس وثبات تستند
تلك الوثبات والتهنئات
من النفس إلى اللزاج
والطباع ويطول
شرح ذلك ويعنى
ومن ذلك القبيل خفة
مرض المريض غدوة
بخلاف العشيات
فيتشكل اهتزاز النفس
بنمضات القلب ويدخل
على الفقير من هذا
القبيل آفات كثيرة
يدخل في مداخل
باهتزاز نفسه ظنانه
أن ذلك حكم نهوض
قلبه وربما يترأى له
أنه بالله يصول وبالله
يقول وبالله يتحرك
قد ابتلى بهضة النفس
ووثوبها ولا يقع هنا
الاشتباه إلا لأرباب
القلوب وأرباب الأحوال

أعده من خوفه على يظنه أن يدخله ما لا يدري وهو غير مؤاخذ بما لا يدري إذ لم يكن ثم علامة توجب الاجتناب فليعلم أن طريق الورع الترك دون التجسس وإذا لم يكن بد من الأكل فالورع الأكل وإحسان الظن هذا هو للألوف من الصحابة رضي الله عنهم ومن زاد عليهم في الورع وهو ضال مبتدع وليس بمنبع فمن يبلغ أحدهم أحدهم ولا نصيفه ولو اتفق ما في الأرض جميعا كيف • وقد أكل رسول الله صلى الله عليه وسلم طعام بريرة قبل إنه صدقة فقال هو لها صدقة ولنا هدية (١) ولم يسأل على التصديق عليها فكان التصديق مجهولا عنده ولم ينتج . الحالة الثانية : أن يكون مشكوكا فيه بسبب دلالة أوردت رية فلنذكر صورة رية ثم حكمها . أما صورة الرية فهو أن نعلمه على تحريم ما في يده دلالة إما من خلقته أو من زيه وثيابه أو من فعله وقوله . أما الخلقة فبأن يكون على خلقه الآثراك والبوادي والعروفين بالظلم وقطع الطريق وأن يكون طويل الشارب وأن يكون الشعر مفرقا على رأسه على طاب أهل القصاد ، وأما الثياب فالقباء والقلنسوة وزى أهل الظلم والفساد من الأجناد وغيرهم ، وأما الفعل والقول فهو أن يشاهد منه الإقدام على ما لا يحل فإن ذلك يدل على أنه يتساهل أيضا في المال ويأخذ ما لا يحل فلهذه مواضع الرية فإذا أراد أن يشتري من مثل هذا شيئا أو يأخذ منه هدية أو يجيئه إلى ضيافة وهو غريب مجهول عنه لم يظهر له منه إلا هذه العلامات فيحتمل أن يقال اليد تدل على ذلك وهذه الدلالة تخمينية فالإقدام جائز والترك من الورع ويحتمل أن يقال إن اليد دلالة ضعيفة وقد قال بها مثل هذه الدلالة فأوردت رية فالهجوم غير جائز وهو الذي نختاره ونفق به لقوله صلى الله عليه وسلم «دع ما يريك إلى ما لا يريك (٢)» فظاهره أمر وإن كان يحتمل الاستحباب لقوله صلى الله عليه وسلم «الإنم حزاز القلوب (٣)» وهذا له وقع في القلب لا ينكر ولأن النبي صلى الله عليه وسلم سأل أصدقه هو أو هدية وسأل أبو بكر رضي الله عنه غلامه وسأل عمر رضي الله عنه وكل ذلك كان في موضع الرية وحله على الورع وإن كان ممكنا ولكن لا يحمل عليه إلا بقياس حكيم والقياس ليس يشهد بتحليل هذا فإن دلالة البدو الإسلام وقد عارضتها هذه الدلالات أوردت رية فإذا تخابلا فلا استحلال لاستدله وإنما لا يترك حكم البدو الاستصحاب بشك لا يستند إلى علامة كما إذا وجدنا لئام متغيرا واحتمل أن يكون بطول للكث فإن رأينا ظنية بالت فيه ثم احتمل التغيير به تركنا الاستصحاب وهذا قريب منه ولكن بين هذه الدلالات تفاوت فإن طول الشوارب وليس القباء وهيئة الأجناد يدل على الظلم بالمال أما القول والفعل الخافقان للشرع إن تعلقا بظلم المال فهو أيضا دليل ظاهر كالمصحة بأمر بالتصيب والظلم أو يعتقد الربا فأما إذا رآه قد شتم غيره في غضبه أو أتبع نظره امرأة مرت به فهذه الدلالة ضعيفة فكم من إنسان يتخرج في طلب المال ولا يكتسب إلا الحلال ومع ذلك فلا يملك نفسه عند هيجان الغضب والشهوة فليقتبه لهذا التفاوت ولا يمكن أن يضبط هذا بعد فليستفت البدي في مثل ذلك قلبه . وأقول إن هذا إن رآه من مجهول فله حكم وإن رآه ممن عرفه بالورع في الطهارة والصلاة وقراءة القرآن فله حكم آخر إذا تعارضت الدلالات بالإضافة إلى المال وتساقطنا وعاد الرجل كالمجهول إذ ليست إحدى الدلاتين تناسب للمال على الخصوص فكم من متخرج في المال لا يتخرج في غيره وكمن محسن للصلاة والوضوء والقراءة وبأكل من حيث يحسد الحكم في هذه الواقعة ما يعيل إليه القلب فإن هذا أمرين المبدوين الله فلا يبعد أن ينافى بسبب خفي لا يطلع عليه إلا هو ورب الأرباب وهو حكم حزازة القلب ثم ليتنبه لدقيقة أخرى وهو أن هذه الدلالة ينبغي أن تكون بحيث تدل على أن أكثر ماله حرام بأن يكون

وغير أرباب القلب والحال من هذا مجهول وهذه مزية قدم غصنة بالحواص دون العوام فاعلم ذلك أنه عزيز على وأقل مراتب التقراء في مبادئ الحركة للسفر للتصحيح وجه الحركة أن يقدموا صلاة الاستخارة وصلاة الاستخار لا يحمل وإن تبين للفقير صحة خاطره أو تبين له وجه للصلحة في السفر يريان أوضح من الخاطر فليقوم مراتب في التبيان من العلم بصحة الخاطر وبما فوق ذلك ففي ذلك كله لا يحمل صلاة الاستخارة اتباعا لسنة ففي ذلك البركة وهو من تعليم رسول الله صلى الله عليه وسلم على ما حدثنا شيخنا ضياء الدين أبو النجيب السهروردي إمامه قال أنا أبو القاسم بن عبد الرحمن في كتابه أن أبا سعيد الكنجبرودي أخبرهم

(١) حديث أكله طعام بريرة قليل إنها صدقة فقال هو لها صدقة ولنا هدية متفق عليه من حديث أنس (٢) حديث جع ما يريك تقدم في الباين قبله (٣) حديث الإنم حزاز القلوب تقدم في العلم .

جندياً أو عامل سلطان أو ناعمة أو مغنية فإن دل على أن في ماله حراماً قليلاً لم يكن السؤال واجباً بل كان السؤال من الورع . الحالة الثالثة : أن تكون الحالة معلومة بنوع خبرة وممارسة بحيث يوجب ذلك ظناً في حل المال أو تحريمه مثل أن يعرف صلاح الرجل وديارته وعدالته في الظاهر وجوز أن يكون الباطن بخلافه فهنا لا يجب السؤال ولا يجوز كافي المجهول فالأولى الإقدام والإقدام هنا أبعد عن الشبهة من الإقدام على طعام المجهول فإن ذلك بعيد عن الورع وإن لم يكن حراماً وأما أكل طعام أهل الصلاح فذاب الأنبياء والأولياء قال صلى الله عليه وسلم « لا تأكل كل الإطعام تقى ولا يأكل طعامك إلا تقى » (١) فأما إذا علم بالخبرة أنه جندى أو مغنى أو مرب واستغنى عن الاستدلال عليه بالهيئة والشكل والنياب فهنا السؤال واجب لاجتماع كافي موضع الريبة بل أولى .

(لنثار الثاني ما يستند الشك فيه إلى سبب المال في حال المال)

وذلك بأن يختلط الحلال بالحرام كما إذا طرح في سوق أحمال من طعام غصب واشتراها أهل السوق فليس يجب على من يشتري في تلك البلدة وذلك السوق أن يسأل عما يشتريه إلا أن يظهر أن أكثر ما في أيديهم حرام فعند ذلك يجب السؤال فإن لم يكن هو الأكثر فالتفتيش من الورع وليس بواجب والسوق الكبير حكمه حكم بلد والدليل على أنه لا يجب السؤال والتفتيش إذا لم يكن الأغلب الحرام أن الصحابة رضي الله عنهم لم يمتنعوا من الشراء من الأسواق وفيها دراهم الربا وغلول الغنيمة وغيرها وكانوا لا يسألون في كل عقد وإنما السؤال تقل عن آحادهم نادراً في بعض الأحوال وهي محال الريبة في حق ذلك الشخص المين وكذلك كانوا يأخذون الثنائم من الكفار الذين كانوا قد قاتلوا المسلمين وربما أخذوا أموالهم واحتمل أن يكون في تلك الثنائم شيء مما أخذوه من المسلمين وذلك لا يحل أخذه جازاً بالاتفاق بل يرد على صاحبه عند الشافعي رحمه الله وصاحبه أولى به بالتمن عند أبي حنيفة رحمه الله ولم ينقل قط التفتيش عن هذا . وكتب عمر رضي الله عنه إلى أذربيجان إنكم في بلاد تذبح فيها البنية فانظروا ذكاه من ميتة أذن في السؤال وأمر به ولم يأمر بالسؤال عن الدراهم التي هي آتمانها لأن أكثر دراهمهم لم تكن آتمان الجلود وإن كانت هي أيضاً تباع وأكثر الجلود كان كذلك وكذلك قال ابن مسعود رضي الله عنه إنكم في بلاد أكثر قصاياها الجبوس فانظروا الذكي من الميتة فخص بالأكثر الأمر بالسؤال ولا يتضح مقصود هذا الباب إلا بذكر صور وفرض مسائل يكثر وقوعها في العادات فلنفرضها [مسئلة] شخص معين خالط ماله الحرام مثل أن يباع على دكان طعام منصوب أو مال منسوب ومثل أن يكون القاضي أو الرئيس أو العامل أو الفقيه الذي له إدرار على سلطان ظالمه أيضاً مال موروث ودهقنة أو تجارة أو رجل تاجر يعامل بمعاملات صحيحة ويرى أيضاً فإن كان الأكثر من ماله حراماً لا يجوز الأكل من ضيافته ولا قبول هديته ولا صدقته إلا بعد التفتيش فإن ظهر أن المأخوذ من وجه حلال فذاك وإلا ترك وإن كان الحرام أقل والمأخوذ مشتبهاً فهذا في محل النظر لأنه على رتبة بين الرتبين إذ قضينا بأنه لو اشتبه ذكية بمشر ميتات مثلاً وجب اجتناب الكل وهذا يشبهه من وجه من حيث إن مال الرجل الواحد كالصور لا سيما إذا لم يكن كثير المال مثل السلطان وبخلافه من وجه إذ الميتة لم وجودها في الحال يقينا والحرام الذي خالط ماله يحتمل أن يكون قد خرج من يده وليس موجوداً في الحال وإن كان المال قليلاً وعلم قطعاً أن الحرام موجود في الحال فهو ومسئلة اختلاط الميتة واحد وإن كثر المال واحتمل أن يكون الحرام غير موجود في الحال فهذا أخف من ذلك ويشبه من وجه الاختلاط بغير محصور كافي الأسواق والبلاد ولكنه أغلظ منه لاختصاصه بشخص واحد ولا يشك في

(١) حديث لا تأكل كل الإطعام تقى ولا يأكل كل طعامك إلا تقى تقدم في الزكاة .

قال أنا أبو عمرو بن حمدان قال حدثنا أحمد بن الحسين الصوفي قال حدثنا منصور بن أبي مزاحم قال حدثنا عبد الرحمن ابن أبي اللواتي عن محمد ابن الشكندر عن جابر رضي الله عنه قال « كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يلنا الاستخارة كما يلنا السورة من القرآن قال : إذا تم أحدكم بالأمر أو أركب الأمر فليصل ركعتين من غير الفريضة ثم ليقل اللهم إني أستخيرك بعلمك وأستقدر بقدرتك وأسألك من فضلك العظيم فانك تقدر ولا أقدر وتعلم ولا أعلم وأنت علام الغيوب اللهم إني كنت تعلم أن هذا الأمر ويسميه بينه خير لي في ديني ومعاشي ومعادي وعاقبة أمري أو قال عاجل أمري وآجله فاقدره لي ثم

أن المجهوم عليه بعيد من الورع جدا ولكن النظر في كونه فسقا مناقض للعدالة وهذا من حيث النقل أيضا غامض لتجاذب الأشياء ومن حيث النقل أيضا غامض لأن ما ينقل فيه عن الصعابة من الامتناع في مثل هذا وكذا عن التابعين يمكن حمله على الورع ولا يصادف فيه نص على التحريم وما ينقل من إقدام على الأكل كما كل أبي هريرة رضي الله عنه طعام معاوية مثلا إن قدر في جملة ما في يده حرام فذلك أيضا يحمل أن يكون إقدامه بعد التفتيش واستبانة أن عين ما يأكله من وجه مباح فالأصل في هذا ضعيفة الدلالة ومذاهب العلماء التأخيرين مختلفة حتى قال بعضهم لو أعطاني السلطان شيئا لأخذته وطرده الإباحة فيها إذا كان الأكل أيضا حراما مهما لم يعرف عين المأخوذ واحتمل أن يكون حلالا واستدل بأخذ بعض السلف جوائز السلاطين كسياتي في باب بيان أموال السلاطين فأما إذا كان الحرام هو الأقل واحتمل أن لا يكون موجودا في الحال لم يكن الأكل حراما وإن تحقق وجوده في الحال كما في مسألة اشتباه الذكية بالبيتية فهذا مما لا أدري ما أقول فيه وهو من التشابهات التي يتعبر الفقهاء فيها لأنها مترددة بين مشابهة المحصور وغير المحصور والرضيعة إذا اشبهت بقرية فيها عشر نسوة وجب الاجتناب وإن كان يلبس فيها عشرة آلاف لم يجب وبينهما أعداد ولوشئت عنها لكن لا أدري ما أقول فيها ولقد توقف العلماء في مسائل هي أوضح من هذه إذ سئل أحمد بن حنبل رحمه الله عن رجل رمى صيدا فوق في ملك غيره أيبكون الصيد للرأى أو لملك الأرض فقال لا أدري فروجع فيه مرات فقال لا أدري وكثيرا من ذلك حكيناه عن السلف في كتاب العلم فليقطع الملقى طمعه عن درك الحكم في جميع الصور وقد سأل ابن المبارك صاحبه من البصرة عن معاملته قوما ياملون السلاطين فقال إن لم ياملوا سوى السلطان فلا تعاملهم وإن عاملوا السلطان وغيره فاملهم وهذا يدل على الساعية في الأقل ويحتمل الساعية في الأكثر أيضا وبالجملة فلم ينقل عن الصعابة أنهم كانوا يهجرون بالكلية معاملة القصاب والحجاز والتاجر لتعاطيه عقدا واحدا فاسدا أو لمعاملة السلطان مرة وتقدير ذلك فيه بعد والثلة مشكلة في نفسها فإن قيل قد روى عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه أنه رخص فيه وقال خذ ما يطعك السلطان فأما يطعك من الحلال وما يأخذ من الحلال أكثر من الحرام وسئل ابن مسعود رضي الله عنه في ذلك فقال له السائل إن لي جارا لا أعلمه إلا خبيثا يدعوننا أو نحتاج فنستلفه فقال إذا دعاك فأجبه وإذا احتجت فاستلفه فإن لك الهنا وعليه المأثم وأفق سلمان بمثل ذلك وقد علل على بالكثرة وعلل ابن مسعود رضي الله عنه بطريق الإشارة بأن عليه المأثم لأنه يعرفه ولك الهنا أي أنت لاتعرفه . وروى أنه قال رجل لابن مسعود رضي الله عنه إن لي جارا يأكل الربا فيدعوننا إلى طعامه أفأنيبه فقال نعم وروى في ذلك عن ابن مسعود رضي الله عنه روايات كثيرة مختلفة وأخذ الشافعي ومالك رضي الله عنهما جواز الخلفاء والسلاطين مع العلم بأنه قد خالط ما لهم الحرام . قلنا أما ما روى عن علي رضي الله عنه قد اشتهر من ورعه ما يدل على خلاف ذلك فإنه كان يمتنع من مال بيت المال حتى يبيع سيفه ولا يكون له إلا قبض واحد في وقت التسل لا بعد غيره ولست أنكر أن رخصته صريح في الجواز وفعله محتمل للورع ولكنه لو صرح فسال السلطان له حكم آخر فإنه يحكم كثرته يكاد يلتحق بما لا يحصر وسيأتي بيان ذلك وكذا فعل الشافعي ومالك رضي الله عنهما متعلق بمال السلطان وسيأتي حكمه وإنما كلامنا في آحاد الخلق وأموالهم قرية من الحصر وأما قول ابن مسعود رضي الله عنه قليل إنه إنما تله خوات التبعي وأنه ضعيف الحفظ والشهور عنه ما يدل على توقي الشبهات إذ قال لا يقولن أحدكم أخاف وأرجو فإن الحلال بين والحرام بين وبين ذلك أمور مشبهات فدع ما يريك إلى ما لا يريك وقال اجتنبوا الحكايات قبيها الاسم . فإن قيل فلم قلتم إذا كان الأكل حراما لم يجوز الأخذ مع أن

بورك لي فيه وإن كنت
تلفه شرا لي مثل ذلك
فاصرفه عني واصرفني
عنه واقدر لي الخير
حيث كان .

[الباب السابع عشر
فيلمحتاج إليه الصوفي
في سفره من القرائض
والفضائل]

فأما من الفقه وإن
كان هذا يذكر في كتب
لفقه وهذا الكتاب
غير موضوع لذلك
ولكن نقول على سبيل
الإيجاز تبينا بذكر
للأحكام الشرعية التي
هي الأساس الذي يبنى
عليه لا بد للصوفي
للسافر من علم التيمم
وللسح على الحفين
والقصر والجمع في
الصلاة أما التيمم فجائز
للمريض والسافر في
الجنابة والحدث عند
عدم الماء أو الخوف
من استعماله تلقا في
النفس أو المال أو
زيادة في المرض على
القول الصحيح من
للذهب أو عند حاجته

لأخوذ ليس فيه علامة تدل على تحريمه على الخصوص واليد علامة على الملك حتى إن من سرق مال مثل هذا الرجل قطعت يده والسكرنة توجب ظنا مرسل لا يتعلق بالعين فليكن كغالب الظن في طين الشوارع وغالب الظن في الاختلاط بغير محصور إذا كان الأكثر هو الحرام ولا يجوز أن يستدل على هذا بموم قوله صلى الله عليه وسلم «دع ما يريك إلى ما لا يريك» لأنه مخصوص بفيض المواضع بالاتفاق وهو أن يريه بعلامة في عين الملك بدليل اختلاط القليل بغير المحصور فإن ذلك يوجب رية ومع ذلك قطعتم بأنه لا يحرم. فالجواب أن اليد دلالة ضعيفة كالاتصاحاب وإنما تؤثر إذا سلت عن معارض قوى فإذا تحققت الاختلاط وتحققنا أن الحرام المالحظ موجود في الحال والمال غير خال عنه وتحققنا أن الأكثر هو الحرام وذلك في حق شخص معين يقرب ماله من الحصر ظهر وجوب الإعراض عن مقتضى اليد وإن لم يحمل عليه قوله عليه السلام «دع ما يريك إلى ما لا يريك» لا يبقى له محمل إذ لا يمكن أن يحمل على اختلاط قليل بحلال غير محصور إذ كان ذلك موجودا في زمانه وكان لا يدعه وعلى أى موضع حمل هذا كان هذا في معناه وحمله على التنزيه صرف له عن ظاهره بغير قياس فإن تحريم هذا غير بعيد عن قياس العلامات والاستصحاب والسكرنة تأثير في تحقيق الظن وكذا للحصر وقد اجتمعا حتى قال أبو حنيفة رضى الله عنه لا تجتهد في الأواني إلا إذا كان الظاهر هو الأكثر فاشتراط اجتماع الاستصحاب والاجتهاد بالعلامة وقوة السكرنة ومن قال يأخذ أى آنية أراد بلا اجتهاد بناء على مجرد الاستصحاب فيجوز الشرب أيضا فيلزمه التجوز ههنا بمجرد علامة اليد ولا يجرى ذلك في بول اشبه بماء إذ لا استصحاب فيه ولا نظره أيضا في مية اشبهت بذكاة إذ لا استصحاب في الميتة واليد لا تدل على أنه غير ميتة وتدل في الطعام للباح على أنه ملك فههنا أربع متعلقات استصحاب وقلة في الخلوط أو كثرة وانحصار أو اتساع في الخلوط وعلامة خاصة في عين الشيء يتعلق بها الاجتهاد فمن ينفل عن مجموع الأربعة ربما يغلط فيشبه بعض للسائل بما لا يشبهه فحصل مما ذكرناه أن المختلط في ملك شخص واحد إما أن يكون الحرام أكثره أو أقله وكل واحد إما أن يعلم يقين أو يظن عن علامة أو تومم فالسؤال يجب في موضعين وهو أن يكون الحرام أكثر يقينا أو ظنا كالماء رأى تركيا مجهولا يحتمل أن يكون كل ماله من غنيمة وإن كان الأقل معلوما باليقين فهو محل التوقف وتكاد تيسير أكثر السلف وضرورة الأحوال إلى الميل إلى الرخصة وأما الأقسام الثلاثة الباقية فالسؤال غير واجب فيها أصلا. مسألة: إذا حضر طعام إنسان علم أنه دخل في يده حرام من ادراكه قد أخذه أو وجه آخر ولا يدري أنه بقي إلى الآن أم لا؟ فله الأكل ولا يلزمه التفيتش وإنما التفيتش فيه من الورع ولو علم أنه قد بقي منه شيء ولكن لم يدرك أنه الأقل أو الأكثر فله أن يأخذ بأنه الأقل وقد سبق أن أمر الأقل مشكل وهذا يقرب منه. مسألة: إذا كان في يد التولى للخيرات أو الأوقاف أو الوصايا مالان يستحق هو أحدهما ولا يستحق الثاني لأنه غير موصوف بتلك الصفة فهل له أن يأخذ ما يسله إليه صاحب الوقف نظرا، فإن كانت تلك الصفة ظاهرة بمرها التولى وكان التولى ظاهرة العدالة فله أن يأخذ بصير بحث لأن الظن بالتولى أنه لا يصرف إليه ما يصرفه إلا من المال الذي يستحقه وإن كانت الصفة خفية وإن كان للتولى ممن عرف حاله أنه يغلط ولا يبالى كيف يفعل فعليه السؤال إذ ليس ههنا يد ولا استصحاب يقول عليه وهو وزان سؤال الرسول الله صلى الله عليه وسلم عن الصدقة والهبة عند تردده فهما لأن اليد لا تخصص الهبة عن الصدقة ولا الاستصحاب فلا ينبجى منه إلا السؤال فإن السؤال حيث أسقطناه في المجهول أسقطناه بعلامة اليد والإسلام حتى لو لم يعلم أنه مسلم وأراد أن يأخذ من يده لئلا يذبحه واحتدل أن يكون مجوسيا لم يجزله ما لم يعرف أنه مسلم إذ اليد

إلى الماء الوجود لمعطته
أو عطش دابته أو
رفيقه في هذه الأحوال
كلها يصل بالتييم
ولا إعادة عليه والخائف
من البرد يصل بالتييم
وبعيد الصلاة على
الأصح ولا يجوز التيمم
إلا بشرط الطلب للماء
في مواضع الطلب
ومواضع الطلب مواضع
تردد السافر في منزله
للاحتطاب والاحتشاش
ويكون الطلب بعد
دخول الوقت والسفر
التصبر في ذلك كالطويل
وإن صلى بالتييم مع
يقين الماء في آخر
الوقت جاز على الأصح
ولا يبعد مهما صلى
بالتييم وإن كان الوقت
باقيا ومهما تومم وجود
الماء بطل تيممه كما إذا
طلع ركب أو غير ذلك
وإن رأى الماء في أثناء
الصلاة لا تبطل صلاته
ولا تلزمه الإعادة
ويستحب له الخروج
منها واستئناف الوضوء
على الأصح ولا يتييم

لا تدل في الميتة ولا الصورة تدل على الإسلام إلا إذا كان أكثر أهل البلدة مسلمين فيجوز أن يظن
بالذي ليس فيه علامة الكفر أنه مسلم. وإن كان الخطأ ممكناً فيه فلا ينبغي أن تلتبس الواضع التي
تشهد فيها اليد والحال بالتي لا تشهد. مسألة: له أن يشتري في البلد داراً وإن علم أنها تشتمل على
دور منصوبة لأن ذلك اختلاط بغير محصور ولكن السؤال احتياط وورع وإن كان في سكة عشر
دور مثلاً إحداها منصوب أو وقف لم يجز الشراء ما لم يتميز ويجب البحث عنه ومن دخل بلدة وفيها
رباطات خصص بوقفها أرباب المذاهب وهو على مذهب واحد من جملة تلك المذاهب فليس له أن
يسكن أيها شاء ويأكل من وقفها بغير سؤال لأن ذلك من باب اختلاط المحصور فلا بد من التميز
ولا يجوز الهجوم مع الإيهام لأن الرباطات وللدارس في البلد لابد أن تكون محصورة. مسألة: حيث
جعلنا السؤال من الورع فليس له أن يسأل صاحب الطعام والمال إذا لم يأمن غضبه وإنما أوجبنا
السؤال إذا تحقق أن أكثر ماله حرام وعند ذلك لا يلى بفضب مثله إذ يجب إنباء الظالم بأكثر
من ذلك والغالب أن مثل هذا لا يفضب من السؤال، نعم إن كان يأخذ من يد وكيله أو غلامه أو تلميذه
أو بعض أهله ممن هو تحت رعايته فله أن يسأل مهما استراب لأنهم لا يفضبون من سؤاله ولأن عليه
أن يسأل ليظهر طريق الحلال ولذلك سأل أبو بكر رضى الله عنه غلامه وسأل عمر من سقاء من
إبل الصدقة وسأل أبا هريرة رضى الله عنه أيضاً لما أن قدم عليه بجمال كثير فقال وعك أكل هذا
طيب من حيث إنه تعجب من كثرتة وكان هو من رعيته لاسياً وقد رفق في صيغة السؤال وكذلك
قال على رضى الله عنه ليس شيء أحب إلى الله تعالى من عدل إمام ورعه ولا شيء أبغض إليه
من جوره وخرقه. مسألة: قال الحرث المحاسبي رحمه الله لو كان له صديق أو أخ وهو بأمن
غضبه لومأله فلا ينبغي أن يسأله لأجل الورع لأنه ربما يدوله ما كان مستورا عنه فيكون قد حمله على
هتك السر ثم يؤدي ذلك إلى البغضاء وما ذكره حسن لأن السؤال إذا كان من الورع لا من الوجوب
فالورع في مثل هذه الأمور الاختراز عن هتك السر وإثارة البغضاء أهم وزاد على هذا وقال وإن رآه
منه شيء أيضاً لم يسأله ويظن به أنه يطامه من الطبيب ويحببه الخبيث فإن كان لا يطمئن قلبه إليه
فيحترز متلطفاً ولا يهتك ستره بالسؤال قال لأنى لم أر أحداً من العلماء فعله فهذا منه مع ما اشتهر به من
الزهد يدل على مسامحة فيما إذا خالط للمال الحرام القليل ولكن ذلك عند التوهم لا عند التحقق لأن
لفظ الرية يدل على التوهم بدلالة تدل عليه ولا يوجب اليقين فليراع هذه الدقائق بالسؤال. مسألة: ربما
يقول القائل أى فائدة في السؤال ممن بعض ماله حرام ومن يستحل المال الحرام ربما يكذب فإن وثق
بأمانته فليثق بدباته في الحلال. فأقول مهما علم مخالطة الحرام لمال إنسان وكان له غرض في حضورك
ضيافته أو قبولك هديته فلا تحصل الثقة بقوله فلا فائدة للسؤال منه فينبغي أن يسأل من غيره وكذا
إن كان يباعاً وهو يرغب في البيع لطلب الربح فلا تحصل الثقة بقوله إنه حلال ولا فائدة في السؤال منه
وإنما يسأل من غيره. وإنما يسأل من صاحب اليد إذا لم يكن متهماً كما يسأل للتولى على المال الذي
يسله أنه من أى جهة وكما سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الهدية والصدقة فإن ذلك لا يؤدي
ولا يهتم القائل فيه وكذلك إذا اتهمه بأنه ليس يدرى طريق كسب الحلال فلا يهتم في قوله إذا أخبر
عن طريق صحيح وكذلك يسأل عبده وخادمه ليعرف طريق اكتسابه فهنا يفيد السؤال فإذا كان
صاحب المال متهماً فليسأل من غيره فإذا أخبره عدل واعد قبله وإن أخبره فاسق يعلم من قرينة حاله
أنه لا يكذب حيث لا غرض له فيه جاز قبوله لأن هذا أمر بينه وبين الله تعالى والمطلوب ثقة النفس وقد يحصل
من الثقة بقول فاسق ما لا يحصل بقول عدل في بعض الأحوال وليس كل من فسق يكذب ولا كل من

للفرض قبل دخول
الوقت ويقيم لكل
فريضة ويصلى مهما
شاء من التوافل بقيم
واحد ولا يجوز أداء
الفرض بقيم النافلة
ومن لم يجد ماء ولا تراباً
يصل ويعد عند
وجود أحدهما ولكن
إن كان محدثاً لا يمس
للصنف وإن كان جنباً
لا يقرأ القرآن في الصلاة
بل يذكر الله تعالى
عوض القراءة ولا يقيم
إلا بتراب طاهر غير
مخالط للرمل والجص
ويجوز بالنبار على
ظهر الحيوان والتوب
ويسمى الله تعالى عند
التييم وينوى استباحة
الصلاة قبل ضرب
اليد على التراب
ويضم أصابعه لضربة
الوجه ويمسح جميع
الوجه فلو بقى شيء
من محل الفرض غير
ممسوح لا يصح التيمم
وضرب ضربة للدين
مبسوط الأصابع ويمسح
بالتراب محل الفرض

تري العدالة في ظاهره يصدق وإنما نيطت الشهادة بالعدالة الظاهرة لضرورة الحكم فان البواطن لا يطلع عليها وقد قبل أبو حنيفة رحمه الله شهادة الفاسق وكمن شخص تعرفه وتعرف أنه قد يقتحم المعاصي ثم إذا أخبرك بشيء وثقت به وكذلك إذا أخبر به صبي يميز عن عرفته بالثبوت فقد تحصل الثقة بقوله فيحل الاعتماد عليه فأما إذا أخبر به مجهول لا يدري من حاله شيء أصلاً فهذا ممن جوزنا ألا كل من يده لأن يده دلالة ظاهرة على ملكه وربما يقال إسلامه دلالة ظاهرة على صدقه وهذا فيه نظر ولا يخلو قوله عن أثر ما في النفس حتى لو اجتمع منهم جماعة تغيب ظناً قوياً إلا أن أثر الواحد فيه في غاية الضعف فلينظر إلى حد تأثيره في القلب فان الفرق هو القلب في مثل هذا للوضع والقلب التفاتات إلى قرائن خفية يضيق عنها نطاق النطق فلي تأمل فيه ويدل على وجوب الالتفات إليه ما روى عن عقبة بن الحرث « أنه جاء إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال إني تزوجت امرأة فجاءت أمة سوداء فرعمت أنها قد أرضعتنا وهي كاذبة فقال دعها فقال إنها سوداء يصغر من شأنها فقال عليه السلام فكيف وقد زعمت أنها قد أرضعتكما لا خير لك فيها دعها عنك^(١) » وفي لفظ آخر كيف وقد قيل « ومهما لم يعلم كذب المجهول ولم تظهر أماره غرض له فيه كان له وقع في القلب لا محالة فذلك يتأكد الأمر بالاحتراز فان اطمأن إلى القلب كان الاحتراز حتماً واجباً . مسألة : حيث يجب السؤال فلو تعارض قول عدلين تساقتا وكذا قول فاسقين ويجوز أن يرجح في قلبه قول أحد العدلين أو أحد الفاسقين ويجوز أن يرجح أحد الجانبين بالكثرة أو بالاخصاص بالخبرة والعرفه وذلك بما يتشعب تصويره . مسألة : لو نهب متاع مخصوص فصادف من ذلك النوع متاعاً في يد إنسان وأراد أن يشتريه واحتمل أن لا يكون من المنصوب فان كان ذلك الشخص ممن عرفه بالصالح جاز الشراء وكان تركه من الورع وإن كان الرجل مجهولاً لا يعرف منه شيئاً فان كان يكثر نوع ذلك المتاع من غير المنصوب فله أن يشتري وإن كان لا يوجد ذلك المتاع في تلك البقعة إلا نادراً وإنما كثر بسبب المنصب فليس يدل على الحل إلا اليد وقد عارضته علامة خاصة من شكل المتاع ونوعه فالامتناع عن شرائه من الورع والمهم ولكن الوجوب فيه نظر فان العلامة متعارضة ولست أقدر على أن أحكم فيه بحكم إلا أن أردته إلى قلب المستفتي لينظر ما الأقوى في نفسه فان كان الأقوى أنه منصوب لزم تركه وإلا حل له شراؤه وأكثر هذه الوقائع يلتبس الأمر فيها فهي من التشابهات التي لا يعرفها كثير من الناس فمن توقفاها فقد استبرأ لمرئيه ودينه ومن اتحمها فقد حارم حول الحمى وخاطر بنفسه . مسألة : لو قال قائل قد سأل رسول الله ﷺ عن لبن قدم إليه فذكر أنه من شاة فسأل عن الشاة من أين هي فذكر له فسكت عن السؤال^(٢) . فيجب السؤال عن أصله للام لا وإن وجب فمن أصل واحد أو اثنين أو ثلاثة وما الضبط فيه ؟ فأقول لا ضبط فيمولا تقدير بل ينظر إلى الرية للمتنصبة للسؤال إملو جواباً أو ورعاً ولا غاية للسؤال إلا حيث تقطع الرية للمتنصبة وذلك يختلف باختلاف الأحوال فان كانت التهمة من حيث لا يدري صاحب اليد كيف طريق الكسب الحلال فان قال اشتريت اقطع بسؤال واحد وإن قال من شاة وقع الشك في المشاة فان قال اشتريت اقطع وإن كانت الرية من الظلم وذلك بما في أيدي العرب ويتوالد في أيديهم للمنصوب فلا تقطع الرية بقوله إنه من شاة ولا بقوله إن الشاة ولدتها شاة فان أسند إلى الورثة من أبيه وحالة أبيه مجهولة اقطع السؤال وإن كان يعلم أن جميع مال أبيه حرام

(١) حديث عقبة إني تزوجت امرأة فجاءت أمة سوداء فرعمت أنها قد أرضعتنا وهي كاذبة البخاري من حديث عقبة بن الحرث (٢) حديث سأل رسول الله ﷺ عن لبن قدم إليه فذكر أنه من شاة فسكت عن السؤال من حديث تميم في الباب الخامس من آداب الكسب والمعايش .

وإن لم يقدر إلا بضربتين فصاعداً كيف أمكنه لا بد أن يتم التراب على الفرض ويسح إذا فرغ إحدى الراحتين بالأخرى حتى تصيرا ممسوحتين ويمر اليد على ما نزل من العجة من غير إيصال التراب إلى الثابت . وأما للسح : فيمسح على الخف ثلثة أيام وليلتين في السفر والقيم يوماً وليلة وابتداء اللدة من حين الحدث بعد لبس الخف من حين لبس الخف ولا حاجة إلى النية عند لبس الخف بل يحتاج إلى كمال الطهارة حتى لولبس أحد الخفين قبل غسل الرجل الأخرى لا يصح أن يسح على الخف ويشترط في الخف إمكان متابعة للنهي عليه وسر محل الفرض ويكفي مسح يسير من أفض الخف والأولى مسح أعلاه وأسفله

قد ظهر التحريم وإن كان يسلم أن أكثره حرام بفكرة التوالد وطول الزمان وتطرق الإرث إليه لا يغير حكمه فليحظر في هذه المعاني . مسألة : سئلت عن جماعة من سكان خانقاه الصوفية وفي يد خادهم الذي يقدم إليهم الطعام وقف على ذلك السكن ووقف آخر على جهة أخرى غير هؤلاء وهو يغلظ الكل وينفق على هؤلاء وهؤلاء فأكل طعامه حلالاً أو حراماً أو شبهة . فقلت إن هذا يلتفت إلى سبعة أصول . الأصل الأول : أن الطعام الذي يقدم إليهم في الغالب يشترى بالمعاطاة والذي اخترناه صحة المعاطاة لاسيما في الأطعمة والمستحقرات فليس في هذا إلا شبهة الخلاف . الأصل الثاني : أن ينظر أن الخادم هل يشترى بهين المال الحرام أو في الذمة فإن اشتراه بعين المال الحرام فهو حرام وإن لم يعرف فالغالب أنه يشترى في الذمة ويجوز الأخذ بالغالب ولا ينشأ من هذا تحريم بل شبهة احتمال بعيد وهو شراؤه بعين مال حرام . الأصل الثالث : أنه من يشترى فإن اشترى ممن أكثر ماله حرام لم يجوز وإن كان أقل ماله فقيه نظر قد سبق وإذا لم يعرف جاز له الأخذ بأنه يشترى ممن ماله حلال أو ممن لا يدري المشتري حاله يتقين كالمجهول وقد سبق جواز الشراء من المجهول لأن ذلك هو الغالب فلا ينشأ من هذا تحريم بل شبهة احتمال . الأصل الرابع : أن يشترى لنفسه أو للقوم فإن التولى والخادم كالنائب وله أن يشترى له ولنفسه ولكن يكون ذلك بالية أو صريح اللفظ وإذا كان الشراء يجري بالمعاطاة فلا يجري اللفظ والغالب أنه لا ينوي عند المعاطاة والقصاب والحجاز ومن يعامله يحول عليه ويقصد البيع منه لا يمن لا يحضرون فيقع عن جبهته ويدخل في ملكه وهذا الأصل ليس فيه تحريم ولا شبهة ولكن ثبت أنهم يأكلون من ملك الخادم . الأصل الخامس : أن الخادم يقدم الطعام إليهم فلا يمكن أن يحمل ضيافة وهدية بغير عوض فإنه لا يرضى بذلك وإنما يقدم اعتماداً على عوضه من الوقف فهو معاوضة ولكن ليس يبيع ولا إقراض لأنه لو اتهم لمطالبتهم بالثمن استبعد ذلك وقرينة الحال لا تدل عليه فأشبهه أصل ينزل عليه هذه الحالة الهبة بشرط الثواب أعني هدية لالفظ فيها من شخص تقتضي قرينة حاله أنه يطعم في ثواب وذلك صحيح والثواب لازم وههنا ما طعم الخادم في أن يأخذ ثواباً فيما قدمه لإحتمالهم من الوقف ليقضى به دينه من الحجاز والقصاب والبقال فهذا ليس في شبهة إذ لا يشترط لفظ في الهدية ولا في تقديم الطعام وإن كان مع انتظار الثواب ولا مبالاة بقول من لا يصح هدية في انتظار ثواب . الأصل السادس : أن الثواب الذي يلزم فيه خلاف قيل إنه أقل متمول وقيل قدر القيمة وقيل ما يرضى به الواهب حتى أنه لا يرضى بأضعاف القيمة والصحيح أنه يتبع رضاه فإذا لم يرض بده عليه وههنا الخادم قد رضى بما يأخذ من حق السكان على الوقف فإن كان لهم من الحق بقدر ما أكلوه فقد تم الأمر وإن كان ناقصاً ورضى به الخادم صح أيضاً وإن علم أن الخادم لا يرضى لولا أن في يده الوقف الآخر الذي يأخذه بقوة هؤلاء السكان فكأنه رضى في الثواب بمقدار بعضه حلال وبعضه حرام والحرام لم يدخل في أيدي السكان فهذا كالحلل التطرق إلى الثمن وقد ذكرنا حكمه من قبل وأنه متى يقتضى التحريم ومتى يقتضى الشبهة وهذا لا يقتضى تحريماً على ما فصلناه فلا تنقلب الهدية حراماً يتوصل للهدى بسبب الهدية إلى حرام . الأصل السابع : أنه يقضى دين الحجاز والقصاب والبقال من ربيع الواقفين فإن وفي ما أخذ من حقهم قيمة ما أطعمهم فقد صح الأمر وإن قصر عنه فرضي القصاب والحجاز بأى ثمن كان حراماً أو حلالاً فهذا خلل تطرق إلى ثمن الطعام أيضاً فليفت إلى ما قدمناه من الشراء في الذمة ثم قضاء الثمن من الحرام هذا إذا علم أنه قضاء من حرام فإن احتمل ذلك واحتمل غيره فالشبهة أبعد وقد خرج من هذا أن كل هذا ليس بحرام ولكنه أكل شبهة وهو بعيد من الورع لأن هذه الأصول إذا كثرت وتطرق إلى كل واحد احتمال صار احتمال الحرام بكثرة أقوى

من غير تكرار ومتى ارتفع حكم السح بانقضاء الذمة أو ظهور شيء من محل الفرض وإن كان عليه لقافة وهو على الطهارة يغسل القدمين دون استئشاف الوضوء على الأصح وللأسح في السفر إذا أقام بمسح كالقيم وهكذا للقيم إذا سافر يسمح كالسافر واللبد إذا ركب جورباً ونعل يجوز السح عليه ويجوز على للشرج إذا ستر محل الفرض ولا يجوز على للنسوج وجهه الذي يستر بعض القدم به والباقي باللقافة . فأما القصر والجمع فيجمع بين الظاهر والصريح وقت إحداها ويقيم لكل واحدة ولا يفصل بينهما بكلام وغيره . وهكذا الجمع بين المغرب والعشاء ولا قصر في المغرب والمصبح بل يصليهما كبريتهما من غير قصر وجمع . والسنن

في النفس كما أن الخبر إذا طال إسناده صار احتمال الكذب والفاط فيه أقوى مما إذا قرب إسناده فهذا حكم هذه الواقعة وهي من الفتاوى وإنما أوردناها ليعرف كيفية تخرج الوقائع للفتنة للفتنة وأنها كيف ترد إلى الأصول فإن ذلك مما يحجز عنه أكثر المفتين .

(الباب الرابع في كيفية خروج التائب عن الظالم للآلية)

اعلم أن من تاب وفي يده مختلط فعليه وظيفة في تمييز الحرام وإخراجه ووظيفة أخرى في مصرف المخرج فليتأمل فيما .

(النظر الأول في كيفية التمييز والإخراج)

اعلم أن كل من تاب وفي يده ما هو حرام معلوم العين من غصب أو ودية أو غيره فأمره سهل فعليه تمييز الحرام وإن كان متبسا مختلطاً فلا يغلو إما أن يكون في مال هو من ذوات الأمثال كالحبوب والنقود والأدهان وإما أن يكون في أعيان متبصرة كالصيد والدور والثياب فإن كان في التماثلات أو كان شامها في المال كله كمن اكتسب المال بتجارة يعلم أنه قد كذب في بعضها في المراجعة وصدق في بعضها أو من غصب دهنًا وخلطه بدهن نفسه أو ضل ذلك في الحبوب أو الدراهم والدنانير فلا يغلو ذلك إما أن يكون معلوم القدر أو مجهولاً فإن كان معلوم القدر مثل أن يعلم أن قدر النصف من جملة ماله حرام فعليه تمييز النصف وإن كان أشكل فله طريقان أحدهما الأخذ باليقين والآخر الأخذ بظن الظن وكلاهما قد قال به العلماء في اشتباه ركعات الصلاة ونحن لا نجوز في الصلاة إلا الأخذ باليقين فإن الأصل اشتغال الدمة فيستحب ولا يغيب إلا بعلامة قوية وليس في أعداد الركعات بوثق بها وأما هنا فلا يمكن أن يقدّر الأصل أن ما في يده حرام بل هو مشكل فيجوز له الأخذ بظن الظن اجتهدا ولكن الورع في الأخذ باليقين فإن أراد الورع فطريق التحري والاجتهاد أن لا يستبق إلا القدر الذي يتيقن أنه حلال وإن أراد الأخذ بالظن فطريقه مثلا أن يكون في يده مال تجارة فسد بعضها فيتيقن أن النصف حلال وأن الثلث مثلا حرام ويبقى سدس يشك فيه فيحكم فيه بظن الظن وهكذا طريق التحري في كل ماله وهو أن يقتطع القدر اللتين من الجانبين في الحل والحرمه والقدر المتردد فيه إن غلب على ظنه التحريم أخرجه وإن غلب الحل جازله الامساك والورع إخراجه وإن شك فيه جاز الامساك والورع إخراجه وهذا الورع أكد لأنه صار مشكوكا فيه وجاز إمساكه اعتداه على أنه في يده فيكون الحل أغلب عليه وقد صار ضعيفا بعد يقين اختلاط الحرام ويحتمل أن يقال الأصل التحريم ولا يأخذ إلا ما يظن على ظنه أنه حلال وليس أحد الجانبين بأولى من الآخر وليس يتبين في الحال ترجيح وهو من للشكالات . فإن قيل هب أنه أخذ باليقين لكن الذي يخرج به ليس بدرى أنه عين الحرام فلعل الحرام ما بقي في يده فكيف يقدم عليه ولو جاز هذا لجاز أن يقال إذا اختلطت مئة بقس مذكاة فهي الحرام فله أن يطرح واحدة أي واحدة كانت ويأخذ الباقى ويستحلها ولكن يقال لعل لينة فيها استبقاه بل لو طرح التسع واستبق واحدة لم تحل لاحتمال أنها الحرام . فنقول هذه للوازنة كانت تصح لولا أن المال محل بإخراج البدل لطرق المعاوضة إليه وأما اللينة فلا تطرق للمعاوضة إليها فليكشف الغطاء عن هذا الاشكال بالقرض في درهم معين اشتبه بدرهم آخر فيمن له درهمان أحدهما حرام قد اشتبه عينه وقد سئل أحمد بن حنبل رضى الله عنه عن مثل هذا فقال يدع الكل حتى يتبين وكان قد رهن آية فلما قضى الدين حمل إليه للرهن آيتين وقال لا أدري أيتهما آيتك فتركهما فقال للرهن هذا هو الذي لك وإنما كنت أخترتك فقضى دينه ولم يأخذ

(الباب الرابع في كيفية خروج التائب عن الظالم)

الروابي يصلها بالجمع بين السنتين قبله الفريضتين للظهر والصوم وبعد الفراغ من الفريضتين يصل ما يصل بعد الفريضة من الظهر ركعتين أو أربعاً وبعد الفراغ من المغرب والعشاء يؤدي السنن الربابة لها ويوتر بعدها ولا يجوز أداء الفرض على الدابة بحال إلا عند التحام القتال للغزى ويجوز ذلك في السنن الروابي والنواقل وتكفيه الصلاة على ظهر الدابة وفي الركوع والسجود الإيماء ويكون إيماء السجود أخفض من الركوع إلا أن يكون قادراً على التحمك مثل أن يكون في محاورة وغير ذلك ويقوم توجهه إلى الطريق مقام استقبال القبلة ولا يوجهها إلى غير الطريق إلا لضرورة

الرهن وهذا ورع ولكننا نقول إنه غير واجب فلنفرض المشتكى في درهم له مالك معين حاضر فقول إذا رد أحد الدرهمين عليه ورضى به مع العلم بحقيقة الحال حل له الدرهم الآخر لأنه لا يخلو إما أن يكون الردود في علم الله هو المأخوذ فقد حصل المقصود وإن كان غير ذلك فقد حصل لكل واحد درهم في يد صاحبه فلا احتياط أن يتبايأ باللفظ فإن لم يفعل وقع التقاص والتبادل بمجرد المعاطاة وإن كان الغصب منه قد فات له درهم في يد الغاصب وعسر الوصول إلى عينه واستحق ضمانه فلما أخذ وقع عن الضمان بمجرد القبض وهذا في جانبه واضح فإن الضمون له بملك الضمان بمجرد القبض من غير لفظ والاشكال في الجانب الآخر أنه لم يدخل في ملكه . فقول لأنه أيضا إن كان قد تسلم درهم نفسه قد فات له أيضا درهم في يد الآخر فليس يمكن الوصول إليه فهو كالتائب فيقع هذا بدلا عنه في علم الله إن كان الأمر كذلك ويقع هذا التبادل في علم الله كما يقع التقاص لو ألتف رجلان كل واحد منهما درهما على صاحبه بل في عين مسئلتنا لو ألقى كل واحد مافي يده في البحر أو أحرقه كأن قد ألتفه ولم يكن عليه عهدة الآخر بطريق التقاص فكذا إذا لم يلف فإن القول بهذا أولى من الصبر إلى أن من يأخذ درهما حراما ويطره في ألف ألف درهم لرجل آخر صبر كل المال مجورا عليه لا يجوز التصرف فيه وهذا للذهب يؤدي إليه فانظر مافي هذا من البعد وليس فيما ذكرناه إلا ترك اللفظ والمعاطاة بيع ومن لا يحطها يباع فحيث يتطرق إليها احتمال إذ الفعل يضعف دلالة حيث يمكن التلغظ وههنا هذا التسليم والتسليم للبدالة قطعا والبيع غير ممكن لأن البيع غير مباح إليه ولا معلوم في عينه وقد يكون ممالا يقبل البيع كالموخرط رطل دقيق بألف رطل دقيق لغيره وكذا الدبس والرطب وكل ما لا يباع البعض منه ببعض . فإن قيل فأنتم جوزتم تسليم قدر حقه في مثل هذه الصورة وجعلتموه يباع . قلنا لا نجعله يباع بل نقول هو بدل عما فات في يده فيملكه كما يملك للتلف عليه من الرطب إذا أخذ مثله هذا إذا ساعده صاحب المال فإن لم يساعده وأضر به وقال لا أخذ درهما أصلا إلا عين ملكي فإن استبهم فأتركه ولاأهبه وأعطي عليك مالك . فأقول على القاضي أن ينوب عنه في القبض حتى يطيب للرجل ماله فإن هذا محض التعتق والتضييق والتسرع لم يرد به فإن عجز عن القاضي ولم يجده فليحكم رجلا متدينا ليقبض عنه فإن عجز فيتولى هو بنفسه ويغرد على نية الصرف إليه درهما ويتعين ذلك له ويطيب له الباقي وهذا في خلط المائعات أظهر وأزهر . فإن قيل فينبغي أن يحل له الأخذ وينتقل الحق إلى ذمته فأى حاجة إلى الإخراج أولا ثم التصرف في الباقي . قلنا قال قائلون يحل له أن يأخذ مادام يبقى قدر الحرام ولا يجوز أن يأخذ الكل ولو أخذ لم يجز له ذلك وقال آخرون ليس له أن يأخذ ما لم يخرج قدر الحرام بالتوبة وقصد الإبدال وقال آخرون يجوز للأخذ في التصرف أن يأخذ منه وأما هو فلا يعطى فإن أعطى عصي هو دون الأخذ منه وما يجوز أحدا أخذ الكل وذلك لأن المالك لو ظهر فله أن يأخذ حقه من هذه الجملة إذ يقول لعل المصروف إلى يقع عين حق وبالتمين وإخراج حق الغير وتميزه يندفع هذا الاحتمال فهذا المال يرجع بهذا الاحتمال على غيره وما هو أقرب إلى الحق مقدم كما يقدم المثل على القيمة والعين على المثل فكذلك ما يحتمل فيه رجوع المثل مقدم على ما يحتمل فيه رجوع القيمة وما يحتمل فيه رجوع العين يقدم على ما يحتمل فيه رجوع المثل ولو جاز لهذا أن يقول ذلك لجاز لصاحب الدرهم الآخر أن يأخذ الدرهمين ويتصرف فيهما ويقول على قضاء حقه من موضع آخر إذ الاختلاط من الجانبين وليس ملك أحدهما بأن يقدر قائما بأولى من الآخر إلا أن ينظر إلى الأقل فيقدر أنه قامت فيه أو ينظر إلى الذي خلط فيجعل بفضله متلفا لحق غيره وكلاهما بعيدان جدا وهذا واضح في ذوات الأسئال فإنها تقع عوضا في الاتلافات من غير عقد فأما إذا اشتبه دار بدور أو عبيد ببيد فلا سبيل إلى المصالحة والتراضي .

لو حرف دابته عن الصوب للتوجه إليه لا إلى نحو القبلة بطلت صلاته . وللناسي يتنقل في السفر ويقنعه استقبال القبلة عند الإحرام ولا يجزئه في الإحرام إلا الاستقبال ويقنعه الإيعاء للركوع والسجود وراكب للهابة لا يحتاج إلى استقبال القبلة الإحرام أيضا . وإذا أصبح للمسافر مقاما ثم سافر فعليه أتمام ذلك اليوم في الصوم وهكذا إن أصبح مسافرا ثم أقام والصوم في السفر أفضل من الفطر وفي الصلاة القصر أفضل من الإتمام . فهذا القدر كاف للصوفى أن يطمه من حكم الشرع في مهام سفره . فأما المنسوب والمستحب فينبغي أن يطلب لنفسه رفقا في الطريق بينه على أمر الدين وقد قيل الرفيق ثم الطريق ونهى رسول الله صلى الله

فإن أبي أن يأخذ إلا عين حقه ولم يقدر عليه وأراد الآخر أن يوق عليه جميع ملكه فان كانت متائلة القيم فالطريق أن يبيع القاضى جميع الدور ويوزع عليهم الثمن بقدر النسبة وإن كانت متفاوتة أخذ من طالب البيع قيمة أنص الدور وصرف إلى للمتبع منه مقدار قيمة الأقل ويوقف قدر التفاوت إلى البيان أو الاصطلاح لأنه مشكل وإن لم يوجد القاضى فللذى يريد الخلاص وفيه السكل أن يتولى ذلك بنفسه هذه هي المصلحة وماعداها من الاحتمالات ضعيفة لا يختارها وفيما سبق تنبيه على الملة وهذا في الحنطة ظاهر وفي النقود مونه وفي العروش أغمض إذ لا يقع البعض بدلا عن البعض فلذلك احتيج إلى البيع ولترسم مسائل يتم بها بيان هذا الأصل . مسألة : إذا ورث مع جماعة وكان السلطان قد غصب ضيعة لمورثهم فرد عليه قطعة معينة فهي لجميع الورثة ولو رد من الضيعة نصفا وهو قدر حقه ساهم الورثة فان النصف القليل لا يتميز حتى يقال هو للرود والباقي هو للنصوب ولا يصير مميزا بنية السلطان وقصد حصر النصب في نصيب الآخرين . مسألة : إذا وقع في يده مال أخذه من سلطان ظالم ثم تاب ولال عقار وكان قد حصل منه ارتفاع فينبى أن يحسب أجر مثله لطول تلك للدة وكذلك كل منصوب له منفعة أو حصل منه زيادة فلا تصح توبته ما لم يخرج أجره للنصوب وكذلك كل زيادة حصلت منه وتقدير أجره العبيد والسياب والأواني وأمثال ذلك مما لا يجادل جارتها مما يصير ولا يدرك ذلك إلا بالاجتهاد وتخمين وهكذا كل التقويعات تقع بالاجتهاد وطريق الورع الأخذ بالأقصى وما ربحه على المال للنصوب في عقود عقدها على القيمة وقضى الثمن منه فهو ملك له ولكن فيه شبهة إذ كان ثمنه حراما كما سبق حكمه وإن كان بأعين تلك الأموال فالعقود كانت فاسدة ، وقد قيل تنفذ بإجارة المنصوب منه للمصلحة فيكون المنصوب منه أولى به والقياس أن تلك العقود تنسخ وتسترد الثمن وترد الأعواض فان عجز عنه لكثرة فهي أموال حرام حصلت في يده فلم ينصوب منه قدر رأس ماله والفضل حرام يجب إخراجه ليصدق به ولا يحل للغاصب ولا للمنصوب منه بل حكمه حكم كل حرام يقع في يده . مسألة : من ورث مالا ولم يدرك أن مورثه من أين اكتسبه أمن حلال أم من حرام ولم يكن ثم علامة فهو حلال باتفاق العلماء وإن علم أن فيه حراما وشك في قدره أخرج مقدار الحرام بالتحري فان لم يعلم ذلك ولكن علم أن مورثه كان يتولى أعمالا للسلطين واحتدل أنه لم يكن يأخذ في عمله شيئا أو كان قد أخذ ولم يبق في يده منه شيء لطول المدة فهذه شبهة يحسن التورع عنها ولا يجب وإن علم أن بعض ماله كان من الظلم فيلزمه إخراج ذلك القدر بالاجتهاد . وقال بعض العلماء : لا يلزمه والآن على اللورث واستدل بما روى أن رجلا من ولئ عمل السلطان مات فقال صحابي الآن طاب ماله أى لوارثه وهذا ضعيف لأنه لم يذكر اسم الصحابي ولعله صدر من متساهل فقد كان في الصحابة من يتساهل ولكن لا نذكره لحمة الصعبة وكيف يكون موت الرجل مبيحا للحرام المتيقن المختلط ومن أين يؤخذ هذا نعم إذا لم يتيقن يجوز أن يقال هو غير مأخوذ بما لا يدري فيطيب لوارث لا يدري أن فيه حراما يتينا .

(النظر الثاني في الصرف)

فإذا أخرج الحرام فله ثلاثة أحوال : إما أن يكون له مالك معين فيجب الصرف إليه أو إلى وارثه وإن كان غالبا فينتظر حضوره أو الإيصال إليه وإن كانت له زيادة ومنفعة فلتجمع فوائده إلى وقت حضوره وإما أن يكون للمالك غير معين وقب اليأس من الوقوف على عينه ولا يدري أنه مات عن وارث أم لا فهذا لا يمكن الرد فيه للمالك ويوقف حتى يتضح الأمر فيه وربما لا يمكن الرد لكثرة اللالك كقول الضيعة فانها بعد تنزق الثزاة كيف يقدر على جمعهم وإن قدر فكيف يفرق دينارا واحدا مثلا على ألف

عليه وسلم أن يسافر الرجل وحده إلا أن يكون صوفيا طالما بأفة نفسه يغتار الوحدة على بصيرة من أمره فلا بأس بالوحدة وإذا كانوا جماعة يبنى أن يكون فيهم متقدم أمير قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إذا كنتم ثلاثة في سفر فأمرؤا أحكم » والذي يسميه الصوفية بيشتر وهو الأمير وينبى أن يكون الأمير أزهد الجماعة في الدنيا وأوفرهم حظا من التقوى وأتمهم مروءة وسخاوة وأكرم شفقة . روى عبد الله ابن عمر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « خير الأصحاب عند الله خيرهم لصاحبه » قل عن عبد الله للروزي أن أبا بلى الرباطى حبه فقال على أن أكون أنا الأمير أو أنت فقال بل أنت فليزل يحمل

أو ألفين فهذا ينبغي أن يتصدق به وإما من مال النية والأموال المرصدة لمصالح المسلمين كافة فيصرف ذلك إلى القناطر والساجد والرباطات ومصانع طريق مكة وأمثال هذه الأمور التي يشترك في الانتفاع بها كل من يمر بها من المسلمين ليكون عاما للمسلمين وحكم القسم الأول لاشبهة فيه أما التصديق وبناء القناطر فينبغي أن يتولاه القاضي فيسلم إليه المال إن وجد قاضيا متدينا وإن كان القاضي مستعلا فهو بالتسليم إليه ضامن لو ابتدأ به فيما لا يضمنه فكيف يسقط عنه به ضمان قد استقر عليه بل يحكم من أهل البلد طالما متدينا فإن التحكيم أولى من الانفراد فإن عجز فليتول ذلك بنفسه فإن للتصود الصرف وأما عين الصارف فأنما نطلبه لمصارف دقيقة في المصالح فلا يترك أصل الصرف بسبب العجز عن صارف هو أولى عند القدرة عليه . فإن قيل مادليل جواز التصديق بما هو حرام وكيف يتصدق بما لا يملك وقد ذهب جماعة إلى أن ذلك غير جائز لأنه حرام . وحكى عن الفضيل أنه وقع في يده درهمان فلما علم أنهما غير وجههما رماهما بين الحجارة وقال لا تصدق إلا بالطيب ولا أرضى لغيري ما لا أرضاه لنفسي فقول نعم ذلك له وجه واحتمال وإنما اخترنا خلافه للغير والأثر والقياس . أما الخبر فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالتصدق بالشاء للصلاة التي قدمت إليه فكلتمه بأنها حرام إذ قال صلى الله عليه وسلم أطعموها الأسارى (١) ولما نزل قوله تعالى - ألم غلبت الروم في أدنى الأرض وهم من بعد غلبهم سيفلون - كذبه الشركون وقالوا للصحابه ألا ترون ما يقول صاحبكم يزعم أن الروم ستغلب ، فخاطبهم أبو بكر رضي الله عنه بإذن رسول الله عليه وسلم فلما حقق الله صدقه وجاء أبو بكر رضي الله عنه بما قامهم به قال عليه الصلاة والسلام هذا سحت تصدق به وفرح المؤمنون بنصر الله وكان قد نزل تحريم القمار بعد إذن رسول الله صلى الله عليه وسلم له في المخاطرة مع الكفار (٢) وأما الأثر فإن ابن مسعود رضي الله عنه اشترى جارية فلم يظفر بها لكها ليقدمه الخن فطلبه كثيرا فلم يجد فصدق بالثن وقال اللهم هذا عن إن رضي وإلا فالأجر لي ، وسئل الحسن رضي الله عنه عن توبة الغال وما يؤخذ منه بدتفريق الجيش فقال يتصدق به . وروى أن رجلا سولت له نفسه قتل مائة دينار من التينة ثم آتى أسيره ليردها عليه فأبى أن يقبضها وقال له خرق الناس فأنى معاوية فأبى أن يقبض فأبى بعض النساك فقال ادفع خمسها إلى معاوية وتصدق بما بقي فبلغ معاوية قوله فخلع فإذ لم يخطر له ذلك ، وقد ذهب أحمد بن حنبل والحارث المحاسبي وجماعة من أنورعين إلى ذلك . وأما القياس فهو أن يقال إن هذا المال مردد بين أن يضيع وبين أن يصرف إلى خير إذ قد وقع اليأس من مالكة وبالضرورة يعلم أن صرفه إلى خير أولى من القائه في البحر فأنما إن رمياه في البحر فقد فوتاه على أنفسنا وعلى المالك ولم نحصل منه فائدة وإذا رميناه في يد فقير يدعو لمالكه حصل للمالك بركة دعائه وحصل للفقير سد حاجته وحصول الأجر للمالك بغير اختياره في التصديق لا ينبغي أن ينكر

(١) حديث أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالتصدق بالشاء للصلاة التي قدمت بين يديه وكلتمه بأنها حرام إذ قال أطعموها الأسارى أحمد بن حنبل حديث رجل من الأنصار قال خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في جنازة فلما رجعنا لقينا راى امرأة من قريش فقال إن فلانة تدعوك ومن معك إلى طعام الحديث وفيه فقال أجد لهم شاة أخذت بغير إذن أهلها وفيه فقال أطعموها الأسارى وإسناده جيد (٢) حديث مخاطرة أنى بكر الشركين بأذنه صلى الله عليه وسلم لما نزل قوله تعالى - ألم غلبت الروم - وفيه فقال صلى الله عليه وسلم هذا سحت تصدق به البيهقي في دلائل النبوة من حديث ابن عباس وليس فيه أن ذلك كان بأذنه صلى الله عليه وسلم والحديث عند الترمذى وحسنه والحاكم وصححه دون قوله أيضا هذا سحت تصدق به .

التراد لنفسه ولا يبنى على ظهره . وأما طرقت السماء ذات ليلة فقام عبد الله طول الليل على رأس رقيقه يخطبه بكسائه عن اللط وكثا قال لا تفعل يقول أأست الأمير عليك الاقياد والطاعة فأما إن كان الأمير بصحب الفقراء لمحبة الاستبعا وطلب الرئاسة والتمزق ليقسط على الخدم في الربط ويبلغ نفسه هواها فهذا طريق أرباب الهوى الجهال البائسين لطريق الصوفية وهو سبيل من يريد جمع الدنيا فليتخذ لنفسه رقعا مائلين إلى الدنيا يجمعون لتحصيل أغراض النفس والدخول على أبناء الدنيا والظلمة للتوصل إلى تحصيل مأرب النفس ولا يخلو اجتماعهم هذا عن الخوض في الفسقة والدخول في المداخل المكروهة والتغلب

فان في الخبر الصحيح « إن للزارع والغارس أجرا في كل ما يصيبه الناس والطيور من تمارة وزرعه ^(١) » وذلك بغير اختياره ، وأما قول القائل لا تصدق إلا بالطيب فذلك إذا طلبنا الأجر لأنفسنا ونحن الآن نطلب الخلاص من المظلمة لا الأجر وتردنا بين التضييع وبين التصديق ورجحنا جانب التصديق على جانب التضييع ، وقول القائل لا ترضى لغيرنا ما لا ترضاه لأنفسنا فهو كذلك ولكنه علينا حرام لاستغنائنا عنه وللفقر حلال إذ أحله دليل الشرع وإذا اقتضت المصلحة التحليل وجب التحليل وإذا حل فقد رخصنا له الحلال ونقول إن له أن يتصدق على نفسه وعياله إذا كان فقيرا . أما عياله وأهله فلا يخفى لأن الفقر لا يمتنع عنهم بكونهم من عياله وأهله بل هم أولى من يتصدق عليهم وأما هو فله أن يأخذ منه قدر حاجته لأنه أيضا فقير ولو تصدق به على فقير لجاز وكذا إذا كان هو الفقير ، ولرسم في بيان هذا الأصل أيضا مسائل . مسألة : إذا وقع في يده مال من يد سلطان قال قوم يرد إلى السلطان فهو أعلم بما تولاه فيقلبه ماتقلبه وهو خير من أن يتصدق به واختار المحاسي ذلك وقال كيف يتصدق به فقل له مالكا معينا ولو جاز ذلك لجاز أن يسرق من السلطان ويتصدق به ، وقال قوم يتصدق به إذا علم أن السلطان لا يرد به إلى المالك لأن ذلك إعانة للظالم وتكثير لأسباب ظلمه فالرد إليه تضييع لحق المالك ، والختار أنه إذا علم من عادة السلطان أنه لا يرد به إلى مالكه فيتصدق به عن مالكه فهو خير للمالك إن كان له مالك معين من أن يرد على السلطان لأنه ربما لا يكون له مالك معين ويكون حق المسلمين فردا على السلطان تضييع فان كان له مالك معين فالرد على السلطان تضييع وإعانة للسلطان الظالم وتقويت لبركة دعاء الفقير على المالك وهذا ظاهر فاذا وقع في يده من ميراث ولم يتعد هو بالأخذ من السلطان فإنه شبيه باللقطة التي أيس عن معرفة صاحبها إذ لم يكن له أن يتصرف فيها بالتصدق عن المالك ولكن له أن يملكها ثم وإن كان غنيا من حيث إنه اكتسبه من وجه مباح وهو الالتقاط وههنا لم يحصل المال من وجه مباح فيؤثر في منعه من التملك ولا يؤثر في المنع من التصديق . مسألة : إذا حصل في يده مال لا مالكا له وجوزنا له أن يأخذ قدر حاجته لفقره ففي قدر حاجته نظر ذكرناه في كتاب أسرار الزكاة ، فقد قال قوم يأخذ كفاية سنة لنفسه وعياله وإن قدر على شراء ضيعة أو تجارة يكتسب بها للعائلة فعل وهذا ما اختاره المحاسي ولكنه قال الأولى أن يتصدق بالكل إن وجد من نفسه قوة التوكل وينتظر لطف الله تعالى في الحلال فان لم يجد فله أن يشتري ضيعة أو يتخذ رأس مال يتعيش بالمعروف منه وكل يوم وجد فيه حلالا أمسك ذلك اليوم عنه فاذا نفي عاد إليه فاذا وجد حلالا معينا تصدق بمثل ما أتقنه من قبل ويكون ذلك قرضا عنده ثم إنه يأكل الخبز ويترك اللحم إن قوى عليه وإلا أكل اللحم من غير تنعم وتوسع وما ذكره لأمزيد عليه ولكن جعل ما أتقنه قرضا عنده فيه نظر ولا شك في أن الورع أن يجعله قرضا فاذا وجد حلالا تصدق بمثله ولكن مهما لم يجب ذلك على الفقير الذي يتصدق به عليه فلا يعد أن لا يجب عليه أيضا إذا أخذه لفقره لأسباب إذا وقع في يده من ميراث ولم يكن متعديا بنفسه وكسبه حتى يفلظ الأمر عليه فيه . مسألة : إذا كان في يده حلال وحرام أو شبهة وليس يفضل الكل عن حاجته فاذا كان له عيال فليخص نفسه بالحلال لأن الحاجة عليه أو كد في نفسه منه في عبده وعياله وأولاده الصغار والكبار من الأولاد يحرمهم من الحرام إن كان لا يفيض بهم إلى ما هو أشد منه فان أفضى فيطمعهم بقدر الحاجة وبالجملة كل ما يحذر في غيره فهو محذور في نفسه وزيادة وهو أنه يتناول مع العلم والعيال بما تعذر إذا

الربط والاستمتاع
والزهوة وكلما كثر
العلوم في الرباط أطالوا
للقام وإن تصدرت
أسباب الدين وكلما قل
العلوم رحلوا وإن
تيسرت أسباب الدين
وليس هذا طريق
الصوفية ومن المستحب
أن يودع إخوانه إذا
أراد السفر ويدعو لهم
بسلامة رسول الله صلى
الله عليه وسلم . قال
بعضهم صحبت عبد الله
ابن عمر من مكة إلى
المدينة فلما أردت
مفارقتهم شيعي وقال
صحت رسول الله صلى
الله عليه وسلم يقول
قال لقمان لابنه يا بني
إن الله تعالى إذا
استودع شيئا حفظه
وإن أستودع الله
دينك وأمانتك
وخواتم عملك وروى
زيد بن أرقم عن
رسول الله صلى الله عليه
وسلم أنه قال « إذا أراد
أحدكم سفرا فليودع
إخوانه فان الله تعالى

(١) حديث أجر الزارع والغارس في كل ما يصيب الناس والطيور البخاري من حديث أنس ما من مسلم يفرس غرسا أو يزرع زروا فياكل منه إنسان أو طير أو بهيمة إلا كان له صدقة .

لم تعلم إذ لم تتول الأمر بنفسها فليبدأ بالحلال بنفسه ثم بمن يعول وإذا تردد في حق نفسه بين ما يخص قوته وكسوته وبين غيره من المؤمنين كأجرة الحجام والصابغ والقصار والمحال والاطلاء بالنورة والدهن وعمارة المنزل وتعميد الدابة وتسجير التنور وعن الحطب ودهن السراج فليخص بالحلال قوته ولباسه فإن ما يتعلق بيده ولاغنى به عنه هو أولى بأن يكون طيبا وإذا دار الأمر بين القوت واللباس فيحتمل أن يقال يخص القوت بالحلال لأنه بمنزلة بلحمه ودمه وكل لحم ثبت من حرام فالنار أولى به وأما الكسوة فقائدها ستر عورته ودفع الحر والبرد والإبصار عن بشرته وهذا هو الأظهر عندى وقال الحرث الحاسبي يقدم اللباس لأنه يبقى عليه مدة والطعام لا يبقى عليه لما روى أنه « لا يقبل الله صلاة من عليه ثوب اشتراه بمشرة درهم فيها درهم حرام ^(١) » وهذا محتمل ولكن أمثال هذا قد ورد فيمن في بطنه حرام ونبت لحمه من حرام ^(٢) ثم راعاه اللحم والعظم أن ينبت من الحلال أولى ولذلك تقياً الصديق رضى الله عنه ما شربه مع الجهل حتى لا ينبت منه لحم ثبت ويقى . فإن قيل فإذا كان الكل منصرفا إلى أغراضه فأى فرق بين نفسه وغيره وبين جهة وجهه ومادرك هذا الفرق . قلنا : عرف ذلك بما روى أن رافع بن خديج رحمه الله مات وخلف ناضعا وعبدًا حجاما فقتل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ذلك قهبي عن كسب الحجام فروج مرات ففتح منه قليل إن له أثاما فقال أعلفوه الناضح ^(٣) فهذا يدل على الفرق بين ما يأكله هو أودأته فإذا افتتح سبيل الفرق قصص عليه التفصيل الذى ذكرناه . مسألة : الحرام الذى فى يده لو تسدق به على الفقراء فله أن يوسع عليهم وإذا أنفق على نفسه فليضيّق ما قدر وما أنفق على عياله فليقتصد وليكن وسطا بين التوسيع والتضيّق فيكون الأمر على ثلاث مراتب فإن أنفق على ضيف قدم عليه وهو فقير فليوسع عليه وإن كان غنيا فلا يطعمه إلا إذا كان فى برية أو قدم ليلا ولم يجد شيئا فإنه فى ذلك الوقت فقير وإن كان الفقير الذى حضر ضيفا تقياً لو علم ذلك لتورع عنه فليعرض الطعام وليخبره جما بين حق الضيافة وترك الخداع فلا ينبغي أن يكرم أخاه بما يكره ولا ينبغي أن يعول على أنه لا يدري فلا يضره فإن الحرام إذا حصل فى المعدة أثر فى قساوة القلب وإن لم يعرفه صاحبه ولذلك تقياً أبو بكر وعمر رضى الله عنهما وكانا قد شربا على جهل وهذا وإن أنقينا بأنه حلال للفقراء أحللتنا بحكم الحاجة إليه فهو كالخنزير والحرام إذا أحللتنا بالضرورة فلا يلتحق بالطيبات مسألة : إذا كان الحرام أو الشبهة فى يد أبويه فليمتنع عن مؤاكلتهما فإن كانا يسخطان فلا يوافقهما على الحرام المحض بل ينهاهما فلا طاعة لمخلوق فى معصية الله تعالى فإن كان شبهة وكان امتناعه للورع فهذا قد عارضه أن الورع طلب رضاها بل هو واجب فليتنطلف فى الامتناع فإن لم يقدر فليوافق وليقلل الأكل بأن يصغر اللقمة ويطليل المضع ولا يتوسع فإن ذلك عدوان والأخ والأخت قريبان من ذلك لأن حقهما أياضاً كد وكذلك إذا ألبسته أمه ثوبا من شبهة وكانت تسخط برده فليقبل

(١) حديث لا تقبل صلاة من عليه ثوب اشتراه بمشرة درهم وفيها درهم حرام أحمد من حديث ابن عمر وقد تقدم (٢) حديث الجسد نبت من حرام تقدم (٣) حديث أن رافع بن خديج مات وخلف ناضعا وعبدًا حجاما الحديث وفيه أعلفوه الناضح أحمد والطبراني من رواية عباية بن رفاعه ابن خديج أن جده حين مات ترك جارية وناضعا وغلاما حجاما الحديث وليس المراد بجده رافع ابن خديج فإنه بقى إلى سنة أربع وسبعين فيحتمل أن المراد جده الأعلى وهو خديج ولم أره ذكرًا فى الصحابة وفى رواية للطبراني عن عباية بن رفاعه عن أبيه قال مات أبى وفى رواية له عن عباية قال مات رفاعه على عهد النبي صلى الله عليه وسلم الحديث وهو مضطرب .

جاء له فى دعائهم البركة . وروى عنه عليه السلام أيضا أنه كان إذا ودع رجلا قال « زدك الله التقوى وغفر ذنبك ووجهك للخير حيث توجهت » وينبئ أن يستفد إخوانه إذا دعا لهم واستودعهم الله أن الله يستجيب دعاءه قد روى أن عمر رضى الله عنه كان يعطى الناس عطايام إذا جاء رجل معه ابن له فقال له عمر ما رأيت أحدا أشبه بأحد من هذا بك فقال الرجل أحدثك عنه يا أمير المؤمنين إني أردت أن أخرج إلى سفر وأمه حامل به فقالت تخرج وتدعى على هذه الحالة ققلت أستودع الله ما فى بطنك فخرجت ثم قدمت فإذا هى قد ماتت فجلسنا نتحدث فإذا نار تلوح على قبرها ققلت للقوم ماهذه النار فقالوا هذه من قبر فلانة نراها كل ليلة ققلت والله إنها

وليلبس بين يديها ولينزع في غيبتها وليجهد أن لا يصلي فيه إلا عند حضورها فيصلي فيه صلاة المضطر
وعند تمارض أسباب الورع ينبغي أن يتقدم هذه الدقائق . وقد حكى عن بسر رحمه الله أنه سئل
إليه أمه رطبة وقالت بحق عليك أن تأكلها وكان يكرهه فأكل ثم صعد غرفة فصعدت أمه وراءه
فرأته يتبأً وإنما فصل ذلك لأنه أراد أن يجمع بين رضاها وبين صيانة اللعبة وقد قيل لأحمد بن
حنبل سئل بشر هل للوالدين طاعة في الشبهة فقال لا فقال أحمد هذا شديد قبيل له سئل محمد بن مقاتل
العباداني عنها فقال بر. والديك فإذا تقول فقال للسائل أحب أن تعفيني فقد سمعت ما قالاً ثم قال
ما أحسن أن تداريها . مسألة : من في يده مال حرام محض فلا حج عليه ولا يلزمه كفارة مالية
لأنه مفلس ولا تجب عليه الزكاة إذ معنى الزكاة وجوب إخراج ربع العشر مثلاً وهذا يجب عليه
إخراج الكل إمارداً على المالك إن عرفه أو صرفاً إلى الفقراء إن لم يعرف المالك وأما إذا كان
مال شبهة يحتمل أنه حلال فإذا لم يخرج من يده لزمه الحج لأن كونه حلالاً يمكن ولا يسقط الحج
إلا بالفقر ولم يتحقق فقره وقد قال الله تعالى - وقف على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلاً -
وإذا وجب عليه التصديق بما يزيد على حاجته حيث يظلم على ظنه تخريمه فالزكاة أولى بالوجوب
وإن لزمته كفارة فليجمع بين الصوم والاعتاق ليتخلص يمينين وقد قال قوم يلزمه الصوم دون
الإطعام إذ ليس له يسار معلوم وقال المحاسبي يكفيه الإطعام والذي نفتاره أن كل شبهة حكمنا بوجوب
اجتنابها وألزمناه إخراجها من يده لتكون احتمال الحرام أغلب على ما ذكرناه فعليه الجمع بين الصوم
والإطعام أما الصوم فلا لأنه مفلس حكماً وأما الإطعام فلا لأنه قد وجب عليه التصديق بالجميع ويحتمل
أن يكون له فيكون اللزوم من جهة الكفارة . مسألة : من في يده مال حرام أمسكه للحاجة فأراد
أن يتطوع بالحج فإن كان ماشياً فلا بأس به لأنه سبأ كل هذا المال في غير عبادة فأكله في عبادة
أولى وإن كان لا يقدر على أن يمشي ويحتاج إلى زيادة للمركوب فلا يجوز الأخذ مثل هذه الحاجة
في الطريق كالأخذ بجوز شراء للمركوب في البلد وإن كان يتوقع القدرة على حلال لو أقام بحيث يستغنى
به عن بقية الحرام فالإقامة أولى من الحجاج ماشياً بالمال الحرام . مسألة : من خرج لحج
واجب بماله فيه شبهة فليجهد أن يكون قوته من الطيب فإن لم يقدر فمن وقت الإحرام إلى التحلل
فإن لم يقدر فليجهد يوم عرفة أن لا يكون قيامه بين يدي الله ودعاؤه في وقت مطعمه حرام وملبسه
حرام فليجهد أن لا يكون في بطنه حرام ولا على ظهره حرام فإنما وإن جوزنا هذا بالحاجة فهو نوع
ضرورة وما ألقناه بالطيات فإن لم يقدر فليلازم قلبه الخوف والتمسك لما هو مضطر إليه من تناول
ماليس بطيب فمسا ينظر إليه بين الرحمة ويتجاوز عنه بسبب حزنه وخوفه وكراهته . مسألة :
سئل أحمد بن حنبل رحمه الله فقال له قائل مات أبي وترك مالا وكان يعامل من تسكره معاملته فقال
ندع من ماله بقدر ما ربح فقال له دين وعليه دين فقال تقضى وتقتضى فقال أفتري ذلك قال أفتدعه
محتسباً بدينه وما ذكره صحيح وهو يدل على أنه رأى التحريم بإخراج مقدار الحرام إذ قال يخرج
قدر الربح وأنه رأى أن أعيان أمواله ملك له بدلاً عما بذله في المعاولات الفاسدة بطريق التفاضل
والتقابل مهما كثرت التصرفات وعسر الرد وعول في قضاء دينه على أنه يقين فلا يترك بسبب الشبهة .

(الباب الخامس في إدراوات السلاطين وصلاتهم وما يحل منها وما يحرم)

اعلم أن من أخذ مالا من سلطان فلا بد له من النظر في ثلاثة أمور في مدخل ذلك إلى يد السلطان
من أين هو وفي صفته التي بها يستحق الأخذ وفي المقدار الذي يأخذه هل يستحقه إذا أضيف إلى
حاله وحال شركائه في الاستحقاق .

(الباب الخامس في إدراوات السلاطين)

كانت صوامع قوامه
فأخذت المعول حتى
اتسبنا إلى القبر فحفرنا
وإذا سراج وإذا هذا
الغلام يدب قفيل إن هذا
وديعتك ولو كنت
استودعتنا أمه لوجدتها
فقال عمر لم هو أشبه بك
من العرب بالعرب .

وينبغي أن يودع كل
منزل يرحل عنه
بركتين ويقول : اللهم
زودني التقوى واغفر لي
ذنوبي ووجهي للخير
أيتها وجهت . وروى
أنس بن مالك قال كان
رسول الله عليه الصلاة
والسلام لا ينزل منزلاً
إلا ودعه بركتين
فينبغي أن يودع كل
منزل ورباط يرحل
عنه بركتين وإذا
ركب الدابة فليقل
- سبحان الذي سخر
لنا هذا وما كنا له
مقرنين - بسم الله
والله أكبر توكلت على
الله ولا حول ولا قوة
إلا بالله العلي العظيم .
اللهم أنت الحامل على

(النظر الأول في جهات الدخل للسلطان)

وكل ما يحل للسلطان سوى الإحياء وما يشترك فيه الرعية قسماً : مأخوذ من الكفار وهو الغنيمة للأخوذة بالقهر والقيء وهو الذي حصل من ماله من غير قتال والجزية وأموال الصالحة وهي التي تؤخذ بالشروط والمعاقبة . والقسم الثاني للأخوذ من المسلمين فلا يحل منه إلا قسماً : الوارث وسائر الأمور الضائعة التي لا يمتنع لها مالك والأوقاف التي لا تمتولى لها أما الصدقات فليست توجد في هذا الزمان وما عدا ذلك من الخراج والضروب على المسلمين والمصادرات وأنواع الرشوة كلها حرام فإذا كتب لقمية أو غيره إدرار أو صلة أو خلة على جهة فلا يغلو من أحوال ثمانية : فانه إما أن يكتب له ذلك على الجزية أو على الوارث أو على الأوقاف أو على ملك أحياء السلطان أو على ملك اشتراه أو على عامل خراج المسلمين أو على بيع من جملة التجار أو على الخزانة . فالأول هو الجزية وأربعة أخماسها للمصالح وخمسها للجهات معينة فإ يكتب على الخمس من تلك الجهات أو على الأقسام الأربعة لما فيه مصلحة وروعي فيه الاحتياط في القدر فهو حلال بشرط أن لا تكون الجزية إلا مضروبة على وجه شرعي ليس فيها زيادة على دينار أو على أربعة دنانير فانه أيضاً في محل الاجتهاد وللسلطان أن يفعل ما هو في محل الاجتهاد وبشرط أن يكون الدمي الذي تؤخذ الجزية منه مكتسباً من وجه لا يعلم تحريره فلا يكون عامل سلطان ظالماً ولا يبيع خمر ولا سبي ولا امرأة إلا لجزية عليهما فهذه أمور تراعى في كيفية ضرب الجزية ومقدارها وصفة من تصرف إليه ومقدار ما يصرف فيجب النظر في جميع ذلك . الثاني للوارث والأموال الضائعة فهي للمصالح والنظر أن الذي خلقه هل كان ماله كله حراماً أو أكثره أو أقله وقد سبق حكمه فان لم يكن حراماً بقي النظر في صفة من يصرف إليه بأن يكون في الصرف إليه مصلحة ثم في القدر للصرف . الثالث الأوقاف وكذا يجري النظر فيها كما يجري في للبركات مع زيادة أمر وهو شرط الواقف حتى يكون للأخوذ موافقاً له في جميع شرائطه . الرابع ما أحياء السلطان وهذا لا يعتبر فيه شرط إذ له أن يعطي من ملكه ما شاء لمن شاء أي قدر شاء وإنما النظر في أن الغالب أنه أحياء باكره الأجراء أو بأداء أجرهم من حرام فان الإحياء يحصل بحفر القناة والأنهار وبناء الجدران وتسوية الأرض ولا يتولاه السلطان بنفسه فان كانوا مكرهين على الفعل لم يملكه السلطان وهو حرام وإن كانوا متأجرين ثم قضيت أجورهم من الحرام فهذا يورث شبهة قد نبهنا عليها في تعلق الكراهة بالأعواض . الخامس ما اشتراه السلطان في الدمة من أرض أو ثياب خلة أو فرس أو غيره فهو ملكه وله أن يتصرف فيه ولكنه سيقتضي ثمة من حرام وذلك يوجب التحريم تارة والشبهة أخرى وقد سبق تفصيله . السادس أن يكتب على عامل خراج المسلمين أو من يجمع أموال القسمة والمصادرة وهو الحرام الصحة الذي لا شبهة فيه وهو أكثر الإدرارات في هذا الزمان إلا ما على أراضي العراق فانها وقف عند الشافعي رحمه الله على مصالح المسلمين . السابع ما يكتب على بيع عامل السلطان فان كان لا يعامل غيره فانه كال خزانة السلطان وإن كان يعامل غير السلاطين أكثر فإ يسلطه قرض على السلطان وسيأخذ بدله من الخزانة فالحلل يتطرق إلى العوض وقد سبق حكم الثمن الحرام . الثامن ما يكتب على الخزانة أو على عامل يجتمع عنده من الحلال والحرام فان لم يعرف للسلطان دخل إلا من الحرام فهو سحت محض وإن عرف يقينا أن الخزانة تشتمل على مال حلال ومال حرام واحتمل أن يكون ما يسلّم إليه بينه من الحلال احتمالاً قريباً له وقع في النفس واحتمل أن يكون من الحرام وهو الأغلب لأن أغلب أموال السلاطين حرام في هذه الأعصار والحلال في أيديهم معدوم أو عزيز

الظهر وأنت للسلطان على الأمور السنة وأن يرحل من النازل بكثرة ويستدعى يوم الخميس روى كتب بن مالك قال قلما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يخرج إلى السفر إلا يوم الخميس وكان إذا أراد أن يبع سرية بشها أول النهار ويستحب كلما أشرف على منزل أن يقول : اللهم رب السموات وما أظللن ورب الأرضين وما أقلن ورب الشياطين وما أضللن ورب الرياح وما ذرين ورب البحار وما جرين أسألك خير هذا للترز وخير أهله وأعوذ بك من شر هذا للترز وشر أهله وإذا نزل فليصل ركعتين . وما ينبغي للمسافر أن يصحبه آلة الطهارة قيل كان إبراهيم الخواص لا يخافه أربعة أشياء في الحضر والسفر الركوة والمبل والإبرة

فقد اختلف الناس في هذا فقال قوم كل ما لا يتقن أنه حرام في أن أخذه وقال آخرون لا يحل أن يأخذ
 ما لم يتحقق أنه حلال فلا عمل شبهة أصلاً ولا كراهة إسراف والاعتدال ما قدمنا ذكره وهو الحكم بأن الأغلب
 إذا كان حراماً حرام وإن كان الأغلب حلالاً وفيه يقين حرام فهو موضع توقفنا فيه كما سبق . ولقد احتج
 من جوز أخذ أموال السلاطين إذا كان فيها حرام وحلال منها لم يتحقق أن عين الناخذ حرام بما روى
 عن جماعة من الصحابة أنهم أدرکوا أيام الأئمة الظلمة وأخذوا الأموال منهم أبو هريرة وأبو سعيد
 الخدری وزید بن ثابت وأبو أيوب الأنصاري وجابر بن عبد الله وجابر وأنس بن مالك والمسلمون
 مخزومة فأخذ أبو سعيد وأبو هريرة من مروان ويزيد بن عبد الملك وأخذ ابن عمر وابن عباس من
 الحجاج وأخذ كثير من التابعين منهم كالشعبى وإبراهيم والحسن وابن أبي ليلى وأخذ الشافعي من هرون
 الرشيد ألف دينار في دفعة وأخذ مالك من الخلفاء أموالاً لجة وقال علي رضي الله عنه خذ ما يعطيك السلطان
 فاعلم يعطيك من الحلال وما يأخذ من الحلال أكثر وإنما ترك من ترك العطاء منهم تورعاً مخافة على
 دينه أن يعمل على ما لا يحل ألا ترى قول أبي ذرٍّ للأحنف بن قيس خذ العطاء ما كان نعمة فإذا كان آثماً
 دينكم فدعوه . وقال أبو هريرة رضي الله عنه إذا أعطينا قبلنا وإذا منعتنا لم نسأل . وعن سعيد بن المسيب
 أن أباه هريرة رضي الله عنه كان إذا أعطاه معاوية سكت وإن منعه وقع فيه وعن الشعبي عن مسروق
 لا يزال العطاء بأهل العطاء حتى يدخلهم النار أي يحمله ذلك على الحرام لأنه في نفسه حرام وروى نافع
 عن ابن عمر رضي الله عنهما أن المختار كان يبعث إليه المال فيقبله ثم يقول لا أسأل أحداً ولا أورد ما رزقني
 الله وأهدي إليه ناقة قبليها وكان يقال لها ناقة المختار ولكن هذا يعارضه ما روى أن ابن عمر رضي الله
 عنهما لم يرد هدية أحد إلا هدية المختار والاسناد في رده أثبت وعن نافع أنه قال يبعث ابن عمر إلى ابن
 عمر بستين ألفاً قسمها على الناس ثم جاءه سائل فاستقرضه من بعض من أعطاه وأعطى السائل ولما
 قدم الحسن بن علي رضي الله عنهما على معاوية رضي الله عنه فقال لأجيرك بجائزة لم أجزها أحداً قبلك
 من العرب ولا أجيزها أحداً بعدك من العرب قال فأعطاه أربع مائة ألف درهم فأخذها وعن حبيب
 ابن أبي ثابت قال لقد رأيت جائزة المختار لابن عمر وابن عباس قبلها قليل ما هي قال مال وكسوة وعن
 الزبير بن عدي أنه قال قال سليمان إذا كان لك صديق عامل أو تاجر يقارف الربا فدعك إلى طعام أو نحوه
 أو أعطاك شيئاً فاقبل فإن للهناً لك وعليه الوزرفان ثبت هذا في الربى فالظالم في معناه وعن جعفر عن
 أبيه أن الحسن والحسين عليهما السلام كانا يقبلان جوائز معاوية وقال حكيم بن جبير مررت على سعيد
 ابن جبيرة وقد جعل عامل على أسفل القرات فأرسل إلى العشارين أجمعونا معانديكم فأرسلوا بطعام فأكل
 وأكلنا معه وقال العلاء بن زهير الأزدي أتى إبراهيم أبي وهو عامل على حلوان فأجازه قبل وقال
 إبراهيم لأبأس بجائزة العمال إن لعمال مؤنة ورزقا ويدخل بيت ماله الخبيث والطيب لما أعطاك
 فهو من طيب ماله قد أخذته هؤلاء كلهم جوائز السلاطين الظلمة وكلهم طعنوا على من أطاعهم في نصبة الله
 تعالى وزعمت هذه الفرقة أن ما ينقل من امتناع جماعة من السلف لا يدل على التحريم بل على الورع
 كالخلفاء الراشدين وأبي ذرٍّ وغيرهم من الزهاد فانهم امتنعوا من الحلال المطلق زاهد ومن الحلال الذي
 يخاف إفضاؤه إلى محذور ورعاً وتقوى فاقدم هؤلاء يدل على الجواز وامتناع أولئك لا يدل على التحريم
 وما هل عن سعيد بن المسيب أنه ترك عطاءه في بيت للنال حتى اجتمع بضعة وثلاثين ألفاً وما هل عن
 الحسن من قوله لا أنوضأ من ماء صيرني ولو ضاق وقت الصلاة لأني لأندى أصل ماله بكل ذلك ورع
 لا ينكر واتباعهم عليه أحسن من اتباعهم على الاتساع ولكن لا يجرم اتباعهم على الاتساع أيضاً فهذه
 شبهة من يجوز أخذ مال السلطان للظالم . والجواب أن ما هل من أخذ هؤلاء محصور قليل بالاضافة إلى

وخيوطها والقراض
 ورويت عائشة رضي الله
 عنها أن رسول الله صلى
 الله عليه وسلم كان إذا
 سافر حمل معه خمسة
 أشياء للمرأة والسكحلة
 والدرى والسواك
 والمشط وقى رواية
 القراض والصوفية
 لا تفارقهم الصاوي
 أيضاً من السنة . روى
 معاذ بن جبل قال قال
 رسول الله صلى الله
 عليه وسلم « إن آخذ
 منبراً قد اغتذ إبراهيم
 وإن آخذ الصا
 قد اغتذها إبراهيم
 وموسى » وروى عن
 عبد الله بن عباس
 رضي الله عنهما أنه قال
 التوكؤ على الصا من
 أخلاق الأنبياء كان
 لرسول الله صلى الله عليه
 وسلم عصا يتوكأ عليها
 ويأمر بالتوكؤ على
 الصا وأخذ الركوة
 أيضاً من السنة . وروى
 جابر بن عبد الله قال
 « بينا رسول الله صلى الله
 عليه وسلم يتوضأ من

ما قل من ردم وإنكارهم وإن كان يتطرق إلى امتناعهم احتمال الورع فيتطرق إلى أخذ من أخذ ثلاثة احتمالات متفاوتة في الدرجة بتفاوتهم في الورع فإن للورع في حق السلاطين أربع درجات . الدرجة الأولى : أن لا يأخذ من أموالهم شيئا أصلا كما فعله الورعون منهم وكما كان يفعله الخلفاء الراشدون حتى إن أبا بكر رضي الله عنه حسب جميع ما كان أخذه من بيت المال فلغ ستة آلاف درهم فمرمها لبيت المال وحتى إن عمر رضي الله عنه كان يقسم مال بيت المال يوما فدخلت ابنة له وأخذت درهمين المال فتهض عمر في طلبها حتى سقطت الماحفة عن أحد منكبيه ودخلت الصبية إلى بيت أهلها تبكي وجعلت الدرهم في فيها فأدخل عمر اصبعه فأخرجه من فيها وطره على الحراج وقال أيها الناس ليس لعمر ولا لآل عمر إلا مال المسلمين قريهم وبيدهم وكسح أبو موسى الأشعري بيت المال فوجد درهما فربى لعمر رضي الله عنه فأعطاه إياه فرأى عمر ذلك في يد الغلام فسأله عنه فقال أعطانيه أبو موسى فقال يا أبا موسى ما كان في أهل المدينة بيت أهون عليك من آل عمر أردت أن لا يبقى من أمة محمد ﷺ أحد إلا طلبنا بظلمة ورد الدرهم إلى بيت المال هذا مع أن المال كان حلالا ولكن خاف أن لا يستحق هو ذلك القدر فكان يستبرئ لدينه ويقتصر على الأقل امتثالا لقوله صلى الله عليه وسلم « دعه ماريك إلى مالا يريك » (١) وقوله « ومن تركها فقد استبرأ لعرضه ودينه » (٢) ولما سمع من رسول الله صلى الله عليه وسلم من التشديدات في الأموال السلطانية حتى قال ﷺ حين بعث عبادة بن الصامت إلى الصدقة « اتق الله يا أبا الوليد لا تجيء يوم القيامة يبيع عمله على ربك له رغاء أو بقرة لها خوار أو شاة لها ثؤاج فقال يا رسول الله أهكذا يكون قال نعم والذي نفسي بيده إلا من رحم الله قال فوالذي بئسك بالحق لا عمل على شيء أبدا » (٣) وقال ﷺ « إني لا أخاف عليكم أن تتركوا بعدي إنما أخاف عليكم أن تنافسوا » (٤) وإنما خاف التنافس في المال ولذلك قال عمر رضي الله عنه في حديث طويل يذكر فيه مال بيت المال إني لم أجدهم في مال إلا كالأول مال اليتيم إن استغنيت استغنيت وإن افتقرت أكلت بالمعروف وروى أن ابنا لطاوس اقتل كتابا عن لسانه إلى عمر بن عبد العزيز فأعطاه ثلثمائة دينار فباع طائوس ضيعة له وبعث من نعمها إلى عمر ثلثمائة دينار هذا مع أن السلطان مثل عمر بن عبد العزيز فهذه هي الدرجة العليا في الورع . الدرجة الثانية : هو أن يأخذ مال السلطان ولكن إنما يأخذ إذا علم أن ما يأخذه من جهة خلال فاشتمال بد السلطان على حرام آخر لا يضره وعلى هذا ينزل جميع ما قل من الآثار أو أكثرها أو ما اختص منها بأكثر الصحابة والورعين منهم مثل ابن عمر فإنه كان من المبانيين في الورع فكيف يتوسع في مال السلطان وقد كان من أهدم إنكارا عليهم وأهدم ذما لأموالهم وذلك أنهم اجتمعوا عند ابن عامر وهو في مرضه وأشفق على نفسه من ولايته وكونه مأخوذا عند الله تعالى بها فقالوا له إنا نرجو لك الخير حفرت الآبار وسقيت الحاج وصنعت وصنعت وابن عمر ساكت فقال ماذا تقول يا ابن عمر فقال أقول ذلك إذا طاب للكسب وزكت النفقة وستر دقري وفي حديث آخر أنه قال إني الحبيث لا يكفر الحبيث وإنك قدوليت البصرة ولا أحسبك إلا قد أصبت منها شرا فقال له ابن عامر ألا تدعوني فقال

ركوة إذ جهش الناس نحوه أي أسرعوا نحوه « والأصل فيه البكاء كالصبي يتلزم بالأم ويسرع إليها عند البكاء قال « فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما لكم قالوا يا رسول الله ما نجد ماء فخر ب ولا تسوا به إلا ما بين يديك فوضع يده في الركوة فنظرت وهو يغور من بين أصابعه مثل العميون قال فتوسا القوم منه قلت كم كنتم قال لو كنا مائة ألف لكفانا كنا خمس عشرة مائة في غزوة الحديبية . ومن سنة الصوفية عند الوسط وهو من السنة . روى أبو سعيد قال « حج رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه مشاة من المدينة إلى مكة وقال اربطوا على أوساطكم بأزركم فربطنا ومشينا خلفه المرولة . ومن ظاهر آداب الصوفية عند

(١) حديث دعه ماريك إلى مالا يريك تقدم في الباب الأول من الحلال والحرام (٢) حديث من تركها فقد استبرأ لدينه وعرضه متفق عليه من حديث النعمان بن بشير وقد تقدم أوله في أول الباب الثاني من الحلال والحرام (٣) حديث قال لعبادة بن الصامت حين بعثه إلى الصدقة اتق الله يا أبا الوليد لا تجيء يوم القيامة يبيع عمله على ربك الحديث الشافعي في السند من حديث طائوس مرسل ولأبي يلى في اللعج من حديث ابن عمر مختصرا أنه قال لسمد بن عبادة وإسناده صحيح (٤) حديث إني لا أخاف عليكم أن تتركوا بعدي إنما أخاف عليكم أن تنافسوا متفق عليه من حديث عتبة بن عامر .

ابن عمر سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « لا يقبل الله صلاة بغير طهور ولا صدقة من غلول » (١) وقد وليت البصرة فهذا قوله فيما صرّفه إلى الخيرات وعن ابن عمر رضى الله عنهما أنه قال في أيام الحجاج : ما سمعت من الطعام ماذا انتهت الدار إلى يومى هذا . وروى عن طى رضى الله عنه أنه كان له سويق في إثناء غنوم يضرب منه قليل أو عمل هذا بالمراق مع كثرة طعامه فقال أما إنى لأأختمه بخلاجه ولكن أكره أن يحمل فيه ما ليس منه وأكره أن يدخل بطنى غير طيب فهذا هو المألوف منهم وكان ابن عمر لا يسيبه شيء إلا أخرج عنه فطلب منه نافع بثلاثين ألفا فقال إنى أخاف أن تفتنى دراهم ابن عامر وكان هو الطالب أذهب فأنت حر . وقال أبو سعيد الخدرى ما من أحد إلا وقد مات به الدنيا إلا ابن عمر فهذا يتضح أنه لا يظن بمويعن كان في منصبه أنه أخذ ما لا يدرى أنه حلال . الدرجة الثالثة : أن يأخذ ما أخذه من السلطان ليتصدق به على الفقراء أو يفرقه على المستحقين فإن ما لا يتبع مال السكة هذا حكم الشرع فيه فإذا كان السلطان إن لم يأخذ منه لم يفرقه واستعان به على ظم قد يقول أخذه منه ونفقه أولى من تركه في يده ، وهذا قدر آه بعض العلماء وسيأتى وجهه ، وعلى هذا ينزل ما أخذه أكثرهم ولذلك قال ابن المبارك إن الذين يأخذون الجواز اليوم ويحتجون بابن عمر وعائشة ما يقتدون بهما لأن ابن عمر فرق ما أخذ حتى استقرض في مجلسه بدينهم فتمسكتين ألفا وعائشة فلت مثل ذلك وجابر بن زيد جاءه مال فصدق به وقال رأيت أن أخذه منهم وأصدق أحب إلى من أن أدعها في أيديهم وهكذا فعل الشافعى رحمه الله بماتقه من هرون الرشيد فانه فرقه على قرب حتى لم يمسك لنفسه حبة واحدة ، الدرجة الرابعة : أن لا يتحقق أنه حلال ولا يفرق بل يستبقى ولكن يأخذ من سلطان أكثر جماله حلال وهكذا كان الخلفاء في زمان الصحابة رضى الله عنهم والتابعين بعد الخلفاء الراشدين ولم يكن أكثر ما لهم حراما ويدل عليه تلميل على رضى الله عنه حيث قال فان ما يأخذه من الحلال أكثر فهذا بما قد جوزوه جماعة من العلماء تنويلا على الأكثر ونحن إنما توقعنا فيه في حق آحاد الناس ومال السلطان أشبه بالخروج عن الحصر فلا يبعد أن يؤدى اجتهاد مجتهد إلى جواز أخذ ما لم يعلم أنه حرام اعتمادا على الأغلب وإنما منعه إذا كان الأكثر حراما فإذا فهمت هذه الدرجات تحققت أن ادراعات الظلمة في زماننا لا تجري مجرى ذلك وأنها تفرقه من وجهين قاطعين : أحدهما أن أموال السلاطين في عصرنا حرام كلها أو أكثرها وكيف لا والحلال هو الصدقات والنفقة والزينة لا وجود لها وليس يدخل منها شيء في يد السلطان ولم يبق إلا الجزية وأنها تؤخذ بأنواع من الظلم لا يحل أخفها به فانهم يجاوزون حدود الشرع في الأخوذ والتأخوذ منه والوفاء له بالشرط ثم إذا نسبت ذلك إلى ما ينصب إليهم من الحراج والضروب على المسلمين ومن المصادرات والرشا وصنوف الظلم لم يبلغ عشر معشار عشرين . والوجه الثانى أن الظلمة في العصر الأول تقرب عهدهم بزمان الخلفاء الراشدين كانوا مستشعرين من ظلمهم ومتنوفين إلى استئالة قلوب الصحابة والتابعين وحريصين على قبولهم عطايهم وجوازهم وكانوا يمتثلون إليهم من غير سؤال وإذلال بل كانوا يتقلدون النية بقبولهم ويفرحون به وكانوا يأخذون منهم ويفرقون ولا يطعمون السلاطين في أغراضهم ولا يشنون مجالسهم ولا يكترون جمعهم ولا يحبون بقاءهم بل يدعون عليهم ويطلقون اللسان فيهم وينكرون المنكرات منهم عليهم لما كان يحذر أن يصيوا من دينهم بقدر ما أسأبوا من دنياهم ولم يكن بأخذهم بأس فأما الآن فلا تسمع نفوس السلاطين بعطية إلا لمن طمعوا في استخدامهم والتسكّرهم والاستعانة بهم على أغراضهم والتجمل بشيائهم مجالسهم وتكليفهم الواظبة على الدعاء والثناء والتركية والاطراء

(١) حديث لا يقبل الله صلاة بغير طهور ولا صدقة من غلول مسلم من حديث ابن عمر .

خروجهم من الربط
أن يصل ركبتين في
أول التيار يوم السفر
بكرة كاذرنا يودع
البقرة بركبتين
ويقدم الخف وينفضه
ويشمر الكم اليمنى ثم
اليسرى ثم يأخذ
اليانيد الذى يشده
وسطه ويأخذ خريطة
للداس وينفضها ويأتى
للوضع الذى يريد أن
يلبس الخف فيفرق
السجادة طاقين
ويحك فكل أحد
للداسين بالآخر ويأخذ
للداس باليسر
والخريطة باليمن وضع
للداس فى الخريطة
أعقابه إلى أسفل
ويشد رأس الخريطة
ويدخل للداس يده
اليسرى من كفه
الأيسر ويضعه خلف
ظهره ثم يقعد على
السجادة ويقيم الخف
يساره وينفضه
ويبتدى باليمن فيلبس
ولا يدع شيئا من الران
أو للنطقة يقع على

في حضورهم ومنعهم فلم يذلل الأخذ نفسه بالسؤال أولا وبالتردد في الخدمة ثانيا وبالثناء والدعاء ثالثا وبالمساعدة له على أغراضه عند الاستعانة رابعا وبكثير جمعه في مجلسه وموكبه خامسا وبإظهار الحب والولاية والمناصرة له على أعدائه سادسا وبالستر على ظلمه ومقابعه ومساوى أعماله ساجدا لم يتم عليه درهم واحد ولو كان في فضل الشافعي رحمه الله مثلا فلا يزال يجوز أن يؤخذ منهم في هذا الزمان ما يعلم أنه حلال لأفضائه إلى هذه المعاني فكيف ما يعلم أنه حرام أو يشك فيه فمن استجرأ على أموالهم وشبه نفسه بالصعابة والتأبين فقد قاس الملازمة بالحدادين في أخذ الأموال منهم حاجة إلى مخالطتهم ومراعاتهم وخدمة عمالهم واحتمال القتل منهم والثناء عليهم والتردد إلى أبوابهم وكل ذلك مصيبة على ماسئين في الباب الذي يلي هذا فإذا قد تبين مما تقدم مداخل أموالهم وما يعمل منها وما لا يعمل فلو تصور أن يأخذ الإنسان منها ما يعمل بقدر استحقاقه وهو جالس في بيته يساق إليه ذلك لا يحتاج فيه إلى تفقد عامل وخدمته ولا إلى الثناء عليهم وتزكيتهم ولا إلى مساعدتهم فلا يحرم الأخذ ولكن يكره لمانسبته عليها في الباب الذي يلي هذا.

(النظر الثاني من هذا الباب في قدر المأخوذ وصفة الأخذ)

ولنفرض للمال من أموال الصالح كأربعة أخماس التي* وللوارث فان ماعده بما قد تعين مستحقه إن كان من وقف أو صدقة أو خمس في أو خمس غنيمة وما كان من ملك السلطان بما أحياء أو اشتراه فله أن يعطى ما شاء لمن شاء وإنما النظر في الأموال الضائعة ومال الصالح فلا يجوز صرفه إلا إلى من فيه مصلحة عامة أو هو محتاج إليه عاجز عن الكسب فأما الذي لا مصلحة فيه فلا يجوز صرف مال بيت المال إليه هذا هو الصحيح وإن كان العلماء قد اختلفوا فيه ، وفي كلام عمر رضي الله عنه ما يدل على أن لكل مسلم حقا في بيت المال لكونه مسلما مكثرا جمع الإسلام ولكنه مع هذا ما كان يقسم للمال على المسلمين كافة بل على مخصوصين بصفات فإذا ثبت هذا فكل من يتولى أمرا يقوم به تمدي مصلحة إلى المسلمين ولو اشتغل بالكسب لتعطل عليه ما هو فيه فله في بيت المال حق الكفاية ويدخل فيه العلماء كلهم أعني العلوم التي تتعلق بمصالح الدين من علم الفقه والحديث والتفسير والقراءة حتى يدخل فيه للعلمون والمؤذنون ، وطلبة هذه العلوم أيضا يدخلون فيه فانهم إن لم يكفوا لم يتمكنوا من الطلب ويدخل فيه العمال وهم الذين تربط مصالح الدنيا بأعمالهم وهم الأجناد للترزقة الذين يحرسون المملكة بالسيوف عن أهل العداوة وأهل البنى وأعداء الإسلام ويدخل فيه الكتاب والحساب والوكلاء وكل من يحتاج إليه في ترتيب ديوان الخراج أعني العمال على الأموال الحلال لا على الحرام فان هذا المال للمصالح والمصلحة إما أن تتعلق بالدين أو بالدنيا فبالعلماء حراسة الدين وبالأجناد حراسة الدنيا والدين والملك توأمان فلا يستغنى أحدهما عن الآخر والطبيب وإن كان لا يرتبط بعلمه أمر ديني ولكن يرتبط بصحة الجسد والدين يبقه فيجوز أن يكون له وللمن يجري مجراه في العلوم المحتاج إليها في مصلحة الأبدان أو مصلحة البلاد إمرار من هذه الأموال ليتفرغوا لمعالجة المسلمين أعني من يحتاج منهم خير أجره وليس يشترط في هؤلاء الحاجة بل يجوز أن يعطوا مع النقي فان الخلفاء الراشدين كانوا يعطون المهاجرين والأنصار ولم يفرقوا بالحاجة وليس يتقدر أيضا بمقدار بل هو إلى اجتهد الإمام وله أن يوسع ويضي وله أن يقتصر على الكفاية على ما يقتضيه الحال وسعة المال قد أخذ الحسن عليه السلام من معاوية في دفعة واحدة أربع مائة ألف درهم وقد كان عمر رضي الله عنه يعطى لجماعة اثني عشر ألف درهم رقعة في السنة ، وأثبتت عائشة رضي الله عنها في هذه الجريدة والجماعة عشرة آلاف وجماعة ستة آلاف وهكذا فهذا مال هؤلاء فيوزع عليهم حتى لا يبقى منه شيء فان خص واحد منهم بمال كثير فلا بأس وكذلك للسلطان أن يخص

للأرض ثم يغسل يديه ويغسل وجهه إلى الموضع الذي يخرج منه ويودع الحاضرين فان أخذ بعض الإخوان رايته إلى خارج الرباط لا يئتمه وهكذا المساو الا بريق ويودع من شيعة ثم يشد للراوية برفع يده اليمنى ويخرج اليسرى من تحت إبطه الأيمن ويشد للراوية على الجانب الأيسر ويكون كتفه الأيمن خاليا وعقدة للراوية على الجانب الأيمن فاذا وصل في طريقه إلى موضع شريف أو استقبله جمع من الإخوان أو شيخ من الطائفة عمل الراوية ويحطها ويستقبلهم ويسلم عليهم ثم إذا جاوزوه يشد الراوية وإذا دنا من منزل وابطا كان أو غيره محل الراوية ويحطها تحت إبطه الأيسر وهكذا المساو الا بريق يمكنه ييساره وهذه

من هذا المال ذوى الخصائص بالخلع والجوائز فقد كان يفعل ذلك في السلف ولكن ينبغي أن يلتفت فيه إلى المصلحة ومهما خص عالم أو شجاع بصلة كان فيه بث للناس ونحريض على الاشتغال والتشبه به فهذه فائدة الخلع والصلوات وضروب التخصيصات وكل ذلك منوط باجتهاد السلطان وإنما النظر في السلاطين الظلة في شيئين : أحدهما أن السلطان الظالم عليه أن يكف عن ولايته وهو إما معزول أو واجب العزل فكيف يجوز أن يأخذ من يده وهو على التحقيق ليس بسلطان . والثاني أنه ليس بعمم بماله جميع المستحقين فكيف يجوز للأحد أن يأخذوا أيجوز لهم الأخذ بقدر حصصهم أم لا يجوز أصلاً أم يجوز أن يأخذ كل واحد ما أعطى . أما الأول فالذي نراه أنه لا يمنع أخذ الحق لأن السلطان الظالم الجاهل مهما ساعدته الشوكة وعسر خلعهم وكان في الاستبدال به فتنه تائرة لا تطاق وجب تركه ووجبت الطاعة له كما يجب طاعة الأمراء إذ قد ورد في الأمر بطاعة الأمراء (١) وللنع من سل اليد عن مساعدتهم (٢) أو امر وزواجر فالذي نراه أن الخلافة منعقدة للتكفل بها من بنى العباس رضى الله عنه وأن الولاية نافذة للسلاطين في أنظار البلاد والبايعين للخليفة وقد ذكرنا في كتاب المستظهرى المستنبط من كتاب كشف الأسرار وهتك الأستار تأليف القاضي أبي الطيب في الرد على أصناف الروافض من الباطنية ما يشير إلى وجه المصلحة فيه . والقول الوجيز أنا نراعى الصفات والشروط في السلاطين تشوقاً إلى مزايا المصالح ولو قضينا بطلان الولايات الآن لبطلت للمصالح رأساً فكيف يفوت رأس المال في طلب الربح بل الولاية الآن لا تتبع إلا الشوكة فمن يابعه صاحب الشوكة فهو الخليفة ومن استبد بالشوكة وهو مطيع للخليفة في أصل الخطبة والسكفة فهو سلطان نافذ الحكم والقضاء في أنظار الأرض ولاية نافذة الأحكام وتحقيق هذا قد ذكرناه في أحكام الإمامة من كتاب الاقتصاد في الاعتقاد فلنسا نطول الآن به . وأما الإشكال الآخر وهو أن السلطان إذا لم يعم بالمطاء كل مستحق فهل يجوز للواحد أن يأخذ منه فهذا مما اختلف العلماء فيه على أربع مراتب فضلاً بعضهم وقال كل ما يأخذه فالمسلمون كلهم فيه شركاء ولا يدري أن حصته منه داني أو جبة فليترك الكل وقال قوم له أن يأخذ قدر قوت يومه فقط فإن هذا القدر يستحقه لحاجته على المسلمين وقال قوم له قوت سنة فإن أخذ الكفاية كل يوم عسير وهو ذوق في هذا المال فكيف يتركه وقال قوم إنه يأخذ ما يعطى والمطلوب هم الباقون وهذا هو القياس لأن للمال ليس مشتركاً بين المسلمين كالنسيئة بين الغانمين ولا كالميراث بين الورثة لأن ذلك صار ملكاً لهم وهذا لو لم يتفق قسمه حتى مات هؤلاء لم يجب التوزيع على ورثتهم بحكم الميراث بل هذا الحق غير متعين وإنما يتعين بالقبض بل هو كالصدقات ومهما أعطى الفقراء حصتهم من الصدقات وقع ذلك ملكاً لهم ولم يمتنع بظلم المالك بقية الأصناف بمنع حقهم هذا إذا لم يصرف إليه كل المال بل صرف إليه من المال مالم يصرف إليه بطريق الأيتار والتفضيل مع تعميم الآخرين لجاز له أن يأخذه والتفضيل جائز في المطاء . سوى أبو بكر رضى الله عنه فراجعه عمر رضى الله عنه فقال إنما فضلهم عند الله وإنما الدنيا بلاغ وفضل

(١) حديث الأمر بطاعة الأمراء البخارى من حديث أنس اسمعوا وأطيعوا وإن استعمل عليكم عبد حبشي كأن رأسه زينة . ولمسلم من حديث أبي هريرة عليك بالطاعة في منشطك ومكرهك الحديث وله من حديث أبي ذر أوصاني النبي ﷺ أن أسمع وأطيع ولو لمجدع الأطراف (٢) حديث النع من سل اليد عن مساعدتهم الشيخان من حديث ابن عباس ليس أحد يفارق الجماعة شراً فيموت إلامات ميتة جاهلية ولمسلم من حديث أبي هريرة من خرج من الطاعة وفارق الجماعة فمات ميتة جاهلية وله من حديث ابن عمر من خلع يدا من طاعة لقي الله يوم القيامة ولا حجة له .

الرسوم استحسنها فقراء
خراسان والجيل ولا
يتهدا أكثر فقراء
العراق والشام والمغرب
ويجربى بين الفقراء
مشاحة في رعايتها
فمن لا يتهدا يقول
هذه رسوم لا تلزم
والالتزام بها وقوف
مع الصور وغفلة عن
الحقائق ومن يتهدا
يقول هذه آداب
وضمها للتقدمون وإذا
رأوا من يخل بها أو
شيء منها ينظرون
إليه نظر الازدراء
والحقارة ويقال هذا
ليس بصوفى وكلا
الطائفتين في الإنكار
يتصدون الواجب
والصحيح في ذلك أن
من يتهدا لا ينكر
عليه ظيس بمنكر
في الشرع وهو أدب
حسن ومن لم يلتزم
بذلك فلا ينكر عليه
فليس بواجب في
الشرع ولا مندوب
إليه وكثير من فقراء
خراسان والجيل يبالغ

عمر رضى الله عنه في زمانه فأعطى عائشة اثني عشر ألفاً وزينب عشرة آلاف وجوهرية سنة آلاف وكذا صفيه وأقطع عمر لعل خاصة رضى الله عنهما وأقطع عثمان أيضاً من السواد خمس جنات وآثر عثمان علياً رضى الله عنهما بها قبل ذلك منه ولم ينكر وكل ذلك جائز في محل الاجتهاد وهو من المجتهدات التي أقول فيها إن كل مجتهد مصيب وهي كل مسألة لأنس على عنها ولا على مسألة تقرب منها فتكون في معناها بقياس جلي كهذه للسئلة ومسئلة حد الشرب فانهم جلدوا أربعين وثمانين والكل سنة وحق وإن كل واحد من أبي بكر وعمر رضى الله عنهما مصيب باتفاق الصحابة رضى الله عنهم إذ للفضول مارد في زمان عمر شيئاً إلى الفاضل مما قد كان أخذه في زمان أبي بكر ولا الفاضل ابتنع من قبول الفضل في زمان عمر واشترك في ذلك كل الصحابة واعتقدوا أن كل واحد من الرأيين حق فليؤخذ هذا الجنس دستوراً للاختلافات التي يصب فيها كل مجتهد فأما كل مسألة شذ عن مجتهد فيها نص أو قياس جلي بنفلة أو سوء رأى وكان في القوة بحيث ينقض به حكم المجتهد فلا حول فيها إن كل واحد مصيب بل للصيب من أصاب النص أو مافى معنى النص وقد تحصل من مجموع هذا أن من وجد من أهل الخصوص للموصوفين بصفة تتعلق بها مصالح الدين أو الدنيا وأخذ من السلطان خلعة أو إداراً على التركات أو الجزية لم يصر فاسقاً بمجرد أخذه وإنما يفسق بخدمته لهم ومعاوته إليهم ودخوله عليهم وثنائه وإطرائه لهم إلى غير ذلك من لوازم لا يسلم المال غالباً إلا بها كما سنبينه .

(الباب السادس فيما يحل من مخالطة السلاطين الظلمة ومحرم

وحكم غشيان مجالسهم والدخول عليهم والاكرام لهم)

اعلم أن لك مع الأمراء والعمال الظلمة ثلاثة أحوال . الحالة الأولى : وهي شرها أن تدخل عليهم والثانية وهي دونها أن يدخلوا عليك والثانية وهو الأسلم أن تعتزل عنهم فلا ترام ولا يرونك . أما الحالة الأولى : وهي الدخول عليهم فهو مذموم جداً في الشرع وفيه تقييدات وتشديدات تواردت بها الأخبار والآثار فتتقاهم لتعرف ذم الشرع له ثم تعرض لما يحرم منه وما يباح وما يكره على ما تقتضيه الفتوى في ظاهر العلم . أما الأخبار : فإنه لما وصف رسول الله صلى الله عليه وسلم الأمراء الظلمة قال « فمن نابذهم نجاً ومن اعتزلهم سلم أو كاد أن يسلم ومن وقع معهم في دنياهم فهو منهم » (١) وذلك لأن من اعتزلهم سلم من إثمهم ولكن لم يسلم من عذاب يعمه معهم إن نزل بهم لتركه النابذة والنازعة وقال صلى الله عليه وسلم « سيكون من بعدى أمراء يكذبون ويظلمون فمن صدقهم يكذبهم وأعانهم على ظلمهم فليس مني ولست منه ولم يرد على الحوض » (٢) وروى أبو هريرة رضى الله عنه أنه قال صلى الله عليه وسلم « أبغض القراء إلى الله تعالى الذين يزورون الأمراء » (٣) وفي الخبر « خير الأمراء الذين يأتون العلماء وشر العلماء الذين يأتون الأمراء »

(الباب السادس فيما يحل من مخالطة السلاطين)

(١) حديث فمن نابذهم نجاً ومن اعتزلهم سلم أو كاد يسلم ومن وقع معهم في دنياهم فهو منهم الطبراني من حديث ابن عباس بسند ضعيف وقال ومن خالطهم هلك (٢) حديث سيكون بعدى أمراء يكذبون ويظلمون فمن صدقهم يكذبهم وأعانهم على ظلمهم فليس مني ولست منه ولم يرد على الحوض النسائي والترمذي وصححه والحاكم من حديث كعب بن جحزة (٣) حديث أبي هريرة أبغض القراء إلى الله عز وجل الذين يأتون الأمراء تقدم في العلم .

في رعاية هذه الرسوم إلى حد يخرج إلى الافراط وكثير ما يحل بها قراء العراق والحام والمغاربة إلى حد يخرج إلى المضرب والأليق أن ما ينكره الشرع ينكر وما لا ينكره لا ينكر ويحصل للصلح الاخوان أعمار مالم يكن فيها منكر أو إخلال بتدبؤ إليه والله للوفى .

[للباب الثامن عشر في القدوم من السفر ودخول الزباط والآداب فيه] ينبغي للفقير إذا رجع من السفر أن يستعذ بالله تعالى من آفات المقام كما يستعذ به من وعاء السفر . ومن الدعاء المأثور : « اللهم إني أعوذ بك من وعاء السفر وكآبة القلب وسوء النظر في الأهل والمال والولد » وإذا أشرف

وفي الخبر «العلماء أمناء الرسل على عباد الله ما لم يحاطوا السلطان فإذا فعلوا ذلك فقد خانوا الرسل فاحذروهم واعتزلوهم» (١) رَوَاهُ أَنَسُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ . وَأَمَّا الْآثَارُ : فَقَدْ قَالَ حَذِيفَةُ إِذَا كُمْ وَمَوَاقِفُ الْفَتْنِ قِيلَ وَمَاهِي قَالَ أَبَوَابُ الْأُمَرَاءِ يَدْخُلُ أَحَدُكُمْ عَلَى الْأَمِيرِ فَيُصَدِّقُهُ بِالْكَذِبِ وَيَقُولُ مَا لَيْسَ فِيهِ وَقَالَ أَبُو ذَرٍّ لَسَلَمَةُ يَأْتِيهِ لَاتَفْتِي أَبَوَابَ السَّلَاطِينِ فَانْكَ لَا تَصِيبُ مِنْ دِيْنَاهُمْ شَيْئًا إِلَّا أَصَابُوا مِنْ دِينِكَ أَفْضَلَ مِنْهُ ، وَقَالَ سَفْيَانُ فِي جَهَنَّمَ وَادِّ لَا يَسْكُنُهُ إِلَّا الْقِرَاءَةُ الزَّوَارُونَ لِلْمُلُوكِ ، وَقَالَ الْأَوْزَاعِيُّ مَا مِنْ شَيْءٍ أَنْبَغَ إِلَى اللَّهِ مِنْ عِلْمٍ يَزُورُ عَامِلًا . وَقَالَ سَمْنُونُ مَا أَسْبَحَ بِالْعَالَمِ أَنْ يُوْتَى إِلَى جَمْعِهِ فَلَا يُوْجَدُ فَيَسْأَلُ عَنْهُ فَيَقَالَ عِنْدَ الْأَمِيرِ . وَكَانَتْ أَسْمَعُ أَنَّهُ يَقَالُ إِذَا رَأَيْتُمُ الْعَالَمَ يَحِبُّ الدُّنْيَا فَاتَّهَمُوهُ عَلَى دِينِكُمْ حَتَّى جَرَبْتَ ذَلِكَ إِذَا مَدَخَلْتَ قَطْعًا عَلَى هَذَا السَّلْطَانِ إِلَّا وَحَاسِبْتَ نَفْسِي بَعْدَ الْخُرُوجِ فَأَرَى عَلَيْهَا الْمَرْكَعَ مَا أَوَاجَهُمْ بِهِ مِنَ الظُّلْمَةِ وَالْمُخَالَفَةِ لِمَوَاهِمِ ، وَقَالَ عِبَادَةُ بْنُ الصَّامِتِ حُبُّ الْقَارِي النَّاسِكِ الْأُمَرَاءِ نَفَاقٌ وَجِبْهُ الْأَغْنِيَاءِ رِيَاءٌ ، وَقَالَ أَبُو ذَرٍّ مِنْ كَثَرِ سَوَادِ قَوْمٍ فَهُوَ مِنْهُمْ أَيْ مِنْ كَثَرِ سَوَادِ الظُّلْمَةِ ، وَقَالَ ابْنُ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إِنْ الرَّجُلُ لِيَدْخُلَ عَلَى السَّلْطَانِ وَمَعَهُ دِينُهُ فَيُخْرِجُ وَلَادِينَ لَهُ قِيلَ لَهُ وَلَمْ يَقُلْ لِأَنَّهُ رِضِيهِ بِسَخَطِ اللَّهِ وَاسْتَعْمَلَ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ رَجُلًا قَلِيلًا كَانَ عَامِلًا لِلْعَجَاجِ فَعَزَلَهُ فَقَالَ الرَّجُلُ إِنَّمَا عَمِلْتُ لَهُ عَلَى شَيْءٍ يَسِيرٌ فَقَالَ لَهُ عُمَرُ حَسْبُكَ بِصِحَّتِهِ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ شَوْمًا وَشِيرًا ، وَقَالَ الْفَضِيلُ مَا زَادَ رَجُلٌ مِنْ ذِي سُلْطَانٍ قُرْبًا إِلَّا أَزَادَ مِنْ اللَّهِ بَعْدًا . وَكَانَ سَعِيدُ بْنُ السَّيِّبِ يَتَجَرَّ فِي الزَّيْتِ وَيَقُولُ إِنْ فِي هَذَا لَنَفْسٍ عَنْ هَؤُلَاءِ السَّلَاطِينِ ، وَقَالَ وَهَيْبُ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ يَدْخُلُونَ عَلَى الْمُلُوكِ لَهُمْ أَضَرُّ عَلَى الْأُمَّةِ مِنَ الْقَامِرِينَ ، وَقَالَ مُحَمَّدُ بْنُ سَلَمَةَ الدَّبَابُ عَلَى الْعِذْرَةِ أَحْسَنُ مِنْ قَارِيٍّ عَلَى بَابِ هَؤُلَاءِ ، وَلَمَّا خَالَطَ الزُّهْرِيُّ السَّلْطَانُ كَتَبَ أَخَاهُ فِي الدِّينِ إِلَيْهِ : قَالَا اللَّهُ وَإِيَّاكَ أَبَاكَرُ مِنَ الْفَتَنِ قَدْ أَصْبَحَتْ بِحَالٍ يَنْبَغِي لِمَنْ عَرَفَكَ أَنْ يَدْعُوَ لَكَ اللَّهُ وَيَرْحِمَكَ أَصْبَحْتَ شَيْخًا كَبِيرًا قَدْ أَتَقَلَّتْكَ نِعْمُ اللَّهِ لَمَّا فَهِمْتَ مِنْ كِتَابِهِ وَعَلِمْتَ مِنْ سُنَّةِ نَبِيِّهِ مُحَمَّدٍ ﷺ وَلَيْسَ كَذَلِكَ أَخَذَ اللَّهُ الْيَتَامَى عَلَى الْعُلَمَاءِ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى - لَتَنِينَ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ - وَاعْلَمْ أَنَّ أَيْسَرَ مَا ارْتَكَبْتَ وَأَخْفَى مَا احْتَمَلْتَ أَنَّكَ آتَنْتَ وَحْشَةَ الظَّالِمِ وَسَهَلْتَ سَبِيلَ الْبَغِيِّ بَدْنُوكَ مِمَّنْ لَمْ يُؤْذِحْ قَا وَلَمْ يَتْرَكْ بَاطِلًا حِينَ أُدْنَاكَ أَنْتَ ذُوكَ قَطْبًا تَدُورُ عَلَيْكَ رَحَى ظُلْمِهِمْ وَجَسْرًا يَبْرُونَ عَلَيْكَ إِلَى بِلَافْتِهِمْ وَسَلَامًا يَصْعَدُونَ فِيهِ إِلَى ضَلَالَتِهِمْ وَيَدْخُلُونَ بِكَ الشُّكَّ عَلَى الْعُلَمَاءِ وَيَقْتَادُونَ بِكَ قُلُوبَ الْجُهَلَاءِ فَمَا أَيْسَرَ مَا عَمَرُوا لَكَ فِي جَنْبِ مَا خَرَّبُوا عَلَيْكَ وَمَا أَكْثَرَ مَا أَخْلَوْا مِنْكَ فَمَا أَفْسَدُوا عَلَيْكَ مِنْ دِينِكَ فَمَا يُؤْمِنُكَ أَنْ تَكُونَ مِمَّنْ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى فِيهِمْ - غُلْفٌ مِنْ بَعْضِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ - الْآيَةَ وَإِنَّكَ تَعَامَلُ مِنْ لَا يَجْهَلُ وَيَحْفَظُ عَلَيْكَ مِنْ لَا يَفْضَلُ فِدَاؤُ دِينِكَ قَدْ دَخَلَ سَقَمٌ وَهِيَ زَادَكَ قَدْ حَضَرَ سَفَرُ بَعِيدٍ - وَمَا غَنَى عَلَى اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ - وَالسَّلَامُ ، فَهَذِهِ الْأَخْبَارُ وَالْآثَارُ تَدُلُّ عَلَى مَا فِي مَخَالَطَةِ السَّلَاطِينِ مِنَ الْفَتَنِ وَأَنْوَاعِ الْفَسَادِ وَلَكِنْ تَفَصَّلُ ذَلِكَ تَفْصِيلًا قَهْقَهًا نَمِيزَ فِيهِ الْمَحْظُورَ عَنِ الْكُرْهُ وَالْبَاحِ . فَتَقُولُ : الدَّخَالُ عَلَى السَّلْطَانِ مَتْرُوضٌ لِأَنَّهُ يَصْنَعُ اللَّهُ تَعَالَى إِمَّا بِفَعْلِهِ أَوْ بِسُكُوتِهِ وَإِمَّا بِقَوْلِهِ وَإِمَّا بِإِعْتِقَادِهِ فَلَا يَنْفَكُ عَنْ أَحَدِهِمْ أُمُورًا أَوْ أَعْمَالًا فَالدَّخُولُ عَلَيْهِمْ فِي غَالِبِ الْأَحْوَالِ يَكُونُ إِلَى دَوْرٍ مَضْضُوبَةٍ وَتَغْطِيهَا وَالدَّخُولُ فِيهَا بَغِيرُ إِذْنِ الْمَلِكِ حَرَامٌ وَلَا يَفْرَنْكَ قَوْلُ الْقَائِلِ إِنْ ذَلِكَ مِمَّا يَتَسَامَحُ بِهِ النَّاسُ كَتَمْرَةٍ أَوْ فَتَاتٍ خَبَرٍ فَإِنَّ ذَلِكَ صَحِيحٌ فِي غَيْرِ النَّصُوبِ أَمَّا النَّصُوبُ فَلَا لِأَنَّهُ إِنْ قِيلَ إِنْ كُلِّ جُلْسَةٍ خَفِيفَةٍ لَا تَنْتَقِصُ الْمُلْكُ فِيهِ فَعَلِ التَّسَامُحُ وَكَذَلِكَ الْاجْتِيَازُ فَيَجْرِي هَذَا فِي كُلِّ وَاحِدٍ فَيَجْرِي أَيْضًا فِي الْمَجْمُوعِ وَالنَّصَبِ إِنَّمَا تَمَّ فِعْلُ الْجَمِيعِ وَإِنَّمَا يَتَسَامَحُ بِهِ

(١) حَدِيثُ أَنَسٍ الْعُلَمَاءُ أَمْنَاءُ الرُّسُلِ عَلَى عِبَادِ اللَّهِ مَا لَمْ يَخَالَطُوا السَّلْطَانِ الْحَدِيثُ الضَّعِيفُ فِي رَجْعَةِ حَنْصِ الْأَبْرِيِّ وَقَالَ حَدِيثُهُ غَيْرُ مَحْفُوظٍ تَقْدِمُ فِي الْعِلْمِ .

على بلده يريد المقام بها
يشير بالسلام على من
بها من الأحياء
والأموات ويقرأ من
القرآن ما تيسر
ويجعله هدية للأحياء
والأموات ويكبر قد
روى «أن رسول الله
صلى الله عليه وسلم
كان إذا قفل من
غزو أو حج يكبر على
كل شرف من الأرض
ثلاث مرات ويقول :
لا إله إلا الله وحده
لا شريك له له الملك
وله الحمد وهو على كل
شئ قدير آيوني
تائبون عابدون
ساجدون لربنا حامدون
صدق الله وعده ونصر
عنده وهزم الأحزاب
وحده» ويقول إذا رأى
اليل : اللهم اجعل لنا بها
قرارا ورزقا حسنا
ولو اغتسل كان حسنا
اتقناه رسول الله صلى
الله عليه وسلم حيث
اغتسل لدخول مكة .
وروى أن رسول الله
صلى الله عليه وسلم لما
رجع من طلب الأحزاب

إذا انفرد إذ لو علم المالك به ربما لم يكرهه فأما إذا كان ذلك طريقاً إلى الاستغراق بالاشتراك لحكم التحريم فيسحب على الكل فلا يجوز أن يؤخذ ملك الرجل طريقاً اعتاد على أن كل واحد من المارين إنما يخطو خطوة لاتتصق الملك لأن المجموع مفوت للملك وهو كضربة خفيفة في التعليم تباح ولكن بشرط الانفراد فلو اجتمع جماعة بضربات توجب القتل وجب القصاص على الجميع مع أن كل واحدة من الضربات لو انفردت لكانت لا توجب قصاصاً فإن فرض كون الظالم في موضع غير منصوب كالموت مثلاً فإن كان تحت خيمة أو مظلة من ماله فهو حرام والدخول إليه غير جائز لأنه استتاع بالحرام واستظل به فإن فرض كل ذلك حلالاً فلا يصح بالدخول من حيث أنه دخول ولا بقوله السلام عليكم ولكن إن سجد أو ركع أو مثل قائماً في سلامه وخدمته كان مكراً للظالم بسبب ولايته التي هي آلة ظلمه والتواضع للظالم محمية بل من تواضع لشيء ليس بظالم لأجل غناه لا لمخى آخر اقتضى التواضع قصى ثلثا دينه فكيف إذا تواضع للظالم فلا يباح الا مجرد السلام فأما تقبيل اليد والانحناء في الخدمة فهو معصية إلا عند الخوف أو لإمام عادل أو لعالم أولم يستحق ذلك بأمر ديني .

قبل أبو عبيدة بن الجراح رضي الله عنه يد على كرم الله وجهه لما أن لقى به بالشام فلم ينكر عليه وقد بالغ بعض السلف حق امتنع عن رد جوابهم في السلام والاعراض عنهم استحقاقاً لهم وعد ذلك من محاسن القربات فأما السكوت عن رد الجواب فيه نظر لأن ذلك واجب فلا ينبغي أن يسقط بالظلم فإن ترك الداخل جميع ذلك واقتص على السلام فلا يغلو من الجلوس على باطلهم وإذا كان أغلب أموالهم حراماً فلا يجوز الجلوس على فرشهم هذا من حيث الفعل . فأما السكوت فهو أنه سري في مجلسهم من الفرش الحرير وأواني الفضة والحرير الملبوس عليهم وعلى غلمانهم ماهو حرام وكل من رأى سيئة وسكت عليها فهو شريك في تلك السيئة بل يسمع من كلامهم ماهو خفى وكذب وشتم وإيذاء والسكوت على جميع ذلك حرام بل يرام لابسين الثياب الحرام وآكلين الطعام الحرام وجميع ما في أيديهم حرام والسكوت على ذلك غير جائز فيجب عليه الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بلسانه إن لم يقدر بفضله .

فإن قلت : إنه يخاف على نفسه فهو معذور في السكوت فهذا حق ولكنه مستثنى عن أن يمرض نفسه لا ارتكاب ما لا يباح إلا بصرفه لو لم يدخل ولم يشاهد لم يتوجه عليه الخطاب بالحسبة حتى يسقط عنه بالعذر وعند هذا أقول من علم فساداً في موضع وعلم أنه لا يقدر على إزالته فلا يجوز له أن يحضر ليحري ذلك بين يديه وهو يشاهده ويسكت بل ينبغي أن يحترز عن مشاهدته . وأما القول فهو أن يدعو للظالم أو يثنى عليه أو يصدق فيما يقول من باطل بصريح قوله أو بتحريك رأسه أو باستبشار في وجهه أو بظهر له الحب والموالاتة والاشتياق إلى لقائه والحرص على طول عمره وبقائه فإنه في الغالب لا يقتصر على السلام بل يتكلم ولا يبدو كلامه هذه الأقسام . أما الدعاء له فلا يحل إلا أن يقول أصلحك الله أو وفقك الله للخيرات أو طول الله عمرك في طاعته أو ما يجري هذا المجرى فأما الدعاء بالحراسة وطول البقاء وإسباغ النعمة مع الخطاب بالمولى وما في معناه فغير جائز قال صلى الله عليه وسلم « من دعا لظالم بالبقاء فقد أحب أن يعصى الله في أرضه ^(١) » فإن جاوز الدعاء إلى الثناء فسيذكر ما ليس فيه فيكون به كاذباً ومناقهاً ومكرماً للظالم وهذه ثلاث معاص وقد قال صلى الله عليه وسلم « إن الله ليغضب إذا مدح الفاسق ^(٢) » وفي خبر آخر « من أكرم فاسقاً فقد أعان على هدم الإسلام ^(٣) »

(١) حديث من دعا لظالم بالبقاء فقد أحب أن يعصى الله في أرضه تقدم (٢) حديث إن الله يغضب إذا مدح الفاسق تقدم (٣) حديث من أكرم فاسقاً فقد أعان على هدم الإسلام تقدم أيضاً .

ونزل للدينة نزع لأمته
واغتسل واستحم
ولا فليجدد الوضوء
ويتنظف ويتطيب
ويستمد لقاء الإخوان
بذلك وينوي التبرك
بمن هنالك من الأحياء
والأموات وبزورهم .

روى أبو هريرة رضي
الله عنه قال قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم
« خرج رجل يزور أخا
له في الله فأرسل الله
بمدرجته مسلماً وقال
أبي ترید قال أوزور
فلانا قال لقرابة قال
لا قال لنعمة له عندك
تشكرها قال لا قال
قيم تزوره قال إن
أحبني الله قال فاني
رسول الله إليك بأنه
يحبك بحبك إياه » .

وروى أبو هريرة رضي
الله عنه عن رسول
الله صلى الله عليه وسلم
أنه قال « إذا دعا الرجل
أخاه أوزاره في الله قال
الله له طبت وطاب
ممشاك ويتبوا من الجنة
مزيلاً » وروى أن

فإن جاوز ذلك إلى التصديق له فيما يقول والتزكية والثناء على ما يعمل كان عاصيا بالتصديق وبالإعانة
فإن التزكية والثناء إعانة على العصية وتحريك للرغبة فيه كما أن التكذيب والمذمة والتقييع زجر
عنه وتضعيف لدواعيه والإعانة على العصية ولو بشرط كلمة ، ولقد سئل سفيان الثوري رضى الله
عنه عن ظالم أشرف على الهلاك في بركة هل يسقى شربة ماء فقال لا دعه حتى يموت فإن ذلك إعانة له
وقال غيره يسقى إلى أن شوب إليه نفسه ثم يمرض عنه فإن جاوز ذلك إلى إظهار الحب والشوق إلى لقائه
وطول بقاءه فإن كان كاذبا عصى معصية الكذب والنفاق وإن كان صادقا عصى بحبه بقاء الظالم وحقه
أن يفضيه في الله ويمتته فالبغض في الله واجب ومحبة العصية والراضى بها عاص ومن أحب ظالما فإن
أحبه لظلمه فهو عاص لمحبهه وإن أحبه لسبب آخر فهو عاص من حيث إنه لم يفضيه وكان الواجب عليه
أن يفضيه وإن اجتمع في شخص خير وشر وجب أن يحب لأجل ذلك الخير ويغض لأجل ذلك الشر
وسبأني في كتاب الإخوة والتحابين في الله وجه الجمع بين البغض والحب فإن سلم من ذلك كله وهيئات
فلا يسلم من فساد يتطرق إلى قلبه فإنه ينظر إلى توسعه في النعمة ويزدري نعم الله عليه ويكون مقتحما
نهي رسول الله ﷺ حيث قال « يا معشر المهاجرين لا تدخلوا على أهل الدنيا فإنها مسخطة للرزق (٢) »
وهذا مع ما فيه من اقتداء غيره به في الدخول ومن تكثيره سواد الظلمة بنفسه وتجميله إياهم إن كان
من يتجمل به وكل ذلك إمامكروها أو محظورات . دعى سعيد بن المسيب إلى البيعة للوليد وسليمان بنى
عبد الملك بن مروان فقال لا أبايع اثنين ما اختلف الليل والنهار فإن النبي ﷺ نهى عن يمينين (٢)
فقال ادخل من الباب واخرج من الباب الآخر فقال لا والله لا يقتدى في أحد من الناس فجلد مائة وألبس
السوح ولا يجوز الدخول عليهم إلا بعذرين . أحدهما أن يكون من جهتهم أمر إلزام لأمر إكرام
وعلم أنه لو امتنع أذى أو فسد عليهم طاعة الرعية واضطرب عليهم أمر السياسة فيجب عليه الإجابة
لا طاعة لهم بل مراعاة المصلحة الحاقى حتى لا تضطرب الولاية . والثاني أن يدخل عليهم في دفع ظلم عن
مسلم سواء أوعى نفسه إما بطريق الحسنة أو بطريق الظلم فذلك رخصة بشرط أن لا يكذب ولا يثنى
ولا يدع نصيحة يتوقع لها قبولا فهذا حكم الدخول . الحالة الثالثة أن يدخل عليك السلطان الظالم
زائرا فجواب السلام لا بد منه وأما القيام والاكرام له فلا يحرم مقابلة له على إكرامه فإنه باكرام العلم
والدين مستحق للاحسان كما أنه بالظلم مستحق الإبعاد فلا إكرام بالاكرام والجواب بالسلام ولكن الأولى
أن لا يقوم إن كان معه في خلوة ليظهر له بذلك عز الدين وحقارة الظلم ويظهر غضبه للدين واعراضه
عمن أعرض عن الله فأعرض الله تعالى عنه وإن كان الداخل عليه في جميع فإعانة حشمة أرباب
الولايات فيما بين الرعايا مهم فلا بأس بالقيام على هذه النية وإن علم أن ذلك لا يورث فسادا في الرعية
ولا يناله أذى من غضبه فترك الاكرام بالقيام أولى ثم يجب عليه بعد أن وقع اللقاء أن ينصحه فإن
كان يقارف ما لا يعرف تحريمه وهو يتوقع أن يتركه إذا عرف فليعرفه فذلك واجب وأما ذكر تحريم
ما يعلم تحريمه من السرف والظلم فلا فائدة فيه بل عليه أن يخوفه فيما يرتكبه من المعاصي مهما ظن
أن التخويف يؤثر فيه وعليه أن يرشده إلى طريق المصلحة إن كان يعرف طريقا على وفق الشرع

(١) حديث يامعشر المهاجرين لا تدخلوا على أهل الدنيا فإنها مسخطة للرزق الحاكم من حديث
عبد الله بن الشخير أنلوا الدخول على الأغنياء فإنه أجدر أن لا تزددوا نعم الله عز وجل وقال صحيح
الاسناد (٢) حديث دعا ابن المسيب إلى البيعة للوليد وسليمان بنى عبد الملك فقال لا أبايع اثنين
ما اختلف الليل والنهار فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى عن يمينين أبو نعيم في الحلية بابساد
صحيح من رواية يحيى بن سعيد .

رسول الله صلى الله عليه
وسلم قال « كنت
نهييكم عن زيارة
القبور فزوروها فإنها
تذكر الآخرة » فيحصل
للفقير فائدة الأحياء
والأموات بذلك فإذا
دخل البلد يتدنى
بمسجد من المساجد
يصلي فيه ركعتين فإن
قصد الجامع كان أكمل
وأفضل وقد كان رسول
الله صلى الله عليه وسلم
إذا قدم دخل المسجد أولا
وصلى ركعتين ثم دخل
البيت والرباط للفقير
بتمتله البيت ثم قصد
الرباط فقصد الرباط
من السنة على ما روينا
عن طلحة رضى الله
عنه قال : مكان
الرجل إذا قدم للدينة
وكان له بها عريف
ينزل على عريفه وإن
لم يكن له بها عريف
نزل الصفة فكنت
من أنزل الصفة ، فإذا
دخل الرباط يمشى إلى
الموضع الذي يريد نزاع
الحف فيه فيحلق

بحيث يحصل بها غرض الظالم من غير معصية ليصده بذلك عن الوصول إلى غرضه بالظلم فإذا يجب عليه التعريف في محل جهله والتخويف فيما هو مستجري عليه والإرشاد إلى ما هو غافل عنه بما فيه عن الظلم فهذه ثلاثة أمور تلزمه إذا توقع للسلام فيه أثرا وذلك أيضا لازم على كل من اتفق له دخول على السلطان بعد أن أو غير عذر . وعن محمد بن صالح قال كنت عند حماد بن سلمة وإذا أيس في البيت إلا حصير وهو جالس عليه ومصحف يقرأ فيه وجراب فيه علمه ومطهرة يتوضأ منها فينا أنا عنده إذ دق دق الباب فإذا هو محمد بن سليمان فأذن له فدخل وجلس بين يديه ثم قال له مالي إذا رأيتك امتلأت منك رعبا قال حماد لأنه قال عليه السلام « إن العالم إذا أراد بطله وجه الله هابه كل شيء وإن أراد أن يكثر به السكون هاب من كل شيء » (١) ثم عرض عليه أربعين ألف درهم وقال تأخذها وتسعين بها قال أردتها على من ظلمتها قال والله ما أعطيتك إلا بما ورثته قال لا حاجة لي بها قال فأخذها فقسما قال لعلني إن عدلت في قسمتها أخاف أن يقول بعض من لم يرزق منها إنه لم يعدل في قسمتها فيأثم فازوها عني .

الحالة الثالثة : أن يعتزلهم فلا يراهم ولا يرونه وهو الواجب إذا لاسلامة إلا فيه فله أن يعتقد بعضهم على ظلمهم ولا يجب بقاءهم ولا يثنى عليهم ولا يستخبر عن أحوالهم ولا يتقرب إلى التصلين بهم ولا يتأسف على ما يفوت بسبب مفارقتهم وذلك إذا خطر بباله أمرهم وإن غفل عنهم فهو الأحسن وإذا خطر بباله تنعمهم فليذكر ما قاله حاتم الأصم « إنما بيني وبين الملوك يوم واحد فأما أمس فلا يجدون لذته وإني وإياهم في غد لعل وجل وإنما هو اليوم وما عسى أن يكون في اليوم ، وما قاله أبو الدرداء إذ قال أهل الأموال يا كلون ونأكل ويشربون ونشرب ويلبسون ونلبس ولهم فضول أموال ينظرون إليها وننظر معهم إليها وعليهم حسابها ونحن منها برآء وكل من أحاط علمه بظلم ظالم ومعصية عاص فينبغي أن يحيط ذلك من درجته في قلبه فهذا واجب عليه لأن من صدر منه ما يكره نقص ذلك من رتبته في القلب لاجتماع المعصية وينبغي أن تذكره فإنه إما أن يغفل عنها أو يرضى بها أو يكرهه ولا غفلة مع العلم ولا وجه للرضا فلا بد من الكراهة فليكن جنابة كل أحد على حق الله كجنابته على حقه .

فإن قلت الكراهة لا تدخل تحت الاختيار فكيف تجب . قلنا ليس كذلك فإن المحب يكره بضرورة الطبع ما هو مكروه عند محبوبه ومخالف له فإن من لا يكره معصية الله لا يحب الله وإنما لا يحب الله من لا يعرفه والمعرفة واجبة والمحبة لله واجبة وإذا أحبه كره ما كرهه وأحبه ما أحبه وسأيت تحقيق ذلك في كتاب المحبة والرضا . فإن قلت قد كان علماء السلف يدخلون على السلاطين . فأقول نعم تعلم الدخول منهم ثم ادخل كما حكى أن هشام بن عبد الملك قدم حاجا إلى مكة فلما دخلها قال اتفوني برجل من الصحابة فقيل يا أمير المؤمنين قد تفانوا فقال من التابعين فأتى بطاوس الجبالي فلما دخل عليه خلع نعليه بحاشية بساطه ولم يسلم عليه بإمرة المؤمنين ولكن قال السلام عليك يا هشام ولم يكنه وجلس يلزاه وقال كيف أنت يا هشام ؟ فغضب هشام غضبا شديدا حتى هم بقتله فقيل له أنت في حرم الله وحرم رسوله ولا يمكن ذلك فقال له يا طاوس ما الذي حملك على ما صنعت قال وما الذي صنعت فازداد غضبا وغيظا قال خلعت نعليك بحاشية بساطي ولم تقبل يدي ولم تسلم على بإمرة المؤمنين ولم تكنني وجلست بإزائي غير إذني وقلت كيف أنت يا هشام قال أما ما فعلت

(١) حديث حماد بن سلمة مرفوعا إن العالم إذا أراد بطله وجه الله هابه كل شيء وإذا أراد أن يكثر به السكون هاب من كل شيء . هذا معضل وروى أبو الشيخ بن حبان في كتاب الثواب من حديث وائلة بن الأسقع من خاف الله خوف الله منه كل شيء ومن لم يخف الله خوفه الله من كل شيء وللعقيلي في الضعفاء نحوه من حديث أبي هريرة وكلاهما منكر .

وسطه وهو قائم ثم يخرج الخريطة بيساره من كفه اليسار ويحل رأس الخريطة باليمين ويخرج الداس باليسار ثم يضع الداس على الأرض يأخذ اليازيد ويلقيها في وسط الخريطة ثم ينزع خفه اليسار فإن كان على الوضع يسدل قدميه بعد نزاع الخف من تراب الطريق والعرق وإذا قدم على السجادة يطوى السجادة من جانب اليسار ويمسح قدميه بما انطوى ثم يستقبل القبلة ويصلي ركعتين ثم يسلم ويحفظ القدم أن يطاها موضع السجود من السجادة وهذه الرسوم الظاهرة التي استحسناها بعض الصوفية لا تنكر على من يتقيد بها لأنه من استحسان الشيوخ وينتبه الظاهرة في ذلك تحيد للرديد في كل شيء بهيئة مخصوصة ليكون أبدا مفتقدا

من خلع نعلي بحاشية بساطك فإني أخلسهما بين يدي رب العزة كل يوم خمس مرات ولا يعاقبي ولا يمتص علي وأما قولك لم تقبل يدي فإني سمعت أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه يقول : لا يحل لرجل أن يقبل يد أحد إلا امرأته من شهوة أو ولده من رحمة وأما قولك لم تسلم علي يا حمة المؤمنين فليس كل الناس راضين بإمرتك فكرهت أن أكذب وأما قولك لم تكني فإن الله تعالى سمى أنبياءه وأوليائه فقال يادود يا يحيى يا عيسى وكفى أعداءه فقال - ثبت يدا أبي لهب - وأما قولك جلست بازائي فإني سمعت أمير المؤمنين عليا رضي الله عنه يقول إذا أردت أن تنظر إلى رجل من أهل النار فانظر إلى رجل جالس وحوله قوم قيام فقال له هشام عظمي فقال سمعت من أمير المؤمنين علي رضي الله عنه يقول إن في جهنم حيات كالقمل وعقارب كالبعال تلغ كل أمير لا يعدل في رعيته ثم قام وهرب وعن سفيان الثوري رضي الله عنه قال أدخلت علي أبي جعفر المنصور يعني فقال لي ارفع إلينا حاجتك فقلت له اتق الله فقد ملأت الأرض ظلما وجورا قال فطأ رأسه ثم رفعه فقال ارفع إلينا حاجتك فقلت إنما أزلت هذه النملة بسيف المهاجرين والأنصار وأبناءؤم يوتون جوعا فاتق الله وأوصل إليهم حقوقهم فطأ رأسه ثم رفعه فقال ارفع إلينا حاجتك فقلت حج عمر بن الخطاب رضي الله عنه فقال لحازنه كم أنفقت قال بضعة عشر درهما وأرى هنا أموالا لا تطيق الجمال حملها وخرج فكذا كانوا يدخلون علي السلاطين إذا أئزموا وكانوا يفررون بأرواحهم للانتقام لله من ظلمهم ودخل ابن أبي شميعة علي عبد الملك بن مروان فقال له تكلم فقال له إن الناس لا ينجون في القيامة من غصصها ومراراتها ومعينة الردى فيها إلا من أرضى الله بسخط نفسه فبكي عبد الملك وقال لأجملن هذه الكلمة مثالا نصب عيني ماعشت ولما استعمل عثمان بن عفان رضي الله عنه عبد الله بن عامر أئاه أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبطأ عنه أبو ذر وكان له صديقا فعاتبه فقال أبو ذر سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « إن الرجل إذا ولي ولاية تباعد الله عنه ^(١) » ودخل مالك بن دينار علي أمير البصرة فقال أيها الأمير قرأت في بعض الكتب أن الله تعالى يقول ما أحق من سلطان وما أجهل ممن عصاني ومن أعز من اعتزني أيها الراعي السوء دفعت إليك غنا سمانا صحاحا فأكلت اللحم ولبست الصوف وتركها عظاما تتفقع فقال له والي البصرة أتدري ما الذي يجربك علينا ويجنبنا عنك قال لا قال قلة الطمع فينا وترك الامساك لما في أيدينا . وكان عمر بن عبد العزيز واقفا مع سليمان بن عبد الملك فسمع سليمان صوت الرعد فزع ووضع صدره علي مقدمة الرحل فقال له عمر هذا صوت رحمتي فكيف إذا سمعت صوت عذابي ثم نظر سليمان إلي الناس فقال ما أكثر الناس فقال عمر خصاؤك يا أمير المؤمنين فقال له سليمان ابتلاك الله بهم . وحكي أن سليمان بن عبد الملك قدم المدينة وهو يريد مكة فأرسل إلي أبي حازم فدعاه فلما دخل عليه قال له سليمان يا أبا حازم مالنا نكره الموت فقال لأنكم خربتم آخرتكم وعمرتم دنياكم فكرهتم أن تنتقلوا من العمران إلي الحراب فقال يا أبا حازم كيف القدوم علي الله قال يا أمير المؤمنين أما المحسن فكالفائب يقدم علي أهله وأما السيئ فكالآبق يقدم علي مولاه فبكي سليمان وقال ليت شعري مالي عند الله قال أبو حازم اعرض نفسك علي كتاب الله تعالى حيث قال - إن الأبرار لفي نعم وإن الفجار لفي جحيم - قال سليمان فأين رحمة الله قال قريب من الحسين ثم قال سليمان يا أبا حازم أي عباد الله أكرم قال أهل البر والتقوى قال فأى الأعمال أفضل قال أداء الفرائض مع اجتناب المحارم قال فأى الكلام أسمع قال قول الحق عند من تخاف وترجو

(١) حديث أبي ذر إن الرجل إذا ولي ولاية تباعد الله عز وجل منه لم أقف له علي أصل .

لحركاته غير قادم علي
حركة بغير قصد وعزيمة
وأدب ومن أدخل من
الفقراء بشئ من ذلك
لا ينكر عليه ما لم يحل
بواجب أو مندوب لأن
أصحاب رسول الله صلى
الله عليه وسلم ماتقيدوا
بكثير من رسوم
للتصوفة وكون الشبان
يطالبون الوارد عليهم
بهذه الرسوم من غير
نظر لهم إلى النية في
الأشياء غلط فلعل
الفقير يدخل الرباط
غير مشمرا كلمة وقد
كان في السفر لم يشمر
الأكام فينبه أن
لا يتعاطى ذلك لنظر
الحلق حيث لم يحل
بمندوب إليه شرعا
وكون الآخر يشمر
الأكام يقبس ذلك
علي شد الوسط وشد
الوسط من السنة كما
ذكرنا من شد أصحاب
رسول الله صلى الله
عليه وسلم أوساطهم
في سفرهم بين المدينة
ومكة فتشبه الأكام

قال فأى المؤمنين أكيس؟ قال رجل عمل بطاعة الله ودعا الناس إليها قال فأى المؤمنين أخسر؟ قال رجل خطا في هوى أخيه وهو ظالم فباع آخرته بدنياه غيره قال سليمان ماتقول فيما نحن فيه؟ قال أونعفى قال لا بد فانها نصيحة تلقينا إلى قال يأمر المؤمنين إن آباءك قهروا الناس بالسيف وأخذوا هذا الملك عنوة من غير مشورة من المسلمين ولا رضا منهم حتى قتلوا منهم مقتلة عظيمة وقد ارتحلوا فلو شعرت بما قالوا وما قيل لهم فقال له رجل من جلسائه بشبا قلت قال أبو حازم إن الله قد أخذ اليشاق على العلماء ليبينه للناس ولا يكتُمونه قال وكيف لنا أن نصلح هذا الفساد؟ قال أن تأخذه من حله فتضعه في حقه فقال سليمان ومن بقدر على ذلك؟ فقال من يطلب الجنة ويخاف من النار فقال سليمان ادع إلى فقال أبو حازم: اللهم إن كان سليمان وليك فيسره تحيرى الدنيا والآخرة وإن كان عدوك غفد بناصيته إلى ما تحب وترضى فقال سليمان أوصنى فقال أوصيك وأوجز عظم ربك ونزهه أن يراك حيث نهاك أو يفقدك حيث أمرك. وقال عمر بن عبد العزيز لأبي حازم عظمى فقال اضطجع ثم اجعل الموت عند رأسك ثم انظر إلى ما تحب أن يكون فيك تلك الساعة فغذبه الآن وما تكره أن يكون فيك تلك الساعة فدعه الآن فلعل تلك الساعة فاحتمله وإن كرهته فإن وراءه ما تحب إن قبلته فقال يأعرابي إنا لنجود بسعة الاحتمال على من لا نرجو نصحه ولا نأمن غشه فكيف بمن نأمن غشه ونرجو نصحه فقال الأعرابي يأمر المؤمنين إنه قد تكفك رجال أساءوا الاختيار لأنفسهم وابتاعوا دنياهم بدينهم ورضاك بسخط ربهم خافوك في الله تعالى ولم يخافوا الله فيك حرب الآخرة سلم الدنيا فلا تأمنهم على ما أتمنك الله تعالى عليه فانهم لم يألوا في الأمانة تضديعا وفي الأمة خسفا وعسفا وأنت مسئول عما اجترحوا وليسوا بمسؤولين عما اجترحت فلا تصلح دنياهم بفساد آخرتك فان أعظم الناس غبا من باع آخرته بدنياه غيره فقال له سليمان يأعرابي أما إنك قد سللت لسانك وهو أقطع سيفيك قال أجل يأمر المؤمنين ولكن لك لاعليك. وحكى أن أبا بكر دخل على معاوية فقال اتق الله يا معاوية واعلم أنك في كل يوم يخرج عنك وفي كل ليلة تأتي عليك لارتداد من الدنيا إلا بعدا ومن الآخرة إلا قربا وعلى أثرك طالب لانتفوته وقد نسب لك علما لا تجوز له ما أسرع ما تبلغ العلم وما أوشك ما يلحق بك الطالب وإنا وما نحن فيه زائل وفي الذي نحن إليه صائرون باق إن خيرا غير وإن شرا فشر فهكذا كان دخول أهل العلم على السلاطين أغنى علماء الآخرة فأما علماء الدنيا فيدخلون ليتقربوا إلى قلوبهم فيدلوهم على الرخص ويستنبطون لهم بدقائق الحيل طرق السعة فما يوافق أغراضهم وإن تكلموا بمثل ما ذكرناه في معرض الوعظ لم يكن قصد الإصلاح بل اكتساب الجاه والقبول عندهم وفي هذا غرور إن يفتر بهما الحق: أحدهما أن يظهر أن قصدى في الدخول عليهم لإصلاحهم بالوعظ وربما يلبسون على أنفسهم بذلك وإنما الباعث لهم شهوة خفيفة للشهرة وتحصيل العرفه عندهم وعلامة الصدق في طاب الإصلاح أنه لو تولى ذلك الوعظ غيره ممن هو من أقرانه في العلم ووقع موقع القبول وظهر به أثر الإصلاح فينبغى أن يفرح به ويشكر الله تعالى على كفايته هذا اللهم كن وجب عليه أن يعالج مريضا ضائعا فقام بمعالجته غيره فإنه يعظم به فرحه فان كان يصادف في قلبه ترجيحا للكلامه على كلام غيره فهو مغرور. الثانى أن يزعم أنى أقصد الشفاعة لمسلم في دفع ظلامه وهذا أيضا مظنة التعرور ومعياره ما تقدم ذكره وإذا ظهر طريق الدخول عليهم فلنرسم في الأحوال العارضة في مخالطة السلاطين ومباشرة أموالهم مسائل. مسألة: إذا بعث إليك السلطان مالا لتفرقه على الفقراء فان كان له مالك معين فلا تجل أخذه وإن لم يكن

في معناه من الخفة والارتفاع به في الشيء فمن كان مشدود الوسط مشعرا يدخل الرباط كذلك ومن لم يكن في السفر مشدود الوسط أو كان راكبا لم يشد وسطه فمن الصدق أن يدخل كذلك ولا يعتمد شد الوسط وتشمير الأكام لنظر الخلق فإنه تكاف ونظر إلى الخلق ومبنى التصوف على الصدق وسقوط نظر الخلق وما ينكر على للتصوفة أنهم إذا دخلوا الرباط لا يتدنون بالسلام ويقول النكر هذا خلاف للتدوب ولا ينبغي للنكر أن يبادر إلى الانكار دون أن يعلم مقاصدكم فيما اعتمدوه وتركهم السلام محتمل وجوها: أحدها أن السلام اسم من أسماء الله تعالى وقد روى عبد الله بن عمر قال «مر رجل على النبي صلى الله عليه وسلم وهو

بل كان حكمه أنه يجب التصديق به على المساكين كما سبق ذلك أن تأخذه وتولى التفرقة ولا تسمى
بأخذه ولكن من العلماء من امتنع عنه فعندهذا ينظر في الأولى فنقول : الأولى أن تأخذه إن أمنت
ثلاث غوائل . الغائلة الأولى : أن يظن السلطان بسبب أخذه أن ماله طيب ولولا أنه طيب لما كنت
تعد يدك إليه ولا تدخله في ضمانك فان كان كذلك فلا تأخذه فان ذلك محذور ولا يبي الخير في
مباشرتك التفرقة بما يحصل لك من الجراءة على كسب الحرام . الغائلة الثانية : أن ينظر إليك غيرك
من العلماء والجهال فيعتقدون أنه حلال فيقتدون بك في الأخذ ويستدلون به على جوازه ثم لا يفرقون
فهذا أعظم من الأول فان جماعة يستدلون بأخذ الشافعي رضي الله عنه على جواز الأخذ ويغفلون
عن تفرقه وأخذه على نية التفرقة فالمقتدى والنشبه به ينبغي أن يعتز عن هذا غاية الاحتراز فانه
يكون فعله سبب ضلال خلق كثير . وقد حكى وهب بن منبه أن رجلاً أتى به إلى ملك بمشهد من
الناس ليكرهه على أكل لحم الخنزير فلم يأكل فلم يقدم إليه لحم غنم وأكره بالسيف فلم يأكل قيل
له في ذلك فقال إن الناس قد اعتقدوا أنني طوبيت بأكل لحم الخنزير فإذا خرجت سالماً وقد أكلت
فلا يلمون ماذا أكلت فيضلون . ودخل وهب بن منبه وطاوس على محمد بن يوسف أخى الحاجب وكان
عاملاً وكان في غداة باردة في مجلس بارز فقال لعلامة هلم ذلك الطليسان وألقه على أبي عبد الرحمن
أى طاوس وكان قد قعد على كرسى فألقى عليه فلم يزل يحرك كتفيه حتى ألقى الطليسان عنه
فضرب محمد بن يوسف فقال وهب كنت غنياً عن أن تغضبه لو أخذت الطليسان وتصدقت به قال نعم
لولا أن يقول من بعدى إنه أخذه طاوس ولا يصنع به ما أصنع به إذن فعلت . الغائلة الثالثة : أن
يتحرك قلبك إلى حبه لتخصيصه بإياك وإيثاره لك بما أنتده إليك فان كان كذلك فلا تقبل فان
ذلك هو السم القاتل والداء الدفين أعنى ما يجب الظلمة إليك فان من أحببته لابد أن تحرس عليه
وتداهن فيه قالت عائشة رضي الله عنها : جبلت النفوس على حب من أحسن إليها وقال عليه السلام
« اللهم لا تجعل لفاجر عندي بدا فيحبه قلبي »^(١) بين صلى الله عليه وسلم أن القلب لا يكاد يبتغ
من ذلك . وروى أن بعض الأمراء أرسل إلى مالك بن دينار بشرة آلاف درهم فأخرجها كلها فأناه
محمد بن واسع فقال ما صنعت بما أعطاك هذا الخاق ؟ قال سئل أصحابي فقالوا أخرجه كله فقال
أنشدك الله أفتبك أشد حبا له الآن أم قبل أن أرسل إليك ؟ قال لا بل الآن قال إنما كنت أخاف
هنا وقد صدق فانه إذا أحبه أحب بقاءه وكره عزله ونكبت وموته وأحب اتساع ولايته وكثرة
ماله وكل ذلك حب لأسباب الظلم وهو مذموم قال سلمان وابن مسعود رضي الله عنهما من رضى
بأمر وإن غاب عنه كمن شهده قال تعالى - ولا تركنوا إلى الذين ظلموا - قيل لا ترضوا بأعمالهم
فان كنت في القوة بحيث لا تزدد جبا لهم بذلك فلا بأس بالأخذ . وقد حكى عن بعض عباد البصرة
أنه كان يأخذ أموالاً ويفرقها قبل له الأناخاف أن تعجبهم فقال لو أخذ رجل يدي وأدخلني الجنة ثم
عصى ربه ما أحبه قاي لأن الذي سخره لأخذ يدي هو الذي أبغضه لأجله شكره على تسخير
إياه وبهذا تبين أن أخذ المال الآن منهم وإن كان ذلك المال بعينه من وجه حلال محذور ومذموم
لأنه لا ينفك عن هذه الغوائل . مسألة : إن قال قائل إذا جاز أخذه ما وتفرقه فهل يجوز أن يسرق
ماله أو تخفي ودبته وتكر وتفرق على الناس فنقول ذلك غير جائز لأنه ربما يكون له مالك معين

(١) حديث اللهم لا تجعل لفاجر عندي بدا فيحبه قلبي ابن مردويه في التفسير من رواية كثير بن
عطية عن رجل لم يسم ورواه أبو منصور الديلمي في مسند الفردوس من حديث معاذ وأبو موسى
الدين في كتاب تضييع العمر والأيام من طريق أهل البيت مرسلًا وأسانيده كلها ضعيفة .

يؤول فسلم عليه فلم يرد
عليه حتى كاد الرجل
أن يتواري فضرب
يده على الحائط ومسح
بها وجهه ثم ضرب
ضربة أخرى فمسح بها
ذراعيه ثم رد على الرجل
السلام وقال إنه يمتنى
أن أرد عليك السلام
إلا أنني لم أكن على طهره
وروى « أنه لم يرد عليه
حتى توضأ ثم اعتذر
إليه وقال إني كرهت
أن أذكر الله تعالى إلا
على طهره » وقد يكون جمع
من الفقهاء مصطحبين
في السفر وقد يتفق
لأحدهم حدث فلو سلم
للتوضي وأمسك
المحدث ظهر حاله فترك
السلام حتى توضأ من
توضأ ويضل قدمه
من يضل ستر الحال
على من أحدث حتى
يكون سلامهم على
الطهارة اقتداء برسول
الله صلى الله عليه وسلم
وقد يكون بعض
المؤمنين أيضاً على غير
طهارة فيستعجل جواب

السلام أيضا بالطهارة لأن السلام اسم من أسماء الله تعالى وهذا من أحسن ما يذكر من الوجوه في ذلك ومنها أنه إذا قدم ياقته الإخوان وقد يكون معه من آثار السفر والطريق ما يكره فيستند بالوضوء والنظافة ثم يسلم ويصافهم ومنها أن جمع الرباط أرباب مراقبة وأحوال فلو هجم عليهم بالسلام قد يزعج منه مراقب ويتشوش محافظ والسلام يتقدمه استئناس بدخوله واشتغاله بفصل القدم والوضوء وصلاة ركعتين فيتأهب الجميع له كما يتأهب لهم بعد مسابقة الاستئناس وقال الله تعالى - حق تئانسوا - واستئناس كل قوم على ما يليق بمالهم ومنها أنه لم يدخل على غيريته ولا هو يغرب منهم بل هم إخوانه

وهو على عزم أن يرد عليه وليس هذا كما لو بثه إليك فإن العاقل لا يظن به أنه يتصدق بما يعلم مالكة فبدل تسليمه على أنه لا يعرف مالكة فإن كان ممن يشكك عليه مثله فلا يجوز أن يقبل منه المال ما لم يعرف ذلك، ثم كيف يسرق ويحتمل أن يكون ملكه قد حصل له بشراء في ذمته فإن اليد دلالة على الملك فهذا لا سبيل إليه بل لو وجد لقطة وظهر أن صاحبها جندى واحتمل أن تكون له بشراء في الذمة أو غيره وجب الرد عليه فإذا لا يجوز سرقة مالهم لأنهم ولا يمن أودع عنده ولا يجوز إنكار ودينتهم ويجب الحد على سارق مالهم إلا إذا ادعى السارق أنه ليس ملكا لهم فعند ذلك يسقط الحد بالدعوى . مسألة : للماملة معهم حرام لأن أكثر مالهم حرام فأي يؤخذ عوضا فهو حرام فإن أدى الثمن من موضع يعلم حله فيبقى النظر فيما سلم إليهم فإن علم أنهم يصون الله به كبيع الديباج منهم وهو يعلم أنهم يلبسونه فذلك حرام كبيع العنب من الحار وإنما الخلاف في الصحة وإن أمكن ذلك وأمکن أن يلبسوا نسائه فهو شبهة مكروهة هذا فيما يحصى في عينه من الأموال وفي معنى بيع الفرس منهم لاسيا في وقف ركوبهم إلى قتال المسلمين أوجابية أموالهم فإن ذلك إعانة لهم بفرسه وهي محظورة فأما بيع الدرامم والدنانير منهم وما يجري مجراها مما لا يحصى في عينه بل يتوصل بها فهو مكروه لما فيه من إعانتهم على الظلم لأنهم يستعينون على ظلمهم بالأموال والدواب وسائر الأسباب وهذه الكراهة جارية في الإهداء إليهم وفي العمل لهم من غير أجره حتى في تعليمهم وتعليم أولادهم الكتابة والترسل والحساب وأما تعليم القرآن فلا يكره إلا من حيث أخذ الأجرة فإن ذلك حرام إلا من وجه يعلم حله ولو اتسب وكبلاهم يشتري لهم في الأسواق من غير جعل أو أجره فهو مكروه من حيث الإعانة وإن اشترى لهم ما يعلم أنهم يقصدون به العصية كالغلام والديباج للفرس واللبس والفرس للركوب إلى الظلم والقتل فذلك حرام فهو مظهر قصد للعصية بالمبتاع حصل التحريم ومهما لم يظهر واحتمل بحكم الحال ودلائلها عليه حصلت الكراهة . مسألة : الأسواق التي بنوها بالمال الحرام تحرم التجارة فيها ولا يجوز سكنها فإن سكنها تاجر واكتسب بطريق شرعي لم يحرم كسبه وكان عاصيا بسكناء للناس أن يشتروا منهم ولكن لو وجدوا سوقا أخرى فالأولى الشراء منها فإن ذلك إعانة لسكنائهم وتكثير لكراء حوائثهم وكذلك معاملة السوق التي لاخراج لهم عليها أحب من معاملة سوق لهم عليها خراج وقد بالغ قوم حتى تعززوا من معاملة الفلاحين وأصحاب الأراضي التي لهم عليها الخراج فأنهم ربما يصرفون ما يأخذون إلى الخراج فيحصل به الإعانة وهذا غلو في الدين وخرج على المسلمين فإن الخراج قد عم الأراضى ولا غنى بالناس عن ارتفاق الأرض ولا معنى للمنع منه ولو جاز هذا لحرم على المالك زراعة الأرض حتى لا يطلب خراجها وذلك مما يطول ويتداهى إلى حسم باب العايش . مسألة : معاملة قضائهم وعمالهم وخدمهم حرام كعاملتهم بل أشد أما القضاء فلا أنهم يأخذون من أموالهم الحرام الصريح ويكثر جمعهم ويخرون الخلق بزبهم فأنهم على زى العلماء ويغتلطون بهم ويأخذون من أموالهم والطباع مجبولة على التشبه والافتداء بنوى الجاه والحشمة فهم سبب انقياد الخلق إليهم وأما الخدم والحشم فأكثر أموالهم من التصب الصريح ولا يقع في أيديهم مال مصلحة وميراث وجزية ولا وجه حلال حتى تضعف الشبهة باختلاط الحلال بمالهم قال طاوس لا أشهد عندهم وإن تحققت لأنى أخاف تعديهم على من شهدت عليه وبالجمله إنما فسدت الرعية بفساد اللوك وفساد اللوك بفساد العلماء فلولا القضاء السوء والعلماء السوء لقل فساد اللوك خوفا من إنكارهم ولذلك قال صلى الله عليه وسلم « لا تزال هذه الأمة تحت يدي الله

وكشفه ما لم يمتلي قراؤها أمراءها (١) وإيما ذكر القراء لأنهم كانوا هم الطاء وإنما كان عليهم بالقرآن ومعانيه الفهومة بالسنة وما وراء ذلك من العلوم فهي محدثة بعدهم وقد قال سفيان : لا تخالط السلطان ولا من يخالطه وقال صاحب القلم وصاحب الدواة وصاحب القرباس وصاحب البيضة بعضهم شركاء بعض وقد صدق فان رسول الله صلى الله عليه وسلم لمن في الحجر عشرة حتى العاصر والمعتصر (٢) وقال ابن مسعود رضي الله عنه « آكل الربا وموكله وشاهداه وكاتبه ملعونون على لسان محمد صلى الله عليه وسلم (٣) » وكذا رواه جابر وعمر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم (٤) وقال ابن سيرين لا تعمل للسلطان كتابا حتى تعلم ما فيه وامتنع سفيان رحمه الله من مناوله الخليفة في زمانه دواة بين يديه وقال حتى أعلم ما تكتب بها فكل من حوالمهم من خدمهم وأتباعهم ظلمة مثلهم يجب بنضمهم في الله جميعا . وروى عن عثمان بن زائدة أنسأله رجل من الجند وقال أين الطريق فسكت وأظهر الصم وخاف أن يكون متوجها إلى ظلم فيكون هو بارشاده إلى الطريق معينا وهذه البالغة لم تنقل عن السلف مع الفساق من التجار والحاككة والحجامين وأهل الحمامات والصاغة والصباغين وأرباب الحرف مع غلبة الكذب والفسق عليهم بل مع الكفار من أهل الدمة وإنما هذا في الظلمة خاصة الأكليين لأموال اليتامى والمساكين والمواظين على إيذاء المسلمين الذين تعاونوا على طمس رسوم الشريعة وشعائرها وهذا لأن النصية تنقسم إلى لازمة ومتعدية والفسق لازم لا يتعدى وكذا الكفر وهو جناية على حق الله تعالى وجسابه على الله وأمامصية الولاية بالظلم وهو متعد فأنما يغلظ أمرهم لذلك ويقدروهم الظلم وعموم التمدي يزدادون عند الله مقتا فيجب أن يزداد منهم اجتنابا ومن معاملتهم احترازا فقد قال صلى الله عليه وسلم « يقال للشرطي دع سوطك وادخل النار (٥) » وقال عليه السلام « من أشراط الساعة رجال معهم سياط كأذناب البقر (٦) » فهذا حكمهم ومن عرف بذلك منهم فقد عرف ومن لم يعرف فعلامته القباء وطول الشوارب وسائر الهيئات المشهورة فمن روى على تلك الهيئة تعين اجتنابه ولا يكون ذلك من سوء الظن لأنه الذي جنى على نفسه إذ تزيأ بهم ومساواة الزى تدل على مساواة القلب ولا يتجانن

(١) حديث لا تزال هذه الأمة تحت يد الله وكشفه ما لم يمتلي قراؤها أمراءها أبو عمرو الداني في كتاب الفن من رواية الحسن مرسلا ورواه الديلمي في مسند الفردوس من حديث طي وابن عمر بلفظ ما لم يعظم أبرارها بخارها ويدهان خيارها شرارها وإسنادهما ضعيف (٢) حديث أن النبي صلى الله عليه وسلم لمن في الحجر عشرة حتى العاصر والمعتصر الترمذي وابن ماجه من حديث أنس قال الترمذي حديث غريب (٣) حديث ابن مسعود آكل الربا وموكله وشاهداه وكاتبه ملعونون على لسان محمد صلى الله عليه وسلم رواه مسلم وأصحاب السنن واللفظ للسنن دون قوله وشاهداه ولأن داود لعن رسول الله صلى الله عليه وسلم آكل الربا وموكله وشاهداه وكاتبه قال الترمذي وصححه وابن ماجه وشاهداه (٤) حديث جابر لعن رسول الله صلى الله عليه وسلم آكل الربا وموكله وكاتبه وشاهداه قالهم سواء مسلم من حديثه وأما حديث عمر فأشار إليه الترمذي بقوله وفي الباب ولا بن ماجه من حديثه إن آخر ما أنزلت آية الربا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم مات ولم يفسرها فدعوا الربا والرية وهو من رواية ابن المسيب عنه والجمهور على أنه لم يسمع منه (٥) حديث يقال للشرطي دع سوطك وادخل النار أبو يعلى من حديث أنس بسند ضعيف (٦) حديث من أشراط الساعة رجال معهم أسياط كأذناب البقر أحمد والحاكم وقال صحيح الإسناد من حديث أبي أمامة يكون في آخر الزمان رجال معهم سياط كأذناب البقر الحديث ولمسلم من حديث أبي هريرة يوشك إن طالت بك مدة أن ترى قوما في أيديهم مثل أذناب البقر وفي رواية له صفغان من أهل النار لم أرهما قوم معهم سياط كأذناب البقر الحديث .

والألفة بالنسبة المنعوية
الجامعة لهم في طريق
واحد والترز منزله
والوضع موضعه فيرى
البركة في استفتاح
الترز بمعاملة الله قبل
معاملة الخلق وكما يمد
عذرهم في ترك السلام
ينبغي لهم أن لا ينكروا
على من يدخل ويبتدئ
بالسلام فكأن من ترك
السلام له نية فالتدبأ
به له أيضا نية وللقوم
آداب ورد بها الشرع
ومنها آداب استحسانها
شيوخهم فما ورد به
الشرع ما ذكرنا
من شد الوسط والعصا
والركوة والابتداء
باليمين في لبس الخف
وفي نزعه باليسار . روى
أبو هريرة رضي الله
عنه أن رسول الله صلى
الله عليه وسلم قال « إذا
استلتم فابدؤوا باليمين
وإذا خلتم فابدؤوا
بالييسار أو اخلعها
جميعا أو اخلعها جميعا »
روى جابر رضي الله عنه
« أن رسول الله صلى

إلا يحبون ولا يشبه بالفاسق إلا فاسق نعم الفاسق قد يتبس فيتشبه بأهل الصلاح فأما الصالح فليس له أن يشبه بأهل الفساد لأن ذلك تكثير لسوئهم وإنما زل قوله تعالى - إن الدين توفاهم الملائكة ظالمى أنفسهم - في قوم من المسلمين كانوا يكثر من جماعة الشركين بالمخالطة وقد روى أن الله تعالى أوحى إلى يوشع بن نون إني مهلك من قومك أربعين ألفاً من خيارهم وستين ألفاً من شرارهم فقال ما بال الأخيار قال إنهم لا يفتضون لضبي فكانوا يؤاكلونهم ويشربونهم وبهذا يتبين أن بفض الظلة والنصب لله عليهم واجب . وروى ابن مسعود عن النبي ﷺ «إن الله لعن علماء بني إسرائيل إذ خالطوا الظالمين في معاشهم»^(١). مسألة : الموضع التي بناها الظلة كالقناطر والرباطات والمساجد والسقايات ينبغي أن يحتاط فيها وينظر أما القنطرة فيجوز العبور عليها للحاجة والورع الاختراز ما أمكن وإن وجد معدلاً تأكد الورع وإنما جوزنا العبور وإن وجد معدلاً لأنه إذا لم يعرف تلك الأعيان مالكا كان حكمها أن ترصد للخيرات وهذا خير فأما إذا عرف أن الأجر والحجرة قد تقل من دار معلومة أو مقبرة أو مسجد معين فهذا لا يحل العبور عليه أصلاً للضرورة يحل بها مثل ذلك من مال الغير ثم يجب عليه الاستحلال من المالك الذي يعرفه وأما المسجد فإن بنى في أرض مفضوبة أو غصب مفضوب من مسجد آخر أو ملك معين فلا يجوز دخوله أصلاً ولا للجمعة بل لو وقف الامام فيه فليصل هو خلف الامام وليقف خارج المسجد فإن الصلاة في الأرض المفضوبة تسقط الفرض وتتعد في حق الاقتداء فلذلك جوزنا للمقتدى الاقتداء بمن صلى في الأرض المفضوبة وإن عصى صاحبه بالوقوف في النصب وإن كان من مال لا يعرف مالكة فالورع العدول إلى مسجد آخر إن وجد فإن لم يجد غيره فلا يترك الجمعة والجماعة به لأنه يحتمل أن يكون من الملك الذي بناء ولو على بعد وإن لم يكن له مالك معين فهو لمصالح المسلمين ومهما كان في المسجد الكبير بناء لسلطان ظالم فلا عذر لمن صلى فيه مع اتساع المسجد أعنى في الورع قيل لأحمد بن حنبل ما حجتك في ترك الخروج إلى الصلاة في جماعة ونحن بالسكر فقال حتى أن الحسن وإبراهيم التيمي خافا أن يفترقا الحاجاج وأنا أخاف أن أفتن أيضاً وأما الخلق والتجصيص فلا يمنع من الدخول لأنه غير منفع به في الصلاة وإنما هوزينة والأولى أنه لا ينظر إليه وأما البواري التي فرسوها فإن كان لها مالك معين فيحرم الجلوس عليها وإلا فبعد أن أرصدت لمصلحة عامة جاز اقترائها ولكن الورع العدول عنها فإنها محل شبهة . وأما السقاية فحكمها ما ذكرناه وليس من الورع الوضوء والشرب منها والدخول إليها إلا إذا كان يخاف فوات الصلاة فيتوضأ وكذا مصانع طريق مكة . وأما الرباطات والمدارس فإن كانت رقبة الأرض مفضوبة أو الأجر منقولاً من موضع معين يمكن الرد إلى مستحقه فلا رخصة للدخول فيه وإن التبس المالك فقد أرصد لجهة من الخير والورع اجتنابه ولكن لا يلزم الفسق بدخوله وهذه الأبنية إن أرصدت من خدم السلاطين فالأمر فيها أشد إذ ليس لهم صرف الأموال الضائعة إلى الصالح ولأن الحرام أغلب على أموالهم إذ ليس لهم أخذ مال الصالح وإنما يجوز ذلك للولاء وأرباب الأمر . مسألة - الأرض المفضوبة إذا جعلت شارعاً لم يجز أن يتخطى فيه ألبنة وإن لم يكن له مالك معين جاز والورع العدول إن أمكن فإن كان الشارع مباحاً وفوقه سابط جاز العبور وجاز الجلوس تحت السابط على وجه لا يحتاج فيه إلى

الله عليه وسلم كان يخلع اليسرى قبل اليمن ويلبس اليمنى قبل اليسرى « وبسط السجادة وردت به السنة وقد ذكرناه وكون أحدهم لا يقصد على سجادة الآخر مشروع ومسنون وقد ورد في حديث طويل « لا يؤم الرجل الرجل في سلطانه ولا في أهله ولا يجلس على تكمرته إلا بإذنه » وإذا سلم على الاخوان يماقهم وماقونه قد روى جابر بن عبد الله قال « لما قدم جعفر من أرض الحبشة عاقه النبي صلى الله عليه وسلم » وإن قبلهم فلا بأس بذلك روى « أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما قدم جعفر قبل بين عينيه وقال ما أنا بفتح خير أسر منى بقدم جعفر » ويصافح إخوانه فقد قال عليه السلام « قبله السلم أخاه للصافحة » وروى أنس

(١) حديث ابن مسعود لعن الله علماء بني إسرائيل إذ خالطوا الظالمين في معاشهم أبو داود والترمذي وابن ماجه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لسواقت بنو إسرائيل في العاصي نهتهم عماؤهم فلم ينتهوا فجالسهم في مجالسهم وواكلهم وشاربوهم فضرب الله قلوب بعضهم ببعض ولعنهم على لسان داود وعيسى بن مريم انظر الترمذي وقال حسن غريب

السقف كما يقف في الشارع لشغل فإذا انتفع بالسقف في دفع حر الشمس أو المطر أو غيره فهو حرام لأن السقف لا يراد إلا لذلك وهكذا حكم من يدخل مسجدا أو أرضا بمباحة سقف أو حوط بنصب فانه بمجرد التخطي لا يكون منتفعا بالحيطان والسقف إلا إذا كان له فائدة في الحيطان والسقف لحرا أو برد أو تستر عن بصر أو غيره فذلك حرام لأنه انتفاع بالحرام إذ لم يحرم الجلوس على النصب لما فيه من الماسة بل للانتفاع والأرض تتراد للاستقرار عليها والسقف للاستظلال به فلا فرق بينهما .

(الباب السابع في مسائل متفرقة يكثر ميسس الحاجة إليها وقد مثل عنها في الفتاوى)

مسألة : مثل عن خادم الصوفية يخرج إلى السوق ويجمع طعاما أو ثوبا ويشتري به طعاما لمن الذي يحل له أن يأكل منه وهل يختص بالصوفية أم لا . قلنا أما الصوفية فلا شبهة في حقهم إذا أكلوه وأما غيرهم فيحل لهم إذا أكلوه برضا الخادم ولكن لا يخلو عن شبهة أما الحل فلأن ما يعطى خادم الصوفية إنما يعطى بسبب الصوفية ولكن هو المعطى للصوفية فهو كالرجل للعيل يعطى بسبب عياله لأنه متكفل بهم وما يأخذ به يقع ملكه للعيل وله أن يطعم غير العيل إذ يزيد أن يقال لم يخرج عن ملك المعطى ولا يتسلط الخادم على التبرأ به والتصرف فيه لأن ذلك مقرر إلى أن المعطاة لا تسكن وهو ضعيف ثم لا صائر إليه في الصدقات والهدايا ويعد أن يقال زال الملك إلى الصوفية الحاضرين الذين هم وقت سؤاله في الحاقه إذ لا خلاف أن له أن يطعم منه من يقدم بعدهم ولوماتوا كلهم أو واحد منهم لا يجب صرف نصيبه إلى وارثه ولا يمكن أن يقال إنه وقع لجهة التصوف ولا يمتنع له مستحق لأن إزالة الملك إلى الجهة لا توجب تسليط الأحاد على التصرف فان الداخلين فيه لا ينحصرون بل يدخل فيه من يولد إلى يوم القيامة وإنما يتصرف فيه الولاة والخادم لا يجوز له أن ينتصب نائباً عن الجهة فلا وجه إلا أن يقال هو ملكه وإنما يطعم الصوفية بوفاء شرط التصوف والمروءة فان منعهم عنه منعه عن أن يظهر نفسه في معرض التكفل بهم حتى ينقطع وقفه كما ينقطع عمن مات عياله . مسألة : مثل عن مال أوصى به للصوفية فمن الذي يجوز أن يصرف إليه قلنا التصوف أمر باطن لا يطلع عليه ولا يمكن ضبط الحكم بحقيقته بل بأمور ظاهرة يعول عليها أهل العرف في إطلاق اسم الصوفي والضابط الكلي أن كل من هو بصفة إذا نزل في خاتمه الصوفية لم يكن نزوله فيها واختلاطه بهم منكرا عندهم فهو داخل في غمارهم والتفصيل أن يلاحظ فيه خمس صفات الصلاح والقر وزى الصوفية وأن لا يكون مشتغلا بحرفة وأن يكون مخالطهم بطريق الساكنة في الحاقه ثم بعض هذه الصفات مما يوجب زوالها زوال الاسم وبضها ينجر بالعض فالفسق يمنع هذا الاستحقاق لأن الصوفي بالجملة عبارة عن رجل من أهل الصلاح بصفة مخصوصة فالتى يظهر فسقه وإن كان على زهم لا يستحق ما أوصى به للصوفية ولنا نعتير فيه الصفاة . وأما الحرفة والاشتغال بالكسب يمنع هذا الاستحقاق فالدهقان والعامل والتاجر والصانع في حانوته أو داره والأجير الذى يخدم بأجرة كل هؤلاء لا يستحقون ما أوصى به للصوفية ولا ينجر هذا بالزى والمخالطة فأما الوراقة والحياطة وما يقرب منهما مما يليق بالصوفية نعماطها فإذا ناطها لا في حانوت ولا على جهة اكتساب وحرفة فذلك لا يمنع الاستحقاق وكان ذلك ينجر بمساكنته إياهم مع بقية الصفات وأما القدرة على الحرف من غير مباشرة لا تمنع وأما الوعظ والتدريس فلا ينافى اسم التصوف إذا وجدت بقية الحاصل من الزى والساكنة والقر إذ لا ينافى أن يقال صوفي مقرر وصوفي واعظ وصوفي عالم أو مدرس ويتنافى أن يقال صوفي دهقان وصوفي تاجر وصوفي عامل وأما القر فان زال بنى مفرط ينسب الرجل إلى الثروة الظاهرة فلا يجوز معه أخذوصية الصوفية وإن كان له مال ولا ينفى دخله

(الباب السابع في مسائل متفرقة)

ابن مالك قال : قيل
يا رسول الله الرجل يلقى
صديقه وأخاه ينحني له
قال لا قليل يلتزمه ويقبله
قال لا قليل فيصافحه قال
نعم ويستحب للفقراء
القيمين في الرباط أن
يتلقوا الفقراء بالترحيب
روى عكرمة قال : قال
رسول الله صلى الله
عليه وسلم يوم جئت :
مرحبا بالراكب
للهاجر مرتين وإن
قاموا إليه فلا بأس
وهو مسنون . روى
عنه عليه السلام أنه
قام للجفر يوم قدومه
ويستحب للخادم أن
يقدم له الطعام . روى
لقيط بن صبرة قال
« وقدنا على رسول الله
صلى الله عليه وسلم
فلم نصادفه في منزله
وصادفنا عائشة رضى
الله عنها فأمرت لنا
بالحريرة فصنعت لنا
وأتينا بقناع فيه تمر
والقناع الطبق فأكلنا
ثم جاء رسول الله صلى
الله عليه وسلم فقال

بخرجه لم يطل حقه وكذا إذا كان له مال قاصر عن وجوب الزكاة وإن لم يكن له خراج وهذه أمور
لادليل لها إلا العادات وأما الخاطلة لم يمسسها كنهم قلها أنزل ولكن من لا يخاطلهم وهو في داره أو في مسجد
على زيهب ومتخلق بأخلاقهم فهو شريك في سهمهم وكان ترك الخاطلة يعبرها ملازمة الزى فإن لم يكن
على زيهب ووجد فيه بقية الصفات فلا يستحق إلا إذا كان مساكنا لهم في الرباط فينسحب عليه حكمهم
بالتبعية فالخاطلة والزى ينوب كل واحد منهما عن الآخر والفقير الذي ليس على زيهب هذا حكمه
فإن كان خارجا لم يمس صوفيا وإن كان ساكنا معهم ووجدت بقية الصفات لم يعد أن ينسحب بالتبعية
عليه حكمهم . وأما لبس الرقعة من يدشيخ من مشايخهم فلا يشترط ذلك في الاستحقاق وعده لا يضره
مع وجود الترائط المذكورة وأما التأهل للتردد بين الرباط والسكن فلا يخرج بذلك عن جملتهم .
مسألة : ما وقف على رباط الصوفية وسكانه فالأمر فيه أوسع مما أوصى لهم به لأن معنى الوقف
الصرف إلى مصالحهم فغير الصوفي أن يأكل معهم برضام على مائدتهم مرة أو مرتين فإن أمر الأئمة
مبناء على التسامح حتى جاز الانفراد بها في الغنائم المشتركة وللقوال أن يأكل معهم في دعوتهم من ذلك
الوقف وكان ذلك من مصالح معاشهم وما أوصى به للصوفية لا يجوز أن يصرف إلى قوال الصوفية
بخلاف الوقف وكذلك من أحضره من العمال والتجار والقضاة والفقهاء ممن لهم غرض في استئالة
قلوبهم محلهم الأكل برضام فإن الواقف لا يقف إلا معتقدا فيه ما جرت به عادات الصوفية فيزل
على العرف ولكن ليس هذا على الدوام فلا يجوز لمن ليس صوفيا أن يسكن معهم على الدوام ويأكل
وإن رضوا به إذ ليس لهم تغيير شرط الواقف بمشاركة غير جنسهم . وأما الفقيه إذا كان على زيهب
وأخلاقهم فله النزول عليهم وكونه فقيها لا ينافي كونه صوفيا والجهل ليس بشرط في التصوف عند من
يعرف التصوف ولا يلتفت إلى خرافات بعض الحق بقلهم إن العلم حجاب فإن الجهل هو الحجاب وقد
ذكرنا تأويل هذه الكلمة في كتاب العلم وأن الحجاب هو العلم المذموم دون المحمود وذكرنا المحمود
والمذموم وشرحهما . وأما الفقيه إذا لم يكن على زيهب وأخلاقهم فله منعه من النزول عليهم فإن رضوا
بنزوله فيحل له الأكل معهم بطريق التبعية فكان عدم الزى تجبره الساكنة ولكن برضا أهل
الزى وهذه أمور تشهد لها العادات وفيها أمور متقابلة لا يخفى أطرافها في النفي والاثبات ومتشابهة
أوساطها فمن احترز في مواضع الاشتباه قد استبرأ لدينه كائنها عليه في أبواب الشبهات . مسألة :
سئل عن الفرق بين الرشوة والهبة مع أن كل واحد منهما يصدر عن الرضا ولا يخلو عن غرض وقد
حرمت إحداها دون الأخرى . قلنا باذل المال لا يبيذه قط إلا للرض ولكن الغرض إما أجل
كالثواب وإما عاجل والعاجل إما مال وإما فضل وإعانة على مقصود معين وإما تقرب إلى قلب المهدي إليه
بطلب محبة إما للمحبة في عينها وإما للتوصل بالحببة إلى غرض وراءها فالأقسام الحاصلة من هذه خمسة
الأول : ما غرضه الثواب في الآخرة وذلك إما أن يكون لسكون الصروف إليه محتاجا أو عالما أو منتسبا
بنسب ديني أو صالحا في نفسه متدينا فما علم الآخذ أنه يعطاه لحاجته لا يحل له أخذه إن لم يكن محتاجا
وما علم أنه يعطاه لشرف نسبه لا يحل له إن علم أنه كاذب في دعوى النسب وما يعطى لعله فلا يحل له أن
يأخذه إلا أن يكون في العلم كما يستفاد من العلم-إلى فإن كان خيل إليه كالا في العلم حتى يشبه بذلك على التقرب
ولم يكن كاملا لم يحل له وما يعطى لدينه وصلاحه لا يحل له أن يأخذه إن كان فاسقا في الباطن فسقا
لوعله العطي ما أعطاه وقلما يكون الصالح بحيث لو انكشف باطنه لبقيت القلوب مائلة إليه وإنما ستر
الله الجليل هو الذي يحب الخلق إلى الخلق وكان التورعون يوكلون في الشراء من لا يعرف أنه وكيلهم
حتى لا يتساعوا في البيع خيفة من أن يكون ذلك أكلا بالدين فإن ذلك مخطر والنقي خفي لا كالعلم

أصبتم عينا قلنا نعم
يا رسول الله ويستحب
لقادم أن يقدم للفقراء
عينا لحق القدوم .
ورد أن رسول الله
صلى الله عليه وسلم لما
قدم للدينة نحر جزورا
وكرهتهم لقدوم القادم
بعد الضر وجهه من
السنة منع النبي صلى
الله عليه وسلم عن
طروقي الليل والصوفية
بعد الضر يستمدون
لاستقبال الليل
بالطهارة والانكباب
على الأذكار والاستغفار
روى جابر بن عبد الله
قال : قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم « إذا قدم
أحدكم من سفر فلا
يطرقن أهله ليلا »
وروى كعب بن مالك
أن رسول الله صلى
الله عليه وسلم كان
لا يقدم من السفر إلا
نهارا في الضحى
فيستحبون القدوم في
أول النهار فإن فات
من أول النهار فقد
ينفق تعويق من

والنسب والفقر فينبغي أن يجتنب الأخذ بالدين ما أمكن . القسم الثاني : ما يقصد به في العاجل غرض معين كالفقير يهدى إلى الفنى طمعا في خاتمة هذه هبة بشرط الثواب لا يبغي حكمها وإنما تحل عند الوفاء بالثواب المطموع فيه وعند وجود شروط العقود . الثالث : أن يكون المراد إعانة بفعل معين كالاحتياج إلى السلطان يهدى إلى وكيل السلطان وخاصة ومن له مكانة عنده فهذه هدية بشرط ثواب يعرف بقرينة الحال فلينظر في ذلك العمل الذي هو الثواب فإن كان حراما كالسمي في تجيز إدرار حرام أو ظلم إنسان أو غيره حرم الأخذ وإن كان واجبا كدفع ظلم متعين على كل من يقدر عليه أو شهادة متعينة فيحرم عليه ما يأخذه وهي الرشوة التي لا يشك في تحريمها وإن كان مباحا لا واجبا ولا حراما وكان فيه تب محيث لو عرف لجاز الاستئجار عليه فما يأخذه حلال مهما وفي الغرض وهو جار مجرى الجمالة كقوله أوصل هذه القصة إلى يد فلان أو يد السلطان ولك دينار وكان بحيث يحتاج إلى تب وعمل متقوم أو قال اقترح على فلان أن يعينني في غرض كذا أو ينم حتى بكذا وافقر في تجيز غرضه إلى كلام طويل فذلك جعل كما يأخذه الوكيل بالخصوصة بين يدي القاضي فليس بحرام إذا كان لا يسمي في حرام وإن كان مقصوده يحصل بكلمة لا تب فيها ولكن تلك الكلمة من ذى الجاه أو تلك الفعلة من ذى الجاه تفيد كقوله للبواب لا تغلق دونه باب السلطان أو كوضعه قصة بين يدي السلطان فقط فهذا حرام لأنه عوض من الجاه ولم يثبت في الشرع جواز ذلك بل ثبت ما يدل على النهي عنه كما سيأتي في هدايا الملوك وإذا كان لا يجوز العوض عن إسقاط الشفعة والرد بالعيب ودخول الأغصان في هواء الملك وجملة من الأغراض مع كونها مقصودة فكيف يؤخذ عن الجاه ويقرب من هذا أخذ الطبيب العوض على كلمة واحدة ينهبها على دواء ينفرد به رفقة كواحد ينفرد بالعلم ثبت يقطع البواسير أو غيره فلا يذكره إلا بعوض فإن عمله بالتلفظ به غير متقوم كحبة من مسسم فلا يجوز أخذ العوض عليه ولا على عمله إذ ليس ينتقل عمله إلى غيره وإنما يحصل لغيره مثل عمله ويبقى هو عالما به ودون هذا الحاذق في الصناعة كالصيقل مثلا الذي يزيل اعوجاج السيف أو الرأة بدقة واحدة لحسن معرفته بموضع الخلل ولحذقه باصابعه بقد يزيد بدقة واحدة مال كثير في قيمة السيف والرأة فهذا لا يرى بأسا بأخذ الأجرة عليه لأن مثل هذه الصناعات يتعب الرجل في تعلمها ليكتسب بها ويخفف عن نفسه كثرة العمل . الرابع : ما يقصد به المحبة وجلبها من قبل المهدى إليه لا لغرض معين ولكن طلبا للاستئناس وتأكيذا للصحة وتوددا إلى القلوب فذلك مقصود للعلاء ومندوب إليه في الشرع قال صلى الله عليه وسلم «تهادوا تحابوا» (١) وعلى الجملة فلا يقصد الإنسان في الغالب أيضا محبة غيره لعين المحبة بل لفائدة في محبة ولكن إذا لم تعين تلك الفائدة ولم يتحمل في نفسه غرض معين يبيعه في الحال أو المال سمي ذلك هدية وحل أخذها . الخامس : أن يطلب التقرب إلى قلبه وتحصيل محبة لاهبته ولا لأنس به من حيث إنه أنس فقط بل ليتوصل بمجاهة إلى أغراض له ينحصر جنسها وإن لم ينحصر عينها وكان لولا جاهه وحشمته لكان لا يهدى إليه فإن كان جاهه لأجل علم أو نسب فالأمر فيه أخف وأخذه مكروه فإن فيه مشابهة الرشوة ولكنها هدية في ظاهرها فإن كان جاهه بولاية تولاها من قضاء أو عمل أو ولاية صدقة أو جباية مال أو غيره من الأعمال السلطانية حتى ولاية الأتوة فمثلا وكان لولا تلك الولاية لكان لا يهدى إليه فهذه رشوة عرضت في معرض الهدية إذ القصد بها في الحال طلب التقرب واكتساب المحبة ولكن لأمر ينحصر في جنس واحد إذ ما يمكن التوصل إليه بالولايات لا يبغي وآية أنه لا يبغي المحبة أنه لو لوى في الحال غيره لم يسل المال إلى ذلك الغير فهذا مما اتفقوا على أن الكراهة فيه شديدة واختلفوا في كونه حراما والمعنى

(١) حديث تهادوا تحابوا البيهقي من حديث أبي هريرة وضعه ابن عدى .

ضعف بعضهم في الشيء أو غير ذلك فيعذر الفقير بقية النهار إلى العصر لاحتمال التوريق فإذا صار العصر ينسب إلى تقصيره في الاهتمام بالسنة وقدم أول النهار فاتهم بكرهون الدخول بعد العصر والله أعلم فإذا صار العصر يؤخر القدوم إلى الفد ليكون عاملا بالسنة للقدوم ضحوة وأيضا فيه معنى آخر وهو أن الصلاة بعد العصر مكروهة . ومن الأدب أن يصلى القادم ركعتين فذلك يكرهون القدوم بعد صلاة العصر وقد يكون من الفقراء القادمين من يكون قليل الدراية بدخول الرباط ويناله دهشة فمن السنة التقرب إليه والتودد وطلاقة الوجه حتى ينسبط وتنهب عنه الدهشة ففي ذلك فضل كثير

فيه متعارضا فانه دأب بين الهدية المحضة وبين الرشوة للبذولة في مقابلة جاء محض في غرض معين وإذا تعارضت المشابهة القياسية وعضدت الأخبار والآثار أحدهما تعين الميل إليه وقد دلت الأخبار على تشديد الأمر في ذلك قال صلى الله عليه وسلم « يأتي على الناس زمان يستحل فيه السحت بالهدية والقتل بالموعظة يقتل البريء لتوعظ به العامة (١) » ، وسئل ابن مسعود رضى الله عنه عن السحت فقال : يقضى الرجل الحاجة فتهدى له الهدية ولعله أراد قضاء الحاجة بكلمة لاتعب فيها أو تبرع بها لا على قصد أجرة فلا يجوز أن يأخذ بدمه شيئا في معرض العوض . شفع مسروق شفاعة فأهدى إليه للشفوع له جارية فعضب وردّها وقال لو علمت ما في قلبك لما تسكمت في حاجتك ولا أتكمم فيها بقی منها وسئل طاوس عن هدايا السلطان فقال سحت ، وأخذ عمر رضى الله عنه ربح مال القراض الذى أخذه ولداه من بيت المال وقال إنما أعطيتا لمكانكما حتى إذا علم أنهما أعطيا لأجل جاء الولاية . وأهدت امرأة أبى عبيدة بن الجراح إلى خاتون ملكة الروم خلوقا فكافأتهما بجوهر فأخذه عمر رضى الله عنه فباعه وأعطاهما ثمن خلوقها ورد باقيه إلى بيت مال المسلمين . وقال جابر وأبو هريرة رضى الله عنهما هدايا للولك غلول ولما رد عمر بن عبد العزيز الهدية قيل له « كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقبل الهدية فقال كان ذلك له هدية وهو لنا رشوة (٢) » أى كان يتقرب إليه لبوته لا للولاية ونحن إنما نمطى للولاية وأعظم من ذلك كله ما روى أبو حميد الساعدي « أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث واليا على صدقات الأزدي فلما جاء إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم أسك بعض ما معه وقال هذا لكم وهذا لى هدية فقال عليه السلام ألا جلست في بيت أهلك وبيت أمك حتى تأتيك هديتك إن كنت صادقا ثم قال مالى أستعمل الرجل منكم فيقول هذا لكم وهذا لى هدية ألا جلست في بيت أمه ليهدى له والذى نفسى بيده لا يأخذ منكم أحد شيئا بنير حقه إلا أتى الله بحمله فلا يأتين أحدكم يوم القيامة يعير له رغاء أو بقرة لها خوار أو شاة تيعر ثم رفع يديه حتى رأيت رياض يبطيه ، ثم قال اللهم هل بلغت (٣) » وإذا ثبتت هذه التشديدات فالتقاضى والوالى ينبغي أن يقدر نفسه في بيت أمه وأبيه فما كان يعطى بعد العزل وهو في بيت أمه يجوز له أن يأخذه في ولايته وما يعلم أنه إنما يعطاه لولايته فغرام أخذه وما أشكل عليه في هدايا أصدقائه أنهم هل كانوا يعطونه لو كان معزولا فهو شبهة فليجتنبه .

(تم كتاب الحلال والحرام بحمد الله ومنه وحسن توفيقه والله أعلم)

(كتاب آداب الألفة والأخوة والصحية والمعاشرة مع أصناف الخلق)

(وهو الكتاب الخامس من ربيع العادات الثاني)

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذى غفر صفوة عباده بلطائف التخصيص طولا وامتانا . وألف بين قلوبهم فأصبحوا بنعمته إخوانا . ونزع الغل من صدورهم فظلوا في الدنيا أصدقاء وأخذانا . وفي الآخرة رفقاء وخلصنا والصلاة على محمد المصطفى وعلى آله وأصحابه الذين اتبعوه واقتدوا به قولاً وفعلاً وعدلاً وإحساناً .

(١) حديث يأتي على الناس زمان يستحل فيه السحت بالهدية والقتل بالموعظة يقتل البريء ليوعظ به العامة لم أقف له على أصل (٢) حديث كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقبل الهدية البخاري من حديث عائشة (٣) حديث أبى حميد الساعدي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث واليا إلى صدقات الأزدي فلما جاء قال هذا مالكم وهذا هدية لى الحديث متفق عليه .

(كتاب آداب الصبة)

روى أبو رفاعة قال « أتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يخطب فقلت يا رسول الله رجل غريب جاء يسأل عن دينه لا يدرى ما دينه قال فأقبل النبي صلى الله عليه وسلم على وترك خطبته ثم أتى بكرسى قوائمه من حديد فقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم على بكرسى خطبته وأتم آخرها » فأحسن أخلاق الفقراء لفرق بالمسلمين واحتمال للكره من للسمع والبرق وقد يدخل فقير بعض الربط ويخل بشئ من مراسم للتصوفة فينهر ويخرج وهذا خطأ كبير قد يكون خلق من الصالحين والأولياء لا يعرفون هذا الترميم الظاهر ويقصدون الرابطة بنية صالحة فإذا استقبلوا بالمكروه يخشى أن تنشوش بواطنهم من الأذى

أما بعد : فإن التعاطف في الله تعالى والأخوة في دينه من أفضل القربات . وألطف ما يستفاد من الطاعات في مجارى العادات . ولها شروط بها يلتحق المتصاحبون بالمتحابين في الله تعالى وفيها حقوق بمراتبها تصفو الأخوة عن شوائب الكدورات ونزغات الشيطان ، فبالقيام بحقوقها يتقرب إلى الله تعالى وباللمظة عليها تنال الدرجات العلى ، ونحن نبين مقاصد هذا الكتاب في ثلاثة أبواب . الباب الأول : في فضيلة الألفة والأخوة في الله تعالى وشروطها ودرجاتها وفوائدها . الباب الثاني : في حقوق الصعبة وأدائها وحقيقتها ولوازمها . الباب الثالث : في حق السلم والرحم والجوار والملك وكيفية للعاشرة مع من قد بل بهذه الأسباب .

(الباب الأول في فضيلة الألفة والأخوة وفي شروطها ودرجاتها وفوائدها)

(فضيلة الألفة والأخوة)

اعلم أن الألفة ثمرة حسن الحاق والتفرق ثمرة سوء الحلق ، فحسن الحلق يوجب التعاطف والتآلف والتوافق وسوء الحلق يثمر التباغض والتحاسد والتدابير ومهما كان الثمر محمودا كانت الثمرة محمودا وحسن الحلق لا تغنى في الدين فضيلته وهو الذي مدح الله سبحانه به نبيه عليه السلام إذ قال - وإنك لملى خلق عظيم - وقال النبي صلى الله عليه وسلم « أكثر ما يدخل الناس الجنة تقوى الله وحسن الحاق ^(١) » وقال أسامة بن شريك قلنا يارسول الله « ما خير ما أعطى الإنسان ؟ فقال خلق حسن ^(٢) » وقال صلى الله عليه وسلم « بعثت لأتمم بحسن الأخلاق ^(٣) » وقال صلى الله عليه وسلم « أتقل ما يوضع في الميزان خلق حسن ^(٤) » وقال ﷺ « ما حسن الله خلق امرئ وخلقه فيطعمه النار ^(٥) » وقال صلى الله عليه وسلم « يا أبا هريرة عليك بحسن الحلق قال أبو هريرة رضى الله عنه وما حسن الحلق يارسول الله ؟ قال تصل من قطعك وتعفو عمن ظلمك وتعطى من حرمك ^(٦) » ولا يخفى أن ثمرة الحلق الحسن الألفة واثمة طاعة الوحشة ومهما طاب الثمر طابت الثمرة ، وكيف وقد ورد في الشفاء على نفس الألفة سببا إذا كانت الرابطة هي التقوى والدين وحب الله . ومن الآيات والأخبار والآثار ما فيه كفاية ومقتضى . قال الله تعالى مظهرها عظيم منه على الخلق بنعمة الألفة - لو أنفقت ما في الأرض جميعا ما ألفت بين قلوبهم ولكن الله ألف بينهم - وقال - فأصبحتم بنعمته إخوانا - أى بالألفة ثم ذم التفرقة وزجر عنها فقال عز من قائل - واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا - إلى - لعلمكم تهتدون - وقال ﷺ « إن أقربكم منى مجلسا أحسنكم أخلاقا الوطئون أكنافا الذين يألون ويؤلقون ^(٧) » وقال صلى الله عليه وسلم

(الباب الأول في فضيلة الألفة والأخوة)

(١) حديث أول ما يدخل الجنة تقوى الله وحسن الحلق الترمذى والحاكم من حديث أبي هريرة وقال صحيح الإسناد وقد تقدم (٢) حديث أسامة بن شريك يارسول الله ما خير ما أعطى الإنسان قال خلق حسن ابن ماجه بإسناد صحيح (٣) حديث بعثت لأتمم مكارم الأخلاق أحمد والبيهقى والحاكم وصححه من حديث أبي هريرة (٤) حديث أتقل ما يوضع في الميزان خلق حسن أبو داود والترمذى من حديث أبي الدرداء وقال حسن صحيح (٥) حديث ما حسن الله خلق امرئ وخلقه فيطعمه النار ابن عدى والطبرانى في مكارم الأخلاق وفي الأوسط والبيهقى في شعب الإيمان من حديث أبي هريرة قال ابن عدى في إسناده بعض النكرة (٦) حديث يا أبا هريرة عليك بحسن الحلق قال وما حسن الحلق قال تصل من قطعك وتعفو عمن ظلمك وتعطى من حرمك البيهقى في الشعب من رواية الحسن عن أبي هريرة ولم يسمع منه (٧) حديث إن أقربكم منى مجلسا أحسنكم أخلاقا الوطئون أكنافا الذين يألون ويؤلقون الطبرانى في مكارم الأخلاق من حديث جابر بسند ضعيف ،

ويدخل على النكر عليه ضرر في دينه ودينه فليحذر ذلك وينظر إلى أخلاق النبي صلى الله عليه وسلم وما كان يعتمد مع الخلق من اللداواة والرفق وقد صح « أن أعرايا دخل السجود بال فأمر النبي عليه السلام حتى آتى بذنوب فصب على ذلك ولم ينهر الأعرايا بل رفق به وعرفه الواجب بالرفق واللين والفظاظة والتخليط والتسلط على المسلمين بالقول والقول من النفوس الحبيثة وهو ضد حال التصوفة ومن دخل الرباط ممن لا يصلح للمقام به رأسا يصرف من الوضع على ألفت وجه بعد أن يقدم له طعام ويحسن له الكلام فهذا القدي يلبق بسكان الرباط وما يعتمد الفقهاء من تمييز القادم فخلق حسن ومعاملة صالحة وردت

« المؤمن إلف مألوف ولاخير فيمن لا يآلف ولا يؤلف »^(١) وقال صلى الله عليه وسلم في إنشاء على الأخوة في الدين « من أراد الله به خيرا رزقه خيلا صالحا إن نسي ذكره وإن ذكر أعانه »^(٢) وقال صلى الله عليه وسلم « مثل الأخوين إذا التقيا مثل اليمين تفصل إحداهما الأخرى وما التقى مؤمنان قط إلا أفاد الله أحدهما من صاحبه خيرا »^(٣) وقال عليه السلام في الترغيب في الأخوة في الله « من أخى أخا في الله رفعه الله درجة في الجنة لا ينالها بشيء من عمله »^(٤) وقال أبو إدريس الخولاني لمعاذ إني أحبك في الله فقال له أبشر ثم أبشر فإني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « ينصب لطائفة من الناس كراسي حول العرش يوم القيامة وجوههم كالقمر ليلة البدر يفزع الناس وهم لا يفزعون ويخاف الناس وهم لا يخافون وهم أولياء الله الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون » قيل من هؤلاء يا رسول الله ؟ فقال هم المتحابون في الله تعالى^(٥) ورواه أبو هريرة رضى الله عنه وقال فيه « إن حول العرش منابر من نور عليها قوم لباسهم نور وجوههم نور ليسوا بأنبياء ولا شهداء يغبطهم النبيون والشهداء فقالوا يا رسول الله صفهم لنا فقال هم المتحابون في الله والمتجاسسون في الله والتزاورون في الله »^(٦) وقال صلى الله عليه وسلم « ما تحاب اثنان في الله إلا كان أحبهما إلى الله أشدهما حبا لصاحبه »^(٧) ويقال إن الأخوين في الله إذا كان أحدهما أعلى مقاما من الآخر رفع الآخر معه إلى مقامه وإنه يلتحق به

(١) حديث المؤمن إلف مألوف ولاخير فيمن لا يآلف ولا يؤلف أحمد والطبراني من حديث سهل ابن سعد والحاكم من حديث أبي هريرة وصححه (٢) حديث من أراد الله به خيرا رزقه خيلا صالحا إن نسي ذكره وإن ذكر أعانه غريب بهذا اللفظ والمعروف أن ذلك في الأمير ورواه أبو داود من حديث عائشة إذا أراد الله بالأمير خيرا جعل له وزير صدق إن نسي ذكره وإن ذكر أعانه الحديث ضعيف ابن عدى ولأبي عبد الرحمن السلمي في آداب الصحبة من حديث علي من سعادة المرء أن يكون إخوانه صالحين (٣) حديث مثل الأخوين إذا التقيا مثل اليمين تفصل إحداهما الأخرى الحديث السلمي في آداب الصحبة وأبو منصور الديلمي في مسند الفردوس من حديث أنس وفيه أحمد بن محمد بن غالب الباهلي كذاب وهو من قول سلمان الفارسي في الأول من الحزبيات (٤) حديث من أخى أخا في الله عز وجل رفعه الله درجة في الجنة لا ينالها بشيء من عمله ابن أبي الدنيا في كتاب الإخوان من حديث أنس ما أحدث عبد أخا في الله عز وجل إلا أحدث الله عز وجل له درجة في الجنة وإسناده ضعيف (٥) حديث قال أبو إدريس الخولاني لمعاذ إني أحبك في الله فقال أبشر ثم أبشر فإني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول تنصب لطائفة من الناس كراسي حول العرش يوم القيامة الحديث أحمد والحاكم في حديث طويل إن أبا إدريس قال قلت والله إني لأحبك في الله قال فإني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول إن المتحابين بجلال الله في ظل عرشه يوم لا ظل إلا ظله قال الحاكم صحيح على شرط الشيخين وهو عند الترمذي من رواية أبي مسلم الخولاني عن معاذ بلفظ المتحابون في جلال الله لهم منابر من نور يغبطهم النبيون والشهداء قال حديث حسن صحيح وأحمد من حديث أبي مالك الأشعري إن الله عبادا ليسوا بأنبياء ولا شهداء يغبطهم الأنبياء والشهداء على منازلهم وقربهم من الله الحديث وفيه تحاوي الله وتصافوا به يضع الله لهم يوم القيامة منابر من نور فجعل وجوههم نوراً وثيابهم نوراً يفزع الناس يوم القيامة ولا يفزعون وهم أولياء الله الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون وفيه شهر بن حوشب مختلف فيه (٦) حديث أبي هريرة إن حول العرش منابر من نور عليها قوم لباسهم نور وجوههم نور ليسوا بأنبياء ولا شهداء الحديث النسائي في سننه الكبرى ورجاله ثقات (٧) حديث ما تحاب اثنان في الله إلا كان أحبهما إلى الله أشدهما حبا لصاحبه ابن حبان والحاكم من حديث أنس وقال صحيح الاستاد.

بالسنة روى عمر رضى الله عنه قال : « دخلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم وغلام له حبشي يضمن ظهره فقلت يا رسول الله ما شأنك فقال إن الناقة اتهمتني » قد يحسن المرص بذلك ممن يضمن في وقت تعب وقدمه من السفر فأما من يتخذ ذلك عادة ويجب التعميز ويستجلب به النوم ويساكنه حتى لا يفوته فلا يليق بحال الفقراء وإن كان في الشرع جائزا وكان بعض الفقراء إذا استرسل في النوم واستلذه واستدعاه يحتلم فيرى ذلك الاحتلام عقوبة استرساله في التعميز ولأرباب المزائم أمور لا يسهم فيها الركون إلى الرخص . ومن آداب الفقير إذا استقر وقد بعد قدومه أن لا يتسدى بالكلام دون أن يستل ويستحب أن يمكث

كما تلتحق القرية بالأيوين والأهل بعضهم يهمل لأن الأخوة إذا اكتسبت في الله لم تكن دون أخوة الولادة . قال عز وجل - ألحقنا بهم ذرياتهم وما ألتناهم من عملهم من شيء - وقال صلى الله عليه وسلم « إن الله تعالى يقول حقت محبتى للذين يتزاورون من أجلي وحقت محبتى للذين يتحابون من أجلي وحقت محبتى للذين يتبادلون من أجلي وحقت محبتى للذين يتناصرون من أجلي (١) » وقال صلى الله عليه وسلم « إن الله تعالى يقول يوم القيامة أين المتحابون بجلالى اليوم أظلمهم فى ظلى يوم لا ظل إلا ظلى (٢) » وقال صلى الله عليه وسلم « سبعة يظلهم الله فى ظله يوم لا ظل إلا ظله إمام عادل وشاب نشأ فى عبادة الله ورجل قلبه متعلق بالمسجد إذا خرج منه حتى يعود إليه ورجلان تحابا فى الله اجتماعا على ذلك وتفرقا عليه ورجل ذكر الله خاليا ففاضت عيناه ورجل دعته امرأة ذات حسب وجمال فقَالَ إني أخاف الله تعالى ورجل تصدق بصدقة فأخفاها حتى لا تعلم له مالها ما تنفق بمينه (٣) » وقال صلى الله عليه وسلم « ما زار رجلا رجلا فى الله شوقا إليه ورغبة فى لقائه إلا ناداه ملك من خلفه طبت وطاب ممشاك وطابت لك الجنة (٤) » وقال صلى الله عليه وسلم « إن رجلا زار أخاه فى الله فأرصد الله له ملكا فقال أين تريد قال أريد أن أزور أخى فلانا فقال لحاجة لك عنده قال لا قال لقرابة بينك وبينه قال لا قال فبعملة له عندك قال لا قال فهم قال أحبه فى الله قال فان الله أرسلنى إليك بخبرك بأنه يحبك لحبك إياه وقد أوجب لك الجنة (٥) » وقال صلى الله عليه وسلم « أوثق عرى الإيمان الحب فى الله والبغض فى الله (٦) » فلمذا يجب أن يكون للرجل أعداء يفضهم فى الله كما يكون له أصدقاء وإخوان معهم فى الله . ويروى أن الله تعالى أوحى إلى نبي من الأنبياء أما زهدك فى الدنيا قد نجت الراحة وأما انقطاعك إلى فقد تفرزت بنى ولكن هل عادت فى عدوا أو هل واليت فى وليا . وقال ﷺ « اللهم لا تجعل لقاجر على منة تفرزه منى حجة (٧) » ويروى أن الله تعالى أوحى إلى عيسى عليه السلام « لو أنك عبدتنى بعبادة أهل السموات والأرض وحب فى الله ليس وبغض فى الله أبس ما أغنى عنك ذلك شيئا » وقال عيسى عليه السلام : تحبوا إلى الله يفض أهل المعاصى وتقربوا إلى الله بالتباعد منهم والتمسوا رضا الله بسخطهم قولوا ياروح الله فمن جمالس قال جالسوا من تذكرمكم الله رؤيته ومن يزيد فى عملكم كلامه ومن يرغبكم فى الآخرة تمله . وروى فى الأخبار السالفة أن الله عز وجل أوحى على موسى عليه السلام يا ابن عمران كن يقظانا وارند لنفسك إخوانا وكل خدن وصاحب لا يوازرك على مسرتى فهو لك عدو

(١) حديث إن الله يقول حقت محبتى للذين يتزاورون من أجلي وحقت محبتى للذين يتحابون من أجلي الحديث أحمد من حديث حمرو بن عتبة وحديث عبادة بن الصامت ورواه الحاكم وصححه (٢) حديث إن الله يقول يوم القيامة أين المتحابون بجلالى اليوم أظلمهم فى ظلى يوم لا ظل إلا ظلى مسلم (٣) حديث أبى هريرة سبعة يظلهم الله فى ظله يوم لا ظل إلا ظله إمام عادل الحديث متفق عليه من حديث أبى هريرة وقد تقدم (٤) حديث ما زار رجلا رجلا فى الله شوقا إليه ورغبة فى لقائه إلا ناداه ملك من خلفه طبت وطابت لك الجنة ابن عدى من حديث أنس دون قوله شوقا إليه ورغبة فى لقائه وللترمذى وابن ماجه من حديث أبى هريرة من عاد مريضا أوزار أخا فى الله ناداه مناد من السماء طبت وطاب ممشاك وتبوات من الجنة منزلا قال الترمذى غريب (٥) حديث إن رجلا زار أخاه فى الله فأرصد الله له ملكا فقال أين تريد الحديث مسلم من حديث أبى هريرة (٦) حديث أوثق عرى الإيمان الحب فى الله والبغض فى الله أحمد من حديث البراء بن عازب وفيه ليث بن أبى سليم مختلف فيه والحرائطى فى مكارم الأخلاق من حديث ابن مسعود بسند ضعيف (٧) حديث اللهم لا تجعل لقاجر على منة الحديث تقدم فى الكتاب الذى قبله .

ثلاثة أيام لا يبعد زيارة أو مشيدا أو غير ذلك مما هو مقصوده من المدينة حتى يذهب عنه وعشاء السفر ويعود باطنه إلى هيئته قد يكون بالفرو عوارضه تغير باطنه وتكدر حتى يجتمع فى الثلاثة الأيام همته وينصلح باطنه ويستمد للقاء الشايع والزيارات بتنوير الباطن فان باطنه إذا كان منورا يستوفى حظه من الخير من كل شيخ وأخ يزوره . وقد كنت أسمع شيخنا يوصى الأصحاب ويقول لا تكلموا أهل هذا الطريق إلا فى أصنى أوقاتكم وهذا فيه فائدة كبيرة فان نور الكلام على قدر نور القلب ونور السمع على قدر نور القلب فاذا دخل على شيخ أو أخ وزاره ينبغي أن يستأذنه إذا أراد الانصراف قد روى عبد الله بن

وأوحى الله تعالى إلى داود عليه السلام قال : يا داود مالي أراك متنبذا وحيدا قال إلهي قليت الخلق من أجلك فقال يا داود كن قظانا وارثا لنفسك أخذانا وكل خدن لا يواظقك على مسرتي فلا تصاحبه فإنه لك عدو يقسى قلبك وياعدك مني . وفي أخبار داود عليه السلام أنه قال يارب كيف لي أن يحبني الناس كلهم وأسلم فيما بيني وبينك قال خالقي الناس بأخلاقهم وأحسن فيما بيني وبينك وفي بعضها خالقي أهل الدنيا بأخلاق الدنيا وخالقي أهل الآخرة بأخلاق الآخرة . وقال النبي ﷺ « إن أحبكم إلى الله الذين يألفون ويؤلفون وإن أبغضكم المشاءون بالقيمة المرفون بين الإخوان ^(١) » وقال صلى الله عليه وسلم « إن لله ملكا نصفه من النار ونصفه من الثلج يقول اللهم كما ألفت بين الثلج والنار كذلك ألفت بين قلوب عبادك الصالحين ^(٢) » وقال أيضا « ما أحدث عبد أخا في الله إلا أحدث الله له درجة في الجنة ^(٣) » وقال صلى الله عليه وسلم « المتحابون في الله على عمود من ياقوتة حمراء في رأس العمود سبعون ألف غرفة يشرفون على أهل الجنة يضيء حسنهم لأهل الجنة كاتضئ الشمس لأهل الدنيا فيقول أهل الجنة انطلقوا بنا ننظر إلى المتحابين في الله فيضيء حسنهم لأهل الجنة كاتضئ الشمس عليهم ثياب سندس خضر مكتوب على جباههم المتحابون في الله ^(٤) » . الآثار : قال صلى الله عليه وسلم رضي الله عنه عليكم بالإخوان فإنهم عدة في الدنيا والآخرة ألا تسمع إلى قول أهل النار - فالنار من شافعين ولا صديق حميم - وقال عبد الله بن عمر رضي الله عنهما والله لو صمت النهار لأفطره وقت الليل لأنامه وأنقذت مالي غلقا غلقا في سبيل الله أموت يوم أموت وليس في قلبي حب لأهل طاعة الله وبغض لأهل معصية الله ما تنفعني ذلك شيئا . وقال ابن السكك عند موته اللهم إنك تعلم أنني إذا كنت أغضبك كنت أحب من يطيعك فاجعل ذلك قربة لي إليك . وقال الحسن علي ضده يا ابن آدم لا يفرنك قول من يقول المرء مع من أحب فانك لن تلحق الأبرار إلا بأعمالهم فان اليهود والنصارى يحبون أنبياءهم وليسوا معهم وهذه إشارة إلى أن مجرد ذلك من غير موافقة في بعض الأعمال أو كلها لا ينفع وقال الفضيل في بعض كلامه هاهن تريد أن تسكن الفردوس وتجاور الرحمن في داره مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين بأى عمل عملته بأى شهوة تركتها بأى حظ كظمته بأى رحم قاطع وصلتها بأى زلة لأخيك غفرتها بأى قريب باعدته في الله بأى بعيد قاربته في الله . ويرى أن الله تعالى أوحى إلى موسى عليه السلام هل عملت لي عملا قط فقال إلهي إني صليت لك وصمت وتصدقت وزكيت فقال إن الصلاة لك برهان والصوم جنة والصدقة ظل والزكاة نور فأى عمل عملت لي ؟ قال موسى إلهي دلتني على عمل هولاك قال يا موسى هل واليت لي وليا قط وهل عادت في عدوا قط فعلم موسى أن أفضل الأعمال الحب في الله والبغض في الله . وقال ابن مسعود رضي الله عنه لو أن رجلا قام بين الركن والمقام بعد الله سبعين سنة لبعثه الله يوم القيامة مع من يحب . وقال الحسن رضي الله عنه مصارمة الفاسق قربان إلى الله وقال رجل ل محمد بن واسع إني لأحبك في الله فقال أحبك الذي أحببتني له ثم حول وجهه وقال اللهم إني أعوذ بك أن أحب فيك وأنت لي مبغض ودخل رجل

(١) حديث إن أحبكم إلى الله الذين يألفون ويؤلفون الحديث الطبراني في الأسط والصغير من حديث أبي هريرة بسند ضعيف (٢) حديث إن لله ملكا نصفه من النار ونصفه من الثلج يقول اللهم كما ألفت بين الثلج والنار كذلك ألفت بين قلوب عبادك الصالحين أبو الشيخ ابن حبان في كتاب العظيمة من حديث معاذ بن جبل والرباض بن سارية بسند ضعيف (٣) حديث ما أحدث عبد أخا في الله تعالى إلا أحدث الله له درجة في الجنة ابن أبي الدنيا في كتاب الإخوان من حديث أنس وقد تقدم (٤) حديث المتحابون في الله على عمود من ياقوتة حمراء في رأس العمود سبعون ألف غرفة الحديث الحكيم الترمذي في النوادر من حديث ابن مسعود بسند ضعيف .

عمر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إذا زار أحدكم أخاه فجلس عنده فلا يقومن حتى يستأذنه » وإن نوى أن يقيم أياما وفي وقته سعة ولنفسه إلى البطالة وترك العمل لتسوف يطلب خدمة يقوم بها وإن كان دائم العمل لربه فكفى بالعبادة شغلا لأن الخدمة لأهل العبادة تقوم مقام العبادة ولا يخرج من الرباط إلا باذن المقدم فيه ولا يفعل شيئا دون أن يأخذ رأيه فيه فهذه جملة أعمال يتبناها الصوفية وأرباب الربط والله تعالى يفضله يزكها ثم يوفيقا وتأديبا .

[الباب التاسع عشر في حال الصوفي للتسبب]
اختلف أحوال الصوفية في الوقوف مع الأسباب والاعراض عن الأسباب فمنهم من كان على الفتوح لا يركن

على داود الطائي فقال له ما حاجتك ؟ فقال زيارتك فقال أما أنت فقد عملت خيرا حين ررت ولكن انظر ماذا ينزل بي أنا إذا قيل لي من أنت قترار أمن الزهاد أنت لا والله أمن المباد أنت لا والله أمن الصالحين أنت لا والله ثم أقبل يوبخ نفسه ويقول كنت في الشبية فاسقا فلما شخت صرت مرانيا والله للمرأى شر من الفاسق وقال عمر رضى الله عنه إذا أصاب أحدكم ود من أخيه فليتمسك به قلما يصيب ذلك وقال مجاهد المتحابون في الله إذا اتقوا فكشروا بعضهم إلى بعض تنحات عنهم الخطايا كما تنحات ورق الشجر في الشتاء إذا يبس وقال الفضيل نظر الرجل إلى وجه أخيه على اللوعة والوحمة عبادة .

(يان معنى الأخوة في الله وتمييزها من الأخوة في الدنيا)

اعلم أن الحب في الله والبغض في الله غامض وينكشف الغطاء عنه بما ذكره وهو أن الصعبة تنقسم إلى ما يقع بالاتفاق كالصعبة بسبب الجوار أو بسبب الاجتماع في الكتب أو في المدرسة أو في السوق أو على باب السلطان أو في الأسفار وإلى ما ينشأ اختيارا ويقصد وهو الذي يريد يانه إذا الأخوة في الدين واقعة في هذا القسم لاحالة إذ لا ثواب إلا على الأفعال الاختيارية ولا ترغيب إلا فيها والصعبة عبارة عن المجالسة والمخالطة والمجاورة وهذه الأمور لا يقصد الإنسان بها غيره إلا إذا أحبه فان غير المحبوب يجتنب ويأعد ولا يقصد مخالطته والذي يجب فاما أن يجب لذاته لا ليتوصل به إلى محبوب ومقصود وراه وإما أن يجب للتوصل به إلى مقصود وذلك المقصود إما أن يكون مقصورا على الدنيا وحفظها وإما أن يكون متعلقا بالآخرة وإما أن يكون متعلقا بالله تعالى فهذه أربعة أقسام . القسم الأول : وهو حبك الإنسان لذاته فذلك ممكن وهو أن يكون في ذاته محبوبا عندك على معنى أنك تلتذ برؤيته ومعرفته ومشاهدة أخلاقه لاستحسانك له فان كل جميل لذيذ في حق من أدرك جماله وكل لذيذ محبوب والذمة تتبع الاستحسان والاستحسان يتبع للناسبة والملازمة والواقعة بين الطباع ثم ذلك للمستحسن إما أن يكون هو الصورة الظاهرة أعنى حسن الخلقة وإما أن يكون هي الصورة الباطنة أعنى كمال العقل وحسن الأخلاق ويتبع حسن الأخلاق حسن الأفعال لاحالة ويتبع كمال العقل غزارة العلم وكل ذلك مستحسن عند الطبع السليم والعقل السليم وكل مستحسن فمستلذبه ومحبوب بل في اتلاف القلوب أمر أغمض من هذا فانه قد تستحكم المودة بين شخصين من غير ملاحاة في صورة ولا حسن في خلق وخلق ولكن لمناسبة باطنة توجب الألفة والواقعة فان شبه التوى ينجذب إليه بالطبع والأشياء الباطنة خفية ولها أسباب دقيقة ليس في قوة البشر الاطلاع عليها عبر رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ذلك حيث قال « الأرواح جنود مجندة فما تعارف منها ائتلف وما تناكر منها اختلف ^(١) » فالتناكر نتيجة التباين والائتلاف نتيجة التناصب الذي عبر عنه بالتعارف وفي بعض الألفاظ « الأرواح جنود مجندة تلتقي فتتشام في الهواء ^(٢) » وقد كفى بعض العلماء عن هذا بأن قال إن الله تعالى خلق الأرواح فبقى بعضها فلما أطافها حول العرش فأى روحين من فلقين تعارفا هناك فالتقيتا واصلتا في الدنيا . وقال صلى الله عليه وسلم « إن أرواح المؤمنين ليلقيان على مسيرة يوم ومارأى أحدهما صاحبه قط ^(٣) » وروى « أن امرأة بمكة كانت تضحك النساء وكانت بالمدينة أخرى فزلت الكية

(١) حديث الأرواح جنود مجندة فما تعارف منها ائتلف وما تناكر منها اختلف مسلم من حديث ابن هريرة والبخارى تعليقا من حديث عائشة (٢) حديث الأرواح تلتقي فتتشام في الهواء الطبراني في الأوسط بسند ضعيف من حديث علي بن الأرواح في الهواء جند مجندة تلتقي فتتشام الحديث .

(٣) حديث إن أرواح المؤمنين ليلقيان على مسيرة يوم ومارأى أحدهما صاحبه قط أحمد من حديث عبد الله بن عمرو بلفظ تلتقي وقال أحدهم وفيه ابن لميعة عن دراج .

إلى معلوم ولا يقبب بكسب ولا سؤال ومنهم من كان يكتسب ومنهم من كان يسأل في وقت فاقته ولم في كل ذلك أدب واحد يراعونه ولا يمتدونه وإذا كان الفقير يسوس نفسه بالعلم يأتيه القهم من الله تعالى في الذي يدخل فيه من سبب أو ترك سبب فلا ينبغي للفقير أن يسأل مهما أمكن فقد حث النبي عليه السلام على ترك السؤال بالترغيب والترهيب فأما الترغيب فماروى ثوبان قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من ضمن لي واحسدة أتكفل له بالجنة قال ثوبان قلت أنا قال لا تسأل الناس شيئا » فكان ثوبان تسقط علاقة سوطه فلا يأمر أحدا يناوله وينزل هو ويأخذها . وروى أبو هريرة رضى الله عنه قال : قال

على المدينة فدخلت على عائشة رضي الله عنها فأضحكتها فقالت أين زلت فذكرت لها صاحبها فقالت صدق الله ورسوله (١) سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « الأرواح جنود مجندة » الحديث والحق في هذا أن الشاهدة والتجربة تشهد للاتلاف عند التناسب والتناسب في الطباع والأخلاق باطنا وظاهرا أمر مفهوم . وأما الأسباب التي أوجبت تلك المناسبة فليس في قوة البشر الاطلاع عليها وغاية هديان النجم أن يقول إذا كان طالعه على تسديس طالع غيره أو تليثه فهذا نظر للواقعة وللودة فتقتضي التناسب والتواد وإذا كان على مقابله أو تريعه اقتضى التباغض والعداوة فهذا لو صدق بكونه كذلك في مجارى سنة الله في خلق السموات والأرض لكان الإشكال فيه أكثر من الإشكال في أصل التناسب فلا معنى للغرض فيما لم يكشف سره للبشر لما أوتينا من العلم إلا قليلا ويكفي في التصديق بذلك التجربة والشاهدة فقد ورد الخبر به قال صلى الله عليه وسلم « لو أن مؤمنا دخل إلى مجلس فيه مائة منافق ومؤمن واحد لجاء حتى يجلس إليه ولو أن منافقا دخل إلى مجلس فيه مائة مؤمن ومنافق واحد لجاء حتى يجلس إليه (٢) » وهذا يدل على أن شبه الشيء منجذب إليه بالطبع وإن كان هو لا يشعر به . وكان مالك بن دينار يقول لا يتفق اثنان في عشرة إلا وفي أحدهما وصف من الآخر وإن أجناس الناس كأجناس الطير ولا يتفق نوعان من الطير في الطيران إلا وبينهما مناسبة قال فرأى يوما غرابا مع حمامة فجب من ذلك قال اتفقا وليس من شكل واحد ثم طارا فاذاهما أعرجان فقال من ههنا اتفقا ولذلك قال بعض الحكماء : كل إنسان بآنس إلى شكله كأن كل طير يطير مع جنسه ، وإذا اصطحب اثنان برهة من زمان ولم يتشاكلا في الحال فلا بد أن يفترقا ، وهذا معنى خفي فطن له الشعراء حتى قال قائلهم :

وقائل فكيف تفارقتما فقلت قولاً فيه إحصاف

لميك من شكلي ففارقتي والناس أشكال وآلاف

قد ظهر من هذا أن الإنسان قد يجب لذاته لا لفائدة تال منه في حال أو مآل بل لمجرد المجانسة والمناسبة في الطباع الباطنة والأخلاق الخفية ويدخل في هذا القسم الحب للجمال إذا لم يكن المقصود قضاء الشهوة فإن الصور الجميلة مستلذة في عينها وإن قدر فقد أصل الشهوة حتى يستلذ النظر إلى القواكه والأنوار والأزهار والتفاح المشرب بالحرارة وإلى الماء الجاري والحضرة من غرض سوى عينها وهذا الحب لا يدخل فيه الحب لله بل هو حب بالطبع وشهوة النفس ويتصور ذلك بمن لا يؤمن بالله - إلا أنه إن اتصل به غرض مذموم صار مذموماً كحب الصورة الجميلة لقضاء الشهوة حيث لا يحل قضاؤها وإن لم يتصل به غرض مذموم فهو مباح لا يوصف بحمد ولا ذم إذا الحب إما محمود وإما مذموم وإما مباح لا يعمد ولا يذم . القسم الثاني : أن يحبه لينال من ذاته غير ذاته فيكون وسيلة إلى محبوب غيره والوسيلة إلى المحبوب محبوب وما يجب لغيره كان ذلك الغير هو المحبوب بالحقيقة ولكن الطريق إلى المحبوب محبوب ولذلك أحب الناس الذهب والفضة ولا غرض فيهما إلا لا يطم ولا يلبس ولكنهما وسيلة إلى المحبوبات فمن الناس من يحب كما يحب الذهب والفضة من حيث

(١) حديث إن امرأة بمكة كانت تضحك النساء وكانت بالمدينة أخرى فزالت للكية على المدينة فدخلت على عائشة فذكرت حديث الأرواح جنود مجندة الحسن بن سفيان في مسنده بالقصة بسند حسن وحديث عائشة عند البخاري تعليقا مختصراً دونها كما تقدم (٢) حديث لو أن مؤمنا دخل إلى مجلس وفيه مائة منافق ومؤمن واحد لجاء حتى يجلس إليه الحديث البيهقي في شعب الإيمان موقوفاً على ابن مسعود وذكره صاحب الفردوس من حديث معاذ بن جبل ولم يخرج له ولله في المسند .

رسول الله صلى الله عليه وسلم « لأن يأخذ أحدكم حبلًا فيحطب على ظهره فبأكل وينصدق خير له من أن يأتي رجلاً فيسأله أعطاه أو منعه فإن اليد العليا خير من اليد السفلى » . أخبرنا الشيخ الصالح أبو زرعة طاهر بن أبي الفضل الحافظ للقدس قال أخبرني والدي قال أنا أبو محمد الصيرفي بغداد قال أنا أبو القاسم عبد الله بن محمد قال ثنا عبد الله بن محمد بن عبد العزيز قال ثنا علي بن الجعد قال ثنا شعبة عن أبي حمزة قال سمعت هلال بن حصين قال : أتيت المدينة فزلت دار أبي سعيد فضمني وإياه المجلس فحدث أنه أصبح ذات يوم وليس عندهم طعام فأصبح وقد عصب على بطنه حجراً من الجوع قالت لي امرأتك انت رسول الله صلى الله عليه وسلم

إنه وسيلة إلى التصود إذ يتوصل به إلى نيل جاه أو مال أو علم كما يحب الرجل سلطانا لا تتفاهه بماله أو جاهه ويجب خواصه لتحسين حاله عنده وتمهيدهم أمره في قلبه فالتوصل إليه إن كان مقصور الفائدة على الدنيا لم يكن حبه من جملة الحب في الله وإن لم يكن مقصور الفائدة على الدنيا ولكنه ليس يقصد به إلا الدنيا كحب التلذذ لأستاده فهو أيضا خارج عن الحب لله فانه إنما يحبه ليحصل منه العلم لنفسه فحجبه العلم فاذا كان لا يقصد العلم للتقرب إلى الله بل لينال به الجاه والمال والقبول عند الخلق فحجبه الجاه والقبول والعلم وسيلة إليه والأستاذ وسيلة إلى العلم فليس في شيء من ذلك حب لله إذ يتصور كل ذلك ممن لا يؤمن بالله تعالى أصلا ثم ينقسم هذا أيضا إلى مذموم ومباح فان كان يقصد به التوصل إلى مقاصد مذمومة من قهر الأقران وحيازة أموال الدنيا وظلم الرعاة بولاية القضاء أو غيره كان الحب مذموما وإن كان يقصد به التوصل إلى مباح فهو مباح وإنما تكتسب الوسيلة الحكم والصفة من المقصد للتوصل إليه فانها تابعة له غير قائمة بنفسها . القسم الثالث : أن يحبه لآلئاته بل لغيره وذلك الغير ليس راجعا إلى حظوظه في الدنيا بل يرجع إلى حظوظه في الآخرة فهذا أيضا ظاهر لا غموض فيه وذلك كمن يحب أستاذه وشيخه لأنه يتوصل به إلى تحصيل العلم وتحسين العمل ومقصوده من العلم والعمل الفوز في الآخرة فهذا من جملة المحبين في الله وكذلك من يحب تلميذه لأنه يتأقف منه العلم وينال بواسطته رتبة التعليم ويرقى به إلى درجة التعظيم في ملكوت السماء ، إذ قال عيسى صلى الله عليه وسلم : من علم وعمل وعلم فذلك يدعى عظما في ملكوت السماء ولا يتم التعليم إلا بتعلم فهو إذن آلة في تحصيل هذا الكمال فان أحبه لأنه آلة له إذ جعل صدره مزرعة لحرمته الذي هو سبب ترقيه إلى رتبة التعظيم في ملكوت السماء فهو يحب في الله بل الذي يتصدق بأمواله لله ويجمع الضيفان ويهيئ لهم الأطعمة اللذيذة الفرية تقربا إلى الله فأحب طبائحا لحسن صنعه في الطبخ فهو من جملة المحبين في الله وكذا لو أحب من يتولى له إيصال الصدقة إلى المستحقين فقد أحبه في الله بل يزيد على هذا وتقول إذا أحب من يخدمه بنفسه في غسل ثيابه وكفس بيته وطبخ طعامه وبفرغه بذلك للعلم أو العمل ومقصوده من استخدامه في هذه الأعمال الفراغ للعبادة فهو يحب في الله بل يزيد عليه وتقول إذا أحب من ينفق عليه من ماله ويواسيه بكسوته وطعامه ومسكنه وجميع أغراضه التي يقصدها في دنياه ومقصوده من جملة ذلك الفراغ للعلم والعمل المقرب إلى الله فهو يحب في الله فقد كان جماعة من السلف تكفل بكفائتهم جماعة من أولى الثروة وكان المواسي والمواسي جميعا من المتحايين في الله بل يزيد عليه وتقول من نكح امرأة سالحة ليتحصن بها عن وشواس الشيطان ويصون بها دينه أو ليولد منها له ولد صالح يدعو له وأحب زوجته لأنها آلة إلى هذه المقاصد الدينية فهو يحب في الله ولذلك وردت الأخبار بوفور الأجر والثواب على الاتفاق على العيال حتى اللقمة يضمها الرجل في في امرأته (١) بل نقول كل من اشترى بحب الله وحبه رضا وحبه لقائه في الدار الآخرة فاذا أحب غيره كان محبا في الله لأنه لا يتصور أن يحب شيئا إلا لمناسبتة لما هو محبوب عنده وهو رضا الله عز وجل بل أزيد على هذا وأقول إذا اجتمع في قلبه محبتان محبة الله ومحبة الدنيا واجتمع في شخص واحد اللعنان جميعا حتى صنع لأن يتوصل به إلى الله وإلى الدنيا فاذا أحبه لصلاحه للأمرين فهو من المحبين في الله كمن يحب أستاذه الذي يعلمه الدين ويكفيه مهمات الدنيا بالمواساة في المال فأحبه من حيث إن في طبعه طلب الراحة في الدنيا والسعادة في الآخرة فهو وسيلة إليهما فهو يحب في الله وليس من شرط حب الله أن لا يحب في العاجل

(١) حديث الأجر في الاتفاق على العيال حتى اللقمة يضمها الرجل في في امرأته تقدم .

عليه وسلم فقد أثناه
فلان فأعطاه وأثناه
فلان فأعطاه قال فأثنته
وقلت التمس شيئا
فذهبت أطلب فأنهيت
إلى رسول الله صلى الله
عليه وسلم وهو غطيظ
ويقول « من يستشف
بفضله الله ومن يستغنى
بفضله الله ومن سألنا
شيئا فوجدناه أعطيناه
وواسيناه ومن استشف
عنه واستغنى فهو أحب
إلينا من سألنا » قال
فرزقني الله تعالى حتى
ما أعلم أهل بيت من
الأنصار أكثر أموالا
منه وأما من حيث
الترهيب والتحذير فقد
روى عن رسول الله
صلى الله عليه وسلم أنه
قال « لا تزال المسئلة
بأحدكم حتى يلقى الله
وليس في وجهه مزعة
لحم » وروى أبو هريرة
رضي الله عنه قال قال
رسول الله صلى الله
عليه وسلم « ليس
المسكين الذي يردّه

حظا ألبته إذ الدعاء الذي أمر به الأنبياء صلوات الله عليهم وسلامه فيه جمع بين الدنيا والآخرة ومن ذلك قولهم - ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة - وقال عيسى عليه السلام في دعائه : اللهم لاتشمت بي عدوي ولا تسؤني صديقي ولا تجعل مصيبتى ليدني ولا تجعل الدنيا أكبر همي فذبح شجاعة الأعداء من حظوظ الدنيا ولم يقل ولا تجعل الدنيا أصلا من همي بل قال لا تجعلها أكبر همي وقال نبينا صلى الله عليه وسلم في دعائه « اللهم إني أسألك رحمة أنال بها شرف كرامتك في الدنيا والآخرة ^(١) » وقال « اللهم عافني من بلاء الدنيا وبلاء الآخرة ^(٢) » وعلى الجملة فإذا لم يكن حب السمادة في الآخرة مناقضا لحب الله تعالى فحب السلامة والصحة والكفاية والمكرامة في الدنيا كيف يكون مناقضا لحب الله والدنيا والآخرة عبارة عن حالتين إحداها أقرب من الأخرى فكيف يتصور أن يحب الإنسان حظوظ نفسه غدا ولا يحبها اليوم وإنما يحبها غدا لأن التدمير حالا راهنة فالحالة الراهنة لا بد أن تكون مطلوبة أيضا إلا أن الحظوظ العاجلة منقسمة إلى ما يضاف حظوظ الآخرة وينبع منها وهي التي احتز عنها الأنبياء والأولياء وأمروا بالاحتراز عنها وإلى ما يضاف وهي التي لم يتمتعوا منها كالنكاح الصحيح وأكل الحلال وغير ذلك فما يضاف حظوظ الآخرة فحق العاقل أن يكرهه ولا يحبه أعني أن يكرهه بقله لا بطبعه كما يكره تناول من طعام لقيده الملك من الملوك يعلم أنه لو أقدم عليه لقطعت يده أو حزت رقبته لا بمعنى أن الطعام اللذيذ يصير بحيث لا يشتهي بطبعه ولا يستلذ لو أكله فإن ذلك محال ولكن على معنى أنه يزجره عقله عن الإقدام عليه وتحصل فيه كراهة الضرر المتعلق به والقصود من هذا أنه لو أحب أستاذه لأنه يواسيه ويملأه أو تلميذه لأنه يتعلم منه ويخدمه وأحدهما حظ عاجل والآخر آجل لكان في زمة التحاين في الله ولكن بشرط واحد وهو أن يكون بحيث لو منته العلم مثلا أو تندر عليه تحصيله منه لنقص حبه بسببه فالقدر الذي ينقص بسبب فقدده هو لله تعالى وله على ذلك القدر ثواب الحب في الله وليس بمستنكر أن يشتد حبك لإنسان لجملة أغراض ترتبط لك به فإن امتنع بعضها نقص حبك وإن زاد زاد الحب فليس حبك للذهب كحبك للفضة إذا تساوى مقدارهما لأن الذهب يوصل إلى أغراض هي أكثر مما يوصل إليه الفضة فاذن يزيد الحب بزيادة الغرض ولا يستحيل اجتماع الأغراض الدنيوية والأخروية فهو داخل في جملة الحب لله، وحده هو أن كل حب لولا الإيمان بالله واليوم الآخر لم يتصور وجوده فهو حب في الله وكذلك كل زيادة في الحب لولا الإيمان بالله لم تكن تلك الزيادة فذلك الزيادة من الحب في الله فذلك وإن دق فهو عزيز قال الجريري تعامل الناس في القرن الأول بالدين حتى رقق الدين وتعاملوا في القرن الثاني بالوفاء حتى ذهب الوفاء وفي الثالث بالمرودة حتى ذهبت المرودة ولم يبق إلا الرهبة والرغبة . القسم الرابع : أن يحب لله وفي الله لا لئلا منه علما أو عملا أو يتوصل به إلى أمر وراء ذاته وهذا أعلى الدرجات وهو أدقها وأعظمها وهذا القسم أيضا ممكن فإن من آثار غلبة الحب أن يتعدى من المحبوب إلى كل من يتعلق بالمحبوب ويناسبه ولومن بعد فن أحب إنسانا حبا شديدا أحب حب ذلك الإنسان وأحب محبوه وأحب من يخدمه وأحب من يثق عليه محبوه وأحب من يتسارع إلى رضا محبوه حتى قال بقية بن الوليد إن للؤمن إذا أحب المؤمن أحب كلبه وهو كما قال ويشهد له التجربة في أحوال العشاق ويدل عليه أشعار الشعراء ولذلك يحفظ ثوب المحبوب ويغنيه تذكرة من جهته ويحب منزله ومحلته وجيرانه حتى قال مجنون بن عامر

(١) حديث اللهم إني أسألك رحمة أنال بها شرف كرامتك في الدنيا والآخرة الترمذي من حديث ابن عباس في الحديث الطويل في دعائه صلى الله عليه وسلم بعد صلاة الليل وقد تقدم (٢) حديث اللهم عافني من بلاء الدنيا وعذاب الآخرة ، أحمد من حديث جبر بن أبي أرطاة نحوه بسند جيد .

الأكله والأكلتان
والتمرة والتسمرتان
ولكن للسكين الذي
لا يسأل الناس ولا
يفطن بمكانه فيعطى
هذا هو حال الفقير
الصادق والتصوف
الحق لا يسأل الناس
شيئا ومنهم من يلزم
الأدب حتى يؤديه إلى
حال يستحي من
الله تعالى أن يسأله
شيئا من أمر الدنيا
حتى إذا همت النفس
بالسؤال رده الهية
وبرى الإقدام على
السؤال جراءة فيعطيه
الله تعالى عند ذلك
من غير سؤال كما قل
عن إبراهيم الخليل
عليه السلام : أنه جاءه
جبريل وهو في الهواء
قبل أن يصل إلى النار
فقال هل لك من حاجة
فقال أما إليك فلا
فقال له قد ركبك
فقال حسبي من سؤالي
عليه بحالي وقد يصف
عن مثل هذا فيسأل
الله عبودية ولا يرى

أمر على الديار ديار ليل أقبل ذا الجدار وذا الجدارا
وما حب الديار شغفن قلبي ولكن حب من سكن الديارا

فإذن للشاهدة والتجربة تدل على أن الحب يتعدى من ذات المبوب إلى ما يحيط به ويتعلق بأسبابه ويناسبه ولو من بعد ولكن ذلك من خاصية فرط المحبة فأصل المحبة لا يكتفي فيه ويكون اتساع الحب في تمديه من المبوب إلى ما يكتشفه ويحيط به ويتعلق بأسبابه بحسب إفراط المحبة وقوتها وكذلك حب الله سبحانه وتعالى إذا قوى وغلب على القلب واستولى عليه حتى انتهى إلى حد الاستهتار فيتعدى إلى كل موجود موصوله فإن كل موجود سواء أثر من آثار قدرته ومن أحب إنسانا أحب صنعة وخطه وجميع أفعاله ولقد كان عليه السلام إذا حمل إليه با كورة من الفواكه مسح بها عينيه وأكرمها وقال إنه قريب العهد برينا (١) وحب الله تعالى تارة يكون لصديق الرجاء في مواعيله وما يتوقع في الآخرة من نعيمه وتارة لما سلف من أياديه وصنوف نعمته وتارة قداته لا لأمر آخر وهو أدق ضرور المحبة وأعلىها وسيأتي تحقيقها في كتاب المحبة من ربيع اللججيات إن شاء الله تعالى وكيفما اتفق حب الله فإذا قوى تمدى إلى كل متعلق به ضربا من التعلق حتى يتعدى إلى ما هو في نفسه مؤلم مكروه ولكن فرط الحب يضعف الإحساس بالألم والفرح بفعل المبوب وقصده إياه بالإيلاء بغير إدراك الألم وذلك كالفرح بضرب من المبوب أو فرصة فيها نوع معاتبة فإن قوة المحبة تثير فرحا يضر إدراك الألم فيه وقد انتهت محبة الله بقوم إلى أن قالوا لا نفرق بين البلاء والنعمة فإن الكل من أقدولا نخرج إلا بما فيه رضاه حتى قال بعضهم لا أريد أن أنال مغفرة الله بمصيبة الله وقال ممنون : وليس لي في سواك حظ فكيفما شئت فاختبرني

وسيأتي تحقيق ذلك في كتاب المحبة وللقصود أن حب الله إذا قوى أمر حب كل من يقوم بحق عبادة الله في علم أو عمل وأمر حب كل من فيه صفة مرضية عند الله من خلق حسن أو تأدب بأداب الشريعة وما من مؤمن يحب للآخرة ويحب لله إلا إذا أخبر عن حال رجلين أحدهما عالم عابد والآخر جاهل فاسق إلا وجد في نفسه ميلا إلى العالم العابد ثم ضعف ذلك الميل ويقوى بحسب ضعف إيمانه وقوته وبحسب ضعف حبه لله وقوته وهذا الليل حاصل وإن كانا غائبين عنه بحيث يعلم أنه لا يسيبه منهما خير ولا شر في الدنيا ولا في الآخرة فذلك الليل هو حب في الله وقته من غير حظ فانه إنما يحبه لأن الله يحبه ولأنه مرضى عند الله تعالى ولأنه يحب الله تعالى ولأنه مشغول بعبادة الله تعالى إلا أنه إذا ضعف لم يظهر أثره ولا يظهر به ثواب ولا أجر فإذا قوى حمل على اللوالة والنصرة والذب بالنفس والمال واللسان وتفاوت للناس فيه بحسب تفاوتهم في حب الله عز وجل ولو كان الحب مقصورا على حظ ينال من المبوب في الحال أو اللآل لما تصور حب للوقي من الملاء والمباد ومن الصحابة والتابعين بل ومن الأنبياء النقرنين صلوات الله عليهم وسلامه وحب جميعهم مكنون في قلب كل مسلم متدين ويتبين ذلك بغضبه عند ظمن أعدائهم في واحد منهم وبفرحه عند الثناء عليهم وذكر محاسنهم وكل ذلك حب لله لأنهم خواص عباد الله ومن أحب ملكا أو شخصا جيلا أحب خواصه وخدمه وأحب من أحبه إلا أنه يتمتعن الحب بالمقابلة بحفظ النفس وقد ينقلب بحيث لا يبقى للنفس حظ إلا فيها هو حظ المبوب وعنه عبر قول من قال :

أريد وصاله ويريد هجرى فأترك ما أريد لما يريد

(١) حديث كان إذا حمل إليه با كورة من الفواكه مسح بها عينيه وأكرمها وقال إنها قريب عهد برها الطبراني في الصغير من حديث ابن عباس ، وأبو داود في اللراسيل والبيهقي في الدعوات من حديث أبي هريرة دون قوله وأكرمها الخ وقال إنه غير محفوظ وحديث أبي هريرة في البا كورة عند بقية أصحاب السنن دون مسح عينيه بها وما بعده وقال الترمذي حسن صحيح .

سؤال المخلوقين فيسوق الله تعالى إليه القسم من غير سؤال مخلوق . بلغنا عن بعض الصالحين أنه كان يقول : إذا وجد الفقير نفسه مطالبة بشيء لا تخلو تلك المطالبة إما أن تكون لرزق يريد الله أن يسوقه إليه فكتبه النفس له قد تطلع نفوس بعض الفقراء إلى ما سوف يحدث وكأنها تخبر بما يكون وإما أن يكون ذلك عقوبة لذنوب وجد منه فإذا وجد الفقير ذلك وألحت النفس بالمطالبة فليقم وليسبح الوضوء ويصل ركعتين ويقول : يارب إن كانت هذه المطالبة عقوبة ذنب فأستغفرك وأتوب إليك وإن كانت لرزق قدرته لي فبذل وصوله إلى فإن الله تعالى يسوقه إليه إن كان رزقه ولا اقتلعب المطالبة عن باطنه

وتقول من قال * وما لجرح إذا أرساكم ألم * وقد يكون الحب بحيث يترك به بعض الحظوظ دون بعض
 كمن تسمح نفسه بأن يشاطر محبوبه في نصف ماله أوفى ثلثه أوفى عشرة فقادير الأ. والموافق لهبة
 إذ لا تعرف درجة المحبوب إلا بمحسوب يترك في مقابلته فمن استغرق الحب جميع قلبه لم يبق له محبوب
 سواء فلا يمسك لنفسه شيئا مثل أبي بكر الصديق رضي الله عنه فإنه لم يترك لنفسه أهلا ولا مالا فلم
 ابنته التي هي قرة عينه وبذل جميع ماله ، قال ابن عمر رضي الله عنهما « بيننا رسول الله صلى الله عليه
 وسلم جالس وعنده أبو بكر وعليه عباءة قد دخلها على صدره بخلال إذ نزل جبريل عليه السلام فأقرأه
 عن الله السلام وقال له يا رسول الله مالي أرى أبا بكر عليه عباءة قد دخلها على صدره بخلال فقال أنفق ماله
 على قبل الفتح قال فأقره من الله السلام وقل له يقول لك ربك أراض أنت عني في قترك هذا أم
 ساخط ؟ قال فالتفت النبي صلى الله عليه وسلم إلى أبي بكر وقال يا أبا بكر هذا جبريل يقرئك السلام من
 الله ويقول أراض أنت عني في قترك هذا أم ساخط قال فيكي أبو بكر رضي الله عنه وقال أهي ربي
 أسخط أنا عن ربي راض أنا عن ربي راض ^(١) . فحصل من هذا أن كل من أحب عالما أو عبدا
 أو أحب شخصا راغبا في علم أوفى عبادة أوفى خيرا فأنما أحبه في الله والله فيه من الأجر والثواب
 بقدر قوة حبه فهذا شرح الحب في الله ودرجاته وبهذا يتضح البغض في الله أيضا ولكن نزيد يانا .
 (بيان البغض في الله)

اعلم أن كل من يحب في الله لابد أن يبغض في الله فانك إن أحببت إنسانا لأنه مطيع لله ومحبوب
 عند الله فان عصاه فلا بد أن تبغضه لأنه عاص لله ومحقوق عند الله ومن أحب بسبب الضرورة يبغض
 لضده وهذان متلازمان لا ينفصل أحدهما عن الآخر وهو مظهر في الحب والبغض في العادات ولكن كل
 واحد من الحب والبغض داء دفين في القلب وإنما يترشح عند الغلبة ويترشح بظهور أفعال المحبين
 والبغضين في المقاربة والمباعدة وفي المخالطة والواقعة فإذا ظهر في العمل مسمى موالاته ومعاداة ولذلك قال
 الله تعالى : هل واليت في وليا وهل عادي في عدوا كما قلناه ، وهذا واضح في حق من لم يظهر لك إلا
 طاعته تقدر على أن تحبه أو لم يظهر لك إلا فسقه وجوره وأخلاقه السيئة تقدر على أن تبغضه وإنما المشكل
 إذا اختلطت الطاعات بالمعاصي فانك تقول كيف أجمع بين البغض والمحبة وهما متناقضان وكذلك تتناقض
 ثمرتهما من اللواقعة والمخالفة والموالات والمعاداة فأقول ذلك غير متناقض في حق الله تعالى كما لا يتناقض
 في الحظوظ البشرية فانه مهما اجتمع في شخص واحد خصال يحب بعضها ويكره بعضها فانك تحبه من
 وجه وتبغضه من وجه فمن له زوجة حسنة فاجرة أو ولد ذكي خديم ولكنه فاسق فانه يحبه من وجه
 ويبغضه من وجه ويكون معه على حالة بين حالتين إذ لو فرض له ثلاثة أولاد أحدهم ذكي بار والآخر بليد
 عاق والآخر بليد بار أو ذكي عاق فانه يصادف نفسه معهم على ثلاثة أحوال متفاوتة بحسب تفاوت خصالهم
 فكذلك ينبغي أن تكون حالك بالإضافة إلى من غلب عليه الفجور ومن غلبت عليه الطاعة ومن
 اجتمع فيه كلاهما متفاوتة على ثلاث مراتب وذلك بأن تعطى كل صفة حظها من البغض والحب والإعراض
 والاقبال والصعوبة والتعطية وسائر الأفعال الصادرة منه . فان قلت فكل مسلم فإسلامه طاعة منه
 فكيف أبغضه مع الاسلام . فأقول تحبه لاسلامه وتبغضه لمصيته وتكون معه على حالة لو قسمتها بحال
 كافر أو فاجر أدركت تفرقة بينهما وتلك التفرقة حب الاسلام وقضاء لحقه وقدر الجناية على حق الله
 (١) حديث ابن عمر بيننا النبي صلى الله عليه وسلم جالس وعنده أبو بكر وعليه عباءة قد دخلها على
 صدره بخلال فنزل جبريل فأقرأه من ربه السلام الحديث ابن حبان والعميل في الضعفاء قال الذهبي
 في البران هو كذب .

فصان الفقير أن ينزل
 حوائجه بالحق فاما
 أن برزقه التي أو الصبر
 أو يلذبه ذلك عن
 نفسه لله سبحانه
 ومالي أبواب من
 طريق الحكمة وأبواب
 من طريق القدرة
 فان فتح بابا من طريق
 الحكمة ولا يفتح
 بابا من طريق القدرة
 ويأتيه الضرر يخرق
 الطاعة كما كان يأتي
 مريم عليها السلام - كما
 دخل عليها زكريا
 الهرب وجد عندها
 رزقا قال يا مريم أنى لك
 هذا قالت هو من عند
 الله - حكى من بعض
 الفقهاء قال جئت ذات
 يوم وكان حاله أن
 لأسأل قد دخلت بعض
 المجال ينفاد مجازا
 متراضا لعل الله تعالى
 يفتح لي على يد بعض
 عباده شيئا فلم يقدر
 فنت جاثما فأتى آت
 في منامي فقال لي اذهب
 إلى موضع كذا وعين
 الوضع قم خرقه زرناه

والطاعة له كالجنابة على حقيق والطاعة لك فمن وافقك على غرض وخالفك في آخر فكأن معه على حالة متوسطة بين الاتقياض والاسترسال وبين الاتكال والاعراض وبين التودد إليه والتوحش عنه ولا يتألف في إكرامه مبالفتك في إكرام من يوافقك على جميع أغراضك ولا يتألف في إهائته مبالفتك في إهانة من خالفك في جميع أغراضك ثم ذلك التوسط تارة يكون ميله إلى طرف الإهانة عند غلبة الجنابة وتارة إلى طرف المجاملة والاكرام عند غلبة الموافقة فهكذا ينبغي أن يكون فيمن يطيع الله تعالى ويمس به ويتعرض لرضاه مرة ولخطئه أخرى . فان قلت فهذا يمكن إظهار البغض فأقول أما في القول فكف اللسان عن مكائده ومحادثته مرة وبالاستخفاف والتغليظ في القول أخرى وأما في الفعل فبقطع السعي في إهائته مرة وبالسعي في إيسائه وإفساد مآربه أخرى وبعض هذا أشد من بعض وهو بحسب درجات المسق وللصية الصادرة منه . أما ما أصر عليه من ضغينة أو كبرية فان كان بمن تأكدت بينك وبينه مودة ومحبة وأخوة فله حكم آخر وشيأني وفيه خلاف بين العلماء . وأما إذا لم تتأكد أخوة ومحبة فلا بد من إظهار أثر البغض إما في الاعراض والتباعد عنه وقلة الالتفات إليه وإما في الاستخفاف وتغليظ القول عليه وهذا أشد من الاعراض وهو بحسب غلظ للصية وخفتها وكذلك في الفعل أيضاً رتبتان إحداها قطع للمودة والرفق والنصرة عنه وهو أقل الدرجات والأخرى السعي في إفساد أغراضه عليه كقتل الأعداء للبغضين وهذا لا بد منه ولكن فيما يفسد عليه طريق للصية أما ما لا يؤثر فيه فلا ، مثاله رجل عصى الله فشرب الخمر وقد خطب امرأة لو تيسر له نكاحها لكان مغبوطاً بها بالمال والجمال والجاه إلا أن ذلك لا يؤثر في منته من شرب الخمر ولا في بئس وتعميرض عليه فإذا قدرت على إهائته لئتم له غرضه ومقصوده وقدرت على تشويشه ليفوته غرضه فليس لك السعي في تشويشه أما الإهانة فلوتركتها إظهاراً للغضب عليه في نفسه فلا بأس وليس يجب تركها إذ ربما يكون لك نية في أن تلطف بإهائته وإظهار الشفقة عليه ليعتقد مودتك ويقل نصحك فهذا حسن وإن لم يظهر لك ولكن رأيت أن تعينه على غرضه قضاء لحق إسلامه فذلك ليس بمنع بل هو الأحسن إن كانت معصيته بالجنابة على حقه أو حق من يتعلق بك وفيه زل قوله تعالى - ولا يأتل أولوا الفضل منكم والسعة - إلى قوله تعالى - ألا تحبون أن يغفر الله لكم - إذ تكلم مسطح بن أثانة في واقعة الإفك (١) خلف أبو بكر أن يقطع عنه رقه وقد كان يواسيه بالمال فزلت الآية ليعظم معصية مسطح وأية معصية تزيد على التعرض لحرم رسول الله صلى الله عليه وسلم وإطالة اللسان في مثل عائشة رضي الله عنها إلا أن الصديق رضي الله عنه كان كالجنبي عليه في نفسه بتلك الواقعة والنفو عمن ظلم والاحسان إلى من أساء من أخلاق الصديقين وإنما يحسن الاحسان إلى من ظلمك فأما من ظلم غيرك وعصى الله به فلا يحسن الاحسان إليه لأن في الاحسان إلى الظالم إساءة إلى المظلوم وحق المظلوم أولى بالمرعاة وتقوية قلبه بالاعراض عن الظالم أحب إلى الله من تقوية قلب الظالم فأما إذا كنت أنت المظلوم فالأحسن في حقك العفو والصفح . وطرق السلف قد اختلفت في إظهار البغض مع أهل المعاصي وكلهم اتفقوا على إظهار البغض للظلمة والبتدعة وكل من عصى الله بمعصية متعدية منه إلى غيره فأما من عصى الله في نفسه ففهم من نظر بعين الرحمة إلى الصاة كلهم . ومنهم من شدد الانكار واختار المهاجرة فقد كان أحمد بن حنبل يهجر الأكار في أدنى كلفه حتى هجر يحيى بن معين لقوله إن لا أسأل أحدا شيئاً ولو حمل السلطان إلى شيئاً لأخذته ، وهجر الحرث

(١) حديث كلام مسطح في الإفك وهجر أبي بكر له حتى زلت ولا يأتل أولوا الفضل منكم الآية متفق عليه من حديث عائشة .

فيها قطيعات أخرجهما
في مصالحك فمن تجرد
عن المخلوقين وتفرّد
بالله قصد تفرد بنى
قادر لا يعجزه شيء
يفتح عليه من أبواب
الحكمة والقدرة
كيف شاء وأولى من
سأل نفسه بآلها الصبر
الجميل فان الصادق
تجيه نفسه . وحكي
شيخنا رحمه الله تعالى
أن ولده جاء إليه
ذات يوم وقال له أريد
جبة قال قلت له
ما تفضل بالجبة فذكر
شهوة يشتريها بالجبة
ثم قال عن ذلك اذهب
واستقرض الجبة قال
قلت نعم استقرضها
من خضك فهي أولى
من أقرض . وقد نظم
بعضهم هذا للنبي
قال :

إن شئت أن تستقرض
المال منك
على شهوات النفس في
زمن الصبر
فقل نفسك الاتقي
من كنز صبرها

المحاسني في تصنيفه في الرد على المعتزلة وقال إنك لا بد تورد أولا شبهتهم وتعمل الناس على التفكير فيها ثم ترد عليهم ، وهجر أبو ثور في تأويله قوله صلى الله عليه وسلم « إن الله خلق آدم على صورته (١) » وهذا أمر يختلف باختلاف النية وتختلف النية باختلاف الحال فان كان الطالب على القلب النظر إلى اضطراب الخلق وعجزهم وأنهم مسخرون لما قدروا له أورش هذا تساهلا في المعادة والبغض وله وجه ولكن قد تلبس به المداينة فأكثر البواعث على الاغضاء عن المعاصي للمداينة ومراعاة القلوب والخوف من وحشتها ونفارها وقد يلبس الشيطان ذلك على النبي الأحق بأنه ينظر بعين الرحمة وعك ذلك أن ينظر إليه بعين الرحمة إن جنى على خاص حقه ويقول إنه قد سخره والقدر لا ينفع منه الحذر وكيف لا يفعله وقد كتب عليه فشل هذا قد تصح له نية في الإغماض عن الجناية على حق الله وإن كان يتناظر عند الجناية على حقه ويترحم عند الجناية على حق الله فهذا مداهن مغرور بمكيده من مكاييد الشيطان فليتبهله . فان قلت فأقل الدرجات في إظهار البغض المهجر والاعراض وقطع الرفق والاعانة فهل يجب ذلك حق بعض المبدئ تركه . فأقول لا يدخل ذلك في ظاهر العلم تحت التكليف والایجاب فانا نعلم أن الدين شربوا الخمر وتماطوا القواحي في زمان رسول الله ﷺ والصحابة ما كانوا يهجر من بالكلية بل كانوا منقسمين فيهم : إلى من يلفظ القول عليه ويظهر البغض له ، وإلى من يرض عنه ولا يتعرض له ، وإلى من ينظر إليه بعين الرحمة ولا يؤثر القاطعة والتباعد فهذه دقائق دينية تختلف فيها طرق السالكين لطريق الآخرة ويكون عمل كل واحد على ما يختص به حاله ووقته ومقتضى الأحوال في هذه الأمور إما مكروهة أو مندوبة تكون في رتبة الفضائل ولا تنتهي إلى التحريم والایجاب فان الداخل تحت التكليف أصل المعرفة لله تعالى وأصل الحب وذلك قد لا يتعدى من المبوب إلى غيره وإنما التمدى إفراط الحب واستيلاؤه وذلك لا يدخل في الفتوى وتحت ظاهر التكليف في حق عوام الخلق أصلا .

(بيان مراتب الدين يفيضون في الله وكيفية معاملتهم)

فان قلت إظهار البغض والعداوة بالفعل إن لم يكن واجبا فلا شك أنه مندوب إليه والعصاة والفاسق على مراتب مختلفة فكيف ينال الفضل بمعاملتهم وهل يسلك بجميعهم مسلكا واحدا أم لا . فأقول أن المخالف لأمراء الله سبحانه لا يغلو إما أن يكون مخالفا في عقده أو في عمله والمخالف في العقد إما مبتدع أو كافر والابتدع إما دواع إلى بدعته أو ساكت والساكت إما بسجوه أو باختياره فأقسام الفساد في الاعتقاد ثلاثة الأول : الكفر فالكافر إن كان محاربا فهو يستحق القتل والارفاق وليس بعدهذين إهانة وأما الذي فاته لا يجوز إيذاؤه إلا بالاعراض عنه والتحقيره بالاضطرار إلى أنصق الطرق وبترك اللفافة بالسلام فاذا قال السلام عليك قلت وعليك والأولى الكف عن مخالطته ومعاملته ومواكلته وأما الانبساط معه والاسترسال إليه كما يسترس إلى الاصدقاء فهو مكروه كراهة شديدة يكاد يقتضي ما يقوى منها إلى حد التحريم قال الله تعالى - لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله ولو كانوا آباءهم أو أبناءهم أو إخوانهم أو عشراهم - الآية ، وقال ﷺ « المسلم والشرك لا تراهي (٢) » وقال عز وجل - يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوي وعدوكم أولياء - الآية . الثاني للمبتدع الذي يدعو إلى بدعته فان كانت البدعة بحيث يكفر بها فأمره أشد من الذي لأنه لا يقر بعجزية ويسامح بقدر ذمة وإن كان ممن لا يكفر به فأمره بينه وبين الله أخف من أمر الكافر لاحتالة ولكن الأمر في الانكار عليه أشد منه

عليك وإرفاقا إلى
زمن اليسر
فان قلت كنت الغنى
وإن أبت
فكل ممنوع بعدها
واسع العذر
فاذا استغنى الفقير
الجهد من نفسه
وأشرف على الضعف
وتحققت الضرورة
وسأل مولاه ولم يقدر
له شيء ووقته يضيق
عن الكسب من شغله
بحاله فعند ذلك يقرع
باب السبب ويسأل
قد كان الصالحون
يفعلون ذلك عند
فائقهم . نقل عن أبي
سعيد الخزاز أنه كان
يعد يده عند الفاقة
ويقول : ثم شيء لله .
ونقل عن أبي جعفر
الحمداد وكان أستاذنا
للجنيد أنه كان يخرج
بين العشائين ويسأل
من باب أو باين
ويكون ذلك معلومه
على قدر الحاجة بعد
يوم أو يومين . ونقل
عن إبراهيم بن آدم

(١) حديث إن الله خلق آدم على صورته مسلم من حديث أبي هريرة (٢) حديث المؤمن والشرك لا تراهي ناراها أبو داود والترمذي من حديث جرير أنا برى من كل مسلم يقيم بين أظهر المشركين قالوا يا رسول الله ولم ؟ قال لا تراهي ناراها ورواه النسائي مرسل وقال البخاري الصحيح أنه مرسل .

على الكافر لأن شر الكافر غير متحد فان للمسلمين اعتقدوا كفره فلا يلتفتون إلى قوله إذ لا يدعى لنفسه الاسلام واعتقاد الحق . أما المبتدع الذي يدعو إلى البدعة ويزعم أن ما يدعو إليه حق فهو سبب لقواية الخلق ضرره متعدد فلاستحباب في إظهار بفضه ومعاداته والانتطاع عنه وتحقيره والتشجيع عليه يدعته وتغير الناس عنه أشد وإن سلم في خلوة فلا بأس برد جوابه وإن علمت أن الاعراض عنه والسكوت عن جوابه يفيق في نفسه بدعته ويؤثر في زجره ترك الجواب أولى لأن جواب السلام وإن كان واجبا فيستقط بأدنى غرض فيمصلحة حتى يسقط بكون الانسان في الحمام أو في قضاء حاجته وغرض الزجر أهم من هذه الأعراض وإن كان في ملأ ترك الجواب أولى تغفيرا للناس عنه وتقييما لبدعته في أعينهم وكذلك الأولى كلف الاحسان إليه والاهانة له لاسيا فيها يظهر للخلق قال عليه السلام « من اتهم صاحب بدعة ملأ الله قلبه أمنا وإيماننا ومن أهان صاحب بدعة أمته الله يوم القزع الأكبر ومن آلان له وأكرمه أوليائه يشر قد استخف بما أنزل الله على محمد ﷺ (١) » . الثالث : المبتدع العاصي الذي لا يقدّر على الدعوة ولا يخاف الاقتداء به فأمره أهون فالأولى أن لا يتابع بالتقليظ والاهانة بل يتلطف به في النصيح فان قلوب العوام سريعة التقلب فان لم ينفع النصيح وكان في الاعراض عنه تقييح لبدعته في عينه تأكد الاستحباب في الاعراض وإن علم أن ذلك لا يؤثر فيه لجود طبعه ورسوخ عقده في قلبه فالاعراض أولى لأن البدعة إذا لم يبالغ في تقييحها شاعت بين الخلق وعم فسادها . وأما العاصي بخله وعمله لا باعتقاده فلا يغلو إما أن يكون بحيث يتأذى به غيره كالظلم والنصب وشهادة الزور والنية والتضريب بين الناس والنهي بالنيمة وأمثالها أو كان مما لا يقتصر عليه ويؤذى غيره وذلك ينقسم إلى ما يدعو غيره إلى الفساد كصاحب الماخور الذي يجمع بين الرجال والنساء وبهي أسباب الشرب والفساد لأهل الفساد أو لا يدعو غيره إلى فعله كالذي ضرب ويزني وهذا الذي لا يدعو غيره إما أن يكون عصيانه بكبيرة أو بصغيرة وكل واحد فلما أن يكون مصرا عليه أو غير مصر فهذه التقيحات تحصل منها ثلاثة أقسام ولكل قسم منها رتبة وبضها أشد من بعض ولا نسلك بالكل مسلكا واحدا . القسم الأول : وهو أشدها ما يضر ربه الناس كالظلم والنصب وشهادة الزور والنية والنيمة فهؤلاء الأولى الاعراض عنهم وترك مخالطتهم والانتقاض عن معاملتهم لأن للعصية شديدة فما يرجع إلى إبداء الخلق ثم هؤلاء ينقسمون إلى من يظلم في السماء وإلى من يظلم في الأموال وإلى من يظلم في الأعراض وبضها أشد من بعض فلاستحباب في إهانتهم والاعراض عنهم مؤكدا جدا ومهما كان يتوقع من الاهانة زجرا لهم أوليائهم كان الأمر فيه أكد وأشد . الثاني : صاحب الماخور الذي بهي أسباب الفساد ويسهل طريقه على الخلق فهذا لا يؤذى الخلق في دنياهم ولكن يغتلس بخله دينهم وإن كان على وفق رضاهم فهو قريب من الأول ولكنه أخف منه فان للعصية بين العبد وبين الله تعالى إلى الغفوة أقرب ولكن من حيث إنه متعدد على الجملة إلى غيره فهو شديد وهذا أيضا يقتضي الاهانة والاعراض والمقاطعة وترك جواب السلام إذا ظن أن فيه نوعا من الزجر له أوليائه . الثالث : الذي يغسق في نفسه بشرب خمر أو ترك واجب أو مقارفة محظور يخصه فالأمر فيه أخف ولكنه في وقت مباشرته ان صودف يجب منه بما يمتنع به منه ولو بالضرب والاستخفاف فان التهي عن السكر واجب وإذا فرغ منه وعلم أن ذلك من عادته وهو مصر عليه فإن تحقق أن نصحه ينم عنه عن العود إليه وجب النصيح وإن لم يتحقق ولكنه كان يرجو فالأفضل النصيح والزجر بالتلطف أو بالتخليط إن كان

(١) حديث من اتهم صاحب بدعة ملأ الله قلبه أمنا وإيماننا ، الحديث أبو نعيم في الحلية والهروى

في ذم الكلام من حديث ابن عمر بسند ضيف .

أنه كان متكفيا بجامع البصرة مدة وكان يخطر في كل ثلاث ليال ليلية وإيلة إفطاره يطلب من الأبواب وتقل عن سفبان الثوري أنه كان يسافر من الحجاز إلى مناء اليمن ويسأل في الطريق وقال كنت أذكر لهم حديثا في الضيافة فيقدم إلى الطعام فأتناول حاجتي وأترك ما يبقى . وقد ورد من جاع ولم يسأل فأت دخل النار ومن عنده علم وله مع الله حال لا يبالى بمثل هذا بل يسأل بالعلم وبالحكمة عن السؤال بالعلم . وحكى بعض مشايخنا عن شخص كان مصرا على المعاصي ثم اتقه وتاب وحسنت توبته وصار له حال مع الله تعالى قال : عزمت أن أحج مع القافلة ونويت أن لأسأل أحدا شيئا وأكتفي بعلم الله بحالي قال فبقيت ألبما في

هو الأنفع فأما الإعراض عن جواب سلامه والسكف عن غائلته حيث يعلم أنه يصر وأن النصح ليس ينفعه فهذا فيه نظر وسير العلماء فيه مختلفة والصحيح أن ذلك يختلف باختلاف نية الرجل فعند هذا يقال الأعمال بالنيات إذ في الرفق والنظر بعين الرحمة إلى الخلق نوع من التواضع وفي العنف والإعراض نوع من الزجر والمستحق فيه القلب لما يراه أميل إلى هواه ومقتضى طبعه فالأولى ضده إذ قد يكون استخفافه وعنفه عن كبر وعجب والتذاذ باظهار العلو والادلال بالصلاح وقد يكون رفقته عن مدهانة واستمالة قلب للوصول به إلى غرض أو لحوف من تأثير وحشته وقرته في جاه أو مال بظن قريب أو بعيد وكل ذلك مردد على إشارات الشيطان وبعيد عن أعمال أهل الآخرة فكل راغب في أعمال الدين يجتهد مع نفسه في التفتيش عن هذه الدقائق ومراقبة هذه الأحوال والقلب هو المفتاح فيه وقد يصيب الحق في اجتهاده وقد يخطئ وقد يهضم على اتباع هواه وهو عالم به وقد يقدم وهو يحكم الضرور ظان أنه عامل لله وسالك طريق الآخرة وسيأتي بيان هذه الدقائق في كتاب الضرور من ربيع المهلكات ، ويدل على تخفيف الأمر في الفسق القاصر الذي هو بين العبد وبين الله ما روى أن شارب خمر ضرب بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم مرات وهو يعود فقال واحد من الصحابة لعنه الله ما أكثر ما يشرب فقال صلى الله عليه وسلم « لا تكن عوناً للشيطان على أخيك (١) » أو لفظاً هذا معناه وكان هذا إشارة إلى أن الرفق أولى من العنف والتغليظ .

(بيان الصفات المشروطة فيمن تختار محبته)

اعلم أنه لا يصلح للصحة كل إنسان قال صلى الله عليه وسلم « المرء على دين خليله فلينظر أحدكم من يخالل (٢) » ولا بد أن يتميز بمخالص صفات يرغب بسببها في محبته وتشرط تلك الخصال بحسب الفوائد المطلوبة من الصحة إذ معنى الشرط ما لا بد منه للوصول إلى المقصود فبالإضافة إلى المقصود تظهر الشروط ويطلب من الصحة فوائد دينية ودنيوية أما الدنيوية فكالانتفاع بالمال أو الجاه أو مجرد الاستئناس بالمشاهدة والمجاورة وليس ذلك من أغراضنا . وأما الدينية فيجتمع فيها أيضاً أغراض مختلفة إذ منها الاستفادة من العلم والعمل ومنها الاستفادة من الجاه منحنا به عن إيذاء من يشوش القلب ويصد عن العبادة ومنها الاستفادة للمال لا اكتفاء به عن تضييع الأوقات في طلب القوت ومنها الاستعانة في المهمات فيكون عدة في المصائب وقوة في الأحوال ومنها التبرك بمجرد الدعاء ومنها انتظار الشفاعة في الآخرة فقد قال بعض السلف استكثروا من الإخوان فإن لكل مؤمن شفاعة فلعلك تدخل في شفاعة أخيك وروى في غريب التفسير في قوله تعالى - ويستجيب الذين آمنوا وعملوا الصالحات ويزيدهم من فضله - قال يشفعهم في إخوانهم فيدخلهم الجنة معهم ويقال إذا غفر الله للعبد شفع في إخوانه ولذلك حث جماعة من السلف على الصحة والألفة والمخالطة وكرهوا العزلة والانفراد فهذه فوائد تستدعي كل فائدة شروطاً لا تحصل إلا بها ونحن نفصلها أما على الجملة فينبغي أن يكون فيمن تختار محبته خمس خصال أن يكون عاقلاً حسن الخلق غير فاسق ولا مبتدع ولا حريص على الدنيا . أما العقل فهو رأس المال وهو الأصل فلا خير في محبة الأحمق فإلى الوحشة والقطيعة ترجع عاقبتها وإن طال قال صلى الله عليه وسلم : فلا تصحب أخا الجهل وإياك وإياه فكلم من جاهل أردى حلياً حين آخاه يقاس السوء بالمرء إذا ما المرء ماشاه وللشيء من الشيء مقاييس وأشباه وللقلب على القلب دليل حين يلتقاء

(١) حديث إن شارب خمر ضرب بين يدي النبي صلى الله عليه وسلم الحديث وفيه لا تكن عوناً للشيطان على أخيك البخاري من حديث أبي هريرة (٢) حديث المرء على دين خليله الحديث أبو داود والترمذي وحسنه والحاكم من حديث أبي هريرة وقال صحيح إن شاء الله .

الطريق ففتح الله على
بالماء والزاد في وقت
الحاجة ثم وقف الأمر
ولم يفتح الله على شيء
لجفت وعطشت حتى
لم يبق لي طاقة فضعفت
عن الشيء وقبعت أناخر
عن القافلة قليلاً قليلاً
حتى مرت القافلة فقلت
في نفسي هذا الآن
منى إلقاء النفس إلى
التهلكة وقد منع الله
من ذلك وهذه مسألة
الاضطرار أسأل فلما
هممت بالسؤال انبعث
من باطني إنكار لهذه
الحال وقالت عزيمة
عقدتها مع الله لا أتقصها
وهان على الموت دون
نقص عزيمتي فقصت
شجرة وقصدت في
ظلها وطرحت رأسي
استطرحاً للسوت
وذهبت القافلة فبينما
أنا كذلك إذ جاءني
شاب متقلد بسيف
وحركتي فقصت وفي
يده أداة فيها ماء
فقال لي اشرب فشربت
ثم قدم لي طعاماً وقال

كيف والأحق قد يضرك وهو يريد نفعك وإعانتك من حيث لا يدري ولذلك قال الشاعر :

إني لآمن من عدو عاقل وأخاف خلا يعتريه جنون

فالعدل فن واحد وطريقه أدري فأرصد والجنون فنون

كل فأكلت ثم قال لي
آريد القافلة قفلت من
لي بالقافلة وقد عبرت
فقال لي قم وأخذ
يسدى ومشى معي
خطوات ثم قال لي
اجلس بالقافلة إليك
تجى فجلست ساعة
فاذا أنا بالقافلة ورائي
متوجهة الى هذا شأن
من يامل مولاه
بالصدق وذكر
الشيخ أبو طالب السكي
رحمه الله أن بعض
الصوفية أول قول
رسول الله صلى الله عليه
وسلم «أحل ما أكل
المؤمن من كسب يده»
بأنه للسألة عند القافة
وأنكر الشيخ
أبو طالب هذا التأويل
من هذا الصوفي وذكر
أن جفرا الخلدی كان
يحكي هذا التأويل عن
شيخ من شيوخ
الصوفية ووقع لي وفاقه
أعلم أن الشيخ الصوفي
لم يرد بكسب اليد
ما أنكر الشيخ
أبو طالب منه وإنما

ولذلك قيل مقاطعة الأحق قربان إلى الله . وقال الثوري : النظر إلى وجه الأحق خطيئة مكتوبة ونفى
بالعقل الذي يفهم الأمور هي مهي عليه إما بنفسه وإما إذا فهم . وأما حسن الخاق فلا بد منه إذ رب
عاقل يدرك الأشياء على ما هي عليه ولكن إذا غلبه غضب أو شهوة أو بخل أو جبن أطاع هواه وخالف
ما هو المعلوم عنده ليجزه عن قهر صفاته وتقويم أخلاقه فلا خير في محبته ، وأما الفاسق المصير على
الفسق فلا فائدة في محبته لأن من يخاف الله لا يصير على كبيرة ومن لا يخاف الله لا يؤمن غائلته ولا
يوثق بصدافته بل يتغير بتغير الأغراض وقال تعالى - ولا تطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا واتبع
هواه - وقال تعالى - فلا يصدك عنها من لا يؤمن بها واتبع هواه - وقال تعالى - فأعرض عمن
تولى عن ذكرنا ولم يرد إلّا الحياة الدنيا - وقال - واتبع سبيل من أناب إلى - وفي مفهوم ذلك زجر
عن الفاسق . وأما المبتدع ففي محبته خطر سراية البدعة وتعمد شؤمها إليه فالمبتدع مستحق للهجر
والمقاطعة فكيف تؤثر محبته وقد قال عمر رضي الله عنه في الحث على طلب الدين في الصديق فيما رواه
سعيد بن السيب قال : عليك باخوان الصدق تمس في أكنافهم فانهم زينة في الرخاء وعدة في البلاء
وضع أمر أخيك على أحسنه حتى يحبك ما يملكك منه واعتزل عدوك واحذر صديقك إلا الأمين من
القوم ولا أمين إلا من خشى الله فلا تصحب الفاجر فتعلم من فجوره ولا تظلمه على شرك واستشر في
أمرك الذين يخشون الله تعالى . وأما حسن الخلق فقد جمعه علقمة الطاردي في وصيته لابنه حين
حضرته الوفاة قال : يا بني إذا عرضت لك إلى محبة الرجال حاجة فاصحب من إذا خدمته صانك وإن
محبته زانك وإن قدمت بك مؤنة مانك ، اصحب من إذا مددت يدك بخير مدها وإن رأى منك حسنة
عدها وإن رأى سيئة سدها ، اصحب من إذا سأله أعطاك وإن سكت ابتداك وإن نزلت بك نازلة
واساك اصحب من إذا قلت صدق قولك وإن حاولتما أمرا أمرك وإن تنازعتما آترك فكانه جمع بهذا
جميع حقوق الصفة وشرط أن يكون قائما بجميعها . قال ابن أكرم قال للمأمون فأين هذا فقبله
أتدري لم أوصاه بذلك قال لا قال لأنه أراد أن لا يصحب أحدا . وقال بعض الأدباء لا تصحب من الناس
إلا من يكرمك ويستر عيبك فيكون معك في النوائب ويؤثرك بالرغائب وينشر حسنك ويطوى
سبتك فإن لم تجده فلا تصحب إلا نفسك ، وقال على رضي الله عنه :

إن أخاك الحق من كان معك ومن يضر نفسه لينفك

ومن إذا ريب زمان صدك شئت فيه فمه ليجمعك

وقال بعض العلماء : لا تصحب إلا أحد رجلين رجل تعلم منه شيئا من أمر دينك فينفعك أو رجل
تعلمه شيئا في أمر دينه فيقبل منك والثالث فاهرب منه ، وقال بعضهم : الناس أربعة فواحد حلو
كله فلا يشبع منه وآخر مرّ كله فلا يؤكل منه وآخر فيه حموضة تغذ من هذا قبل أن يأخذ منك
وأخر فيه ملوحة تغذ منه وقت الحاجة فقط وقال جعفر الصادق رضي الله عنه : لا تصحب خمسة
الكذاب فإنك منه على غرور وهو مثل السراب يقرب منك البعيد ويعد منك القريب ، والأحمق
فإنك لست منه على شيء يريد أن ينفعك فيضرك ، والبخيل فإنه يقطع بك أحوج ما تكون إليه ،
والجبان فإنه يسلك ويفر عند الشدة ، والفاسق فإنه يبيعك بأكلة أو أقل منها قليل وما أقل منها قال
الطمع فيها ثم لا ينالها . وقال الجنيد لأن يصحبني فاسق حسن الخلق أحب إلي من أن يصحبني قارى

سبي الخلق ، وقال ابن أبي الحواري قال لي أستاذي أبو سليمان يا أحمد لا تصحب إلا أحد رجلين رجلاً
تزفقه به في أمر دينك أو رجلاً يزيد معه وتنتفع به في أمر آخرتك والاشتغال بغير هذين حق كبير .
وقال سهل بن عبد الله : اجتنب محبة ثلاثة من أصناف الناس الجبارة العافلين والقراء الدهانين
والتصوفة الجاهلين . واعلم أن هذه الكلمات أكثرها غير محيط بجميع أغراض الصحة والمحيط
ما ذكرناه من ملاحظة المقاصد ومراعاة الشروط بالإضافة إليها فليس ما يشترط للصحة في مقاصد الدنيا
مشروطاً للصحة في الآخرة والأخوة كما قاله بشر . الإخوان ثلاثة : أخ لآخرتك وأخ لدينك وأخ
لأنفسه . وقلنا تجتمع هذه المقاصد في واحد بل تتفرق على جمع فتفرق الشروط فيهم لاجتماع ، وقد
قال للأئمة الأخوان ثلاثة : أحدهم مثله مثل الغذاء لا يستغنى عنه والآخر مثله مثل الدواء يحتاج إليه
في وقت دون وقت والثالث مثله مثل الداء لا يحتاج إليه قط ولكن البعد قديمتي به وهو الذي لأنس
فيه ولا تقع ، وقد قيل مثل جملة الناس كمثل الشجر والنبات فمنها ماله ظل وليس له ثمر وهو مثل
الذي ينتفع به في الدنيا دون الآخرة فإن وقع الدنيا كالظل السريع الزوال ومنها ماله ثمر وليس له
ظل وهو مثل الذي يصلح للآخرة دون الدنيا ومنها ماله ثمر وظل جميعاً ومنها ما ليس له واحد منهما
كأم غيلان تمزق الثياب ولا طعم فيها ولا شراب ومثله من الحيوانات القارة والحرب كما قال تعالى - يدعو
لن ضره أقرب من قومه لبئس للولئ لبئس العشير - وقال الشاعر :

الناس شتى إذا ما أئت ذقهم لا يستون كالإيتوى الشجر

هذا له ثمر حلو مذاقه وذاك ليس له طعم ولا ثمر

فاذا لم يجد رفيقاً يؤاخي ويستفيد به أحد هذه المقاصد فالوحدة أولى به . قال أبو بكر رضي الله عنه
الوحدة خير من الجليس السوء والجليس الصالح خير من الوحدة ويروى مرفوعاً . وأما الديانة وعدم
الفسق فقد قال الله تعالى - واتبع سبيل من أناب إلى - ولأن مشاهدة الفسق والفاسق نهون أمر
العصية على القلب وتبطل نفرة القلب عنها . قال سعيد بن المسيب : لا تنظروا إلى الظلمة فتحبط أعمالكم
الصالحة بل هؤلاء لاسلامه في مخالطتهم وإنما السلامة في الانقطاع عنهم . قال الله تعالى - وإذا خاطبهم
الجاهلون قالوا سلاماً - أي سلامة والألف بدل من الماء ومعناه إنا سلمنا من إنهم وأتم سلمت من
شرنا ، فهذا ما أردنا أن نذكره من معاني الأخوة وشروطها وفوائدها ، فلنرجع في ذكر حقوقها
ولوازمها وطرق القيام بمحبتها ، وأما المريض على الدنيا فصحبته سم قاتل لأن الطباع مجبولة على التشبه
والإتداء بل الطبع يسرق من الطبع من حيث لا يدري صاحبه ، فجمالة المريض على الدنيا تحرك
الحرص ومجالسة الزاهد تزهده في الدنيا فلذلك تذكره محبة طلاب الدنيا ويستحب محبة الراغبين
في الآخرة . قال علي عليه السلام : أحبوا الطاعات بمجالسة من يستحبها منه . وقال أحمد بن حنبل
رحمه الله ما أوقفني في بيلة إلا محبة من لأحتشمه . وقال لقمان : يا بني جالس العلماء وزاحمهم بركبتك
فإن القلوب لتحبها بالحسنة كما تحب الأرض الميتة بوابل القطر .

(الباب الثاني : في حقوق الأخوة والصحة)

اعلم أن عقد الأخوة رابطة بين الشخصين كعقد النكاح بين الزوجين وكإبادة نفق النكاح حقوقاً يجب
الوفاء بها قياماً بحق النكاح كما سبق ذكره في كتاب آداب النكاح فكذلك عقد الأخوة . فلا تخيك
عليك حق في المال والنفس وفي اللسان والقلب بالعمو والدعاء وبالإخلاص والوفاء وبالتخفيف وترك
التكلف والتكليف وذلك يجمعه ثمانية حقوق :

(الباب الثاني : في حقوق الأخوة والصحة)

أراد بكسب الدرر فيها
إلى الله تعالى عند
الحاجة فهو من أهل
ماياً كله إذا أجاب الله
سؤاله وساق إليه رزقه
وقال الله تعالى حكاية
عن موسى عليه السلام
- رب إني لما أنزلت
إلي من خير فقير -
قال عبد الله بن عباس
رضي الله عنهما قاله
ذلك وإن خضرة البقل
تراهي في بطنه من
الهرال . وقال محمد الباقر
رحمه الله قالما وإنه
محتاج إلى شق ثمرة
وروى عن مطرف
أنه قال : أما والله لو كان
عند نبي الله شيء
ما أتبع المرأة ولكن
حمله على ذلك الجهد
وذكر الشيخ أبو
عبد الرحمن السلي
عن النضر ابني أنه
قال في قوله - إني لما
أنزلت إلى من خير فقير -
لم يسأل الكلم الخلق
وإنما كان سؤاله من
الحق ولم يسأل غداء
النفس إنما أراد

(الحق الأول في المال)

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «مثل الأخوين مثل اليدين تسهل إحداها الأخرى (١)» وإنما شبهما باليدين لا باليد والرجل لأنهما يتعاونان على غرض واحد فكذا الإخوان إنما تتم أخونتهما إذا تراكما في مقصد واحد فهما من وجه كالشخص الواحد وهذا يقتضى المساهمة في السراء والضراء والمشاركة في المال والحال وارتفاع الاختصاص والاستئثار . والواسة بالمال مع الأخوة على ثلاث مراتب أدناها أن تنزله منزلة عبدك أو خادمك فتقوم بحاجته من فضلة مالك فإذا سئمت له حاجة وكانت عندك فضلة عن حاجتك أعطيته ابتداء ولم تجوجه إلى السؤال فإن أحوجته إلى السؤال فهو غاية التقصير في حق الأخوة . الثانية : أن تنزله منزلة نفسك وترضى بشاركتك إياك في مالك ونزوله منزلك حتى تسمح بمشاطرته في المال . قال الحسن : كان أحدهم يشق إزاره بينه وبين أخيه . الثالثة : وهي العليا أن تؤثر على نفسك وتقدم حاجته على حاجتك وهذه رتبة الصديقين ومنتهى درجات التحابين ومن ثمار هذه الرتبة الإيثار بالنفس أيضا كما روى أنه سمى بجماعة من الصوفية إلى بعض الخلفاء فأمر بضرب رقابهم وفيهم أبو الحسين النورى فبادر إلى السيف ليكون هو أول مقتول قيل له في ذلك فقال أحببت أن أوتر إخواني بالحياة في هذه اللحظة فكان ذلك سبب نجاتهم جميعهم في حكاية طويلة فإن لم تصادف نفسك في رتبة من هذه الرتب مع أخيك فاعلم أن عقد الأخوة لم ينقصد به في الباطن وإنما الجارى بينكما مخالطة رسمية لا وقع لها في العقل والدين ، فقد قال ميمون بن مهران : من رضى من الإخوان بترك الأفضال فليؤاخ أهل القبور . وأما الدرجة الدنيا فليست أيضا مرضية عند ذوى الدين ، روى أن عتبة الغلام جاء إلى منزل رجل كان قد أخاه فقال أحتاج من مالك إلى أربعة آلاف فقال خذ ألفين فأعرض عنه وقال آثرت الدنيا على الله أما استحييت أن تدعى الأخوة في الله وتقول هذا ومن كان في الدرجة الدنيا من الأخوة يبنى أن لاتعامله في الدنيا . قال أبو حازم : إذا كان لك أخ في الله فلاتعامله في أمور دنياك وإنما أراد به من كان في هذه الرتبة . وأما الرتبة العليا فهي التي وصف الله تعالى للؤمنين بها في قوله - وأمرهم شورى بينهم ومما رزقناهم ينفقون - أي كانوا خلطاء في الأموال لا يعيز بعضهم رحله عن بعض وكان منهم من لا يصحب من قال نعلي لأنه أضافه إلى نفسه وجاء فتح اللوصلى إلى منزل لأخ له وكان غالبا فأمر أهله فأخرجت صندوقه ففتحه وأخذ حاجته فأخبرت الجارية مولاهما فقال إن صدقت فأنت حرة لوجه الله سرورا بما فعل ، وجاء رجل إلى أبي هريرة رضى الله عنه وقال إني أريد أن أواخيك في الله فقال أترى ما حق الإخاء قال عرفني قال أن لا تكون أحق بدينارك ودرهمك منى قال لم أبلغ هذه المنزلة بعد قال فاذهب عني وقال على بن الحسين رضى الله عنهما لرجل هل يدخل أحدكم يده في كم أخيه أو كيسه فيأخذ منه ما يريد بغير إذنه قال لا قال فلستم بأخوان ودخل قوم على الحسن رضى الله عنه فقالوا يا أبا سعيد أصليت قال نعم قالوا فإن أهل السوق لم يصلوا بعد قال ومن يأخذ دينه من أهل السوق بلغنى أن أحدهم يمنع أخاه الدرهم قاله كالمعجب منه وجاء رجل إلى إبراهيم بن أدهم رحمه الله وهو يريد بيت المقدس فقال إني أريد أن أرافقك فقال له إبراهيم على أن أكون أملك لشيكك منك قال لا قال أعجبني صدقك . قال فكان إبراهيم بن أدهم رحمه الله إذا رافقه رجل لم يخالفه وكان لا يصحب إلا من بواقفه ، وصحبه رجل شراك فأهدى رجل إلى إبراهيم في بعض المنازل قصعة من ثريد ففتح جراب رفيقه وأخذ حزمة من شراك وجعلها في القصعة وردها إلى صاحب الهدية فلما جاء رفيقه قال أين الشراك قال ذلك الثريد الذى أكلته إيش كان قال كنت تعطيه شراكين أو ثلاثة قال اصمح بسمعك

(١) حديث مثل الأخوين مثل اليدين الحديث تقدم في الباب قبله .

سكون القلب . وقال أبو سعيد الخراساني الخلق مترددون بين ملهم وبين ما إليهم من نظر إلى ماله تكلم بلسان الفرو من شاهد ما إليه تكلم بلسان الخيلاء والفخر الأثرى حال الكليم عليه السلام لما شاهد خواص ما خاطبه به الحق كيف قال : أرى أنظر إليك . ولما نظر إلى نفسه كيف أظهر الفقر وقال : إني لما أزلت إلى من خير قدير . وقال ابن عطاء نظر من العبودية إلى الربوبية غشع وخضع وتكلم بلسان الافتقار بما ورد على سره من الأنوار افتقار العبد إلى مولاه في جميع أحواله لافتقار سؤال وطلب . وقال الحسين : فقير لما خصصتني من علم اليقين أن ترقيني إلى عين اليقين وحفه ووقع والله أعلم في قوله لما أزلت

وأعطى مرة حمرا كان لرفيقه بغير إذنه رجلا رآه راجلا فلما جاء رفيقه سكت ولم يكره ذلك قال ابن عمر رضي الله عنهما أهدي لرجل من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم رأس شاة فقال أخى فلان أحوج مني إليه فبعت به إليه فبعت ذلك الانسان إلى آخر فلم يزل يبعث به واحد إلى آخر حتى رجع إلى الأول بعد أن تداوله سبعة . وروى أن مسروقا ادان ديننا تقبلا وكان على أخيه خيصة دين قال فذهب مسروق فقضى دين خيصة وهو لا يعلم وذهب خيصة فقضى دين مسروق وهو لا يعلم ولما آخى رسول الله صلى الله عليه وسلم بين عبد الرحمن بن عوف وسعد بن الربيع آثره بالمال والنفس فقال عبد الرحمن بارك الله لك فيهما (١) فأثره بما آثره به وكأنه قبله ثم آثره به وذلك مساواة والبداية إيثار والإيثار أفضل من المساواة وقال أبو سلمان الداراني لو أن الدنيا كلها لي فجعلتها في فم أخ من إخواني لاستقلتها له وقال أيضا إنى لأقم اللقمة أخا من إخواني فأجد طعمها في حلقى . ولما كان الإيثاق على الإخوان أفضل من الصدقات على الفقراء قال على رضي الله عنه لعشرون درهما أعطوها أخى في الله أحب إلى من أن أتصدق بمائة درهم على المساكين وقال أيضا لأن أصنع صاعا من طعام وأجمع عليه إخواني في الله أحب إلى من أن أعتق رقبة . واقتداء الكل في الإيثار برسول الله صلى الله عليه وسلم فإنه دخل غيضة مع بعض أصحابه فاجتني منها سواكين أحدهما معوج والآخر مستقيم فدفع المستقيم إلى صاحبه فقال له يارسول الله كنت والله أحق بالمستقيم منى فقال « من صاحب يصحب صاحباً ولو ساعة من النهار إلا سئل عن محبته هل أقام فيها حق الله أم أضاعه » (٢) فأشار بهذا إلى أن الإيثار هو القيام بحق الله في الصعبة ، وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى بئر يغتسل عندها فأمسك حذيفة بن اليمان الثوب وقام يستر رسول الله ﷺ حتى اغتسل ثم جلس حذيفة ليغتسل فتناول رسول الله صلى الله عليه وسلم الثوب وقام يستر حذيفة عن الناس فأبى حذيفة وقال بأبي أنت وأمى يارسول الله لا تفعل فأبى عليه السلام إلا أن يستره بالثوب حتى اغتسل (٣) وقال صلى الله عليه وسلم « ما اصطحب اثنان قط إلا كان أحدهما إلى الله أرفقهما بصاحبه » (٤) وروى أن مالك بن دينار ومحمد بن واسع دخلا منزل الحسن وكان غائبا فأخرج محمد بن واسع سلة فيها طعام من تحت سرير الحسن فجعل يأكل فقال له مالك كف يدك حتى يجي صاحب البيت فلم يلتفت محمد إلى قوله وأقبل على الأكل وكان مالك أبسط منه وأحسن خلقا فدخل الحسن وقال يا مويلك هكذا كنا لا نعشم بعضنا بعضا حتى ظهرت أنت وأصحابك وأشار بهذا إلى أن الانبساط في بيوت الإخوان من الصفاء في الأخوة كيف وقد قال الله تعالى - أو صدقكم - وقال - أو ماملكم مفانهم - إذ كان الأخ يدفع مفاتيح بيته إلى أخيه ويفوض التصرف كما يريد وكان أخوه يتخرج عن الأكل بحكم التقوى حتى أنزل الله تعالى هذه الآية وأذن لهم في الانبساط في طعام الإخوان والاصدقاء .

(الحق الثاني في الاعانة بالنفس في قضاء الحاجات

والقيام بها قبل السؤال وتقديمها على الحاجات الخاصة)

(١) حديث لما آخى رسول الله صلى الله عليه وسلم بين عبد الرحمن بن عوف وسعد بن الربيع آثره بالمال والنفس فقال عبد الرحمن بارك الله لك فيهما رواه البخاري من حديث أنس (٢) حديث أنه دخل غيضة مع بعض أصحابه فاجتني منها سواكين أحدهما معوج والآخر مستقيم فدفع للمستقيم إلى صاحبه الحديث لم أقف له على أصل (٣) حديث ستر حذيفة للنبي صلى الله عليه وسلم بثوب حتى اغتسل ثم ستره صلى الله عليه وسلم لحذيفة حتى اغتسل لم أجده أيضا (٤) حديث ما اصطحب اثنان قط إلا كان أحدهما إلى الله أرفقهما بصاحبه تقدم في الباب قبله بلفظ أشدهما حيا لصاحبه .

إلى من خير فقير . أن
الانزال مشعر يبعد
رتبته عن حقيقته القرب
فيكون الانزال عين
الفقر لما قنع بالمنزل
وأراد قرب المنزل ومن
صح فقره فققره في
أمر آخرته كفقره في
أمر دنياه ورجوعه
إليه في الدارين وإياه
يسأل حوائج المنزلين
وتساوى عنده
الحاجتان فثمة مع غير
الله شغل في الدارين .
[الباب العشرون في
ذكر من يأكل من
الفتوح]

إذا كمل شغل الصوفي بالله
وكل زهده لكال تقواه
بحكم الوقت عليه يترك
التسبب وينكشف
له صريح التوحيد
وصحة الكفالة من الله
السكرام فيزول عن
باطنه الاهتمام بالأقسام
ويكون مقدمة هذا
أن يفتح الله له بابا من
التعريف بطريق
المقابلة على كل فعل
يصدر منه حتى لو جزى

وهذه أيضا لدرجات كمالها وإسعادها فأدناها القيام بالحاجة عند السؤال والقدرة ولكن مع البشاشة والاستبشار وإظهار الفرح وقبول اللذة وقال بعضهم إذا استقضيت أخاك حاجة فلم يقضها فذكره ثانية ظلمه أن يكون قد نسي فإن لم يقضها فكبر عليه واقرأ هذه الآية - واللوتى يعظم الله - وتضى ابن شبرمة حاجة لبعض إخوانه كبيرة فجاء بهدية فقال ما هذا قال لما أسديته إلى فقال خذ مالك عافاك الله إذا سألت أخاك حاجة فلم يجهد نفسه في قضائها فتوضأ للصلاة وكبر عليه أربع تكبيرات وعنه في اللوتى قال جعفر بن محمد إنى لأتسارع إلى قضاء حوائج أعدائى مخافة أن أردم فيستغفروا عني هنا في الأعداء فكيف في الأصدقاء وكان في الساف من ينفق عيال أخيه وأولاده بعد موته أربعين سنة يقوم بحاجتهم ويردد كل يوم إليهم ويعونهم من ماله فكانوا لا يفقدون من أيهم إلا عينه بل كانوا يرون منه ما لم يروا من أيهم في حياته وكان الواحد منهم يتردد إلى باب دار أخيه ويسأل ويقول هل لكم زيت هل لكم ملح هل لكم حاجة وكان يقوم بها من حيث لا يعرفه أخوه وبهذا تظهر الشفقة والأخوة فإذا لم تشر الشفقة حتى يشفق على أخيه كما يشفق على نفسه فلا خير فيها قال ميمون بن مهران من لم تنتفع بصداقته لم تضرك عداوته وقال صلى الله عليه وسلم « ألا وإن لله أوفى في أرضه وهى القلوب فأحب الأوفى إلى الله تعالى أصفاه وأصلبها وأرقها أصفاه من الذنوب وأصلبها في الدين وأرقها على الإخوان ^(١) » وبالجملة فينبغى أن تكون حاجة أخيك مثل حاجتك أو أهم من حاجتك وأن تكون متفقدًا لأوقات الحاجة غير غافل عن أحواله كما لا تنفل عن أحوال نفسك وتقنيه عن السؤال وإظهار الحاجة إلى الاستعانة بل تقوم بحاجته كأنك لا تدري أنك فقت بها ولا تبرى لنفسك حقا بسبب قيامك بها بل تتفقد منه بقبوله سعيك في حقه وقيامك بأمره ولا ينبغى أن تقتصر على قضاء الحاجة بل تجتهد في البداية بالأكرام والزيادة والإيثار والتقديم على الأقارب والولد كان الحسن يقول إخواننا أحب إلينا من أهلنا وأولادنا لأن أهلنا يذكروننا بالدنيا وإخواننا يذكروننا بالآخرة وقال الحسن من شيع أخاه في الله بعث الله ملائكة من تحت عرشه يوم القيامة يشيعونه إلى الجنة وفي الأثر ما زار رجل أخا في الله شوقا إلى لقائه إلا ناداه ملك من خلفه طبت وطابت لك الجنة ^(٢) وقال عطاء تفقدوا إخوانكم بعد ثلاث فإن كانوا مرضى فعودوهم أو مشاغل فاعينوهم أو كانوا نسوا فذكروهم وروى « أن ابن عمر كان يلتفت بيننا وشمالا بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم فسأله عن ذلك فقال أحببت رجلا فأنا أطلبه ولا أراه فقال : إذا أحببت أحدا فسله عن اسمه واسم أبيه وعن منزله فإن كان مريضا عدته وإن كان مشغولا أعنته ^(٣) » وفي رواية وعن اسم جده وعشيرته . وقال الشعبي في الرجل يحالس الرجل فيقول أعرف وجهه ولا أعرف اسمه تلك معرفة النوكى . وقيل لابن عباس من أحب الناس إليك قال جليسى وقال ما اختلف رجل إلى مجلسي ثلاثا من غير حاجة له إلى فعلت ما مكافأته من الدنيا وقال سعيد ابن العاص لجليسى على ثلاث إذا دنا رحبت به وإذا حدث أقبلت عليه وإذا جلس أوسعت له وقد قال تعالى - رحما بينهم - إشارة إلى الشفقة والاكرام ومن تمام الشفقة أن لا تفرد بطعام لغيره

(١) حديث إن لله أوفى في أرضه وهى القلوب فأحب الأوفى إلى الله أصفاه وأصلبها الطبراني من حديث أبي عتبة الحولاني إلا أنه قال ألبها وأرقها وإسناده جيد (٢) حديث ما زار رجل أخا في الله الحديث تقدم في الباب قبله (٣) حديث ابن عمر إذا أحببت أحدا فاسأله عن اسمه واسم أبيه ومنزله وعشيرته الحديث الخرائطى في مكارم الأخلاق والبيهقي في شعب الإيمان بسند ضعيف ورواه الترمذي من حديث يزيد بن نعمة وقال غريب ولا يعرف ليزيد بن نعمة سماع من النبي صلى الله عليه وسلم .

عليه يسير من ذنب بحسب حاله أو الذنب مطلما مما هو منه غيب في الشرع يجد غيب ذلك في وقته أو يومه كان يقول بعضهم : إنى لأعرف ذنبي في سوء خلق غلامى وقيل إن بعض الصوفية قرض القارخه فلما رآه تألم وقال :

لو كنت من مازن لم تستبح إيلي

بنو اللقيطة من ذهل ابن شيانا

إشارة منه إلى أن الداخل عليه مقابلة له على شئ استوجب به ذلك فلا زال به المقابلات متضمنة للتعريفات الإلهية حتى يتحصن بصدق الحاسبة وصفاء المراقبة عن تضيق حقوق العبودية ومخالفة حكم الوقت ويتجرد له حكم فعل الله وتتمحى عنه أفعال غير الله فيرى المعطى والمائع هو الله سبحانه ذوقا وحالا

أو بحضور في مسرة دونه بل يتنصص لفرقة ويستوحش بانفراده عن أخيه .

(الحق الثالث)

(في اللسان بالكوت مرة وبالطلق أخرى) : أما السكوت فهو أن يسكت عن ذكر عيوبه في غيبة وحضرته بل يتجاهل عنه ويسكت عن الرد عليه فيما يشككم به ولا يجاريه ولا يناقشه وأن يسكت عن التجسس والسؤال عن أحواله وإذا رآه في طريق أو حاجة لم يخاطبه بذلك غرضه من مصدره ومورده ولا يسأله عنه فربما يثقل عليه ذكره أو يحتاج إلى أن يكذب فيه وليسكت عن أسرارته التي بها إليه ولا يبينها إلى غيره ألبتة ولا إلى أخص أصدقائه ولا يكشف شيئا منها ولو بعد القطيعة والوحشة فإن ذلك من لؤم الطبع وخبث الباطن وأن يسكت عن القدح في أحبابه وأهله وولده وأن يسكت عن حكاية قدح غيره فيه فإن الذي سبك من بلفك وقال أنس « كان صلى الله عليه وسلم لا يواجه أحدا بشيء يكرهه ^(١) » والتأذي يحصل أولا من اللبغ ثم من القائل نعم لا ينبغي أن يخفى ما يسمع من التناء عليه فإن السرور به أولا يحصل من اللبغ للدهج ثم من القائل وإخفاء ذلك من الحسد وبالجملة فليسكت عن كل كلام يكرهه جملة وتفصيلا إلا إذا وجب عليه النطق في أمر معروف أو نهى عن منكر ولم يجد رخصة في السكوت فاذ ذاك لا يبالى بكرهته فإن ذلك إحسان إليه في التحقيق وإن كان يظن أنها إساءة في الظاهر . أما ذكر مساويه وعيوبه ومساوى أهله فهو من الغيبة وذلك حرام في حق كل مسلم وبزجره عنه أمران : أحدهما أن تطالع أحوال نفسك فإن وجدت فيها شيئا واحدا مذموما فهو على نفسك مآراء من أخيك وقد رآه جاز عن قهر نفسه في تلك الحصة الواحدة كما أنك جاز عما أنت مبتلى به ولا تستغله بحصة واحدة مذمومة فأى الرجال المذهب وكل مالا تصادفه من نفسك في حق الله فلا تنتظره من أخيك في حق نفسك فليس حقك عليه بأكثر من حق الله عليك . والأمر الثاني أنك تعلم أنك لو طلبت منزها عن كل عيب اعتزلت عن الخلق كافة ولن تجد من تصاحبه أصلا من أحد من الناس إلا وله محاسن ومساو فاذ غلبت المحاسن السوى فهو القاية وللتبهي فالمؤمن الكريم أبدا يحضر في نفسه محاسن أخيه لينبت من قلبه التوقير والود والاحترام . وأما المناق في اللثم فإنه أبدا يلاحظ للمساوي والسيو قال ابن المبارك للمؤمن يطلب العاذير والمناق يطلب العثرات وقال الفضيل الفتوة الغو عن زلات الأخوان وقدك قال عليه السلام « استعبدوا بالله من جار السوء الذي إن رأى خيرا ستره وإن رأى شرا أظهره ^(٢) » وما من شخص إلا ويمكن تحمين حاله بحال فيه ويمكن تقيحه أيضا روى « أن رجلا أتى على رجل عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما كان من الغد ذه فقال عليه السلام : أنت بالأمس ثنى عليه واليوم تنمى فقال والله لقد صدقت عليه بالأمس وما كذبت عليه اليوم إنه أرضاني بالأمس قلت أحسن ماعلت فيه وأغضبنى اليوم قلت أقبح ماعلت فيه فقال عليه السلام : إن من البيان لسحرا ^(٣) » وكأنه كره ذلك فشبهه بالسحر وقدك قال في خبر آخر

لا عيبا وإيمانا ثم يتدراك الحق تعالى بالمعونة وبوقته على صريح التوحيد وتجريد فعل الله تعالى كما حكى عن بعضهم أنه خطر له خاطر الاهتمام بالرزق فخرج إلى بعض الصعاري فرأى قبرة عمياء عرجاء ضيفة فوقف متسجعا منها متفكرا فيها تأكل مع عجيزها عن الطيران وللشي والروية فينا هو كذلك إذ انشقت الأرض وخرجت سكرجان في إحداها سمسم نقي وفي الأخرى ماء صاف فأكلت من السمسم وشربت من الماء ثم انشقت الأرض وغابت السكرجان قال فلما رأيت ذلك سقط عن قلبي الاهتمام بالرزق فاذا أوقف الحق عبده في هذا اللقاه يزيل عن باطنه الاهتمام بالأنعام ويرى الدخول في التسبب والتكسب بالسؤال وغيره رتبة

(١) حديث أنس كان لا يواجه أحدا بشيء يكرهه أبو داود والترمذي في الشمائل والنسائي في اليوم واليلة بسند ضعيف (٢) حديث استعبدوا بالله من جار السوء الذي إن رأى خيرا ستره وإن رأى شرا أظهره البخاري في التاريخ من حديث أبي هريرة بسند ضعيف والنسائي من حديث أبي هريرة وأبي سعيد بسند صحيح : تمودوا بالله من جار السوء في دار اللقاه (٣) حديث أن رجلا أتى على رجل عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما كان من الغد ذه الحديث وفيه فقال صلى الله عليه وسلم إن من البيان لسحرا الطبراني في الأوسط والحاكم في المستدرک من حديث أبي بكره إلا أنه ذكر للدهج واقدم في مجلس واحد لا يومين ورواه الحاكم من حديث ابن عباس أطول منه بسند ضعيف أيضا .

« البذاء والبيان شعبتان من التفاق ^(١) » وفي الحديث الآخر « إن الله يكره لكم البيان كل البيان » وكذلك قال الشافعي رحمه الله ما أحد من المسلمين يطيع الله ولا يصبه ولا أحد يعصى الله ولا يعطيه فمن كانت طاعته أغلب من معاصيه فهو عدل وإذا جعل مثل هذا عدلا في حق الله فبأن تراه عدلا في حق نفسك ومقتضى أخوتك أولى . وكما يجب عليك السكوت بلسانك عن مساويه يجب عليك السكوت بقلبك وذلك بترك إساءة الظن فسوء الظن غيبة بالقلب وهو منهي عنه أيضا وحده أن لا تحمل ظنه على وجه فاسد ما أمكن أن تحمله على وجه حسن ، فأما ما انكشف يقين ومشاهدة فلا يمكنك أن لانه عليه عليك أن تحمل ما تشاهد على سهو ونسيان إن أمكن وهذا الظن ينقسم إلى ما يسمى غرضا وهو الذي يستند إلى علامة فإن ذلك يحرك الظن تحريكا ضروريا لا يقدر على دفعه وإلى ما منشؤه سوء اعتقاده فيه حتى يصدر منه فعله وجهان فيحملك سوء الاعتقاد فيه على أن تنزله على الوجه الأرذل من غير علامة تخص به وذلك جنابة عليه بالباطن وذلك حرام في حق كل مؤمن إذا قال صلى الله عليه وسلم « إن الله قد حرم على المؤمن من المؤمن دمه وماله وعرضه وأن يظن به ظن سوء ^(٢) » وقال صلى الله عليه وسلم « إياكم والظن فإن الظن أكذب الحديث ^(٣) » وسوء الظن يدعو إلى التجسس والتحسس ، وقد قال ^(٤) « لا تجسسوا ولا تجسسوا ولا تقاطعوا ولا تدابروا وكونوا عباد الله إخوانا ^(٥) » والتجسس في تطلع الأخبار والتحسس بالمراقبة بالعين فستر العيوب والتجاهل والتناقل عنها شيمة أهل الدين ويكفيك تنبيهها على كمال الرتبة في ستر القبيح وإظهار الجليل أن الله تعالى وصف به في الهدى قبل يامن أظهر الجليل وستر القبيح والرضى عند الله من تخلق بأخلاقه فإنه ستر العيوب وغفار الذنوب ومتجاوز عن العيب فكيف لا تتجاوز أنت عن مثلك أو فوقك وما هو بكل حال عبدك ولا مخلوقك ، وقد قال عيسى عليه السلام للحواريين : كيف تصنعون إذا رأيتم أناسكم نائما وقد كشف الريح ثوبه عنه قلوبا نسره ونقطيه قال بل تكشفون عورته قالوا سبحان الله من يفعل هذا فقال أحدكم يسمع بالكلمة في أخيه فيزيد عليها ويشيعها بأعظم منها . واعلم أنه لا يتم إيمان المرء ما لم يجب لأخيه ما يجب لنفسه وأقل درجات الأخوة أن يعامل أخاه بما يجب أن يعامله به ولا شك أنه ينتظر منه ستر العورة والسكوت على المساوي والعيوب ولو ظهر له منه قبيح ما ينتظره اشتد عليه غيظه وغضبه لما أبعد إذا كان ينتظر منه ما لا يضره له ولا يزم عليه لأجله وويل له في نص كتاب الله تعالى حيث قال - ويل للطففين الذين إذا اكتالوا على الناس يستوفون وإذا كالوهم أو وزنهم يخسرون - وكل من يلتمس من الأنصاف أكثر مما تسمح به نفسه فهو داخل تحت مقتضى هذه الآية ومنشأ التقصير في ستر العورة أو السعي في كشفها الداء الدفين في الباطن وهو الحقد والحسد فإن الحقود الحسود يملأ باطنه بالحقد ولكن يحبه في باطنه ويخفيه ولا يديه مهما

(١) حديث البذاء والبيان شعبتان من التفاق الترمذي وقال حسن غريب والحاكم وقال صحيح على شرط الشيخين من حديث أبي أمامة بسند ضعيف (٢) حديث إن الله حرم من المؤمن دمه وماله وعرضه وأن يظن به ظن سوء الحاكم في التاريخ من حديث ابن عباس دون قوله وعرضه ورجاله تحت إلا أن أباطي النيسابوري قال ليس هذا عندي من كلام النبي صلى الله عليه وسلم إنما هو عندي من كلام ابن عباس وابن ماجه نحوه من حديث ابن عمر ولمسلم من حديث أبي هريرة كل للسلم على السلم حرام دمه وماله وعرضه (٣) حديث إياكم والظن فإن الظن أكذب الحديث متفق عليه من حديث أبي هريرة (٤) حديث لا تجسسوا ولا تجسسوا ولا تقاطعوا ولا تدابروا وكونوا عباد الله إخوانا ، متفق عليه من حديث أبي هريرة وهو بعض الحديث الذي قبله .

العوام ويصير أسلوب الاختيار خير متطلع إلى الأغيار ناظرا إلى فضل الله تعالى منتظرا لأمر الله ففساق إليه الأقسام ويغتنع عليه باب الانعام ويكون بدوام ملاحظته لفضل الله وترصده ما يحدث من أمر الله تعالى مكشفا له تجليات من مكشفا له تجليات من الله تعالى بطريق الأفضال والتجلى بطريق الأفضال رتبة من القرب ومنه يترقى إلى التجلى بطريق الصفات ومن ذلك يترقى إلى تجلى الذات والاعارة في هذه التجليات إلى رتب في اليقين ومقامات في التوحيد شيء فوق شيء وأصنى من شيء فالتجلى بطريق الأفضال يحدث صفو الرضا والتسليم والتجلى بطريق الصفات يكسب الهية والأنس والتجلى بالذات يكسب الفناء والبقاء وقد

لم يجد له مجالا وإذا وجد فرصة انحلت الرابطة وارتفع الحياء وترشح الباطن بحبته الدفين ومهما انطوى الباطن على حقد وحسد فالانقطاع أولى قال بعض الحكماء ظاهر الكتاب خير من مكتون الحقد ولا يزيد لطف الحقود إلا وحشة منه ومن في قلبه سخيمة على مسلم فإيمانه ضئيف وأمره مخطر وقلبه خبيث لا يصلح للقاء الله . وقد روى عبد الرحمن بن جبير بن نفير عن أبيه أنه قال كنت باليمن ولي جاري يهودي يخبرني عن التوراة يقدم على اليهودي من سفر قهلت إن الله قد بعث فينا نبيا فدعانا إلى الاسلام فأسلمنا وقد أنزل علينا كتابا مصدقا للتوراة فقال اليهودي صدقت ولكم لا تستطيعون أن تقوموا بما جاءكم به إنا نحمد نعمة ونمت أمتة في التوراة إنه لا يعمل لامرئ أن يخرج من عتبة بابه وفي قلبه سخيمة على أخيه المسلم ، ومن ذلك أن يسكت عن إفشاء سره الذي استودعه وله أن ينكره وإن كان كاذبا فليس الصدق واجبا في كل مقام فانه كما يجوز للرجل أن يخفي عيوب نفسه وأسراره وإن احتاج إلى الكذب فله أن يفعل ذلك في حق أخيه فإن أخاه نازل منزله وهما كشخص واحد لا يختلفان إلا بالبدن هذه حقيقة الأخوة وكذلك لا يكون بالعمل بين يديه مزايا وخارجا عن أعمال السر إلى أعمال العلانية فإن معرفة أخيه بعمله كعمرته بنفسه من غير فرق وقد قال عليه السلام « من ستر عورة أخيه ستره الله تعالى في الدنيا والآخرة (١) » وفي خبر آخر « فكأنما أحيا مودة (٢) » وقال عليه السلام « إذا حدث الرجل بمحدث ثم التفت فهو أمانة (٣) » وقال « المجالس بالأمانة إلا ثلاثة مجالس مجالس يسفك فيه دم حرام ومجلس يستحل فيه فرج حرام ومجلس يستحل فيه مال من غير حله (٤) » وقال ﷺ « إنما يتجالس التجالسان بالأمانة ولا يحل لأحدهما أن يفشي على صاحبه ما يكره (٥) » قيل لبعض الأدباء كيف حفظك للسر قال أناقبره وقد قيل صدور الأحرار قبور الأسرار وقيل إن قلب الأحق في فيه ولسان العاقل في قلبه أي لا يستطيع الأحق إخفاء ما في نفسه في يديه من حيث لا يدري به فمن هذا يجب مقاطعة الحق والتوقي عن محبتهم بل عن مشاهدتهم وقد قيل لآخر كيف تحفظ السر قال أجدد الخبر وأحلف للمستخبر . وقد قيل آخر أسرته وأستراني أسرته وعبرته ابن المعز قال :
ومستودعي سرا تبوات كتمه فأودعته صدرى فصار له قبرا

وقال آخر وأراد الزيادة عليه :

وما السر في صدرى كثا وبقره لأنى أرى القبور ينتظر النشرا
ولكننى أنسا حق حكاى بما كان منه لم أحط ساعة خبرا
ولو جاز كتم السر بينى وبينه عن السر والأحشاء لم تعلم السرا

(١) حديث من ستر عورة أخيه ستره الله في الدنيا والآخرة ابن ماجه من حديث ابن عباس وقال يوم القيامة ولم يقل في الدنيا ولمسلم من حديث أبي هريرة من ستر مسلما ستره الله في الدنيا والآخرة وللشيخين من حديث ابن عمر من ستر مسلما ستره الله يوم القيامة (٢) حديث فكأنما أحيا مودة من قبرها أبو داود والنسائي والحاكم من حديث عقبة بن عامر من رأى عورة فسترها كان كمن أحيا مودة زاد الحاكم من قبرها وقال صحيح الاسناد (٣) حديث إذا حدث الرجل بمحدث ثم التفت فهي أمانة أبو داود والترمذي من حديث جابر . وقال حسن (٤) حديث المجالس بالأمانة إلا ثلاثة مجالس الحديث أبو داود من حديث جابر من رواية ابن أخيه غير مصمى عنه (٥) حديث إنما يتجالس للتجالسان بالأمانة لا يحل لأحدهما أن يفشي على صاحبه ما يكره أبو بكر بن لال في مكارم الأخلاق من حديث ابن مسعود بإسناد ضعيف ورواه ابن المبارك في الزهد من رواية أبي بكر بن حزم مرسلًا والحاكم وصححه من حديث ابن عباس إنكم تجالسون بينكم بالأمانة .

يسمى ترك الاختيار والوقوف مع فعل الله فناء ينعون به فناء الارادة والهوى والارادة ألطف أقسام الهوى وهذا الفناء هو الفناء الظاهر فأما الفناء الباطن وهو محو آثار الوجود عند لمعان نور الشهود يكون في تجلى الذات وهو أكل أقسام اليقين في الدنيا فأما تجلى حكم الذات فلا يكون إلا في الآخرة وهو للقام الذي حظى به رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة المراج ومنع عنه موسى بلن تراني فليعلم أن قولنا في التجلى إشارة إلى رتب الحظ من اليقين ورؤية البصيرة فاذا وصل المبدأ إلى مبادئ أقسام التجلى وهو مطالمة الفعل الإلهى مجردا عن فعل سواء يكون تناوله الأقسام من الفتح . روى عن رسول الله صلى الله

وأثنى بعضهم سرا له إلى أخيه ثم قال له حفظت فقال بل نسيت وكان أبو سعيد الثوري يقول إذا أردت أن تواخي رجلا فأغضبه ثم دس عليه من يسأله عنك وعن أسرارك فإن قل خيرا وكنتم شرك فاهبه وقيل لأبي يزيد من تصحب من الناس قال من يعلم منك ما يعلم الله ثم يستر عليك كما يستره الله وقال ذواتون لاخير في محبة من لا يحب أن يراك إلا مصوما ومن أثنى السر عند الغضب فهو اللئيم لأن إخفاءه عند الرضا تقتضيه الطباع السليمة كلها وقد قال بعض الحكماء لا تصحب من يتغير عليك عند أربع: عند غضبه ورضاه وعند طعمه وهواه بل ينبغي أن يكون صدق الأخوة ثابتا على اختلاف هذه الأحوال لذلك قيل:

وترى الكريم إذا تصرم وصله يخفى القبيح ويظهر الاحسانا

وترى اللئيم إذا تقضى وصله يخفى الجميل ويظهر البهانا

وقال العباس لابنه عبد الله إني أرى هذا الرجل يعني عمر رضى الله عنه يقدمك على الأشياخ فاحفظ عني خما لا تفشين له سرا ولا تقتابن عنده أحدا ولا تجرين عليه كذبا ولا تعصين له أمرا ولا يطلعن منك على خيانة فقال الشعبي كل كلمة من هذه الخمس خير من ألف ومن ذلك السكوت عن المارة والدافعة في كل ما يتكلم به أخوك قال ابن عباس لا تمار سفيها فيؤذيك ولا حليما فيقلبك وقد قال صلى الله عليه وسلم «من ترك المراء وهو مبطل بنى له بيت في ربيع الجنة ومن ترك المراء وهو محق بنى له بيت في أعلى الجنة (١)» هذا مع أن تركه مبطلا واجب وقد جعل ثواب النفل أعظم لأن السكوت عن الحق أشد على النفس من السكوت على الباطل وإنما الأجر على قدر النصب وأشد الأسباب لإثارة نار الحقد بين الإخوان المارة والمنافسة قاتنها عين التدار والتقاطع فإن التقاطع يقع أولا بالآراء ثم بالأقوال ثم بالأبدان وقال عليه السلام «لا تدابروا ولا تباغضوا ولا تحاسدوا ولا تقاطعوا وكونوا عباد الله إخوانا المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يجرمه ولا يخدله بحسب المراء من أشر أن يحقر أخاه المسلم (٢)» وأشد الاحتقار المارة فإن من رد على غيره كلامه فقد نسبته إلى الجهل والحقق أو إلى الغفلة والسهو عن فهم الشيء على ما هو عليه وكل ذلك استحقاق وإيقار للصدر وإيحاش وفي حديث أبي أمامة الباهلي قال «خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحن نتبارى فنضب وقال: ذروا المراء قلقة خيرة وذروا المراء فإن نفعه قليل وإنه يهيج العداوة بين الإخوان (٣)» وقال بعض السلف من لاحى الإخوان وما رام قلت مروءته وذهبت كرامته وقال عبد الله بن الحسن إياك ومماراة الرجال فإنك لن تعدم مكر حليم أو مفاجأة لئيم وقال بعض السلف أعجز الناس من قصر في طلب الإخوان وأعجز منه من ضيع من ظفر به منهم وكثرة المارة توجب التضيق والقطيعة وتورث العداوة وقد قال الحسن لا تشتر عداوة رجل بمودة ألف رجل وعلى الجملة فلا باع على المارة إلا إظهار التمييز بمزيد العقل والفضل واحتقار المردود عليه بإظهار جهله وهذا يشتمل على التكبر والاحتقار والأيذاء والشتم بالحق والجهل ولا معنى للمعادة إلا هذا فكيف تضامنه الأخوة والمصافاة فقد روى ابن عباس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم

(١) حديث من ترك المراء وهو مبطل بنى له بيت في ربيع الجنة الحديث تقدم في العلم (٢) حديث لا تدابروا ولا تباغضوا ولا تحاسدوا وكونوا عباد الله إخوانا المسلم أخو المسلم الحديث مسلم من حديث أبي هريرة وأوله متفق عليه من حديثه وحديث أنس وقد تقدم بعضه قبل هذا بسبعة أحاديث (٣) حديث أبي أمامة خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحن نتبارى فنضب وقال ذروا المراء قلقة خيرة فإن نفعه قليل فإنه يهيج العداوة بين الإخوان الطبراني في الكبير من حديث أبي أمامة وأبي الدرداء واثلة وأنس دون ما بعد قوله قلقة خيرة ومن هنا إلى آخر الحديث رواه أبو منصور والديلمي في مسند الفردوس من حديث أبي أمامة فقط وإسنادهما ضعيف .

عليه وسلم أنه قال ومن وجه إليه شيء من هذا الرزق من غير مسئلة ولا إشراف فليأخذه وليوسع به في رزقه فإن كان عنده غنى فليدفعه إلى من هو أحوج منه وفي هذا دلالة ظاهرة على أن العبد يجوز أن يأخذ زيادة على حاجته بنية صرفه إلى غيره وكيف لا يأخذ وهو يرى فعل الله تعالى ثم إذا أخذ ففهم من يخرججه إلى المحتاج ومنهم من يقف في الإخراج أيضا حتى يرد عليه من الله علم خاص ليكون أخذه بالحق وإخراجه بالحق أخبرنا الشيخ أبو زرعة طاهر قال أنا والدي الحافظ أبو الفضل المقدسي قال أنا أبو اسحاق إبراهيم بن سعيد الحبال قال أنا محمد بن عبد الرحمن ابن سعيد قال أنا أبو طاهر أحمد بن محمد

أنه قال لا تمار أخاك ولا تمارحه ولا تتمد موعدا فتخلفه ^(١) وقد قال عليه السلام «إنكم لا تسمعون الناس بأموالكم ولكن ليسمعهم منكم بسط وجه وحسن خلق ^(٢)» والمارة مضادة لحسن الخلق وقد انتهى السلف في الحذر عن المارة والحنى على الساعدة إلى حد لم يروا السؤال أصلا وقالوا إذا قلت لأخيك قم قال إلى أين فلا تصعبه بل قالوا ينبغي أن يقوم ولا يسأل وقال أبو سليمان الداراني كان لي أخ بالعراق فكنت أجيئه في النواصب فأقول أعطني من مالك شيئا فكان يلقي إلي كيس فأخذ منه ما أريد فجئت ذات يوم فقلت أحتاج إلى شيء فقال كم تريد فخرجت حلاوة إخائه من قلبي وقال آخر إذا طلبت من أخيك مالا فقال ماذا تصنع به فقد ترك حق الإخاء . واعلم أن قوام الأخوة بالمواقة في الكلام والفعل والشفقة قال أبو عثمان الخيري مواقة الإخوان خير من الشفقة عليهم وهو كما قال .

(الحق الرابع على اللسان بالنطق)

فإن الأخوة كما تقتضي السكوت عن الكاره تقتضي أيضا النطق بالحباب بل هو أخس بالأخوة لأن من قنع بالسكوت محب أهل القبور وإنما تراد الإخوان ليستفاد منهم لا ليتخلص عن أذام والسكوت معناه كف الأذى فضليه أن يتودد إليه بلسانه ويتفقد في أحواله التي يحب أن يتفقد فيها كالسؤال عن عارض إن عرض وإظهار شغل القلب بسببه واستبطاء العافية عنه وكذا جملة أحواله التي يكرهها ينبغي أن يظهر بلسانه وأفعاله كراهتها وجملة أحواله التي يسرها ينبغي أن يظهر بلسانه مشاركته له في السرور بها فمعنى الأخوة للسامية في السراء والضراء وقد قال عليه السلام «إذا أحب أحدكم أخاه فليخبره ^(٣)» وإنما أمر بالأخبار لأن ذلك يوجب زيادة حب فإن عرف أنك تحبه أحبك بالطبع لا محالة فإذا عرفت أنه أيضا يحبك زاد حبك لا محالة فلا يزال الحب يتزايد من الجانبين ويتضاعف والتحاب بين المؤمنين مطلوب في الشرع ومحبوب في الدين ولذلك علم في الطريق قتاله «تهادوا تحابوا ^(٤)» ومن ذلك أن تدعوه بأحب أسمائه إليه في غيبته وحضوره قال عمر رضي الله عنه ثلاث يصفين لكود أخيك أن تسلم عليه إذا لقيت أولًا وتوسع له في المجلس وتدعوه بأحب أسمائه إليه ومن ذلك أن تثنى عليه بما تعرف من محاسن أحواله عند من يؤثر هو الثناء عنده فإن ذلك من أعظم الأسباب في جلب المحبة وكذلك الثناء على أولاده وأهله وصنته وفعله حتى على عقله وخلقه وهيئته وخطه وشعره وتصنيفه وجميع ما يفرح به وذلك من غير كذب وإفراط ولكن تحسین ما يقبل التحسين لا بلمنه وآ كمن ذلك أن تبلغه ثناء من أثنى عليه مع إظهار الفرح فإن إخفاء ذلك يحض الحسد ومن ذلك أن تشكره على صنيعه في حقك بل على نيته وإن لم يتم ذلك قال على رضي الله عنه من لم يحمدا أخاه على حسن النية لم يحمده على حسن الصنعة وأعظم من ذلك تأثيرا في جلب المحبة اللدب عنه في غيبته مهما قصد بسوء أو تعرض لمرضه بكلام صريح أو تعرض لخلق الأخوة التشمير في الحماة والنصرة وتبكيك المصنعة وتقليظ القول عليه

ابن عمرو قال أنابونس ابن عبد الأعلى قال حدثنا ابن وهب قال ثنا عمرو بن الحارث عن ابن شهاب عن السائب بن يزيد عن حبيب بن عبد العزى عن عبيد الله السعدي عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعطيني المطاء فأقول له أعطه يا رسول الله من هو أقدر مني فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم «خذه فتموله أو تصدق به وما جاءك من هذا المال وأنت غير متشرف ولا سائل خذه وما لا فلا تتبعه نفسك» قال سالم فمن أجل ذلك كان ابن عمر لا يسأل أحدا شيئا ولا يرد شيئا أعطيه بدرج رسول الله صلى الله عليه وسلم الأصحاب بأوامره إلى رؤية فعل الله تعالى والخروج

(١) حديث ابن عباس لا تمار أخاك ولا تمارحه ولا تتمد موعدا فتخلفه الترمذي وقال غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه يعني من حديث ليث بن أبي سليم وضعفه الجمهور (٢) حديث إنكم لا تسمعون الناس بأموالكم ولكن ليسمعهم منكم بسط الوجه وحسن الخلق أبو يعنى اللوصلى والطبراني في معارج الأخلاق وابن عدى في الكامل وضعفه والحاكم ومصححه والبيهقي في الشعب من حديث أبي هريرة (٣) حديث إذا أحب أحدكم أخاه فليخبره أبو داود والترمذي وقال حسن صحيح والحاكم من حديث للقدم بن معدى كرب (٤) حديث تهادوا تحابوا البيهقي من حديث أبي هريرة وقد تقدم غير مرة .

والسكوت عن ذلك موغر للصدر ومنفر للقلب وتقصير في حق الأخوة وإنما شبه رسول الله صلى الله عليه وسلم الأخوين باليدين تفضل إحداها الأخرى لينصر أحدهما الآخر وينوب عنه^(١) وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يغذله ولا يشله»^(٢) وهذا من الاتسلام والخذلان فإن إهماله لتزيق عرضه كإهماله لتزيق لحمه فأخس باخ يراك والكلاب تفتسك وتمزق لحومك وهو ساكت لا تحركه الشفقة والحمية للدفع عنك وتمزق الأعراض أشد على النفوس من تمزق اللحوم ولذلك شبه الله تعالى بأكل لحوم الميتة فقال - أحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتا - ولذلك الذي يمثل في المنام ما تطالعه الروح من اللوح المحذوظ بالأمثلة المحسوسة يمثل الغيبة بأكل لحوم الميتة حتى إن من يرى أنه يأكل لحم ميتة فإنه يفتاب الناس لأن ذلك الملك في تمثله يراعي المشاركة والمناسبة بين الشيء وبين مثاله للشيء الذي يجري من المثال مجرى الروح لا في ظاهر الصور فاذن حماية الأخوة بدفع ذم الأعداء وتعت للعتين واجب في عقد الأخوة وقد قال مجاهد لا تذكر أخاك في غيبته إلا كما تحب أن يذكرك في غيبتك فاذن لك فيه معياران أحدهما أن تقدر أن الذي قيل فيه لوقيل فيك وكان أخوك حاضرا ما الذي كنت تحب أن يوله أخوك فيك فينبغي أن تعامل التعرض لعرضه به والثاني أن تقدر أنه حاضر من وراء جدار يسمع قولك ويظن أنك لا تعرف حضوره لما كان يتحرك في قلبك من النمرة له يسمع منه وهرأى فينبغي أن يكون في منفيه كذلك فقد قال بعضهم ما ذكر أخى في غيب إلا تصورته جالسا فقلت فيه ما يحب أن يسمعه لو حضر وقال آخر ما ذكر أخى إلا تصورت نفسي في صورته فقلت فيه مثل ما أحب أن يقال في وهذا من صدق الاسلام وهو أن لا يرى لأخيه إلا ما يراه لنفسه وقد نظر أبو الدرداء إلى ثورين يحترقان في فدان فوق أحدهما يحك جسمه فوق الآخر فبكى وقال هكذا الاخوان في الله يملآن الله فإذا وقف أحدهما واقفه الآخر وبالمواقفة يتم الاخلاص ومن لم يكن محاضا في إخائه فهو منافق والاخلاص استواء الغيب والشهادة واللسان والقلب والسر والعلانية والجماعة والخلو والاختلاف والتفاوت في شيء من ذلك محاذقة في لاوذة وهو دخل في الدين ووليعة في طريق المؤمنين ومن لا يقدر من نفسه على هذا فلا تقطع والعزلة أولى به من الواخاة والمصاحبة فان حق الصعبة ثقيل لا يطيقه إلا محقق فلا جرم أجره جزيل لا يناله إلا موفق ولذلك قال عليه السلام «أباهر أحسن مجاورة من جاورك تكن مسلما وأحسن مصاحبة من صاحبك تكن مؤمنا»^(٣) فانظر كيف جعل الإيمان جزاء الصعبة والاسلام جزاء الجوار فالفرق بين فضل الإيمان وفضل الاسلام على حد الفرق بين الشقة في القيام بحق الجوار والقيام بحق الصعبة فان الصعبة تقتضي حقوقا كثيرة في أحوال متقاربة مترادفة على الدوام والجوار لا يقتضي إلا حقوقا قريبة في أوقات متباعدة لاندوم ومن ذلك التعليم والنصيحة فليس حاجة أخيك إلى العلم بأقل من حاجته إلى المال فان كنت غنيا بالعلم فعليك مواساته من فضلك وإرشاده إلى كل ما ينفعه في الدين والدنيا فان علمته وأرشدته ولم يعمل بمقتضى العلم فعليك النصيحة وذلك بأن تذكر آفات ذلك الفعل وفوائده تركه وتخوفه بما يكرهه في الدنيا والآخرة لينزجر عنه وتنبيهه على عيوبه وتبجح القبيح في عينه وتحسن الحسن ولكن ينبغي أن يكون ذلك في سر لا يطلع

(٢) حديث تشبيه الأخوين باليدين تقدم في الباب قبله (٢) حديث المسلم أخو المسلم تقدم في أثناء حديث قبله بسبعة أحاديث (٣) حديث أحسن مجاورة من جاورك تكن مسلما وأحسن مصاحبة من صاحبك تكن مؤمنا الترمذي وابن ماجه واللفظ له من حديث أبي هريرة بالشرط الأول فقط وقال الترمذي مؤمنا قال وأحب للناس ما تحب لنفسك تكن مسلما وقال ابن ماجه مؤمنا قال الدارقطني والحديث ثابت ورواه القضاعي في مسند الشهاب بلفظ المصنف .

من تدبير النفس إلى حسن تدبير الله تعالى .
سئل سهل بن عبد الله التستري عن علم الحال قال هو ترك التدبير ولو كان هذا في واحد لكان من أوتاد الأرض . وروى زيد ابن خالد قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من جاءه معروف من أخيه من غير مسألة ولا إشراف نفس فليقبله فاعلم هو شيء من رزق الله تعالى ساقه الله إليه »
وهذا الصمد الواقف مع الله تعالى في قبول ما ساق الحق آمن ما غشى عليه إنما يغشى على من برد لأن من رد لا يأمن من دخول النفس عليه أن يرى بين الزهد في أخذه إسقاط نظر الخلق تحققا بالصدق والاخلاص وفي إخراجة إلى الغير إثبات حقيقته فلا يزال في كلا الحالين زاهدا

عليه أحد فما كان على اللائق فهو توبيخ وفضيحة وما كان في السر فهو شفاعة ونصيحة إذ قال صلى الله عليه وسلم « المؤمن مرآة المؤمن » (١) أي يرى منه مالا يرى من نفسه فيستفيد للزم بأخيه معرفة عيوب نفسه ولو انفرد لم يستفد كما يستفيد بالمرآة الوقوف على عيوب صورته الظاهرة وقال الشافعي رضي الله عنه من وعظ أخاه سرا فقد نصحه وزانه ومن وعظه علانية فقد فضحه وشانه وقيل لمعسر أحب من يغربك ببوبك فقال إن نصحتني فيما يبني وبينه فعم وإن قرأتني بين اللأ فلا وقد صدق فإن النصيح على اللائق فضيحة والله تعالى يعاتب المؤمن يوم القيامة تحت كنفه في ظل ستره فيوقفه على ذنوبه سرا وقد يدفع كتاب عمله محتوما إلى اللائكة الذين يحفون به إلى الجنة فإذا قاربوا باب الجنة أعطوه الكتاب محتوما ليقراه وأما أهل المقت فينادون على ردوس الأَشهاد وتستنطق جوارحهم بفضائحهم فيزدادون بذلك خزيا واقتضاحا ونمود بالله من الخزي يوم العرض الأكبر فالفرق بين التوبيخ والنصيحة بالأسرار والاعلان كما أن الفرق بين الداراة والمداينة بالفرض الباعث على الاغضاء فان أغضيت لسلامة دينك ولما ترى من إصلاح أخيك بالاغضاء فأنت مدار وإن أغضيت لحظ نفسك واجتلاب شهواتك وسلامة جاهك فأنت مداين وقال ذوالنون لا تصحب مع الله إلا بالمواقفة ولا مع الخلق إلا بالمناجحة ولا مع النفس إلا بالمخالفة ولا مع الشيطان إلا بالعداوة.. فان قلت فإذا كان في النصيح ذكر العيوب فيه يحاش القلب فكيف يكون ذلك من حق الأخوة فاعلم أن الإحاش إنما يحصل بذكر عيب يعلمه أخوك من نفسه فأما تنبيهه على ماله يعلمه فهو عين الشفقة وهو استئالة القلوب أعني قلوب العقلاء وأما الحق فلا يلتفت إليهم فان من ينهك على فعل مذموم تعاطيته أو صفة مذمومة اتصف بها تركي نفسك عنها كان كمن ينهك على حية أو عقرب تحت ذيلك وقد همت بإهلاكك فان كنت تكره ذلك لما أشد حمقك والصفات الذميمة عقارب وحيات وهي في الآخرة مهلكات فانها تلدغ القلوب والأرواح وألها أشد عما يلدغ الظواهر والأجساد وهي مخلوقة من نار الله الموقدة ولذلك كان عمر رضي الله عنه يستهدي ذلك من إخوانه ويقول رحم الله امرأ أهدى إلى أخيه عيوبه ولذلك قال عمر لسلطان وقد قدم عليه ما لقي بلغك عني مما تكره فاستعني فألح عليه فقال بلغني أن لك حلتين تلبس إحداها بالتهار والأخرى بالليل وبلغني أنك تجمع بين إدامين على مائدة واحدة فقال عمر رضي الله عنه أما هذان قد كفيتهما فهل بلغك غيرها فقال لا وكتب حذيفة الرعشي إلى يوسف بن أسباط بلغني أنك بعث دينك عبتين وقت على صاحب لبن قتلت بك هذا فقال بسدس قتلت له لا بشمن فقال هو لك وكان يعرفك اكشف عن رأسك قناع الغافلين واتقه عن ردة اللوني واعلم أن من قرأ القرآن ولم يستغن وآثر الدنيا لم آمن أن يكون بآيات الله من المستهزئين وقد وصف الله تعالى الكاذبين يفضهم للناسحين إذ قال - ولكن لا تحبون الناسحين - وهذا في عيب هو غافل عنه فأما ما علمت أنه يعلم من نفسه فأنما هو مقهور عليه من طبعه فلا ينبغي أن يكشف فيه ستره إن كان يخفيه وإن كان يظهره فلا بد من التلطف في النصيح بالتعريض مرة وبالتصريح أخرى إلى حد لا يؤدي إلى الإحاش فان علمت أن النصيح غير مؤثر فيه وأنه مضطر من طبعه إلى الاصرار عليه فالكسوت عنه أولى وهذا كله فيما يتعلق بمصالح أخيك في دينه أو دنياه أما ما يتعلق بتقصيره في حقه فالواجب فيه الاحتمال والعفو والصفح والتعاضد عنه والتعرض لذلك ليس من النصيح في شيء، نعم إن كان بحيث يؤدي استمراره عليه إلى القطيعة فالعتاب في السر خير من القطيعة والتعريض به خير من التصريح والسكينة خير من الشافهة والاحتمال خير من الكل إذ ينبغي أن يكون قصدك من أخيك إصلاح نفسك بمراعاتك إياه وقيامك بحقه واحتمالك تقصيره لا الاستعانة به

براه الغير بعين الرغبة لقلة العلم بحاله وفي هذا المقام يتحقق الزهد في الزهد ومن أهل الفتوح من يعلم دخول الفتوح عليه ومنهم من لا يعلم دخول الفتوح عليه فمنهم من لا يتناول من الفتوح إلا إذا تقدمه علم بتعريف من الله إياه ومنهم من يأخذ غير متطلع إلى تقدم العلم حيث تجرد له الفعل ومن لا ينتظر تقدم العلم فوق من ينتظر تقدم العلم لتتمام محبته مع الله وانسلاخه من إرادته وعلم حاله في ترك الاختيار ومنهم من يدخل الفتوح عليه لا بتقدم العلم ولا رؤية تجرد الفعل من الله ولكن يرق شربا من المحبة بطريق رؤية النعمة وقد يتكبر شرب هذا بتغير معهود النعمة وهذا حال

(١) حديث المؤمن مرآة المؤمن أبو داود من حديث أبي هريرة بإسناد حسن.

والاسترقاق منه قال أبو بكر السكتاني صحبني رجل وكان على قلبي ثقيلاً فوهبت له يوماً شيئاً طي أن يزول ما في قلبي فلم يزل فأخذت يده يوماً إلى البيت وقتلت له ضع رجلك على خدي فأبى فقلت لا بد ففعل فزال ذلك من قلبي ، وقال أبو هاشم الرباطي صحبت عبد الله الرازي وكان يدخل البادية فقال لي أن تكون أنت الأمير أو أنا فقلت بل أنت فقال وعليك الطاعة فقلت نعم فأخذ عجلة ووضع فيها الزاد وحملها على ظهره فإذا قلت له أعطني قال ألسنت قلت أنت الأمير فليك الطاعة فأخذنا المطر ليلة فوقف على رأسي إلى الصباح وعليه كساء وأنا جالس يمنع عني المطر فكنت أقول مع نفسي ليتني مت ولم أكل أنت الأمير .

(الحق الخامس النفوس عن الزلات والمفوات)

وهفوة الصديق لا تغلو إما أن تكون في دينه بارتكاب معصية أو في حقه بتقصيره في الاخوة أما ما يكون في الدين من ارتكاب معصية والإصرار عليها فليكن التلطف في نصحه بما يقوم أوده ويجمع شمله ويبعد إلى الصلاح والورع حاله فإن لم تقدر وبقي مصراً فقد اختلفت طرق الصحابة والتابعين في إدامة حق مودته أو مقاطعته فذهب أبو ذر رضي الله عنه إلى الاتقطاع وهل إذا قلب أخوك عما كان عليه فأبغضه من حيث أحببته ورأى ذلك من مقتضى الحب في الله والبغض في الله وأما أبو الدرداء وجماعة من الصحابة فذهبوا إلى خلافه فقال أبو الدرداء إذا تغير أخوك وحال عما كان عليه فلا تدعه لأجل ذلك فإن أخاك يوج مرة ويستقيم أخرى ، وقال إبراهيم النخعي لا تقطع أخاك ولا تهجره عند الذنب بذنبه فإنه يرتكبه اليوم ويتركه غدا ، وقال أيضاً لا تحذنوا الناس بزلّة العالم فإن الزلّة ثم يتركها وفي الخبر « اتقوا زلة العالم ولا تقطعوه وانتظروا فيته (١) » وفي حديث عمر وقد سأل عن أخ كان آخاه فخرج إلى الشام فسأل عنه بعض من قدم عليه وقال ما فعل أخى قال ذلك أخو الشيطان قال له قال إنه قارف الكبائر حتى وقع في الحرق قال إذا أردت الخروج فأذن فكتب عند خروجه إليه بسم الله الرحمن الرحيم - حم تنزيل الكتاب من الله العزيز العليم غافر الذنب وقابل التوب شديد العقاب - الآية ثم عاتبه تحت ذلك وعذله فلما قرأ الكتاب بكى وقال صدق الله ونصح لي عمر فتاب ورجع . وحكى أن أخوين ابتلى أحدهما بهوى فأظهر عليه آخاه وقال إني قد اعتلت فان شئت أن لاتعقد على صحبتي لله فافعل فقال ما كنت لأحل عقد أخوتك لأجل خطيئتك أبداً ثم عقد أخوه بينه وبين الله أن لا يأتى كل ولا يشرب حتى يعافى الله آخاه من هواه فطوى أربعين يوماً في كلها يسأله عن هواه فكان يقول القلب مقيم على حاله وما زال هو يتحلل من الغم والجوع حتى زال الهوى عن قلب أخيه بعد الأربعين فأخبره بذلك فأكل وشرب بعد أن كاد يثلف هزالاً وضراً . وكذلك حكى عن أخوين من السلف اقلب أحدهما عن الاستقامة فقبل لأخيه ألا تقطعه وتهجره فقال أحوج ما كان إلى في هذا الوقت لما وقع في عثرته أن يأخذ يده وأتلف له في العاتية وأدعوله بالعود إلى ما كان عليه . وروى في الاسرائيليات أن أخوين عابدين كانا في جبل نزل أحدهما ليشتري من الصر لحماً بدرهم فرأى نبياً عند اللحام فرمقها وعشقها واحتجبها إلى خلوة وواقها ثم أقام عندها ثلاثاً واستحيا أن يرجع إلى أخيه حياء من جنابته قال فافقده أخوه واهتم بشأنه فمزل إلى المدينة فلم يزل يسأل عنه حتى دلّ عليه فدخل إليه وهو جالس معها فاعتقه وجعل يقبله ويلتزمه وأنكر الآخر أنه يعرفه قط لفرط استحياائه منه فقال قم يا أخى قد عدلت شأنك

(١) حديث اتقوا زلة العالم ولا تقطعوه وانتظروا فيته البغوى في المعجم وابن عدى في الكامل من حديث عمرو بن عوف المزني وضعفاء .

ضعيف بالإضافة إلى
الحالين الأولين لأنه
علة في المحبة ووليبة
في الصدق عند
الصديقين وقد ينتظر
صاحب الفتوح العلم
في الإخراج أيضاً كما
ينتظر في الأخذ لأن
النفس تظهر في
الإخراج كما تظهر في
الأخذ وأنهم من هذا
من يكون في إخراج
عقار أو في أخذه عقاراً
بعد تحققة بصحة
التصرف فان انتظار
العلم إنما كان لموضع
اتهام النفس وهويقية
هوى موجود فاذا زال
الاتهام بوجود صريح
العلم يأخذ غير محتاج
إلى علم متجدد ويخرج
كذلك وهن محال من
تحقق بقول رسول الله
صلى الله عليه وسلم حاكياً
عن ربه « فإذا أحببته
كنت له سمياً وبصراً
ففي يسمع وبصروني
ينطق » الحديث فلما
صح تعرفه صح تصرفه
وهذا أعز في الأحوال

وفستك وما كنت قط أحب إلى ولا أعز من ساعتك هذه فلما رأى أن ذلك لم يسقطه من عينه قام فانصرف معه فهذه طريقة قوم وهي اللفظ وأفعه من طريقة أبي ذر رضى الله عنه وطريقته أحسن وأسلم . فإن قلت ولم قلت هذا اللفظ وأفعه ومقارفة هذه العصية لا تجوز مؤاخاته ابتداء فجب مقاطته انتهاء لأن الحكم إذا ثبت بطلان القياس أن يزول بزوال ما وعلة عقد الأخوة التعاون في الدين ولا يستمر ذلك مع مقارفة العصية . فأقول أما كونه اللفظ فلما فيه من الرفق والاستمالة والتعطف للنفوس إلى الرجوع والتوبة لاستمرار الحياء عند دوام الصبغة ومهما قوطع واطقطع طمعه عن الصبغة أصر واستمر وأما كونه أفعه فمن حيث إن الأخوة عقد ينزل منزلة القرابة فإذا انقضت تأكد الحق ووجب الوفاء بموجب العقد ومن الوفاء به أن لا يهمل أيام حاجته وقهره وقهر الدين أشد من قهر المال وقد أصابته جائحة وألمت به آفة افتقر بسببها في دينه فينبغي أن يراقب ويراعي ولا يهمل بل لا يزال يتلطف به ليعان على الخلاص من تلك الواقعة التي ألمت به فالأخوة عدة للنائبات وحوادث الزمان وهذا من أشد التائب والفاجر إذا صاحب تقياً وهو ينظر إلى خوفه ومدامته فيسرع على قرب ويستحي من الإصرار بل الكسلان يصحب الحارس في العمل فيحرص حياء منه . قال جعفر بن سليمان مهما قررت في العمل نظرت إلى محمد بن واسع وإقباله على الطاعة فيرجع إلى نشاطي في العبادة وفارقني الكسل وعملت عليه أسبوعاً وهذا التحقيق وهو أن الصداقة لجة كل حمة النسب والقريب لا يجوز أن يهجر بالمصيبة وكذلك قال الله تعالى لئن لم يكن الله عليه وسلم في عشرينه - فإن عسوك قتل إنى يرى مما تعملون - ولم يقل إنى يرى منكم مراعاة لحق القرابة ولجة النسب وإلى هذا أشار أبو الدرداء لما قيل له ألا تنفض أخاك وقد فعل كذا فقال إنما أبغض عمله وإلا فهو أخى وأخوة الدين أو كد من أخوة القرابة ولذلك قيل للحكيم أيما أحب إليك أخوك أو صديقك فقال إنما أحب أخى إذا كان صديقاً وكان الحسن يقول كم من أخ لم تله أملك ولذلك قيل القرابة تحتاج إلى مودة والودة تحتاج إلى قرابة وقال جعفر الصادق رضى الله عنه مودة يوم صلة ومودة شهر قرابة ومودة سنة رحم مائة من قطعها قطعها الله فإذا نزل الوفاء بمقد الأخوة إذا سبق انقضاءها واجب وهذا جوابنا عن ابتداء اللؤاخاة مع الناسق فإنه لم يتقدم له حق فإن تقدمت له قرابة فلا جرم لا ينبغي أن يقطع بل يجامل والدليل عليه أن ترك اللؤاخاة والصبغة ابتداء ليس مذموماً ولا مكروهاً بل قال قائلون الانفراد أولى فأما قطع الأخوة عن دوامها فمنى عنه ومذموم في نفسه ونسبته إلى تركها ابتداء كنسبة الطلاق إلى ترك النكاح والطلاق أبغض إلى الله تعالى من ترك النكاح قال صلى الله عليه وسلم « شرار عباد الله المشاءون بالنجاسة المرقون بين الأحبة » (١) وقال بعض السلف في ستر زلات الاخوان ود الشيطان أن يلقى على أخيك مثل هذا حتى تهجره وتقطعوه فإذا اتقيتم من عجة عدوكم وهذا لأن التفريق بين الأحباب من محاب الشيطان كما أن مقارفة الصبيان من محابه فإذا حصل للشيطان أحد غرضيه فلا ينبغي أن يضاف إليه الثانى وإلى هذا أشار عليه السلام في الذى شتم الرجل الذى أتى فاحشة إذ قال له وزيره وقال « لا تكونوا أعواناً للشيطان على أخيك » (٢) فهذا كله يتبين الفرق بين الدوام والابتداء لأن مخالطة الناسق محذورة ومقارفة الأحباب والاخوان أيضاً محذورة وليس من سلم عن معارضة غيره كالدلى لم يسلم وفى الابتداء قد سلم فرائنا أن المهاجرة والتباعد هو الأولى وفى الدوام تمارساً فكان الوفاء بحق الأخوة أولى هذا كله فى زلة فى دينه أما زلته فى حقه بما يوجب إيمانه فلا خلاف فى أن الأولى العفو والاحتفال بل كل ما يحتمل تنزيهه على وجه حسن ويتصور تعهيد

من الكبريت الأحمر وكان شيخنا ضياء الدين أبو النجيب السهروردى رحمه الله يحكى عن الشيخ حماد الهباس أنه كان يقول أنا لا آكل إلا من طعام الفضل فكان يرى الشخص فى المنام أن يعمل إليه شيئاً وقد كان بين لرائى فى المنام أن أحمل إلى حماد كذا وكذا وقيل إنه بقى زماناً يرى هو فى واقته أو منامه إنك أحلت على فلان بكذا وكذا وحكى عنه أنه كان يقول كل جسم تربى بطعام الفضل لا يخلص عليه البلاء ومعنى بطعام الفضل ما شهد له صحة الحال من فتوح الحق ومن كانت هذه حاله فهو غنى بالله . قال الواسطى الافتقار إلى الله أعلى درجة للريدين والاستغناء بالله أعلى درجة الصديقين وقال أبو سعيد الخراز

(١) حديث شرار عباد الله المشاءون بالنجاسة المرقون بين الأحبة أحمد من حديث أسماء بنت يزيد بسند ضعيف
(٢) حديث لا تكونوا أعواناً للشيطان على أخيك . البخارى من حديث أبي هريرة . وتقدم فى الباب قبله .

عذر فيه قريب أو بعيد فهو واجب بحق الأخوة فقد قيل ينبغي أن تستبسط لزلة أخيك سبعين عذرا فان لم يقبله قلبك فرد اللوم على نفسك فتقول لقلبك ما أقساك يعتذر إليك أخوك سبعين عذرا فلا تقبله فأنت العيب لا أخوك فان ظهر بحيث لم يقبل التحسين فينبغي أن لا تغضب إن قدرت ولكن ذلك لا يمكن وقد قال الشافعي رحمه الله من استغضب فلم يغضب فهو حمار ومن استرضى فلم يرض فهو شيطان فلا تكن حمارا ولا شيطانا واسترض قلبك بنفسك نيابة عن أخيك واحترز أن تكون شيطانا إن لم تقبل قال الأخف حق الصديق أن تختمل منه ثلاثا ظلم الغضب وظلم العدالة وظلم الهفوة وقال آخر ما شئت أحدا قط لأنه إن شئتني كريم فأنا أحق من غفرها له أو لئيم فلا أجعل عرضي له غرضا ثم نزل وقال :

وأغفر عوراء الكريم ادخاره وأعرض عن شتم اللئيم تكرما

وقد قيل : خذ من خليلك ماصفا ودع القبي فيه الصكر

فالممر أقصر من معا تبة الخليل على الغير

ومهما اعتذر إليك أخوك كاذبا كان أو صادقا فاقبل عذره قال عليه السلام « من اعتذر إلي أخوه فلم يقبل عذره فعليه مثل إثم صاحب الكس^(١) » وقال عليه السلام « المؤمن سريع الغضب سريع الرضا^(٢) » فلم يصفه بأنه لا يغضب وكذلك قال الله تعالى - والكافرين الغيظ - ولم يقل والغافدين الغيظ وهذا لأن العادة لا تنتهي إلى أن يخرج الإنسان فلا يتألم بل تنتهي إلى أن يصبر عليه ويحتمل وكما أن التألم بالجرح مقتضى طبع البدن فالتألم بأسباب الغضب طبع القلب ولا يمكن قلمه ولكن يمكن ضبطه وكظمه والعمل بخلاف مقتضاه فانه يقتضي التشنج والاستقام والكفافة وترك العمل بمقتضاه ممكن وقد قال الشاعر :

ولست بمسئق أخا لائمه على شتم أي الرجال المهذب

قال أبو سليمان الداراني لأحمد بن أبي الخوارى إذا واخيت أحدا في هذا الزمان فلا تعاتبه على ما تكرهه فانك لا تأمن من أن ترى في جوابك ما هو شر من الأول قال فخر بنه فوجدته كذلك وقال بعضهم الصبر على مضر الأخ خير من معاتبته والمعاتبه خير من القطيعة والقطيعة خير من الوقعة وينبغي أن لا يبالغ في البغضة عند الوقعة قال تعالى - عسى الله أن يجعل بينكم وبين الذين عاديتم منهم مودة - وقال عليه السلام « أحب حبيبك هونا ما عسى أن يكون بغضك يوما ما وابغض بغضك هونا ما عسى أن يكون حبيبك يوما ما^(٣) » وقال عمر رضي الله عنه لا يكن حبك كلفا ولا بغضك تلفا وهو أن تحب تلف صاحبك مع هلاكك .

(الحق السادس)

(الدعاء للأخ في حياته وبعد مماته بكل ما يحبه نفسه ولأهله وكل متعلق به فتدعوه كما تدعوا لنفسك)

(١) حديث من اعتذر إليه أخوه فلم يقبل عذره فعليه مثل صاحب مكس ابن ماجه وأبو داود في للرايسل من حديث جودان واختلف في محبته وجهله أبو حاتم وباقي رجاله ثقات ورواه الطبراني في الأوسط من حديث جابر بسند ضعيف (٢) حديث المؤمن سريع الغضب سريع الرضا لم أجده هكذا ولترمذى وحسنه من حديث أبي سعيد الخدرى ألا إن بني آدم خلقوا على طبقات شق الحديث وفيه ومنهم سريع الغضب سريع النفي فذلك بتلك (٣) حديث أحب حبيبك هونا ما عسى أن يكون بغضك يوما ما الحديث الترمذى من حديث أبي هريرة وقال غريب قلت رجاله ثقات رجال مسلم لكن الراوى تردد في رفته .

العارف تديره في
في تدبير الحق فالواقف
مع الفتوح واقف مع
الله ناظر إلى الله
وأحسن ما حكى في هذا
أن بعضهم رأى
النورى يمد يده
ويسأل الناس قال
فاستظمت ذلك منه
واستجبته له فأنتيت
الجنيـد وأخبرته
فقال لي لا يعظم هذا
عليك فان النورى لم
يسأل الناس إلا لعظيم
سؤلهم في الآخرة
فيؤجرون من حيث
لا يضره وقول الجنيـد
للعظيم كقول بعضهم
اليـد العليا يد الآخذ
لأنه يعطى الثواب قال
ثم قال الجنيـد هات
الميزان فوزن مائة درهم
ثم قبض قبضة فألقاها
على المائة ثم قال احملها
إليه قلت في نفسي إنما
يزن لي عرف مقدارها
فكيف خلط الجهلول
بالموزون وهو رجل
حكيم واستحييت أن
أسأله فتعجبت بالصرعة

ولا تفرق بين نفسك وبينه فان دعاءك له دعاء لنفسك على التحديق فقد قال صلى الله عليه وسلم « إذا دعا الرجل لأخيه في ظهر الغيب قال الملك ولك مثل ذلك » (١) وفي لفظ آخر « يقول الله تعالى بك أبدأ يا عبدي » (٢) وفي الحديث « يستجاب للرجل في أخيه ما لا يستجاب له في نفسه » (٣) وفي الحديث « دعوة الرجل لأخيه في ظهر الغيب لا ترد » (٤) وكان أبو الدرداء يقول إني لأدعو لسبعين من إخواني في سجودي أصيهم بأسمائهم وكان محمد بن يوسف الأصفهاني يقول وأبى مثل الأخ الصالح أهلكت يقتسمون ميراثك ويتقسمون بما خلفت وهو منفرد بحزنك مهم بما قدمت وما صرت إليه بدعوك في ظلمة الليل وأنت تحت أطباق الثرى وكان الأخ الصالح يقتدى باللائكة إذ جاء في الخبر « إذا مات الصديق قال الناس ما خلف وقالت الملائكة ما قدم » (٥) فيرحون له بما قدم ويسألون عنه ويشفقون عليه ويقال من بلغه موت أخيه فترحم عليه واستغفر له كتب له كأنه شهد جنازته وصلى عليه . وروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال « مثل الميت في قبره مثل الفريق يتعلق بكل شيء ينتظر دعوة من ولده أو والده أو أخ أو قريب » (٦) وإنه ليدخل على قبور الأموات من دعاء الأحياء من الأنوار مثل الجبال وقال بعض السلف الدعاء للأموات بمنزلة الهدايا للأحياء فيدخل الملك على الميت ومعه طبق من نور عليه منديل من نور فيقول هذه هدية لك من عند أخيك فلان من عند قريبك فلان قاله فيفرح بذلك كما يفرح الحي بالهدية .

(الحق السابغ الوفاء والإخلاص)

ومعنى الوفاء الثبات على الحب وإدامته إلى الموت معه وبعد الموت مع أولاده وأصدقائه فان الحب إنما يراد للآخره فان انقطع قبل الموت حبط العمل وضاع السعي ولذلك قال عليه السلام « في السبعة الذين يظلمهم الله في ظله ورجلان تحابا في الله اجتمعا على ذلك وتفرقا عليه » (٧) وقال بعضهم قليل الوفاء بعد الوفاة خير من كثيره في حال الحياة ولذلك روى أنه عليه السلام « أكرم عبوزا دخلت عليه فقيل له في ذلك فقال إنما كانت تأتينا أيام خديجة وإن كرم العهد من الدين » (٨) فمن الوفاء للأخ مراعاة جميع أصدقائه وأقاربه والتعلقين به ومراعاتهم أوقع في قلب الصديق من مراعاة الأخ في نفسه فان فرحه بتفقد من يتعلق به أكثر إذ لا يدل على قوة الشفقة والحب إلا تعديهما من المحبوب إلى كل من يتعلق به حتى الكلب الذي على باب داره ينبغي أن يميز في القلب عن سائر الكلاب ومهما انقطع الوفاء بدوام المحبة شمت به الشيطان فإنه لا يحسد متعاونين على بر كما يحسد متواخين في الله ومتحايين

(١) حديث إذا دعا الرجل لأخيه بظهر الغيب قال الملك ولك مثل ذلك مسلم من حديث أبي الدرداء (٢) حديث الدعاء للأخ بظهر الغيب وفيه يقول الله بك أبدأ يا عبدي لم أجدها اللفظ (٣) حديث يستجاب للرجل في أخيه ما لا يستجاب له في نفسه لم أجده بهذا اللفظ ولأبي داود والترمذي وضعفه من حديث عبد الله بن عمرو إن أسرع الدعاء إجابة دعوة غائب لغائب (٤) حديث دعوة الأخ لأخيه في الغيب لا ترد الدارقطني في العلل من حديث أبي الدرداء وهو عند مسلم إلا أنه قال مستجابة مكان لا ترد (٥) حديث إذا مات العبد قال الناس ما خلف وقالت الملائكة ما قدم البيهقي في الشعب من حديث أبي هريرة بسند ضعيف (٦) حديث مثل الميت في قبره مثل الفريق يتعلق بكل شيء ينتظر دعوة ولده أو والده الحديث أبو منصور الديلمي في مسند الفردوس من حديث أبي هريرة قال الذهبي في الليزان إنه خبر منكر جدا (٧) حديث سبعة يظلمهم الله في ظله الحديث تقدم غير مرة (٨) حديث إكرامه صلى الله عليه وسلم لمجوز دخلت عليه وقوله إنما كانت تأتينا أيام خديجة وإن حسن العهد من الإيمان الحاكم من حديث عائشة وقال صحيح على شرط الشيخين وليس له علة .

إلى النوري قال هات لليزان فوزن مائة درهم وقال بردها وقل له أنا لا أقبل منك شيئا وأخذ ما زاد على المائة قال فزاد تسجي فأسأله على ذلك فقال الجنيد رجل حكيم يريد أن يأخذ الجبل بطريقه وزن المائة لنفسه طلبا للثواب وطرح عليها قبضة بلا وزن فله أخذت ما كان لله ورددت ما جعله لنفسه قال فرددتها على الجنيد فبكي وقال أخذت ما ورد مالنا . ومن لطائف ما سمعت من أصحاب شيخنا أنه قال ذات يوم لأصحابه نحن محتاجون إلى شيء من العلوم فارجعوا إلى خلواتكم واسألوا الله تعالى وما يفتح الله تعالى لكم التوفيق به فعملوا ثم جاءهم من بينهم شخص يعرف باسمعيل البطاخي ومعه كاغد عليه ثلاثون دائرة وقال هذا الذي فتح

فيه فانه يجهد نفسه لافساد ما بينهما ذل الله تعالى - وقل لعبادي يقولوا التي هي أحسن إن الشيطان ينزغ بينهم - وقال عبرا عن يوسف - من بعد أن نزغ الشيطان بيني وبين إخوتي - ويقال ما تواخى اثنان في الله فتفرق بينهما إلا بذنب يرتكبه أحدهما وكان بشر يقول إذا قصر العبد في طاعة الله سلبه الله من يؤنه وذلك لأن الاخوان مسلاة للهموم وعون على الدين ولذلك قال ابن المبارك ألد الأشياء مجالسة الاخوان والانتقال إلى كفاية واللودة الدائمة هي التي تكون في الله وما يكون لغيره يزل بزوال ذلك الغرض ومن ثمرات اللودة في الله أن لا تكون مع حسد في دين ودنيا وكيف يحسده وكل من هو لأخيه فإليه ترجع فائده وبه وصف الله تعالى المحبين في الله تعالى فقال - ولا يجحدون في صدورهم حاجة مما أوتوا ويؤثرون على أنفسهم - ووجود الحاجة هو الحسد ومن الوفاء أن لا يتغير حاله في التواضع مع أخيه وإن ارتفع شأنه واتسعت ولايته وعظم جاهه فارتفع على الاخوان بما يتجدد من الأحوال لئلا يؤم قال الشاعر :

إن الكرام إذا ما أيسروا ذكروا من كان يألفهم في المنزل الحسن

وأوصى بعض السلف ابنه فقال يا بني لا تصحب من الناس إلا من إذا افتقرت إليه قرب منك وإن استغنيت عنه لم يطعم فيك وإن علت مرتبته لم يرتفع عليك وقال بعض الحكماء إذا ولي أخوك ولاية ثبت على نصف مودته لك فهو كثير . وحكى الربيع أن الشافعي رحمه الله آخى رجلا يفتاد ثم إن أخاه ولي السيين فغير له عما كان عليه فكتب إليه الشافعي بهذه الآيات :

أذهب فودك من فؤادي طالق أبدا وليس طلاق ذات البين

فإن أروعيت فانها تطلق ويدوم ودك لي على ثنتين

وإن امتنعت شفعتها بمثالها فتكون تطليقتين في حيزين

وإذا التلات أتك متى بته لم تغن عنك ولاية السيين

واعلم أنه ليس من الوفاء موافقة الأخ فيما يخالف الحق في أمر يتعلق بالدين بل من الوفاء له المخالفة فقد كان الشافعي رضي الله عنه آخى محمد بن عبد الحكم وكان يقربه ويقبل عليه ويقول ما يقيمى بمصر غيره فاعتل محمد فعاده الشافعي رحمه الله تعالى فقال :

مرض الحبيب فعدته فرفضت من حذرى عليه

وأتى الحبيب يعودنى فبرئت من نظرى إليه

وظن الناس لصدق مودتهما أنه يفوض أمر حلقته إليه بعد وفاته فقبل للشافعي في علته التي مات فيها رضي الله عنه إلى من تجلس بهك بأبا عبد الله فاستشرف له محمد بن عبد الحكم وهو عند رأسه ليومئذ إليه فقال الشافعي سبحان الله أبشك في هذا أبو يعقوب البويطى فأنكسر لها محمد وماله أصحابه إلى البويطى مع أن محمدا كان قد حمل عنه مذهبه كله لكن كان البويطى أفضل وأقرب إلى الزهد والورع فنصح الشافعي لله وللسلمين وترك الداهنة ولم يؤثر رضا الخلق على رضا الله تعالى فلما توفي انقلب محمد ابن عبد الحكم عن مذهبه ورجع إلى مذهب أبيه ودرس كتب مالك رحمه الله وهو من كبار أصحاب مالك رحمه الله أبو آثر البويطى الزهد والحوار ولم يعجبه الجمع والجلوس في الحلقة واشتغل بالعبادة وصنف كتاب الأم الذي ينسب الآن إلى الربيع بن سليمان ويعرف به وإنما صنفه البويطى ولكن لم يذكر نفسه فيه ولم ينسبه إلى نفسه فزاد الربيع فيه وتصرف وأظهره والمقصود أن الوفاء بالهبة من تمامها النصيحة قال الأحنف الإخاء جوهر رقيقة إن لم تحرسها كانت معرضة للآفات فاحرسها بالكظم حتى تعتذر إلى من ظلمك وبالرضا حتى لا تستكثر من نفسك الفضل ولا من أخيك التقصير ومن آثار الصدق والإخلاص وتتمام الوفاء أن تكون شديد الجزع من الفارقة تفور الطبع عن أسبابها كاقيل :

الله لي في واقعي فأخذ
الشيخ الكاغد فلم
يكن إلا ساعة فإذا
بشخص دخل ومعه
ذهب قدمه بين يدي
الشيخ ففتح القرطاس
وإذا هو ثلاثون
صحيفة فترك كل
صحيفة على دائرة وقال
هذا فتوح الشيخ
إسماعيل أو كلاما هذا
معناه . وصممت أن
الشيخ عبد القادر
رحمه الله بث إلى
شخص وقال قلآن
طعام وذهب اتنى من
ذلك بكذا ذهابا
وكذا طعاما فقال الرجل
كيف تصرف في ودية
عندي ولو استفتيتك
ما أفتيتك بالتصرف
فألزمه الشيخ بذلك
فأحسن الظن بالشيخ
وجاء إليه بالذي طلب
فلما وقع التصرف
منه جاءه مكتوب من
صاحب الودية وهو
غائب في بعض نواحي
العراق أن اجعل إلى
الشيخ عبد القادر

وجدت مصيبت الزمان جميعها سوى فرقة الأحباب هينة الخطب .

وأعصد ابن عيينة هذا البيت وقال لقد عهدت أنوما فارقهم منذ ثلاثين سنة ما يغيل إلى أن حبرتهم ذهبت من قلبي ومن الوفاء أن لا يسمع بلاغات الناس على صديقه لاسيما من يظهر أولا أنه يحب لصديقه كيلا يهتم ثم يلقي الكلام عرضا وينقل عن الصديق ما يوغر القلب فذلك من دقائق الحيل في التضرير ومن لم يحترز منه لم تدم مودته أصلا قال واحد الحكماء قد جئت خاطبا لمودتك قال إن جعلت مهرها ثلاثا ضلت قال وما هي قال لا تسمع على بلاغة ولا تغالفي في أمر ولا توطئي عشوة ومن الوفاء أن لا يصادق عدو صديقه قال الشافعي رحمه الله إذا أطاع صديقك عدوك فقد اشتركا في عداوتك .
(الحق الثامن التخفيف وترك التكلف والتكليف)

وذلك بأن لا يكلف أخاه ما يشق عليه بل يروح سره من مهجته وحاجاته ويرفقه عن أن يحمله شيئا من أعبائه فلا يستمد منه من جاء ومال ولا يكلفه التواضع له والتفقد لأحواله والقيام بحقوقه بل لا يقصد بمحبته إلا الله تعالى تبركا بدعائه واستئناسا بلفظه واستمانة به على دينه وتقربا إلى الله تعالى بالقيام بحقوقه وتحمل مؤثته قال بعضهم من اقتضى من إخوانه مالا يقتضونه قد ظلمهم ومن اقتضى منهم مثل ما يقتضونه قد أظلمهم ومن لم يقتض فهو للفضل عليهم وقال بعض الحكماء من جعل نفسه عند الإخوان فوق قدره أثم وأثموا ومن جعل نفسه في قدره تب وأظلمهم ومن جعلها دون قدره سلم وسلموا ونعم التخفيف بطي بساط التكليف حتى لا يستحي منه فيما لا يستحي من نفسه وقال الجنيد ما تواخى اثنان في الله فاستوحش أحدهما من صاحبه أو احتشم إلا لئلا في أحدهما وقال على عليه السلام شر الأصدقاء من تكلف لك ومن أحوجك إلى مداراة وأجلك إلى اعتذار وقال الفضيل إنما تقاطع الناس بالتكلف يزور أحدهم أخاه فيتكلف له فيقطعه ذلك عنه وقالت عائشة رضي الله عنها المؤمن أخو المؤمن لا يشتمه ولا يجتشمه وقال الجنيد صحبت أربع طبقات من هذه الطائفة كل طبقة ثلاثون رجلا حارثا الماسي وطبقته وحنا للسوحى وطبقته وسريا السقطي وطبقته وابن الكريبي وطبقته فما تواخى اثنان من الله واحتشم أحدهما من صاحبه أو استوحش إلا لئلا في أحدهما وقيل لبعضهم من نصحب قال من يرفع عنك ثقل التكلف وتسقط بينك وبينه مؤنة التحفظ وقال جعفر بن محمد الصادق رضي الله عنهما يقول أثقل إخواني على من يتكلف لي وأعظم منه وأخفهم على قلبي من أكون معه كما أكون وحدي وقال بعض الصوفية لا تعاشر من الناس إلا من لا يزيد عنده ير ولا تنقص عنده يأم يكون ذلك لك وعليك وأنت عنده سواء وإنما قال هذا لأن به يتخلص عن التكلف والتحفظ وإلا فالطبع يعمل على أن يتحفظ منه إذا علم أن ذلك ينقصه عنده وقال بعضهم كن مع أبناء الدنيا بالأدب ومع أبناء الآخرة بالعلم ومع العارفين كيف شئت وقال آخر لا تصحب إلا من يتوب عنك إذا أذنبت ويمتدرك إليك إذا أسأت ويحمل عنك مؤنة نفسك ويكفيك مؤنة نفسه وقائل هذا قد ضيق طريق الأخوة على الناس وليس الأمر كذلك بل ينبغي أن يواخى كل متدين عاقل ويعزم على أن يقوم بهذه الشرائط ولا يكلف غيره هذه الشروط حتى تكثر إخوانه إذ به يكون مواخيا في الله وإلا كانت مواخاته لحظوظ نفسه فقط ولذلك قال رجل للجنيد قد عز الإخوان في هذا الزمان أين أخ في الله فأعرض الجنيد حتى أعاده ثلاثا فلما أكثر قال له الجنيد إن أردت أخا يكفيك مؤنتك ويتحمل أذاك فهذا لعمرى قليل وإن أردت أخا في الله تحمل أنت مؤثته وتصبر على أذاه فندى جماعة أعرفهم لك فسكت الرجل . واعلم أن الناس ثلاثة رجل تنتفع بصحبته ورجل تقدر على أن تنفعه ولا تتضرر به ولكن

كذا وكذا هو القدر
بالحق عنه الشيخ
عبد القادر ضابطه
للشيخ بعد ذلك على
توقفه وقال ظننت
بالفقراء أن إشاراتهم
تكون على غير صفة
وعلم فالعبد إذا صح
مع الله تعالى وأتقى هواه
متطلبيا رضا الله تعالى
يرفع الله عن باطنه
هموم الدنيا ويجعل
الغنى في قلبه ويفتح
عليه أبواب الرفق وكل
الهموم للتسلطة على
بعض الفقراء لكون
قوتهم ما استكلت
الاحتشام بالله والاهتمام
برعاية حقائق العبودية
فلى قدر ما خلعت من
لهم بالله ابتليت بهم
الدنيا ولو امتلأت من
هم الله ما عذبت بهموم
الدنيا ونعت وارتقت .
روى أن عوف بن
عبد الله السعدي كان
له نظامة وستون
صديقا وكان يكون
عند كل واحد يوما
وآخر كان له ثلاثون

لا تنتفع به ورجل لا يتقدر أيضا على أن تنفعه وتتضرر به وهو الأحق أو السوء الخلق فهذا الثالث ينبغي أن تتجنبه فأما الثاني فلا تتجنبه لأنك تنتفع في الآخرة بشفاعته وبدعائه وبثوابك على القيام به وقد أوحى الله تعالى إلى موسى عليه السلام إن أعطيتي لما أكثر إخوانك أي إن واسيتهم واحتملت منهم ولم تحسدهم وقد قال بعضهم صحبت الناس خمسين سنة فما وقع بيني وبينهم خلاف فإني كنت معهم على نفسى ومن كانت هذه شيمته أكثر إخوانه . ومن التخفيف وترك التكلف أن لا يترس في نوافل العبادات . كان طائفة من الصوفية يصطحبون على شرط المساواة بين أربع معان إن أكل أحدهم التمار كله لم يقل له صاحبه صم وإن صام الأخر كله لم يقل له أفطر وإن نام الليل كله لم يقل له قم وإن صلى الليل كله لم يقل له تم وتستوى حالاته عنده بلا مزيد ولا نقصان لأن ذلك إن تفاوت حرك الطبع إلى الرياء والتخفيف لا محالة وقد قيل من سقطت كلفته دامت ألفته ومن خفت مؤنته دامت مودته وقال بعض الصحابة إن الله لمن التكلفين وقال صلى الله عليه وسلم « أنا والأنبياء من أمتي برآء من التكلف »^(١) وقال بعضهم إذا عمل الرجل في بيت أخيه أربع خصال فقد تم أنسه به ^(٢) إذا أكل عنده ودخل الخلاء وصلى ونام فذكر ذلك لبعض المتأخرين فقال بقيت خامسة وهو أن يحضر مع الأهل في بيت أخيه ويحاميها لأن البيت يتخذ للاستخفاء في هذه الأمور الخس وإلا فالساجد أرواح لقلوب المتعبدين فإذا فعل هذه الخصال فقد تم الاخاء وارتفعت الحشمة وتأكّد الانبساط وقول العرب في تسليمهم يشير إلى ذلك إذ يقول أحدهم لصاحبه مرحبا وأهلا وسهلا أي لك عندنا مرحب وهو السعة في القلب والمكان ولك عندنا أهل تأنس بهم بلا وحشة لك منا ولك عندنا سهولة في ذلك كله أي لا يشتد علينا شيء مما تريد ولا يتم التخفيف وترك التكلف إلا بأن يرى نفسه دون إخوانه ويحسن الظن بهم ويسوء الظن بنفسه فإذا رآهم خيرا من نفسه فعند ذلك يكون هو خيرا منهم وقال أبو معاوية الأسود إخواني كلهم خير مني قيل وكيف ذلك ؟ قال كلهم يرى لي الفضل عليه ومن فضلى على نفسه فهو خير مني وقد قال صلى الله عليه وسلم « المرء على دين خليله ولا خير في صفة من لا يرى لك مثل ماترى له »^(٣) فهذه أقل الدرجات وهو النظر بعين المساواة والكمال في رؤية الفضل للأخ ولذلك قال سفيان إذا قيل لك بإشر الناس فضبت فأنت شر الناس أي ينبغي أن تكون معتقدا ذلك في نفسك أبدا وسيأتي وجه ذلك في كتاب الكبير والعجب وقد قيل في معنى التواضع ورؤية الفضل للاخوان آيات :

تذلل لمن إن تذلت له يرى ذاك للفضل لا للبله
وجانب صداقة من لا يزال على الأصدقاء يرى الفضل له
وقال آخر : كم صديق عرفته بصديق صار أخطى من الصديق العتيق
ورفيق رأيته في طريق صار عندي هو الصديق الحقيقي

ومهما رأى الفضل لنفسه قد احتقر أخاه وهذا في عموم المسلمين مذموم قال صلى الله عليه وسلم « بحسب المؤمن من الشر أن يحقر أخاه المسلم »^(٤) ومن تمة الانبساط وترك التكلف أن يشاور

(١) حديث أنا وأمتي برآء من التكلف الدارقطني في الأفراد من حديث الزبير بن العوام ألا إني يرى من التكلف وصالحوا أمتي وإسناده ضعيف (٢) حديث إذا صنع الرجل في بيت أخيه أربع خصال فقد تم أنسه به الحديث لم أجده أصلا (٣) حديث المرء على دين خليله ولا خير في صفة من لا يرى لك مثل ماترى له تقدم الشطر الأول منه في الباب قبله وأما الشطر الثاني فرواه ابن عدي في الكامل من حديث أنس بسند ضعيف (٤) حديث حسب امرئ من الشر أن يحقر أخاه المسلم . مسلم

صديقا يكون عند كل واحد يوما وآخر كان له سبعة إخوان يكون كل يوم من الأسبوع عند واحد فكان إخوانهم معلومهم والمعلوم إذا أقامه الحق للناظر إلى الله الكامل توحيد يكون نعمة هنيئة . جاء رجل إلى الشيخ أبي السعود رحمه الله وكان من أرباب الأحوال السنية والواقفين في الأشياء مع فعل الله تعالى متمكنا من حاله تاركا لاختياره ولعله سبق كثيرا من المتقدمين في تحقيق ترك الاختيار رأينا منه وشاهدنا أحوالا صحيحة عن قوة وتمكين فقال له الرجل أريد أن أعين لك شيئا كل يوم من الخبز أحمله إليك ولكني قلت الصوفية يقولون المعلوم شؤم قال الشيخ نحن ما نقول المعلوم شؤم فإن الحق يصفي لنا وفضله نرى فكل ما يحسم لنا

إخوانه في كل ما يقصده ويقبل إشاراتهم فقد قال تعالى - وشاورهم في الأمر - وبينني أن لا يخفى عنهم شيئا من أسرارهم كما روى أن يعقوب بن أخى معروف قال جاء أسود بن سالم إلى عمي معروف وكان مواخيا له فقال إن بشر بن الحرث يحب مؤاخاتك وهو يستحي أن يشافئك بذلك وقد أرسنى إليك بسألك أن تفعله فيما بينك وبينه أخوة محتسبا ويبتد بها إلا أنه يشترط فيها شروطا لا يحب أن يشتر بها ذلك ولا يكون بينك وبينه مزاورة ولا ملاقة فانه يكره كثرة الالتقاء فقال معروف أما أنا لو آخيت أحدا لم أحب مفارقتة لئلا ولا تهازا ولزرتة في كل وقت وآثرته على نفسي في كل حال ثم ذكر من فضل الأخوة والحب في الله أحاديث كثيرة ثم قال فيها وقد آخى رسول الله ﷺ عليا فشاركه في العلم (١) وقاسمه في البدن (٢) وأنكحه أفضل بناته وأحبهن إليه وخصه بذلك لمؤاخاته (٣) وأنا أشهدك أني قد عقدت له أخوة بيني وبينه وعقدت إياه في الله لرسالتك ولما أنه على أن لا يزورني إن كره ذلك ولكني أزوره متى أحببت ومرة أن يلقاني في مواضع نلتقي بها ومرة أن لا يخفى على شيئا من شأنه وأن يطلعني على جميع أحواله فأخبر ابن سالم بشرا بذلك فرضى وسر به فهذا جامع حقوق الصبة وقد أجملناه مرة وفضلناه أخرى ولا يتم ذلك إلا بأن تكون على نفسك للاخوان ولا تكون لنفسك عليهم وأن تنزل نفسك منزلة الخادم لهم فتقيد بحقوقهم جميع جوارحك . أما البصر فبأن تنظر إليهم نظر رودة يعرفونها منك وتنظر إلى محاسنهم وتعامى عن عيوبهم ولا تصرف بصرك عنهم في وقت إقبالهم عليك وكلامهم منك روى أنه صلى الله عليه وسلم كان يعطى كل من جلس إليه نصيبا من وجهه وما استصفاه أحد إلا ظن أنه أكرم الناس عليه حتى كان مجلسه ومعه وحديثه ولطيف مسأته وتوجهه للجالس إليه (٤)

من حديث أن هريرة وتقدم في أثناء حديث لاتدابوا في هذا الباب (١) حديث أخى رسول الله صلى الله عليه وسلم عليا وشاركه في العلم النساء في الخصائص من سننه الكبرى من حديث على قال جمع رسول الله صلى الله عليه وسلم بنى عبد المطلب الحديث وفيه فايكم يابى على أن يكون أخى وصاحي ووارثي فلم يبق إليه أحد فقامت إليه وفيه حتى إذا كان في الثالثة ضرب يده على يدي وله وللحاكم من حديث ابن عباس أن عليا كان يقول في حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم والله إني لأخوه وولي ووارث علمه الحديث وكل ما ورد في أخوته فضعيف لا يصح منه شيء وللترمذي من حديث ابن عمر وأنت أخى في الدنيا والآخرة وللحاكم من حديث ابن عباس أنا مدينة العلم وعلى بابها وقال صحيح الإسناد وقال ابن حبان لا أصل له وقال ابن طاهر إنه موضوع وللترمذي من حديث على أنا دار الحكمة وعلى بابها وقال غريب (٢) حديث مقاسمته عليا للدين مسلم في حديث جابر الطويل ثم أعطى عليا فخر ماعبر وأشركه في هديه (٣) حديث أنه أنكح عليا أفضل بناته وأحبهن إليه هذا معلوم مشهور في الصحيحين من حديث على لما أردت أن أبتني فاطمة بنت النبي صلى الله عليه وسلم واعدت رجلا صواغا الحديث وللحاكم من حديث أم أيمن زوج صلى الله عليه وسلم ابنته فاطمة عليا الحديث وقال صحيح الإسناد وفي الصحيحين من حديث عائشة عن فاطمة فاطمة أما ترضين أن تكوني سيدة نساء المؤمنين الحديث (٤) حديث كان يعطى كل من جلس إليه نصيبه من وجهه الحديث الترمذي في الثماني من حديث على في أثناء حديث فيه يعطى كل جلسائه نصيبه لا يحسب جليسه أن أحدا أكرم عليه ممن جالسه ومن سأله حاجة لم يردده إلا بها أو بميسور من القول ثم قال مجلسه مجلس حلم وحياء وصبر وأمانة وفيه يضحك مما يضحكون ويتعجب مما يتعجبون منه وللترمذي من حديث عبد الله بن الحرث بن جزء ما رأيت أحدا أكره تبسما من رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال غريب

نزه مبارك ولا نراه
شؤما. أخبرنا أبو زرعة
إجازة قال أني أنا أبو بكر
ابن أحمد بن خلف
الشيرازي إجازة قال أنا
أبو عبد الرحمن السلي
قال سمعت أبا بكر بن
شاذان قال سمعت أبا
بكر الكتاني قال كنت
أنا وعمرو للكي وعياش
ابن للهدى نصطحب
ثلاثين سنة نصلى
الثلاثة على طهر العصر
وكنا نقودا بمكة على
التجريد مانا على
الأرض ما يساوى فلما
وربما كان يصحبنا
الجوع يوما ويومين
وثلاثة وأربعة وخمسة
ولا نسأل أحدا فان
ظهر لنا شيء وعرفنا
وجهه من غير سؤال
ولا تعريض قبلناه
وأكلناه وإلا طوينا
فاذا اشتد بنا الأمر
وخفنا على أنفسنا
التقصان في الفرائض
قصدا أباسيد الخراز
فيتخذنا ألوانا من
الطعام ولا يقصد غيره

وكان مجلسه مجلس حياء وتواضع وأمانة وكان عليه السلام أكثر الناس تبسما وضحكا في وجوه أصحابه وتمجبا عما يحدوثونه به وكان ضحك أصحابه عنده التبس اقتداء منهم بفعله وتوقيرا له عليه السلام .
وأما السمع فبأن تسمع كلامه متلذذا بسماعه ومصداقا به ومظهرا لاستبشار به ولا تقطع حديثهم عليهم بمرادة ولا منازعة ومداخلة واعتراض فان أرهقك عارض اعتذرت إليهم وتعوس سمك عن سماع ما يكرهون . وأما اللسان فقد ذكرنا حقوقه فان القول فيه يطول ومن ذلك أن لا يرفع صوته عليهم ولا يخاطبهم إلا بما يفقهون . وأما اليدان فان لا يقبضهما عن معاوتهما في كل ما يتعاطى باليد . وأما الرجلان فان يمشي بهما وراهم متى الاتباع لأمشي للتبعين ولا يتقدمهم إلا بقدر ما يقدمونه ولا يقرب منهم إلا بقدر ما يقربونه ويقوم لهم إذا أقبلوا ولا يقعد إلا بقعودهم ويقعد متواضعا حيث يقعد ومهما تم الاتحاد خف حملهم من هذه الحقوق مثل القيام والاعتذار والثناء فانها من حقوق الصعبة وفي ضمنها نوع من الأجنبية والتكلف فاذا تم الاتحاد انطوى بساط التكلف بالكلية فلا يسلك به إلا مسلك نفسه لأن هذه الآداب الظاهرة عنوان آداب الباطن وصفاء القلب ومهما صفت القلوب استغنى عن تكلف إظهار ما فيها ومن كان نظره إلى محبة الخلق فتارة يعوج وتارة يستقيم ومن كان نظره إلى الخالق لزم الاستقامة ظاهرا وباطنا وزين باطنه بالحلب لله ولخلقه وزين ظاهره بالعبادة لله والخدمة لعباده فانها أعلى أنواع الخدمة فإذ لا وصول إليها إلا بحسن الخلق ويدرك العبد بحسن خلقه درجة القام الصائم وزيادة .
[خاتمة لهذا الباب] نذكر فيها جملة من آداب العشرة والمجالسة مع أوصاف الخلق ملتقطة من كلام بعض الحكماء . إن أردت حسن العشرة فالحق صديقك وعدوك بوجه الرضا من غير ذلة لهم ولا هيبة منهم وتوقير من غير كبر وتواضع في غير مذلة وكن في جميع أمورك في أوسطها فكل طرفي قصد الأمور ذميمة ولا تنظر في عطفك ولا تنكسر الالتفات ولا تنف على الجماعات وإذا جلست فلا تستوفز وتعظم من تشبيك أصابعك والعبت بلحيتك وخاتمك وتحليل أسنانك وادخال أصبعك في أنفك وكثرة بصافك وتنخمك وترد الباب من وجهك وكثرة التخطي والثاوب في وجوه الناس وفي الصلاة وغيرها وليكن مجلسك هاديا وحديثك منظوما مرتبا واضع إلى الكلام الحسن ممن حدثك من غير إظهار تعجب مفرط ولا تسأله إعادته واسكت عن الضاحك والحكايات ولا تحدث عن إعجابك بولده ولا جارتك ولا شريك ولا تصنيفك وسائر ما يخصك ولا تصنع تصنع المرأة في التزين ولا تبدل تبدل العبد وتوق كثرة الكحل والاسراف في الدهن ولا تلح في الحاجات ولا تشجع أحدا على الظلم ولا تعلم أهلك وولدك فضلا عن غيرهم مقدار مالك فانهم إن رأوه فليلا هنت عندهم وإن كان كثيرا لم تبلغ قط رضاهم وخوفهم من غير عنف ولن لهم من غير ضعف ولا تهازل أمتك ولا عبدك فيسقط وقارك وإذا خاسمت فتوقروا وعظم من جهلك وتجنب محبتك ونفكر في حبك ولا تنكسر الإشارة بيدك ولا تنكسر الالتفات إلى من وراءك ولا تبحث على ركبتك وإذا هدا غيظك فتكلم وإن قربك سلطان فكن منه على مثل حد السنان فان استرسل إليك فلا تأمن انقلابه عليك وارق به رفقا بالصبي وكله بما يشتهي بالم يكن معصية ولا عملتك لطفه بك أن تدخل بينه وبين أهله وولده وحشمه وإن كنت لذلك مستحقا عنده فان سقطه الداخل بين الملك وبين أهله سقطه لا تنس وزلة لا تقال وإياك وصديق العافية فانه أعدى الأعداء ولا تجعل مالك أكرم من عرضك وإذا دخلت مجلسا فالأدب فيه البداية بالتسليم وترك التخطي لمن سبق والجلوس حيث اتسع وحيث يكون أقرب إلى التواضع وأن تحمي بالسلام من قرب منك عند الجلوس ولا تجلس على الطريق فان جلست فأدبه غض البصر ونصرة المظلوم وإغاثة الملهوف وعون الضعيف وإرشاد الضال ورد السلام وإعطاء السائل والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والارتياح لموضع البصاق ولا تصق في جهة القبلة ولا عن

ولا تبسط إلا إليه لما
تعرف من تقواه
وورعه . وقيل لأبي
يزيد ما نراك تشتغل
بكسب فن أبن معاشك
فقال مولاي يرزق
الكلب والخنزير تراه
لا يرزق أبا يزيد .
قال السلي سمعت أبا
عبد الله الرازي يقول
سمعت مظفرا القرميضي
يقول الفقير الذي
لا يكون له إلى الله
حاجة . وقيل لبعضهم
ما الفقر قال وقوف
الحاجة على القلب
وعوها من كل أحد
سوى الرب . وقال
بعضهم أخذ الفقير
الصدقة ممن يعطيه
لا يمنصل إليه على
يده ومن قبل من
الوسائل فهو الترسم
بالفقر مع دناءة همته .
أبو النجيب السهروردي
قال أنا عصام الدين أبو
حفص عمر بن أحمد
ابن منصور الصغار قال
أنا أبو بكر أحمد بن

يمكنك ولكن عن يسارك وتحت قدمك اليسرى ولا تجالس الملوك فان فعلت فأدبه ترك النيسة ومجانبة الكذب وصيانة السروقة الحوائج وتهذيب الألفاظ والاعراب في الخطاب والمذاكرة بأخلاق الملوك وقلة المداعبة وكثرة الحذر منهم وإن ظهرت لك المودة وأن لا تتجشأ بحضرتهم ولا تتدخل بعد الأكل عنده وعلى الملك أن يحتمل كل شيء إلا إفساء السرو والقدح في الملك والتعرض للحرم ولا تجالس العامة فان فعلت فأدبه ترك الخوض في حديثهم وقلة الاصغاء إلى أراجيفهم والتغافل عما يجري من سوء أفعالهم وقلة اللقاء لهم مع الحاجة إليهم وإياك أن تنازع لبيبا أو غير لبيب فان اللبيب يحقد عليك والسفيه يجترى عليك لأن المزاح يخرق الحمية ويسقط ماء الوجه ويعقب الحقد ويذهب بحلاوة الودّ ويشين فقه الفقيه ويجري السفيه ويسقط المنزلة عند الحكيم ويعتقه التتقون وهو يمت القلب وياعد عن الرب تعالى ويكسب الغفلة ويورث القلة وبه تظلم السرائر وتعمت الحواطر وبه تكثر العيوب وتبين الذنوب وقد قيل لا يكون المزاح إلا من سخط أو بطر ومن بلى في مجلس عزم أولفط فلينكر الله عند قيامه قال النبي صلى الله عليه وسلم « من جلس في مجلس فكثر فيه لغطه فقال قبل أن يقوم من مجلسه ذلك سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك » (١) لا يغفر له ما كان في مجلسه ذلك (٢) .

(الباب الثالث في حق السلم والرحم والجوارح والملك وكيفية المعاشرة مع من بدلى بهذه الأسباب)

اعلم أن الانسان إما أن يكون وحده أو مع غيره وإذا تعذر عيش الانسان إلا بمخالطة من هو من جنسه لم يكن له بد من تعلم آداب المخالطة وكل مخالطة في مخالطة أدب والآداب على قدر حقه وحقه على قدر رابطته التي بها وقعت المخالطة والرابطة إما القرابة وهي أخصها أو أخوة الاسلام وهي أعمها وينطوي في معنى الأخوة الصداقة والصحة وإما الجوارح وإما محبة السفر والكتب والدرس وإما الصداقة أو الأخوة ولكل واحد من هذه الروابط درجات فالقرابة لها حق ولكن حق الرحم المحرم آكد وللحرم حق ولكن حق الوالدين آكد وكذلك حق الجار ولكن يختلف بحسب قربه من الدار وبعده ويظهر تفاوت عند النسبة حتى إن البلدي في بلاد الغربة يجري مجرى القريب في الوطن لاختصاصه بحق الجوارح في البلد وكذلك حق للمسلمين كدنيا كد العرفه وللعرفه درجات فليس حق الذي عرف بالمشاهدة كحق الذي عرف بالسمع بل آكد منه والعرفه بعد وقوعها تآكد بالاختلاط وكذلك الصحة تفاوت درجاتها كحق الصحة في الدرس والكتب آكد من حق صحة السفر وكذلك الصداقة تفاوت فانها إذا قويت صارت أخوة فان ازدادت صارت حبة فان ازدادت صارت خلة والخليل أقرب من الحبيب فالهبة ما تمسك من حبة القلب والخلة ما تتخلل سر القلب فكل خليل حبيب وليس كل حبيب خليل وتفاوت درجات الصداقة لا يخفى بحكم المشاهدة والتجربة فإما كون الخلة فوق الأخوة فمما أن لفظ الخلة عبارة عن حالة هي أتم من الأخوة وأعم منه من قوله صلى الله عليه وسلم « لو كنت متخذاً خليلاً لا اتخذت أبا بكر خليلاً ولكن صاحبكم خليل الله » (٣) إذ الخليل هو الذي يتخلل الحب جميع أجزائه قلبه ظاهراً وباطناً ويستوعبه ولم يستوعب قلبه عليه السلام سوى حب الله وقد منعه الخلة عن الاشتراك فيه مع أنه اتخذ علياً رضي الله عنه أخاً فقال « على مني بمنزلة هارون من موسى إلا النبوة » (٤)

(١) حديث من جلس في مجلس فكثر فيه لغطه فقال قبل أن يقوم من مجلسه ذلك سبحانك اللهم وبحمدك الحديث الترمذي من حديث أبي هريرة وصححه .

(الباب الثالث في حق السلم والرحم والجوارح)

(٢) حديث لو كنت متخذاً خليلاً لا اتخذت أبا بكر خليلاً الحديث متفق عليه من حديث أبي سعيد الخدري

(٣) حديث على مني بمنزلة هارون من موسى إلا النبوة متفق عليه من حديث سعد بن أبي وقاص .

خلف الشيرازي قال أنا أبو عبد الرحمن السلمي قال سمعت أحمد ابن حنبل بن جعفر يقول سمعت أن أبا سليمان الداراني كان يقول آخر أقدام الزاهدين أول أقدام التوكلين . روى أن بعض العارفين زهد فبلغ من زهده أن فارق الناس وخرج من الأمصار وقال لا أسأل أحدا شيئاً حتى يأتيني رزقي فأخذ يسبح فأقام في سفح جبل سبعا لم يأتته نساء حتى كاد أن يلف فقال لأرب إن أحببتني فأتني برزقي الذي قسمت لي وإلا فاقبضني إليك فألمه الله تعالى في قلبه وعزتي وجلالي لأرزقك حتى تدخل الأمصار وتقيم بين الناس فدخل المدينة وأقام بين ظهرائي الناس فجاءه هذا بطعام وهذا بشراب فأكل وشرب فأوجس في نفسه من ذلك

فصل بلى عن النبوة كما عدل بآبى بكر عن الخلة فشارك أبو بكر عليا رضى الله عنهما في الأخوة وزاد عليه بمقاربة الخلة وأهليته لها لو كان للشركة في الخلة مجال فانه نبه عليه بقوله لا اتخذت أبا بكر خليلا وكان صلى الله عليه وسلم حبيب الله وخليته وقد روى أنه صعد المنبر يوما مستبشرا فرحا فقال «إن الله قد اتخذنى خليلا كما اتخذ إبراهيم خليلا فأنا حبيب الله وأنا خليل الله تعالى» (١) «فاذن ليس قبل المرفة رابطة ولا بعد الخلة درجة وما سواها من الدرجات بينهما وقد ذكرنا حق الصعوبة والأخوة ويدخل فيها ما وراءها من المحبة والخلة وإنما تفاوتوا الرتب في تلك الحقوق كما سبق بحسب تفاوت المحبة والأخوة حتى ينتهى أقصاها إلى أن يوجب الايثار بالنفس والمال كما آثر أبو بكر رضى الله عنه نبينا صلى الله عليه وسلم وكما آثره طلعة ييدنه إذ جعل نفسه وقاية لشخصه العزيز صلى الله عليه وسلم ونحن الآن نريد أن نذكر حق أخوة الاسلام وحق الرحم وحق الوالدين وحق الجوار وحق الملك أعنى ملك المؤمنين فان ملك التكاح قد ذكرنا حقوقه في كتاب آداب النكاح .

(حقوق المسلم)

(هى أن تسلم عليه إذا لقيت وتحييه إذا دعاك وتسمته إذا عطس وتعوذه إذا مرض وتشهد جنازته إذا مات) وتبرقسه إذا أغمى عليك وتصح له إذا استصحك وتحفظه بظهر الغيب إذا غاب عنك وتحب له ما تحب لنفسك وتكره له ما تكره لنفسك (٢) ورد جميع ذلك في أخبار وآثار وقد روى أنس رضى الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال «أربع من حق للمسلم عليك أن تعين محسنهم وأن تستغفر لمذنبهم وأن تدعو لمذنبهم وأن تحب تائبهم» (٣) وقال ابن عباس رضى الله عنهما في معنى قوله تعالى - رحماء بينهم - قال يدعو صالحهم لطالحهم وطالحهم لصالحهم فإذا نظر الطالح إلى الصالح من أمة محمد صلى الله عليه وسلم قال اللهم بارك له فبارك له من الخير وثبتته عليه واقفنا به وإذا نظر الصالح إلى الطالح قال اللهم اهده وتب عليه واغفر له عثرته . ومنها أن يحب للمؤمنين ما يحب لنفسه ويكره لهم ما يكره لنفسه قال النعمان بن بشير : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول «مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم كتل الجسد إذا اشتكى عضو منه تداعى سائر الجسد بالسهر» (٤) وروى أبو موسى عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال «للمؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا» (٥) ومنها أن لا يؤذى أحدا من المسلمين بفعل ولا قول قال ﷺ «المسلم من سلم للمسلمين من لسانه ويده» (٦)

(١) حديث إن الله اتخذنى خليلا كما اتخذ إبراهيم خليلا الحديث الطبرانى من حديث أبى أمامة بسند ضعيف دون قوله فأنا حبيب الله وأنا خليل الله .

(الأخبار الواردة في حقوق المسلم على المسلم)

(٢) هو أن يسلم عليه إذا لقيه فذكر عشر خصال الشيخان من حديث أبى هريرة حق للمسلم على المسلم خمس رد السلام وعبادة المريض وإتباع الجنائز وإجابة الدعوة وتشميت العاطس وفى رواية لمسلم حق للمسلم على المسلم ست إذا لقيت تسلم عليه وزاد وإذا استصحك فاصح له ولترمذى وابن ماجه من حديث على للمسلم على المسلم ست فذكر منها ما يحب له ما يحب لنفسه وقال ويصح له إذا غاب أو شهد ولا أحد من حديث معاذ وأن يحب للناس ما يحب لنفسك وتكره لهم ما تكره لنفسك وفى الصحيحين من حديث البراء أمرنا رسول الله ﷺ بسبع فذكر منها وإبرار القسم ونصر الظلوم (٣) حديث أنس أربع من حقوق المسلمين عليك أن تعين محسنهم وأن تستغفر لمذنبهم وأن تدعو لمذنبهم وأن تحب تائبهم ذكره صاحب الفردوس ولم أجد له إسنادا (٤) حديث النعمان بن بشير مثل المؤمنين فى توادهم وتراحمهم كتل الجسد الحديث متفق عليه (٥) حديث أبى موسى للمؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا متفق عليه (٦) حديث المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده متفق عليه من حديث عبد الله بن عمرو .

فسمع هاتفا أردت أن تبطل حكمته بذهنك فى الدنيا أما علمت أن يرزق العباد بأيدي العباد أحب إليه من أن يرزقهم بأيدي القدرة فالواقف مع الفتوح استوى عنده أيدى الآدميين وأيدى الملائكة واستوى عنده القدرة والحكمة وطلب القفار والتوصل إلى قطع الأسباب من الارتهان برؤية الأسباب وإذا صح التوحيد تلاشت الأسباب فى عين الانسان . أخبرنا شيخنا قال أنا أبو حفص عمر قال أنا أحمد ابن خلف قال أنا أبو عبد الرحمن قال أنا محمد بن أحمد بن حمدان العكبرى قال سمعت أحمد بن محمد ابن اليسرى يقول سمعت محمدا الإسكاف يقول سمعت يحيى بن معاذ الرازى يقول من استفتح باب العاش

وقال صلى الله عليه وسلم في حديث طويل يأمر فيه بالفضائل «فإن لم تقدر فدفع الناس من الشرف فإنها صدقة تصدقت بها على نفسك» (٢) وقال أيضا «أفضل المسلمين من سلم المسلمون من لسانه ويده» (٣) وقال صلى الله عليه وسلم «أتدرون من المسلم قالوا الله ورسوله أعلم قال المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده قالوا فمن المؤمن قال من أمنه المؤمنون على أنفسهم وأموالهم قالوا فمن المهاجر قال من هجر السوء واجتنبه» (٤) وقال رجل يارسل الله ما الاسلام قال «أن يسلم قلبك لله ويسلم المسلمون من لسانك ويدك» وقال مجاهد يسلط على أهل النار الحرب فيحتكون حتى يبدو عظم أحد منهم من جلده فينادى يا فلان هل يؤذيك هذا فيقول نعم فيقول هذا بما كنت تؤذى المؤمنين وقال صلى الله عليه وسلم «لقد رأيت رجلا يتقلب في الجنة في شجرة قطعها عن ظهر الطريق كانت تؤذى المسلمين» (٥) وقال أبو هريرة رضي الله عنه «يارسل الله علمي شيئا أتفع به قال اعزل الأذى عن طريق المسلمين» (٦) وقال صلى الله عليه وسلم «من زحزح عن طريق المسلمين شيئا يؤذيهم كتب الله له به حسنة ومن كتب الله له حسنة أوجب له بها الجنة» (٧) وقال صلى الله عليه وسلم «لا يحل لمسلم أن يهجر أخيه بمظنة تؤذيه» وقال «لا يحل لمسلم أن يروغ مسلما» (٨) وقال صلى الله عليه وسلم «إن الله يكره أذى المؤمنين» (٩) وقال الربيع بن خثيم الناس رجلان مؤمن فلا تؤذه وجاهل فلا تجاهله . ومنها أن يتواضع لكل مسلم ولا يتكبر عليه فإن الله لا يحب كل مختال فخور قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «إن الله تعالى أوحى إلى أن تواضعوا حتى لا يفخر أحد على أحد» (١٠) ثم إن تفاخر عليه غيره فليحتمل قال الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم - خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهل - وعن ابن أبي أوفى «كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتواضع لكل مسلم ولا يأنف ولا يتكبر أن يمشی مع الأرملة والمسكين فيقضى حاجته» (١١)

(١) حديث فإن لم تقدر فدفع الناس من الشرف فإنها صدقة تصدقت بها على نفسك متفق عليه من حديث أبي ذر (٢) حديث أفضل المسلمين من سلم المسلمون من لسانه ويده متفق عليه من حديث أبي موسى (٣) حديث أتدرون من المسلم قالوا الله ورسوله أعلم قال المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده الطبراني والحاكم وصححه من حديث فضالة بن عبيد ألا أخبركم بالمؤمن من أمنه الناس على أموالهم وأنفسهم والمسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده والمجاهد من جاهد نفسه في طاعة الله والمهاجر من هجر الخطايا والذنوب رواه ابن ماجه مقتصر على المؤمن والمهاجر والحاكم من حديث أنس وقال على شرط مسلم والمهاجر من هجر السوء ولأحمد بإسناد صحيح من حديث عمر بن عتبة قال رجل يارسل الله ما الاسلام قال أن تسلم قلبك لله ويسلم المسلمون من لسانك ويدك (٤) حديث لقد رأيت رجلا في الجنة يتقلب في شجرة قطعها عن ظهر الطريق كانت تؤذى المسلمين مسلم من حديث أبي هريرة (٥) حديث أبي هريرة يارسل الله علمي شيئا أتفع به قال اعزل الأذى عن طريق المسلمين مسلم من حديث أبي هريرة قال قلت يا نبي الله فذكره (٦) حديث من زحزح عن طريق المسلمين شيئا يؤذيهم كتب الله له بها حسنة ومن كتب له بها حسنة أوجب له بها الجنة أحمد من حديث أبي الدرداء بسند ضعيف (٧) حديث لا يحل لمسلم أن ينظر إلى أخيه بنظر يؤذيه ابن المبارك في الزهد من رواية حمزة بن عبيد مرسل بسند ضعيف وفي البر والصلة له من زيادات الحسين المروزي حمزة بن عبد الله بن أبي سمي وهو الصواب (٨) حديث إن الله تعالى يكره أذى المؤمنين ابن المبارك في الزهد من رواية عكرمة بن خالد مرسل بإسناد جيد (٩) حديث إن الله أوحى إلى أن تواضعوا حتى لا يفخر أحد على أحد أبو داود وابن ماجه واللفظ له من حديث عياض بن جهم ورجاله رجال الصحيح (١٠) حديث ابن أبي أوفى كان لا يأنف ولا يتكبر أن يمشی مع الأرملة والمسكين فيقضى حاجته النسائي بإسناد صحيح والحاكم وقال على شرط الشيخين .

بغير مفاتيح الأقدار وكل إلى الخلقين . قال بعض اللغظيين كنت ذا صنعة جليلة فأريد منى تركها ففك في صدرى من أين الهامش فهتف بي هاتف لا أراه تنقطع إلى وتهمنى في رزقك على أن أخدمك وليا من أوليائي أو أسخر لك مناقما من أعدائي فلما صبح حال الصوفى وانقطعت أطعماعه وسكنت عن كل تشوف وتطلع خدمته الدنيا وصلحت له الدنيا خادمة وما رضيا مخدومة فصاحب الفتوح يرى حركة النفس بالتشوف جنبية وذنبية . روى أن أحمد بن حنبل خرج ذات يوم إلى شارع باب الشام فاشترى دقيقا ولم يكن في ذلك اللوضع من عمله فوافى أبواب المحال فجعله ودفع إليه أحمد أجرته فلما دخل الدار بعد إذ نهله اتفق

ومنها أن لا يسمع بلاغات الناس بعضهم على بعض ولا يبلغ بعضهم ما يسمع من بعض . قال صلى الله عليه وسلم « لا يدخل الجنة قتات »^(١) وقال الحليل بن أحمد من ثم لك نعم عليك ومن أخبرك بخبر غيرك أخبر غيرك بخبرك . ومنها أن لا يزيد في المهجر لمن يعرفه على ثلاثة أيام مهما غضب عليه . قال أبو أيوب الأنصاري قال صلى الله عليه وسلم « لا يحل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاث يلتقيان فيعرض هذا ويعرض هذا وخيرهما الذي يبدأ بالسلام »^(٢) وقد قال صلى الله عليه وسلم « من أقال مسلما عثرته أقاله الله يوم القيامة »^(٣) قال عكرمة قال الله تعالى ليوسف بن يعقوب بعفوك عن إخوانك رفعت ذكرك في الدارين . قالت عائشة رضي الله عنها « ما انتقم رسول الله صلى الله عليه وسلم لنفسه قط إلا أن تنتهك حرمة الله فينتقم لله »^(٤) وقال ابن عباس رضي الله عنهما ما عفا رجل عن مظلة إلا زاده الله بها عزاً . وقال صلى الله عليه وسلم « ما نقص مال من صدقة وما زاد الله رجلاً بعفو إلا عزاً وما من أحد تواضع لله إلا رضى الله »^(٥) ومنها أن يحسن إلى كل من قدر عليه منهم ما استطاع لا يميز بين الأهل وغير الأهل ؛ روى طي بن الحسين عن أبيه عن جده رضي الله عنهم قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « اصنع المعروف في أهله وفي غير أهله فان أصبت أهله فهو أهله وإن لم تصب أهله فأنت من أهله »^(٦) وعنه بإسناده قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « رأس العقل بعد الدين التودد إلى الناس واصطناع المعروف إلى كل بر وفاجر »^(٧) قال أبو هريرة « كان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يأخذ أحد يده فيزع يده حتى يكون الرجل هو الذي يرسله ولم تكن ترى ركبته خارجة عن ركة جلسه ولم يكن أحد يكلمه إلا أقبل عليه بوجهه ثم لم يصرف عنه حتى يفرغ من كلامه »^(٨) ومنها أن لا يدخل على أحد منهم إلا بإذنه بل يستأذن ثلاثاً فإن لم يؤذن له انصرف . قال أبو هريرة رضي الله عنه : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « الاستئذان ثلاث فالأولى يستنصتون والثانية يستصلحون والثالثة يأذنون أو يردون »^(٩) ومنها أن يخالف الجميع بخلق حسن ويعاملهم بحسب طريقته فانه إن أراد لقاء الجاهل بالعلم والأمر بالفقه والعلم بالبيان أدى وتأذى . ومنها أن

(١) حديث لا يدخل الجنة قتات متفق عليه من حديث حذيفة (٢) حديث أبي أيوب لا يحل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاث الحديث متفق عليه (٣) حديث من أقال مسلما عثرته أقاله الله يوم القيامة أبو داود والحاكم وقد تقدم (٤) حديث عائشة ما انتقم رسول الله صلى الله عليه وسلم لنفسه قط إلا أن تصاب حرمة الله فينتقم لله متفق عليه بالفظ إلا أن تنتهك (٥) حديث ما نقص مال من صدقة وما زاد الله رجلاً بعفو إلا عزاً وما تواضع أحد لله إلا رضى الله مسلم من حديث أبي هريرة (٦) حديث طي بن الحسين عن أبيه عن جده اصنع المعروف إلى أهله فان لم تصب أهله فأنت أهله ذكره الدارقطني في العلل وهو ضعيف ورواه القضاة في مسند الشهاب من رواية جعفر بن محمد عن أبيه عن جده مراسلاً بسند ضعيف (٧) حديث طي بن الحسين عن أبيه عن جده رأس العقل بعد الإيمان التودد إلى الناس واصطناع المعروف إلى كل بر وفاجر الطبراني في الأوسط والخطابي في تاريخ الطالبيين وعنه أبو نعيم في الحلية دون قوله واصطناع إلى آخره وقال الطبراني التحجب . (٨) حديث أبي هريرة كان لا يأخذ أحد يده فيزع يده حتى يكون الرجل هو الذي يرسلها الحديث الطبراني في الأوسط بإسناد حسن ولأبي داود والترمذي وابن ماجه نحوه من حديث أنس بسند ضعيف (٩) حديث أبي هريرة الاستئذان ثلاث فالأولى يستنصتون والثانية يستصلحون والثالثة يأذنون أو يردون الدارقطني في الأفراد بسند ضعيف وفي الصحيحين من حديث أبي موسى الاستئذان ثلاث فان أذن لك وإلا فارجع .

أن أهل الدار قد خبروا ما كان عندهم من الدقيق وتركوا الخبر على السرير ينشف فرآه أيوب وكان يصوم الدهر فقال أحمد لابنه صالح ادفع إلى أيوب من الخبز فدفع له رغيفين فردها قال أحمد ضمهما ثم صبر قليلاً ثم قال خذها فالحقه بهما فلحقه فأخذها فرجع صالح متعباً فقال له أحمد عجبت من رده وأخذته قال نعم قال هذا رجل صالح فرأى الخبز فاستشرت نفسه إليه فلما أعطيتاه مع الاستشراف رده ثم أيس فرددناه إليه بعد الإياس قبلاً . هذا حال أرباب الصدق إن سألوا سألوا بعلم وإن أمسكوا عن السؤال أمسكوا بحال وإن قبلوا قبلوا بعلم فن لم يرزق حال الفتوح فله حال السؤال والكسب بشرط العلم فأما السائل

يوقر المشايخ ويرحم الصبيان . قال جابر رضى الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ليس منا من لم يوقر كبيرنا ولم يرحم صغيرنا » (١) قال عليه السلام « من إجلال الله إكرام ذى الشبهة السلم » (٢) ومن تمام توقير المشايخ أن لا يتكلم بين أيديهم إلا بالإذن ، وقال جابر « قدم وفد جهينة على النبي صلى الله عليه وسلم فقام غلام ليتكلم فقال صلى الله عليه وسلم مه فأين الكبير » (٣) وفي الخبر « ما وقر شاب شيخا إلا قبض الله في سنه من يوقره » (٤) وهذه بشارة بدوام الحياة فليتنبه لها فلا يوفق لتوقير المشايخ إلا من قضى الله له بطول العمر ، وقال عليه السلام « لا تقوم الساعة حتى يكون الولد غيظا والطر قبضا ونفيضا والثام فيضا وقبض الكرام غضا وبجترى الصغير على الكبير والثلثم على الكريم » (٥) « والتلطف بالصبيان من عادة رسول الله عليه السلام » (٦) . « كان صلى الله عليه وسلم يقدم من السفر فيلتقاء الصبيان فيقف عليهم ثم يأمرهم فيرفعون إليه فيرفع منهم بين يديه ومن خلفه ويأمر أصحابه أن يحملوا بعضهم » (٧) « فرجما تفاخر الصبيان بذلك فيقول بعضهم لبعض حملني رسول الله صلى الله عليه وسلم بين يديه وحملك أنت ورائه ويقول بعضهم أمر أصحابه أن يحملوك ورائهم » وكان يؤتى بالصبي الصغير ليدعوله بالبركة ويسميه فيأخذه فيضعه في حجره فرجما بال الصبي فيصيح به بعض من يراه فيقول : لا تزرموا الصبي بوله فيدعه حتى يقضى بوله ثم يفرغ من دعائه له وتسميته ويبلغ سرور أهله فيه للآيروا أنه تأذى يوله فاذا انصرفوا غسل ثوبه بعده » (٨) « ومنها أن يكون

مستكرا فوق الحاجة لافي وقت الضرورة فليس من الصوفية بشيء . مع عمر رضى الله عنه سائلا يسأل فقال لمن عنده ألم أقل لك عني السائل فقال قد عشيت فظهر عمر فاذا تحت إبطه حلاوة مملوءة خبزاً فقال عمر ألك عيال فقال لا فقال عمر لست بسائل ولكنك تاجر ثم ثر محلاته بين يدي أهل الصدقة وضربه بالقدرة وروى عن علي بن أبي طالب رضى الله عنه قال إن الله تعالى في خلقه مثنوبات وهروغوبات هرففن علامة الفقر إذا كان مثنوبة أن يحسن خلقه وبطبع ربه ولا يشكو حاله ويشكر الله تعالى على فقره ومن علامة الفقر إذا كان عقوبة أن يسوء خلقه ويسعى ربه ويكثر الشكاية ويستخط للقضاء فحال الصوفية حسن الأدب

(١) حديث جابر ليس منا من لم يوقر كبيرنا ويرحم صغيرنا الطبراني في الأوسط بسند ضعيف وهو عند أبي داود والبخاري في الأدب من حديث عبد الله بن عمرو بسند حسن (٢) حديث من إجلال الله إكرام ذى الشبهة السلم أبو داود من حديث أبي موسى الأشعري باسناد حسن (٣) حديث جابر قدم وفد جهينة على النبي صلى الله عليه وسلم فقام غلام ليتكلم فقال صلى الله عليه وسلم مه فأين الكبير الحاكم وصححه (٤) حديث ما وقر شاب شيخا لسنه إلا قبض الله في سنه من يوقره الترمذي من حديث أنس بلفظ ما أكرم ومن يكرمه وقال حديث غريب وفي بعض النسخ حسن وفيه أبو الرجال وهو ضعيف (٥) حديث لا تقوم الساعة حتى يكون الولد غيظا والطر قبضا الحديث الخرائطي في مكارم الأخلاق من حديث عائشة والطبراني من حديث ابن مسعود وإسنادهما ضعيف (٦) حديث التلطف بالصبيان البراز من حديث أنس كان من أفكه الناس مع صبي وقد تقدم في النكاح وفي الصحيحين يا أبا عمير ما فعل النضر وغير ذلك (٧) حديث كان يقدم من السفر فيلتقاء الصبيان فيقف عليهم ثم يأمرهم فيرفعون إليه الحديث مسلم من حديث عبد الله بن جعفر كان إذا قدم من سفر تلقى بنا قال فيأتي بي وبالحسن وقال فحمل أحدهما بين يديه والآخر خلقه وفي رواية تلقى بصبيان أهل بيته وأنه قدم من سفر فسبقني إليه فحملني بين يديه ثم جرى بأحد ابني فاطمة فأردفه خلقه وفي الصحيحين أن عبد الله بن جعفر قال لابن الزبير أتذكر إذ تلقينا رسول الله صلى الله عليه وسلم أنا وأنت وابن عباس قال نعم فحملنا وتركك لفظ مسلم وقال البخاري إن ابن الزبير قال لابن جعفر فأنشأ علم (٨) حديث كان يؤتى بالصبي الصغير ليدعوله بالبركة ويسميه فيأخذه ويضعه في حجره فرجما بال الصبي فيصيح به بعض من رآه الحديث مسلم من حديث عائشة كان يؤتى بالصبيان فيبرك عليهم ويحسبهم فأتى بصبي فقال عليه فدعا بماء فأتبعه بوله ولم يسله وأصله متفق عليه وفي رواية لأحمد في دعولهم وفيه صوابا عليه الماء صبا ولقد ارقطى بال ابن الزبير على النبي صلى الله عليه وسلم فأخذه أخذا عنيما الحديث وفيه الحاجب بن أرقطه ضعيف ولأحمد بن منيع من حديث حسن بن علي عن امرأة منهم بينا رسول الله صلى الله عليه وسلم مستلقيا على ظهره يلاعب صبيا إذ بال فقامت لتأخذه وتضربه فقال دعيه اتوني بكوز

مع كافة الخلق مستبشرا طلق الوجه رفيقا . قال صلى الله عليه وسلم « أتدرون على من حرمت النار قالوا الله ورسوله أعلم قال على الذين الهين السهل القريب ^(١) » وقال أبو هريرة رضي الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن الله يحب السهل الطلق الوجه ^(٢) » وقال بعضهم : يا رسول الله دلني على عمل يدخلني الجنة . فقال « إن من موجبات المغفرة بذل السلام وحسن الكلام ^(٣) » وقال عبد الله بن عمر إن البرة شيء هين وجهه طلق وكلام لين وقال ^(٤) « اتقوا النار ولو بشق تمرة فمن لم يجد فبكرة طيبة ^(٥) » وقال صلى الله عليه وسلم « إن في الجنة نرفا يرى ظهورها من بطونها وبطونها من ظهورها : قال أعرابي لمن هي يا رسول الله ؟ قال « لمن أطاب الكلام وأطعم الطعام وصلى بالليل والناس نيام ^(٦) » وقال معاذ بن جبل قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم « أوصيك بتقوى الله وصدق الحديث ووفاء العهد وأداء الأمانة وترك الخيانة وحفظ الجار ورحمة اليتيم ولين الكلام وبذل السلام وخفض الجناح ^(٧) » وقال أنس رضي الله عنه « عرضت لنبي الله صلى الله عليه وسلم امرأة وقالت : لي معك حاجة وكان معه ناس من أصحابه فقال اجلسي في أي نواحي السكك شئت أجلس إليك فجلست لجلس الباهقي فقتت حاجتها ^(٨) » وقال وهب بن منبه إن رجلا من بني إسرائيل صام سبعين سنة يفطر في كل سبعة أيام فسأل الله تعالى أنه يريه كيف ينوى الشيطان الناس فلما طال عليه ذلك ولم يجب قال لو اطلعت على خطيئتي وذنبتي بيني وبين ربّي لكان خيرا لي من هذا الأمر الذي طلبته فأرسل الله إليه ملكا فقال له إن الله أرسلني إليك وهو يقول لك إن كلامك هذا الذي تكلمت به أحب إلى مما مضى من عبادتك وقد فتح الله بصرك فانظر فتنظر فإذا جنود إبليس قد أحاطت بالأرض وإذا ليس أحد من الناس إلا والشياطين حوله كالذئباب فقال أي رب من ينجو من هذا قال الورع الأمين . ومنها أن لا يمد مسلما بوعدا ولا يفي به قال ^(٩) « المدة عطية ^(١٠) » وقال « المدة دين ^(١١) » وقال « ثلاث في المنافق إذا حدث كذب وإذا وعد أخلف وإذا ائتمن خان ^(١٢) » وقال « ثلاث من كن فيه فهو منافق وإن صام وصلى ^(١٣) » وذكر ذلك

من ماء الحديث وإسناده صحيح ^(١) حديث أتدرون على من حرمت النار قالوا الله ورسوله أعلم قال الهين الذين السهل القريب الترمذي من حديث ابن مسعود لم يقل الهين وذكرها الخرائطي من رواية محمد بن أبي معيقب عن أمه قال الترمذي حسن غريب ^(٢) حديث أبي هريرة إن الله يحب السهل الطلق البيهقي في شعب الإيمان بسند ضعيف ورواه من رواية موريق العجلي مرسل ^(٣) حديث إن من موجبات المغفرة بذل السلام وحسن الكلام ابن أبي شيبة في مصنفه والطبراني والخرائطي في مكارم الأخلاق واللفظ والبيهقي في شعب الإيمان من حديث هانيء بن يزيد باسناد جيد ^(٤) حديث اتقوا النار ولو بشق تمرة الحديث متفق عليه من حديث عدي بن حاتم وتقديم الزكاة ^(٥) حديث إن في الجنة نرفا يرى ظهورها من بطونها وبطونها من ظهورها الحديث الترمذي من حديث على وقال حديث غريب . قلت وهو ضعيف ^(٦) حديث معاذ أوصيك بتقوى الله وصدق الحديث الخرائطي في مكارم الأخلاق والبيهقي في كتاب الزهد وأبو نعيم في الحلية ولم يقل البيهقي وخفض الجناح وإسناده ضعيف ^(٧) حديث أنس عرضت لرسول الله صلى الله عليه وسلم امرأة وقالت لي معك حاجة فقال اجلسي في أي نواحي السكك شئت أجلس إليك الحديث رواه مسلم ^(٨) حديث المدة عطية الطبراني في الأوسط من حديث قباث بن أشيم بسند ضعيف ^(٩) حديث المدة دين الطبراني في معجمه الأوسط والأصغر من حديث على وابن مسعود بسند فيه جهالة ورواه أبو داود في المراسيل ^(١٠) حديث ثلاث في المنافق إذا حدث كذب وإذا وعد أخلف وإذا ائتمن خان متفق عليه من حديث أبي هريرة نحوه ^(١١) حديث ثلاث من كن فيه فهو منافق وإن صام وصلى البخاري من حديث أبي هريرة

في السؤال والفتوح والصدق مع الله على كل حال كيف تطلب [الباب الحادي والعشرون في شرح حال التجرد والتأهل من الصوفية وصحة مقاصدم]

الصوفي يتزوج لله كما يتجرد لله فلتجرده مقصد وأوان ولذاهله مقصد وأوان والصادق يصلح أوان التجرد والتأهل لأن الطبع الجлож للصوفي ملجم بلجام العلم مهما يصلح له التجرد لا يستجمله الطبع إلى التزوج ولا يقدم على التزوج إلا إذا انفصلت النفس واستحقت إدخال الرفق عليها وذلك إذا صارت منقادة مطوعة بحجة إلى ما يراد منها بمثابة الطفل الذي يتأهده بما يروق له ويمنع عما يضره فإذا صارت النفس محكومة مطوعة فقد قامت إلى أمر الله وتصلت عن مشاحة

ومن أن ينصف الناس من نفسه ولا يأتي إليهم إلا بما يحب أن يؤتى إليه قال صلى الله عليه وسلم
 « لا يستكمل العبد الإيمان حتى يكون فيه ثلاث خصال : الاتفاق من الاقتار والانصاف من نفسه
 وبذل السلام ^(١) » وقال عليه السلام « من سره أن يزحزح عن النار ويدخل الجنة فلتأته منيته
 وهو يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله وليؤت إلى الناس ما يحب أن يؤتى إليه ^(٢) » وقال
 صلى الله عليه وسلم « يا أبا الدرداء أحسن مجاورة من جاورك تكن مؤمناً وأحب للناس ما عيب نفسك
 تكن مسلماً ^(٣) » قال الحسن : أوحى الله تعالى إلى آدم صلى الله عليه وسلم بأربع خصال وقال فيهن :
 جماع الأمر لك ولولئك واحدة لي وواحدة لك وواحدة بيني وبينك وواحدة بينك وبين الخلق
 فأما التي لي تعبدني ولا تشرك بي شيئاً وأما التي لك فصملك أجزيك به أقصر ما تكون إليه وأما التي
 بيني وبينك فعليك الدعاء وعلى الإجابة وأما التي بينك وبين الناس فتصحبهم بالذي تحب أن يصحبوك
 به وسأل موسى عليه السلام الله تعالى فقال أي رب أي عبادك أعدك من أنصف من نفسه .
 ومثما أن يزيد في توقير من تدل هيئته وثيابه على علو منزلته فيترى الناس منازلهم روى أن عائشة
 رضى الله عنها كانت في سفر فزلت منزلاً فوضعت طعامها فجاء سائل فقالت عائشة ناولوا هذا المسكين
 قرصاً ثم مر رجل على دابة فقالت ادعوه إلى الطعام فقبل لها تعطين المسكين وتدعين هذا الذي
 فقالت إن الله تعالى أنزل الناس منازل لا بد لنا من أن نزلهم تلك المنازل هذا المسكين رضى بقرص
 وقبيح بنا أن نعطي هذا الذي على هذه الهيئة قرصاً وروى أنه صلى الله عليه وسلم دخل بعض بيوت
 فدخل عليه أصحابه حتى غص المجلس وامتلاً فجاء جرير بن عبد الله البجلي فلم يجد مكاناً فقعده على
 الباب فلف رسول الله صلى الله عليه وسلم رداءه فألقاه إليه وقال له اجلس على هذا فأخذ جرير ووضع
 على وجهه وجعل يقبله ويبكي ثم لفه ورمى به إلى النبي صلى الله عليه وسلم وقال ما كنت لأجلس على
 ثوبك أكرمك الله كما أكرمتني فنظر النبي صلى الله عليه وسلم فيهما ثم قال « إذا أتاكم كريم
 قوم فأكرموه ^(٤) » وكذلك كل من له عليه حق فليكرمه ، روى « أن ظر رسول الله صلى الله
 عليه وسلم أتى أرضه جاءت إليه فبسط لها رداءه ثم قال لها مرحبا بأبي ثم أجلسها على الرداء
 ثم قال لها اشفعي تشفني وسلي تعطى فقالت قومي فقال أما حق وحق بنى هاشم فلو لك مقام الناس من كل
 ناحية وقالوا وحقنا يا رسول الله ثم وصلها بعد وأخدمها ووهب لها سمانه بخين ^(٥) » فبيع ذلك
 من عثمان بن عفان رضى الله عنه بمائة ألف درهم « ولربما آتاه من يأتيه وهو على وسادة

وأصله متفق عليه ولفظ مسلم وإن صام وصلى وزعم أنه مسلم وهذا ليس في البخاري ^(١) حديث
 لا يستكمل العبد الإيمان حتى يكون فيه ثلاث خصال الاتفاق من الاقتار والانصاف من نفسه
 وبذل السلام الخرائطي في مكارم الأخلاق من حديث عمار بن ياسر ووقف البخاري عليه
^(٢) حديث من سره أن يزحزح عن النار فلتأته منيته وهو يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً
 رسول الله وليأت إلى الناس ما يحب أن يؤتى إليه مسلم من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص
 نحوه والخرائطى في مكارم الأخلاق بلفظه ^(٣) حديث يا أبا الدرداء أحسن مجاورة من جاورك تكن
 مؤمناً وأحب للناس ما تحب لنفسك تكن مسلماً الخرائطي في مكارم الأخلاق بسند ضعيف
 والمعروف أنه قاله لأبي هريرة وقد تقدم ^(٤) حديث إذا أتاكم كريم قوم فأكرموه وفي أوله قصة
 في قدوم جرير بن عبد الله الحاكم من حديث جابر وقال صحيح الإسناد وتقدم في الزكاة مختصراً
^(٥) حديث إن ظر رسول الله صلى الله عليه وسلم أتى أرضه جاءت إليه فبسط لها رداءه الحديث
 أبو داود والحاكم وصححه من حديث أبي الطفيل مختصراً في بسط رداءه لها دون ما بعده .

القلب فيصلح بينهما
 بالعدل وينظر في أمرهما
 بالقسط ومن صبر من
 الصوفية على العزوبة
 هذا الصبر إلى حين
 بلوغ الكتاب أجله
 ينتخب له الزوجة انتخاباً
 ويهيء الله له أعواناً
 وأسباباً وينعم برفيق
 يدخل عليه ورزق
 يساق إليه متى استعجل
 للرشد واستغفره الطبع
 وخامره الجهل بثوران
 دخان الشهوة المطفئة
 لشعاع العلم وانخط من
 أوج العزيمة الذي هو
 قضية حاله وموجب
 إرادته وشريطة صدق
 طلبه إلى حضيض
 الرخصة التي هي رحمة
 من الله تعالى لعامة خلقه
 يحكم عليه بالنقصان
 ويشهد له بالخسران
 ومثل هذا الاستعجال
 هو حضيض الرجال
 قال سهل بن عبد الله
 التستري إذا كان للمديد
 مال يتوقع به زيادة
 فدخل عليه الابتلاء
 فرجوعه في الابتلاء

جالس ولا يكون فيها سمة يجلس معه فيزعمها ويضعها تحت الذي يجلس إليه فان أبي عزم عليه حق فعل^(١) . ومنها أن يصلح ذات البين بين المسلمين مهما وجد إليه سبيلا قال صلى الله عليه وسلم « ألا أخبركم بأفضل من درجة الصلاة والصيام والصدقة قالوا بلى قال إصلاح ذات البين وفساد ذات البين هي الحاقة^(٢) » وقال صلى الله عليه وسلم « أفضل الصدقة إصلاح ذات البين^(٣) » وعن النبي صلى الله عليه وسلم فيما رواه أنس رضي الله عنه قال « بينما رسول الله صلى الله عليه وسلم جالس إذ ضحك حتى بدت ثناياه فقال عمر رضي الله عنه يا رسول الله بأبي أنت وأمي ما الذي أضحكك قال رجلان من أمي جثيا بين يدي رب العزة فقال أحدهما يارب خذني مظلمتي من هذا فقال الله تعالى رد علي أخيك مظلمته فقال يارب لم يبق لي من حسناتي شيء فقال الله تعالى للطالب كيف تصنع بأخيك ولم يبق له من حسناته شيء فقال يارب فليحمل عني من أوزاري ثم فاضت عينا رسول الله صلى الله عليه وسلم بالبكاء فقال إن ذلك ليوم عظيم يوم يحتاج الناس فيه إلى أن يحمل عنهم من أوزارهم قال فيقول الله تعالى أي للمتظلم ارفع بصرك فانظر في الجنان فقال يارب أرى مدائن من فضة وقصور من ذهب مكدلة بالؤلؤ لأى نبى هذا أولأى صديق أولأى شهيد قال الله تعالى هذا لمن أعطى الثمن قال يارب ومن يملك ذلك قال أنت تملكه قال بماذا يارب قال بعفوك عن أخيك قال يارب قد عفوت عنه فيقول الله تعالى خذ يد أخيك فأدخله الجنة ثم قال صلى الله عليه وسلم اتقوا الله وأصلحوا ذات بينكم فان الله تعالى يصلح بين المؤمنين يوم القيامة^(٤) » وقد قال صلى الله عليه وسلم « ليس بكذاب من أصلح بين اثنين فقال خيرا^(٥) » وهذا يدل على وجوب الإصلاح بين الناس لأن ترك الكذب واجب ولا يقط الواجب إلا بواجب آكد منه قال صلى الله عليه وسلم « كل الكذب مكتوب إلا أن يكذب الرجل في الحرب فان الحرب خدعة أو يكذب بين اثنين فيصلح بينهما أو يكذب لامرأته ليرضيها^(٦) » . ومنها أن تستر عورات المسلمين كلهم قال صلى الله عليه وسلم « من ستر على مسلم ستره الله تعالى في الدنيا والآخرة^(٧) » وقال « لا يستر عبدا إلا ستره الله يوم القيامة^(٨) »

(١) حديث نزع صلى الله عليه وسلم وسادته ووضعها تحت الذي يجلس إليه أحمد من حديث ابن عمرو أنه دخل عليه صلى الله عليه وسلم فالتقى إليه وسادة من آدم حشوها ليف الحديث وإسناده صحيح والطبراني من حديث سلمان دخلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو متكئ على وسادة نألقاه إلى الحديث وسنده ضعيف قال صاحب اللباز هذا خبر ساقط (٢) حديث ألا أخبركم بأفضل من درجة الصيام والصلاة والصدقة قالوا بلى قال إصلاح ذات البين وفساد ذات البين الحاقة أبو داود والترمذي وصححه من حديث أبي الدرداء (٣) حديث أفضل الصدقة إصلاح ذات البين الطبراني في الكبير والحرائط في مكارم الأخلاق من حديث عبد الله بن عمرو وفيه عبد الرحمن بن زياد الأفريقي ضعفه الجمهور (٤) حديث أنس بينما رسول الله صلى الله عليه وسلم جالس إذ ضحك حتى بدت ثناياه فقال عمر يا رسول الله بأبي وأمي ما الذي أضحكك قال رجلان من أمي جثيا بين يدي الله عز وجل قال أحدهما يارب خذ لي مظلمتي من هذا الحديث الحرائط في مكارم الأخلاق والحاكم وقال صحيح الاسناد وكذا أبو يعلى الوصلى خرج به بطول وضعفه البخاري وابن حبان (٥) حديث ليس بكذاب من أصلح بين اثنين فقال خيرا أو نعى خيرا متفق عليه من حديث أم كلثوم بنت عقبة بن أبي معيط (٦) حديث كل الكذب مكتوب إلا أن يكذب الرجل في الحرب الحديث الحرائط في مكارم الأخلاق من حديث النواس ابن سمعان وفيه انقطاع وضعف ولمسلم نحوه من حديث أم كلثوم بنت عقبة (٧) حديث من ستر على مسلم ستره الله في الدنيا والآخرة مسلم من حديث أبي هريرة وللشيخين من حديث ابن عمر من ستر مسلما ستره الله يوم القيامة (٨) حديث لا يستر عبدا إلا ستره الله يوم القيامة مسلم من حديث أبي هريرة أيضا .

إلى حال دون ذلك نقصان وحدث وصحت بعض الفقهاء وقد قبل له لم لا تزوج فقال لارأه لا تصلح إلا للرجال وأنا ما بلغت مبلغ الرجال فكيف أتزوج فالصادقون لهم أوان بلوغ عنده يتزوجون وقد تعارضت الأخبار وتماثلت الآثار في فضيلة التجريد والتزويج وتنوع كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم في ذلك لتنوع الأحوال فمنهم من فضيلته في التجريد ومنهم من فضيلته في التأهل وكل هذا التعارض في حق من نازن وقائه برد وسلام لكامل تقواه وقهره هوام وإلا ففي غير هذا الرجل الذي يخاف عليه الفتنة يجب النكاح في حال التوقان الفرط ويكون الخلاف بين الأئمة في غير النائق فالصوفي إذا صار متأهلا يتعين على الاخوان معاوته

وقال أبو سعيد الخدري رضي الله عنه قال صلى الله عليه وسلم «لا يرى المؤمن من أخيه عورة فيسترها عليه إلا دخل الجنة» (١) وقال عليه السلام لما أخبره «لو سترته بثوبك كان خيرا لك» (٢) فإذا نحل للمسلم أن يستر عورة نفسه لحق إسلامه واجب عليه حتى إسلام غيره قال أبو بكر رضي الله عنه لو وجدت ثوبا لأحببت أن يستره الله ولو وجدت سارقا لأحببت أن يستره الله وروى أن عمر رضي الله عنه كان يسر بالمدينة ذات ليلة فرأى رجلا وامرأة على فاحشة فلما أصبح قال للناس أرايتم لو أن إماما رأى رجلا وامرأة على فاحشة فأقام عليهما الحد ما كنتم فاعلين قالوا إنما أنت إمام فقال على رضي الله عنه ليس ذلك لك إذا أقام عليك الحد إن الله لم يأمن على هذا الأمر أقل من أربعة شهود ثم تركهم ماشاء الله أن يتركهم ثم سأله فقال القوم مثل مقاتلهم الأولى فقال على رضي الله عنه مثل مقاتلهم الأولى وهذا يشير إلى أن عمر رضي الله عنه كان مترددا في أن الهوى هل له أن يقضى ببله في حدود الله فذلك راجعهم في معرض التقدير لا في معرض الإخبار خيفة من أن لا يكون له ذلك فيكون قاذفا بإخباره ومال رأي على إلى أنه ليس له ذلك وهذا من أعظم الأدلة على طلب الشرع لستر الفواحش فإن أخشها الزنا وقد نيط بأربعة من العدول يشاهدون ذلك منه في ذلك منها كالرود في المسكلة وهذا قط لا ينق وإن علمه القاضي تحقيقا لم يكن له أن يكشف عنه فانظر إلى الحكمة في حسم باب الفاحشة بإيجاب الرجم الذي هو أعظم العقوبات ثم انظر إلى كيف ستر الله كيف أسبله على العصاة من خلقه بتضييق الطريق في كشفه فترجو أن لا نحرّم هذا الكرم يوم تبلى السرائر ففي الحديث «إن الله إذا ستر على عبد عورته في الدنيا فهو أكرم من أن يكشفها في الآخرة وإن كشفها في الدنيا فهو أكرم من أن يكشفها مرة أخرى» (٣) وعن عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه قال خرجت مع عمر رضي الله عنه ليلة في المدينة فبينما نحن نمشي إذ ظهر لنا سراج فانطلقنا نؤمّه فلما دنونا منه إذا باب مغلق على قوم لهم أصوات ولنط فأخذ عمر يدي وقال أتدري بيت من هذا؟ قلت لا فقال هذا بيت ربيعة بن أمية بن خلف صوم الآن شرب فأتري؟ قلت: أرى أنا قد أتينا ما هنا الله عنه قال الله تعالى - ولا نجسسوا - فرجع عمر رضي الله عنه وتركهم وهذا يدل على وجوب السر وترك التبصع وقد قال صلى الله عليه وسلم لمعاوية «إنك إن تبصعت عورات الناس أفسدتهم أوكدت نفسك» (٤) وقال صلى الله عليه وسلم «يا معشر من آمن بلسانه ولم يدخل الإيمان في قلبه لا تغتابوا المسلمين ولا تتبعوا عوراتهم فإنه من يتبع عورة أخيه المسلم يتبع عورة الله عورته ومن يتبع الله عورته يفضحه ولو كان في جوف بيته» (٥) وقال أبو بكر الصديق رضي الله عنه لو رأيت أحدا على حد من حدود الله تعالى

(١) حديث أبي سعيد الخدري لا يرى امرؤ من أخيه عورة فيسترها عليه إلا دخل الجنة الطبراني في الأوسط والصغير والحرائط في مكارم الأخلاق واللفظ له بسند ضعيف (٢) حديث لو سترته بثوبك كان خيرا لك أبو داود والفسائي من حديث نعيم بن هزال والحاكم من حديث هزال نفسه وقال صحيح الاسناد ونعيم مختلف في صحته (٣) حديث إن الله إذا ستر على عبده عورة في الدنيا فهو أكرم من أن يكشفه في الآخرة الحديث الترمذي وابن ماجه والحاكم من حديث على من أذنب ذنبا في الدنيا فستره الله عليه وعفا عنه فأنه أكرم من أن يرجع في شيء قد عفا عنه ومن أذنب ذنبا في الدنيا فبوقب عليه فأنه أعذر من أن ينش العقوبة على عبده لفظ الحاكم وقال صحيح على شرط الشيخين والمسلم من حديث أبي هريرة لا ستر الله على عبد في الدنيا إلا ستره يوم القيامة (٤) حديث إنك إن تبصعت عورات الناس أفسدتهم أوكدت نفسك قاله لمعاوية أبو داود بأسناد صحيح من حديث معاوية (٥) حديث يا معشر من آمن بلسانه ولم يدخل الإيمان قلبه لا تغتابوا المسلمين ولا تتبعوا عوراتهم الحديث أبو داود من حديث أبي برزة بأسناد جيد والترمذي نحوه من حديث ابن عمرو وحسنه .

بالإيثار ومساعدته في الاستكثار إذا رأى ضعيف الحال قاصرا عن رتبة الرجال كما وصفتنا من صبر من صبر حتى ظفر لما بلغ الكتاب أجله. أخبرنا أبو زرعة عن والده أبي الفضل القدسي الحافظ قال أنا أبو محمد عبد الله بن محمد الخطيب قال أنا أبو الحسين محمد بن عبيد الله ابن أخي ميمى قال أنا أبو القاسم عبيد الله ابن محمد بن عبد العزيز قال حدثنا محمد ابن هرون قال أنا أبو المغيرة قال حدثنا صفوان بن عمرو قال حدثنا عبد الرحمن ابن جبير عن أبيه عن عوف بن مالك قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا جاءه في نفسه في يومه فأعطى التأهل حطين والمزب حظا واحدا فدعينا وكنت أدعى قبل عمار بن ياسر

ما أخذته ولا دعوت له أحدا حتى يكون معي غيري وقال بعضهم كنت قاعدا مع عبد الله بن مسعود رضي الله عنه إذ جاءه رجل بآخر فقال هذا نشوان فقال عبد الله بن مسعود استنكوهوا فاستنكوهوه فوجده نشوانا فحبسه حتى ذهب سكره ثم دعا بسوط فسكر ثم قال للجناد اجلده وارفع يدك وأعط كل عضو حقه فجلبده وعليه قباء أو مرط فلما فرغ قال للذي جاء به ما أنت منه قال همه قال عبد الله ما أدبت فأحسن الأدب ولا سرت الحرمة إنه ينبغي للامام إذا انتهى إليه حد أن يقيه وإن الله غفور يحب العفو ثم قرأ - وليعفوا وليصفحوا - ثم قال «إني لأذكر أول رجل قطعه النبي ﷺ أي بسارق فقطعه فكأنما أسف وجهه فقالوا يا رسول الله كأنك كرهت قطعه فقال وما يعني لا تكونوا عوناً للشياطين على أخيكم فقالوا ألا عفوت عنه فقال إنه ينبغي للسلطان إذا انتهى إليه حد أن يقيه إن الله غفور يحب العفو ثم قرأ - وليعفوا وليصفحوا ألا تحبون أن يغفر الله لكم والله غفور رحيم- (١) وفي رواية فكأنما سني في وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم رماد لشدة تقيده وروى أن عمر رضي الله عنه كان يس بالمدينة من الليل فسمع صوت رجل في بيت يتخفى فتدور عليه فوجد عنده امرأة وعنده خمر فقال ياعدواؤه أظننت أن الله يسترك وأنت على محبته فقال وأنت يا أمير المؤمنين فلا تسجل فإن كنت قد عصيت الله واحدة فقد عصيت الله في ثلاثا قال الله تعالى - ولا تجسسوا - وقد تجسست وقال الله تعالى - وليس البر بأن تأتوا البيوت من ظهورها - وقد تسورت على وقد قال الله تعالى - لا تدخلوا بيوتا غير بيوتكم - الآية وقد دخلت بيتي غير إذن ولا سلام فقال عمر رضي الله عنه هل عندك من خير إن عفوت عنك قال نعم والله يا أمير المؤمنين لن عفوت عني لأعود إلى مثلها أبدا فصاعته وخرج وتركه وقال رجل لعبد الله بن عمر يا أبا عبد الرحمن كيف سمعت رسول الله ﷺ يقول في النجوى يوم القيامة قال سمعته يقول «إن الله يلدني منه للؤمن فيضع عليه كنفه ويستره من الناس فيقول أتعرف ذنب كذا أتعرف ذنب كذا فيقول نعم يارب حتى إذا قرره بذنوبه فرأى في نفسه أنه قد هلك قال له يا عبدني إني لم أسترها عليك في الدنيا إلا وأنا أريد أن أغفرها لك اليوم فيعطى كتاب حسناته وأما الكافرون وللناقصون فيقول الأشهاد هؤلاء الذين كذبوا على ربهم ألألئنة الله على الظالمين (٢) » وقد قال صلى الله عليه وسلم «كل أمي معافي إلا المجاهرين (٣) » وإن من المجاهرة أن يعمل الرجل سوءا ثم يخبر به وقال صلى الله عليه وسلم «من استمع خبر قوم وهم له كارهون صب في أذنه الآنك يوم القيامة (٤) » ومنها أن يتقى مواضع التهم صيانة لقلوب الناس عن سوء الظن ولألسنتهم عن الغيبة فانهم إذا عصوا الله بذكركم وكان هو السبب فيه كان شريكا قال الله تعالى - ولا تسبوا الذين يدعون من دون الله فيسبوا الله عدوا بغير علم - وقال صلى الله عليه وسلم «كيف ترون من يسب أبويه فقالوا وهل من أحد يسب أبويه ؟ فقال نعم يسب أبوي غيره فيسبون أبويه (٥) » وقد روى عن أنس بن مالك رضي الله عنه

(١) حديث ابن مسعود إني لأذكر أول رجل قطعه النبي صلى الله عليه وسلم أي بسارق فقطعه فكأنما أسف وجه رسول الله ﷺ الحديث رواه الحاكم وقال صحيح الإسناد وللخرائطي في مكارم الأخلاق فكأنما سني في وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم رماد الحديث (٢) حديث ابن عمر إن الله عز وجل يلدني للؤمن فيضع عليه كنفه ويستره من الناس فيقول أتعرف ذنب كذا أتعرف ذنب كذا الحديث متفق عليه (٣) حديث كل أمي معافي إلا المجاهرين الحديث متفق عليه من حديث أبي هريرة (٤) حديث من استمع من قوم وهم له كارهون صب في أذنيه الآنك يوم القيامة البخاري من حديث ابن عباس مرفوعا وموقوفا عليه وعلى أبي هريرة أيضا (٥) حديث كيف ترون من سب أبويه فقالوا وهل من أحد يسب أبويه الحديث متفق عليه من حديث عبد الله بن عمرو ونحوه .

فأعطاني حظين وأعطاه حظا واحدا فمسخ حظي عرف ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم في وجهه ومن خضره فبقيت معه سلسلة من ذهب فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يرفعها بطرف عصاه وتسقط وهو يقول كيف أنتم يوم يكثر لكم من هذا فلم يجبه أحد فقال عمار ودنا يا رسول الله لو قد أكرتكم من هذا فالتجرد عن الأزواج والأولاد أعون على الوقت للفقير وأجمع لحمه وأتة ليشه ويصلح للفقير في ابتداء أمره قطع الملائق ومحو العوائق والتنقل في الأسفار وركوب الأخطار والتجرد عن الأسباب والخروج عن كل ما يكون حجابا والتزوج إعطاط من العزيمة إلى الرخص ورجوع من التروح إلى النفس وتقيد

« أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كلم إحدى نساؤه فمر به رجل فدعاه رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال يا فلان هذه زوجتي صفية فقال يا رسول الله من كنت أظن فيه فاني لم أكن أظن فيك فقال إن الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم ^(١) » وزاد في رواية « إني خشيت أن يقذف في قلوبكما شيئا وكنا رجلين فقال علي رسلكما إنها صفية ^(٢) » الحديث وكانت قد زارته في العشر الأواخر من رمضان وقال عمر رضي الله عنه من أقام نفسه مقام النهم فلا يلومن من أساء به الظن ومر برجل يكلم امرأة على ظهر الطريق فعلاه بالدرة فقال يا أمير المؤمنين : إنها امرأتى فقال هلا حيث لا يراك أحد من الناس ؟ . ومنها أن شفع لكل من له حاجة من المسلمين إلى من له عنده منزلة ويسمى في قضاء حاجته بما يقدر عليه قال صلى الله عليه وسلم « إني أوتي وأسأل وتطلب إلى الحاجة وأنتم عندي فاشفعوا لتؤجروا ويقضى الله على يدي نبيي ما أحب ^(٣) » وقال معاوية قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « اشفعوا إلى تؤجروا إني أريد الأمر وأؤخره كي تشفعوا إلى فتؤجروا ^(٤) » وقال صلى الله عليه وسلم « ما من صدقة أفضل من صدقة اللسان قيل وكيف ذلك ؟ قال الشفاعة يحقن بها الدم وتجربها المنفعة إلى آخر ويدفع بها المكروه عن آخر ^(٥) » وروى عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما « أن زوج بريرة كان عبدا يقال له مغيث كآني أنظر إليه خلفها وهو يبكي ودموعه تسيل على لحيته فقال صلى الله عليه وسلم للعباس ألا تعجب من شدة حب مغيث لبريرة وشدة بغضها له فقال النبي صلى الله عليه وسلم لوراجعتي فائه أبوولئك قتالت يا رسول الله أتأمرني فأفعل فقال لا إنما أنا شافع ^(٦) » ومنها أن يبدأ كل مسلم منهم بالسلام قبل الكلام ويصافحه عند السلام قال صلى الله عليه وسلم « من بدأ بالكلام قبل السلام فلا تجيبوه حتى يبدأ بالسلام ^(٧) » وقال بعضهم « دخلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم أسلم ولم أسلم عليه وسلم ارجع فقل السلام عليكم وادخل ^(٨) » وروى جابر رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ « إذا دخلتم بيوتكم فسلموا على أهلها فان الشيطان إذا سلم أحدكم لم يدخل بيته ^(٩) » وقال أنس رضي الله عنه « خدمت النبي صلى الله عليه وسلم ثمان حجج فقال لي يا أنس أسبغ الوضوء يزد في عمرك وسلم على

بالأولاد والأزواج ودوران حول مظان الاعوجاج والتفات إلى الدنيا بعد الزهادة وانعطاف على الهوى بمقتضى الطبيعة والعادة. قال أبو سليمان إلهدار أن ثلاث من طلبهن فقد ركن إلى الدنيا من طلب معاشا أو تزوج امرأة أو كتب الحديث . وقال ما رأيت أحدا من أصحابنا تزوج فثبت على مرتبته . أخبرنا الشيخ طاهر قال أنا والدي أبو الفضل قال أنا محمد بن اسمعيل القمري قال أنا أحمد بن الحسن قال أنا حاجب الطوسي قال حدثنا عبد الرحيم قال حدثنا القزاري عن سليمان التيمي عن أبي عثمان التهدي عن أسامة بن زيد رضي الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ما تركت بعدى فتنة أضرب على

(١) حديث أنس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كلم إحدى نساؤه فمر به رجل فدعاه فقال يا فلان هذه زوجتي صفية وفيه إن الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم رواه مسلم (٢) حديث إني خشيت أن يقذف في قلوبكما شيئا وقال علي رسلكما إنها صفية من حديث صفية (٣) حديث إني أوتي وأسأل وتطلب إلى الحاجة وأنتم عندي فاشفعوا لتؤجروا الحديث متفق عليه من حديث أبي موسى نحوه (٤) حديث ما من صدقة أفضل من صدقة اللسان الحديث الخرائطي في مكارم الأخلاق واللفظ له والطبراني في الكبير من حديث سمرة بن جندب بسند ضعيف (٥) حديث عكرمة عن ابن عباس أن زوج بريرة كان عبدا يقال له مغيث كآني أنظر إليه خلفها يبكي الحديث رواه البخاري . (٦) حديث من بدأ بالكلام قبل السلام فلا تجيبوه الحديث الطبراني في الأوسط وأبو نعيم في اليوم والليلة واللفظ له من حديث ابن عمر بسند فيه لين (٧) حديث دخلت على رسول الله ﷺ ولم أسلم ولم أستأذن فقال ﷺ ارجع فقل السلام عليكم أ أدخل أبو داود والترمذي وحسنه من حديث كلدة بن الحنبل وهو صاحب القصة (٨) حديث جابر إذا دخلتم بيوتكم فسلموا على أهلها فان الشيطان إذا سلم أحدكم لم يدخل بيته الخرائطي في مكارم الأخلاق وفيه ضعف .

[٩] هذا الحديث ساقط عند العراقي وهو من رواية أبي داود والنسائي وابن عساکر من طريق همام بن منبه عن معاوية كافي الشارح اهـ .

من لقيته من أمتي تكثر حسناتك وإذا دخلت منزلك فسلم على أهل بيتك يكثر خير بيتك (١) » وقال أنس قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إذا التقى المؤمنان فتصالحا قسمت بينهما سبعون مغفرة تسع وستون لأحسنهما بشرا » وقال تعالى - وإذا حييتم بتحية فحيوا بأحسن منها أو ردوها - وقال عليه السلام « والذي نفسي بيده لا تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا ولا تؤمنوا حتى تحابوا أفلا أدلكم على عمل إذا عملتموه تحاببتم قالوا بلى يا رسول الله ؟ قال أفشوا السلام بينكم (٢) » وقال أيضا « إذا سلم المسلم على المسلم فرد عليه صلت عليه الملائكة سبعين مرة (٣) » وقال صلى الله عليه وسلم « إن الملائكة تعجب من المسلم يمر على المسلم ولا يسلم عليه (٤) » وقال عليه السلام « يسلم الراكب على الماشي وإذا سلم من القوم واحد أجزأ عنهم (٥) » وقال قتادة كانت تحية من كان قبلكم السجود فأعطى الله تعالى هذه الأمة السلام وهي تحية أهل الجنة وكان أبو سلم الحولاني يمر على قوم فلا يسلم عليهم ويقول ما يعني إلا أنني أخشى أن لا يردوا فتلعنهم الملائكة والصالحات أيضا سنة مع السلام « وجاء رجل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال السلام عليكم فقال عليه السلام عشر حسنات فجاء آخر فقال السلام عليكم ورحمة الله وبركاته فقال ثلاثون (٦) » وكانت أنس رضى الله عنه يمر على الصبيان فيسلم عليهم (٧) وروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه فعل ذلك . وروى عبد الحميد بن بهرام « أنه صلى الله عليه وسلم مر في المسجد يوما وعصبة من الناس قعود فأومأ بيده بالسلام وأشار عبد الحميد بيده إلى الحكاية (٨) » فقال عليه السلام « لا تبدوا اليهود ولا النصارى بالسلام وإذا لقيتم أحدهم في الطريق فاضطروه إلى أضيقه (٩) » وعن أبي هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم

(١) حديث أنس خدمت النبي صلى الله عليه وسلم ثمانين حجج فقال لي يا أنس أسبغ الوضوء زد في عمرك وسلم على من لقيته من أمتي تكثر حسناتك وإذا دخلت بيتك فسلم على أهل بيتك يكثر خير بيتك الحرائط في مكارم الأخلاق والألفاظ والبهق في الشعب وإسناده ضيف للترمذي وصححه إذا دخلت على أهلك فسلم يكون بركة عليك وعلى أهل بيتك (٢) حديث والذي نفسي بيده لا تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا ولا تؤمنوا حتى تحابوا الحديث مسلم من حديث أبي هريرة (٣) حديث إذا سلم المسلم على المسلم فرد عليه صلت عليه الملائكة سبعين مرة ذكره صاحب الفردوس من حديث أبي هريرة ولم يسنده ولله في السند (٤) حديث الملائكة تعجب من المسلم يمر على المسلم فلا يسلم عليه لم أقف له على أصل (٥) حديث يسلم الراكب على الماشي وإذا سلم من القوم أحد أجزأ عنهم ومالك في الوطأ عن زيد بن أسلم مرسل ولأبي داود من حديث علي بن مجزى عن الجماعة إذا مروا أن يسلم أحدهم ويجزى عن الجلوس أن يرد أحدهم وفي الصحيحين من حديث أبي هريرة يسلم الراكب على الماشي الحديث وسيأتي في بقية الباب (٦) حديث جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال سلام عليك فقال صلى الله عليه وسلم عشر حسنات الحديث أبو داود والترمذي من حديث عمران بن حصين قال الترمذي حسن غريب وقال البيهقي في الشعب إسناده حسن (٧) حديث أنس كان يمر على الصبيان فيسلم عليهم ورفقه متفق عليه (٨) حديث عبد الحميد بن بهرام أنه صلى الله عليه وسلم مر في المسجد يوما وعصبة من الناس قعود فألوى بيده بالتسليم وأشار عبد الحميد بيده الترمذي من رواية عبد الحميد بن بهرام عن شهر بن حوشب عن أسماء بنت يزيد وقال حسن وابن ماجه من رواية ابن أبي حسين عن شهر ورواه أبو داود وقال أحمد لا بأس به (٩) حديث لا تبدوا اليهود والنصارى بالسلام الحديث مسلم من حديث أبي هريرة .

الرجال من النساء » وروى رجاء بن حيوة عن معاذ بن جبل قال « ابتلينا بالضراء فصرنا وابتلينا بالسراء فلم نصبر وإن أخوف ما أخاف عليكم فتنة النساء إذا تسوون بالذهب ولبسن ريط الشام وعصب الين وأتبعن الغنى وكلفن الفقير ما لا يجد » وقال بعض الحكماء معالجة العزوبة خير من معالجة النساء . وسئل سهل بن عبد الله عن النساء فقال الصبر عنهن خير من الصبر عليهن والصبر عليهن خير من الصبر على النار . وقيل في تفسير قوله تعالى - خلق الإنسان ضعيفا - لأنه لا يصبر عن النساء وقيل في قوله تعالى - ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به - العلة فان قدر الفقير على مقاومة النفس ورزق العلم الوافر بحسن المعاملة في معالجة

« لاتصاغوا أهل الذمة ولا تبدهم بالسلام فاذا لقيتموهم في الطريق فاضطروهم إلى أضيق الطرق »
 قالت عائشة رضي الله عنها « إن رهطاً من اليهود دخلوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا السلام عليك فقال النبي صلى الله عليه وسلم عليكم قالت عائشة رضي الله عنها فقات بل عليكم السلام والمنة فقال عليه السلام يا عائشة إن الله يحب الرفق في كل شيء قالت عائشة ألم تسمع ما قالوا قال قد قلت عليكم (١) » وقال عليه السلام « يسلم الراكب على السائق والسائق على القاعد والقليل على الكثير والصغير على الكبير (٢) » وقال عليه السلام « لاتشبهوا باليهود والنصارى فان تسليم اليهود بالاشارة بالأصابع وتسليم النصارى بالاشارة بالأ كف (٣) » قال أبو عيسى إسناده ضعيف وقال عليه السلام « إذا انتهى أحدكم إلى مجلس فليسلم فان بدا له أن يجلس فليجلس ثم إذا قام فليسلم فليست الأولى بأحق من الأخيرة (٤) » وقال أنس رضي الله عنه قال رسول الله ﷺ « إذا التقي المؤمنان فتصافحا قسمت بينهما سبعون مغفرة تسعة وستون لأحسنهما بشرا (٥) » وقال عمر رضي الله عنه سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول « إذا التقي المسلمان وسلم كل واحد منهما على صاحبه وتصافحا نزلت بينهما مائة رحمة للبادي تسعون وللصافح عشرة (٦) » وقال الحسن للشافعة تزيد في الود وقال أبو هريرة رضي الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « تمام تحياتكم بينكم الصافحة (٧) » وقال عليه السلام « قبله السلم أخاه الصافحة (٨) » ولا بأس بقبلة يد العظمى في الدين تبركاً به وتوقيراً له وروى عن ابن عمر رضي الله عنهما قال قبلنا يد النبي صلى الله عليه وسلم (٩) وعن كعب بن مالك قال لما نزلت توبى أثبت النبي صلى الله عليه وسلم قبلت يده (١٠) وروى أن أعرابياً قال يا رسول الله ائذن لي فأقبل رأسك ويدك قال فأذن له ففعل (١١) ولقي أبو حبيدة

النفس وصبر عنهن
 فقد حاز الفضل
 واستعمل العقل
 واهتدى إلى الأمر
 السهل قال رسول الله
 صلى الله عليه وسلم
 « خيركم بعد اللاتين
 رجل خفيف الحاذق
 يا رسول الله وما خفيف
 الحاذق قال الذي لا أهل
 له ولا ولد » وقال بعض
 الفقهاء لما قيل له تزوج
 أنا إلى أن أطلق نفسي
 أخرجني إلى الزوج
 وقيل لبشر بن الحرث
 إن الناس يتكلمون
 فيك فقال ما يقولون
 قيل يقولون إنه تارك
 للسنة يعني النكاح فقال
 قولوا لهم أنا مشغول
 بالعرض عن السنة .
 وكان يقول لو كنت
 أعول دجاجة خفت
 أن أكون جلاداً على
 الجسر والصوف مبتلى
 بالنفس ومطالبها وهو
 في شغل شاغل عن
 نفسه فاذا انضاف إلى
 مطالبات نفسه
 مطالبات زوجته

(١) حديث عائشة إن رهطاً من اليهود دخلوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا السلام عليك الحديث متفق عليه (٢) حديث يسلم الراكب على السائق والسائق على القاعد والقليل على الكثير والصغير على الكبير متفق عليه من حديث أبي هريرة ولم يقل مسلم والصغير على الكبير (٣) حديث لاتشبهوا باليهود والنصارى فان تسليم اليهود بالاشارة بالأصابع وتسليم النصارى بالاشارة بالأ كف الترمذي من رواية عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده وقال إسناده ضعيف (٤) حديث إذا انتهى أحدكم إلى مجلس فليسلم فان بدا له أن يجلس فليجلس ثم إذا قام فليسلم فليست الأولى بأحق من الأخيرة أبو داود والترمذي وحسنه من حديث أبي هريرة (٥) حديث أنس إذا التقي المسلمان فتصافحا قسمت بينهما سبعون رحمة الحديث الخرائطي بسند ضعيف وللطبراني في الأوسط من حديث أبي هريرة مائة رحمة تسعون لأحسنهما وأطلقهما وأبرهما وأحسنهما مسألة لأخيه وفيه الحسن بن كثير بن يحيى بن أبي كثير مجهول (٦) حديث عمر بن الخطاب إذا التقي المسلمان فسلم كل واحد على صاحبه وتصافحا نزلت بينهما مائة رحمة الحديث البزار في مسنده والخرائطي في مكارم الأخلاق واللفظ له والبيهقي في الشعب وفي إسناده نظر (٧) حديث أبي هريرة تمام تحياتكم بينكم الصافحة الخرائطي في مكارم الأخلاق وهو عند الترمذي من حديث أبي أمامة وضعفه (٨) حديث قبله السلم أخاه الصافحة الخرائطي وابن عدى من حديث أنس وقال غير محفوظ (٩) حديث ابن عمر قبلنا يد رسول الله صلى الله عليه وسلم أبو داود بسند حسن (١٠) حديث كعب ابن مالك لما نزلت توبى أثبت النبي صلى الله عليه وسلم قبلت يده أبو بكر بن القرى في كتاب الرخصة في قبيل اليد بسند ضعيف (١١) حديث أن أعرابياً قال يا رسول الله ائذن لي فأقبل رأسك ويدك فأذن له ففعل الحاكم من حديث بريدة إلا أنه قال رجلك موضع يدك وقال صحيح الاسناد.

عمر بن الخطاب رضي الله عنهما فصاحه وقبل يده وتنجيا يكيان وعن البراء بن عازب رضي الله عنه «أنه سلم على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يتوضأ فلم يرد حتى فرغ من وضوئه فرد عليه ومد يده إليه فصاحه فقال يا رسول الله ما كنت أرى هذا إلا من أخلاق الأعاجم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن للتسليين إذا التقيا قصاصاً تحاتت ذنوبهما (١) » وعن النبي ﷺ قال «إذا مر الرجل بالقوم فسلم عليهم فردوا عليه كان له عليهم فضل درجة لأنه ذكرهم السلام وإن لم يردوا عليه رد عليه ملاً خير منهم وأطيب ، أو قال وأفضل (٢) » والأخلاء عند السلام منبهى عنه قال أنس رضي الله عنه «قلنا يا رسول الله أينحن بعضنا لبعض ؟ قال لا قال فيقبل بعضنا بعضاً ؟ قال لا قال فيصافح بعضنا بعضاً ؟ قال نعم (٣) » والالتزام والتقبيل قد ورد به الخبر عند القدوم من السفر (٤) وقال أبو ذر رضي الله عنه ما لقيته صلى الله عليه وسلم إلا صاغى وطلبني يوماً فلم أكن في البيت فلما أخبرت جئت وهو على سرير فالترننى فكانت أجود وأجود (٥) والأخذ بالركاب في توقير العلماء ورد به الأثر فل ابن عباس ذلك بركاب زيد بن ثابت (٦) وأخذ عمر بن زید حتى رفعه وقال هكيداً فافضلوا زيداً وأصحاب زيد . والقيام مكروه على سبيل الاعظام لا على سبيل الاكرام قال أنس ما كان شخص أحب إلينا من رسول الله صلى الله عليه وسلم وكانوا إذا رأوه لم يقوموا لما يطلون من كراهيته لذلك (٧) وروى أنه عليه السلام قال مرة «إذا رأيتموني فلا تقوموا كما تصنع الأعاجم (٨) » وقال عليه السلام «من سره أن يمثل له الرجال قياماً فليتبوأ مقعده من النار (٩) » وقال عليه السلام «لا يقيم الرجل الرجل من مجلسه ثم يجلس فيه ولكن توسعوا وتنبهوا (١٠) » وكانوا يحترزون عن ذلك لهذا النبي وقال صلى الله عليه وسلم «إذا أخذ القوم مجالسهم فإن دعا أحد أخاه فأوسع له فليأته فائما هي كرامة أكرمه بها أخوه

(١) حديث البراء بن عازب أنه سلم على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يتوضأ فلم يرد عليه حتى فرغ من وضوئه ومد يده إليه فصاحه الحديث رواه الحرائطي بسند ضعيف وهو عند أبي داود والترمذي وابن ماجه مختصراً مامن مسلمين يلتقيان فيتصافحان إلا غفر لهما قبل أن يتفرقا قال الترمذي حسن غريب من حديث أبي اسحاق عن البراء (٢) حديث إذا مر الرجل بالقوم فسلم عليهم فردوا عليه كان له عليهم فضل درجة لأنه ذكرهم السلام وإن لم يردوا عليه رد عليه ملاً خير منهم وأطيب الحرائطي والبيهقي في الشعب من حديث ابن مسعود مرفوعاً وضعف البيهقي المرفوع ورواه موقوفاً عليه بسند صحيح (٣) حديث أنس قلنا يا رسول الله أينحن بعضنا لبعض قال لا الحديث الترمذي وحسنه وابن ماجه وضعفه أحمد والبيهقي (٤) حديث الالتزام والتقبيل عند القدوم من السفر الترمذي من حديث عائشة قالت قدم زيد بن حارثة الحديث وفيه فاعتقه وقبله وقال حسن غريب (٥) حديث أبي ذر ما لقيته صلى الله عليه وسلم إلا صاغى الحديث أبو داود وفيه رجل من عزة لم يسم وصماه البيهقي في الشعب عبد الله (٦) حديث أخذ ابن عباس بركاب زيد بن ثابت تقدم في العلم (٧) حديث أنس ما كان شخص أحب إليهم من رسول الله صلى الله عليه وسلم وكانوا إذا رأوه لم يقوموا لما يطلون من كراهيته لذلك الترمذي وقال حسن صحيح (٨) حديث إذا رأيتموني فلا تقوموا كما يصنع الأعاجم أبو داود وابن ماجه من حديث أبي أمامة وقال كما يقوم الأعاجم وفيه أبو العديس مجهول (٩) حديث من سره أن يمثل له الرجال قياماً فليتبوأ مقعده من النار أبو داود والترمذي من حديث معاوية وقال حسن (١٠) حديث لا يقيم الرجل الرجل من مجلسه ثم يجلس فيه ولكن توسعوا وتنبهوا متفق عليه من حديث ابن عمر .

يضغط طلبه وتكل إرادته وتفتقر عزيمته والنفس إذا أطمعت طمعت وإذا أقنعت قنعت فيستعين الشاب الطالب على حسم مواد خاطر النكاح بادامة الصوم فإن للصوم أثراً ظاهراً في قمع النفس وفهرها وقد ورد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم مر بجماعة من الشبان وهم يرفعون الحجارة فقال «يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج ومن لم يستطع فليصم فإن الصوم له وجاء » أصل الوجاء رض الحصىتين كانت العرب تحب الفحل من الغنم لتذهب لحولته ويسمن ومنه الحديث ضحى رسول الله صلى الله عليه وسلم بكهشبن ألمحين موجوء بن وقد قيل هي النفس إن لم تشغلها شغلتك فاذا أدام الشاب للريد العمل وأذاب نفسه في

فإن لم يوسع له فلينظر إلى أوسع مكان يجده فيجلس فيه ^(١)» وروى أنه سلم رجل على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يقول فلم يجب ^(٢) فيكره السلام على من يقضى حاجته ويكره أن يقول ابتداء عليك السلام فإنه قاله رجل لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال عليه السلام «إن عليك السلام تحية الموتى قالها ثلاثاً» ثم قال : إذا لقي أحدكم أخاه فليقل السلام عليكم ورحمة الله ^(٣)» ويستحب للدخول إذا سلم ولم يجد مجلساً أن لا ينصرف بل يقعد وراء الصف «كان رسول الله صلى الله عليه وسلم جالساً في المسجد إذ أقبل ثلاثة نفر فأقبل اثنان إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأما أحدهما فوجد فرجة فجلس فيها وأما الثاني فجلس خلفهم وأما الثالث فأدبر ذاهباً فلما فرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : ألا أخبركم عن النفر الثلاثة أما أحدهم فأوى إلى الله فأواه الله وأما الثاني فاستحيا فاستحيا الله منه وأما الثالث فأعرض فأعرض الله عنه ^(٤)» وقال صلى الله عليه وسلم «ممن مسلمين يلتقيان فيتصافحان إلا غفر لهما قبل أن يتفرقا ^(٥)» . وسئل أم هانيء على النبي صلى الله عليه وسلم فقال من هذه فقيل له أم هانيء فقال عليه السلام مرحباً بأم هانيء ^(٦)» . ومنها أن يصون عرض أخيه المسلم ونفسه وماله عن ظلم غيره مهما قدر ويرد عنه ويتنازل دونه وينصره فإن ذلك يجب عليه بمقتضى أخوة الاسلام . روى أبو الدرداء «أن رجلاً نال من رجل عند رسول الله ﷺ فرد عنه رجل فقال النبي صلى الله عليه وسلم : من رد عن عرض أخيه كان له حجاب من النار ^(٧)» وقال صلى الله عليه وسلم «ممن امرئ مسلم يرد عن عرض أخيه إلا كان حقا على الله أن يرد عنه نار جهنم يوم القيامة ^(٨)» وعن أنس رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال «من ذكر عنده أخوه للمسلم وهو يستطيع نصره فلم ينصره أدركه الله بها في الدنيا والآخرة ومن ذكر عنده أخوه للمسلم فنصره نصره الله تعالى في الدنيا والآخرة ^(٩)»

(١) حديث إذا أخذ القوم مجالسهم فإن دعا رجل أخاه فأوسع يعني له فيجلس فإنه كرامة من الله عز وجل الحديث البغوي في معجم الصحابة من حديث ابن شعبة ورجاله ثقات وابن شعبة هذا ذكره أبو موسى اللدين في ذيله في الصحابة وقد رواه الطبراني في الكبير من رواية مصعب بن شيبة عن أبيه عن النبي صلى الله عليه وسلم أخصر منه وشيبة بن جبير والد منصور ليست له حجة (٢) حديث أن رجلاً سلم على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يقول فلم يجب مسلم من حديث ابن عمر باللفظ فلم يرد عنه (٣) حديث قال رجل لرسول الله صلى الله عليه وسلم عليك السلام فقال إن عليك السلام تحية آليت الحديث أبو داود والترمذي والنسائي في اليوم والليلة من حديث ابن جري الهجيمي وهو صاحب القصة قال الترمذي حسن صحيح (٤) حديث كان صلى الله عليه وسلم جالساً في المسجد إذ أقبل ثلاثة نفر فأقبل اثنان إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأما أحدهما فوجد فرجة فجلس فيها الحديث متفق عليه من حديث أبي واقد الليثي (٥) حديث ممن مسلمين يلتقيان فيتصافحان إلا غفر لهما قبل أن يتفرقا أبو داود والترمذي وابن ماجه من حديث البراء بن عازب (٦) حديث سئلت أم هانيء على فقال مرحباً بأم هانيء مسلم من حديث أم هانيء (٧) حديث أبي الدرداء من رد عن عرض أخيه كان له حجاب من النار الترمذي وحسنه (٨) حديث ممن امرئ مسلم يرد عن عرض أخيه إلا كان حقا على الله أن يرد عنه نار جهنم يوم القيامة أحمد من حديث أسماء بنت يزيد بنحوه والحرائطي في مكارم الأخلاق وهو عند الطبراني بهذا اللفظ من حديث أبي الدرداء وفيهما شهر بن حوشب (٩) حديث أنس من ذكر عنده أخوه للمسلم وهو يستطيع نصره فلم ينصره ولو بكلمة أذله الله عز وجل بها في الدنيا والآخرة الحديث ابن أبي الدنيا .

العبادة تقل عليه خواطر النفس وأيضاً شغله بالعبادة يثمر له خلوة العامة ومحبة الاكثار منه ويفتح عليه باب السهولة والميسر في العمل فيشار على حاله ووقته أن يتكدر بهم الزوجة . ومن حسن أدب المريد في عزوبته أن لا يمكن خواطر النساء من باطنه وكلما خطر له خاطر النساء والشهوة يفر إلى الله تعالى بحسن الانابة فيتداركه الله تعالى حينئذ بقوة المزمعة ويؤيده بمراغمة النفس بل ينمكس على نفسه نور قلبه نواباً لحسن إنابته فتسكن النفس عن المطالبة ثم يعرض على نفسه ما يدخل عليه بالنسكاح من الدخول في المداخل المذمومة للسودية إلى القل والموان وأخذ الشيء من غير وجهه وما يتوقع من القواطع

وقال عليه السلام « من حرم عن عرض أخيه المسلم في الدنيا بعث الله تعالى له ملكا يحميه يوم القيامة من النار » (١) وقال جابر وأبو طلحة سمعنا رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « مامن امرئ مسلم بنصر مسلما في موضع ينتهك فيه عرضه ويستحل حرمة إلا نصره الله في موطن يحب فيه نصره وما من امرئ خذل مسلما في موطن ينتهك فيه حرمة إلا خذله الله في موضع يحب فيه نصرته » (٢) . ومنها تسميت العاطس قال عليه الصلاة والسلام في العاطس يقول « الحمد لله على كل حال ويقول الذي يشتمه يرحمكم الله ويرد عليه العاطس فيقول يهديكم الله ويصلح بالكم » (٣) . وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعلمنا يقول « إذا عطس أحدكم فليقل الحمد لله رب العالمين فإذا قال ذلك فليقل من عنده يرحمك الله فإذا قالوا ذلك فليقل يغفر الله لي ولكم » (٤) . وسمت رسول الله صلى الله عليه وسلم عاتسا ولم يسمت آخر فأناله عن ذلك فقال إنه حمد الله وأنت سكت » (٥) وقال ﷺ « يسمت العاطس المسلم إذا عطس ثلاثا فإن زاد فهو زكام » (٦) . وروى أنه سمت عاتسا ثلاثا فطس أخرى فقال إنك مزكوم » (٧) وقال أبو هريرة « كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا عطس غص صوته واستر بثوبه أويده » (٨) . وروى خر وجهه وقال أبو موسى الأشعري « كان اليهود يتعاطسون عند رسول الله صلى الله عليه وسلم رجاء أن يقول يرحمكم الله فكان يقول : يهديكم الله » (٩) . وروى عبد الله بن عامر بن ربيعة عن أبيه « أن رجلا عطس خلف النبي ﷺ في الصلاة فقال الحمد لله حمدا كثيرا طيبا مباركا فيه كما يرضى ربنا ويسد ما يرضى والحمد لله على كل حال فلما سلم النبي صلى الله عليه وسلم قال من صاحب الكلمات فقال أنا يا رسول الله ما أردت بهن إلا خيرا فقال لقد رأيت اثني عشر ملكا كلهم ينتدرونها أيهم يكتبها » (١٠) »

في الصمت مقتصر على ما ذكر منه وإسناده ضعيف (١) حديث من حرم عن عرض أخيه المسلم في الدنيا بعث الله له ملكا يحميه يوم القيامة من النار أبو داود من حديث معاذ بن أنس نحوه بسند ضعيف (٢) حديث جابر وأبي طلحة مامن امرئ بنصر مسلما في موضع ينتهك فيه من عرضه ويستحل حرمة الحديث أبو داود مع تقديم وتأخير واختلاف في إسناده (٣) حديث يقول العاطس الحمد لله على كل حال ويقول الذي يشتمه يرحمكم الله ويقول هو يهديكم الله ويصلح بالكم البخاري وأبو داود من حديث أبي هريرة ولم يقل البخاري على كل حال (٤) حديث ابن مسعود إذا عطس أحدكم فليقل الحمد لله رب العالمين الحديث النسائي في اليوم والليلة وقال حديث منكر ورواه أيضا أبو داود والترمذي من حديث سالم بن عبد الله واختلف في إسناده (٥) حديث سمت رسول الله صلى الله عليه وسلم عاتسا ولم يسمت آخر فأناله عن ذلك فقال إنه حمد الله وأنت سكت متفق عليه من حديث أنس (٦) حديث ستمتوا المسلم إذا عطس ثلاثا فإن زاد فهو زكام أبو داود من حديث أبي هريرة سمت أخاك ثلاثا الحديث وإسناده جيد (٧) حديث أنه سمت عاتسا فطس أخرى فقال إنك مزكوم مسلم من حديث سلمة بن الأكوع (٨) حديث أبي هريرة كان إذا عطس غص صوته وستر بثوبه أويده أبو داود والترمذي وقال حسن صحيح وفي رواية لأبي نعيم في اليوم والليلة خر وجهه وفاء (٩) حديث أبي موسى كان اليهود يتعاطسون عند رسول الله صلى الله عليه وسلم رجاء أن يقول يرحمكم الله فكان يقول يهديكم الله أبو داود والترمذي وقال حسن صحيح (١٠) حديث عبد الله بن عامر بن ربيعة أن رجلا عطس خلف النبي صلى الله عليه وسلم في الصلاة فقال الحمد لله حمدا كثيرا طيبا مباركا فيه الحديث أبو داود من حديث عبد الله بن عامر بن ربيعة عن أبيه وإسناده جيد

بسبب النفثات الحاطرة إلى ضبط المرأة وحراستها والكف التي لا تنحصر . وقد سئل عبد الله بن عمر عن جهد البلاء فقال : كثرة العيال وقلة المال ، وقد قيل كثرة العيال أحد الفقرين وقلة العيال أحد اليسارين . وكان إبراهيم بن آدم يقول : من تعود أفخاذ النساء لا يفلح ولا شك أن للمرأة تدعو إلى الرفاهية والدعة وتمنع عن كثرة الاشتغال بالله وقيام الليل وصيام النهار ويتسلط على الباطن خوف الفقر وعجة الادخار وكل هذا بعيد عن التجرد وقد ورد « إذا كان بعد اللاتين أبيضت العزوبة لأمتي » فإن توالى على الفقير خواطر النكاح وزاحمت باطنه سيما في الصلاة والأذكار والتلاوة فليستعن بآله أولا ثم

وقال صلى الله عليه وسلم « من عطس عنده فسبق إلى الحمد لم يشتك خاصرته (١) » وقال عليه السلام « العطاس من الله والتثاؤب من الشيطان فإذا ثأب أحدكم فليضع يده على فيه فإذا قالهاها فإن الشيطان يضحك من جوفه (٢) » وقال إبراهيم النخعي إذا عطس في قضاء الحاجة فلا بأس - بأن يذكر الله وقال الحسن بن محمد الله في نفسه ، وقال كعب قال موسى عليه السلام يارب أقرب أنت فأنابك أم بعيد فأناديك فقال أنا جليس من ذكرني فقال فأنانكون على حال نجلك أن تذكرك عليها كالجناية والغائط فقال اذكرني على كل حال . ومنها أنه إذا بلى بذي شر فينبغي أن يتحمله ويتقيه قال بعضهم خالص المؤمنين مخالصة وخالق الفاجر مخالفة فإن الفاجر يرضى بالخلق الحسن في الظاهر . وقال أبو الدرداء إننا لبش في وجوه أقوام وإن قلوبنا لتلعنهم وهذا معنى المداراة وهي مع من يخاف شره قال الله تعالى - اذفع بالتي هي أحسن السيئة - قال ابن عباس في معنى قوله - ويدرون بالحسنة السيئة - أي الفحش والأذى بالسلام والمداراة وقال في قوله تعالى - ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض - قال بالرغبة والرهبة والحياء والمداراة وقالت عائشة رضي الله عنها « استأذن رجل على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ائذنوا له فبش رجل العشرة هو فلما دخل ألان له القول حتى ظننت أن له عنده منزلة فلما خرج قلت له لما دخل قلت الذي قلت ثم ألت له القول فقال يا عائشة إن شر الناس منزلة عند الله يوم القيامة من تركه الناس اتقاء خشفه (٣) » وفي الخبر « ما وقى الرجل به عرضه فهو له صدقة (٤) » وفي الأثر : خالطوا الناس بأعمالكم وزابلوهم بالقلوب . وقال محمد بن الحنفية رضي الله عنه : ليس بحكيم من لم يعاشر بالمعروف من لا يجد من معاشرته بدا حتى يجعل الله له منه فرجا . ومنها أن يختب عخالطة الأغنياء ويختلط بالمساكين ويعسن إلى الأيتام كان النبي صلى الله عليه وسلم يقول « اللهم أحني مسكينا وأمتني مسكينا واحشني في زمرة المساكين (٥) » وقال كعب الأبحار كان سليمان عليه السلام في ملكه إذا دخل السجد فرأى مسكينا جلس إليه وقال مسكينا جالس مسكينا . وقيل ما كان من كلمة تنال لعيسى عليه السلام أحب إليه من أن يقال له يا مسكينا وقال كعب الأبحار ما في القرآن من يا أيها الذين آمنوا فهو في التوراة يا أيها المساكين وقال عبادة ابن الصامت إن للنار سبعة أبواب ثلاثة للأغنياء وثلاثة للنساء وواحد للفقراء والمساكين وقال الفضيل بلغني أن نبيا من الأنبياء قال : يارب كيف لي أن أعلم رضاك عني فقال انظر كيف رضا للمساكين عنك ، وقال عليه الصلاة والسلام « إياكم ومجالسة اللوتي ، قيل ومن اللوتي يا رسول الله ؟ قال الأغنياء (٦) » وقال موسى إلهي أين أبنيك قال عند المنكسرة قلوبهم ، وقال صلى الله عليه وسلم

بالمشايع والإخوان ويشرح الحال لهم ويسألهم مسألة الله له في حسن الاختيار ويطوف على الأحياء والأموال وللماجد والمجاهد ويستعظم الأمر ولا يدخل فيه بقلة الاكثارات فانه باب فتنة كبيرة وخطر عظيم وقد قال الله تعالى - إن من أزواجكم وأولادكم عدوا لكم فاحذروهم - ويكثر الضراعة إلى الله تعالى ويكثر السكاء بين يديه في الحلوات ويكرر الاستخارة وإن رزق القوة والصبر حتى يستعين به من فضل الله الخبرة في ذلك فهو السكال والتمام قد يكشف الله تعالى للمصدق ذلك منعا أو إطلاقا في منامه أو يقظته أو على لسان من ينطق إلى دينه وحاله أنه إذا أشار لا يشير إلا على بصيرة وإذا حكم لا يهكم إلا بحق فصدق

(١) حديث من عطس عنده فسبق إلى الحمد لم يشتك خاصرته الطبراني في الأوسط وفي الدعاء من حديث علي بن بسند ضعيف (٢) حديث العطاس من الله والتثاؤب من الشيطان الحديث متفق عليه من حديث أبي هريرة دون قوله العطاس من الله فرواه الترمذي وحسنه والنسائي في اليوم والليلة وقال البخاري إن الله يحب العطاس ويكره التثاؤب الحديث (٣) حديث عائشة استأذن رجل على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ائذنوا له فبش رجل العشرة الحديث متفق عليه (٤) حديث ما وقى المرء به عرضه فهو له صدقة أبو يعلى وابن عدى من حديث جابر وضمه (٥) حديث اللهم أحني مسكينا وأمتني مسكينا واحشني في زمرة المساكين ابن ماجه والحاكم وصححه من حديث أبي سعيد والترمذي من حديث عائشة وقال غريب (٦) حديث إياكم ومجالسة اللوتي قيل وما اللوتي قال الأغنياء الترمذي وضمه والحاكم وصححه إسناده من حديث عائشة إياكم ومجالسة الأغنياء .

« لا تقبطن فاجرا . نعمة فانك لا تدري إلى ما يصير بعد الموت فان من ورائه طالبا حثيثا ^(١) » وأما النبي فقال صلى الله عليه وسلم « من ضم يتيما من أبوين مسلمين حتى يستغنى فقد وجبت له الجنة ألبنة ^(٢) » وقال عليه السلام « أنا وكافل اليتيم كهاتين في الجنة كهاتين وهو يشير بأصبعه ^(٣) » وقال صلى الله عليه وسلم « من وضع يده على رأس يتيم ترحما كانت له بكل شعرة تمر عليها يده حسنة ^(٤) » وقال ^(٥) « خير بيت من المسلمين بيت فيه يقيم بحسن إليه وشر بيت من المسلمين بيت فيه يقيم بساء إليه ^(٥) » . ومنها النصيحة لكل مسلم والجهد في إدخال السرور على قلبه قال صلى الله عليه وسلم « المؤمن يحب للمؤمن كما يحب لنفسه ^(٦) » وقال ^(٧) « لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه » وقال صلى الله عليه وسلم « إن أحدكم مرآة أخيه فإذا رأى فيه شيئا فليحطه عنه ^(٧) » وقال صلى الله عليه وسلم « من أقر عين مؤمن أقر الله عينه يوم القيامة ^[١] » وقال صلى الله عليه وسلم « من مثى في حاجة أخيه ساعة من ليل أو نهار قضاه أو لم يقضها كان خيرا له من اعتكاف شهرين ^(٩) » وقال عليه السلام « من فرج عن مؤمن مغموم أو أمان مظلوما غفر الله له ثلاثا وسبعين مغفرة ^(١٠) » وقال صلى الله عليه وسلم « انصر أخاك ظالما أو مظلوما . قيل كيف ينصره ظالما قال يمنعه من الظلم ^(١١) » وقال عليه السلام

(١) حديث لا تقبطن فاجرا نعمة الحديث البخارى فى التاريخ والطبرانى فى الأوسط والبيهقى فى الشعب من حديث أبى هريرة بسند ضعيف (٢) حديث من ضم يتيما من أبوين مسلمين حتى يستغنى فقد وجبت له الجنة ألبنة أحمد والطبرانى من حديث مالك بن عمر وفيه على بن زيد بن جعدان متكلم فيه (٣) حديث أنا وكافل اليتيم كهاتين فى الجنة البخارى من حديث سهل بن سعد ومسلم من حديث أبى هريرة (٤) حديث من وضع يده على رأس يتيم ترحما كانت له بكل شعرة تمر عليها يده حسنة أحمد والطبرانى بإسناد ضعيف من حديث أبى أمامة دون قوله ترحما ولا بن جبان فى الضملاء من حديث ابن أبى أوفى من مسح يده على رأس يتيم رحمة له الحديث (٥) حديث خير بيت من المسلمين بيت فيه يقيم بحسن إليه وشر بيت من المسلمين بيت فيه يقيم بساء إليه ابن ماجه من حديث أبى هريرة وفيه ضعف (٦) حديث المؤمن يحب للمؤمن ما يحب لنفسه تقدم بلفظ لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه ولم أره بهذا اللفظ (٧) حديث إن أحدكم مرآة أخيه الحديث رواه أبو داود والترمذى وقد تقدم (٨) حديث من قضى لأخيه حاجة فكأنما خدم الله عمره البخارى فى التاريخ والطبرانى والحرائلى كلاهما فى مكارم الأخلاق من حديث أنس بسند ضعيف مرسل (٩) حديث من مثى فى حاجة أخيه ساعة من ليل أو نهار قضاه أو لم يقضها كان خيرا له من اعتكاف شهرين الحاكم وصححه من حديث ابن عباس لأن يمشى أحدكم مع أخيه فى قضاء حاجته وأشار بأصبعه أفضل من أن يعتكف فى مسجدى هذا شهرين والطبرانى فى الأوسط من مثى فى حاجة أخيه كان خيرا له من اعتكافه عشر سنين وكلاهما ضعيف (١٠) حديث من فرج عن مغموم أو أمان مظلوما غفر الله له ثلاثا وسبعين مغفرة الحرائلى فى مكارم الأخلاق وابن جبان فى الضملاء وابن عسدى من حديث أنس بلفظ من أغاث مله وفا (١١) حديث انصر أخاك ظالما أو مظلوما الحديث متفق عليه من حديث أنس وقد تقدم .

حديث من أقر عين مؤمن لم نجد له تحريجا فى نسختنا ووجدنا الشارح نقل عن الراقى أنه رواه ابن المبارك فى الزهد والرقائق بإسناد ضعيف مرسل .

ذلك يكون تزوجه مدبرا معاناه . وسعنا أن الشيخ عبد القادر الجليل قال له بعض الصالحين لم تزوجت ؟ فقال ما تزوجت حتى قاله لى رسول الله صلى الله عليه وسلم تزوج فقال له ذلك الرجل الرسول صلى الله عليه وسلم يأمر بالرخى وطريق القوم التلزم بالزعة فلا أعلم ما قال الشيخ فى جوابه ولكن أقول رسول الله صلى الله عليه وسلم يأمر بالرخة وأمره على لسان الشرع فأما من التجأ إلى الله تعالى وافتر إليه واستخاره فيكشفه الله بتنبهه إياه فى منامه وأمره هذا لا يصحكون أمر رخصة بل هو أمر يقبمه أرباب الزعة لأنه من علم الحال لا من علم الحكم ويدل على صحة ما وقع لى ما نقل عنه أنه قال كنت أريد

«إن من أحب الأعمال إلى الله إدخال السرور على قلب المؤمن أو أن يفرج عنه غما أو يرضى عنه ديناً أو يطعمه من جوع» (١) «وقال صلى الله عليه وسلم «من حمى مؤمناً من منافق يفتنه بعث الله إليه ملكاً يوم القيامة يحمى لحمه من نار جهنم» [١]» وقال صلى الله عليه وسلم «خصلتان ليس فوقهما شيء من الشر الشرك بالله والضرر لعباد الله وخصلتان ليس فوقهما شيء من البر الإيمان بالله والنفع لعباد الله» (٢) وقال صلى الله عليه وسلم «من لم يهتم للمسلمين فليس منهم» (٣) وقال معروف السخري من قال كل يوم : اللهم ارحم أمة محمد كتبته الله من الأبدال وفي رواية أخرى اللهم أصلح أمة محمد اللهم فرج عن أمة محمد كل يوم ثلاث مرات كتبته الله من الأبدال . وبكى على بن الفضل يوماً قعيل له ما يبيكيك ؟ قال أبكي على من ظلمني إذا وقف غدا بين يدي الله تعالى وسئل عن ظلمه ولم تكن له حجة . ومنها أن يعود مرضاهم فالمرقة والاسلام كافيان في اثبات هذا الحق ونيل فضله وأدب العائد خفة الجلسة وقلة السؤال وإظهار الرقة والدعاء بالعافية وغض البصر عن عورات الموضع وعند الاستئذان لا يقابل الباب ويدق برفق ولا يقول أنا إذا قيل له من ؟ ولا يقول يا غلام ولكن يحمد ويسبح وقال صلى الله عليه وسلم «تمام عيادة المريض أن يضع أحدكم يده على جبهته أو على يده ويسأله كيف هو وتغاثم تحياتكم للصاخة» وقال ﷺ «من عاد مريضاً فقد في مخارف الجنة حتى إذا قام وكل به سبعون ألف ملك يصلون عليه حتى الليل» (٤) وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم «إذا عاد الرجل المريض خاض في الرحمة فإذا قد عنده قرت فيه» (٥) وقال صلى الله عليه وسلم «إذا عاد المسلم أخاه أوزاره قال الله تعالى طبت وطاب ممشاك وتبوات منزلاً في الجنة» (٦) وقال عليه السلام «إذا مرض العبد بعث الله تبارك وتعالى إليه ملكين فقال انظرا ماذا يقول لعوادته فإن هو إذا جاءوه حمد الله وأثنى عليه رفعنا ذلك إلى الله وهو أعلم فيقول لعبدى طي إن توفيت أن أدخلك الجنة وإن أنا شفيت أن أبدل له لما خيرا من لعمرو وما خيرا من دمه وأن أكرم عنه سيئاته» (٧) وقال رسول الله صلى الله عليه

الزوجة مدة من الزمان ولا أجترى على التزوج خوفاً من تكدير الوقت فلما صبرت إلى أن بلغ الكتاب أجله ساق الله لي أربع زوجات ما فيهن إلا من تنفق على إرادة ورغبة فهذه ثمرة الصبر الجليل الكامل فإذا صبر الفقير وطلب الفرج من الله يأتيه الفرج والمخرج - ومن يتقى الله يجعل له مخرجاً ويرزقه من حيث لا يحتسب - فإذا تزوج الفقير بعد الاستقصاء والإكثار من الضراعة والدعاء وورد عليه وارده من الله تعالى يآذن فيه فهو الغاية والنهاية وإن عجز عن الصبر إلى ورود الأذن واستغفد جهده في الدعاء والضراعة فقد يكون ذلك حظه من الله تعالى ويحيا عليه لحسن نيته وصدق مقصده وحسن رجائه واعتماده على ربه وقد

(١) حديث إن من أحب الأعمال إلى الله إدخال السرور على المؤمن الحديث الطبراني في الصغير والأوسط من حديث ابن عمر بسند ضعيف (٢) حديث خصلتان ليس فوقهما شيء من الشر الشرك بالله والضرر لعباد الله الحديث ذكره صاحب الفردوس من حديث طي ولم يسنده ولده في مسنده (٣) حديث من لم يهتم للمسلمين فليس منهم الحاكم من حديث حذيفة والطبراني في الأوسط من حديث أبي ذر وكلاهما ضعيف (٤) حديث من عاد مريضاً فقد في مخارف الجنة الحديث أصحاب السنن والحاكم من حديث طي من آتى أخاه المسلم عائداً مشى في خرافة الجنة حتى يجلس فإذا جلس غمرته الرحمة فإن كان غدوة صلى عليه سبعون ألف ملك حتى يمسي وإن كان مساء الحديث لفظ ابن ماجه وصححه الحاكم وحسنه الترمذي ولمسلم من حديث ثوبان من عاد مريضاً لم يزل في خرفة الجنة (٥) حديث إذا عاد الرجل المريض خاض في الرحمة فإذا قد عنده قرت فيه الحاكم والبيهقي من حديث جابر وقال انعمس فيها قال الحاكم صحيح على شرط مسلم وكذا صححه ابن عبد البر وذكره مالك في الموطأ بلاغا بلفظ قرت فيه ورواه الواقدي بلفظ استقر فيها للطبراني في الصغير من حديث أنس فإذا قد عنده غمرته الرحمة وله في الأوسط من حديث كعب بن مالك وعمر بن حزم استنفع فيها (٦) حديث إذا عاد المسلم أخاه أوزاره قال الله تعالى طبت وطاب ممشاك وتبوات منزلاً في الجنة الترمذي وابن ماجه من حديث أبي هريرة إلا أنه قال ناداه مناد قال الترمذي غريب قلت فيه عيسى بن سنان القسطلي ضعفه الجمهور (٧) حديث إذا مرض العبد بعث الله تعالى

[١] حديث من حمى مؤمناً قال الشارح لم يذكره العراقي ورواه ابن المبارك وأحمد وأبو داود وابن أبي الدنيا في ذم الغيبة والطبراني عن سهل بن معاذ بن أنس الجهني عن أبيه .

عليه وسلم « من برد الله به خيرا يصب منه ^(١) » وقال عثمان رضي الله عنه مرضت فصادني رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال « بسم الله الرحمن الرحيم أعينك بالله الأحد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد من شر ما تجد قالها مرارا ^(٢) » ودخل علي بن أبي طالب رضي الله عنه وهو مريض فقال له « قل اللهم إني أسألك تسجيل عافيتك أو صبرا على بليتك أو خروجا من الدنيا إلى رحمتك فانك ستعطى إحداهن ^(٣) » ويستحب للعليل أيضا أن يقول أعوذ بعزة الله وقدرته من شر ما أجد وأحاذر . وقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه إذا شكأ أحدكم بطنه فليسال امرأته شيئا من صدقها ويشتري به عسلا ويشربه بماء السماء فيجتمع له المني والري والشفاء والبارك . وقال صلى الله عليه وسلم « يا أبا هريرة ألا أخبرك بأمر هو حق من تكلم به في أول مضجعه من مرضه نجاه الله من النار قلت بلى يا رسول الله قال يقول لا إله إلا الله عجي ويحيى وهو حي لا يموت سبعان الله رب العباد والبلاد والحمد لله حمدا كثيرا طيبا مباركا فيه على كل حال إله أكبر كبيرا إن كبرياء ربنا وجلاله وقدرته بكل مكان اللهم إن أنت أمرتني لتقبض روحي في مرضي هذا فأجعل روحي في أرواح من سبقت لهم منك الحسنى وابعديني من النار كما باعدت أوليائك الذين سبقت لهم منك الحسنى ^(٤) » وروى أنه قال عليه السلام « عيادة المريض بعد ثلاث فواق ناقة ^(٥) » وقال طاوس أفضل العيادة أخفها وقال ابن عباس رضي الله عنهما عيادة للمريض مرة سنة لما ازدادت فنافقه ، وقال بعضهم عيادة للمريض بعد ثلاث ، وقال عليه السلام « أغبوا في العيادة وأربعوا فيها ^(٦) » وحجة أدب المريض حسن الصبر وقلة الشكوى والضجر والفرع إلى الدعاء والتوكل بعد الدواء على خالق الدواء . ومنها أن يشيع جنازته قال صلى الله عليه وسلم « من شيع جنازة فله قيراط من الأجر فان وقف حتى تدفن فله قيراطان ^(٧) » وفي الخبر « القيراط مثل أحد ^(٨) » ولما روى أبو هريرة هذا الحديث وصححه ابن عمر ملكين فقال انظرا ما يقوله لواءه الحديث مالك في الموطأ مرسلان حديث عطاء بن يسار ورواه ابن عبد البر في التمهيد من روايته عن أبي سعيد الخدري وفيه عباد بن كثير الثغني ضعيف الحديث وللبهقي من حديث أبي هريرة قال الله تعالى إذا ابتليت عبد المؤمن فلم يشكني إلى عواده أطلتته من إسارى ثم أبدله لما خيرا من لحمه وما خيرا من دمه ثم استأنفاه لامل وإسناده جيد ^(٩) حديث من برد الله به خيرا يصب منه البخاري من حديث أبي هريرة ^(١٠) حديث عثمان مرضت فصادني رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : بسم الله الرحمن الرحيم أعينك بالله الأحد الصمد الحديث ابن السني في اليوم والليلة والطبراني والبيهقي في الأدعية من حديث عثمان بن عفان بإسناد حسن . ^(١١) حديث دخل علي بن أبي طالب رضي الله عنه فقال قل اللهم إني أسألك تسجيل عافيتك الحديث ابن أبي الدنيا في كتاب الرض من حديث أنس بسند ضعيف أن رسول الله صلى الله عليه وسلم دخل على رجل وهو يشتكي ولم يسم عليه وروى البيهقي في الدعوات من حديث عائشة أن جبريل علمها للنبي صلى الله عليه وسلم وقال إن الله يأمرك أن تدعو بهؤلاء الكلمات ^(١٢) حديث أبي هريرة ألا أخبرك بأمر هو حق من تكلم به في أول مضجعه من مرضه نجاه الله من النار ابن أبي الدنيا في الدعاء وفي الرض والكفارات ^(١٣) حديث عيادة المريض فواق ناقة ابن أبي الدنيا في كتاب الرض من حديث أنس بإسناد فيه جهالة ^(١٤) حديث أغبوا في العيادة وأربعوا ابن أبي الدنيا وفيه أبو يعلى من حديث جابر وزاد إلا أن يكون مغلوبا وإسناده ضعيف ^(١٥) حديث من تبع جنازة فله قيراط من الأجر فان وقف حتى تدفن فله قيراطان الشيخان من حديث أبي هريرة ^(١٦) حديث القيراط مثل جبل أحد مسلم من حديث ثوبان وأبي هريرة وأصله متفق عليه .

تدل عن عبد الله بن عباس أنه قال لا يتم نسك الشاب حتى يتزوج وتدل عن شيخ من مشايخ خراسان أنه كان يكثر الزواج حتى لم يكن يغلو عن زوجتين أو ثلاث فتوب في ذلك فقال هل يعرف أحد منكم أنه جلس بين يدي الله تعالى جلسة أو وقف وقفة في معاملته فخطر على قلبه خاطر شهوة فقالوا قد بصينا ذلك فقال لو رضيت في عمري كله بمثل حالكم في وقت واحد ما تزوجت قط ولكن ما خطر على قلبي خاطر شهوة قط شغلني عن حالي إلا نذته لأستريح منه وأرجع إلى شغلي ثم قال منذ أربعين سنة ما خطر على قلبي خاطر معصية فالصادقون ما دخلوا في النكاح إلا على بصيرة وقصدوا حسم مواد النفس وقد يكون للأقوياء والعلماء

قال لقد فرطنا إلى الآن في قراريط كثيرة والقصد من التشييع قضاء حق المسلمين والاعتبار وكان مكحول الدمشقي إذا رأى جنازة قال اغدوا فإناراعون موعظة بليغة وغفلة سرية يذهب الأول والآخر لا عقل له ، وخرج مالك بن دينار خلف جنازة أخيه وهوسكي ويقول والله لا تتر عيني حتى أعلم إلى ما صرت ولا والله لا أعلم ما ضمت حيا . وقال الأعمش كنا نشهد الجناز فلا ندرى لمن نعزي لحزن القوم كلهم ونظر إبراهيم الزيات إلى قوم يترحمون على ميت فقال لو ترحمون أنفسكم لكان أولى إنه نجى من أهوال ثلاث وجه ملك الموت قد رأى ومראה الموت قد ذاق وخوف الخاتمة قد أمن ، وقال صلى الله عليه وسلم « يتبع لليت ثلاث فيرجع اثنان ويبقى واحد يتبعه أهله وماله وعمله فيرجع أهله وماله ويبقى عمله ^(١) » ومنها أن يزور قبورهم والقصد من ذلك الدعاء والاعتبار وترقيق القلب قال ^(٢) « ما رأيت منظرا إلا والقبر أفظع منه ^(٣) » وقال عمر رضي الله عنه « خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فأتى المقابر فجلس إلى قبر وكنت أدنى القوم منه فبكي وبكينا فقال ما يبكيكم قلنا بكينا لبكائك قال هذا قبر أمينة بنت وهب استأذنت ربى في زيارتها فأذنى واستأذنته في أن أستغفر لها فأبى على فأدركنى ما يدرك الولد من الرقة ^(٤) » وكان عمر رضي الله عنه إذا وقف على قبر بكى حتى تبل لحية ويقول سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن القبر أول منازل الآخرة فإن نجما من صاحبه لما بعده أيسر وإن لم ينج منه فابعد أشد ^(٥) » وقال مجاهد أول ما يكلم ابن آدم حفرة تقول أنا بيت الدود وبيت الوحيدة وبيت الغربة وبيت الظلة فهذا ما أعددت لك لما أعددت لى ؟ وقال أبو ذر الأخرى يوم قبرى يوم أوضع فى قبرى ، وكان أبو الدرداء يقعد إلى القبور فيصلى له في ذلك فقال أجلس إلى قوم يذكروننى معادى وإن قتلت عنهم لم يشاؤنى وقال حاتم الأصم من مر بالمقابر فلم يتفكر لنفسه ولم يدع لهم قد خان نفسه وخانهم وقال صلى الله عليه وسلم « ما من ليلة إلا وينادى مناد يأهل القبور من تغبطون قالوا تغبط أهل المساجد لأنهم يصومون ولا نصوم وصلون ولا نصلى ويذكرون الله ولا نذكره ^(٦) » وقال سفيان من أكثر ذكر القبر وجد روحه من رياض الجنة ومن غفل عن ذكره وجد حفرة من حفر النار وكان الريح بن خنيم قد حفر في داره قبرا فكان إذا وجد في قلبه تساوة دخل فيه فاضطجع فيه ومكث ساعة ثم قال - رب ارجعنى لملى أعمل صالحا فيما تركت - ثم يقول ياربى قد رجعت فأعمل الآن قبل أن لا ترجع وقال يميمون بن مهران خرجت مع عمر بن عبد العزيز إلى القبرة فلما نظر إلى القبور بكى وقال يا ميمون هذه قبور آبائى بنى أمية كأنهم لم يشاركو أهل الدنيا في لقاءهم أما تراهم صرعى قد خلت بهم اللات وأصاب الهوام من أبدانهم ثم بكى وقال والله ما أعلم أحدا أنعم من صار إلى هذه القبور وقد أمن عذاب الله . وآداب المعزى خفض الجناح وإظهار الحزن وقلة الحديث وترك التبسم . وآداب تشييع الجنازة لزوم الحشوع وترك الحديث وملاحظة الميت والتفكير في الموت والاستعداد له

(١) حديث يتبع لليت ثلاثة فيرجع اثنان ويبقى واحد مسلم من حديث أنس (٢) حديث ما رأيت منظرا إلا والقبر أفظع منه الترمذى وابن ماجه والحاكم من حديث عثمان وقال صحيح الإسناد وقال الترمذى حسن غريب (٣) حديث عمر خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فأتى المقابر فجلس إلى قبر الحديث في زيارته قبر أمه مسلم من حديث أبى هريرة مختصرا وأحمد من حديث بريدة وفيه قيام عمر فقدها بالأب والأم يقول يا رسول مالك الحديث (٤) حديث عثمان بن عفان إن القبر أول منازل الآخرة الحديث الترمذى وحسنه وابن ماجه والحاكم وصححه إسناده (٥) حديث ما من ليلة إلا ينادى مناد يأهل القبور من تغبطون فيقولون تغبط أهل المساجد الحديث لم أجده أصلا .

الراسخين في السلم
أحوال في دخولهم في
النكاح تختص بهم
وذلك أنهم بعد طول
المجاهدات والراقبات
والرياضات تطمئن
نفسهم وتقبل قلوبهم
وللقلوب إقبال وإدبار
يقول بعضهم : إن
للقلوب إقبالا وإقبالا
فاذا أدبرت روح
بالإفاق وإذا أقبلت
ردت إلى الشاق فتبقى
قلوبهم دأمة الإقبال
إلا اليسير ولا يدوم
إقبالها إلا لطمانية
النفوس وكفها عن
النازع وتترك التقييد
في القلوب فاذا اطمأنت
النفوس واستقرت
عن طينتها وتوهرها
وشراسيتها وفرت عليها
حقوقها وربما يصير
من حقوقها حظوظها
لأن في أداء الحق
إقتناعا وفي أخذ الحظ
انساعا وهذا من دقيق
علم الصوفية فانهم
يقسمون بالنكاح
الباح إقبالا إلى النفس
حظوظها لأنها ما زالت

وأن يمشى أمام الجنائز بقرعها والاسراع بالجنائز سنة (١) فهذه جل آداب تنبه على آداب العاشرة مع عموم الخلق ، والجملة الجامعة فيه أن لا تستعصر منهم أحدا حيا كان أو ميتا قتلك لأنك لا تدرى لعله خير منك فانه وإن كان فاسقا فله عظم لك بمثل حاله ويحتم له بالصلاح ولا تنظر إليهم بعين التعظيم لهم في حال دنياهم فإن الدنيا صغيرة عند الله صغير ما فيها ومهما عظم أهل الدنيا في نفسك فقد عظمت الدنيا فتسقط من عين الله ولا تبدل لهم دينك لتنال من دنياهم خصم في أعينهم ثم تحرم دنياهم فإن لم تحرم كنت قد استبدلت الذي هو أدنى بالذي هو خير ولا تعادهم بحيث تظهر العداوة فيطول الأمر عليك في العادة ويذهب دينك ودينك فيهم ويذهب دينهم فيك إلا إذا رأيت منكرا في الدين فمادى أفعالهم القبيحة وتنظر إليهم بعين الرحمة لهم لتعرضهم لوقت الله وعقوبته بصيانتهم لحسبهم جهنم يصلونها فمالك تحقد عليهم ولا تسكن إليهم في مودتهم لك وثأبهم عليك في وجهك وحسن بشرهم لك فإنك إن طلبت حقيقة ذلك لم تجد في المائة إلا واحدا وربما لا تجده ولا تشك إليهم أحوالك فيكلك الله إليهم ولا تطمع أن يكونوا لك في الغيب والسر كما في العلانية فذلك طمع كاذب وآتى تظفر به ولا تطمع فيما في أيديهم فتستعجل الدل ولا تنال القرض ولا تل عليهم تكبرا لاستغنائك عنهم فإن الله يلجئك إليهم عقوبة على التكبر باظهار الاستغناء وإذا سألت أظا منهم حاجة قضاهم فهو أخ مستفاد وإن لم يقض فلا تمناه فيصير عدوا تطول عليك مقاساته ولا تشتغل بوعظ من لا ترى فيه غايل القبول فلا يسمع منك ويعاديك وليكن وعظك عرضا واسترسالا من غير تخصيص على الشخص ومهما رأيت منهم كرامة وخيرا فاشكر الله الذي سخرهم لك واستعد بالله أن يكلك إليهم وإذا بلغك عنهم غيبة أو رأيت منهم شرا أو أصابك منهم ما يبرؤك فكل أمرهم إلى الله واستعد بالله من شرهم ولا تشغل نفسك بالمكافأة فيزيد الضرر ويضيع العمر بشغله ولا تقل لهم لم تعرفوا موضعي ، واعتقد أنك لو استحققت ذلك لجعل الله لك موصفا في قلوبهم فله الحب والبغض إلى القلوب وكن فيهم ميمما لحقهم أصم عن باطلهم نطوقا بحقهم صموتا عن باطلهم واحذر محبة أكثر الناس فانهم لا يقولون عثرة ولا ينفرون زلة ولا يسترون عورة ويحاسبون على الغير والقطمير وعمدون على القليل والكثير ينتصفون ولا ينصفون ويؤاخذون على الخطأ والسيان ولا يعفون يفرعون الاخوان على الاخوان بالقيمة والبهتان فضيحة أكثرهم خسران وقطيعتهم رجحان إن رضوا فظاهرهم الملق وإن سخطوا فباطنهم الحق لا يؤمنون في حقهم ولا يرجون في ملتهم فظاهرهم ثياب وباطنهم ذئاب يقطعون بالظنون ويتغامزون وراءك بالعيون ويربصون بصديقهم من الحسد ريب اللون يحصون عليك العثرات في محبتهم ليواجهوك بها في غضبهم ووحشتهم ولا تعمل على مودة من لم تخبره حق الخبره بأن تصحبه مدة في دار أو موضع واحد فتجربه في عزله وولايته وغناه وفقره أو تسافر معه أو تعامله في الدينار والدرهم أو تقع في شدة فتحتاج إليه فإن رضيت في هذه الأحوال فاتخذة أبالك إن كان كبيرا أو ابنا لك إن كان صغيرا أو أخاك إن كان مثلك ، فهذه جملة آداب العاشرة مع أصناف الخلق .

(حقوق الجوار)

اعلم أن الجوار يقتضى حقا وراء ما تقتضيه أخوة الإسلام فيستحق الجار المسلم ما يستحقه كل مسلم وزيادة إذ قال النبي صلى الله عليه وسلم « الجيران ثلاثة جار له حق واحد وجار له حقان وجار له ثلاثة حقوق ، فالجار الذي له ثلاثة حقوق الجار المسلم ذوالرحم فله حق الجوار وحق الاسلام وحق الرحم

(١) حديث الاسراع بالجنائز متفق عليه من حديث أبى هريرة اسرعوا بالجنائز الحديث .

تخالف هوأها حتى صار
داؤها دواءها وصارت
الشموات الباسحة
واللذات المشروعة
لا تضرها ولا تفر عليها
عزائمها بل كالأوصاف
النفوس الزكية إلى
حظوظها ازداد القلب
انشراحا وانفساحا
ويصير بين القلب
والنفس موافقة بمطف
أحدهما على الآخر
يزداد كل واحد منهما
بما يدخل على الآخر
من الحظ كلا أخذ
القلب حظه من الله
خلع على النفس خلع
الطمأنينة فيكون
مزيد السكينة للقلب
مزيد الطمأنينة للنفس
وينشد :
إن السماء إذا اكتست
كست الثرى
حلا يدبجها القمام
الرام
وكلا أخذت النفس
حظها تروح القلب
تروح الجار الشفق
براحة الجار . سمعت
بعض الفقهاء يقول :
النفس تقول للقلب كن

وأما الذي له حقان فالجوار المسلم له حق الجوار وحق الاسلام ، وأما الذي له حق واحد فالجوار المشرك (١) فانظر كيف أثبت للمشرك حقاً بجرد الجوار ، وقد قال صلى الله عليه وسلم « أحسن مجاورة من جاورك تسكن مسلماً » (٢) وقال النبي ﷺ « مازال جبريل يوصيني بالجوار حتى ظننت أنه سيورثه » (٣) وقال صلى الله عليه وسلم « من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم جاره » (٤) وقال صلى الله عليه وسلم « لا يؤمن عبد حتى يأمن جاره بوائقه » (٥) وقال صلى الله عليه وسلم « أول خصمين يوم القيامة جاران » (٦) وقال عليه الصلاة والسلام « إذا أنت رميت كلب جارك فقد آذيته » (٧) وروى أن رجلاً جاء إلى ابن مسعود رضي الله عنه فقال له : إن لي جاراً يؤذيني ويشتني ويضيق عليّ قل اذهب فان هو عصى الله فيك فأطع الله فيه ، وقيل لرسول الله ﷺ « إن فلانة تصوم النهار وتقوم الليل وتؤذي جيرانها فقال صلى الله عليه وسلم هي في النار » (٨) . وجاء رجل إليه عليه السلام يشكو جاره فقال له النبي صلى الله عليه وسلم اصبر ثم قال له في الثالثة أو الرابعة اطرع متاعك في الطريق قال فجعل الناس يعمرون به ويقولون مالك فيقال آذاه جاره قال فجعلوا يقولون لعنه الله فجاءه جاره فقال لمرء متاعك فوالله لأعود » (٩) وروى الزهري « أن رجلاً أتى النبي عليه السلام فجعل يشكو جاره فأمره النبي صلى الله عليه وسلم أن ينادي على باب المسجد ألا إن أربعين داراً جار (١٠) » قال الزهري أربعون هكذا وأربعون هكذا وأربعون هكذا وأربعون هكذا وأوماً إلى أربع جهات وقال عليه السلام « الجن والشؤم في المرأة والسكن والفرس فيمن للمرأة خفة مهرها ويسمى نكاحها وحسن خلقها وشؤمها غلاء مهرها وعسر نكاحها وسوء خلقها وبمن للسكن سعة وحسن جوار أهله وشؤمها ضيقه وسوء جوار أهله وبمن الفرس ذلة وحسن خلقه وشؤمها صغوبته وسوء خلقه » (١١) .

(١) حديث الجيران ثلاثة جار له حق وجار له حقان وجار له ثلاثة حقوق الحديث الحسن بن سفيان والبراز في مسندهما وأبو الشيخ في كتاب الثواب وأبو نعيم في الحلية من حديث جابر وابن عدى من حديث عبد الله بن عمر وكلاهما ضعيف (٢) حديث أحسن مجاورة من جاورك تسكن مسلماً تقدم (٣) حديث مازال جبريل يوصيني بالجوار حتى ظننت أنه سيورثه متفق عليه من حديث عائشة وابن عمر (٤) حديث من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم جاره متفق عليه من حديث أبي شريح (٥) حديث لا يؤمن عبد حتى يأمن جاره بوائقه البخاري من حديث أبي شريح أيضاً (٦) حديث أول خصمين يوم القيامة جاران أحمد والطبراني من حديث عقبة بن عامر بسند ضعيف (٧) حديث إذا أنت رميت كلب جارك فقد آذيته لم أجده أصلاً (٨) حديث إن فلانة تصوم النهار وتقوم الليل وتؤذي جيرانها فقال هي في النار ، أحمد والحاكم من حديث أبي هريرة وقال صحيح الاسناد (٩) حديث جاء رجل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم يشكو جاره فقال اصبر ثم قال له في الثالثة أو الرابعة اطرع متاعك على الطريق الحديث أبو داود وابن حبان والحاكم من حديث أبي هريرة وقال صحيح على شرط مسلم (١٠) حديث الزهري ألا إن أربعين داراً جار أبو داود في الراسل ووصله الطبراني من رواية الزهري عن ابن كعب بن مالك عن أبيه ورواه أبو يعلى من حديث أبي هريرة وقال أربعون ذراعاً وكلاهما ضعيف (١١) حديث الجن والشؤم في المرأة والسكن والفرس فيمن للمرأة خفة مهرها الحديث مسلم من حديث ابن عمر الشؤم في الدار والمرأة والفرس وفي رواية له إن بك من الشؤم شيء حقاً وله من حديث سهل بن سعد إن كان في الفرس والمرأة والسكن والترمذي من حديث حكيم ابن معاوية لشؤم وقد يكون الجن في الدار والمرأة والفرس ورواه ابن ماجه فسماء محمد بن معاوية والطبراني من حديث أسماء بنت عميس قالت يا رسول الله ما سوء الدار قال ضيق صاحبها وخيب جيرانها .

معي في الطعام أكن معك في الصلاة وهذا من الأحوال العزيزة لاتصلح إلا لعالم رباني وكم من مدع يهلك بنومه هذا في نفسه ومثل هذا العبد يزداد بالسكاح ولا ينقص والعبد إذا كمل عليه يأخذ من الأشياء ولا تأخذ الأشياء منه وقد كان الجيد يقول : أنا أحتاج إلى الزوجة كما أحتاج إلى الطعام ومع بعض العلماء بعض الناس يطمئن في الصوفية فقال يا هذا ما الذي ينقصهم عندك فقال يا كلون كثيراً فقال وأنت أيضاً لو جئت كما يجوعون أكلت كما يأكلون ثم قال : ويتزوجون كثيراً قال وأنت أيضاً لو حفظت فرجك كما يحفظون تزوجت كما يتزوجون قال وأي شيء أيضاً قال يسمعون القول قال وأنت أيضاً لو نظرت كما ينظرون سمعت كما

واعلم أنه ليس حق الجوار كنف الأذى فقط بل احتمال الأذى فإن الجار أيضا قد كفف أذاه فليس في ذلك قضاء حق ولا يكفي احتمال الأذى بل لا بد من الرقق وإسداء الخير والمعروف إذ يقال إن الجار الفقير يتعلق بجاره الذي يوم القيامة فيقول يارب سل هذا لم تمنني معروفه وسد بابي دوني وبلغ ابن المتفجع أن جارا له يبيع داره في دين ركه وكان يجلس في ظل داره فقال ما كنت إذا بجرمة ظل داره إن باعها معدما فدفعت إليه من الدار وقال لا تبعها ، وشكا بعضهم كثرة الفأر في داره فقبل له لواتنيت هرا فقال أخشى أن يسمع الفأر صوت المهر فيهرب إلى دور الجيران فأكون قد أحيت لهم مالا أحب لنفسي ، وجملة حق الجار أن يبدأ بالسلام ولا يطيل معه الكلام ولا يكثر عن حاله السؤال ويعوده في المرض ويعزيه في المصيبة ويقوم معه في العزاء ويهنئه في الفرح ويظهر الشركة في السرور معه ويصنع عن زلاته ولا يتطلع من السطح إلى عوراتيه ولا يضيقه في وضع الجذع على جداره ولا في مصب الماء في ميزابه ولا في مطرح التراب في فثائه ولا يضيق طريقه إلى الدار ولا يتبعه النظر فيما يعمله إلى داره ويستمر ما ينكشف له من عوراته وينعشه من صرعته إذا نابته نائبة ولا يغفل عن ملاحظة داره عند غيبته ولا يسمع عليه كلاما ويغض بصره عن حرمة ولا يديم النظر إلى خادمته ويتلطف بولده في كلمته ويرشده إلى ما يحمله من أمر دينه ودنياه ، هذا إلى جملة الحقوق التي ذكرناها لعامة المسلمين ، وقد قال صلى الله عليه وسلم « أتدرون ما حق الجار إن استعان بك أعنته وإن استنصرك نصرته وإن استقرضك أقرضته وإن افتقر عدت عليه وإن مرض عده وإن مات تبع جنازته وإن أصابه خير هنأته وإن أصابه مصيبة عزيت له ولا تستعمل عليه بالبناء فتحجب عنه الريح إلا بأذنه ولا تؤذنه وإذا اشتريت فأكهة فأهد له فإن لم تفعل فأدخلها سرا ولا يخرج بها ولدك ليغيظ بها ولده ولا تؤذنه بقتار قدرك إلا أن تعرف له منها ، ثم قال أتدرون ما حق الجار ؟ والذي نفسي بيده لا يبلغ حق الجار إلا من رحم الله (١) » هكذا رواه عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده عن النبي صلى الله عليه وسلم ، قال مجاهد « كنت عند عبد الله بن عمر وعظام له يسلم شاة فقال يا غلام إذا سلخت فأبدأ بجارنا اليهودي حتى قال ذلك مرارا فقال له كم تقول هذا فقال إن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يزل يوصينا بالجوار حتى خشينا أنه سيورثه (٢) » وقال هشام : كان الحسن لا يرى بأسا أن تطعم الجار اليهودي والنصراني من أضجيتك ، وقال أبو ذر رضي الله عنه أوصاني خليلي صلى الله عليه وسلم وقال « إذا طبخت قدرا فأكثر ماءه ثم انظر بعض أهل بيت في جيرانك فاغرف لهم منها (٣) » وقالت عائشة رضي الله عنها قلت يا رسول الله إن لي جارين أحدهما مقبل على نياحه والآخر ناه

قيل فما سوء الناهية ؟ قال منعها ظهرها وسوء خلقها ، قيل فما سوء المرأة ؟ قال عقم رحمها وسوء خلقها وكلاهما ضعيف وروناه في كتاب الحبل للدمياطي من رواية سالم بن عبد الله مرسل إذا كان الفرس ضروبا فهو مشؤم وإذا كانت المرأة قد عرفت زوجها قبل زوجها فحنت إلى الزوج الأول فهي مشؤمة وإذا كانت الدار بعيدة من المسجد لا يسمع فيها الأذان والاقامة فهي مشؤمة وإسناده ضعيف ووصله صاحب مسند الفردوس بذكر ابن عمر فيه (١) حديث عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده أتدرون ما حق الجار إن استعان بك أعنته وإن استقرضك أقرضته الحديث الخرائطي في مكارم الأخلاق وابن عدى في الكامل وهو ضعيف (٢) حديث مجاهد كنت عند عبد الله بن عمر وغلام له يسلم شاة فقال يا غلام إذا سلخت فأبدأ بجارنا اليهودي الحديث أبو داود والترمذي وقال حسن غريب (٣) حديث أبي ذر أوصاني خليلي صلى الله عليه وسلم إذا طبخت فأكثر للرق ثم انظر بعض أهل بيت من جيرانك فاغرف لهم منها رواه مسلم .

يسمعون . وكان سفيان ابن عيينة يقول كثرة النساء ليست من الدنيا لأن عليا رضي الله عنه كان أزهد أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان له أربع نسوة وسبع عشرة سرية وكان ابن عباس رضي الله عنه يقول خير هذه الأمة أكثرها نساء وقد ذكر في أخبار الأنبياء أن عابدات بتل للعبادة حتى فاق أهل زمانه فذكر لني ذلك الزمان فقال نعم الرجل لولا أنه تارك لشيء من السنة ففهم ذلك إلى العابد فأفهمه فقال ما تمنني عبادتي وأنا تارك السنة فجاء إلى النبي عليه السلام فسأله فقال نعم إنك تارك التزوج فقال ما نركته لأنني أحرمة وما تمنني منه إلا أني فقير لشيء لي وأنا عيال على الناس يطعمني هذا مرة وهذا مرة فأكره أن أتزوج

يباه عنى وربما كان الذى عندى لا يسميها فأيهما أعظم حقا قال القبل عليك يباه (١) ورأى الصديق ولحقه عبد الرحمن وهو يباهى جارا له فقال لا تناس جارك فان هذا يبق والناس ينهبون . وقال الحسن بن عيسى النيسابورى : سألت عبد الله بن المبارك قلت الرجل المجاور يأتمنى فينكس غلامى أنه أتى إليه أمرا والفلان ينكسه فأكره أن أضربه ولله برى وأكره أن أدعه فيجد على جارى فكيف أصنع ؟ قال إن غلامك لله أن يحدث حدثا يستوجب فيه الأدب فاحفظه عليه فإذا شكك جارك فأذبه على ذلك الحدث فتكون قد أدرضيت جارك وأدبته على ذلك الحدث وهذا تلتطف في الجمع بين الحقيقتين . وقالت عائشة رضي الله عنها خلال للكارم عشر تكون في الرجل ولا تكون في أيه وتكون في العبد ولا تكون في سيده يقسمها الله تعالى لمن أحب : صدق الحديث وصدق الناس وإعطاء السائل وللكفاة بالصانع وصلة الرحم وحفظ الأمانة والتذم للجار والتذم للمصاحب وقرى الضيف ورأسهن الحياء . وقال أبو هريرة رضي الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « يا معشر المسلمين لا تحقرن جارة لجارتها ولو فرسن شاة » (٢) « وقال صلى الله عليه وسلم « إن من سعادة المرء السلم للسكن الواسع والجار الصالح والركب الهنيء » (٣) « وقال عبد الله قال رجل يا رسول الله كيف لي أن أعلم إذا أحسنت أو أسأت قال إذا سمعت جيرانك يقولون قد أحسنت قد أحسنت وإذا سمعتمهم يقولون قد أسأت قد أسأت » (٤) « وقال جابر رضي الله عنه قال النبي صلى الله عليه وسلم « من كان له جار في حائط أو شريك فلا يمه حتى يرضه عليه » (٥) « وقال أبو هريرة رضي الله عنه « قضى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن الجار يضع جذعه في حائط جاره شاء أم أبى » (٦) « وقال ابن عباس رضي الله عنهما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لا يمنع أحدكم جاره أن يضع خشبه في جداره » وكان أبو هريرة رضي الله عنه يقول مالي أراكم عنها معرضين والله لأرمينها بين أكتافكم وقد ذهب بعض العلماء إلى وجوب ذلك وقال صلى الله عليه وسلم « من أراد الله به خيرا عسله قبل وما عسله قال يحبيه إلى جيرانه » (٧) .

(١) حديث عائشة قلت يا رسول الله إن لي جارين الحديث رواه البخارى (٢) حديث أبي هريرة يانساء المسلمين لا تحقرن جارة لجارتها ولو فرسن شاة رواه البخارى (٣) حديث إن من سعادة المرء السلم للسكن الواسع والجار الصالح والركب الهنيء أحمد من حديث نافع بن عبد الحارث وسعد بن أبي وقاص وحديث نافع أخرجه الحاكم وقال صحيح الإسناد (٤) حديث عبد الله قال رجل يا رسول الله كيف لي أن أعلم إذا أحسنت أو أسأت قال إذا سمعت جيرانك يقولون قد أحسنت قد أحسنت أحمد والطبراني وعبد الله هو ابن مسعود وإسناده جيد (٥) حديث جابر من كان له جار في حائط أو شريك فلا يمه حتى يرضه عليه ابن ماجه والحاكم دون ذكر الجار وقال صحيح الإسناد وهو عند الخرائطى في مكارم الأخلاق بلفظ المصنف وابن ماجه من حديث ابن عباس من كانت له أرض فأراد بيعها فليعرضها على جاره ورجاله رجال الصحيح (٦) حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أن الجار يضع جذعه في حائط جاره شاء أم أبى الخرائطى في مكارم الأخلاق هكذا وهو متفق عليه بلفظ لا يمنع أحدكم جاره أن يفرز خشبه في حائطه رواه ابن ماجه بإسناد ضعيف واتفق عليه الشيخان من حديث أبي هريرة (٧) حديث من أراد الله به خيرا عسله أحمد من حديث أبي عتبة الخولاني ورواه الخرائطى في مكارم الأخلاق والبيهقي في الزهد من حديث عمرو بن الحنفى زاد الخرائطى قبل وما عسله قال يحبه إلى جيرانه وقال البيهقي يفتح له عملا صالحا قبل موته حتى يرضى عنه من حوله وإسناده جيد .

بإمرأة أعزلها أو أرهاقها جهدا قال له النبي عليه الصلاة والسلام وما يملكك إلا هذا قال نعم قال أنا أزوجك ابنتي فزوجه النبي عليه السلام ابنته وكان عبد الله بن مسعود يقول لو لم يبق من عمري إلا عشرة أيام أحببت أن أتزوج ولا ألقى الله عزبا وما ذكر الله تعالى في القرآن من الأنبياء إلا المتأهلين . وقيل إن يحيى بن زكريا عليهما السلام تزوج لأجل السنة ولم يكن يقربها وقيل إن عيسى عليه السلام سينكح إذا نزل إلى الأرض ويولد له . وقيل إن ركة من متأهل خير من سبعين ركة من عزب أخبرنا الشيخ طاهر بن أبي الفضل قال أنا أبو منصور محمد بن الحسين بن أحمد بن الهيثم القومى القزوينى قال أنا أبو طلحة القاسم

(حقوق الأقارب والرحم)

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « يقول الله تعالى أنا الرحمن وهذه الرحم شقق لها اسمي من اسمي فمن وصلها وصلته ومن قطعها بئته ^(١) » وقال صلى الله عليه وسلم « من سره أن ينسأ له في أثره ويوسع عليه في رزقه فليصل رحمه ^(٢) » وفي رواية أخرى « من سره أن يمد له في عمره ويوسع له في رزقه فليتيق الله وليصل رحمه » وقبل لرسول الله ﷺ أي الناس أفضل « قال أنقام لله وأوصلهم لرحمه وأمرهم بالمعروف وأنهاهم عن المنكر ^(٣) » وقال أبوذر رضى الله عنه « أوصاني خليلي عليه السلام بصلة الرحم وإن أدبرت وأمرني أن أقول الحق وإن كان مرا ^(٤) » وقال صلى الله عليه وسلم « إن الرحم معلقة بالعرش وليس الواصل بالمسكافي ولكن الواصل الذي إذا انقطعت رحمه وصلها ^(٥) » وقال عليه السلام « إن أعجل الطاعة ثوابا صلة الرحم حتى إن أهل البيت ليكونون لجارا فتتمو أموالهم ويكثر عددهم إذا وصلوا أرحامهم ^(٦) » وقال زيد بن أسلم لما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى مكة عرض له رجل فقال إن كنت تريد النساء البيض والنوق الأدم فليك بيني مدبج قال عليه السلام « إن الله قد منحنى من بيني مدبج بصلتهم الرحم ^(٧) » وقالت أسماء بنت أبي بكر رضى الله عنهما قدمت على أمي فقلت يا رسول الله إن أمي قدمت على وهي مشركة أفأصلها ؟ قال نعم ^(٨) » وفي رواية أفأصلها قال نعم صليها وقال عليه السلام « الصدقة على الساكين صدقة وعلى ذى الرحم ثنتان ^(٩) » ولما أراد أبو طلحة أن يتصدق بمحاطط كان له يسجبه عملا بقوله تعالى - لن تتالوا البرحق تنفقوا مما تحبون - ^(١٠) قال يا رسول الله هو في سبيل الله وللفقراء وللساكين فقال عليه السلام « وجب أجره على الله فاقسمه في أقاربك » وقال عليه السلام « أفضل الصدقة على ذى الرحم الكاشح ^(١١) »

(١) حديث يقول الله أنا الرحمن وهذه الرحم الحديث متفق عليه من حديث عائشة (٢) حديث من سره أن ينسأ له في أثره ويوسع له في رزقه فليتيق الله وليصل رحمه متفق عليه من حديث أنس دون قوله فليتيق الله وهو بهذه الزيادة عند أحمد والحاكم من حديث علي بن اسناد جيد (٣) حديث أي الناس أفضل قال أنقام لله وأوصلهم لرحم أحمد والطبراني من حديث درة بنت أبي لهب بإسناد حسن (٤) حديث أبي ذر أوصاني خليلي صلى الله عليه وسلم بصلة الرحم وإن أدبرت وأمرني أن أقول الحق وإن كان مرا ، أحمد وابن حبان ومحمد (٥) حديث إن الرحم معلقة بالعرش وليس الواصل بالمسكافي ولكن الواصل الذي إذا قطعت رحمه وصلها الطبراني والبيهقي من حديث عبد الله بن عمرو وهو عند البخاري دون قوله الرحم معلقة بالعرش فرواها مسلم من حديث عائشة (٦) حديث أعجل الطاعات ثوابا صلة الرحم الحديث ابن حبان من حديث أبي بكرة والخرايطي في مكارم الأخلاق والبيهقي في الشعب من حديث عبد الرحمن بن عوف بسند ضيف (٧) حديث زيد بن أسلم لما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى مكة عرض له رجل فقال إن كنت تريد النساء البيض والنوق الأدم فليك بيني مدبج قال إن الله منحنى من بيني مدبج بصلتهم الرحم الخرايطي في مكارم الأخلاق وزاد وطعنهم في لبات الإبل وهو مرسل صحيح الاسناد (٨) حديث أسماء بنت أبي بكر قدمت على أمي فقلت يا رسول الله قدمت على أمي وهي مشركة أفأصلها قال نعم صليها متفق عليه (٩) حديث الصدقة على الساكين صدقة وعلى ذى الرحم صدقة وصلة الترمذي وحسنه والنسائي وابن ماجه من حديث سلمان بن عامر الضبي (١٠) حديث لما أراد أبو طلحة أن يتصدق بمحاطط كان له يسجبه عملا بقوله تعالى - لن تتالوا البرحق تنفقوا مما تحبون - الحديث أخرجه البخاري وقد تقدم (١١) حديث أفضل الصدقة على ذى الرحم الكاشح أحمد والطبراني من حديث أبي أبوب وفيه الحجاج

ابن أبي البدر الخطيب
قال ثنا أبو الحسن علي
ابن إبراهيم بن
سنة القطان قال ثنا
أبو عبد الله بن محمد
يزيد بن ماجه قال ثنا
أحمد بن الأزهر قال
حدثنا آدم قال حدثنا
عيسى بن ميمون عن
القاسم عن عائشة
رضي الله عنها قالت قال
رسول الله صلى الله
عليه وسلم « النكاح
سنتي فمن لم يعمل بسنتي
فليس مني فتزوجوا فإني
مكاثر بكم الأم ومن
كان ذا طول فليتكح
ومن لم يجد فليته
بالصيام فإن الصوم له
وجاء » ومما ينبغي
للتأهل أن يحذروا من
الافراط في المخالطة
والعاشرة مع الزوجة إلى
حد ينقطع عن أوراده
وسياسة أوقاته فإن
الافراط في ذلك يقوى
الفسس وجنودها ويفتر
ناهض الهمة . وللتأهل
بسبب الزوجة فتنتان
فتنة لموم حاله وفتنة

وهو في معنى قوله «أفضل الفضائل أن تصل من قطعك وتعطي من حرمك وتصنع عن ظلك»^(١) وروى أن عمر رضي الله عنه كتب إلى عماله مروا الأقارب أن يتزاوروا ولا يتجاوروا وإنما قال ذلك لأن التجاور يورث التزام على الحقوق وربما يورث الوحشة وقطيعة الرحم.

(حقوق الوالدين والولد)

لا يخفى أنه إذا تأكد حق القرابة والرحم فأخص الأرحام وأمسها الولادة فيتضاعف تأكد الحق فيها وقد قال صلى الله عليه وسلم «لن يجزى ولد والده حتى يجد مملوكا فيشتريه فيعتقه»^(٢) وقد قال صلى الله عليه وسلم «برّ الوالدين أفضل من الصلاة والصدقة والصوم والحج والعمرة والجهاد في سبيل الله»^(٣) وقد قال ﷺ «من أصبح مرضيا لأبويه أصبح له بابان مفتوحان إلى الجنة ومن أسمى مثل ذلك وإن كان واحدا فواحدا وإن ظلما وإن ظلما وإن ظلما ومن أصبح مسخطا لأبويه أصبح له بابان مفتوحان إلى النار وإن أسمى مثل ذلك وإن كان واحدا فواحدا وإن ظلما وإن ظلما وإن ظلما»^(٤) وقال صلى الله عليه وسلم «إن الجنة يوجد ريعها من مسيرة خمسمائة عام ولا يجد ريعها عاق ولا قاطع رحم»^(٥) وقال ﷺ «برّ أمك وأباك وأختك وأخاك ثم أدناك فأدناك»^(٦) وروى أن الله تعالى قال لموسى عليه السلام يا موسى إنه من برّ والديه وعقى كتيبه بارا ومن برى وعق والديه كتيبه عاقا، وقيل لما دخل يعقوب على يوسف عليهما السلام لم يرق له فأوحى الله إليه أتعظم أن تقوم لأبيك وعزتي وجلالي لا أخرجت من صلبك نبيا وقال صلى الله عليه وسلم «ما طي أحد إذا أراد أن يتصدق بصدقة أن يحملها لوالديه إذا كانا مسلمين فيكون لوالديه أجرها ويكون له مثل أجورهما من غير أن ينقص من أجورهما شيء»^(٧) وقال مالك بن ربيعة بيننا نحن عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ابن أرملة ورواه البيهقي من حديث أم كلثوم بنت عقبة (١) حديث أفضل الفضائل أن تصل من قطعك الحديث أحمد من حديث معاذ بن أنس بسند ضعيف والطبراني نحوه من حديث أبي أمامة وقد تقدم (٢) حديث لن يجزى ولد والده حتى يجد مملوكا فيشتريه فيعتقه مسلم من حديث أبي هريرة (٣) حديث برّ الوالدين أفضل من الصلاة والصوم والحج والعمرة والجهاد لم أجده هكذا وروى أبو يعلى والطبراني في الصغير والأوسط من حديث أنس أتى رجل رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال إني أشتهي الجهاد ولا أقدر عليه قال هل بقي من واديك أحد، قال أمي قال قابل الله في برها فإذا فعلت ذلك فأنت حاج ومعتبر ومجاهد وإسناده حسن (٤) حديث من أصبح مرضيا لأبويه أصبح له بابان مفتوحان إلى الجنة الحديث البيهقي في الشعب من حديث ابن عباس ولا يصح (٥) حديث إن الجنة يوجد ريعها من مسيرة خمسمائة عام ولا يجد ريعها عاق ولا قاطع رحم الطبراني في الصغير من حديث أبي هريرة دون ذكر القاطع وهي في الأوسط من حديث جابر إلا أنه قال من مسيرة ألف عام وإسناده ضعيف (٦) حديث برّ أمك وأباك وأختك وأخاك ثم أدناك أدناك النساء من حديث طارق الحارثي وأحمد والحاكم من حديث أبي رمة ولأبي داود نحوه من حديث كليب بن منقعة عن جده وله للترمذي والحاكم وصححه من حديث بهز بن حكيم عن أبيه عن جده: من أبر قال أمك ثم أمك ثم أمك ثم أباك ثم الأقرب فالأقرب وفي الصحيحين من حديث أبي هريرة قال رجل من أحق الناس بحسن الصحبة قال أمك ثم أمك ثم أمك ثم أبوك لفظ مسلم (٧) حديث ما طي أحد إذا أراد أن يتصدق بصدقة أن يحملها لوالديه إذا كانا مسلمين الحديث الطبراني في الأوسط من حديث عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده بسند ضعيف دون قوله إذا كانا مسلمين.

لخصوص حاله فقتنة عموم حاله الا فراط في الاهتمام بأسباب اللبشة. كان الحسن يقول: والله ما أصبح اليوم رجل يطيع امرأته فيما تهوى إلا أكبه الله على وجهه في النار. وفي الخبر «يأتي على الناس زمان يكون هلاك الرجل على يد زوجته وأبويه وولده يبرونه بالفقر ويكلفونه ما لا يطيق فيدخل في للداخل التي يذهب فيها دينه فيهلك». وروى أن قوما دخلوا على يوس عليه السلام فأضافهم وكان يدخل ويخرج إلى منزله فتؤذيه امرأته وتستطيل عليه وهو ساكت فصبوا من ذلك وها بوه أن يسألوه فقال لا تعجبوا من هذا فإني سألت الله فقلت يارب ما كنت معاقبي به في الآخرة فعبه لي في الدنيا فقال إن عقوبتك بنت فلان تزوج بها

إذ جاءه رجل من بني سلمة فقال يا رسول الله هل بقي على من بر أبوي شيء أبرهما به بدو عاقبتهما ؟ قال نعم الصلاة عليهما والاستغفار لهما وإنقاذ عهدهما وإكرام صديقيهما وصلة الرحم التي لا توصل إلا بهما ^(١) وقال صلى الله عليه وسلم « إن من أبر البر أن يصل الرجل أهل وده أبيه بعد أن يولي الأب ^(٢) » وقال صلى الله عليه وسلم « بر الوالدة على الولد ضعفان ^(٣) » وقال صلى الله عليه وسلم « دعوة الوالدة أسرع إجابة قيل يا رسول الله ولم ذاك قال هي أرحم من الأب ودعوة الرحم لا تسقط ^(٤) » . « وسأله رجل فقال : يا رسول الله من أبر ؟ قال بر والدك فقال ليس لي والدان فقال بر ولدك كما أن لوالدك عليك حقا كذلك لولدك عليك حق ^(٥) » وقال صلى الله عليه وسلم « رحم الله والدا أعان ولده على بره ^(٦) » أي لم يجعله على العقوق بسوء عمله . وقال صلى الله عليه وسلم « ساووا بين أولادكم في العطية » وقد قيل ولدك ربح ما كنت تشمها سبما وخادمك سبما ثم هو عدوك وأشريكك . وقال أنس رضي الله عنه قال النبي صلى الله عليه وسلم « الغلام يعق عنه يوم السابع ويسمى ويماط عنه الأذى فإذا بلغ ست سنين أدب فإذا بلغ تسع سنين عزل فراشه فإذا بلغ ثلاث عشرة سنة ضرب على الصلاة فإذا بلغ ست عشرة سنة زوجه أبوه ثم أخذ يده وقال قد أدبتك وعلمتك وأبككتك أعوذ بأقمن فتنتك في الدنيا وعذابك في الآخرة ^(٧) » وقال صلى الله عليه وسلم « من حق الوالد على الولد أن يحسن أدبه ويحسن اسمه ^(٨) » وقال عليه الصلاة والسلام « كل غلام رهين أو رهينة بقيقته تذبح عنه يوم السابع ويحلق رأسه ^(٩) » وقال قتادة إذا ذبحت المقيمة أخذت صوفة منها فاستقبلت بها وأداجها ثم توضع على يافوخ الصبي حتى يسيل عنه مثل الحيط ثم يفسل رأسه ويحلق بعد وجاء رجل إلى عبد الله بن المبارك فشكا إليه بعض ولده فقال هل دعوت عليه قال نعم قال أنت

(١) حديث مالك بن ربيعة يينا نحن عند رسول الله صلى الله عليه وسلم إذ جاءه رجل من بني سلمة فقال هل بقي على من بر أبوي شيء الحديث أبو داود وابن ماجه وابن حبان والحاكم وقال صحيح الاستاد (٢) حديث إن من أبر البر أن يصل الرجل أهل وده أبيه مسلم من حديث ابن عمر (٣) حديث بر الوالدة على الولد ضعفان غريب بهذا اللفظ وقد تقدم قبل هذا بثلاثة أحاديث من حديث بهز بن حكيم وحديث أبي هريرة وهو معنى هذا الحديث (٤) حديث الوالدة أسرع إجابة الحديث لم أقف له على أصل (٥) حديث قال رجل يا رسول الله من أبر ؟ قال بر والدك فقال ليس لي والدان فقال ولدك فكما أن لوالدك عليك حقا كذلك لولدك عليك حق أبو عمر التوقاني في كتاب معاشره الأهلين من حديث عثمان بن عفان دون قوله فكما أن لوالدك الخ وهذه القطعة رواها الطبراني من حديث ابن عمر قال الدار قطني في العلل إن الأصح وقفه على ابن عمر (٦) حديث رحم الله والدا أعان ولده على بره أبو الشيخ ابن حبان في كتاب الثواب من حديث على بن أبي طالب وابن عمر بسند ضعيف ورواه التوقاني من رواية الشامي مرسل (٧) حديث أنس الغلام يعق عنه يوم السابع ويسمى ويماط عنه الأذى فإذا بلغ ست سنين أدب فإذا بلغ سبع سنين عزل فراشه فإذا بلغ ثلاثة عشر ضرب على الصلاة والصوم فإذا بلغ ستة عشر زوجه أبوه ثم أخذ يده وقال قد أدبتك وعلمتك وأنكحتك أعوذ بالله من فتنتك في الدنيا وعذابك في الآخرة أبو الشيخ ابن حبان في كتاب الضحايا والعقيقة إلا أنه قال وأدبوه لسبع وزوجه لسبع عشرة ولم يذكر الصوم وفي إسناده من لم يسم (٨) حديث من حق الولد على الوالد أن يحسن أدبه ويحسن اسمه البهقي في الشعب من حديث ابن عباس وحديث عائشة وضمفهما (٩) حديث كل غلام رهين أو رهينة بقيقته تذبح عنه يوم السابع ويحلق رأسه أصحاب السنن من حديث سمرة قال الترمذي حسن صحيح .

فترجعت بها وأنا صابر على ما ترون فإذا أفرط الفقير في الداراة ربما تعدى حد الاعتدال في وجوه المبيشة متطلبا رضا الزوجة فهذا فتنة عموم حاله . وقتنة خصوص حاله الأفرط في المحالسة والمخالطة فتطلق النفس عن قيد الاعتدال وتشرق الغرض بطول الاسترسال فيستولي على القلب بسبب ذلك السهو والخطأ ويستجلس مقام الهمة فيقل الوارد لفة الأوراد ويتكرر الحال لأعمال شروط الأعمال وألطف من هذين الفتنتين فتنة أخرى تختص بأهل القرب والحضور وذلك أن النفوس امتزاجا وبرابطة الامتزاج تمتد وتشد وتطرى طبيعتها الجامدة وتلهب نارها الحامدة فدواء هذه الفتنة أن يكون للتأهل

أنسده ويستحب الرفق بالولد . رأى الأقرع بن حابس النبي صلى الله عليه وسلم وهو يقبل ولده الحسن فقال إن لي عشرة من الولد ما قبلت واحدا منهم فقال عليه الصلاة والسلام « إن من لا يرحم لا يرحم » (١) وقالت عائشة رضي الله عنها « قال لي رسول الله ﷺ يوما اغسلي وجه أسامة فجعلت أغسله وأنا أنفة فضرب يدي ثم أخذه فقبل وجهه ثم قبله ثم قال : قد أحسن بنا إذ لم يكن جارية » (٢) ونشر الحسن والنبي صلى الله عليه وسلم على منبره فزل لحمه وقرأ قوله تعالى - إنما أموالكم وأولادكم فتنة - (٣) وقال عبد الله بن شداد « بينا رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي بالناس إذ جاءه الحسن فركب عنقه وهو ساجد فأطال السجود بالناس حتى ظنوا أنه قد حدث أمر فلما قضى صلاته قالوا قد أطلت السجود يا رسول الله حتى ظننا أنك قد حدثت أمر فقال : إن ابني قد ارتحلني فكرهت أن أعجله حتى يقضى حاجته » (٤) وفي ذلك فوائد إحداهما التقرب من الله تعالى فإن العبد أقرب ما يكون من الله تعالى إذا كان ساجدا وفيه الرفق بالولد والبر وتطهير لأمته . وقال ﷺ « ريح الولد من ريح الجنة » (٥) وقال يزيد بن معاوية أرسل أبي إلى الأخنف بن قيس فلما وصل إليه قال : يا أبا عمر ما تقول في الولد ؟ قال يا أمير المؤمنين مكار قلوبنا وعماد ظهورنا ونحن لهم أرض ذليلة وسما ظلية وبهم نصول على كل جليلة فإن طلبوا فأعطهم وإن غضبوا فأرضهم بمنحوك ودمهم وبحبوك جهنم ولا تكن عليهم قلا قتيلا فيملوا حياتك ويوموا وفاتك ويكرهوا قربك فقال له معاوية « أنت يا أخنف لقد دخلت على وأنا ملوء غضبا وغيظا على يزيد فلما خرج الأخنف من عنده رضى عن يزيد وبش إليه بمائتي ألف درهم ومائتي ثوب فأرسل يزيد إلى الأخنف بمائة ألف درهم ومائة ثوب فقاسمه إياها على الشطر فهذه هي الأخبار الدالة على تأكد حق الوالدين وكيفية القيام بهما تعرف مما ذكرناه في حق الأخوة فإن هذه الرابطة آكد من الأخوة بل يزيد ههنا أمران : أحدهما أن أكثر العلماء على أن طاعة الأبوين واجبة في الشبهات وإن لم يجب في الحرام المحض حتى إذا كانا يتنصان باقرادك عنهما بالطعام فليك أن تأكل معهما لأن ترك الشبهة ورع ورعا للوالدين حتم وكذلك ليس لك أن تسافر في مباح أو نافلة إلا باذنهما والبادرة إلى الحج الذي هو فرض الاسلام قل لأنه على التأخير والخروج لطلب العلم قل إلا إذا حكنت تطلب علم الفرض من الصلاة والصوم ولم يكن في بلدك من يعلمك وذلك كمن يسلم ابتداء في بلد ليس فيها من يعلمه شرع الاسلام فعليه الهجرة ولا يتقيد بحق

(١) حديث رأى الأقرع بن حابس النبي صلى الله عليه وسلم وهو يقبل ولده الحسن فقال إن لي عشرة من الولد ما قبلت واحدا منهم فقال من لا يرحم لا يرحم البخاري من حديث أبي هريرة (٢) حديث عائشة قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما اغسلي وجه أسامة فجعلت أغسله وأنا أنفة فضرب يدي ثم أخذه فقبل وجهه ثم قبله ثم قال قد أحسن بنا إذ لم يكن جارية لما جده هكذا ولأحمد من حديث عائشة أن أسامة عثر بعتة الباب فدمى فجعل النبي صلى الله عليه وسلم يمسح ويقول لو كان أسامة جارية لحببها ولكسوتها حتى أنفقها وإسناده صحيح (٣) حديث عمر بن الخطاب وهو على منبره ﷺ فزل لحمه وقرأ قوله تعالى - إنما أموالكم وأولادكم فتنة - أصحاب السنن من حديث بريدة في الحسن والحسين معا بمشيان ويعثران قال الترمذي حسن غريب (٤) حديث عبد الله بن شداد بينا رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي بالناس إذ جاء الحسن فركب عنقه النساء من رواية عبد الله بن شداد عن أبيه وقال فيه الحسن أو الحسين على الشك ورواه الحاكم وقال صحيح على شرط الشيخين (٥) حديث ربح الولد من ربح الجنة الطبراني في الصغير والأوسط وابن حبان في الضعفاء من حديث ابن عباس وفيه منديل بن على ضعيف .

عند المجالية عينان
بطنان ينظر بهما إلى
مولاهم عينان ظاهران
يستعملهما في طريق
هواه . وقد قالت رابعة
في معنى هذا نظما :
إن جلتك في القواد
محدث
وأبحت جسمي من
أراد جلوس
فالجسم مني للجلوس
مؤانسي
وحبيب قلبي في القواد
أنيسي .
والطف من هذا فتنة
أخرى يخشاها المتأهل
وهو أن يصير للروح
استرواح إلى لطف
الجمال ويكون ذلك
الاسترواح موقوفا
على الروح ويصير
ذلك وليجة في حب
الروح المخصوص
بالخلق بالحضرة الالهية
فتقبل الروح وينسند
باب الزيد من الفتوح
وهذه البلادة في الروح
يمز الصغور بها لتعذر
ومن هذا القبيل
دخلت الفتنة على طائفة

قالوا بالمشاهدة وإذا
كان في باب الحلال
وليعة في الحب يتولد
منها بلاءة الروح
في القيام بوظائف حب
الحضرة الإلهية لها

ظنك فيمن يدعى
ذلك في باب غير
مشروع يفره مكون
النفس فيظن أنه لو
كان من قبيل الهوى
ما سكنت النفس

والنفس لا تسكن في
ذلك دائماً بل تسلب من
الروح ذلك الوصف
وتأخذها إليها على أنى
استبحشت عما يتلى به
الفتونون بالمشاهدة
فوجدت الحمى من
ذلك من صورة الفسق
عنده رغبة شراب
الشهوة إذ لو ذهب علة
الشراب ما بقيت الرغبة
فليحذر ذلك جداً
ولا يسمع ممن يدعى
فيه حالاً وصحة فإنه
مكذاب مدع ولهذا
الغنى قال الأطباء الجماع
يسكن هيجان العشق
وإن كان من غير

عبد الله بن عمر رضي الله عنهما «جاء رجل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله كم نعفو عن الخادم فصمت عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال اعف عنه في كل يوم سبعين مرة (١)» وكان عمر رضي الله عنه يذهب إلى العوالي في كل يوم سبت فإذا وجد عبدا في عمل لا يطيعه وضع عنه منه . وروى عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه رأى رجلا على دابته وغلامه يسعى خلفه فقال له يا عبد الله احمله خلفك لأنما هو أخوك روحه مثل روحك فحملة ثم قال لا يزال العبد يزداد من الله عبدا ما مشى خلفه . وقالت جارية لأبي البرداء إني مميتك منذ سنة لما عمل فيك شيئا قال لم فصمت ذلك فقالت أردت الراحة منك فقال اذهبي عني فأنت حرة لوجه الله وقال الزهري متى قلت للملوك أخذك الله فهو حر . وقيل للأحنف بن قيس بمن تطلعت الحلم ؟ قال من قيس بن عاصم ، قيل لما بلغ من حلمه ؟ قال بينا هو جالس في داره إذ أتته خادمة له بسفود عليه شواء فسقط السفود من يدها على ابن له فقهره فمات فدهشت الجارية فقال ليس يسكن روح هذه الجارية إلا العتق فقال لها أنت حرة لا بأس عليك وكان عون بن عبد الله إذا عصاه غلامه قال مأشبهك بمولائك مولائك يصحى مولاه وأنت تصحى مولائك فأغضبه يوما فقال إنما تريد أن أضربك اذهب فأنت حر وكان عند ميمون بن مهران ضيف فاستجبل على جاريته بالعشاء فجاءت مسرعة ومعهما قصعة مملوءة فمضت وأراقها على رأس سيدها ميمون فقال يا جارية أحرقتني قالت يا معلم الحير ومؤدب الناس أرجع إلى ما قال الله تعالى قال وما قال الله تعالى قالت قال - والكاذمين النيط - قال قد كظمت غيظي قالت والعافين عن الناس - قال قد عفوت عنك قالت زد فإن الله تعالى يقول - والله يحب المحسنين - قال أنت حرة لوجه الله تعالى . وقال ابن النكدر «إن رجلا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ضرب عبدا له فجعل العبد يقول أسألك بالله أسألك بوجه الله فلم ينفه فسمع رسول الله صلى الله عليه وسلم صباح العبد فأنطلق إليه فلما رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم أمسك يده فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم بوجه الله فلم ينفه فلما رأى أمسك يده فقال فانه حر لوجه الله يا رسول الله فقال لولم تفعل اسفعت وجهك النار (٢)» وقال ^(٣) «العبد إذا نصح لسيده وأحسن عبادة الله فله أجره مرتين (٣)» ولما أعتق أبو رافع بكى وقال كان لي أجران فذهب أحدهما وقال صلى الله عليه وسلم «عرض على أول ثلاثة يدخلون الجنة وأول ثلاثة يدخلون النار فأما أول ثلاثة يدخلون الجنة فالشهيد وعبد مملوك أحسن عبادة ربه ونصح لسيده وعفيف متعفف ذو عيال وأول ثلاثة يدخلون النار أمير مسلط وذو ثروة لا يعطى حق الله وفقير فخور (٤)» وعن أبي

للمشوق فليعلم أن مستنده الشهوة ويكذب من يدعى فيه حالا وهذه فن للتأهل ونفحة العزب مرور النساء بخاطره وتصورهن في متخيله ومن أعطى العظيمة في باطنه لا يدنس باطنه بخواطر الشهوة وإذا سنع الخاطر بمحوه بحسن الانابة واللباذ بالمر بومق سامر الفكر كشف الخاطر وخرج من القلب إلى الصدر وعند ذلك يحذر حساس العضو بالخاطر فيصير ذلك عملا خفيا وما أقبح مثل هذا بالصالح للتطلع إلى الحضور واليقظة فيكون ذلك فاجشة الحال وقد قيل مرور الفاحشة بقلب الصارفين كفعل الفاعلين لها والله أعلم .

[الباب الثاني والعشرون في القول في السماع قبولاً وإشاراً] قال الله تعالى - فبشر

عند أحد منهم متكبر وزاد أحمد والترمذي البخيل والمنان وهو ضيف وحسن الترمذي أحد طريقيه (١) حديث ابن عمر جاء رجل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله كم نعفو عن الخادم فصمت ثم قال اعف عنه كل يوم سبعين مرة أبو داود والترمذي وقال حسن صحيح غريب (٢) حديث ابن النكدر أن رجلا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ضرب عبدا له فجعل العبد يقول أسألك بالله أسألك بوجه الله فسمع رسول الله صلى الله عليه وسلم صباح العبد الحديث ابن المبارك في الزهد مراسلا وفي رواية لمسلم في حديث أبي مسعود الآتي ذكره فجعل يقول أعوذ بالله قال فجعل يضربه فقال أعوذ برسول الله فتركه وفي رواية له قلت هو حر لوجه الله فقال أما إنك لولم تفعل للفتحك النار أو لمستك النار (٣) حديث إذا نصح العبد لسيده وأحسن عبادة الله فله أجره مرتين متفق عليه من حديث ابن عمر (٤) حديث عرض على أول ثلاثة يدخلون الجنة وأول ثلاثة يدخلون النار فأول ثلاثة يدخلون الجنة الشهيد وعبد مملوك أحسن عبادة ربه ونصح لسيده

مسعود الأنصاري قال « بينا أنا أضرب غلاماً لي إذ سمعت صوتاً من خافي أعلم يا أبا مسعود مرتين قالت
 فإذا رسول الله صلى الله عليه وسلم فأقيمت السوط من يدي فقال : والله لله أنذر عليك منك على
 هذا ^(١) » وقال صلى الله عليه وسلم « إذا ابتاع أحدكم الخادم فليكن أول شيء يطعمه الخلو فانه أطيب
 لنفسه ^(٢) » رواه معاذ . وقال أبو هريرة رضي الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إذا أتى
 أحدكم خادمه بطعامه فليجلسه وليأكل معه فإن لم يفعل فليتناوله لقمة ^(٣) » وفي رواية « إذا كفى
 أحدكم مملوكه صنعة طعامه فكفاه حره ومؤته وقربه إليه فليجلسه وليأكل معه فإن لم يفعل فليتناوله
 أو ليأخذ أكلة فليروغها وأشار بيده وليضعها في يده وليلق كل هذه . ودخل على سلمان رجل وهو
 يمجن فقال يا أبا عبد الله ما هذا فقال بعثنا الخادم في شغل فسكرهنا أن نجتمع عليه عمليين وقال صلى الله
 عليه وسلم « من كانت عنده جارية فصانها وأحسن إليها ثم أعتقها وتزوجها فذلك له أجران ^(٤) » وقد
 قال صلى الله عليه وسلم « كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته ^(٥) » فجملة حق المملوك أن يشره في
 طعامه وكسوته ولا يكلفه فوق طاقته ولا ينظر إليه بين الكبر والازدراء وأن يعفو عن زلته ويتفكر
 عند غضبه عليه بهفوته أو بجنايته في معاصيه وجنايته على حق الله تعالى وتقصيره في طاعته مع أن قدرة
 الله عليه فوق قدرته وروى فضالة بن عبيد أن النبي صلى الله عليه وسلم قال « ثلاثة لا يثبت عنهم رجل
 فارق الجماعة ورجل عصي إمامه فأت عاصياً فلا يسأل عنها وامرأة غاب عنها زوجها وقد كفها مؤنة
 الدنيا فترجعت بعده فلا يسأل عنها وثلاثة لا يسأل عنهم رجل ينزع الله رداؤه ورداؤه الكبرياء وإزاره
 العز ورجل في شك من الله وقنوط من رحمة الله ^(٦) » ثم كتاب آداب الصبوة والمعاملة مع أصناف الخلق.

(كتاب آداب العزلة)

(وهو الكتاب السادس من ربيع العادات من كتب إحياء علوم الدين)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

الحمد لله الذي أعظم النعمة على خيرة خلقه وصفوته بأن صرف همهم إلى مؤانسته وأجزل حظهم
 من التلذذ بمشاهدة آلائه وعظمته وروح أسرارهم بمناجاته وملاطفته وحقه في قلوبهم النظر إلى
 متاع الدنيا وزهرتها حتى اغتبط بعزله كل من طويت الحجب عن مجاري فكرته فاستأنس بمطالعة
 سبحات وجهه تعالى في خلوته واستوحش بذلك عن الأنس بالإنس وإن كان من أخص خاصته

الحديث الترمذي وقال حسن وابن حبان من حديث أبي هريرة .

(١) حديث أبي مسعود الأنصاري بينا أنا أضرب غلاماً لي سمعت صوتاً من خلفي أعلم يا مسعود مرتين
 الحديث رواه مسلم (٢) حديث معاذ إذا ابتاع أحدكم الخادم فليكن أول شيء يطعمه الخلو فانه أطيب
 لنفسه الطبراني في الأوسط والخرائطي في مكارم الأخلاق بسند ضعيف (٣) حديث أبي هريرة وليأكل
 معه فإن أبي فليتناوله وفي رواية إذا كفى أحدكم مملوكه صنعة طعامه الحديث متفق عليه مع اختلاف
 لفظ وهو في مكارم الأخلاق للخرائطي باللفظين الذين ذكرهما المصنف غير أنه لم يذكر علاجه وهذه
 اللفظة عند البخاري (٥) حديث من كانت عنده جارية فصانها وأحسن إليها ثم أعتقها وتزوجها
 فذلك له أجران متفق عليه من حديث أبي موسى (٥) حديث كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته
 متفق عليه من حديث ابن عمر وقد تقدم (٦) حديث فضالة بن عبيد ثلاثة لا يسأل عنهم رجل فارق
 الجماعة وعصى إمامه ومات عاصياً الحديث الطبراني والحاكم وصححه .

(كتاب العزلة)

(الباب الأول في قول المذاهب والجحجج فيها)

عباد الذين يستمعون
 القول فيتعنون أحسنه
 أولئك الذين هداهم الله
 وأولئك هم أولو الألباب
 قيل أحسنه أي أهده
 وأرشد وقال عز
 وجل - وإذا سمعوا
 ما أنزل إلى الرسول ترى
 أعينهم تفيض من الدمع
 مما عرفوا من الحق -
 هذا السماع هو السماع
 الحق الذي لا يختلف
 فيه اثنان من أهل
 الإيمان محكوم لصاحبه
 بالهداية واللب وهذا
 سماع ترد حرارته على
 برد اليقين قفيض
 العين بالسمع لأنه تارة
 يثير حزناً والحزن حار
 وتارة يثير شوقاً
 والشوق حار وتارة
 يثير غماً والندم حار
 فإذا أثار السماع هذه
 الصفات من صاحب
 قلب مملوء ببرد اليقين
 أبكى وأدمع لأن
 الحرارة والبرودة إذا
 اصطدما عصر إماماً فإذا
 ألم السماع بالقلب تارة
 خفت إلى الله فيظهر

والصلاة على سيدنا محمد سيد أنبيائه وخيرته وعلى آله وصحبه سادة الحق وأئمة .

[أما بعد] فإن للناس اختلافا كثيرا في العزلة والمخالطة وتفضيل أحدهما على الأخرى مع أن كل واحدة منهما لا تنفك عن غوائل تنفر عنها وفوائد تدعو إليها وميل أكثر العباد والزهاد إلى اختيار العزلة وتفضيلها على المخالطة وما ذكرناه في كتاب الصحة من فضيلة المخالطة وللؤاخاة وللؤلفة يكاد يناقض ما مال إليه أكثرهم من اختيار الاستيعاش والخلوة فكشف الغطاء عن الحق في ذلك مهم ويحصل ذلك برسم باين . الباب الأول : في تقل للذاهب والحجج فيها . الباب الثاني : في كشف الغطاء عن الحق بحصر الفوائد والقوائل .

(الباب الأول في تقل للذاهب والأقاول وذكر حجج الفريقين في ذلك)

أما المذاهب فقد اختلف الناس فيها وظهر هذا الاختلاف بين التابعين فذهب إلى اختيار العزلة وتفضيلها على المخالطة سفيان الثوري وإبراهيم بن أدهم وداود الطائي وفضيل بن عياض وسليمان الحواري ويوسف بن أسباط وحذيفة المرعشي وبشر الحافي وقال أكثر التابعين باستحباب المخالطة واستكثار المعارف والإخوان والتألف والتحبب إلى المؤمنين والاستعانة بهم في الدين تعاوننا على البر والتقوى ومال إلى هذا سعيد بن المسيب والشعي وإبن أبي ليلى وهشام بن عروة وابن شبرمة وشريح وشريك ابن عبد الله وابن عينة وابن المبارك والشافعي وأحمد بن حنبل وجماعة ، والمأثور عن الغطاء من الكلمات ينقسم إلى كلمات مطلقة تدل على الميل إلى أحد الرأيين وإلى كلمات مقرونة بما يشير إلى علة الليل فالتقل الآن مطافات تلك الكلمات لتبين المذاهب فيها وما هو مقرون بذكر العلة نوره عند التعرض للقوائل والفوائد فنقول قد روى عن عمر رضي الله عنه أنه قال خذوا بحظكم من العزلة وقال ابن سيرين العزلة عبادة وقال الفضيل كفى بالله محبا وبالله قرآن مؤنسا وبالموت واعظا وقيل اتخذ الله صاحباً ودع الناس جانبا . وقال أبو الريح الزاهد داود الطائي عظمى قال صم عن الدنيا واجعل فطرك الآخرة وفر من الناس فرارك من الأسد وقال الحسن رحمه الله كلمات أحفظهن من التوراة قنع ابن آدم فاستغنى اعترل الناس فلم ترك الشهوات فصار حرا ترك الحسد فظهرت مروته صبر قليلا فتمتع طويلا وقال وهيب بن الورد بلغنا أن الحكمة عشرة أجزاء تسعة منها في الصمت والعاشرة في عزلة الناس وقال يوسف بن مسلم لعلي بن بكار ما أسبرك على الوحدة وقد كان لزم البيت فقال كنت وأنا شاب أصبر على أكثر من هذا كنت أجالس الناس ولأكلهم وقال سفيان الثوري هذا وقت السكوت وملازمة البيوت وقال بعضهم كنت في سفيانة ومعنا شارب من العلوية فكث معنا سبعا لانسع له كلاما قلنا له يا هذا قد جمعنا الله وإياك منذ سبع ولا تترك مخالطنا ولا تكلمنا فأنشأ يقول :

قليل لهم لا ولد يموت ولا أمر يحاذره يفوت
قضى وطر الصبا وأفاد علما قضايته التفرد والسكوت

وقال إبراهيم النخعي لرجل تفقه ثم اعترل وكذا قال الريح بن خثيم وقيل كان مالك بن أنس يشهد الجنائز ويمرد الرضى ويصلى الإخوان حقوقهم فترك ذلك واحدا واحدا حتى تركها كلها وكان يقول لا نبيا للمراء أن يغبر كل عذره وقيل للمعري بن عبد العزيز لو تفرغت لنا فقال ذهب الفراغ فلا فراغ إلا عند الله تعالى وقال الفضيل إني لأجد للرجل عندي يدا إذا تقيى أن لا يسلم على وإذا مرضت أن لا يودنى وقال أبو سليمان الداراني بينا الريح بن خثيم جالس على باب داره إذ جاءه حجر فركبته فشججه فجعل يمسح الدم ويقول لقد وعظمت يارريح مقام ودخل داره فجالس بعد ذلك على باب داره حتى أخرجت جنازته . وكان سعد بن أبي وقاص وسعيد بن زيد لهما بيوتهما بالعقيق فلم يكونا يأتيان المدينة لجمعة ولا غيرها حتى ماتا بالعقيق وقال يوسف بن أسباط سمعت سفيان الثوري يقول : والله الذي لا إله إلا هو لقد حلت العزلة

أثره في الجسد وتقتصر منه الجلد قال الله تعالى - تقتصر منه جلود الذين يخشون ربهم - وتارة بسظم وقسه ويتصوب أثره إلى فوق نحو السماغ كالخبير للعقل فيعظم وقع للتجدد والحادث فتندفع منه العين بالسمع وتارة يتصوب أثره إلى الروح فتعوج منه الروح موجا يكاد تضيق عنه نطق القلب فيكون من ذلك الصباح والاضطراب وهند كلها أحوال يجدها أربابها من أصحاب الحال وقد يحكمها بدلائل هوى النفس أرباب الجبال - روى أن عمر رضي الله عنه كان رجلا مر بآية في ورده فتخفه العبرة ويسقط ويلزم البيت اليوم واليومين حتى يباد ويحسب مرضا فالسباع يستجلب الرحمة من الله الكريم - روى زيد بن أسلم قال

وقال بشر بن عبد الله أقل من معرفة الناس فانك لا تدري ما يكون يوم القيامة فان تكن ضيعة كان من يعرفك قليلا ودخل بعض الأمراء على حاتم الأصم فقال له ألك حاجة ؟ قال نعم قال وما هي ؟ قال أن لا تراني ولا أراك ولا تعرفني وقال الرجل لسهل أريد أن أصحبك فقال إذا مات أحدنا فمن يصحب الآخر قال الله قال فليصحبه الآن وقيل للفضيل إن عاليا ابنك يقول لوددت أني في مكان أرى الناس ولا يرونني فبكي الفضيل وقال يا ويح علي أفلأ آتئها فقال لأ أراهم ولا يرونني وقال الفضيل أيضا من سخافة عقل الرجل كثرة معارفة وقال ابن عباس رضى الله عنهما أفضل المجالس مجلس في قمر بيتك لا ترى ولا ترى فهذه أقاويل السائلين إلى العزلة .

(ذكر حجج السائلين إلى المحالطة ووجه ضعفها)

احتج هؤلاء بقوله تعالى - ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا - الآية وبقوله تعالى - فألف بين قلوبكم - أمين على الناس بالسبب للؤلف وهذا ضعيف لأن المراد به تفرق الآراء واختلاف المذاهب في معاني كتاب الله وأصول الشريعة والمراد بالألفة نزع القوائل من الصدور وهي الأسباب المثيرة لما في الحركة للخصومات والعزلة لا تنافي ذلك واحتجوا بقوله صلى الله عليه وسلم « المؤمن ألف مألوف ولا خير فيمن لا يآلف ولا يؤلف »^(١) وهذا أيضا ضعيف لأنه إشارة إلى مذمة سوء الخلق التي تمتنع بسببه للألفة ولا يدخل تحته الحسن الخلق الذي إن خالط ألف وألف ولكنه ترك المحالطة اشتغالا بنفسه وطلباً للسلامة من غيره واحتجوا بقوله صلى الله عليه وسلم « من فارق الجماعة شبرا خلع ربة الإسلام من عنقه » وقال « من فارق الجماعة فمات فميته جاهلية »^(٢) وبقوله صلى الله عليه وسلم « من شق عصا المسلمين والمسلمون في إسلام دامج فقد خلع ربة الإسلام من عنقه »^(٣) وهذا ضعيف لأن المراد به الجماعة التي اتفقت آراهم على إمام بعقد البيعة بالخروج عليهم بغير ذلك مخالفة بالرأى وخروج عليهم وذلك محظور لا اضطرار الخلق إلى إمام منقطع يجمع رأيهم ولا يكون ذلك إلا بالبيعة من الأكثر فالمخالفة فيها تشويش مثير للفتنة فليس في هذا تعرض للعزلة . واحتجوا بنبيه صلى الله عليه وسلم عن المهجر فوق ثلاث إذ قال « من هجر أخاه فوق ثلاث فمات دخل النار »^(٤) وقال عليه السلام « لا يحل لامرئ مسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاث والسابق يدخل الجنة »^(٥) وقال « من هجر أخاه سنة فهو كسافك دمه »^(٦) قالوا والعزلة هجرة بالكلية وهذا ضعيف لأن المراد به الغضب على الناس واللجاج فيه بقطع الكلام والسلام والمحالطة للعادة فلا يدخل فيه ترك المحالطة أصلا من غير غضب مع أن المهجر فوق ثلاث جائز في موضعين : أحدهما أن يرى فيه إصلاحا للمهجور في الزيادة . والثاني أن يرى لنفسه سلامة فيه وأنه وإن كان عاما فهو محمول على ما وراء الموضعين الخصوصيين بدليل ما روى عن عائشة رضى الله عنها « أن النبي صلى الله عليه وسلم هجرها ذات الحجة

(١) حديث للؤمن ألف مألوف الحديث تقدم في الباب الأول من آداب الصعبة (٢) حديث من ترك الجماعة فمات فميته جاهلية مسلم من حديث أبي هريرة وقد تقدم في الباب الخامس من كتاب الحلال والحرام (٣) حديث من شق عصا المسلمين والمسلمون في إسلام دامج فقد خلع ربة الإسلام الطبراني والخطابي في العزلة من حديث ابن عباس بسند جيد (٤) حديث من هجر أخاه فوق ثلاث فمات دخل النار أبو داود من حديث أبي هريرة باسناد صحيح (٥) حديث لا يحل لامرئ مسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاث والسابق بأصلح يدخل الجنة متفق عليه من حديث أنس دون قوله والسابق بالصالح زاد فيه الطبراني والبيهقي يبدأ بالصالح يسبق إلى الجنة (٦) حديث من هجر أخاه سنة فهو كسافك دمه أبو داود من حديث أبي خراش السلمي واسمه حذرد بن أبي حذرد وإسناده صحيح .

قرأ أبي بن كعب عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فرقا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « اغتصموا الدعاء عند الرقة فإنها رحمة من الله تعالى » وروى أم كلثوم قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إذا اقتسمت جلد العبد من خشية الله نحات عنه القنوب كما نحات عن الشجرة اليابسة ورقها » وورد أيضا « إذا اقتسمت الجلد من خشية الله حرمه الله تعالى على النار » وهذه جملة لا تنكر ولا اختلاف فيها إنما الاختلاف في استماع الاعتبار بالأحاديث وقد كثرت الأقوال في ذلك وتباينت الأحوال فمن منعك بلحقه بالقسق ومن مولع به يشهد بأنه واضح الحق ويتجاذبان في طرفي الإفراط والتفريط . نيل لأبي الحسن بن سالم كيف تنكر السماع وقد كان الجنيدي وسري

والهجرم وبعض صفر^(١)» وروى عن عمر «أنه صلى الله عليه وسلم اعتزل نساءه وآلى منهن شهرا وصعد إلى غرفة له وهي خزائنه فلبث تسعا وعشرين يوما فلما نزل قيل له إنك كنت فيها تسعا وعشرين فقال الشهر قد يكون تسعا وعشرين^(٢)» وروى عائشة رضي الله عنها أن النبي صلى الله عليه وسلم قال «لا عمل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاثة أيام إلا أن يكون ممن لا تؤمن بوائعه^(٣)» فهذا صريح في التخصيص وعلى هذا ينزل قول الحسن رحمه الله حيث قال : هجران الأحق قرابة إلى الله فإن ذلك يدوم إلى الموت إذ الحاققة لا ينتظر علاجها وذكر عند محمد بن عمر الواقدي رجل هجر رجلا حتى مات فقال هذا شيء قد تقدم فيه قوم : سعد بن أبي وقاص كان مهاجرا لمبار بن ياسر حتى مات وعثمان بن عفان كان مهاجرا لعبد الرحمن بن عوف وعائشة كانت مهاجرة لحفصة وكان طاوس مهاجرا لوهب بن منبه حتى ماتا وكل ذلك يحمل على رؤيتهم سلامتهم في المهاجرة . واحتجوا بما روى «أن رجلا أتى الجبل ليتعبد فيه فجاء به إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لا تفعل أنت ولا أحد منكم لصبر أحدكم في بعض مواطن الاسلام خير له من عبادة أحدكم وحده أربعين عاما^(٤)» والظاهر أن هذا إنما كان لما فيه من ترك الجهاد مع شدة وجوبه في ابتداء الاسلام بدليل ما روى عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال «غزونا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ففررنا بشعب فيه عينة طيبة الماء فقال واحد من القوم لو اعتزلت الناس في هذا الشعب ولني أفضل ذلك حتى أذكره لرسول الله ﷺ فقال صلى الله عليه وسلم : لا تفعل فإن مقام أحدكم في سبيل الله خير من صلاته في أهله ستين عاما ألا تحبون أن يغفر الله لكم وتدخلوا الجنة اغزوا في سبيل الله فإنه من قاتل في سبيل الله فوافق ناقة أدخله الله الجنة^(٥)» واحتجوا بما روى معاذ بن جبل أنه ﷺ قال «إن الشيطان ذئب الانسان كذئب الغنم يأخذ القاصية والناحية والشاردة وإياكم والشعاب وعليكم بالعامة والجماعة والمساجد^(٦)» وهذا إنما أراد به من اعتزل قبل تمام العلم وسبأ يان ذلك وأن ذلك ينهى عنه إلا لضرورة .

(ذكر حجج السائلين إلى تفضيل العزلة)

احتجوا بقوله تعالى حكاية عن إبراهيم عليه السلام - وأعتزلكم وماتدعون من دون الله وأدعوا ربى - الآية ثم قال تعالى - فلما اعتزلهم وما يعبدون من دون الله وهبنا له إسحاق ويعقوب وكلا جعلنا نبيا - إشارة إلى أن ذلك ببركة العزلة وهذا ضيف لأن مخالطة الكفار لا فائدة فيها إلا دعوتهم إلى الدين وعند اليأس من إجابتهم فلا وجه إلا هجرهم وإعما الكلام في مخالطة المسلمين وما فيها من البركة

(١) حديث أنه صلى الله عليه وسلم هجر عائشة ذا الحجة والهجرم وبعض صفر . قلت : إنما هجر زينب هذه المدة كما رواه أبو داود من حديث عائشة وسكت عليه فهو عنده صالح (٢) حديث عمر أنه صلى الله عليه وسلم اعتزل نساءه وآلى منهن شهرا الحديث متفق عليه (٣) حديث عائشة لا يعمل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاث إلا أن يكون ممن لا يأمن بوائعه ابن عدي وقال غريب اللقن والاسناد وحديث عائشة عند أبي داود دون الاستثناء بإسناد صحيح (٤) حديث أن رجلا أتى الجبل ليتعبد فيه فجاء به إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لا تفعل الحديث البيهقي من حديث عيسى بن سلامة قال ابن عبد البر يقولون إن حديثه مرسل وكذا ذكره ابن حبان في ثقات التابعين (٥) حديث أبي هريرة غزونا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ففررنا بشعب فيه عينة طيبة الماء غزيرة فقال واحد من القوم لو اعتزلت الناس في هذا الشعب الحديث الترمذي وقال حسن صحيح والحاكم وقال صحيح على شرط مسلم إلا أن الترمذي قال سبعة عام (٦) حديث معاذ بن جبل الشيطان ذئب الانسان كذئب الغنم يأخذ القاصية أحمد والطبراني ورجاله ثقات إلا أن فيه انقطاعا .

السقطى وذو النون
يسمونه فقال كيف
أنكر السماع وقد أجاز
وصمعه من هو خير مني
قد كان جعفر الطيار
يسمع وإنما النكر
اللهو واللعب في السماع
وهذا قول صحيح .
أخبرنا الشيخ طاهر بن
أبي الفضل عن أبيه
الحافظ للقدس قال أنا
أبو القاسم الحسين بن
محمد بن الحسن الخوافي
قال أنا أبو محمد عبادة
ابن يوسف قال ثنا
أبو بكر بن وثاب وقال ثنا
عمرو بن الحرث قال ثنا
الأوزاعي عن الزهري
عن عروة عن عائشة
رضي الله عنها «أن أبا
يكر دخل عليها عندها
جلريتان قضيتان
وتضربان بدفين
ورسول الله صلى الله
عليه وسلم مبسج
بثوبه فاتهرها أبو بكر
فكشفت رسول الله
صلى الله عليه وسلم عن
وجهه وقال : دعهما
يا أبا بكر فإنها أيام عيد»

لما روى أنه قيل « يا رسول الله الوضوء من جر غمر أحب إليك أو من هذه المظاهر التي يتطهر منها الناس فقال بل من هذه المظاهر الخمسا لبركة أيدي المسلمين ^(١) » وروى « أنه صلى الله عليه وسلم لما طاف بالبيت عدل إلى زمزم ليشرب منها فاذا التمر المنقع في حياض الأدم وقد منته الناس بأيديهم وهم يتناولون منه ويشربون فاستقى منه وقال اسقوني فقال العباس إن هذا النبيذ شراب قدمته وخيض بأيدي أفلأ آتيك بشراب أنظف من هذا من جر غمر في البيت فقال اسقوني من هذا الذي يشرب منه الناس الخمس أيدي المسلمين فشرب منه ^(٢) » فإذا كيف يستدل باعتزال الكفار والأصنام على اعتزال المسلمين مع كثرة البركة فيهم واحتجوا أيضا بقول موسى عليه السلام - وإن لم تؤمنوا لي فاعزلون - وأنه فزع إلى العزلة عند اليأس منهم وقال تعالى في أصحاب الكهف - وإذا اعتزلتموهم وما يعبدون إلا الله فأووا إلى الكهف ينشلكم ربكم من رحمته - أمرهم بالعزلة « وقد اعتزل نبينا صلى الله عليه وسلم قريشا لما آذوه وجفوه ودخل الشعب وأمر أصحابه باعتزالهم والهجرة إلى أرض الحبشة ^(٣) » ثم تلاحقوا به إلى المدينة بعد أن أهل الله كلمته وهذا أيضا اعتزال عن الكفار بعد اليأس منهم فانه صلى الله عليه وسلم لم يعتزل المسلمين ولان توقع إسلامه من الكفار وأهل الكهف لم يعتزل بعضهم بعضا وهم مؤمنون وإنما اعتزلوا الكفار وإنما النظر في العزلة من المسلمين واحتجوا بقوله صلى الله عليه وسلم لعبد الله بن عامر الجهني لما قال « يا رسول الله ما النجاة ؟ قال ليسعك بيتك وأمسك عليك لسانك وابك على خطيئتك ^(٤) » وروى أنه قيل له صلى الله عليه وسلم « أي الناس أفضل ؟ قال مؤمن مجاهد بنفسه وماله في سبيل الله تعالى قيل ثم من ؟ قال رجل معتزل في شعب من الشعب بعد ربه ويدع الناس من شره ^(٥) » وقال صلى الله عليه وسلم « إن الله يحب العبد التقي الخفي ^(٦) » وفي الاحتجاج بهذه الأحاديث نظر فأما قوله لعبد الله بن عامر

(١) حديث قيل له صلى الله عليه وسلم الوضوء من جر غمر أحب إليك أو من هذه المظاهر التي يطهر منها الناس فقال بل من هذه المظاهر الخمس الطهارة الحديث الطبراني في الأوسط من حديث ابن عمر وفيه ضعف (٢) حديث لما طاف بالبيت عدل إلى زمزم يشرب منها فاذا التمر منقع في حياض الأدم قدمته الناس بأيديهم الحديث وفيه قال اسقوني من هذا الذي يشرب منه الناس رواه الأزرقي في تاريخ مكة من حديث ابن عباس بسند ضعيف ومن رواية طاوس مرسل نحوه (٣) حديث اعتزاله صلى الله عليه وسلم قريشا لما آذوه وجفوه ودخل الشعب وأمر أصحابه باعتزالهم والهجرة إلى الحبشة الحديث رواه موسى بن عقبة في المغازي ومن طريقه البيهقي في الدلائل عن ابن شهاب مرسل ورواه ابن سعد في الطبقات من رواية ابن شهاب على بن أبي بكر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام مرسل أيضا واصله من رواية أبي سلمة الحضرمي عن ابن عباس إلا أن ابن سعد ذكر أن الشريكين حصروا بني هاشم في الشعب وذكر موسى بن عقبة أن أبا طالب جمع بني عبد المطلب وأمرهم أن يدخلوا رسول الله صلى الله عليه وسلم معهم ومغازى موسى بن عقبة أصح للمغازي وذكر موسى بن عقبة أيضا أنه أمر أصحابه حين دخل الشعب بالخروج إلى أرض الحبشة ولأبي داود من حديث أبي موسى أمر النبي صلى الله عليه وسلم أن ينطلق إلى أرض النجاشي قال البيهقي وإسناده صحيح ولأحمد من حديث ابن مسعود بعثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى النجاشي وروى ابن اسحق بإسناد جيد ومن طريقه البيهقي في الدلائل من حديث أم سلمة إن بأرض الحبشة ملكا لا يظلم أحد عنده فالحقوا ببلاد الحديث (٤) حديث سأل عتبة بن عامر يا رسول الله ما النجاة ؟ فقال ليسعك بيتك الحديث الترمذي من حديث عتبة وقال حسن (٥) حديث أي الناس أفضل فقال مؤمن مجاهد بنفسه وماله في سبيل الله قيل ثم من قال رجل معتزل الحديث متفق عليه من حديث أبي سعيد الخدري (٦) حديث إن الله يحب العبد التقي الخفي مسلم

وقالت عائشة رضي الله عنها « رأيت رسوا الله صلى الله عليه وسلم يستتر بردائه وأنا أنظر إلى الحبشة يلعبون في المسجد حتى أكون أنا أسام » قد ذكر الشيخ أبو طالب للسكي رحمه الله ما يدل على تجويزه وقتل عن كثير من السلف صحابي وتابعي وغيرهم وقول الشيخ أبي طالب للسكي يعتبر لو فور علمه وكمال حاله وعلمه بأحوال السلف ومكان ورعه وتقواه وتجره الأصواب والأولى وقال في السباع حرام وحلال وشبهة فمن سمعه بنفس مشاهدة شهوة وهوى فهو حرام ومن سمعه بمقوله على صفة مباح من جارية أو زوجة كان شبهة لدخول الله فيهم ومن سمعه بقلب يشاهد معاني قله على الدليل ويشده طرفات الجليل فهو مباح وهذا

فلا يمكن تنزيهه إلا على ما عرفه صلى الله عليه وسلم بنور النبوة من حاله وأن لزوم البيت كان أليق به وأسلم له من المخالطة فإنه لم يأمر جميع الصحابة بذلك ورب شخص تكون سلامته في العزلة لا في المخالطة كما قد تكون سلامته في القعود في البيت وأن لا يخرج إلى الجهاد وذلك لا يدل على أن ترك الجهاد أفضل وفي مخالطة الناس مجاهدة ومقاساة ولذلك قال صلى الله عليه وسلم « الذي يخالط الناس ويصبر على أذى خير من الذي لا يخالط الناس ولا يصبر على أذى » (١) وعلى هذا ينزل قوله عليه السلام « رجل معتزل بعد ربه ويدع الناس من شره » فهذا إشارة إلى شريطة بطبعه تأذى الناس بمخالطته وقوله « إن الله يحب التقي الخفي » إشارة إلى إثارة الخمول وتوقي الشهرة ، وذلك لا يتعلق بالعزلة فكأن من راهب معتزل تعرفه كافة الناس وكمن غالط خامل لا ذكر له ولا شهرة فهذا تعرض لأمر لا يتعلق بالعزلة ، واحتجوا بما روي أنه صلى الله عليه وسلم قال لأصحابه « ألا أنبئكم بخير الناس قالوا بلى يا رسول الله فأشار يده نحو الغرب وقال رجل آخذ بمنان فرسه في سبيل الله ينتظر أن يغير أو يغار عليه ألا أنبئكم بخير الناس بعده وأشار يده نحو الحجاز وقال رجل في غنمه يقيم الصلاة ويؤتي الزكاة ويعلم حق الله في ماله اعتزل شرور الناس (٢) » فإذا ظهر أن هذه الأدلة لا تغنيها من الجانبين فلا بد من كشف النطاء بالتصريح بفوائد العزلة وغوائلها ومقايضة بعضها ببعض ليتبين الحق فيها .

(الباب الثاني : في فوائد العزلة وغوائلها وكشف الحق في فضلها)

اعلم أن اختلاف الناس في هذا يضاهي اختلافهم في فضيلة النكاح والعزوبة ، وقد ذكرنا أن ذلك يختلف باختلاف الأحوال والأشخاص بحسب ماضئنا من آفات النكاح وفوائده فكذلك القول فيما نحن فيه فلنذكر أولاً فوائد العزلة وهي تنقسم إلى فوائد دينية ودنيوية والدينية تنقسم إلى ما يمكن من تحصيل الطاعات في الخلوة والمواظبة على العبادة والفكر وتربية العلم وإلى تخلص من ارتكاب المنهى التي يتعرض الإنسان لها بالمخالطة كالرياء والفتنة والسكوت عن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ومسارقة الطبع من الأخلاق الرديئة والأعمال الخبيثة من جلساء السوء . وأما الدنيوية فتقسم إلى ما يمكن من التحصيل بالخلوة كتمكين المحترف في خلوته إلى ما يخلص من محذورات يتعرض لها بالمخالطة كالنظر إلى زهرة الدنيا وإقبال الخلق عليها وطعمه في الناس وطعم الناس فيه وانكشاف ستر مروءته بالمخالطة والتأذى بسوء خلق الجليس في مرآته أو سوء ظنه أو نعيمته أو محاسناته والتأذى بثقله وتشويه خلقته وإلى هذا ترجع مجامع فوائد العزلة فلنحصرها في ست فوائد :

(الفائدة الأولى)

التفرغ للعبادة والفكر والاستئناس بمناجاة الله تعالى عن مناجاة الخلق والاشتغال باستكشاف أسرار الله تعالى في أمر الدنيا والآخرة وملكوت السموات والأرض فإن ذلك يستدعي فراغاً ولا فراغ مع المخالطة فالعزلة وسرية إليه ، ولهذا قال بعض الحكماء لا يمكن أحد من الخلوة إلا بالتسكك بكتاب الله

من حديث سعد بن أبي وقاص (١) حديث الذي يخالط الناس ولا يصبر على أذى الترمذي وابن ماجه من حديث ابن عمر ولم يسم الترمذي الصحابي قال شيخ من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم والطريق واحد (٢) حديث ألا أنبئكم بخير الناس قالوا بلى قال فأشار يده نحو الغرب وقال رجل آخذ بمنان فرسه في سبيل الله ينتظر أن يغير أو يغار عليه الحديث الطبراني من حديث أم مبشر إلا أنه قال نحو الشرق بدل الغرب وفيه ابن اسحق رواه بالنعنة وللترمذي والنسائي نحوه مختصراً من حديث ابن عباس قال الترمذي حديث حسن .

(الباب الثاني : في فوائد العزلة وغوائلها)

قول الشيخ أبي طالب السكي وهو الصحيح فإذا لا يطلق القول بنعمه وتحريمه والانكار على من يسمع كفعل القراء للزهادين المباليغين في الانكار ولا يفسح فيه على الإطلاق كفعل بعض المشتهرين به المهملين شروطه وآدابه للقيمين على الإصرار ونفصل الأمر فيه تفصيلاً ونوضح الماهية فيه تحريماً وتغليلاً فأما الهدف والشبابة وإن كان فيها في مذهب الشافعي فحة فالأولى تركهما والأخذ بالأحوط والخروج من الخلاف وأما غير ذلك فإن كان من القصاصد في ذكر الجنة والنار والتشويق إلى دار القرار ووصف نعم الملك الجبار وذكر العبادات والترغيب في الخيرات فلا سبيل إلى الانكار ومن ذلك القليل قصائد الغزاة

أما والتمسكون بكتاب الله تعالى هم الذين استراحوا من الدنيا بذكر الله الذي كرون الله بالله عاشوا
بذكر الله وماتوا بذكر الله وقلوا الله بذكر الله ، ولا شك في أن هؤلاء تمنعهم المخالطة عن الفكر
والذكر فالعزلة أولى بهم ، ولذلك كان صلى الله عليه وسلم في ابتداء أمره يقتل في جبل حراء وينعزل
إليه حتى قوى فيه نور النبوة (١) فكان الخلق لا يحببونه عن الله فكان يدينه مع الخلق وبقلبه
مقبلا على الله تعالى حتى كان الناس يظنون أن أبا بكر خليفه ، فأخبر النبي صلى الله عليه وسلم عن
استغراق همه بالله فقال «لو كنت متخذًا خليلًا لاتخذت أبا بكر خليلًا ولكن صاحبكم خليل الله» (٢)
ولن يسع الجمع بين مخالطة الناس ظاهرا والاقبال على الله سرا إلا قوة النبوة فلا ينبغي أن يفتر كل
ضعيف بنفسه فيقطع في ذلك ولا يمد أن تقتضى درجة بعض الأولياء إليه ، فقد نقل عن الجنيد أنه
قال أنا أكلم الله منذ ثلاثين سنة والناس يظنون أني أكلهم وهذا إنما يتيسر للمستغرق بحب الله استغراقا
لا يبقى لغيره فيه متسع وذلك غير منكر ففي الشهرين بحب الخلق من مخالطة الناس يدينه وهو لا يدري
ما يقول ولا ما يقال له لفرط عشقه لمحبوبه بل الذي دهاه لم يشوش عليه أمرا من أمور دنياه فقد
يستغرقه الهم بحيث يخالط الناس ولا يحس بهم ولا يسمع أصواتهم لشدة استغراقه وأمر الآخرة أعظم
عند العقلاء فلا يستحيل ذلك فيه ولكن الأولى بالأكثرين الاستعانة بالعزلة ، ولذلك قيل لبعض
الحكماء ما الذي أرادوا بالخلو واختيار العزلة فقال يستدعون بذلك دوام الفكرة وثبت العلوم في
قلوبهم ليحيوا حياة طيبة ويدوقوا حلاوة المعرفة وقيل لبعض الرهبان ما أصبرك على الوحدة فقال ما أنا
وحدى أنا جالس الله تعالى إذا شئت أن يناجيني قرأت كتابه وإذا شئت أن أناجيه صليت وقيل لبعض
الحكماء إلى أي شيء أقضى بكم الزهد والخلو فقال إلى الأنس بالله وقال سفيان بن عيينة لقيت إبراهيم
ابن أدهم رحمه الله في بلاد الشام فقلت له يا إبراهيم تركت خراسان فقال ما تنأت بالعيش إلا ههنا أفر
بدني من شاق إلى شاق فمن يراني يقول موسوس أو حرم أو ملاح وقيل لغزوان الرقاشي هبك
لاتضحك فما يملك من محالة إخوانك قال إني أصيب راحة قلبي في محالة من عنده حاجتي وقيل
للحسن يا أبا سعيد ههنا رجل لم نره قط جالسا إلا وحده خلف سارية فقال الحسن إذا رأيتموه فأخبروني
به فنظروا إليه ذات يوم فقالوا للحسن هذا الرجل الذي أخبرنا بك وأشاروا إليه فمضى إليه الحسن وقال
له يا عبد الله أراك قد حببت إليك العزلة فما يملك من محالة الناس فقال أمر شغلني عن الناس قال
فما يملك أن تأتي هذا الرجل الذي يقال له الحسن فتجلس إليه فقال أمر شغلني عن الناس وعن الحسن
قال له الحسن وما ذاك الشغل يرحمك الله فقال إني أصبح وأمسى بين نعمة وذنوب فرأيت أن أشغل
نفسى بشكر الله تعالى على النعمة والاستغفار من الذنوب فقال له الحسن أنت يا عبد الله أفقه عندي من
الحسن فالزم ما أنت عليه وقيل بينا أويس القرني جالس إذ أتاه هرم بن حيان فقال له أويس ما جاء
بك قال جئت لأنس بك فقال أويس ما كنت أرى أن أحدا يعرف ربه فيأنس بغيره وقال التفضيل
إذا رأيت الليل مقبلا فرحت به وقلت أخلو بربي وإذا رأيت الصبح أذكر كني استرجعت كراهية لقاء
الناس وأن يجيئني من يشغلني عن ربي وقال عبد الله بن زيد طوبى لمن عاش في الدنيا وعاش في الآخرة
قيل له وكيف ذلك قال يناجي الله في الدنيا ويجاوره في الآخرة وقال ذو النون المصري سرور المؤمن
ولده في الخلوة بمناجاة ربه وقال مالك بن دينار من لم يأنس بمحادثة الله عز وجل عن محادثة الخلق فبين

(١) حديث كان صلى الله عليه وسلم في أول أمره يقتل في جبل حراء وينعزل إليه متفق عليه من
حديث عائشة نحوه فكان يغلو بغار حراء يتحنث فيه الحديث (٢) حديث لو كنت متخذًا خليلًا
لاتخذت أبا بكر خليلًا ولكن صاحبكم خليل الله مسلم من حديث ابن مسعود وقد تقدم .

والحجاج في وصف
الغزو والحج مما يثير
كامن العزم من الغاوى
وساكن الشوق من
الحاج وأما ما كان من
ذكر القدود والحدود
ووصف النساء فلا يليق
بأهل الديانات الاجتماع
لكل ذلك وأما ما كان
من ذكر المعجز والوصل
والقطيعة والصد مما
يقرب حمله على أمور
الحق سبحانه وتعالى
من تلون أحوال
المريدين ودخول
الآفات على الطالبين
فمن سمع ذلك وحدث
عنده ندم على ما فات
أو تعبد عنه عزم
لما هو آت فكيف
يكون معاه وقد قيل
إن بعض الواجدین
يقتات بالسباع ويتقوى
به على الطير والوصال
ويثير عنده من الشوق
ما يذهب عنه لهب
الجوع فإذا استمع
العبد إلى بيت من
الشعر وقلبه حاضره
كان يسمع الحامى

فقد اهل علمه وعمى قلبه وضيع عمره . وقال ابن المبارك ما أحسن حال من انقطع إلى الله تعالى و يروى عن بعض الصالحين أنه قال بينا أنا أسير في بعض بلاد الشام إذا أنا بعباد خارج من بعض تلك الجبال فلما نظر إلى تنحى إلى أصل شجرة وتستر بها فقلت سبحان الله تبخل على النظر إليك فقال يا هذا إني ألفت في هذا الجبل دهرا طويلا أعالج قلبي في الصبر عن الدنيا وأهلها فقال في ذلك تعبي وفي فيه عمرى فسألت الله تعالى أن لا يجعل حظي من أيامي في مجاهدة قلبي فسكنه الله عن الاضطراب وألفه الوحدة والافتراد فلما نظرت إليك خفت أن أتع في الأمر الأول فإليك عنى فإني أعوذ من شرك رب العارفين وجيب القانتين ثم صاح واغماء من طول المكث في الدنيا ثم حول وجهه عنى ثم نقض يديه وقال إليك عنى يا دنيا لغيري فترني وأهلك فترى ثم قال سبحان من أذاق قلوب العارفين من لذة الخدمة وحلاوة الانقطاع إليه ما ألقى قلوبهم عن ذكر الجنان وعن الحور الحسن وجمع مهمهم في ذكره فلا شيء الله عندهم من مناجاته ثم مضى وهو يقول قدوس قدوس فإذا في الخلوة أنس بذكر الله واستكثار من معرفة الله وفي مثل ذلك قيل :

وإني لأستنشئ وما بي غشوة لعل خيالا منك يلقى خياليا

وأخرج من بين الجلوس لعلني أحدث عنك النفس بالسرخاليا

ولذلك قال بعض الحكماء إنما يستوحش الإنسان من نفسه لخلو ذاته عن الفضيلة فيكثر حينئذ لملاقاة الناس ويطرد الوحشة عن نفسه بالكون معهم فإذا كانت ذاته فاضلة طلب الوحدة ليستعين بها على الفكرة ويستخرج العلم والحكمة . وقد قيل الاستئناس بالناس من علامات الافلاس فإذا هذه فائدة جزيلة ولكن في حق بعض الخواص ومن ينسرله بدوام الله كذا الأنس بالله أو بدوام الفكر التحقق في معرفة الله فالتجرد له أفضل من كل ما يتعلق بالمخالطة فإن غاية العبادات وعمرة للعاملات أن يموت الإنسان محبا لله عارفا بالله ولا محبة إلا بالأنس الحاصل بدوام الذكر ولا معرفة إلا بدوام الفكر وفراغ القلب شرط في كل واحد منهما ولا فراغ مع المخالطة .

(الفائدة الثانية)

التخلص بالزلة عن المعاصي التي يتعرض الإنسان لها غالبا بالمخالطة ويسلم منها في الخلوة وهي أربعة القية والنيحة والرياء والسكوت عن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ومسارقة الطبع من الأخلاق الرديئة والأعمال الخبيثة التي يوجبها الحرص على الدنيا . أما القية فإذا عرفت من كتاب آفات اللسان من ربيع المهلكات وجوهها عرفت أن لا تتحرز عنها مع المخالطة عظيم لا ينجو منها إلا الصديقون فإن عادة الناس كافة التضمض بأعراض الناس والتفكك بها والتنقل بحلواتها وهي ظممتهم ولذتهم وإليها يستروحون من وحشتهم في الخلوة فإن خالطتهم وواققتهم أثمت وتعرضت لسخط الله تعالى وإن سكت كنت شريكا والمستمع أحد الغتابين وإن أنكرت أبفضوك وتركوا ذلك الغتاب واغتابوك فازدادوا غيبة إلى غيبة وربما زادوا على الغيبة واتهوا إلى الاستخفاف والشم . وأما الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فهو من أصول الدين وهو واجب كما سيأتى بيانه في آخر هذا الربيع ومن خالط الناس فلا يخلو عن مشاهدة المنكرات فإن سكت عنى الله به وإن أنكرت تعرض لأنواع من الضرر إذ ربما يحرمه طلب الخلاص منها إلى معاصي أكبر مما نهى عنه ابتداء وفي الزلة خلاص من هذا فإن الأمر في إهماله شديد والقيام به شاق . وقد قام أبو بكر رضى الله عنه خطيبا وقال «أيها الناس إنكم تفرءون هذه الآية - يا أيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم لا يضركم من ضل إذا اهتديتم - وإنكم تصنعونها في غير موضعها وإني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : إذا رأى الناس للنكر فلم يغيروه .

أتوب إليك يا رحمن إني أسأت وقد تضاعفت الذنوب

فأما من هو يلى وحي

زيارتها فإني لأتوب

فطاب قلبه لما يجده

من قوة عزمه على

الثبات في أمر الحق

إلى الممات يكون في

مماعه هذا ذا كراهة

تعالى . قال بعض

أصحابنا كنا نعرف

مواجهيد أصعبنا في

ثلاثة أشياء عند

المسائل وعند الغضب

وعند السماع . وقال

الجند تزل الرحمة

على هذه الطاقة في

ثلاثة مواضع عند

الأكل لأنهم يأكلون

عن فاقة وعند المذاكرة

لأنهم يتجاوزون في

مقامات الصديقين

وأحوال النبيين وعند

السماع لأنهم يسمعون

بوجد ويشهدون حقا

وسئل روم عن وجد

الصوفية عند السماع

فقال يتنبهون للمعاني

التي تعزب عن غيرهم

أوشك أن يعمهم الله بعباب (١) « وقد قال صلى الله عليه وسلم » إن الله يسأل العبد حتى يقول له مامنك إذا رأيت للنكر في الدنيا أن تذكره فإذا لقن الله العبد حجة قال يارب رجوتك وخفت الناس (٢) « وهذا إذا خاف من ضرب أو أمر لا يطاق ومعرفة حدود ذلك مشكلة وفيه خطر وفي الزلة خلاص وفي الأمر بالمعروف والنهي عن النكر إثارة للخصومات ونحريك لتوائل الصدور كقيل :

وكم سقت في آثاركم من نصيحة وقد يستفيد البخضة للتصحيح

ومن جرب الأمر بالمعروف ندم عليه غالباً فإنه كجدار مائل يريد الإنسان أن يقيمه فيوشك أن يسقط عليه فإذا سقط عليه يقول يا ليتني تركته مائلاً لئلا أجد أعواناً أمسكوا الحائط حتى يحكمه بدعامة لاستقام وأنت اليوم لا تجد الأعوان فدعهم وأنج بنفسك . وأما الرياء فهو الداء العضال الذي يصسر على الأبدال والأوتاد الاحتراز عنه وكل من خالط الناس داراهم ومن داراهم راءاهم ومن راءاهم وقع فيها وقصافيه وهلك كما هلكوا وأقل ما يلزم فيه النفاق فأنك إن خالطت متعادين ولم تلق كل واحد منها بوجه بواقعه صرت بغيباً إليهما جميعاً وإن جاملتها كنت من شرار الناس . وقال عليه السلام « تجدون من شرار الناس ذا الوجهين يأتي هؤلاء بوجه وهؤلاء بوجه (٣) » وقال عليه السلام « إن من شر الناس ذا الوجهين يأتي هؤلاء بوجه وهؤلاء بوجه (٤) » وأقل ما يجب في مخالطة الناس إظهار الشوق والمبالغة فيه ولا يخلو ذلك عن كذب إما في الأصل وإما في الزيادة وإظهار الشفقة بالسؤال عن الأحوال بقولك كيف أنت وكيف أهلك وأنت في الباطن فارغ القلب من همومه وهذا نفاق محض قال سري لودخل على أخ لي فسويت لحقي يدي لدخوله فخشيت أن أكتب في جريدة الناقلين وكان الفضيل جالساً وحده في المسجد الحرام فجاء إليه أخ له فقال له ماجاء بك قال للؤانة يا أبا علي فقال هي والله بالمواحشة أشبه هل تريد إلا أن تزين لي وأزين لك وتكذب لي وأكذب لك إما أن تقوم عني أو أقوم عنك . وقال بعض العلماء ما أحب الله عبداً إلا أحب أن لا يشعر به ودخل طاوس على الخليفة هشام فقال كيف أنت يا هشام فغضب عليه وقال لم لم تخاطبني بأمر المؤمنين فقال لأن جميع المسلمين ما اتفقوا على خلافتك فخشيت أن أكون كاذباً فمن أمكنه أن يحترز هذا الاحتراز فليخالط الناس وإلا فليرض بآثبات اسمه في جريدة الناقلين فقد كان السلف يتلاقون ويحترزون في قولهم كيف أصبحت وكيف أمسيت وكيف حالك وفي الجواب عنه فكان سؤالهم عن أحوال الدين لا عن أحوال الدنيا قال حاتم الأصم لحامد اللثاف كيف أنت في نفسك قال سالم معافى فكره حاتم جوابه وقال يا حامد السلامة من وراء الصراط والعافية في الجنة وكان إذا قيل لعيسى صلى الله عليه وسلم كيف أصبحت قال أصبحت لا أم لك تقديم ما أرجو ولا أستطيع دفع ما أذاكر وأصبحت مرتها بعمل والخير كله في يد غيري ولا فقير أفقر مني وكان الريح بن خنيم إذا قيل له كيف أصبحت قال أصبحت من ضغفاء مذنبين نستوفي أرزاقنا وننتظر آجالنا وكان أبو الدرداء إذا قيل له كيف أصبحت قال أصبحت بخير إن نجوت من النار وكان سفيان الثوري إذا قيل له كيف أصبحت يقول أصبحت أشكر ذا إلى ذا وأذم ذا إلى ذا وأفر من ذا إلى ذا وقيل لأوبس القرني كيف

(١) حديث أبي بكر إنكم تقرءون هذه الآية - يا أيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم لا يضركم من ضل إذا اهتديتم - وإنكم لتضعونها في غير موضعها الحديث أصحاب السنن قال الترمذي حسن صحيح (٢) حديث إن الله يسأل العبد حتى يقول مامنك إذا رأيت للنكر في الدنيا أن تذكره الحديث ابن ماجه من حديث أبي سعيد الخدري بإسناد جيد (٣) حديث تجدون من شرار الناس ذا الوجهين متفق عليه من حديث أبي هريرة (٤) حديث إن من شر الناس ذا الوجهين مسلم من حديث أبي هريرة وهو الذي قبله .

فيشير إليهم إلى إلى
فيتنعمون بذلك من
الفرح ويقع الحجاب
لوقت فيعود ذلك
الفرح بكاء فمنهم من
يمزق ثيابه ومنهم من
يسكي ومنهم من يصيح .
أخبرنا أبو زرعة إجازة
عن ابن خلف إجازة
عن السلي قال سمعت
أبا سهل محمد بن سليمان
يقول للسمع بين
استتار ونجل فالاستتار
يورث التلهب والتجلى
يورث الزيد فالاستتار
يتولد منه حركات
لاريدين وهو محل
الضعف والعجز والتجلى
يتولد منه السكون
للواصلين وهو محل
الاستقامة والتحكين
وكذلك محل الحضرة
ليس فيه إلا الدبول
تحت موارد الهيبة قال
الشيخ أبو عبد الرحمن
السلي سمعت جدي
يقول المستمع ينبغي
أن يستمع بقلب ونفس
ميتة ومن كان قلبه
ميتاً ونفسه حية لا يحل

أصبحت قال كيف أصبح رجل إذا أمسى لا يدرى أنه يصبح وإذا أصبح لا يدرى أنه يمسي . وقيل لمالك ابن دينار كيف أصبحت قال أصبحت في عمر ينقص وذنوب تزيد . وقيل لبعض الحكماء كيف أصبحت قال أصبحت لأرضي حياتي لماتى ولا تقى لربى . وقيل للحكيم كيف أصبحت قال أصبحت آكل رزق ربى وأطيع عدوه إبليس . وقيل لمحمد بن واسع كيف أصبحت قال ما ظنك برجل يرتحل كل يوم إلى الآخرة مرحلة . وقيل لحامد اللفاف كيف أصبحت قال أصبحت أشتى عافية يوم إلى الليل قليل له ألت في عافية في كل الأيام فقال العافية يوم لأعصى الله تعالى فيه . وقيل لرجل وهو يجود بنفسه ما حالك فقال وما حال من يريد سفرا بعيدا بلا زاد ويدخل قبراً موحشا بلامؤنس وينطلق إلى ملك عدل بلا حجة . وقيل لحسان بن أبى سنان ما حالك قال ما حال من يموت ثم يموت ثم يموت . وقال ابن سيرين لرجل كيف حالك فقال وما حال من عليه خمسمائة درهم ديناهو وميعل فدخل ابن سيرين منزله فأخرج له ألف درهم فدفعها إليه وقال خمسمائة اقض بها دينك وخمسمائة عد بها على نفسك وعيالك ولم يكن عنده غيرها ثم قال والله لا أسأل أحدا عن حاله أبدا وإنما فعل ذلك لأنه خشى أن يكون سؤاله من غير اهتمام بأمره فيكون بذلك مرايا مناققا فقد كان سؤالهم عن أمور الدين وأحوال القلب في معاملة الله وإن سألوا عن أمور الدنيا فمن اهتمام وعزم على القيام بما يظهر لهم من الحاجة وقال بعضهم إنى لأعرف أقواما كانوا لا يتلاقون ولو حكم أحدهم على صاحبه بجميع ما يملكه لم يمنعه وأرى الآن أقواما يتلاقون ويتساءلون حتى عن الدجاجة في البيت ولو انبسط أحدهم لحبة من مال صاحبه لمنعه فهل هذا إلا مجرد الرياء والنفاق وآية ذلك أنك ترى هذا يقول كيف أنت ويقول الآخر كيف أنت فالسائل لا ينتظر الجواب والسئول يشتغل بالسؤال ولا يجيب وذلك لمعرفتهم بأن ذلك عن رياء وتكلف ولعل القلوب لا تخلو عن ضغائن وأحقاد والألسنة تنطق بالسؤال . قال الحسن إنما كانوا يقولون السلام عليكم إذا سلمت والله القلوب وأما الآن فكيف أصبحت عافاك الله كيف أنت أصلحك الله فإن أخذنا بقولهم كانت بدعة لا كرامة فإن شاءوا غضبوا علينا وإن شاؤوا لا وإنما قال ذلك لأن البداية بقولك كيف أصبحت بدعة وقال رجل لأبى بكر بن عياش كيف أصبحت لما أجابه وقال دعونا من هذه البدعة وقال إنما حدث هذا في زمان الطاعون الذى كان يدعى طاعون عمواس بالشام من الموت القدير كان الرجل يلقاه أخوه غدوة فيقول كيف أصبحت من الطاعون ويلقاه عشية فيقول كيف أصبحت والمقصود أن الالتقاء في غالب العادات ليس بخلو عن أنواع من التصنع والرياء والنفاق وكل ذلك مذموم بعضه محظور وبعضه مكروه وفي الزلة الخلاص من ذلك فإن من لقي الخلق ولم يخالفهم بأخلاقهم مقتوه واستغفروا واغتابوه وتشمروا لإيذائه فيذهب دينهم فيه وينهب دينه ودنياه في الانتقام منهم . وأما مسارقة الطبع مما يشاهده من أخلاق الناس وأعمالهم فهو داء دفين قلما يتنبه له العقلاء فضلا عن الغافلين فلا يجالس الإنسان فاسقا مدة مع كونه منكرا عليه في باطنه إلا ولو قاس نفسه إلى ما قبل مجالسته لأدرك بينهما تفرقة في النفرة عن الفساد واستنقاله إذ يصير الفساد بكثرة المشاهدة هينا على الطبع فيستطو وقعه واستعظامه له وإنما الوازع عنه شدة وقعه في القلب فإذا صار مستصغرا بطول المشاهدة أو شك أن تنحل القوة الوازعة ويذعن الطبع لليل إليه أو لما دونه ومهما طالت مشاهدته للكبائر من غير استحقار الصفات من نفسه ولذلك يزدري الناظر إلى الأغنياء نعمة الله عليه فتؤثر مجالستهم في أن يستصغروا معنده وتؤثر مجالسة الفقراء في استعظام ما نبيح له من النعم وكذلك النظر إلى الطيعين والعصاة هذا تأثيره في الطبع فمن يقصر نظره على ملاحظة أحوال الصحابة والتابعين في العبادة والنزعة عن الدنيا فلا يزال ينظر إلى نفسه بعين الاستصغار وإلى عبادته بعين الاستحقار وما دام يرى نفسه

له السماع وقيل في قوله تعالى - يزيد في الخلق ما يشاء الصوت الحسن وقال عليه السلام « قه أشدأذنا بالرجل الحسن الصوت بالقرآن من صاحب قينة إلى قينته » قل عن الجنيد قال : رأيت إبليس في النوم فقلت له هل تظفر من أصحابنا حتى أو تنال منهم شيئا فقال إنه يمسر على شأنهم ويعظم على أن أصيب منهم شيئا إلا في وقتين قلت أى وقت قال وقت السماع وعند النظر فأنى أسترق منهم فيه وأدخل عليهم به قال فحكيت رؤاى لبعض المشايخ فقال لو رأيته قلت له يا أحمق من مع منة إذا مع ونظر إليه إذا نظر أنربح أنت عليه شيئا أو تظفر حتى منه قلت صدقت . وروى عائشة رضى الله عنها قالت « كانت عندي

مقصرا فلا يخلو عن داعية الاجتهاد رغبة في الاستكمال واستتماما للاقتداء ومن نظر إلى الأحوال الغالبة على أهل الزمان وإعراضهم عن الله وإقبالهم على الدنيا واعتيادهم العاصي استعظم أمر نفسه بأذى رغبة في الخير بصادفها في قلبه وذلك هو الهلاك ويكفي في تغيير الطبع مجرد سماع الخير والشرف فلا عن مشاهدته وبهذه الدقيقة يعرف سر قوله ﷺ « عند ذكر الصالحين تنزل الرحمة (١) » وإنما الرحمة دخول الجنة ولقاء الله وليس ينزل عند الذكر عين ذلك ولكن سببه وهو انبعاث الرغبة من القلب وحركة الحرص على الاقتداء بهم والاستكفاف عما هو ملائمه من القصور والتقصير ومبدأ الرحمة فعل الخير ومبدأ فعل الخير الرغبة ومبدأ الرغبة ذكر أحوال الصالحين فهذا معنى نزول الرحمة والفهم من فحوى هذا الكلام عند النطن كالفهم من عكسه وهو أن عند ذكر الفاسقين تنزل اللعنة لأن كثرة ذكرهم تهون على الطبع أمر للعاصي واللغة هي البعد ومبدأ البعد من الله هو للعاصي والإعراض عن الله بالإقبال على المحظوظ المأجلة والشهوات الحاضرة لا على الوجه للتعروع ومبدأ للعاصي سقوط قلبها وتفاخسها عن القلب ومبدأ سقوط الثقل وقوع الأنس بها بكثرة السماع وإذا كان هذا حال ذكر الصالحين والفاسقين فما ظنك بمشاهدتهم بل قد صرح بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث قال « مثل الجليس السوء كمثل الكير إن لم يحرقه بجره علق بك من ريحه (٢) » فكما أن الريح يعلق بالتوب ولا يشعر به فكذلك يسهل الفساد على القلب وهو لا يشعر به وقال مثل الجليس الصالح مثل صاحب للسك إن لم يهب لك منه تجد ريحه ولهذا أقول من عرف من عالم زلة حرم عليه حكايتها لثنتين : إحداهما أنها غيبة والثانية وهي أعظمهما أن حكايتها تهون على السامعين أمر تلك الزلة ويسقط من قلوبهم استظامهم الإقدام عليها فيكون ذلك سببا لتهوين تلك للصبي فانه مهما وقع فيها فاستكر ذلك دفع الاستكثار وقال كيف يستبعد هذا منا وكلنا مضطرون إلى مثله حتى العلماء والعباد ولو اعتقد أن مثل ذلك لا يقدم عليه عالم ولا يتعاطاه موفق معتبر لثق عليه الإقدام فكمن شخص يتكالب على الدنيا ويحرص على جمعها ويتهاك على حب الرياسة وتزينها ويهون على نفسه قبورها ويزعم أن الصحابة رضی الله عنهم لم ينزهوا أنفسهم عن حب الرياسة وربما يستشهد عليه بقتال على ومعاوية ويخمن في نفسه أن ذلك لم يكن لطلب الحق بل لطلب الرياسة فهذا الاعتقاد خطأ يهون عليه أمر الرياسة ولو أزمها من العاصي والطبع اللئيم يميل إلى اتباع الهفوات والإعراض عن الحسنات بل إلى تقدير الهفوة فيما لا هفوة فيه بالتزليل على مقتضى الشهوة ليتعلل به وهو من دقائق مكاييد الشيطان ولذلك وصف الله الراغبين للشيطان فيها بقوله - الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه - وضرب ﷺ لذلك مثلا وقال « مثل الذي يجلس يستمع الحكمة ثم لا يعمل إلا بشر ما يسمع كمثل رجل آتى راعيا فقال له ياراعى اجرر لى شاة من غنمك فقال اذهب فخذ خير شاة فيها فذهب فأخذ بأذن كلب الغنم (٣) » وكل من ينقل هفوات الأئمة فهذا مثاله أيضا وما يدل على سقوط وقع الشيء عن القلب بسبب تكرره ومشاهدته أن أكثر الناس إذا رأوا مسلما أفطر في نهار رمضان استبعدوا ذلك منه استبعادا يكاد يفضي إلى اعتقادهم كفره وقد يشاهدون

(١) حديث عند ذكر الصالحين تنزل الرحمة ليس له أصل في الحديث الرفوع وإنما هو قول سفيان ابن عيينة كذا رواه ابن الجوزي في مقدمة صفوة الصفوة (٢) حديث مثل الجليس السوء كمثل الكير الحديث متفق عليه من حديث أبي موسى (٣) حديث مثل الذي يسمع الحكمة ثم لا يعمل منها إلا شر ما يسمع كمثل رجل آتى راعيا فقال ياراعى اجرر لى شاة من غنمك الحديث ابن ماجه من حديث أبي هريرة بسند ضعيف .

جارية تسمعني فدخل رسول الله صلى الله عليه وسلم وهي على حالها ثم دخل عمر ففرت فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال عمر ما يضحكك يا رسول الله ؟ فحدثه حديث الجارية فقال لا أبرح حتى أسمع ما يسمع رسول الله فأمره رسول الله صلى الله عليه وسلم فأسمتة وذكر الشيخ أبو طالب المكي قال كان لعطاء جارينان تلحان وكان إخوانه يجتمعون إليهما وقال أدركنا أبا مروان القاضي وله جوار يسمن التاجين أعدهن للصوفية وهذا القول بطلته من قول الشيخ أبي طالب فقال وعندي اجتناب ذلك هو الصواب وهو لا يسلط إلا بشرط طهارة القلب وغض البصر والوفاء بشرط قوله تعالى :

من يخرج الصلوات عن أوقاتها ولا تنفر عنه طباعهم كنفرتهم عن تأخير الصوم مع أن صلاة واحدة يقتضى تركها الكفر عند قوم وحز الرقة عند قوم وترك صوم رمضان كله لا يقتضيه ولا سبب له إلا أن الصلاة تتكرر والتساهل فيها مما يكثر فيسقط وقصا بالمشاهدة عن القلب ولذلك لو لبس الفقيه ثوبا من حرير أو خاتما من ذهب أو شرب من إناء فضة استبعدته النفس واشتد انكارها وقد يشاهد في مجلس طويل لا يشككم إلا بما هو اختيار للناس ولا يستبعد منه ذلك والنية أشد من الزنا فكيف لا تكون أشد من لبس الحرير ولكن كثرة صماع النية ومشاهدة للفنايين أسقط وقصا عن القلوب وهون على النفس أمرها ففضطن لهذه الدقائق وفر من الناس فرارك من الأمد لأنك لا تشاهد منهم إلا ما يزيد في حرصك على الدنيا وغفلتك عن الآخرة ويهون عليك العصية ويضعف رغبتك في الطاعة فإن وجدت جليسا يذكر لك الله رؤيته وسيرته فالزمه ولا تخارقه واغتنمه ولا تستحقره فانها غنية العاقل وضالة المؤمن وتحقق أن الجليس الصالح خير من الوحدة وأن الوحدة خير من الجليس السوء ومهما فهمت هذه المعاني ولا حظت طبك والتفت إلى حال من أردت مخالطته لم يخف عليك أن الأولى التباعد عنه بالمزلة أو التقرب إليه بالخلاطة وإياك أن تحكم مطلقا على المزلة أو على الخلاطة بأن إحداها أولى إذ كل مفصل فاطلاق القول فيه بلا أوهم خلف من القول محض ولا حق في للفصل إلا التفصيل .

(الفائدة الثالثة)

(الخلاص من الفتن والحصومات وصيانة الدين والنفس عن الخوض فيها والتعرض لأخطارها)
وقلنا نغلو البلاد عن تعصبات وفتن وخصومات فالمعتزل عنهم في سلامة منها قال عبدالله بن عمرو ابن العاص لما ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم الفتن ووصفها وقال «إذا رأيت الناس مرجت عهودهم وخفت أماناتهم وكانوا هكذا وشبك بين أصابعه قلت فإنا أمرني فقال الزم بيتك واملك عليك لسانك وخذ ما تصرف ودع ما تنكر وعليك بأمر الخاصة ودع عنك أمر العامة»^(١) وروى أبو سعيد الخدري أنه صلى الله عليه وسلم قال «يوشك أن يكون خير مال المسلم غنما يتبع بها شعاف الجبال ومواقع القطر يفر بدينه من الفتن من شاق إلى شاق»^(٢) وروى عبدالله بن مسعود أنه صلى الله عليه وسلم قال «سيأتي على الناس زمان لا يسلم لدى دين دينه إلا من فر بدينه من قرية إلى قرية ومن شاق إلى شاق ومن جحر إلى جحر كالتعلب الذي يروغ قيل له ومتى ذلك يا رسول الله قال إذا لم تنل للميشة إلا بماصى الله تعالى فإذا كان ذلك الزمان حلت الذوبة قالوا وكيف ذلك يا رسول الله وقد أمرتنا بالتزويج قال إذا كان ذلك الزمان كان هلاك الرجل على يد أبويه فإن لم يكن له أبوان فعلى يدي زوجته وولده فإن لم يكن فعلى يدي قرابته قالوا وكيف ذلك يا رسول الله قال يبرونه بضيق اليد فيشكل ما لا يطيق حتى يورده ذلك موارد الهلكة»^(٣) وهذا الحديث وإن كان في المزوبة فالمزلة مفهومة منه إذ لا يستغنى التأهل عن للميشة والمخالطة ثم لا ينال الميشة إلا بمصية الله تعالى ولست

(١) حديث عبد الله بن عمرو بن العاص إذا رأيت الناس مرجت عهودهم وخفت أماناتهم الحديث أبو داود والنسائي في اليوم والليلة بإسناد حسن (٢) حديث أبي سعيد الخدري يوشك أن يكون خير مال المسلم غنما يتبع بها شعاف الجبال ومواقع القطر يفر بدينه من الفتن رواه البخاري .
(٣) حديث ابن مسعود سيأتي على الناس زمان لا يسلم لدى دين دينه إلا من فر بدينه من قرية إلى قرية ومن شاق إلى شاق تقدم في النكاح .

يصلم خاتنة الأعين وما تخفي الصدور وما هذا القول من الشيخ أبي طالب للسكى إلا مستترب عجيب والتزده عن مثل ذلك هو الصحيح . وفي الحديث في مدح داود عليه السلام أنه كان حسن الصوت بالياحة على نفسه ويتلاوة الزبور حتى كان يجتمع الإنس والجن والطير لسامع صوته وكان يحمل من مجله آلاف من الجنايز . وقال عليه السلام في مدح أبي موسى الأشعري «لقد أعطى مزمارا من مزامير آل داود» . وروى عنه عليه السلام أنه قال «إن من الشعر لحكمة» «ودخل رجل على رسول الله صلى الله عليه وسلم وعنده قوم يقرءون القرآن وقوم يمشدون الشعر قال يا رسول الله قرآن وشعر فقال من

أقول هذا أو أن ذلك الزمان فلقد كان هذا بأعصار قبل هذا العصر ولأجله قال سفيان والله لقد حلت العزلة . وقال ابن مسعود رضى الله عنه « ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم أيام الفتنة وأيام المهرج قلت وما المهرج قال حين لا يأمن الرجل جليسه قلت فم تأمرني إن أدركت ذلك الزمان قال كف نفسك ويدك وادخل دارك قال قلت يا رسول الله أرايت إن دخل على دارى قال فادخل بيتك قلت فإن دخل على بيتى قال فادخل مسجدك واصنع هكذا وقبض على الكوع وقل ربى الله حتى تموت (١) » وقال سعد لما دعى إلى الخروج أيام معاوية لا إلا أن تعطونى سيفه عينا بصرتان ولسان ينطق بالكافر فأقتله وبالمؤمن فأكف عنه وقال مثلنا ومثلكم كمثل قوم كانوا على محبة يضاء فيبينهم كذلك يسرون إذ هاجت ريح عجاجة فضلوا الطريق فالتبس عليهم فقال بعضهم الطريق ذات اليمين فأخذوا فيها فتاهوا وصلوا . وقال بعضهم ذات الشمال فأخذوا فيها فتاهوا وصلوا وأناخ آخرون وتوقفوا حتى ذهب الريح وتبينت الطريق فسافروا فاعتزل سعد وجاعة معه فارقوا الفتن ولم يخاطبوا إلا بمنزوال الفتن . وعن ابن عمر رضى الله عنهما أنه لما بلغه أن الحسين رضى الله عنه توجه إلى العراق تبعه فلحقه على مسيرة ثلاثة أيام فقال له أين تريد فقال العراق فإذا معه طوامير وكتب فقال هذه كتبهم ويعتهم فقال لا تنتظر إلى كتبهم ولا تأتهم فأبى فقال إني أحدثك حديثا إن جبريل أتى النبي صلى الله عليه وسلم غيرة بين الدنيا والآخرة فاختر الآخرة على الدنيا وإنك بضعة من رسول الله صلى الله عليه وسلم والله لا يليها أحد منكم أبدا وما صرفها عنكم إلا للذى هو خير لكم فأبى أن يرجع فاعتقه ابن عمر وبكى وقال أستودعك الله من قتل أو أسير (٢) وكان في الصحابة عشرة آلاف لما خف أيام الفتنة أكثر من أربعين رجلا وجلس طاوس في بيته فقبل له في ذلك فقال فساد الزمان وحيف الأئمة ولما بى عروة قصره بالعقيق ولزمه قيل له لزمنا القصر وتركنا مسجد رسول الله ﷺ فقال رأيت مساجدكم لاهية وأسواقكم لاغية والفاحشة في لجاجكم عالية وفيها هالك عما أنتم فيه عافية فإذن الحذر من الخصومات ومشارات الفتن إحدى فوائد العزلة .

(الفائدة الرابعة الخلاص من شر الناس)

فانهم يؤذونك مرة بالنسبة ومرة بسوء الظن والتهمة ومرة بالافتراحت والأطباع الكاذبة التي يصر الوفاء بها وتارة بالنيحة أو الكذب وربما يرون منك من الأعمال أو الأقوال ما لا تبلغ عقولهم كنهه فيتخذون ذلك ذخيرة عندهم يدخرونها لوقت تظهر فيه فرصة للشر فإذا اعتزلتم استغنت من التحفظ عن جميع ذلك ، ولذلك قال بعض الحكماء لغيره أعلمك بيتين خير من عشرة آلاف درهم قال ما هما قال :

اخفض الصوت إن نطقت بليل والتفت بالنهار قبل المقال

ليس للقول رجعة حين يبدو بقبيح يكون أو بحمال

ولاشك أن من اختلط بالناس وشاركهم في أعمالهم لا ينفك من حاسد وعدو يسى الظن به ويتوهم أنه يستعمل عاداته ونصب الكيدة عليه وتدسيس غائلة وراءه فالناس مهما اشتد حرصهم على أمر يحسون كل

(١) حديث ابن مسعود ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم أيام الفتنة وأيام المهرج قلت وما المهرج قال حين لا يأمن الرجل جليسه الحديث أبو داود مختصرا والخطابي في العزلة بتمامه وفي إسناده عند الخطابي انقطاع ووصله أبو داود بزيادة رجل اسمه سالم يحتاج إلى معرفته (٢) حديث ابن عمر أنه لما بلغه أن الحسين توجه إلى العراق لحقه على مسيرة ثلاثة أيام الحديث وفيه أنه صلى الله عليه وسلم خير بين الدنيا والآخرة فاختر الآخرة الطبراني مقتصرا على الرفوع رواء في الأوسط بذكر قصة الحسين مختصرة ولم يقل على مسيرة ثلاثة أيام وكذا رواه البزار بنحوه وإسنادهما حسن .

هذامرة ومن هذامرة
وأشد النابغة عند
رسول الله صلى الله عليه
وسلم آياته التي فيها :
ولا خير في حلم إذا لم يكن له
يوادر تحصى صفوه
أن يكذرا
ولا خير في أمر إذا لم
يكن له
حكيم إذا ما ورد الأمر
أصدرا

فقال له رسول الله صلى
الله عليه وسلم
« أحسن يا أبا ليلى
لا يفضض الله فاك »
فماش أكثر من مائة
سنة وكان أحسن الناس
تفرا وكان رسول الله
صلى الله عليه وسلم
يضع لسان منبرا في
المسجد فيقوم على المنبر
فأعما يهجو الدين كانوا
يهجون رسول الله صلى
الله عليه وسلم ويقول
النبي صلى الله عليه
وسلم « إن روح القدس
مع حسان مادام ينافع
عن رسول الله صلى الله
عليه وسلم » ورأى
بعض الصالحين أبا

سيحة عليهم العدو واحذرهم وقد اشتد حرصهم على الدنيا فلا يظنون بغيرهم إلا الحرص عليها قال النبي:

إذا ساء فعل المرء ساءت ظنونه وصدق ما يعتاده من توهم

وعادى محبيه بقول عداته فأصبح في ليل من الشك مظلم

وقد قبل معايشرة الأشرار تورث سوء الظن بالأبرار وأنواع الشر الذي يلقاه الإنسان من معارفه وعن يختلط به كثيرة ولنا نطول بتفصيلها فيما ذكرناه إشارة إلى مجامعها وفي العزلة خلاص من جميعها وإلى هذا أشار الأكثر ممن اختار العزلة فقال أبو الدرداء أخبر قفله يروي مرفوعاً وقال الشاعر:

من حمد الناس ولم ييلهم ثم بلاهم فم من يحمده

وصار بالوحدة مستأنساً يوحشه الأقرب والأبعد

وقال عمر رضي الله عنه في العزلة راحة من القرن السوء . وقيل لعبد الله بن الزبير ألا تأتي للدينة فقال ما بقي فيها إلا حاسد نعمة أو فرج بقعة . وقال ابن السكيت كتب صاحب لنا أما بعد فإن الناس كانوا دواء يتداوى به فصاروا داء لا دواء له ففر منهم فرارك من الأسد وكان بعض الأعراب يلزم شجراً ويقول هو نديم فيه ثلاث خصال إن سمع مني لم ينم علي وإن تفلت في وجهه احتمل مني وإن عربت عليه لم يغضب فسمع الرشيد ذلك فقال زهدني في الندماء ، وكان بعضهم قد لزم الدفاتر وللقابر قيل له في ذلك فقال لم أر أسلم من وحدة ولا أوعظ من قبر ولا جليسا أمتع من دفتر . وقال الحسن رضي الله عنه أردت الحج فسمع ثابت البناني بذلك وكان أيضاً من أولياء الله فقال بلغني أنك تريد الحج فأحببت أن أصحبك فقال له الحسن ويحك دعنا نتعاضد بستر الله علينا إني أخاف أن نصطبج فيرى بضنا من بعض ما تآقت عليه وهذه إشارة إلى فائدة أخرى في العزلة وهو بقاء السر على الدين والروء والأخلاق والفقرو سائر العورات وقد مدح الله سبحانه المستترين فقال - يحسبهم الجاهل أغنياء من التعفف - وقال الشاعر:

ولا عار إن زالت عن الحر نعمة ولكن عار أن يزول التجمل

ولا يخلو الإنسان في دينه ودينه وأخلاقه وأفعاله عن عورات الأولى في الدين والدنيا سترها ولا تبقى السلامة مع انكشافها . وقال أبو الدرداء كان الناس ورقا لاشوك فيه فالناس اليوم شوك لا ورق فيه وإذا كان هذا حكم زمانه وهو في أواخر القرن الأول فلا ينبغي أن يشك في أن الأخير شر . وقال سفيان بن عيينة قال لي سفيان الثوري في اليقظة في حياته وفي المنام بعد وفاته أقلل من معرفة الناس فإن التخلص منهم شديد ولا أحسب أني رأيت ما أكره إلا من عرفت . وقال بعضهم جئت إلى مالك ابن دينار وهو قاعد وحده وإذا كلب قد وضع حنكه على ركبته فذهبت أطرده فقال دعه يا هذا هذا لا يضر ولا يؤذي وهو خير من الجليس السوء وقيل لبعضهم ما حملك على أن تعزل الناس قال خشيت أن أسأب ديني ولا أشعر وهذه إشارة إلى مسارقة الطبع من أخلاق القرن السوء وقال أبو الدرداء اتقوا الله واحذروا الناس فانهم ماركبو اظهر بعير إلا أدبروه ولا ظهروا جواد إلا أعقروه ولا قلب مؤمن إلا خربوه ، وقال بعضهم أقلل المعارف فانه أسلم لدينك وقلبك وأخف لسهو الحقوق عنك لأنه كلما كثرت المعارف كثرت الحقوق وعسر القيام بالجميع . وقال بعضهم أنكر من تعرف ولا تعرف إلى من لا تعرف .

(الفائدة الخامسة)

أن ينقطع طمع الناس عنك وينقطع طمعك عن الناس فأما انقطاع طمع الناس عنك ففيه فوائد فإن رضا الناس غاية لا تدرك فاشتغال المرء باصلاح نفسه أولى ومن أهون الحقوق وأبسر هاحضور الجنائز وعبادة المريض وحضور الولائم والأملاكات وفيها تضييع الأوقات وتعرض لآفات ثم قد تعمق عن بعضها العوائق وتستقبل فيها المآذير ولا يمكن اظهار كل الاعذار فيقولون له فمت بحق .

المباس الحضر قال قلت له ما تقول في السماع الذي يختلف فيه أصحابنا ؟ قال هو الصفا الزلال لا يثبت عليه إلا أقدام العلماء . ونقل عن عماد الدينوري قال رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم في المنام قلت يا رسول الله هل تنكر من هذا السماع شيئاً ؟ فقال ما أنكره ولكن قل لهم يفتحون قبله بقراءة القرآن ويختمون بعده بالقرآن قلت يا رسول الله إنهم يؤذون وينبسطون فقال احتملهم يا أبا علي هم أصحابك فكان عماد ينخر ويقول كنان رسول الله صلى الله عليه وسلم . وأما وجه الانكار فيه فهو أن يرى جماعة من المريدين دخولاً في مبادئ الإرادة وضوسهم ما عرنت على صدق المجاهدة حتى يحدث عندهم علم بظهور

فلان وقصرت في حقنا ويصير ذلك سبب عداوة قد قيل من لم يعد حريضا في وقت العيادة انتهى موته خيفة من تحجيله إذا صح على تقصيره ومن عمم الناس كلهم بالحرمات رضوا عنه كلهم ولو خصص استوحشوا وتميمهم بجميع الحقوق لا يقدر عليه التجرد له طول الليل والنهار فكيف من له مهم يشغله في دين أو دنيا . قال عمرو بن العاص كثرة الأصدقاء كثرة الغرماء وقال ابن الرومي :

عدوك من صديقك مستفاد فلا تستكثر من الصحاب
فإن الداء أكثر ما تراه يكون من الطعام أو الشراب

وقال الشافعي رحمه الله أصل كل عداوة اضطناع المروء إلى اللثام وأما انقطاع طمعك عنهم فهو أيضا فائدة جزيلة فإن من نظر إلى زهرة الدنيا وزينتها تحرك حرصه وانبعث بهوة الحرص طمعه ولا يرى إلا الحية في أكثر الأحوال فيتأذى بذلك ومهما اعتزل لم يشاهد وإذا لم يشاهد لم يشته ولم يطمع ولذلك قال الله تعالى - ولا تمدن عينيك إلى ما متعنا به أزواجا منهم - وقال صلى الله عليه وسلم « انظروا إلى من هو دونكم ولا تنظروا إلى من هو فوقكم فإنه أجدر أن لا تزدروا نعمة الله عليكم ^(١) » وقال عون بن عبد الله كنت أجالس الأغنياء فلم أزل مغموما كنت أرى ثوبا أحسن من ثوبي ودابة أفره من دابتي فجالت الفقراء فاسترحمت . وحكى أن الزني رحمه الله خرج من باب جامع القسطنطين وقد أقبل ابن عبد الحكم في موكب فبهره ما رأى من حسن حاله وحسن هيئته فتلا قوله تعالى - وجعلنا بضعكم لبعض فتنة أتصبرون - ثم قال بلى أصبر وأرضى وكان فقيرا مقلا فالذي هو في بيته لا يبتلى بمثل هذه التفتن فإن من شاهد زينة الدنيا فلما أن يقوى دينه ويقيه فيصبر فيحتاج إلى أن يتجرع مرارة الصبر وهو أمر من الصبر أو تنبثق رغبته فيحتاج في طلب الدنيا فملك هلاك مؤبدا أما في الدنيا فبالطمع الذي يخبى في أكثر الأوقات فليس كل من يطلب الدنيا تيسر له وأما في الآخرة فيبثاره متاع الدنيا على ذكر الله تعالى والتقرب إليه ولذلك قال ابن الأعرابي :

إذا كان باب الدل من جانب الغنى سموت إلى العلياء من جانب الفقر
أشار إلى أن الطمع يوجب في الحال ذلا .

(الفائدة السادسة)

الخلاص من مشاهدة القلاء والحق ومقاساة حقمهم وأخلاقهم فإن رؤية التقييل هي العمى الأصغر قيل للأعمش ثم عمشت عينك قال من النظر إلى القلاء . ويحكى أنه دخل عليه أبو حنيفة فقال في الخبر « إن من سلب الله كرميته عوضه الله عنهما ما هو خير منهما ^(٢) » فما الذي عوضك فقال في معرض المطاوعة عوضني الله منهما أنه كفاني رؤية القلاء وأنت منهم . وقال ابن سيرين سمعت رجلا يقول نظرت إلى تقييل مرة ففتنى على وقال جالينوس لكل شيء حمى وحمى الروح النظر إلى القلاء . وقال الشافعي رحمه الله ما جالست تقييلا إلا وجدت الجانب الذي يليه من بدني كأنه أثقل علي من الجانب الآخر . وهذه الفوائد ماسوى الأولين متعلقة بالمقاصد الدنيوية الحاضرة ولكنها أيضا تعلق بالدين فإن الإنسان مهما تأذى برؤية تقييل لم يأمن أن يغتابه وأن يستكر ما هو صنع الله فإذا تأذى من غيره بغية أو سوء ظن أو محاسدة أو نعمة أو غير ذلك لم يصبر عن مكافأته وكل ذلك يجر إلى فساد الدين وفي العزلة سلامة عن جميع ذلك فليغفهم .

(١) حديث انظروا إلى من هو دونكم ولا تنظروا إلى من هو فوقكم فإنه أجدر أن لا تزدروا نعمة الله عليكم من حديث أبي هريرة (٢) حديث من سلب الله كرميته عوضه الله عنهما ما هو خير منهما الطبراني بإسناد ضعيف من حديث جرير من سلب كرميته عوضه الله عنهما الجنة ولهؤلاء نحو من حديث أبي أمامة بسند حسن وللبخاري من حديث أنس يقول الله تبارك وتعالى إذا ابتليت عبدي بحبيتي ثم صبر عوضته منها الجنة يريد عبديه .

صفات النفس وأحوال
القلب حق تنضبط
حركاتهم بقانون
العلم ويعلمون ما لهم
وعليهم مستغنين به
حكى أن ذا النون لما
دخل بغداد دخل عليه
جماعة ومعهم قوال
فاستأذنوه أن يقول
شيئا فأذن له فأشهد
القول :

صغير هواك عذبي
فكيف به إذا احتسكا
وأنت جمعت من قلبي
هوى قد كان مشتركا
ما ترش لمكتب
إذا ضحك الخلق بكى
فطاب قلبه وقام وتواجد
وسقط على جبهته والدم
يقطر من جبهته ولا يقع
على الأرض ثم قام
واحد منهم فنظر إليه
ذو النون فقال اتق
الذي يراك حين تقوم
فجلس الرجل وكان
جالسه لموضع صدقه
وعلم أنه غير كامل
الحال غير صالح للقيام
متواجدا فيقوم أحدم
من غير تدبر وعلم في

(آفات العزلة)

اعلم أن من المقاصد الدينية والدنيوية ما يستفاد بالاستعانة بالغير ولا يحصل ذلك إلا بالمخالطة فكل ما يستفاد من المخالطة يفوت بالعزلة وفواته من آفات العزلة فانظر إلى فوائد المخالطة والدواعي إليها ماهي وهي التعليم والتعلم والتفهم والاتضاع والتأديب والتأدب والاستئناس والائناس ونيل الثواب وإنائته في القيام بالحقوق واعتناء التواضع واستفادة التجارب من مشاهدة الأحوال والاعتبار بها فلتفصل ذلك فانها من فوائد المخالطة وهي سبع :

(الفائدة الأولى : التعليم والتعلم)

وقد ذكرنا فضلها في كتاب العلم وهما أعظم العبادات في الدنيا ولا يتصور ذلك إلا بالمخالطة إلا أن العلوم كثيرة وعن بعضها مندوحة وبعضها ضروري في الدنيا فالحاجة إلى التعلم لما هو فرض عليه عاص بالعزلة وإن تعلم الفرض وكان لا يتأتى منه الخوض في العلوم ورأى الاشتغال بالعبادة فليعتزل وإن كان يقدر على التبرز في علوم الشرع والعقل فالعزلة في حقه قبل التعلم غاية الحسran ولهذا قال النخعي وغيره تفقه ثم اعتزل ومن اعتزل قبل التعلم فهو في الأكثر مضيع أوقاته بنوم أو فكر في هوس وغايته أن يستغرق الأوقات بأوراد يستوعبها ولا يفك في أعماله بالبدن والقلب عن أنواع من الغرور يغيب سعيه ويبطل عمله بحيث لا يدري ولا يفك اعتقاده في الله وصفاته عن أوهام يتوهمها ويأنس بها عن خواطر فاسدة تعتريه فيها فيكون في أكثر أحواله ضحكة للشيطان وهو يرى نفسه من العباد فالعلم هو أصل الدين فلا خير في عزلة العوام والجهال أعنى من لا يحسن العبادة في الخلوة ولا يعرف جميع ما يلزمه فيها فثاله النفس مثال مريض يحتاج إلى طبيب متلطف يعالجه فالمرضى الجاهل إذا خلا بنفسه عن الطبيب قبل أن يتعلم تضاعف لاحتالة مرضه فلا تليق العزلة إلا بالعلم وأما التعليم فقيه ثواب عظيم مهما صحت نية المعلم والتعلم ومهما كان القصد إقامة الجاه والاستكثار بالأصحاب والأتباع فهو هلاك الدين وقد ذكرنا وجه ذلك في كتاب العلم وحكم العالم في هذا الزمان أن يعتزل إن أراد سلامة دينه فانه لا يرى مستفيدا يطلب فائدة لدينه بل لا طالب إلا للكلام مزخرف يستميل به العوام في معرض الوعظ أو الجدل معقد يتوصل به إلى إلغام الأقران ويتقرب به إلى السلطان ويستعمل في معرض المناصاة والباهاة وأقرب علم مرغوب فيه الذهب ولا يطلب غالبا إلا للتوصل إلى التقدم على الأمثال وتولى الولايات واجتلاب الأموال فهو لاه كليم يقتضى الدين والحزم الاعتزال عنهم فان صودف طالب لله ومتقرب بالعلم إلى الله فأكبر الكبائر الاعتزال عنه وكتبان العلم منه وهذا لا يصادف في بلدة كبيرة أكثر من واحد أو اثنين إن صودف ولا ينبغي أن يعتزل الإنسان بقول سفيان ثعلبنا العلم لغير الله فإني العلم أن يكون إلا لله فان الفقهاء يتعلمون لغير الله ثم يرجعون إلى الله وانظر إلى أواخر أعمار الأكرمين منهم واعتبرهم أنهم ماتوا وهم هلكي على طلب الدنيا ومتكالبون عليها أو راغبون عنها وزاهدون فيها وليس الخبر كالمائة . واعلم أن العلم الذي أشار إليه سفيان هو علم الحديث وتفسير القرآن ومعرفة سير الأنبياء والصحابة فان فيها التخويف والتحذير وهو سبب لإثارة الخوف من الله فان لم يؤثر في الحال أثر في المال ، وأما الكلام والفقهاء الجبردد الذي يتعلق بفتاوى المعاملات وفصل الخصومات الذهب منه والخلاف لا يرد الراغب فيه للدنيا إلى الله بل لا يزال متاهيا في حرصه إلى آخر عمره ولعل ما أودعناه هذا الكتاب إن تعلمه المتعلم رغبة في الدنيا فيجوز أن يرخص فيه إذ يرجى أن ينزجر به في آخر عمره فانه مشحون بالتخويف بالله والترغيب في الآخرة والتحذير من الدنيا وذلك مما يصادف في الأحاديث وتفسير القرآن ولا يصادف في كلام ولا في خلاف ولا في مذهب فلا ينبغي أن يحادع الإنسان نفسه فان القصر العالم

قيامه وذلك إذا سمع إيقاعا موزونا بسمع يؤدي ماسمعه إلى طبع موزون فيتحرك بالطبع الموزون للصوت الموزون والايقاع للوزون وينسبل حجاب نفسه المنبسط ببساط الطبع على وجه القلب ويستفزه النشاط المنبعث من الطبع فيقوم يرقص موزونا مخمزا بتصنع وهو محرم عند أهل الحق ويعجب ذلك طية للقلب وما رأى وجه القلب وطيبته لله تعالى ولعمري هو طية القلب ولكن قلب ملون بلون النفس مبال إلى الهوى موافق للردى لا يهتدى إلى حسن النية في الحركات ولا يعرف شروط صحة الارادات ولعل هذا الراقص قيل الرقص نقص لأنه رقص مصدره الطبع غير مقترن بنية صالحة لاسيما إذا انضاف

تفصيره أسعد حالا من الجاهل الغرور أو المجهول الذنون وكل عالم اشتد حرصه على التعليم يوشك أن يكون غرضه القبول والجلاء وحظه تلذذ النفس في الحال باستشعار الادلال على الجهال والتكبر عليهم فآفة العلم الخلاء (١) كما قال صلى الله عليه وسلم ، ولذلك حكى عن بشر أنه دفن سبعة عشر قطرا من كتب الأحاديث التي سمعها وكان لا يحدث ويقول إني أشتي أن أحدث فلذلك لا أحدث ولو اشتيت أن لا أحدث لحذت ولذلك قال حدثنا باب من أبواب الدنيا وإذا قال الرجل حدثنا فاعما يقول أو سمعوا لي . وقالت رابعة العدوية لسفيان الثوري ، نعم الرجل أنت لولا رغبتك في الدنيا قال وفيهاذا رغبتي ؟ قالت : في الحديث ، ولذلك قال أبو سليمان الداراني من تزوج أو طلب الحديث أو اشتغل بالسفر قد دركن إلى الدنيا فهذه آفات قد نهينا عليها في كتاب العلم والحزم والاحتراز بالرزلة وترك الاستكثار من الأصحاب ما يمكن بل الذي يطلب الدنيا بتدريسه وتعليمه فالصواب إن كان عاقلا في مثل هذا الزمان أن يتركه فلقد صدق أبو سليمان الخطابي حيث قال دع الراغبين في صحبتك والتعلم منك فليس لك منهم مال ولا جمال إخوان العلانية أعداء السر إذا لقوك تملقوك وإذا غبت عنهم سلقوك من أتاك منهم كان عليك رقبيا وإذا خرج كان عليك خطيبا أهل تقاى ونجاسة وغلّ وخديعة فلا تقتر باجتماعهم عليك فمأغرضهم العلم بل الجلاء والمال وأن يتخذوك سلما إلى أوطارهم وأغراضهم وحماراف حاجتهم إن قصرت في غرض من أغراضهم كانوا أشد أعدائك ثم يدون ترددهم إليك دالة عليك ويرونه حقا واجبا لديك ويفرضون عليك أن تبذل عرصتك وجاهك ودينك لهم فتعادي عدوهم وتنصر قريبهم وخادمهم ووليهم وتنهض لهم سفيرا وقد كنت قريبا وتكون لهم تابعا خيسا بدان كنت متبوعا رئيسا ولذلك قيل اعترال العامة مروءة تامة فهذا معنى كلامه وإن خالف بعض ألفاظه وهو حق وصدق فانك ترى المدرسين في رق دائم وتحت حق لازم ومنه ثقلية بمن يتردد إليهم فكأنه يهدي تحفه إليهم ويرى حقه واجبا عليهم وربما لا يختلف إليهم ما يتكفل برزق له على الإدرار ثم إن المدرس السكين قديمج عن القيام بذلك من ماله فلا يزال مترددا إلى أبواب السلاطين ويقاسي القتل والشدائد مقاساة الدليل المهيئ حتى يكتب له على بعض وجوه السحت مال حرام ثم لا يزال العامل يسترقه ويستخدمه ويمتنه ويستغله إلى أن يسلم إليه ما يقدره نعمة مستأنفة من عنده عليه ثم يبقى في مقاساة القسمة على أصحابه إن سوى بينهم مقتنه الميزون ونسبوه إلى الحق وقلة التميز والقصور عن درك مصارقات الفضل والقيام بمقادير الحقوق بالعدل وإن فاوت بينهم سلقه السفهاء بالسنة حداد وثاروا عليه ثوران الأسود والأساد فلا يزال في مقاساتهم في الدنيا وفي مطالبة ما يأخذونه ويفرقه عليهم في العقبى والعجب انه مع هذا البلاء كله يعنى نفسه بالأباطيل ويدلها بحبل الغرور ويقول لها لا تفتري عن صنعك فانما أنت بما تفعلينه مريدة وجه الله تعالى ومذبة شرع رسول الله صلى الله عليه وسلم وناشرة علم دين الله وقائمة بكفاية طلاب العلم من عباد الله وأموال السلاطين لأمالك لها وهي مرصدة للمصالح وأي مصلحة أكبر من تكثير أهل العلم فبهم يظهر الدين ويتقوى أهله ولولم يكن ضحكة للشيطان لعلم بأدنى تأمل أن فساد الزمان لاسببه إلا كثرة أمثال أولئك الفقهاء الذين يأكلون ما يجدون ولا يميزون بين الحلال والحرام فتلحظهم أعين الجهال ويستجرون على المعاصي باستجرائهم اقتداء بهم واقفاء لأنارهم ولذلك قيل ما فسدت الرعية إلا بفساد الملوك وما فسدت الملوك إلا بفساد العلماء فتعوذ بالله من الغرور والعمى فانه الداء الذي ليس له دواء .

إلى ذلك شوب حركاته
بصرح التفاف بالتودد
والقرب إلى بعض
الحاضرين من غير
نية بل بدلالة نشاط
النفس من اللعانة
وتقبيل اليد والقدم
وغير ذلك من الحركات
التي لا يمتدها من
التصوفة إلا من ليس
له من التصوف إلا
مجرد زى وصورة أو
يكون القوال أمرد
تنجذب النفوس إلى
النظر إليه وتستلذ ذلك
وتضمخ خواطر السوء
أو يكون للنساء إشراف
على الجمع وتراسل
البواطن للملوءة من
الموى بسفارة الحركات
والرقص وإظهار
التواجد فيكون ذلك
عين الفسق المجمع على
تخرجه فأهل اللواخير
حينئذ أرجى حالا ممن
يكون هذا ضميره
وحركاته لأنهم يرون
فسقهم وهذا لا يراه
ويريه عبادة لمن لا يعلم
ذلك أقرى أحدا من

(١) حديث آفة العلم الخلاء المعروف مارواه مطين في مسنده من حديث علي بن أبي طالب بسند ضعيف آفة العلم النسيان وآفة الجمال الخلاء .

(القائمة الثانية النفع والانتفاع)

أما الانتفاع بالناس في الكسب والمعاملة وذلك لا يتأتى إلا بالمخالطة والمحتاج إليه مضطر إلى ترك العزلة فيقع في جهاد من المخالطة إن طلب موافقة الشرع فيه كإذ كرهه في كتاب الكسب فإن كان معه مال لو اكتفى به قائما لأقنعه فالعزلة أفضل له إذا انسدت طرق الكسب في الأكثر إلا من المعاصي إلا أن يكون غرضه الكسب للصدقة فإذا اكتسب من وجهه وتصدق به فهو أفضل من العزلة للاشتغال بالنافعة وليس بأفضل من العزلة للاشتغال بالتحقق في معرفة الله ومعرفة علوم الشرع ولأمن الأقبال بكنه الحمة على الله تعالى والتجرد بها لذكر الله أعنى من حصل له أنس بمناجاة الله عن كشف وبصيرة لأعن أوهم وخيالات فاسدة . وأما النفع فهو أن ينفع الناس إما بماله أو يبيدنه فيقوم بحاجاتهم على سبيل الحسبة في النهوض بقضاء حوائج المسلمين ثواب وذلك لا يتأتى إلا بالمخالطة ومن قدر عليها مع القيام بحدود الشرع فهي أفضل له من العزلة إن كان لا يشتغل في عزله إلا بنوافل الصلوات والأعمال البدنية وإن كان ممن افتتح له طريق العمل بالقلب بدوام ذكر أو فكر فذلك لا يعدل به غيره البتة .

(القائمة الثالثة التأديب والتأديب)

ونعني به الارتياض بمقاساة الناس والمجاهدة في تحمل أذىهم كسرا للنفس وقهر للشهوات وهي من الفوائد التي تستفاد بالمخالطة وهي أفضل من العزلة في حق من لم تهذب أخلاقه ولم تدعن لحدود الشرع شهواته ولهذا انتدب خدام الصوفية في الرباطات فيخاطبون الناس بخدمتهم وأهل السوق للسؤال منهم كسرا لرعونة النفس واستمدادا من بركة دعاء الصوفية للتصرفين بهمهم إلى الله سبحانه وكان هذا هو البدأ في الأغصار الحالية والآن قد خالطته الأمراض الفاسدة ومال ذلك عن القانون كمالا سائر شعائر الدين فصار يطلب من التواضع بالخدمة التكثير بالاستتباع والتذرع إلى جمع المال والاستظهار بكثرة الأتباع فإن كانت النية هذه فالعزلة خير من ذلك ولو إلى القبر وإن كانت النية رياضة النفس فهي خير من العزلة في حق المحتاج إلى الرياضة وذلك مما يحتاج إليه في بداية الإرادة فبعد حصول الارتياض ينبغي أن يفهم أن الدابة لا يطلب من رياضتها عين رياضتها بل المراد منها أن تتخذ مركبا يقع به المراحل ويطوى على ظهره الطريق والبدن مطية للقلب يركبها ليسلك بها طريق الآخرة وفيها شهوات إن لم يكسرها جمعت به في الطريق فمن اشتغل طول العمر بالرياضة كان كمن اشتغل طول عمر الدابة برياضتها ولم يركبها فلا يستفيد منها إلا الخلاص في الحال من عضها ورفسها ورمحها وهي لعمرى فائدة مقصودة ولكن مثاها حاصل من البهيمة الميتة وإنما تراد الدابة لفائدة تحصل من حياتها فكذلك الخلاص من ألم الشهوات في الحال يحصل بالنوم والوئ ولا ينبغي أن يقتنع به كالراهب الذي قيل له ياراهب فقال ما أثاراهب إنما أنا كلب عقور حبست نفسي حتى لا أعقر الناس وهذا حسن بالإضافة إلى من يعقر الناس ولكن لا ينبغي أن يقتصر عليه فإن من قتل نفسه أيضا لم يعقر الناس بل ينبغي أن يتشوف إلى الغاية المقصودة بها ومن فهم ذلك واهتدى إلى الطريق وقدر على السلوك استبان له أن العزلة أعون له من المخالطة فالأفضل لمثل هذا الشخص المخالطة أولا والعزلة أخرا . وأما التأديب فأنما نعني به أن يروض غيره وهو حال شيخ الصوفية معهم فإنه لا يقدر على تهذيبهم إلا بمخالطتهم وحاله حال العلم وحكمه حكمه ويتطرق إليه من دقائق الآفات والرياء ما يتطرق إلى نشر العلم إلا أن يحايل طلب الدنيا من الريدين الطالبين للارتياض أبعد منها من طلبه العلم ولذلك يرى فيه قلة وفي طلبه العلم كثرة فينبغي أن يقبس ما تيسر له من الخلو بما تيسر له من المخالطة وتهذيب القوم وإقبال أحدهما بالآخر دأب الأفاضل وذلك يدرك بدق

أهل الديانات يرضى بهذا ولا ينكره فمن هذا الوجه توجه للنكر الانكار وكان حقيقا بالاعتذار فكمن من حركات موجبة للمقت وكم من نهضات تذهب رونق الوقت فيكون إنكار النكر على المرید الطالب بمنعه عن مثل هذه الحركات ويحذره من مثل هذه المجالس وهذا إنكار صحيح وقد يرقص بعض الصادقين بإيقاع ووزن من غير إظهار وجد وحال ووجه نيته في ذلك أنه ربما يوافق بعض الفقراء في الحركة فيتحرك بحركة موزونة غير مدع بها حالا ووجدا يجعل حركته في طرف الباطل لأنها وإن لم تكن محرمة في حكم الشرع ولكنها غير محللة بحكم الحال لما فيها من اللهم وتقصير حركاته ورقصه من قبيل الباحات التي تجري عليه من الضحك

الاجتهاد ويختلف بالأحوال والأشخاص فلا يمكن الحكم عليه مطلقا بنفي ولا إثبات .

(الفائدة الرابعة : الاستئناس والإيناس)

وهو غرض من يحضر الولائم والدعوات ومواضع العاشرة والأنس وهذا يرجع إلى حفظ النفس في الحال وقد يكون ذلك على وجه حرام بمؤانسة من لا تجوز مؤانسته أو على وجه مباح وقد يستحب ذلك الأمر الدين وذلك فيمن يستأنس بمشاهدة أحواله وأقواله في الدين كالأنس بالمشايخ للزمين لسمت التقوى وقد يتعاق بمحظ النفس ويستحب إذا كان الغرض منه ترويح القلب تهيسج دواعي النشاط في العبادة فإن القلوب إذا أكرهت عمت ومنهما كان في الوحدة وحشة وفي المجالسة أنس يروح القلب فهي أولى إذ الرفق في العبادة من حزم العبادة ولذلك قال صلى الله عليه وسلم « إن الله لا يعل حق تملوا ^(١) » وهذا أمر لا يستغنى عنه فإن النفس لا تألف الحق على الدوام ما لم تروح وفي تسكيفها للملازمة داعية للفترة وهذا عن بقوله عليه السلام « إن هذا الدين متين فأوغل فيه برفق » والإيضال فيه برفق دأب للتصبرين ولذلك قال ابن عباس لولا مخافة الوسواس لم أجالس الناس ، وقال مرة لدخلت بلادا لا أنيس بها وهل يفسد الناس إلا الناس فلا يستغنى المعتزل إذا عن رفيق يستأنس بمشاهدته ومحادثة في اليوم واليلة ساعة فيلجئ في طلب من لا يفسد عليه في ساعته تلك سائر ساعته قد قال صلى الله عليه وسلم « المرء على دين خليله فلينظر أحدكم من يخالل ^(٢) » وليحرص أن يكون حديثه عند اللقاء في أمور الدين وحكاية أحوال القلب وشكواه وقصوره عن الثبات على الحق والاهتداء إلى الرشيد ففي ذلك متنفس ومتروح للنفس وفيه مجال رحب لكل مشغول بإصلاح نفسه فانه لا تنقطع شكواه ولو عمر أعمارا طويلة والراضى عن نفسه مغرور قطعا فهذا النوع من الاستئناس في بعض أوقات النهار ربما يكون أفضل من العزلة في حق بعض الأشخاص فليتنفقد أحوال القلب وأحوال الجاليس أو لا ثم ليجالس .

(الفائدة الخامسة : في نيل الثواب وإنائته)

أما النيل فبحضور الجنائز وعبادة المرضى وحضور العيدين ، وأما حضور الجمعة فلا بد منه وحضور الجماعة في سائر الصلوات أيضا لا رخصة في تركه إلا لحوف ضرر ظاهر يقام ما يفوت من فضيلة الجماعة ويزيد عليه وذلك لا يتفق إلا نادرا وكذلك في حضور الاملاكات والدعوات ثواب من حيث إنه إدخال سرور على قلب مسلم . وأما إنائته فهو أن يفتح الباب لتعوده الناس أو ليعزوه في اللصائب أو يهنوه على النعم فأنهم ينالون بذلك ثوابا وكذلك إذا كان من العلماء وأذن لحم في الزيارة نالوا ثواب الزيارة وكان هو بالتمكين سببا فيه فينبغي أن يزن ثواب هذه المخالطات بأفاتها التي ذكرناها وعند ذلك قد ترجح العزلة وقد ترجح المخالطة . فقد حكي عن جماعة من السلف مثل مالك وغيره ترك إجابة الدعوات وعبادة المرضى وحضور الجنائز بل كانوا أحلاس بيوتهم لا يخرجون إلا إلى الجمعة أو زيارة القبور وبعضهم فارق الأمصار وانحاز إلى قلل الجبال تفرغا للعبادة وفرارا من الشواغل .

(الفائدة السادسة)

من المخالطة التواضع فانه من أفضل القامات ولا يقدر عليه في الوحدة وقد يكون الكبر سببا في اختيار العزلة فقد روى في الاسرائيليات أن حكما من الحكماء صنف ثلثمائة وستين مصحفا في الحكمة حتى ظن أنه قد نال عند الله منزلة فأوحى الله إلى نبيه قل لفلان إنك قد ملأت الأرض نفاقا وإني لا أقبل من نفاقك شيئا قال فتخلى وانفرد في سرب تحت الأرض وقال الآن قد بلغت رضا ربى

(١) حديث إن الله لا يعل حق تملوا تقدم (٢) حديث المرء على دين خليله تقدم في آداب الصلابة .

والداعية وملاعبة
الأهل والولد ويدخل
ذلك في باب الترويح
للقلب وربطها بذلك
عبادة بحسن النية إذا
نوى به استجمام النفس
كما نقل عن أبي الدرداء
أنه قال إني لأستجم
نفسى بشي من الباطل
ليكون ذلك عوناً لى
على الحق ولموضع
الترويح كرهت الصلاة
في أوقات ليستريح
عمال الله وترفق
النفوس ببعض مآربها
من ترك العمل
وتستطيب أوطان الليل
والآدمى بتركه
المختلف وترتيب خلقه
للتنوع بتنوع أصول
خلقته وقد سبق شرحه
في غير هذا الباب لانتفى
قواه بالصبر على الحق
الصرف فيكون
التفصح في أمثال
ما ذكرناه من الباح
الذى ينزع إلى هو ما
باطلا يستعان به على
الحق فان الباح وإن لم
يكن باطلا في حقيقة

فأوحى الله إلى نبيه قل له إنك لن تبلغ رضى حق تخالط الناس وتصبر على أذاهم فخرج فدخل الأسواق وخالط الناس وجالسهم وواكلهم وأكل الطعام بينهم ومشى في الأسواق معهم فأوحى الله تعالى إلى نبيه الآن قد بلغ رضى فكم من معزل في بيته وباعثه الكبر ومأنعه عن الحافل أت لا يوقر أولاً يقدم أو يرى الترفع عن مخالطهم أرفع لعله وأبقى لطراوة ذكره بين الناس وقد بعزل خيفة من أن تظهر مقابحه لو خالط فلا يستغفبه الزهد والاشتغال بالعبادة فيتخذ البيت سترًا على مقابحه إبقاء على اعتقاد الناس في زهده وتعبه من غير استغراق وقت في الخلوة بذكر أو فكر وعلامة هؤلاء أنهم يحبون أن يزاروا ولا يحبون أن يزوروا ويفرحون بتقرب العوام والساطين إليهم واجتماعهم على بابهم وطرقهم وتقبيلهم أيديهم على سبيل التبرك ولو كان الاشتغال بنفسه هو الذى يفيض إليه المخالطة وزيارة الناس لفيض إليه زيارتهم له كما حكيناه عن الفضيل حيث قال وهل جئني إلا أنزين لك وتزين لي . وعن حاتم الأصم أنه قال للأمر الذى زاره حاجق أن لا أراك ولا ترائى فمن ليس مشغولاً مع نفسه بذكر الله فاعتزله عن الناس سببه شدة اشتغاله بالناس . لأن قلبه متجرد للالتفات إلى نظرم إليه بعين الوقار والاحترام والعزلة بهذا السبب جهل من وجوه : أحدها أن التواضع والمخالطة لا تنقص من منصب من هو متكبر بعله أودينه إذ كان على رضى الله عنه يحمل الحر والمملوك في ثوبه ويده ويقول :

لا ينقص الكامل من كماله . ماجر من تقع إلى عياله

وكان أبو هريرة وحذيفة وأبي وابن مسعود رضى الله عنهم يحملون حزم الحطب وجرب الدقيق على أكفانهم . وكان أبو هريرة رضى الله عنه يقول وهو إلى المدينة والحطب على رأسه طرّقوا لأمرهم « وكان سيد المرسلين صلى الله عليه وسلم يشتري الثياب فيحملها إلى بيته بنفسه فيقول له صاحبه أعطني أحمله فيقول صاحب الثياب : أحق بحمله (١) » وكان الحسن بن علي رضى الله عنهما يمر بالسؤال وبين أيديهم كسر فيقولون : هلم إلى الغداء يا ابن رسول الله فكان ينزل ويجلس على الطريق ويأكل معهم ويركب ويقول : إن الله لا يحب المتكبرين - الوجه الثانى أن الذى شغل نفسه يطلب رضا الناس عنه وتحسين اعتقادهم فيه مغرور لأنه لو عرف الله حق العرفة علم أن الخلق لا يغنون عنه من الله شيئاً وأن ضرره وتعبه بيد الله ولا نافع ولا ضارّ سواه وأن من طلب رضا الناس ومحبتهم بسخط الله سخط الله عليه وأسخط عليه الناس بل رضا الناس غاية لا تتال رضا الله أولى بالطالب ولذلك قال الشافعى ليونس بن عبد الأعلى والله ما أقول لك إلا نصيحة إنه ليس إلى السلامة من الناس من سبيل فانظر ماذا يصلحك فافعله ولذلك قيل :

من راقب الناس مات غماً . وفاز باللذة الجسور

ونظر سهل إلى رجل من أصحابه فقال له : اعمل كذا وكذا لشيء أمر به فقال يا أستاذ لا أقدر عليه لأجل الناس فالتفت إلى أصحابه وقال لا ينال عبد حقيقة من هذا الأمر حتى يكون بأحد وصفين : عبد تسقط الناس من عينه فلا يرى في الدنيا إلا خالقه وإن أحداً لا يقدر على أن يضره ولا ينفعه وعبد سقطت نفسه عن قلبه فلا يبالي بأى حال يرويه . وقال الشافعى رحمه الله ليس من أحد إلا أولى محب ومبغض فإذا كان هكذا فكأن مع أهل طاعة الله . وقيل للحسن يا أبا سعيد إن قومًا معضرون مجاهدك ليس بغيتهم إلا تتبع سقطات كلامك وتعتيك بالسؤال فتبسم وقال للقائل هون على نفسك فإن حدثت نفسى بسكنى الجنان ومجاورة الرحمن فطمعت وما حدثت نفسى بالسلامة من الناس لأنى قد

(١) حديث كان يشتري الثياب ويحملها إلى بيته بنفسه فيقول له صاحبه أعطني أحمله فيقول صاحب اللئاع أحق بحمله أبو يعلى من حديث أبي هريرة بسند ضعيف في حمله السراويل الذى اشتراه .

الشرع لأن حدّ الباح ما استوى ظرفاه واعتدل جانباه ولكنه باطل بالنسبة إلى الأحوال ورأيت في بعض كلام سهل بن عبد الله يقول في وصفه للصادق الصادق يكون جهله مزيداً لعله وباطله مزيداً لحقه ودينه مزيداً لآخرته ولهذا المعنى جيب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم النساء ليكون ذلك حظ نفسه الشريفة للهو بملها حظوظها الموفر عليها حقوقها لموضع طهارتها وقديسها فيكون ما هو نصيب الباطل الصرف في حق الغير من اللباحات المقبولة برخصة الشرع المروءة بعزيمة الحال في حقه صلى الله عليه وسلم متساوية بسمه العبادات وقد ورد في فضيلة النكاح ما يدل على أنه عبادة ومن ذلك

علت أن خالقهم ورازقهم ومحيمهم ومحييهم لم يسلم منهم . وقال موسى صلى الله عليه وسلم : يا رب احبس عني ألسنة الناس فقال يا موسى هذا شيء لم أصطفه لنفسي فكيف أفصح بك وأوحى الله سبحانه وتعالى إلى عزير إن لم تطب نفسا بأن أبعثك عليك في أفواه الماضين لم أكتبك عندي من للتواضعين فاذن من حبس نفسه في البيت ليحسن اعتقادات الناس وأقول لهم فيه فهو في عناء حاضر في الدنيا - ولعذاب الآخرة أكبر لو كانوا يعلمون - فاذن لا تستحب العزلة إلا لمستغرق الأوقات بربه ذكرًا وفكرًا وعبادة وعلمًا بحيث لو خالطه الناس لصاعت أوقاته وكثرت آفاته ولتشوشت عليه عباداته فهذه غوائل خفية في اختيار العزلة ينبغي أن تتقيا فانه مهلكات في صور منجيات .

(الفائدة السابعة التجارب)

فانه استنفاد من المخالطة للخلق ومجاري أحوالهم والعقل التريزي ليس كافيًا في فهم مصالح الدين والدنيا وإنما تنيدها التجربة والممارسة ولا خير في عزلة من لم تحسك التجارب فالسبي إذا اعتزل بقي غمرا جاهلا بل ينبغي أن يشتغل بالتعلم ويحصل له في مدة التعلم ما يحتاج إليه من التجارب ويكفيه ذلك ويحصل بقية التجارب بسماع الأحوال ولا يحتاج إلى المخالطة ومن أهم التجارب أن يجرب نفسه وأخلاقه وصفات باطنه وذلك لا يجدر عليه في الخلوة فان كل مجرب في الخلوة يبرئ وكل غضوب أو حقود أو حسود إذا خلا بنفسه لم يترشح منه خبثه وهذه الصفات مهلكات في أنفسهم يجب إسالتها وقهرها ولا يكفي تسكينها بالتباعد عما يهركها فثال القلب للشجون بهذه الحباثت مثال دمل تمتلئ بالصديد والدة وقد لا يحس صاحبه بأنه مالم يتحرك أو يمس غيره فان لم يكن له يد تمسه أو عين تبصر صورته ولم يكن معه من يهركه ربما ظن بنفسه السلامة ولم يشعر بالدمل في نفسه واعتقد فقدده ولكن لو حركه محرك أو أصابه مشرط حجام لا هجر منه الصديد وفار فوران الشيء المختنق إذا حبس عن الاسترسال فكذلك القلب للشجون بالحقود والبخل والحد والفضب وسائر الأخلاق القديمة إنما تفجر منه خباثته إذا حرك وعن هذا كان السالكون لطريق الآخرة الطالبون لتزكية القلوب يجربون أنفسهم فمن كان يستشعر في نفسه كبرا حصى في إباطه حتى كان بعضهم يحمل قرية ماء على ظهره بين الناس أو حزمة حطب على رأسه ويتردد في الأسواق ليحرب نفسه بذلك فان غوائل النفس ومكايد الشيطان خفية قل من يتفطن لها ، ولذلك حكى عن بعضهم أنه قال أعدت صلاة ثلاثين سنة مع أني كنت أصلها في الصف الأول ولكن تخلفت يوما بصد فوافجت موضعًا في الصف الأول فوقفت في الصف الثاني فوجدت نفسي تستشعر خجلة من نظر الناس إلي وقد سبقت إلى الصف الأول فصلت أن جميع صلواتي التي كنت أصلها كانت مشوبة بالرياء محروجة بلذة نظر الناس إلى ورؤيتهم إياي في زمرة السابقين إلى الخير فالمخالطة لها فائدة ظاهرة عظيمة في استخراج الحباثت وإظهارها ولذلك قيل السرفيسفر عن الأخلاق فانه نوع من المخالطة الدائمة وستأتي غوائل هذه الأمان ودقائقها في ربيع المواصلات فان بالجهل بها يحبط العمل الكثير وبالعلم بها يزكو العمل القليل ولولا ذلك ما فضل العلم على العمل إذ يستحيل أن يكون العلم بالصلاة ولا يراد إلا الصلاة أفضل من الصلاة فاننا علم أن ما يراد لغيره فان ذلك الغير أشرف منه وقد قضى الشرع بتفضيل العلم على العابد حتى قال صلى الله عليه وسلم « فضل العالم على العابد كفضل علي أدنى رجل من أصحابي ^(١) » فعنى تفضيل العلم يرجع إلى ثلاثة أوجه : أحدها ما ذكرناه والثاني عموم النفع لعدم فائدته والعمل لا تمدى فائدته والثالث أن يراد به العلم بالله وصفاته وأفعاله فذلك أفضل من كل عمل بل مقصود الأعمال صرف القلوب عن الخلق إلى الخالق لتبنيته

(١) حديث فضل العالم على العابد كفضل علي أدنى رجل من أصحابي تقدم في العلم .

من طريق القياس
استماله على الصالح
الدينية والدينية على
ما أطلب في شرحه
الفقهاء في مسألة
التخلي لنوافل المبادات
فاذا يخرج هذا
الرائق بهذه النية
التبري من دعوى
الحال في ذلك من
إنكار النكر فيكون
رقصه لاهله ولا له
وربما كان بحسن
النية في الترويح بصير
عبادة سيما إن أضمر
في نفسه فرحا بربه
ونظر إلى شمول رحمته
وعظفه ولكن لا يليق
الرقص بالشيوخ
ومن يقتدى به لما فيه
من مشابهة اللهو
واللهو لا يليق بمنصبهم
ويبين حال التمكن
مثل ذلك وأما وجه
منع الإنكار في السماع
فهو أن النكر للسمع
على الإطلاق من غير
تفصيل لا يخلو من
أحد أمور ثلاثة إما

بعد الانصراف إليه لمعرفته ومحبه فالعمل وعلم العمل مراد أن لهذا العلم وهذا العلم غاية المردين
والعمل كالشرط له وإليه الإشارة بقوله تعالى - إليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه - فالكلم
الطيب هو هذا العلم والعمل كالحال الرفع له إلى مقصده فيكون الرفع أفضل من الرفع وهذا
كلام مقترض لا يليق بهذا الكلام . فلنرجع إلى المقصود فنقول : إذا عرفت فوائد العزلة وغوائلها
نعمت أن الحكم عليها مطلقا بالتفضيل نفيًا وإثباتًا خطأ بل ينبغي أن ينظر إلى الشخص وحاله وإلى
الخليط وحاله وإلى الباعث على مخالطته وإلى الفائق بسبب مخالطته من هذه الفوائد المذكورة ويقاس
الفائق بالحاصل فنجد ذلك يتبين الحق ويتضح الأفضل وكلام الشافعي رحمه الله هو فصل الخطاب
إذ قال يابونيس الانقباض عن الناس مكسبة للعداوة والانبساط إليهم مجلبة لقرناء السوء فكن بين
النقبض والنبسط فلذلك يجب الاعتدال في المخالطة والعزلة ويختلف ذلك بالأحوال وبملاحظة الفوائد
والآفات يتبين الأفضل هذا هو الحق الصراح وكل ما ذكر سوى هذا فهو قاصر وإنما هو إخبار كل
واحد عن حالة خاصة هو فيها ولا يجوز أن يحكم بها على غيره المخالف له في الحال والفرق بين العالم
والصوفي في ظاهر العلم يرجع إلى هذا وهو أن الصوفي لا يتكلم إلا عن حاله فلا جرم تختلف أجوبتهم
في المسائل والعالم هو الذي يدرك الحق على ما هو عليه ولا ينظر إلى حال نفسه فيكشف الحق فيه وذلك
بما لا يختلف فيه فإن الحق واحد أبداً والقاصر عن الحق كثير لا يحصى ولذلك سئل الصوفية عن
الفقر فما من واحد إلا أجاب بجواب غير جواب الآخر وكل ذلك حق بالإضافة إلى حاله وليس بحق
في نفسه إذ الحق لا يكون إلا واحداً ولذلك قال أبو عبد الله الجلاء ، وقد سئل عن الفقر فقال اضرب
بكُميك الحائط وقل ربني الله فهو الفقر . وقال الجنيد الفقير هو الذي لا يسأل أحداً ولا يعارض وإن
عورض سكت وقال سهل بن عبد الله الفقير الذي لا يسأل ولا يدخر وقال آخر هو أن لا يكون لك فان
كان لك فلا يكون لك من حيث لم يكن لك وقال إبراهيم الخواص هو ترك الشكوى وإظهار أثر
البلى والمقصود أنه لو سئل منهم مائة لسمع منهم مائة جواب مختلفة قلما يتفق منها اثنان وذلك كله
حق من وجه فانه خبر كل واحد عن حاله وما غلب على قلبه ولذلك لا ترى اثنين منهم ثبت أحدهما
لصاحبه قدما في التصوف أو ينشئ عليه بل كل واحد منهم يدعي أنه الواصل إلى الحق والواقف عليه
لأن أكثر ترددهم على مقتضى الأحوال التي تعرض لقلوبهم فلا يشتغلون إلا بأنفسهم ولا يلتفتون إلى
غيرهم ونور العلم إذا أشرق أحاط بالكل وكشف الغطاء ورفع الاختلاف ومثال نظره هؤلاء ما رأيت
من نظر قوم في أدلة الزوال بالنظر في الظل فقال بعضهم هو في الصيف قدما . وحكى عن آخر أنه
نصف قدم وآخر يرد عليه وأنه في الشتاء سبعة أقدام . وحكى عن آخر أنه خمسة أقدام وآخر يرد
عليه فهذا يشبه أجوبة الصوفية واختلافهم فإن كل واحد من هؤلاء أخبر عن الظل الذي رآه يولد
نفسه فصدق في قوله وأخطأ في تخطيطه صائبه إذ ظن أن العالم كله بلده أو هو مثل بلده كما أن الصوفي
لا يحكم على العالم إلا بما هو حال نفسه والعالم بالزوال هو الذي يعرف علة طول الظل وقصره وعلة اختلافه
بالبلاد فيجبر بأحكام مختلفة في بلاد مختلفة ويقول في بعضها لا يبقى ظل وفي بعضها يطول وفي بعضها
يقصر فهذا ما أردنا أن نذكره من فضيلة العزلة والمخالطة . فان قلت فمن أثر العزلة ورآها أفضل له
وأسلم فما آدابها في العزلة فنقول إنما يطول النظر في آداب المخالطة وقد ذكرناها في كتاب آداب الصحبة
وأما آداب العزلة فلا تطول فينبغي للمعزول أن ينوي بعزله كفض شر نفسه عن الناس أولا ثم طلب
السلامة من شر الأشرار ثانيا ثم الخلاص من آفة القصور عن القيام بحقوق المسلمين ثالثا ثم التجرد
بكنه المهمة لخدمة الله رابعا فهذه آداب نيته ثم ليكن في خلوته مواظبا على العلم والعمل والذكر والفكر

جاهل بالسنة والآثار
وإما مقترضا بما أتبع
له من أعمال الأخيار
وإما جامد الطبع
لا ذوق له فيصير على
الإنكار وكل واحد
من هؤلاء الثلاثة
يقابل بما سوف يقبل ،
أما الجاهل بالسنة
والآثار فيعرف بما
أسلفناه من حديث
عائشة رضي الله عنها
وبالأخبار والآثار
الواردة في ذلك وفي
حركه بعض المتحررين
تعرف رخصة رسول
الله صلى الله عليه وسلم
للعبسة في الرقص
ونظر عائشة رضي الله
عنها إليهم مع رسول الله
صلى الله عليه وسلم
هذا إذا سلمت الحركة
من السكره التي
ذكرناها وقد روى
أن رسول الله صلى الله
عليه وسلم قال لملي
رضي الله عنه وأنت
منى وأنا منك فحبل
وقال لجعفر أشبهت

ليجتنى ثمرة العزلة ولينج الناس عن أن يكثروا غشيانه وزيارته فيشوش أكثر وقته وليكف عن السؤال عن أخبارهم وعن الإصغاء إلى أراجيف البلد وما الناس مشغولون به فإن كل ذلك ينغرس في القلب حتى يذم في أثناء الصلاة أو الفكر من حيث لا يحتسب فوقوع الأخبار في السمع كوقوع البذر في الأرض فلا بد أن ينبت وتتفرع عروقه وأغصانه ويتداعى بعضها إلى بعض وأحد مهمات الممترل قطع الوسواس الصارفة عن ذكر الله والأخبار ينايع الوسواس وأصولها وليقع باليسير من المعيشة وإلا اضطره التوسع إلى الناس واحتاج إلى مخالطتهم وليكن صبوراً على ما يلقاه من أذى الجيران وليسد سمعه عن الإصغاء إلى ما يقال فيه من ثناء عليه بالعزلة أو قدح فيه بترك الخلطة فإن كل ذلك يؤثر في القلب ولومدة يسيرة وحال اشتغال القلب به لا بد أن يكون واقفاً عن سيره إلى طريق الآخرة فإن السير إما بالمواظبة على ورد وذكر مع حضور قلب وإما بالفكر في جلال الله وصفاته وأفعاله وملسكوت صواته وأرضه وإما بالتأمل في دقائق الأعمال ومفاسد القلوب وطلب طرق التصحيح منها وكل ذلك يستدعى الفراغ والإصغاء إلى جميع ذلك مما يشوش القلب في الحال وقد يتجدد ذكره في دوام الذكر من حيث لا ينتظر وليكن له أهل صالحة أو جلس صالح لتسريح نفسه إليه في اليوم ساعة من كد المواظبة فقيه عون على بقية الساعات ولا يئمه له الصبر في العزلة إلا بقطع الطمع عن الدنيا وما الناس منهمكون فيه ولا ينقطع طمعه إلا بقصر الأمل بأن لا يقدر لنفسه عمراً طويلاً بل يصبح على أنه لا يمسي ويمسي على أنه لا يصبح فيسهل عليه صبر يوم ولا يسهل عليه العزم على الصبر عشرين سنة لو قدر تراخي الأجل وليكن كثير الذكر للموت ووحدة القبر مهما ضاق قلبه من الوحدة ولتتحقق أن من لم يحصل في قلبه من ذكر الله ومعرفته ما يأنس به فلا يطيق وحشة الوحدة بعد الموت وأن من أنس بذكر الله ومعرفته فلا يزيل الموت أنه إذ لا يهدم للموت محل الأنس والمعرفة بل يبقى حياً بمعرفته وأنه فرحاً بفضل الله عليه ورحمته كما قال الله تعالى في الشهداء - ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتاً بل أحياء عند ربهم يرزقون فرحين بما آتاهم الله من فضله - وكل متجرد لله في جهاد نفسه فهو شهيد منها أدركه الموت مقبلاً غير مدبر « فالجهاد من جاهد نفسه وهواه ^(١) » كما صرح به رسول الله صلى الله عليه وسلم والجهاد الأكبر جهاد النفس كما قال بعض الصحابة رضي الله عنهم رجسنا من الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر يضنون جهاد النفس .

تم كتاب العزلة ويثله كتاب آداب السفر والحمد لله وحده .

﴿ كتاب آداب السفر ﴾

وهو الكتاب السابع من ربيع العادات من كتب إحياء العلوم

(بسم الله الرحمن الرحيم)

الحمد لله الذي فتح بصائر أوليائه بالحكم والعبر واستخلص مهمهم لمشاهدة عجائب صنعه في الحضر والسفر فأصبحوا راضين بمجاري القدر مزهين قلوبهم عن التفت إلى متزهات البصر إلا على سبيل الاعتبار بما يسع في مسارح النظر ومجاري الفكر فاستوى عندهم البر والبحر والسهل والوعر والبدو والحضر . والصلاة على محمد خير البشر وعلى آله وصحبه المقربين لأناره في الأخلاق والسير وسلم كثيراً .

(١) حديث الجهاد من جاهد نفسه وهواه الحاكم من حديث فضالة بن عبيد وصححه دون قوله وهواه وقد تقدم في الباب الثالث من آداب الصلوة .

(كتاب آداب السفر)

خلق وخلق فجعل وقال
لزيد أنت أخونا ومولانا
فجعل « وكان جعل
جعفر قصة ابنه حمزة
لما اختصم فيها على
وجعفر وزيد . وأما
النكر الغرور بما
أتيح له من أعمال
الأخبار فيقال تبرك
إلى الله بالعبادة لشغل
جوارحك بها ولولانية
قلبك ما كان لمدل
جوارحك قدر فاعلم
الأعمال بالنيات ولكل
امرئ ما نوى والنية
لنظرك إلى ربك خوفاً
أو رجاء فالسامع من
الشعر بيتاً يأخذ منه
معنى يذكره ربه إما
فرحاً أو حزناً أو انكساراً
أو افتقاراً كيف يقلب
قلبه في أنواع ذلك
ذاكراً لربه ولو سمع
صوت طائر غاب له ذلك
الصوت وتفكر في قدرة
الله تعالى وتوحيته
خبرة الطائر وتسخير
خلقهم ومنشأ الصوت
وتأديته إلى الأسماع

[أما بعد] فإن السفر وسيلة إلى الخلاص عن مهروب عنه أو الوصول إلى مطلوب ومرغوب فيه والسفر سفران سفر بظاهر البدن عن المسقر والوطن إلى الصحارى والقنوات وسفر بسير القلب عن أسفل السافلين إلى ملكوت السموات وأشرف السفيرين السفر الباطن فإن الواقف على الحالة التي نشأ عليها عقيب الولادة الجامد على ما تلقفه بالتقاليد من الآباء والأجداد لازم درجة القصور وقائع عرقية النفس ومبتدل بمشع فضاء - جنة عرضها السموات والأرض - ظلة السجن وضيق الحبس ولقد صدق القائل :
ولم أر في عيوب الناس عيباً كقص القادرين على التمام

إلا أن هذا السفر لما كان مقصده في خطب خطير لم يستغن فيه عن دليل وخير فاتقضى غموض السبيل وقصد الحفير والدليل وقاعة السالكين عن الحظ الجزيل بالنصيب النازل القليل اندرس مسالكه فاتقطع فيه الرفاق وخلا عن الطائفين متزهات الأنفس والملكوت والآفاق وإليه دعا الله سبحانه بقوله - سترهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم - وبقوله تعالى - وفي الأرض آيات للموقنين وفي أنفسكم أفلا تبصرون - وطى القعود عن هذا السفر وقع الانكار بقوله تعالى - وإنكم لتكفرون عليهم مصبحين وبالليل أفلا تعقلون - وبقوله سبحانه - وكأين من آية في السموات والأرض يعرونها عليها وهم عنها معرضون - فمن يسر له هذا السفر لم يزل في سيره متزها في جنة عرضها السموات والأرض وهو ساكن بالبدن مستقر في الوطن وهو السفر الذي لا تضيق فيه الناهل والوارد ولا يضر فيه التراحم والتوارد بل تزيد بكرة السافرين غناؤه وتضاعف ثمراته وفوائده فضاء دأمة غير ممنوعة وثمراته متزايدة غير مقطوعة إلا إذا بدا للسافر فترة في سفره ووقفة في حركته فإن الله لا يخبر ما يقوم حتى يضروا ما بأنفسهم وإذا زاغوا أزاع الله قلوبهم وما الله بظلام للعبيد ولكنهم يظلمون أنفسهم ومن لم يؤهل للجولان في هذا الميدان والتطواف في متزهات هذا البستان ربما سافر بظاهر بدنه في مدة مدينة فراسخ معدودة مغتنيا بها تجارة الدنيا أو ذخيرة للآخرة فإن كان مطلبه العلم والدين أو الكفاية للاستعانة على الدين كان من سالكى سبيل الآخرة وكان له في سفره شروط وآداب إن أهملها كان من عمال الدنيا وأتباع الشيطان وإن اظبط عليها لم يخل سفره عن فوائد تلحقه بمال الآخرة ونعم نذكر آدابه وشروطه في بابين إن شاء الله تعالى . الباب الأول : في الآداب من أول النهوض إلى آخر الرجوع وفي نية السفر وفائدته وفيه فصلان . الباب الثاني : فيما لا بد للسافر من تعلمه من رخص السفر وأدلة القبلة والأوقات .

(الباب الأول في الآداب من أول النهوض إلى آخر الرجوع وفي نية السفر وفائدته وفيه فصلان :
النصل الأول في فوائد السفر وفضله ونيته)

اعلم أن السفر نوع حركة ومحالطة وفيه فوائد وله آفات كذا ذكرناه في كتاب الصحة والعزلة والفوائد الباعثة على السفر لا تخلو من هرب أو طلب فإن المسافر إما أن يكون له مزعج عن مقامه ولولاه لما كان له مقصد يسافر إليه وإما أن يكون له مقصد ومطلب والهروب عنه إما أمر له نكايته في الأمور الدنيوية كالطاعون والوباء إذا ظهر يله أو خوف سببه فتنة أو خصومة أو غلام ومر وهو إما عام كما ذكرناه أو خاص كمن يقصد بأفدية في بلدة فيهرب منها وإما أمر له نكايته في الدين كمن ابتلى في بلدة بجاه ومال واتساع أسباب تصده عن التجرد لله فيؤثر الغربة والحول ويحنتب السعة والجاه أو كمن يدعى إلى بدعة قهراً أو إلى ولاية عمل لا تحمل مباشرته فيطلب الفرار منه وأما المطلوب فهو إما دنيوي كالمال والجاه أو ديني والدين إما علم وإما عمل والعلم إما علم من العلوم الدنيوية وإما علم بأخلاق

كان في جميع ذلك
الفكر مسجماً مقدماً
فإذا سمع صوت آدمي
وحضره مثل ذلك
الفكر وامتلاً باطنه
ذكر وأفكر كيف
ينحصر ذلك . حكى
بعض الصالحين قال
كنت معتكفا في جامع
جدة على البحر فرأيت
يوماً طائفة يقولون في
جانب منه شيئاً
فأنكرت ذلك فقلبي
وقلت في بيت من بيوت
الله تعالى يقولون
الشعر فرأيت رسول
الله صلى الله عليه وسلم
في المنام تلك الليلة وهو
جالس في تلك الناحية
وإلى جنبه أبو بكر
وإذا أبو بكر يقول
شيئاً من القول والنبي
صلى الله عليه وسلم
يسمع إليه ويضع يده
على صدره كالواجب
بذلك فقلت في نفسي
ما كان ينبغي لي أن
أنكر على أولئك
الذين كانوا يسمعون
وهذا رسول الله

(الباب الأول في الآداب من أول النهوض إلى آخر الرجوع)

نفسه وصفاته على سبيل التجربة وإما علم بآيات الأرض ومجائبها كسفر ذي القرنين وطوافه في نواحي الأرض والعمل إما عبادة وإما زيارة والعبادة هو الحج والعمرة والجهاد والزيارة أيضا من القربات وقد قصد بها مكان كسكة والمدينة وبيت المقدس والثغور فإن الرباط بها قرينة وقد يقصد بها الأولياء والعلماء وهم إما موتى قترار قبورهم وإما أحياء فيتبرك بمشاهدتهم ويستفاد من النظر إلى أحوالهم قوة الرغبة في الاقتداء بهم فهذه هي أقسام الأسفار ويخرج من هذه القسمة أقسام . القسم الأول : السفر في طلب العلم وهو إما واجب وإما تقيدي وذلك بحسب كون العلم واجبا أو نفلا وذلك العلم إما علم بأور دينه أو بأخلاقه في نفسه أو بآيات الله في أرضه وقد قال عليه السلام « من خرج من بيته في طلب العلم فهو في سبيل الله حتى يرجع »^(١) وفي خبر آخر « من سلك طريقا يلتمس فيه علما سهل الله له طريقا إلى الجنة »^(٢) وكان سعيد بن المسيب يسافر الأيام في طلب الحديث الواحد . وقال الشعبي لو سافر رجل من الشام إلى أقصى اليمن في كفة تدله على هدى أو ترده عن ردى ما كان سفره ضائعا ورحل جابر بن عبد الله من المدينة إلى مصر مع عشرة من الصحابة فساروا شهرا في حديث بانهم عن عبد الله بن أنيس الأنصاري يحدث به عن رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى يجمعوه^(٣) وكل مذكور في العلم حصل له من زمان الصحابة إلى زماننا هذا لم يحصل العلم إلا بالسفر وسافر لأجله وأما علمه بنفسه وأخلاقه فذلك أيضا منهم فإن طريق الآخرة لا يمكن سلوكها إلا بتحصين الخلق وتهذيبه ومن لا يطلع على أسرار باطنه وخبائث صفاته لا يقدر على تطهير القلب منها وإنما السفر هو الذي يسفر عن أخلاق الرجال وبه يخرج الله الحب في السموات والأرض وإنما ممي السفر سفرا لأنه يسفر عن الأخلاق ولذلك قال عمر رضي الله عنه للذي زكى عنده بعض اليهود هل محبته في السفر الذي يستدل به على مكازم أخلاقه فقال لا فقال ما أراك تعرفه . وكان بشر يقول يابستم القراء سيحوا تطيؤوا فإن البناء إذا ساح طاب وإذا طال مقامه في موضع تغير . وبالجملة فإن النفس في الوطن مع موادة الأسباب لا تظهر خبايا أخلاقها لاستئناسها بما يوافق طبيعتها من المألوفات المعهودة فإذا حملت وعشاء السفر وصرفت عن مألوفاتها المعتادة وامتنحت بمشاق الغربة انكشفت غوائلها ووقع الوقوف على عيوبها فيمكن الاشتغال بملاجئها وقد ذكرنا في كتاب الميزة فوائد المخاطلة والسفر بمخاطلة مع زيادة اشتغال واحتمال مشاق . وأما آيات الله في أرضه ففي مشاهدتها فوائد للمستبصر فيها قطع متجاورات وفيها الجبال والبراري والبحار وأنواع الحيوان والنبات وما من شيء منها إلا وهو شاهد لله بالوحدانية ومسبح له بلسان ذلق لا يدركه إلا من ألقى السمع وهو شهيد وأما الجاحدون والمافلون والمعترون بلامع السراب من زهرة الدنيا فانهم لا يصرون ولا يسمعون لأنهم عن السمع معزولون وعن آيات ربهم محجوبون - يملكون ظاهرا من الحياة الدنيا وهم عن الآخرة هم غافلون - وما أريد بالسمع السمع الظاهر فإن الذين أريدوا به ما كانوا معزولين عنه وإنما أريد به السمع الباطن ولا يدرك بالسمع الظاهر إلا الأصوات ويشارك الإنسان فيه

(١) حديث من خرج من بيته في طلب العلم فهو في سبيل الله حتى يرجع الترمذي من حديث أنس وقال حسن غريب (٢) حديث من سلك طريقا يلتمس فيه علما الحديث رواه مسلم وتقدم في العلم (٣) حديث رحل جابر بن عبد الله من المدينة إلى مسيرة شهر في حديث بلغه عن عبد الله ابن أنيس الخطيب في كتاب الرحلة بإسناد حسن ولم يسم الصحابي وقال البخاري في صحيحه رحل جابر بن عبد الله مسيرة شهر إلى عبد الله بن أنيس في حديث واحد ورواه أحمد إلا أنه قال إلى الشام وإسناده حسن وأحمد أن أبا أيوب ركب إلى عقبة بن عامر إلى مصر في حديث وله أن عقبة بن عامر

صلى الله عليه وسلم
يسمع وأبو بكر إلى
جنبه يقول فالتفت
رسول الله صلى الله عليه
وسلم وهو يقول هذا
حق بحق أو حق من
حق بل إذا كان
ذلك الصوت من أمره
يغشى بالنظر إليه
الفتنة أو من امرأة غير
محرم وإن وجد من
الأذكى والأفكار
ما ذكرنا يحرم معامه
لخوف الفتنة لا لجرد
الصوت ولكن يحل
سماع الصوت حريم
الفتنة ولكل حرام
حريم ينسحب عليه
حكم للنكاح الصلحة
كاقبله للشباب الصائم
حيث جعلت حريم
حرام الوقاع وكالحلوة
بالأجنبية وغير ذلك
فعل هذا قد تقتضي
الصلحة النكاح من السماع
إذا علم حال السامع
وما يؤديه إليه معامه
فيجمل للنكاح حريم
المحرام هكذا وقد
ينكر السماع جامد

سائر الحيوانات فأما السمع الباطن فيدرك به لسان الحال الذي هو نطق وراء نطق اللسان يشبه قول القائل حكاية لكلام الوجد والخاطر قال الجدار للوجد لم تشقني فقال - من يدقني ولم يتركني ورأى الحجر الذي ورأى ومامن ذرة في السموات والأرض إلا ولها أنواع شهادات لله تعالى بالوحداية هي توحيدها وأنواع شهادات لسانها بالقدس هي تسبيحها - ولكن لا يفقهون تسبيحها - لأنهم لم يسافروا من مضيق سمع الظاهر إلى فضاء سمع الباطن ومن زكاة لسان اللسان إلى فصاحة لسان الحال ولو قدر كل عاجز على مثل هذا السير لما كان سلبان عليه السلام مختصا بفهم منطق الطير ولما كان موسى عليه السلام مختصا بجمع كلام الله تعالى الذي يجب تهديمه عن مشابهة الحروف والأصوات ومن يسافر ليستقرى هذه الشهادات من الأسطر المكتوبة بالخطوط الإلهية على صفحات المجادات لم يطل سفره بالبدن بل يستقر في موضع ويخرج قلبه ليمتع بجمع نباتات التسيبحات من آحاد الذرات فخاله ولتتردد في العلوات وله غنية في ملكوت السموات فالشمس والقمر والنجوم بأمره مسخرات وهي إلى أبصار ذوى البصائر مسافرات في الشهر والسنة مرات بل هي دائبة في الحركة على توالي الأوقات فمن الغرائب أن يدأب في الطواف بأحد المساجد من أمريت الكعبة أن تطوف به ومن الغرائب أن يطوف في أكناف الأرض من تطوف به أقطار السماء ثم مادام للسافر مفتقرا إلى أن يصير عالم للملك والشهادة بالبصر الظاهر فهو بعد في التزل الأول من منازل السائرين إلى الله والسافرين إلى حضرة وكأنه متكف على باب الوطن لم يغض به للسير إلى منيع الفضاء ولا سبب لطول اللقاع في هذا المنزل إلا الجبن والقصور ولذلك قال بعض أرباب القلوب إن الناس ليقولون اقتحموا أعينكم حتى تبصروا وأنا أقول غمضوا أعينكم حتى تبصروا وكل واحد من القولين حق إلا أن الأول خبر عن المنزل الأول القريب من الوطن والثاني خبر عما بعده من المنازل البعيدة عن الوطن التي لا يطؤها إلا عاظم بنفسه والمجاور إليها بما يتيه فيها سنيين وربما يأخذ التوفيق بيده فيرشده إلى سواء السبيل والمالك يكون في التيه هم الأكترون من ركاب هذه الطريق ولكن السائحون بنور التوفيق فازوا بالنعيم والملك القيم وهم الذين سقط لهم من الله الحسنى واعتبر هذا الملك بملك الدنيا فإنه يقل بالامانة إلى كثرة الخلق طلبا به ومهما عظم المطلوب قل للمساعد ثم الذي يهلك أكثر من الذي يملك ولا يصدي لطلب الملك العاجز الجبان لعظيم الخطر وحلول اليبس:

وإذا كانت النفوس كبارا نصبت في مرادها الأجسام

وما أودع الله العز والملك في الدين والدنيا إلا في حيز الخطر وقد يسمى الجبان الجبن والقصور باسم الحزم والحذر كما قيل :

ترى الجبناء أن الجبن حزم وتلك خديعة الطبع اللثيم

فهذا حكم السفر الظاهر إذا أريد به السفر الباطن بمطالعة آيات الله في الأرض . فلترجع إلى الفرض الذي كنا قصده ولنبين القسم الثاني : وهو أن يسافر لأجل العبادة إما لحج أو جهاد وقد ذكرنا فضل ذلك وآدابه وأعماله الظاهرة والباطنة في كتاب أسرار الحج ويدخل في جملة زيارة قبور الأنبياء عليهم السلام وزيارة قبور الصحابة والتابعين وسائر العلماء والأولياء وكل من يتبرك بمشاهدته في حياته يتبرك بزيارته بعد وفاته ويجوز شد الرحال لهذا الفرض ولا يمنع من هذا قوله عليه السلام « لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد : مسجدى هذا والمسجد الحرام والمسجد الأقصى » (١) لأن ذلك في المساجد قائما متناهية بعد هذه المساجد وإلا فلا فرق بين زيارة قبور الأنبياء والأولياء والعلماء

أتى سلة بن علف وهو أمير مصر في حديث آخر وكلامها منقطع (١) حديث لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد الحديث تقدم في الحج .

الطبع عديم الذوق
فيقال له : العين لا يعلم
لذة الوقوع والمكفوف
ليس له بالجمال البارع
استمتاع وغير المصاب
لا يتكلم بالاسترجاع
فماذا ينكره من محب
تربي باطنه بالشوق
والهبة ويرى انحباس
روحه الطيارة في
مضيق قصص النفس
الأمانة يمر بروحه
نسيم أنس الأوطان
وتلوح له طالع جنود
العرفان وهو بوجود
النفس في دار العربة
يتجرع كأس الهجران
يقن تحت أعباء المجاهدة
ولا تحمل عنه سواغ
المشاهدة وكلما قطع
منازل النفس بكثرة
الأعمال لا يقرب من
حكمة الوصول
ولا يكشف له السبل
من الحجاب فيتروح
بنفس الصعداء ويرتاح
بالأنف من شدة البرحاء
ويقول مخاطبا للنفس
والشيطان وهما المانعان :
أياجلي نمان باقه خليا

بأصل الفضل وإن كان يتفاوت في الدرجات فتفاوتا عظيما بحسب اختلاف درجاتهم عند الله . وبالجملة زيارة الأحياء أولى من زيارة الأموات والفائدة من زيارة الأحياء طلب بركة الدعاء وبركة النظر إليهم فإن النظر إلى وجوه العلماء والصلحاء عبادة وفيه أيضا حركة للرغبة في الاقتداء بهم والتخلق بأخلاقهم وآدابهم هذا سوى ما ينتظر من الفوائد الطيبة المستفادة من أنفاسهم وأفهامهم كيف ومجرد زيارة الإخوان في الله فيه فضل كما ذكرناه في كتاب الصلوة وفي التوراة : سر أربعة أميال زر أخا في الله . وأما البقاع فلا معنى لزيارتها سوى المساجد الثلاثة وسوى الثنور للرباط بها فالحدث ظاهر في أنه لا تشد الرحال لطلب بركة البقاع إلا إلى المساجد الثلاثة وقد ذكرنا فضائل الحرمين في كتاب الحج ، وبيت المقدس أيضا له فضل كبير خرج ابن عمر من المدينة قاصدا بيت المقدس حتى صلى فيه الصلوات الخمس ثم كر راجعا من القدس إلى المدينة وقد سأله سليمان عليه السلام ربه عز وجل أن من قصد هذا المسجد لا يمينه إلا الصلاة فيه أن لا تصرف نظرك عنه مادام متقيافه حتى يخرج منه أن تخرجه من ذنوبه كيوم ولدته أمه فأعطاه الله ذلك . القسم الثالث : أن يكون السفر للهرب من سبب مشوش للدين وذلك أيضا حسن فالفرار عما لا يطاق من سنن الأنبياء والمرسلين . ومما يجب الهرب عنه الولاية والجماع وكثرة العلاقات والأسباب فإن كل ذلك يشوش فراغ القلب والدين لا يمين إلا بالقلب فارغ عن غير الله فإن لم يتم فراغه فبقدر فراغه يتصور أن يشتغل بالدين ولا يتصور فراغ القلب في الدنيا عن مهمات الدنيا والحاجات الضرورية ولكن يتصور تخفيفها وتقليلها وقد نجى المحفون وهلك المتقون والمحدث الذي لم يسلق النجاة بالفراغ المطلق عن جميع الأوزار والأعباء بل قبل الخف بفضله وشمله بسعة رحمته والخف هو الذي ليست الدنيا أكبر همه وذلك لا يتيسر في الوطن لمن اتسع جاهه وكثرت علاقته فلا يتم مقصوده إلا بالفرية والحول وقطع العلاقات التي لا بد منها حتى يروض نفسه مدة مديدة ثم ربما عده الله بمعونه فيتم عليه بما يقوى به يقينه ويطمئن به قلبه فيستوى عند الحضر والسفر ويتقارب عنده وجود الأسباب والعلاقات وعدمها فلا يصده شيء منها عما هو بصدده من ذكر الله وذلك ملى عز وجوده جدا بل الغالب على القلوب الضعف والتصور عن الاتساع للمخلق والخالق وإنما يسعد بهذه القوة الأنبياء والأولياء والوصول إليها بالكسب شديد وإن كان للاجتهاد والكسب فيها مدخل أيضا ومثال تفاوت القوة الباطنة فيه كتفاوت القوة الظاهرة في الأعضاء قرب رجل قوى ذي مرة سنوى شديد الأعصاب عنكم البنية يستقل بحمل ما وزنه ألف رطل مثلا فلو أراد الضعيف المريض أن ينال رتبته بعمارة الجمل والتدرج فيه قليلا قليلا لم يقدر عليه ولكن المارسة والجهد يزيد في قوته زيادة ما وإن كان ذلك لا يخله درجته فلا ينبغي أن يترك الجهد عند اليأس عن الرتبة العليا فإن ذلك غاية الجهل ونهاية الضلال وقد كان من عادة السلف رضى الله عنهم مفارقة الوطن خيفة من الفتن وقال سفيان الثوري هذا زمان سوء لا يؤمن فيه على الحامل فكيف على المشتهرين هذا زمان رجل ينتقل من بلد إلى بلد كلما عرف في موضع تحول إلى غيره وقال أبو نعيم رأيت سفيان الثوري وقد علق قلته بيده ووضع جرابه على ظهره قفلت إلى أين يا أبا عبد الله قال بلغني عن قرية فيها رخص أريد أن أقم بها قفلت له وتفعل هذا قال نعم إذا بلغك أن قرية فيها رخص فأقم بها فإنه أسلم لديك وأقل لمحك وهذا هرب من غلاء السعر وكان سري السقطي يقول للصوفية إذا خرج الشتاء فخرج أذار وأورقت الأشجار وطاب الانتشار فاتشروا وقد كان الحفاس لا يقيم ببلد أكثر من أربعين يوما وكان من التوكلين ويرى الإقامة اعتادا على الأسباب قادجا في التوكل وسيأتي أسرار الاعتماد على الأسباب في كتاب التوكل إن شاء الله تعالى . القسم الرابع : السفر هربا عما يقدح في البدن كالطاعون أو في المال كغلاء السعر

نسيم الصبا يخلص إلى

نسيمها

فإن الصبا ربح إذا

ما تنفس

على قلب محزون تجلت

همومها

أجد بردها أوتشف

من حرارة

على كبد لم يبق إلا

صميمها

ألا إن أدوائى بليل

قدية

وأقتل داء العاشقين

قدعها

ولعل النكر يقول هل

الهبة إلا امتثال الأمر

وهل يعرف غير هذا

وهل هناك إلا الخوف

من الله ويشكر الهبة

الخاصة التي تختص

بالعلماء الراسخين

والأبدال المقربين ولما

تقرر في فهمه القاصر

أن الهبة تستدعى

مثالا وخيالا وأجاسا

وأشكالا أنكر محبة

القوم ولم يعلم أن القوم

يلتقوا في رتب الإيمان

إلى آتم من المحسوس

وجادوا من فرط

أو ما يجري مجراه ولا حرج في ذلك بل ربما يجب القرار في بعض الواضع وربما يستحب في بعض بحسب وجوب ما يترتب عليه من القوائد واستجابة ولكن يستثنى منه الطاعون فلا ينبغي أن يفتر منه لورود النهي فيه قال أسامة بن زيد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن هذا الوبع أو السقم جرح عذب به بعض الأمم قبلكم ، ثم بقى بعد في الأرض فليذهب للرة ويأتى الأخرى فمن سمع به في أرض فلا يمد من عليه ومن وقع بأرض وهو بها فلا يخرج منه القرار منه ^(١) » وقالت عائشة رضي الله عنها قال رسول الله ﷺ « إن فناء أمي بالطن والطاعون قتل هذا الطمن قد عرفناه فما الطاعون قال غدة كعدة البعير تأخذهم في مراتهم للسلم للبت منه شهيد والقيم عليه المحتسب كالمرابط في سبيل الله والفار منه كالقار من الزحف ^(٢) » وعن مكحول عن أم أيمن قالت « أوصى رسول الله صلى الله عليه وسلم بعض أصحابه لا تشرك بالله شيئا وإن عذبت أو حرق وأطع والدك وإن أمراك أن تخرج من كل شيء هلاك فخرج منه ولا تحرك الصلاة عمدا فإن من ترك الصلاة عمدا قد برئت ذمة الله منه وإياك والمحرفاتها ففتح كل شروا ياك والمحببة فاتها تسخط الله ولا تهر من الزحف وإن أصاب الناس موتان وأنت فيهم ثابت فيهم أتفق من طولك على أهل بيتك ولا ترفع عصاك عنهم أخفهم بالله ^(٣) » فهذه الأحاديث تدل على أن القرار من الطاعون منهي عنه وكذلك القدوم عليه وسيأتي شرح ذلك في كتاب التوكل فهذه أقسام الأسفار وقد خرج منه أن السفر ينقسم إلى مدموم وإلى محمود وإلى مباح والمدموم ينقسم إلى حرام كابق العبد وسفر العاق وإلى مكروه كالخروج من بلد الطاعون والمحمود ينقسم إلى واجب كالحج وطلب العلم الذي هو فريضة على كل مسلم وإلى مندوب إليه كزيارة العلماء وزيارة مشاهدهم ومن هذه الأسباب تنبيه النية في السفر فإن معنى النية الانبعاث للسبب الباعث والانتهاض لإجابة الداعية ولتكن نية الآخرة في جميع أسفاره وذلك ظاهر في الواجب وللمندوب ومحال في المكروه والمحذور . وأما المباح فمرجه إلى النية فهما كان قصده بطلب المال مثلا التخلف عن السؤال ورعاية ستر الروء على الأهل والميال والتصدق بما يفضل عن مبلغ الحاجة صار هذا المباح بهذه النية من أعمال الآخرة ولو خرج إلى الحج وباعته الرياء والسمة لخرج عن كونه من أعمال الآخرة لقوله صلى الله عليه وسلم « إنما الأعمال بالنيات ^(٤) » لقوله صلى الله عليه وسلم الأعمال بالنيات عام في الواجبات والمندوبات والمباحات دون المحظورات فإن النية لا تؤثر في إخراجها عن حكونها من المحظورات وقد قال بعض السلف : إن الله تعالى قد وكل بالمسافرين ملائكة ينظرون إلى مقاصدهم فيعطى كل واحد على قدر نيته فمن كانت نيته الدنيا أعطى منها وقص من آخرته أمثاله وفرق عليه همه وكثر الحرص والرغبة شغله ومن كانت نيته الآخرة أعطى من البصيرة والحكمة والقفطة وفتح له من التذكرة والعبرة بقدر نيته وجمع له همه ودعت له للملائكة واستغفرت له . وأما النظر في أن السفر هو الأفضل أو الإقامة فذلك يضاهي النظر في أن الأفضل هو العزلة أو المحاطة وقد ذكرنا منهاجه في كتاب العزلة فليهم هذا منه فإن السفر نوع محاطة مع زيادة تعب ومشقة تفرق الهم وتشتت القلب في حق الأكثرين والأفضل في هذا ما هو الأعون على الدين ونهاية ثمرة الدين في الدنيا عصيل معرفة الله تعالى

(١) حديث أسامة بن زيد إن هذا الوبع أو السقم جرح عذب به بعض الأمم قبلكم الحديث متفق عليه واللفظ لمسلم (٢) حديث عائشة إن فناء أمي بالطن والطاعون الحديث رواه أحمد وابن عبد البر في التمهيد بإسناد جيد (٣) حديث أم أيمن أوصى رسول الله صلى الله عليه وسلم بعض أهله لا تشرك بالله شيئا وإن حرق بالنار البيهقي وقال فيه إرسال (٤) حديث الأعمال بالنيات متفق عليه من حديث عمر وقد تقدم .

الكشف والبيان
بالأرواح والنفوس .
روى أبو هريرة رضي
الله عنه عن رسول الله
صلى الله عليه وسلم « أنه
ذكر غلاما كان في بني
إسرائيل على جبل فقال
لأمه من خلق السماء
قالت الله قال من خلق
الأرض قالت الله قال
من خلق الجبال قالت
الله قال من خلق النعم
قالت الله فقال إني أسمع الله
شأنا ورمى نفسه من
الجبل فتقطع فاجلج
الأزلى الإلهى منكشف
للأرواح غير مكيف
للعقل ولا مفسر لفهم
لأن العقل موكل بجام
الشهادة لا يهتدى من
الله سبحانه إلا إلى
مجرد الوجود ولا يتطرق
إلى حريم الشهود
التجلى في طي القيب
المنكشف للأرواح
بلا ريب وهذه رتبة
من مطالعة الجمال رتبة
خاصة وأعم منها من
رتب المحبة الخفية

وتحصيل الأنس بذكر الله تعالى والأنس يحصل بدوام الذكر والمعرفة يحصل بدوام الفكر ومن لم يتعلم طريق الفكر والذكر لم يتمكن منهما والسفر هو المعين على التعلم في الابتداء والاقامة هي العينة على العمل بالعلم في الانتهاء وأما السياحة في الأرض على الهواء فمن المشوشات للقلب إلا في حق الأقوياء فإن السافر وماله على قلق إلا ما وقى الله فلا يزال السافر مشغول القلب تارة بالخوف على نفسه وماله وتارة بفارقة ما الله واعتاده في إقامته وإن لم يكن معه مال يخاف عليه فلا يخلو عن الطمع والاستشراف إلى الخلق فتارة يضعف قلبه بسبب الفقر وتارة يقوى باستحكام أسباب الطمع ثم الشغل بالحط والترحال مشوش لجميع الأحوال ، فلا ينبغي أن يسافر المرید إلا في طاب علم أو مشاهدة شيخ يقتدي به في سيرته ويستفاد الرغبة في الخير من مشاهدته فإن اشتغل بنفسه واستبصر وانفتح له طريق الفكر أو العمل فالسكون أولى به إلا أن أكثر متصوفة هذه الأعصار لما خلت بواطنهم عن لطائف الأفكار ودقائق الأعمال ولم يحصل لهم أنس بالله تعالى وبذكره في الخلوة وكانوا بطلين غير محترفين ولا مشغولين قد ألقوا البطالة واستقلوا العمل واستوعروا طريق الكسب واستلنا جانب السؤال والكديّة واستطابوا الرباطات البنية لهم في البلاد واستسخروا الخدم المنصبين للقيام بخدمة القوم واستخفوا عقولهم وأديانهم من حيث لم يكن قصدهم من الخدمة إلا الرياء والسعة وانتشار الصيت واقتناص الأموال بطريق السؤال تعالا بكثرة الأتباع فلم يكن لهم في الحقائقها حكم نافذ ولا تأديب للمریدین نافع ولا جبر عليهم قاهر فلبسوا للرفقات واتخذوا في الحقائقها منزعات وربما تلقفوا ألفاظا مزخرفة من أهل الطامات فينظرون إلى أنفسهم وقد تشبهوا بالقوم في خرقهم وفي سياحتهم وفي لفظهم وعبارتهم وفي آداب ظاهرة من سيرتهم فيظنون بأنفسهم خيرا ويحسبون أنهم يحسنون صنعا ويمتقدون أن كل سوداء ثمرة ويتوهمون أن الشاركة في الظاهر توجب للسائمة في الحقائق وهيئات فما أغزر حماقة من لا يميز بين الشحم والورم فهؤلاء بضاء الله فإن الله تعالى ينفذ الشائب القارخ ولم يحماهم على السياحة إلا الشباب والفراخ إلا من سافر لحج أو عمرة في غير رياء ولا سمعة أو سافر لمشاهدة شيخ يقتدي به في علمه وسيرته وقد خلت البلاد عنه الآن والأمور الدينية كلها قد فسدت وضعت إلا التصوف فإنه قد أعحق بالكلية وبطل لأن العلوم لم تدرس بعد والعالم وإن كان عالم سوء قائما فساد في سيرته لاقى علمه فيبقى عالما غير عامل بعلمه والعمل غير العلم وأما التصوف فهو عبارة عن تجرد القلب لله تعالى واستحقار ما سوى الله وحاصله يرجع إلى عمل القلب والجوارح ومهما فسد العمل فأت الأصل وفي أسفار هؤلاء نظر للقهاء من حيث إنه إتعاب للنفس بلا فائدة وقد يقال إن ذلك ممنوع ولكن الصواب عندنا أن نحكم بالإباحة فإن حظوظهم التفرج عن كرب البطالة مشاهدة البلاد المختلفة وهذه الحظوظ وإن كانت خسية فنفس المتحركين لهذه الحظوظ أيضا خسية ولا بأس باتعاب حيوان خسيس لحظ خسيس يليق به ويعود إليه فهو التأذى والتلذذ والفتوى تقتضي تشتيت العوام في الباحات التي لا تنفع فيها ولا ضرر فالسائحون في غير مهم في الدين والدنيا بل لمحض التفرج في البلاد كالبهايم المترددة في الصحارى فلا بأس بسياحتهم ما كفوا عن الناس شرهم ولم يلبسوا على الخلق حالهم وإنما عصيانهم في التلبس والسؤال على اسم التصوف والأكل من الأوقاف التي وقفت على الصوفية لأن الصوفى عبارة عن رجل صالح عدل في دينه مع صفات أخر وراء الصلاح ومن أقل صفات أحوال هؤلاء أكلهم أموال السلاطين وأكل الحرام من الكبار فلا يتبى معه العدالة والصلاح ولو تصور صوفى فاسق لتصور صوفى كافر وقيه يهودى وكما أن الفقيه عبارة عن مسلم مخصوص فالصوفى عبارة عن عدل مخصوص لا يقتصر في دينه على القدر الذى يحصل به العدالة ، وكذلك من نظر إلى ظواهرهم ولم يعرف بواطنهم .

دون العامة مطالعة
جمال الكمال من
الكبرياء والجلال
والاستقلال بالنفع
والنوال والصفات
للتقمة إلى ما ظهر
منها في الآباد ولازم
الذات في الآزال فللكمال
جمال لا يدرك بالحواس
ولا يستنبط بالقياس
وفي مطالعة ذلك الجمال
أخذ طائفة من الهيين
خصوا بتجلى الصفات
ولهم بحسب ذلك ذوق
وشوق ووجد وسماع
والأولون منحوا قسطا
من تجلى الذات فكان
وجدتهم على قدر الوجود
وسماعهم على حد
الشهود . وحكى بعض
المشايخ قال رأينا جماعة
من يمشى على الماء
والهواء يسمعون
السماع ويعبدون به
ويتوهمون عنده .
وقال بعضهم كنا على
الساحل فسمع بعض
إخواننا فجعل يتقلب
على الماء يمر ويحيى
حتى رجع إلى مكانه .

وأعطى من ماله على سبيل التقرب إلى الله تعالى حرم عليهم الأخذ وكان ما أكلوه سحتا وأعفى به إذا كان للمطعم بحيث لو عرف بواطن أحوالهم ما أعطاهم فأخذ المال باظهار التصوف من غير انصاف بحقيقته كأخذه باظهار نسب رسول الله صلى الله عليه وسلم على سبيل الدعوى ، ومن زعم أنه علوى وهو كاذب وأعطاه مسلم مالا لحبه أهل البيت ولو علم أنه كاذب لم يعطه شيئا فأخذه على ذلك حرام وكذلك الصوفى ولهذا احتراز المتألمون عن الأكل بالدين فإن البالغ فى الاحتياط لدينه لا ينفك فى باطنه عن عورات لو انكشف للراغب فى مواساته لفترت رغبته عن الواساة فلا جرم كانوا لا يشترطون شيئا بأنفسهم مخافة أن يسامحوا لأجل دينهم فيكونوا قد أكلوا بالدين وكانوا يوكلون من يشتري لهم ويشرطون على الوكيل أن لا يظهر أنه لمن يشتري فهم إنما يعمل أخذ ما يعطى لأجل الدين إذا كان الأخذ بحيث لو علم للمطعم من باطنه ما يعلمه الله تعالى لم يقتض ذلك فتورا فى رأيه فيه والعقل للنصف يعلم من نفسه أن ذلك محتج أو عزيز والقرور الجاهل بنفسه أخرى بأن يكون جاهلا بأمر دينه فإن أقرب الأشياء إلى قلبه قلبه فإذا التبس عليه أمر قلبه فكيف ينكشف له غيره ومن عرف هذه الحقيقة لزمه لاحالة أن لا يأكل إلا من كسبه ليأمن من هذه الفائلة أو لا يأكل إلا من مال من يعلم قطعا أنه لو انكشف له عورات باطنه لم ينمعه ذلك عن مواساته فإن اضطر طالب الحلال ومريد طريق الآخرة إلى أخذ مال غيره فليصرح له وليقل إنك إن كنت تعطى لما تمتد به من الدين فليست مستحقا لذلك ولو كشف الله تعالى سترى لم ترنى بعين التوفير بل اعتقدت أنى شر الحاق أومن شرارهم فإن أعطاه مع ذلك فليأخذ فانه ربما يرضى منه هذه الخصلة وهو اعترافه على نفسه بركاكة الدين وعدم استحقاقه لما يأخذه ولكن ههنا مكيدة للنفس بينة وعادة فليفتن لها وهو أنه قد يقول ذلك مظهرا أنه مثبته بالصالحين فى ذمهم نفوسهم واستحقاقهم لها ونظرهم إليها بعين اللبس والازدراء فتكون صورة الكلام صورة القندح والازدراء وباطنه وروحه هو عين المدح والاطراء ، فكم من ذام نفسه وهو لها مداح بعين ذمه قدم النفس فى الخلوة مع النفس هو الحمود وأما الدم فى اللأ فهو عين الرياء إلا إذا أوردته إيرادا يحصل للسمع يقينا بأنه مقترب للذنوب ومعتز بها وذلك مما يمكن تفهيمه بقرائن الأحوال ويمكن تلبسه بقرائن الأحوال والصادق بينه وبين الله تعالى يعلم أن محابته لله عز وجل أو محابته لنفسه محال فلا يتمدر عليه الاحتراز عن أمثال ذلك فهذا هو القول فى أقسام السفر ونية المسافر وفضيلته .

(الفصل الثانى فى آداب المسافر من أول نهوضه إلى آخر رجوعه وهى أحد عشر أدبا)

الأول أن يبدأ بردالظالم وقضاء الديون وإعداد النفقة لمن تلزمه نفقته وبرد الودائع إن كانت عنده ولا يأخذ زاده إلا الحلال الطيب وليأخذ قدرا يوسع به على رفقائه . قال ابن عمر رضى الله عنهم ما من كرم الرجل طيب زاده فى سفره ولا بدى السفر من طيب الكلام وإطعام الطعام وإظهار مكارم الأخلاق فى السفر فانه يخرج خبايا الباطن ومن صلح لصحبة السفر صلح لصحبة الحضر وقد يصلح فى الحضر من لا يصلح فى السفر ولذلك قيل إذا أتى على الرجل معاملة فى الحضر ورفقاؤه فى السفر فلا تشكوا فى صلاحه والسفر من أسباب الضجر ومن أحسن خلقه فى الضجر فهو الحسن الخلق وإلا فتد مساعدة الأور على وفق القرض فلما يظهر سوء الخلق . وقد قيل ثلاثة لا يلامون على الضجر : الصائم والريض والمسافر . وتعام حسن خلق المسافر الإحسان إلى المسكبر ومعاونة الرقة بكل ممكن والرفق بكل منقطع بأن لا يجاوزه إلا بالاعانة بمركوب أو زاد أو توقف لأجله وتعام ذلك مع الرقاء بمزاج ومطايبة فى بعض الأوقات من غير غش ولا مصية ليكون ذلك شفاء لضجر السفر ومشاقه . الثانى : أن يختار رفيقا .

وقيل أن بعضهم كان يتقلب على النار عند السماع ولا يحس بها .
وقيل أن بعض الصوفية ظهر منه وجد عند السماع فأخذ شمة فجعلها فى عينه قال الناقل قربت من عينه أنظر فرايت نارا أو نورا يخرج من عينه بردنار الشمة . وحكى عن بعضهم أنه كان إذا وجد عند السماع ارتفع من الأرض فى الهواء أذرا عيروجه .
فيه . وقال الشيخ أبو طالب الكي رحمه الله فى كتابه إن أنكرنا السماع مجرلا مطلقا غير مقيد مفصل يكون إنكارا على سبعين صدقا وإن كنا نعلم أن الانكار أقرب إلى قلوب القراء والتمسدين إلا أنا لا نفعل ذلك لأننا نعلم ما لا يعلمون وممنا عن السلف من الأصحاب والتابعين ما لا يسمعون وهذا قول الشيخ عن

ولا يخرج وحده فالرفيق ثم الطريق وليكن رفيقه ممن يمينه على الدين فذكره إذا نسي وبعينه وبساعده إذا ذكر فإن الرافق على دين خليله ولا يعرف الرجل إلا برفيقه وقد نهى صلى الله عليه وسلم عن أن يسافر الرجل وحده (١) وقال الثلاثة نفر (٢) وقال أيضاً إذا كنتم ثلاثة في السفر فأمرُوا أحدكم (٣) وكانوا يفعلون ذلك ويقولون هذا أميرنا أمره رسول الله صلى الله عليه وسلم (٤) وليؤمروا أحسنهم أخلاقاً وأرقهم بالأنحاب وأسرعهم إلى الأثر وطلب الواقعة وإنما يحتاج إلى الأمير لأن الآراء تختلف في تعيين المنازل والطرق ومصالح السفر ولا نظام إلا في الوحدة ولا فساد إلا في الكثرة وإنما انتظم أمر العالم لأن مدبر الكل واحد لو كان فيها آلهة إلا الله لفسدنا ومهما كان المدبر واحداً انتظم أمر التدبير وإذا كثرت المدبرون فسدت الأمور في الحضر والسفر إلا أن مواطن الإقامة لا تخلو عن أمير عام كأمر البلد وأمر خاص كرب الدار وأما السفر فلا يتعين له أمير إلا بالتأشير فلماذا وجب التأشير ليجتمع شتات الآراء ثم على الأمير أن لا ينظر إلا مصلحة القوم وأن يجعل نفسه وقاية لهم كما فعل عن عبد الله الروزي أنه صحبه أبو على الرباطي فقال على أن تكون أنت الأمير أو أنا فقال بل أنت فلم يزل يعمل الزاد لنفسه ولأبي على على ظهره فأمرت السماء ذات ليلة فقام عبد الله طول الليل على رأس رفيقه وفي يده كساء يمنع عنه المطر فكما قال له عبد الله لا تفعل يقول ألم تقل إن الامارة مسلمة لي فلا تتحكم على ولا ترجع عن قولك حتى قال أبو على وددت أني مت ولم أقل له أنت الأمير ، فهكذا ينبغي أن يكون الأمير وقد قال صلى الله عليه وسلم « خير الأصحاب أربعة (٥) » وتخصيص الأربعة من بين سائر الأعداد لابد أن يكون له فائدة والذي ينفذ فيه أن المسافر لا يخلو عن رجل يحتاج إلى حفظه وعن حاجة يحتاج إلى التردد فيها ولو كانوا ثلاثة لكان التردد في الحاجة واحداً فيتردد في السفر بالرفيق فلا يخلو عن خطر وعن ضيق قلب لفقده أنس الرفيق ولو تردد في الحاجة اثنان لكان الحافظ للرجل واحداً فلا يخلو أيضاً عن الخطر وعن ضيق الصدر فإذا نـ مادون الأربعة لا يفي بالمقصود وما فوق الأربعة يزيد فلا تجمعهم رابطة واحدة فلا ينقد بينهم الترافق لأن الخامس زيادة بعد الحاجة ومن يستغنى عنه لا تنصرف المهمة إليه فلا تتم المراقبة معه نعم في كثرة الرقاء فائدة للأمن من المخاوف ولكن الأربعة خير للرفقة الخاصة للرفقة العامة وكم من رفيق في الطريق عند كثرة الرفاق لا يكلم ولا يخالط إلى آخر الطريق للاعتناء عنه . الثالث : أن يودع رقاء الحضر والأهل والأصدقاء وليدع عند الوداع بدعاء رسول الله صلى الله عليه وسلم قال بعضهم صحت عبد الله بن عمر رضي الله عنهما من مكة إلى المدينة حرسها الله فلما أردت أن أفارقه شيعني وقال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « قال لقمان إن الله تعالى إذا استودع شيئاً حفظه وإني أستودع الله دينك وأمانتك وخواتيم عملك (٦) » وروى زيد بن أرقم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم

(١) حديث النهي عن أن يسافر الرجل وحده أحمد من حديث ابن عمر بسند صحيح وهو عند البخاري بإسناد لو يعلم الناس ما في الوحدة ما صار ركباً بليلاً وحده (٢) حديث الثلاثة نفر رويناه من حديث علي في وصيته المشهورة وهو حديث موضوع والمعروف الثلاثة ركب رواه أبو داود والترمذي وحسنه النسائي من رواية عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده (٣) حديث إذا كنتم ثلاثة فأمرُوا أحدكم الطبراني من حديث ابن مسعود بإسناد حسن (٤) حديث كانوا يفعلون ذلك ويقولون هو أمير أمره رسول الله صلى الله عليه وسلم البزار والحاكم عن عمر أنه قال إذا كنتم ثلاثة في سفر فأمرُوا عليكم أحدكم ذا أمير أمره رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الحاكم صحيح على شرط الشيخين (٥) حديث خير الأصحاب أربعة أبو داود والترمذي والحاكم من حديث ابن عباس قال الترمذي حسن عريب وقال الحاكم صحيح على شرط الشيخين (٦) حديث ابن عمر قال لقمان إن الله إذا

عليه الوافر بالسكن والآثار مع اجتنبه وتحريمه الصواب ولكن نبسط لأهل الإنكار لسان الاعتذار وأوضح لهم الفرق بين صانع يؤثر وبين صانع ينكر وسمع الشبلي قائل يقول :

أسألك عن سلسي فهل من غير
يكون له علم بها أين تنزل

فزعق الشبلي وقال لا والله ما في الدارين عنه
غير . وقيل الوجع سر صفات الباطن كما أن الطاعة سر صفات الظاهر وصفات الظاهر الحركة والسكون وصفات الباطن الأحوال والأخلاق . وقال أبو نصر السراج أهل السماع على ثلاث طبقات يقوم رجوعون في سماعهم إلى مخاطبات الحق لهم فيها يسمعون وقوم يرجعون فيها يسمعون إلى مخاطبات أحوالهم ومقامهم وأوقاتهم فهم

أنه قال « إذا أراد أحدكم سفرا فليودع إخوانه فإن الله تعالى جاعل له في دعائهم البركة » (١) وعن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان إذا ودع رجلا قال « زدك الله التقوى وغفر ذنبك ووجهك إلى الخير حيث توجهت » (٢) فهذا دعاء القيم للودع وقال موسى بن وردان أنبت أبا هريرة رضي الله عنه أودعه لسفر أردته فقال ألا أعلمك يا ابن أخي شيئا علمني رسول الله صلى الله عليه وسلم عند الوداع قلت بلى قال قل « أستودعك الله الذي لا تضيع ودائمه » (٣) وعن أنس بن مالك رضي الله عنه أن رجلا أتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال « إني أريد سفرا فأوصني فقال له في حفظ الله وفي كفه زدك الله التقوى وغفر ذنبك ووجهك للخير حيث كنت أو أينما كنت » (٤) شك فيه الراوي . ويبنى إذا استودع الله تعالى ما يخلفه أن يستودع الجميع ولا يخص فقد روى أن عمر رضي الله عنه كان يهوى الناس عطاياهم إذ جاءه رجل معه ابن له فقال له عمر : ما رأيت أحدا أشبه بأحد من هذا بك فقال له الرجل أحذثك عن يا أمير المؤمنين بأمره إني أردت أن أخرج إلى سفروا معه حامل به قالت تخرج وتدعى على هذه الحالة قلت أستودع الله ما في بطنك غربت ثم قدمت فاذا هي قد ماتت جلسنا نتحدث فاذا نار على قبرها قلت للقوم ما هنالك النار فقالوا هذه النار من قبر فلانة نراها كل ليلة قلت والله إنها كانت لصوامدة قوامة فأخذت المولى حتى اتينا إلى القبر فغفرنا فاذا سراج وإذا هذا الغلام يدب قبلي إن هناء وديمتك ولو كنت استودعت أمه لوجدتها فقال عمر رضي الله عنه : لهو أشبه بك من الغراب بالغراب . الرابع : أن يصلي قبل سفره صلاة الاستخارة كما وصفناها في كتاب الصلاة ووقت الخروج يصلي لأجل السفر فقد روى أنس بن مالك رضي الله عنه أن رجلا أتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال « إني نذرت سفرا وقد كتبت وصيتي فإلى أي الثلاثة أدفعها إلى ابن أمي أم أبي قال النبي ﷺ ما استخلف عبد في أهله من خليفة أحب إلى الله من أربع ركعات يصلين في بيته إذا شدة عليه ثياب سفره يقرأ فيهن فاتحة الكتاب وقل هو الله أحد ثم يقول اللهم إني أتقرب بهن إليك فأخلفني بهن في أهلي ومالي فهي خليفة في أهله وماله وحرز حول داره حتى يرجع إلى أهله » (٥) الخامس : إذا حصل على باب الدار فليقل باسم الله توكلت على الله ولا حول ولا قوة إلا بالله رب أعوذ بك أن أضل أو أضل أو أزل أو أزل أو أظلم أو أظلم أو أجهل أو أجهل على فإذا مشى قال اللهم بك انتشرت وعليك توكلت وبك اعتصمت وإليك توجهت اللهم أنت تقى وأنت رجائي فاكنني ما أمني وما لا أهتم به وما أنت أعلم به مني عز جارك وجل ثاؤك ولا إله غيرك اللهم زدني التقوى واغفر لي ذنبي ووجني للخير أينما توجهت ، وليدع بهذا الدعاء في كل منزل يرحل عنه فاذا ركب الدابة فليقل باسم الله وبالله

استودع شيئا حفظه وإني أستودع الله دينك وأمانتك وخواتم عملك النساء في اليوم والليلة ورواه أبو داود مختصرا وإسناده جيد (١) حديث زيد بن أرقم إذا أراد أحدكم سفرا فليودع إخوانه فإن الله جاعل له في دعائهم البركة الخرائطي في مكارم الأخلاق بسند ضيف (٢) حديث عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده أن رجلا قال زدك الله التقوى الخرائطي في مكارم الأخلاق والمجاهل في الدعاء وفيه ابن لهيعة (٣) حديث أبي هريرة أستودعك الله الذي لا تضيع ودائمه ابن ماجه والنسائي في اليوم والليلة بإسناد حسن (٤) حديث أنس في حفظ الله وفي كفه زدك الله التقوى الحديث تقدم في الحج في الباب الثاني (٥) حديث أنس أن رجلا قال إني نذرت سفرا وقد كتبت وصيتي فإلى أي الثلاثة أدفعها إلى أبي أمي أم أخي أم امرأتي فقال ما استخلف عبد في أهله من خليفة أحب إلى الله من أربع ركعات الحديث الخرائطي في مكارم الأخلاق وفيه من لا يعرف .

مرتبون بالعلم ومطالبون بالصدق فيما يشيرون فيه من ذلك وقوم هم الفقراء المجردون الذين قطعوا العلائق ولم تلوث قلوبهم بحبة الدنيا والجمع والنسج فهم يسمعون لطيفات قلوبهم ويليق بهم السماع فهم أقرب الناس إلى السلامة وأسلمهم من الفتنة وكل قلب ملوث بحبة الدنيا فمعاها سماع طبع وتكلف وسئل بعضهم عن التكلف في السماع فقال هو على ضربين : تكلف في السمع لطلب جاه أو منفعة دنيوية وذلك تلبس وخيانة وتكلف فيه لطلب الحقيقة كن يطلب الوجد بالتواجد وهو بمنزلة التباكي الندوب إليه وقول القائل إن هذه الهيبة من الاجتماع بدعة يقال له إنما البدعة المهدورة المنوع منها

والله أكبر توكلت على الله ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن سبحانه الذي سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين وإنا إلى ربنا لمنقلبون فإذا استوت الدابة تحته فليقل - الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله - اللهم أنت الحامل على الظهر وأنت السعان على الأمور . السادس : أن يرحل عن المنزل بكرة . روى جابر « أن النبي صلى الله عليه وسلم رحل يوم الخميس وهو يريد تبوك وقال « اللهم بارك لأمتي في بكورها »^(١) ويستحب أن يبتدىء بالخروج يوم الخميس ، فقد روى عبد الله بن كعب بن مالك عن أبيه قال قلما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يخرج إلى سفر إلا يوم الخميس^(٢) . وروى أنس أنه صلى الله عليه وسلم قال « اللهم بارك لأمتي في بكورها يوم السبت » وكان عليه السلام إذا بعث سرية بشها أول النهار^(٣) . وروى أبو هريرة رضى الله عنه أنه صلى الله عليه وسلم قال « اللهم بارك لأمتي في بكورها يوم خميسها »^(٤) وقال عبد الله بن عباس : إذا كان لك إلى رجل حاجة فاطلبها منه نهارا ولا تطلبها ليلا واطلبها بكرة فإني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « اللهم بارك لأمتي في بكورها »^(٥) ولا ينبغي أن يسافر بمطلوع الفجر من يوم الجمعة فيكون عاصيا بترك الجمعة واليوم منسوب إليها فكان أوله من أسباب وجوبها والتشجيع للدواعي مستحب وهو سنة قال صلى الله عليه وسلم « لأن أشيع مجاهدا في سبيل الله فأكتنفه على رحله غدوة أو روضة أحب إلى من الدنيا وما فيها »^(٦) . السابع : أن لا ينزل حتى يحصى النهار فهي السنة ويكون أكثر سيره بالليل قال عليه السلام « عليكم بالجلعة فإن الأرض تطوى بالليل ما لا تطوى بالنهار »^(٧) ومهما أشرف على المنزل فليقل اللهم رب السموات السبع وما أظللن ورب الأرضين السبع وما أظللن ورب الشياطين وما أضللن ورب الرياح وما ذرين ورب البحار وما جرين أسألك خير هذا المنزل وخير أهله وأعوذ بك من شر هذا المنزل وشر ما فيه أصرف عني شرارهم فإذا نزل المنزل فليصل فيه ركعتين ثم يقل اللهم إني أعوذ بكلمات الله التامات التي لا يجاوزهن بر ولا فاجر من شر ما خلق فاذا جن عليه الليل فليقل يا أرض رب وربك الله أعوذ بالله من شرك ومن شر ما فيك وشر ما دبك عليك أعوذ بالله من شر كل أمد وأسود حية وعقرب ومن شر ما كفى البلد ووالد وما ولد وله ما سكن في الليل والنهار وهو السميع العليم ومهما علا شرفا من الأرض في وقت السير فينبغي أن يقول : اللهم لك الشرف على كل شرف ولك الحمد على كل حال ومهما هبط سبع ومهما خاف الوحشة في سفره قال سبحانه للكهنة القدوس رب الملائكة والروح جللت السموات بالعرزة والجبروت . الثامن : أن يحتاط بالنهار فلا يمسي

(١) حديث جابر أنه صلى الله عليه وسلم رحل يوم الخميس يريد تبوك وقال اللهم بارك لأمتي في بكورها رواه الخرائطي ، وفي السنن الأربعة من حديث صخر العامري اللهم بارك لأمتي في بكورها قال الترمذي حديث حسن (٢) حديث كعب بن مالك قلما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يخرج إلى سفر إلا يوم الخميس والسبت البزار مقتصر على يوم خميسها والخرائطى مقتصر على يوم السبت وكلاهما ضعيف (٣) حديث كان إذا بعث سرية بشها أول النهار الأربعة من حديث صخر العامري وحسنه الترمذي (٤) حديث أبي هريرة اللهم بارك لأمتي في بكورها يوم خميسها ابن ماجه والخرائطى في مكارم الأخلاق واللفظ له وقال ابن ماجه يوم الخميس وكلا الإسنادين ضعيف (٥) حديث ابن عباس إذا كانت لك إلى رجل حاجة فاطلبها إليه نهارا الحديث البزار والطبراني في الكبير والخرائطى في مكارم الأخلاق واللفظ له وإسناده ضعيف (٦) حديث لأن أشيع مجاهدا في سبيل الله فأكتنفه على رحله غدوة أو روضة أحب إلى من الدنيا وما فيها ابن ماجه . بسند ضعيف من حديث معاذ بن أنس (٧) حديث عليكم بالجلعة الحديث تقدم في الباب الثاني من الحجج .

بدعة تزاحم سنة
مأمور بها وما لم يكن
هكذا فلا بأس به وهذا
كالقيام للداخل لم يكن
فكان في عادة العرب
ترك ذلك حتى تقل أن
رسول الله صلى الله
عليه وسلم كان يدخل
ولا يقام له وفي البلاد
التي فيها هذا القيام لهم
عادة إذا اعتمد ذلك
لتطبيب القلوب
والندارة لا بأس به لأن
تركه يوحش القلوب
ويوغر الصدور فيكون
ذلك من قبيل الشرية
وحسن الصحة
ويكون بدعة لا بأس
بها لأنها لم تزاحم سنة
مأثورة .

[الباب الثالث
والشروع في القول
في السماع ردا وإنكارا]
قد ذكرنا وجه صحة
السماع وما يليق منه
بأهل الصدق وحيث
كثرت الفتنة بطريقه
وزالت الصحة فيه
وتصدى للحرص عليه
أقوام قلت أعمالهم

منفردا خارج القافلة لأمر بما يقتضيه أو ينقطع ويكون بالليل متحفظا عند النوم كان صلى الله عليه وسلم إذا نام في ابتداء الليل في السفر اقتصر ذراعيه وإن نام في آخر الليل نصب ذراعيه نصبا وجعل رأسه في كفه^(١) والغرض من ذلك أن لا يستقل في النوم فتطلع الشمس وهو نائم لا يدري فيكون ما يفوته من الصلاة أفضل مما يطلبه بسفره ، والمستحب بالليل أن يتنابذ الرفقاء في الحراسة فإذا نام واحد حرص آخر^(٢) فهذه السنة ومهما قصد عدو أو سبغ في ليل أو نهار فليقرأ آية الكرسي وشهد الله وسورة الإخلاص والعوذتين وليقل باسم الله ماشاء الله لاقوة إلا بالله حسبي الله توكلت على الله ماشاء الله لا تأتيني الخيرات إلا الله ماشاء الله لا يصرف السوء إلا الله حسبي الله وكفى مع الله لمن دعا ليس وراء الله منتهى ولا دون الله ملجأ - كتب الله لأغلبين أناورسلى إن الله قوى عزيز - تحصنت بالله العظيم واستعنت بالحق القيوم الذى لا يموت اللهم احرسنا بعينك التى لاتنام واكنفنا بركنك الذى لا يرام اللهم ارحمنا بقدرتك علينا فلا نهلك وأنت ثقتنا ورجاؤنا اللهم اعطف علينا قلوب عبادك وإمائك برأفة ورحمة إنك أنت أرحم الراحمين . التاسع : أن يرفق بالدابة إن كان راكبا فلا يجعلها مالا تطيق ولا يضربها في وجهها فإنه منتهى عنه ولا ينأى عنها ولا ينأى عنها فإنه يتقل بالنوم وتتأذى به الدابة كان أهل الورع لا ينامون على الدواب إلا غفوة ، وقال صلى الله عليه وسلم « لاتخذوا ظهور دوابكم كراسى^(٣) » ويستحب أن ينزل عن الدابة غدوة وعشية بروحها بذلك^(٤) فهو سنة وفي آثار عن السلف وكان بعض السلف يكثر بشرط أن لا ينزل ويوفى الأجرة ثم كان ينزل ليكون بذلك محسنا إلى الدابة فيوضع في ميزان حسناته لافي ميزان حسنات السكارى ومن آذى بهيمة بضرب أو حمل مالا تطيق طولب به يوم القيامة إذ في كل كبده حراء أجر . قال أبو الدرداء رضى الله عنه ليعبر له عند الموت : أيها البعير لاتخاصنى إلى ربك فأنى لم أك أجلك فوق طاقتك وفي التزول ساعة صدقتان : إحداهما تزويج الدابة والثانية إدخال السرور على قلب السكارى وفيه فائدة أخرى وهى رياضة البدن وتحريك الرجلين والحذر من خدر الأعضاء بطول الركوب وينبغى أن يقرر مع السكارى ما يجعله عليها شيئا شديدا ويعرضه عليه ويستأجر الدابة بقصد صحيح لئلا يشور بينهما نزاع يؤذى القلب ويجعل على الزيادة في الكلام فإي يلفظ العبد من قول إلاديه رقيب عتيد فليحترز عن كثرة الكلام واللجاج مع السكارى فلا ينبغى أن يحمل فوق الشروط شيئا وإن خفف فإن القليل يجزى الكثير ومن حام حول الحمى يوشك أن يقع فيه . قال رجل لابن المبارك وهو على دابة أحمل على هذه الرقعة إلى فلان فقال حتى أستأذن السكارى فأنى لم أشارطه على هذه الرقعة فانظر كيف لم يلتفت إلى قول الفقهاء إن هذا مما يمتنع فيه ولكن سلك طريق الورع . العاشر : ينبغى أن يستصحب ستة أشياء قالت عائشة رضى الله عنها يكفل رسول الله ﷺ « إذا سافر حمل معه خمسة أشياء : الرأة والسكجة والمقراض والسواك والمشط^(٥) » وفي رواية أخرى عنها ستة أشياء : الرأة والقارورة والمقراض والسواك والسكجة والمشط وقالت أم سعد الأنصارية كان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يفارق في السفر الرأة والسكجة^(٦) وقال صهيب قال رسول الله صلى الله عليه وسلم

وقبـدت أحوالهم
وأكثرُوا الاجتماع
للسماعِ، ويُـقبلُ يتخذ
للإجتماع طعامُ تطلب
النفسُ الاجتماعَ لذلك
لأرغبة للقلوب في
السمع كما كان من
صبر الصادقين فيصير
السمع معلولا تركن
إليه النفس طلبا
للشهوات واستحلاء
لمواطن اللهو والغلات
ويقطع ذلك على المرید
طلب المزيد ويكون
بطريقه تضییع
الأوقات وقلة الحظ من
العبادات وتكون
الرغبة في الاجتماع طلبا
لتناول الشهوة
واسترواحا لأولى
الطرب واللهو والعشرة
ولا يخفى أن هذا الاجتماع
مردود عند أهل
الصدق . وكان يقال
لا يصح السماع
إلا لعارف مكين ولا
يباح لمرید مبتدى .

(۱) حديث كان إذا نام في ابتداء الليل في السفر اقترش ذراعيه الحديث تقدم في الحج (۲) حديث تناوب الرقاء في الحراسة تقدم في الحج في الباب الثاني (۳) حديث لا تتخذوا ظهور دوابكم كراسي تقدم في الباب الثالث من الحج (۴) حديث النزول عن الدابة غدوة وعشية تقدم فيه (۵) حديث عائشة كان إذا سافر حمل معه خمة أشياء المرأة والمكحلة والندري والسواك والمشط وفي رواية ستة أشياء الطبراني في الأوسط والبيهقي في سننه والحرائطي في مكارم الأخلاق واللفظ له وطرقه كلها ضعيفة (۶) حديث أم سعد الأنصارية كان لا يفارقه في السفر المرأة والمكحلة ورواه الحرائطي وإسناده ضعيف

وقال الجنيد رحمه الله
تعالى إذا رأيت المريد
يطلب السماع فاعلم أن

«عليكم بالأئمة عند مضجعتكم فانه مما يزيد في البصر وينبت الشعر» (١) وروى أنه كان يكتحل ثلاثا ثلاثا وفي رواية أنه اكتحل للبعث ثلاثا وللبيسرى ثنتين (٢) وقد زاد الصوفية الركوة والحبل وقال بعض الصوفية إذا لم يكن مع الفقير ركوة وحبل دل على نقصان دينه وإنما رده هذا لما رآه من الاحتياط في طهارة الماء وغسل الثياب فالركوة لحفظ الماء الطاهر والحبل لتجفيف الثوب للغسل ولزج الماء من الآبار وكان الأولون يكتفون بالتيتم وينفون أنفسهم عن نقل الماء ولا يبالون بالوضوء من الضدران ومن المياه كلها ما لم يتقنوا نجاستها حتى توضعاً عمر رضي الله عنه من ماء في جرة نصرانية وكانوا يكتفون بالأرض والجبال عن الحبل فيفرشون الثياب للفسولة عليها فهذه بدعة إلا أنها بدعة حسنة وإنما البدعة الذمومة ما قضاها السنن الثابتة وأما ما بين على الاحتياط في الدين فمستحسن وقد ذكرنا أحكام للبالغة في الطهارات في كتاب الطهارة وأن المتجرد لأمر الدين لا ينبغي أن يؤثر طريق الرخصة بل يخطأ في الطهارة ما لم ينعه ذلك عن عمل أفضل منه . وقيل كان الخواص من التوكلين وكان لا يفارقه أربعة أشياء في السفر والحضر الركوة والحبل والابرة بخيوطها والقراض وكان يقول هذه ليست من الدنيا . الحادى عشر : في آداب الرجوع من السفر «كان النبي صلى الله عليه وسلم إذا قفل من غزو أو حج أو عمرة أو غيره يكبر على كل شرف من الأرض ثلاث تكبيرات ويقول لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير آيئون تائبون عابدون ساجدون لربنا حامدون صدق الله وعده ونصر عبده وهزم الأحزاب وحده» (٣) وإذا أشرف على مدينته فليقلل لهم اجعل لنا بها قرا ورزقا حسنا ثم يرسل إلى أهله من يشرم بقدمه كيلا يقدم عليهم بشفة فيرى ما يكرهه ولا ينبغي أن يطرقتهم ليلا (٤) فقد ورد النهي عنه ، وكان عليه السلام إذا قدم دخل المسجد أولا وصلى ركعتين ثم دخل البيت (٥) وإذا دخل قال «توباً توباً لربنا أوباً لا يفادر علينا حوباً» (٦) وينبغي أن يحمل لأهل بيته وأقاربه تحفة من مطعم أو غيره على قدر امكانه فهو سنة قد روي أنه إن لم يجد شيئاً فليضع في غلته حجراً (٧) وكان هذا مبالغة في الاستحاث على هذه المسكرمة لأن الأعين تمتد إلى القادم من السفر والقلوب تفرح به فيتأكد الاستحباب في تأكيد فرحهم وإظهار الثفات القاب في السفر إلى ذكرهم بما يستحبه في الطريق لهم فهذه جملة من الآداب الظاهرة . وأما الآداب الباطنة ففي الفصل الأول بيان جملة منها وجملة أن لا يسافر إلا إذا كان زيادة دينه في السفر ومهما وجد قلبه متغيراً إلى نقصان فليقف وليصرف ولا ينبغي أن يجاوز همه منزله بل ينزل حيث ينزل قلبه وينوي في دخول كل بلدة أن يرى شيوعها ويحتج أن يستفيد من كل واحد منهم أدباً أو كلمة لينفع بها لاليحكي ذلك ويظهر أنه لقي المشايخ ولا يقيم ليلة أكثر من أسبوع أو عشرة أيام إلا أن يأمره الشيخ المقصود بذلك ولا يجالس في مدة الإقامة إلا الفقراء الصادقين وإن كان قصده زيارة أخ فلا يزيد على ثلاثة أيام فهو وحده الضيافة

(١) حديث صحيح عليكم بالأئمة عند مضجعتكم فانه يزيد في البصر وينبت الشعر الجرائطي في مكارم الأخلاق بسند ضعيف وهو عند الترمذي وصححه ابن خزيمة وابن حبان من حديث ابن عباس وصححه ابن عبد البر وقال الخطابي صحيح الاسناد (٢) حديث كان يكتحل للبعث ثلاثا وللبيسرى ثنتين الطبراني في الأوسط من حديث ابن عمر بسندين (٣) حديث كان إذا قفل من حج أو غزو أو غيره يكبر الحديث تقدم في الحج (٤) حديث التهي عن طروق الأهل ليلا تقدم (٥) حديث كان إذا قدم من سفر دخل المسجد أولا وصلى ركعتين تقدم (٦) حديث كان إذا دخل قال توباً توباً لربنا أوباً لا يفادر حوباً ابن السني في اليوم واليلة والحاكم من حديث ابن عباس وقال صحيح على شرط الشيخين (٧) حديث اطراق أهله عند القدوم ولو بحجر الدارنطى من حديث عائشة باسناد ضعيف .

فيه بغي البطالة .
وقيل إن الجنيد ترك
السباع قليل له كنت
تسمع فقال مع من
قل له تسمع لنفسك
فقال ممن لأنهم كانوا
لا يسمعون إلا من
أهل مع أهل فلما قدم
الاخوان ترك لما
اختاروا السباع حيث
اختاروه إلا بشروط
وقيود وآداب يذكرون
به الآخرة ويرغبون
في الجنة ويحذرون
من النار ويزداد
به طلبهم وتحسن به
أحوالهم ويتفق لهم
ذلك اتفاقاً في بعض
الأحايين لأن يمحله
دأباً وديناً حتى
يركوا لأجله الأوراد .
وقد نقل عن الشافعي
رضي الله عنه أنه قال
في كتاب القضاء القضاء
لهو مكروه يشبه
الباطل وقال من
استكثر منه فهو
سفيه زرد شهادته .
واتفق أصحاب الشافعي
أن المرأة غير المحرم

إلا إذا شق على أخيه مفارقتها وإذا قصد زيارة شيخ فلا يقيم عنده أكثر من يوم وليلة ولا يشغل نفسه بالمشقة فإن ذلك يقطع بركة سفره وكما دخل بلدا لا يشتغل بشيء سوى زيارة الشيخ بزيارة منزله فإن كان في بيته فلا يندق عليه بابه ولا يستأذن عليه إلى أن يخرج فإذا خرج تقدم إليه بأدب فسلم عليه ولا يتكلم بين يديه إلا أن يسأله فإن سأله أجاب بقدر السؤال ولا يسأله عن مسألة مالم يستأذن أولا وإذا كان في السفر فلا يكثر ذكر أطعمة البلدان وأسخياها ولا ذكر أصدقائه فيها وليذكر مشايخها وفقراءها ولا يهمل في سفره زيارة قبور الصالحين بل يتفقدتها في كل قرية وبلدة ولا يظهر حاجته إلا بقدر الضرورة ومع من يقدر على إزالتها ويلزم في الطريق الذكر وقراءة القرآن بحيث لا يسمع غيره وإذا كلف إنسان فليترك الذكر وليجبه مادام يعدته ثم يرجع إلى ما كان عليه فإن تبرمت نفسه بالسفر أو بالأقامة فليخالفها فالبركة في مخالفة النفس وإذا تيسرت له خدمة قوم صالحين فلا ينبغي له أن يسافر تبرما بالخدمة فذلك كفران نعمة ومهما وجد نفسه في نقصان عما كان عليه في الحضر فليعلم أن سفره معلول وليرجع إذ لو كان لحق لظهر أمره . قال رجل لأبي عثمان للغرب خرج فلان مسافرا فقال السفر غربة والغربة ذلة وليس للمؤمن أن يذل نفسه وأشار به إلى أن من ليس له في السفر زيادة دين فقد أذل نفسه وإلا فز الدين لا ينال إلا بذلة الغربة فليكن سفره للريد من وطن هواء ومراده وطبعه حتى يمز في هذه الغربة ولا يذل فإن من اتبع هواء في سفره ذل لا محالة إما عاجلا وإما آجلا .

(الباب الثاني فيما لا بد للمسافر من تعلمه من رخص السفر وأدلة القبلة والأوقات)

اعلم أن للمسافر محتاج في أول سفره إلى أن يزود لديناه وآخرفته أما زاد الدنيا فالطعام والشراب وما يحتاج إليه من نفقة فإن خرج متوكلا من غير زاد فلا بأس به إذا كان سفره في قافلة أو بين قرى متصلة وإن ركب البادية وحده أومع قوم لاطعام معهم ولا شراب فإن كان ممن يصبر على الجوع أسبوعا أو عشرين مثلا أو يقدر على أن يكتفي بالخشيش فله ذلك وإن لم يكن له قوة الصبر على الجوع ولا القدرة على الاجترار بالخشيش فغروجه من غير زاد معصية فانه ألقي نفسه يدم إلى التهلكة ولهذا مرسيا في كتاب التوكل وليس معنى التوكل التباعذ عن الأسباب بالسكينة ولو كان كذلك لبطل التوكل بطلب الدلو والحبل ونزع الماء من البئر ولوجب أن يصبر حتى يسخر الله له ملكا أو شخصا آخر حتى يصب الماء فيه فان كان حفظ الدلو والحبل لا يقدح في التوكل وهو آلة الوصول إلى الشرب فحمل عين الطعام والمشروب حيث لا ينتظر له وجود أولى بأن لا يقدح فيه وستأتي حقيقة التوكل في موضعها فانه يلتبس إلا على المحققين من علماء الدين وأما زاد الآخرة فهو العلم الذي يحتاج إليه في طهارته وصومه وصلاته وعباداته فلا بد وأن يزود منه إذا السفر تارة يخفف عنه أمور فيحتاج إلى معرفة القدر الذي يخففه السفر كالقصر والجمع والفطر وتارة يشدد عليه أمور كان مستنيا عنها في الحضر كالعلم بالقبلة وأوقات الصلوات فانه في البلد يكتفي بغيره من محارب للساجد وأذان المؤذنين وفي السفر قد يحتاج إلى أن يتعرف بنفسه فإذا ما يقتدر إلى تعلمه ينقسم إلى قسمين :

(القسم الأول العلم برخص السفر)

والسفر يفيد في الطهارة رخصتين مسح الخفين والتيمم وفي صلاة الفرض رخصتين القصر والجمع وفي النفل رخصتين أداؤه على الراحة وأداؤه ماشيا وفي الصوم رخصة واحدة وهي الفطر فهذه سبع

(الباب الثاني فيما لا بد للمسافر من تعلمه)

لا يجوز الاستماع إليها سواء كانت حرة أو مملوكة أو مكتوفة الوجه أو من وراء حجاب . ونقل عن الشافعي رضي الله عنه أنه كان يحكره الطقطقة بالفضيب ويقول وضعه الزنادقة ليشتغلوا به عن القرآن وقال لا بأس بالقراءة بالألحان وتحسين الصوت بها بأي وجه كان . وعند مالك رضي الله عنه إذا اشترى جارية فوجدها مغنية فله أن يردّها بهذا العيب وهو مذهب سائر أهل المدينة وهكذا مذهب الإمام أبي حنيفة رضي الله عنه وسماع الغناء من الذنوب وما أباحه إلا نفر قليل من الفقهاء ومن أباحه من الفقهاء أيضا لم ير إعلانا في المساجد والبقاع الشريفة . وقيل في تحريم قوله تعالى - ومن الناس

رخس . الرخصة الأولى : المسح على الخفين قال صفوان بن عسال أمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا كنا مسافرين أو سفرا أن لا نزع خفافنا ثلاثة أيام ولياليهن ^(١) فكل من لبس الخف على طهارة مبيحة للصلاة ثم أحدث فله أن يمسح على خفه من وقت حدثه ثلاثة أيام ولياليهن إن كان مسافرا أو يوما وليلة إن كان مقبا ولكن بخمسة شروط : الأول أن يكون اللبس بعد كمال الطهارة فلو غسل الرجل اليمنى وأدخلها في الخف ثم غسل اليسرى فأدخلها في الخف لم يجز له المسح عند الشافعي رحمه الله حتى ينزع اليمنى ويبعد لبسه . الثاني : أن يكون الخف قويا يمكن للشئ فيه ويجوز للمسح على الخف وإن لم يكن منعلا إذ العادة جارية بالتردد فيه في المنازل لأن فيه قوة على الجملة بخلاف جورب الصوفية فإنه لا يجوز للمسح عليه وكذا الجرموق الضعيف . الثالث : أن لا يكون في موضع فرض الفسل خرق فان تخرق بحيث انكشف محل الفرض لم يجز المسح عليه وللشافعي قول قديم إنه يجوز مادام يستمسك على الرجل وهو مذهب مالك رضي الله عنه ولا بأس به لميس الحاجة إليه وتقدر الحُرز في السفر في كل وقت وللداس المنسوج يجوز للمسح عليه ما كان ساترا لا تبدو بشرة القدم من خلاله وكذا المشقوق الذي يرد على محل الشق بشرج لأن الحاجة تنس إلى جميع ذلك فلا يعتبر إلا أن يكون ساترا إلى مافوق السكمين كيفما كان فأما إذا ستر بعض ظهر القدم وستر الباقي باللفافة لم يجز المسح عليه . الرابع : أن لا ينزع الخف بعد المسح عليه فنزع فالأولى له استئشاف الوضوء فان اقتصر على غسل القدمين جاز . الخامس : أن يمسح على الموضع المأذى لحل فرض الفسل لاطى الساق وأقله ما يسمى مسحا على ظهر القدم من الخف وإذا مسح بثلاث أصابع أجزأه والأولى أن يخرج من شبه الخلاف وأكله أن يمسح أعلاه وأسفله دفعة واحدة من غير تكرار ^(٢) كذلك فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم ووصفه أن يمل يده اليمنى ويضع رءوس أصابع اليمنى من يده على رءوس أصابع اليمنى من رجله ويمسحه بأن يجر أصابعه إلى جهة نفسه ويضع رءوس أصابع يده اليسرى على عقبه من أسفل الخف ويمررها إلى رأس القدم . ومهما مسح مقبا ثم سافر أو مسافرا ثم أقام غلب حكم الإقامة فليقتصر على يوم وليلة وعدد الأيام الثلاثة محسوب من وقت حدثه بعد المسح على الخف فلو لبس الخف في الحضر ومسح في الحضر ثم خرج وأحدث في السفر وقت الزوال مثلا مسح ثلاثة أيام ولياليهن من وقت الزوال إلى الزوال من اليوم الرابع فإذا زالت الشمس من اليوم الرابع لم يكن له أن يصلي إلا بعد غسل الرجلين فيفسل رجله ويبعد لبس الخف ويراعى وقت الحدث ويستأنف الحساب من وقت الحدث ولو أحدث بعد لبس الخف في الحضر ثم خرج بعد الحدث فله أن يمسح ثلاثة أيام لأن العادة قد تقتضى اللبس قبل الخروج ثم لا يمكن الاحتراز من الحدث فأما إذا مسح في الحضر ثم سافر اقتصر على مدة المقيمين ويستحب لكل من يريد لبس الخف في حضر أو سفر أن ينكس الخف وينفض ما فيه حذرا من حية أو عقرب أو شوكة فقد روى عن أبي أمامة أنه قال دعا رسول الله ﷺ بنخفيه فلبس أحدهما فجاء غراب فاحتمل الآخر ثم رمى به فخرجت منه حية فقال صلى الله عليه وسلم من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يلبس خفيه حتى ينفضهما ^(٣) .

(١) حديث صفوان بن عسال أمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا كنا مسافرين أو سفرا أن لا نزع خفافنا ثلاثة أيام ولياليهن الترمذي وصححه وابن ماجه والنسائي في الكبرى وابن خزيمة وابن حبان (٢) حديث مسحه صلى الله عليه وسلم على الخف وأسفله أبو داود والترمذي وضعفه وابن ماجه من حديث المغيرة وهكذا وضعفه البخاري وأبو زرعة (٣) حديث أبي أمامة من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يلبس خفيه حتى ينفضهما رواه الطبراني وفيه من لا يعرف .

من يشتري لهو الحديث - قال عبد الله ابن مسعود رضي الله عنه هو القضاء والاستماع إليه . وقيل في قوله تعالى - وأتمم سامدون - أى مغمون رواه عكرمة عن عبد الله ابن عباس رضي الله عنهما وهو القضاء بلفظ حمير يقول أهل اليمن سمع فلان إذا غنى وقوله تعالى - واستغفر من استغفرت منهم بصوتك - قال مجاهد القضاء والزامير . وروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال « كان إبليس أول من ناح وأول من تقى » وروى عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال « إيمانيت عن صوتين فأنجرت صوت عند نعمة وصوت عند مصيبة » وقد روى عن عثمان رضي الله عنه أنه

الرخصة الثانية : التيمم بالتراب بدلا عن الماء عند العذر وإنما يعذر الماء بأن يكون بعيدا عن المنزل بعدا لومضى إليه لم يلحقه غوث القافلة إن صاح أو استغاث وهو البعد الذي لا يعتاد أهل المنزل في ترددهم لقضاء الحاجة التردد إليه وكذا إن نزل على الماء عدو أو سبغ فيجوز التيمم وإن كان الماء قريبا وكذا إن احتاج إليه لمعطشه في يومه أو بعد يومه لفقده الماء بين يديه فله التيمم وكذا إن احتاج إليه لمعطش أحد رفاقه فلا يجوز الوضوء ويلزمه بذله إما بئمن أو بغيرئمن ولو كان يحتاج إليه لطبخ مرققة أو لحم أو لبل قنيت يجمعه به لم يجز له التيمم بل عليه أن يجتري بالقنيت اليابس ويترك تناول الرقعة ومهما وهب له الماء وجب قبوله وإن وهب له ثمنه لم يجب قبوله لما فيه من النية وإن يسع بئمن المثل لزمه الشراء وإن يسع بغيرئمن لم يلزمه فإذا لم يكن معه ماء وأراد أن يتيمم فأول ما يلزمه طلب الماء مهما جاوز الوصول إليه بالطلب وذلك بالتردد حوالى المنزل وتفتيش الرحل وطلب البقايا من الأواني والمطاهر فإن نسي الماء في رحله أو نسي بئرا بالقرب منه لزمه إعادة الصلاة لتقصيره في الطلب وإن علم أنه سيجد الماء في آخر الوقت فالأولى أن يصلى بالتيمم في أول الوقت فإن العذر لا يوثق به وأول الوقت رضوان الله . تيمم ابن عمر رضى عنهما قنيت له أتتيمم وجدرا ن للدينة تنظر إليك ؟ فقال أو أبقى إلى أن أدخلها ومهما وجد الماء بعد الشروع في الصلاة لم تبطل صلاته ولم يلزمه الوضوء وإذا وجدته قبل الشروع في الصلاة لزمه الوضوء ومهما طلب فلم يجد فليقصد صعيدا طيبا عليه تراب يشور منه غبار وليضرب عليه كفيه بعد ضم أصابعهما ضربة فيمسح بهما وجهه ويضرب ضربة أخرى بعد نزع الخاتم ويفرج الأصابع ويمسح بها يديه إلى مرققيه فإن لم يستوعب بضربة واحدة جميع يديه ضرب ضربة أخرى وكيفية التلطف فيه ما ذكرناه في كتاب الطهارة فلا نعيد ثم إذا صلى به فريضة واحدة فله أن يقتل ماشاء بذلك التيمم وإن أراد الجمع بين فريضتين فعليه أن يعيد التيمم للصلاة الثانية فلا يصلى فريضتين إلا بتيممين ولا ينبغي أن يتيمم لصلاة قبل دخول وقتها فإن فعل وجب عليه إعادة التيمم ولينو عند مسح الوجه استباحة الصلاة ولو وجد من الماء ما يكفي بعض طهارته فليستعمله ثم ليتيمم بعده تيمما تاما . الرخصة الثالثة في الصلاة المفروضة القصر وله أن يقتصر في كل واحدة من الظهر والعصر والمشاء على ركعتين ولكن بشروط ثلاثة : الأول : أن يؤديها في أوقاتها فلو صارت قضاء فلا يظهر لزوم الإتمام . الثاني : أن ينوي القصر فلو نوى الإتمام لزمه الإتمام ولو شك في أنه نوى القصر أو الإتمام لزمه الإتمام . الثالث : أن لا يقتدى بمقيم ولا بمسافر متم فإن فعل لزمه الإتمام بل إن شك في أن إمامه مقيم أو مسافر لزمه الإتمام وإن يقن بعده أنه مسافر لأن شعار المسافر لا تخفى فليكن متحققا عند النية وإن شك في أن إمامه هل نوى القصر أم لا بعد أن عرف أنه مسافر لم يضره ذلك لأن النيات لا يطلع عليها وهذا كله إذا كان في سفر طويل مباح وحده السفر من جهة البداية والنهاية فيه إشكال فلا بد من معرفته والسفر هو الانتقال من موضع الإقامة مع ربط القصد بمقصد معلوم فالهائم وراكب التعاسيف ليس له الترخص وهو الذي لا يقصد موضعا معينا ولا يصير مسافرا ما يفارق عمران البلد ولا يشترط أن يجاوز خراب البلدة وبساتينها التي يخرج أهل البلدة إليها للتنزه وأما القرية فالمسافر منها ينبغي أن يجاوز البساتين المحوطة دون التي ليست بمحوطة ولو رجع المسافر إلى البلد لأخذ شئ نسيه لم يترخص أن كان ذلك وطنه ما لم يجاوز عمران وان لم يكن ذلك هو الوطن فله الترخص إذ صار مسافرا بالانزعاج والخروج منه . وأما نهاية السفر فأحد أمور ثلاثة : الأول : الوصول إلى عمران من البلد الذي عزم على الإقامة به . الثاني : العزم على الإقامة ثلاثة أيام فصاعدا إما في بلد أو في صحراء . الثالث : صورة الإقامة وإن

قال ما غنيت ولا تمنيت ولا مسست ذكرى يميني منذ بابت رسول الله صلى الله عليه وسلم وروى عن عبد الله ابن مسعود رضى الله عنه أنه قال القضاء ينبت النفاق في القلب وروى أن ابن عمر رضى الله عنه مرة عليه قوم وهم يحرمون وفيهم رجل يتغنى فقال ألا لا سمع الله لكم ألا لا سمع الله لكم وروى أن إنسانا سأل القاسم بن محمد عن القضاء فقال أنهاك عنه وأكرهه لك قال أحرام هو ؟ قال انظر يا ابن أخي إذا ميز الله الحق والباطل في أيهما يجعل القضاء . وقال الفضيل بن عياض القضاء رقة الزنا . وعن الضحاك القضاء مفسدة للقلب مسخطة للرب وقال بعضهم : إياكم والنساء فإنه يزيد الشهوة ويهدم الروة وإنه لينوب عن الحجر

لم يعزم كما إذا أقام على موضع واحد ثلاثة أيام سوى يوم الدخول لم يكن له الترخص بعده وإن لم يعزم على الإقامة وكان له شغل وهو يتوقع كل يوم إنجازا. ولكنه يتعوق عليه ويتأخر فله أن يترخص وإن طالت المدة على أقيس القولين لأنه منزعج بقلبه ومسافر عن الوطن بصورته ولا مبالاة بصورة الثبوت على موضع واحد مع ازعاج القلب ولا فرق بين أن يكون هذا الشغل قتالا أو غيره ولا بين أن تطول المدة أو تقصر ولا بين أن يتأخر الخروج لمطر لا يعلم بقاءه ثلاثة أيام أو لغيره إذ ترخص رسول الله صلى الله عليه وسلم قصير في بعض الغزوات ثمانية عشر يوما على موضع واحد (١) وظاهر الأمر أنه لو تبادى القتال لتحادى ترخصه إذ لا معنى للتقدير ثمانية عشر يوما والظاهر أن قصره كان لكونه مسافرا لا لكونه غازيا مقاتلا هذا معنى القصر ، وأما معنى التطويل فهو أن يكون مرحلتين كل مرحلة ثمانية فراسخ وكل فرسخ ثلاثة أميال وكل ميل أربعة آلاف خطوة وكل خطوة ثلاثة أقدام ومعنى المباح أن لا يكون عاقا لو ألبس هاربا منها ولا هاربا من مالكة ولا تكون للمرأة هاربة من زوجها ولا أن يكون من عليه الدين هاربا من المستحق مع اليسار ولا يكون متوجها في قطع طريق أو قتل إنسان أو طلب إدرار حرام من سلطان ظالم أو سعى بالقسادين المسلمين . وبالجمله فلا يسافر الإنسان إلا في غرض والغرض هو المحرك فإن كان تحصيل ذلك الغرض حراما ولولا ذلك الغرض لكان لا ينبغي لسفره فسفره معصية ولا يجوز فيه الترخص وأما الفسق في السفر بشرب الخمر وغيره فلا يمنع الرخصة بل كل سفر ينهى الشرع عنه فلا يعين عليه بالرخصة ولو كان له باعثن أحدهما مباح والآخر محظور وكان بحيث لو لم يكن الباعث له المحظور لكان المباح مستقلا بتحريكه ولكن لا محالة يسافر لأجله فله الترخص والتصوفة الطوافون في البلاد من غير غرض صحيح سوى الفرج لمشاهدة البقاع المختلفة في ترخصهم خلاف والمختار أن لهم الترخص . الرخصة الرابعة : الجمع بين الظهر والعصر في وقتيهما وبين المغرب والعشاء في وقتيهما : فذلك أيضا جائز في كل سفر طويل مباح وفي جوازها في السفر القصير قولان ، ثم إن قدم العصر إلى الظهر فليجمع بين الظهر والعصر في وقتيهما قبل الفراغ من الظهر وليؤذن للظهر وليقيم وعند الفراغ يقيم للعصر ويحدد التيمم أولا إن كان فرضه التيمم ولا يفرق بينهما بأكثر من تيمم وإقامة فإن قدم العصر لم يجز وإن نوى الجمع عند التحريم بصلاة العصر جاز عند الزنى وله وجه في القياس إذ لا مستند لإيجاب تقديم النية بل الشرع جوز الجمع وهذا جمع وإنما الرخصة في العصر فتكفي النية فيها وأما الظهر فجاء على القانون ثم إذا فرغ من الصلاتين فينبغي أن يجمع بين سنن الصلاتين أما العصر فلا سنة بعدها ولكن السنة التي بعد الظهر يصلحها بعد الفراغ من العصر إما راكبا أو مقبلا لأنه لو صلى راتبة الظهر قبل العصر لا تقطعت الأداة وهي واجبة على وجهه ولو أراد أن يقيم الأربع السنونة قبل الظهر والأربع السنونة قبل العصر فليجمع بينهما فيصلي سنة الظهر أولا ثم سنة العصر ثم فريضة الظهر ثم فريضة العصر ثم سنة الظهر الركعتان اللتان هما بعد الغرض ولا ينبغي أن يهمل النوافل في السفر فما يفوته من نوافلها أكثر مما يناله من الربح لاسيما وقد خفف الشرع عليه وجوز له أداءها على الرحالة كي لا يتعوق عن الرفقة بسببها وإن أخر الظهر إلى العصر فيجوز على هذا الترتيب ولا يبالى بوقوع راتبة الظهر

(١) حديث قصره صلى الله عليه وسلم في بعض الغزوات ثمانية عشر يوما على موضع واحد أبو داود من حديث عمران بن حصين في قصة الفتوح فأقام بمكة ثمانية عشر ليلة لا يصلح إلا ركعتين وللبخاري من حديث ابن عباس أقام بمكة تسعة عشر يوما يقصر الصلاة ولأبي داود سبعة عشر بتقديم الدين وفي رواية له خمسة عشر .

ويفعل ما يفعل السكر وهذا الذي ذكره هذا القائل صحيح لأن الطبع الوزون يفيق بالنفاء والأوزان ويستحسن صاحب الطبع عند الباع ما لم يكن يستحسن من القرعة بالأصابع والتصفيق والرقص وتصدمنه أهال تدل على سخافة العقل . وروى عن الحسن أنه قال : ليس الغف من سنة المسلمين . والذي نقل عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه سمع الشمر لا يدل على إباحة الغناء فإن الشمر كلام منظوم وغيره كلام منشور فضنه حسن وقيحه قبيح وإنما يصير غناء بالألحان وإن أنصف المنصف وشكر في اجتماع أهل الزمان وقعود الغنى بدقه والمشبب بشبابته وتصور في نفسه هل وقع مثل

بعد العصر في الوقت المكروه لأن ماله سبب لا يكره في هذا الوقت وكذلك يفعل في المغرب والعشاء والوتر وإذا قدم أو أخر بعد الفراغ من الغرض يشتغل بجميع الرواتب ويغتم الجميع بالوتر وإن خطر له ذكر الظهر قبل خروج وقته فليعزم على أدائه مع العصر جمعا فهو نية الجمع لأنه إنما يغلو عن هذه النية إما بنية الترك أو بنية التأخير عن وقت العصر وذلك حرام والمزم عليه حرام وإن لم يتذكر الظهر حتى خرج وقته إما النوم أو الشغل فله أن يؤدي الظهر مع العصر ولا يكون عاصيا لأن السفر كما يشتغل عن فعل الصلاة فقد يشتغل عن ذكرها ويحتمل أن يقال إن الظهر إنما تقع أداء إذا عزم على فعلها قبل خروج وقتها ولكن الأظهر أن وقت الظهر والعصر صار مشتركا في السفر بين الصلاتين ولذلك يجب على الحائض قضاء الظهر إذا طهرت قبل الغروب ولذلك ينقذح أن لا تشترط للوالة ولا الترتيب بين الظهر والعصر عند تأخير الظهر أما إذا قدم العصر على الظهر لم يحز لأن ما بعد الفراغ من الظهر هو الذي جعل وقتا للعصر إذ يمد أن يشتغل بالعصر من هو عازم على ترك الظهر أو على تأخيره وعذر للطرف مجوز لاجتماع كعذر السفر وترك الجمعة أيضا من رخص السفر وهي متعلقة أيضا بفرائض الصلوات ولو نوى الإقامة بعد أن صلى العصر فأدرك وقت العصر في الحضر فعليه أداء العصر ومضى إنما كان مجزئا بشرط أن يبقى العذر إلى خروج وقت العصر . الرخصة الخامسة : التثفل راكبا كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي على راحلته أينما توجهت به دابته (١) وأوتر رسول الله صلى الله عليه وسلم على الراحلة وليس على التثفل راكب في الركوع والسجود إلا الإيماء وينبغي أن يحمل سجوده أخفض من ركوعه ولا يلزمه الانحناء إلى حديثه بغيره بل يحظر بسبب الدابة فإن كان في مرقد فليتم الركوع والسجود فإنه قادر عليه . وأما استقبال القبلة فلا يجب لافي ابتداء الصلاة ولا في دوامها ولكن صوب الطريق بدل عن القبلة فليكن في جميع صلاته إما مستقبلا للقبلة أو متوجها في صوب الطريق لتكون له جهة ثبت فيها فلو حرف دابته عن الطريق قصدا بطلت صلاته إلا إذا حرفها إلى القبلة ولو حرفها ناسيا وقصر الزمان لم تبطل صلاته وإن طال فقيه خلاف وإن جمعت به الدابة فاحرفت لم تبطل صلاته لأن ذلك مما يكثر وقوعه وليس عليه سجود سهو إذا انحرف غير منسوب إليه بخلاف ما لو حرف ناسيا فإنه يسجد للسهو بالإيماء . الرخصة السادسة : التثفل للمشاة جائز في السفر ويوميء بالركوع والسجود ولا يعمد للشهيد لأن ذلك يبطل فائدة الرخصة وحكمه حكم الراكب لكن ينبغي أن يحرم بالصلاة مستقبلا للقبلة لأن الانحراف في لحظة لا عسر عليه فيه بخلاف الراكب فإن في تحريف الدابة وإن كان النمان يده نوع عسر وربما تكرر الصلاة فيطول عليه ذلك ولا ينبغي أن يمشي في نجاسة رطبة عمدا فإن فعل بطلت صلاته بخلاف ما لو وطئت دابة الراكب نجاسة وليس عليه أن يشوش الشيء على نفسه بالاحتراز من النجاسات التي لا تخلو الطريق عنها غالبا وكل هارب من عدو أو سيل أو سبع فله أن يصلي الفريضة راكبا أو ماشيا كما ذكرناه في التثفل . الرخصة السابعة : القطر وهو في الصوم فله مسافر أن يفطر إلا إذا أصبح مقبلا ثم سافر فعليه أتمام ذلك اليوم وإن أصبح مسافرا صاعما . ثم أقام فعليه الأتمام وإن أقام مفطرا فليس عليه الإمساك بقية النهار وإن أصبح مسافرا على عزم الصوم لم يلزمه بل له أن يفطر إذا أراد والصوم أفضل من الفطر والقصر أفضل من الأتمام للخروج عن شبهة الخلاف ولأنه ليس في عهدة القضاء بخلاف للفطر فإنه في عهدة القضاء وربما يعذر عليه ذلك بعائق فيبقى في ذمته إلا إذا كان الصوم يضربه فالأفطار أفضل . فهذه سبع رخص تتعلق ثلاث منها بالسفر الطويل وهي القصر والفطر والسهو ثلاثه أيام وتعلق اثنتان منها بالسفر طويلا أو قصيرا

هذا الجلوس والهيئة بحضرة رسول الله صلى الله عليه وسلم وهل استحضروا قوالا وقصدوا مجتمعين لاستماعه لاشك بأنه ينكر ذلك من حال رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه ولو كان في ذلك فضيلة تطالبها أهملوها فمن يشير بأنه فضيلة تطالب ويجمع لها لم يحظ بذوق معرفة أحوال رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه والتابعين واستروح إلى استحسان بعض للتأخيرين ذلك وكثيرا ما يغلط الناس في هذا ولما احتج عليهم بالسلف الماضين يحتجون بالتأخيرين وكان السلف أقرب إلى عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وهديم أشبه بهدى رسول الله صلى الله عليه وسلم وكثير من الفقهاء يتسمخ عند قراء القرآن

(١) حديث كان يصلي على راحلته أينما توجهت به دابته وأوتر على الراحلة متفق عليه من حديث ابن عمر .

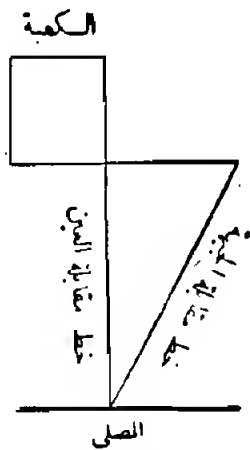
وهما سقوط الجمعة وسقوط القضاء عند أداء الصلاة بالتيمم وأما صلاة النافلة ماشيا وراكبا ففيه خلاف والأصح جوازها في القصر والجمع بين الصلاتين فيه خلاف والأظهر اختصاصه بالطويل وأما صلاة الغرض راكبا ومشيا للخوف فلا تتحقق بالسفر وكذا أكل الميتة وكذا أداء الصلاة في الحال بالتيمم عند فقد الماء بل يشترك فيها الحضر والسفر مهما وجدت أسبابها . فان قلت فاعلم بهذه الرخص هل يجب على المسافر تعلمه قبل السفر أم يستحب له ذلك . فاعلم أنه إن كان عازما على ترك المسح والقصر والجمع والفطر وترك التنفل راكبا ومشيا لم يلزمه علم شروط الرخص في ذلك لأن الرخص ليس بواجب عليه ، وأما علم رخصة التيمم فيلزمه لأن فقد الماء ليس إليه إلا أن يسافر على شاطئ نهر يوفق بقاء مائه أو يكون معه في الطريق عالم بقدر على استغثائه عند الحاجة فله أن يؤخر إلى وقت الحاجة أما إذا كان يظن عدم الماء ولم يكن معه عالم فيلزمه التيمم لاحالة . فان قلت : التيمم يحتاج إليه لصلاة لم يدخل بدو وقتها فكيف يجب علم الطهارة لصلاة بدلم تحب وربما لا تحب . فأقول : من بينه وبين السكبة مسافة لا تقطع إلا في سنة فيلزمه قبل أشهر الحج ابتداء السفر ويلزمه تعلم الناسك لاحالة إذا كان يظن أنه لا يجد في الطريق من يتعلم منه لأن الأصل الحياة واستمرارها وما لا يتوصل إلى الواجب إلا به فهو واجب وكل ما يتوقع وجوبه توقعا ظاهرا فالبا على الظن وله شرط لا يتوصل إليه إلا بتقديم ذلك الشرط على وقت الوجوب فيجب تقديم تعلم الشرط لاحالة كعلم الناسك قبل وقت الحج وقبل مباشرته فلا يحمل إذن للمسافر أن ينشئ السفر ما لم يتعلم هذا القدر من علم التيمم وإن كان عازما على سائر الرخص فعليه أن يتعلم أيضا القدر الذي ذكرناه من علم التيمم وسائر الرخص فانه إذا لم يعلم القدر الجائر لرخصة السفر لم يكن له الاقتصار عليه . فان قلت إنه إن لم يتعلم كيفية التنفل راكبا ومشيا ماذا يفرضه وغايته إن صلى أن تكون صلاته فاسدة وهي غير واجبة فكيف يكون عليها واجبا . فأقول من الواجب أن لا يصلي التنفل على نص الفساد فالتنفل مع الحدث والنجاسة وإلى غير القبلة ومن غير إتمام شروط الصلاة وأركانها حرام فعليه أن يتعلم ما يحترز به عن النافلة الفاسدة حذرا عن الوقوع في المحذور فهذا بيان علم ما خفف عن المسافر في سفره .

(القسم الثاني ما يتجدد من الوظيفة بسبب السفر)

وهو علم القبلة والأوقات وذلك أيضا واجب في الحضر ولكن في الحضر من يكفيه من محراب متفق عليه يخفيه عن طلب القبلة ومؤذن يراعى الوقت فيخفيه عن طلب علم الوقت والمسافر قد تشبه عليه القبلة وقد يلتبس عليه الوقت فلا بد له من العلم بأدلة القبلة والمواقيت أما أدلة القبلة فهي ثلاثة أقسام : أرضية كالاستدلال بالجيال والقرى والأنهار وهوائية كالأستدلال بالرياح شمالها وجنوبها وصباها ودبورها وصماوية وهي النجوم فأما الأرضية والهوائية فتختلف باختلاف البلاد فرب طريق فيه جبل مرتفع يعلم أنه على يمين المستقبل أو شماله أو ورائه أو قدماه فليعلم ذلك وليفهمه وكذلك الرياح قد تدل في بعض البلاد فليفهم ذلك ولنا قدر على استقصاء ذلك إذ لكل بلد وإقليم حكم آخر وأما السماوية فأدلتها تنقسم إلى نهائية وإلى ليلية أما النهارية فالشمس فلا بد أن يراعى قبل الخروج من البلد أن الشمس عند الزوال أين تقع منه أي بين الحاجبين أو على العين اليمنى أو اليسرى أو تعيل إلى الجبين ميلا أكثر من ذلك فإن الشمس لا تندو في البلاد الشمالية هذه للتواقع فإذا حفظ ذلك فهمما عرف الزوال بدليله الذي سنذكره عرف القبلة به وكذلك يراعى مواقع الشمس منه وقت العصر فانه في هذين الوقتين يحتاج إلى القبلة بالضرورة وهذا أيضا لما كان يختلف بالبلاد فليس يمكن استقصاؤه وأما القبلة وقت الغروب فانها تدرك بموضع الغروب وذلك بأن يحفظ أن الشمس تغرب عن يمين المستقبل أو هي مائلة إلى وجهه أو قفاه وبالشفق أيضا تعرف القبلة للشاء الأخيرة وبمشرق الشمس تعرف القبلة .

بأشياء من غير غلبة
قال عبد الله بن عروة
ابن الزبير قلت لجدي
أسماء بنت أبي بكر
الصديق رضي الله عنهما
كيف كان أصحاب
رسول الله صلى الله
عليه وسلم يفعلون إذا
قرئ عليهم القرآن
قالت كانوا كما وصفهم
الله تعالى تسمع أعينهم
وتشعر جلودهم قال
قلت إن ناسا اليوم إذا
قرئ عليهم القرآن خروا
أحسهم منشا عليه
قالت أعوذ بالله من
الشیطان الرجيم
وروى أن عبد الله بن
عمر رضي الله عنهما
مرّ برجل من أهل
المراق يتساقط قال
ما لهذا ؟ قالوا إنه إذا
قرئ عليه القرآن
وسمع ذكر الله تعالى
سقط فقال ابن عمر
رضي الله عنهما إنا
لنخشي الله وما نسقط
إن الشيطان يدخل
في جوف أحسهم
ما هكذا كان يصنع

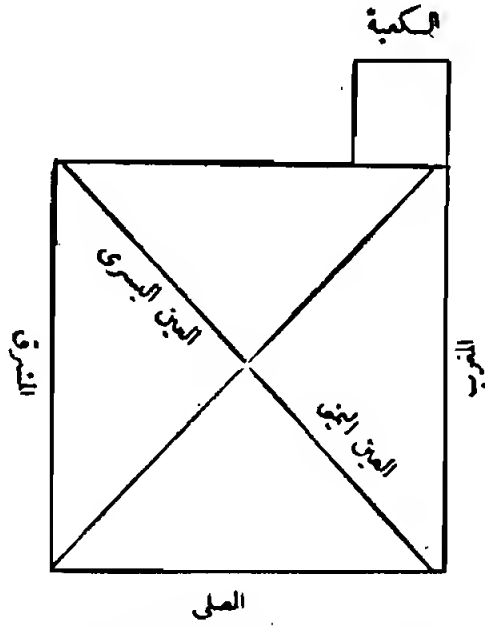
لصلاة الصبح فكأن الشمس تدل على القبلة في الصلوات الخمس ولكن يختلف ذلك بالشتاء والصيف فان المشرق والغارب كثيرة وإن كانت محصورة في جهتين فلا بد من تعلم ذلك أيضا ولكن قد يصل الغرب والعشاء بعد غيوبة الشفق فلا يمكنه أن يستدل على القبلة به فعليه أن يرعى موضع القطب وهو الكوكب الذي يقال له الجدى فانه كوكب كالثابت لا تظهر حركته عن موضعه وذلك إما أن يكون على قفا المستقبل أو على منكبه الأيمن من ظهره أو منكبه الأيسر في البلاد الشمالية من مكة وفي البلاد الجنوبية كاليمين وما والاها فيقع في مقابلة المستقبل فيتعلم ذلك وما عرفه في بلده فليعمل عليه في الطريق كله إلا إذا طال السفر فان السافة إذا بدت اختلف موقع الشمس وموقع القطب وموقع المشرق والغارب إلا أن يتسنى في أثناء سفره إلى بلاد فينبغي أن يسأل أهل البصرة أو راقب هذه الكواكب وهو مستقبل محراب جامع البلد حتى يتضح له ذلك ثمهما تعلم هذه الأدلة فله أن يعمل عليها فان بان له أنه أخطأ من جهة القبلة إلى جهة أخرى من الجهات الأربع فينبغي أن يقضى وإن انحرف عن حقيقة محاذة القبلة ولكن لم يخرج عن جهتها لم يلزمه القضاء وقد أورد الفقهاء خلافا في أن المطلوب جهة الكعبة أو عينا وأشكال معنى ذلك على قوم إذ قالوا إن قلنا إن المطلوب العين فمق يتصور هذا مع بعد الديار وإن قلنا إن المطلوب الجهة فالواقف في المسجد إن استقبل جهة الكعبة وهو خارج يبدنه عن موازاة الكعبة لاخلاف في أنه لا تصح صلاته وقد طولوا في تأويل معنى الخلاف في الجهة والعين ولا بد أولا من فهم معنى مقابلة العين ومقابلة الجهة فمقنى مقابلة العين أن يقف موقفا لو خرج خط مستقيم من بين عينيه إلى جدار الكعبة لاتصل به وحصل من جانبي الخط زاويتان متساويتان وهذه صورته والخط الخارج من موقف للصلى بقدر أنه خارج من بين عينيه فهذه صورة مقابلة العين :



وأما مقابلة الجهة فيجوز فيها أن يتصل طرف الخط الخارجى من بين العينين إلى الكعبة من غير أن يتساوى الزاويتان عن جهتي الخط بل لا يتساوى الزاويتان إلا إذا انتهى الخط إلى نقطة معينة هي واحدة فلو مد هذا الخط على الاستقامة إلى سائر النقط من عيناها أو شمالها كانت إحدى الزاويتين أضيق فيخرج عن مقابلة العين ولكن لا يخرج عن مقابلة الجهة كالخط الذى كتبنا عليه مقابلة الجهة فانه لو قدر الكعبة على طرف ذلك الخط لكان الواقف مستقبلا لجهة الكعبة لالعينها وحد تلك الجهة ما يقع بين خطين يوجههما الواقف مستقبلا لجهة خارجين من العينين فبالتق طرفاهما في داخل الرأس

أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم . وذكر عند ابن سيرين الذين يصرعون إذا قرئ القرآن فقال بيننا وبينهم أن يقدم واحد منهم على ظهر بيت باسطا رجله ثم يقرأ عليه القرآن من أوله إلى آخره فان رضى بنفسه فهو صادق وليس هذا القول منهم إنكارا على الإطلاق إذ يتفق ذلك لبعض الصادقين ولكن لتصنع التوهم في حق الأكثرين فقد يكون ذلك من البعض تصنعا ورياء ويكون من البعض لقصور علم وعحامرة جهل بمزج بهوى لم بأحدهم يسير من الوجد فينبه بزيادات جهل أن ذلك يضرب بدينه وقد لا يجهل أن ذلك من النفس ولكن النفس تسترق السمع استراقا خفيا تخرج الوجد عن الحد الذى

بين العينين على زاوية قائمة لما يقع بين الخطين الخارجين من العينين فهو داخل في الجهة وسعة ما بين الخطين تزايد بطول الخطين وبالبعد عن الكعبة وهذه صورته :



ينبغي أن يقف عليه
وهذا يبين الصدق .
قل أن موسى عليه
السلام وعظ قومه
فشق رجل منهم قميصه
فقال لموسى عليه
السلام قل لصاحب
القميص لا يشق قميصه
ويشرح قلبه . وأما
إذا انضاف إلى السماع
أن يسمع من أمرد
فقد توجهت الفتنة
وتعين على أهل البيانات
انكار ذلك . قال بقية
ابن الوليد كانوا
يكرهون النظر إلى
الغلام الأمرد الجليل .
وقال عطاء كل نظرة
يهواها القلب فلا خير
فيها وقال بعض التابعين
ما أنا أخوف على الشاب
التائب من السبع
الضاري خوفاً عليه
من الغلام الأمرد يقعد
إليه . وقال بعض
التابعين أيضاً اللوطية
على ثلاثة أصناف صنف
ينظرون وصنف
يصاغون وصنف
يعملون ذلك العمل

فاذا فهم معنى العين والجهة فأقول الذي يصح عندنا في الفتوى أن المطلوب الدين إن كانت الكعبة
بما يمكن رؤيتها وإن كان يحتاج إلى الاستدلال عليها لتعذر رؤيتها فيمكن استقبال الجهة . فأما طلب
العين عند المشاهدة فجميع عليه وأما الاكتفاء بالجهة عند تعذر المعاينة فيدل عليه الكتاب والسنة
وفضل الصحابة رضي الله عنهم والقياس . أما الكتاب فقوله تعالى - وحيثما كنتم فولوا وجوهكم شطره -
أى نحوه ومن قابل جهة الكعبة يقال قد ولي وجهه شطرها . وأما السنة لما روى عن رسول الله
صلى الله عليه وسلم أنه قال لأهل المدينة « ما بين الشرق والغرب قبلة (١) » والغرب يقع على عين أهل
المدينة وللشرق على يسارهم فجعل رسول الله ﷺ جميع ما يقع بينهما قبلة ومساحة الكعبة لاتفق بما بين
للشرق والغرب وإنما بقي بذلك جهتها ، وروى هذا اللفظ أيضاً عن عمر وابنه رضي الله عنهما .
وأما فضل الصحابة رضي الله عنهم لما روى أن أهل مسجد قباء كانوا في صلاة الصبح بالمدينة مستقبلين
لبيت المقدس مستدبرين الكعبة لأن المدينة بينهما ، قيل لهم الآن قد حوت القبلة إلى الكعبة
فاستداروا في أثناء الصلاة من غير طلب دلالة (٢) ولم ينكر عليهم وصحى مسجدهم ذا القبليتين ومقابلة
العين من المدينة إلى مكة لا تعرف إلا بأدلة هندسية بطول النظر فيها فكيف أدركوا ذلك على البديهة
في أثناء الصلاة وفي ظلمة الليل ، ويدل أيضاً من فعلهم أنهم بنوا المساجد حوالى مكة وفي سائر بلاد
الاسلام ولم يحضروا قط مهندسا عند تسوية المحاريب ، ومقابلة العين لا تدرك إلا بدقيق النظر
الهندسى . وأما القياس فهو أن الحاجة تمس إلى الاستقبال وبناء المساجد في جميع أقطار الأرض
ولا يمكن مقابلة العين إلا بعلوم هندسية لم يرد الشرع بالنظر فيها بل ربما يزجر عن التعمق في علمها

(١) حديث ما بين للشرق والغرب قبلة الزمى وصححه والنسائي وقال منكر وابن ماجه من حديث
أبي هريرة (٢) حديث إن أهل قبا كانوا في صلاة الصبح مستقبلين لبیت المقدس فقيل لهم ألا إن
القبلة قد حوت إلى الكعبة فاستداروا الحديث مسلم من حديث أنس واتفقا عليه من حديث ابن
عمر مع اختلاف .

فكيف ينبنى أمر الشرع عليها فيجب الاكتفاء بالجهة للضرورة . وأما دليل صحة الصورة التي صورناها وهو حصر جهات العالم في أربع جهات فقوله عليه السلام في آداب قضاء الحاجة « لا تستقبلوها القبلة ولا تستدبروها ولكن شرقوا أو غربوا » (١) وقال هذا بالمدينة والشرق على يسار المستقبل بها والمغرب على يمينه فنهى عن جهتين ورخص في جهتين ومجموع ذلك أربع جهات ولم يخطر ببال أحد أن جهات العالم يمكن أن تفرض في ست أو سبع أو عشر وكيفما كان فما حكم الباقي بل الجهات ثبتت في الاعتقادات بناء على خلقه الإنسان وليس له إلا أربع جهات قدام وخلف ويمين وشمال فكانت الجهات بالإضافة إلى الإنسان في ظاهر النظر أربعة والشرع لا يبنى إلا على مثل هذه الاعتقادات فظهر أن المطلوب الجهة وذلك يسهل أمر الاجتهاد فيها وتعلم به أدلة القبلة فأما مقابلة العين فانها تعرف بمعرفة مقدار عرض مكة عن خط الاستواء ومقدار درجات طولها وهو بعدها عن أول عمارة في المشرق ثم يعرف ذلك أيضا في موقف المصلي ثم يقابل أحدهما بالآخر ويحتاج فيه إلى آلات وأسباب طويلة والشرع غير مبني عليها قطعا فاذن القدر الذي لا بد من تعلمه من أدلة القبلة موقع الشرق والمغرب في الزوال وموقع الشمس وقت العصر فهذا يسقط الوجوب . فان قلت فلو خرج للمسافر من غير تعلم ذلك هل يصح . فأقول إن كان طريقه على قرى متصلة فيها محاريب أو كان معه في الطريق بصير بأدلة القبلة موثوق بعد التمهيد وبصيرته ويقدر على تقليده فلا يصح وإن لم يكن معه شيء من ذلك عصى لأنه سيتعرض لوجوب الاستقبال ولم يكن قد حصل علمه فصار ذلك كعلم التيمم وغيره فان تعلم هذه الأدلة واستقيم عليه الأمر بنعيم مظلم أو ترك التعلم ولم يجد في الطريق من يقلده فليعلم أن يصلي في الوقت على حسب حاله ثم عليه القضاء سواء أصاب أم أخطأ والأعمى ليس له إلا التقليد فليقلد من يوثق يدينه وبصيرته إن كان مقلده مجتهدا في القبلة وإن كانت القبلة ظاهرة فله اعتماد قول كل عدل غيره بذلك في حضر أو سفر وليس للأعمى ولا للجاهل أن يسافر في قافلة ليس فيها من يعرف أدلة القبلة حيث يحتاج إلى الاستدلال كالنبي للعالم أن يقيم ببلدة ليس فيها قومه عالم بتفصيل الشرع بل يلزمه الهجرة إلى حيث يجد من يعلم دينه وكذا إن لم يكن في البلد إلا قومه فاسق فليعلم الهجرة أيضا إذ لا يجوز له اعتماد فتوى الفاسق بل العدالة شرط لجواز قبول الفتوى كما في الرواية وإن كان معروفا بالفقهاء مستور الحال في العدالة والفسق فله القبول مهما لم يجد من له عدالة ظاهرة لأن المسافر في البلاد لا يقدر أن يبحث عن عدالة المفتين فان رآه لا بسا للحرير أو ما يغاب عليه الابريس أو راكبا للفرس عليه مركب ذهب فقد ظهر فسقه وامتنع عليه قبول قوله فليطلب غيره وكذلك إذا رآه يأكل على مائدة سلطان أغلب ماله حرام أو يأخذ منه إدرارا أو صلة من غير أن يعلم أن الذي يأخذه من وجه حلال فكل ذلك فسق يقدح في العدالة ويمنع من قبول الفتوى والرواية والشهادة . وأما معرفة أوقات الصلوات الحسن فلا بد منها . فوقت الظهر يدخل بالزوال فان كل شخص لا بد أن يقع له في ابتداء النهار ظل مستطيل في جانب المغرب ثم لا يزال ينقص إلى وقت الزوال ثم يأخذ في الزيادة في جهة المشرق ولا يزال يزيد إلى الغروب فليقيم للمسافر في موضع أو لينصب غودا مستقيما وليعلم على رأس الظل ثم لينظر بعد ساعة فان رآه في النقصان فلم يدخل بعد وقت الظهر . وطريقه في معرفة ذلك أن ينظر في البلد وقت أذان المؤذن المتعمد ظل قامته فان كان مثلا ثلاثة أقدام بقدمه ففهما صار كذلك في السفر وأخذ في الزيادة صلى فان زاد على ستة أقدام ونصفا بقدمه دخل وقت العصر إذ ظل كل شخص بقدمه ستة أقدام ونصف بالتقريب ثم ظل الزوال يزيد كل يوم إن كان سفره من أول الصيف وإن كان أول الشتاء فينقص كل يوم وأحسن ما يعرف به ظل الزوال والنيران فليستصحبه المسافر وليتعلم اختلاف

قد تمين على طائفة الصوفية اجتناب مثل هذه الجماعات واتقاء مواضع التهم فان التصوف صدق كله وجد كله . يقول بعضهم التصوف كله جد فلا تخلطوه بشيء من الهزل فهذه الآثار دلت على احتساب السماع وأخذ الحذر منه والباب الأول بما فيه دل على جوازه بشروطه وتفرجه عن السكارة التي ذكرناها وقد فصلنا القول وفرقنا بين القصائد والغناء وغير ذلك . وكان جماعة من الصالحين لا يسمعون ومع ذلك لا ينكرون على من يسمع بنية حسنة ويراعى الأدب فيه .

[الباب الرابع والعشرون في القول في السماع ترفعا واستغناء]

اعلم أن الوجد يشعر بسابقة فتدفن لم يفقد لم يجد وإنما كان القصد لمزاحمة وجود العبد بوجود صفاته وبقيائه فلو تمحض عبدا

(١) حديث لا تستقبلوا القبلة ولا تستدبروها ولكن شرقوا أو غربوا متفق عليه من حديث أبي أيوب.

الظل به في كل وقت وإن عرف موقع الشمس من مستقبل القبلة وقت الزوال وكان في السفر في موضع ظهرت القبلة فيه بدليل آخر فيمكنه أن يعرف الوقت بالشمس بأن تصير بين عينه مثلاً إن كانت كذلك في البلد . وأما وقت المغرب فيدخل بالمغرب ولكن قد تحجب الجبال المغرب عنه فينبغي أن ينظر إلى جانب الشرق لهما ظهر سواد في الأفق مرتفع من الأرض قدر رمح قد دخل وقت المغرب . وأما العشاء فيعرف بنسوبة الشفق وهو الحمرة فإن كانت محجوبة عنه بجبال فيعرفه بظهور الكواكب الصغار وكثرها فإن ذلك يكون بعد غيوبة الحمرة . وأما الصبح فيدعى في الأول مستطيلاً كذب السرحان فلا يحكم به إلى أن ينقضي زمان ثم يظهر بياض معترض لا يمر إدراكه بالعين لظهوره فهذا أول الوقت قال **عليه السلام** « ليس الصبح هكذا وجمع بين كفيه وإنما الصبح هكذا ووضع إحدى سبابتي على الأخرى وفتحهما (١) » وأشار به إلى أنه معترض وقد يستدل عليه بالمازول وذلك تقرب لتحقيق فيه بل الاعتماد على مشاهدة انتشار البياض عرضاً لأن قوماً ظنوا أن الصبح يطلع قبل الشمس بأربع منازل وهذا خطأ لأن ذلك هو القجر الكاذب والذي ذكره المحققون أنه يتقدم على الشمس بمزتين وهذا تقرب ولكن لا اعتماد عليه فإن بعض المنازل تطلع معترضة منحرفة فيقصر زمان طلوعها وبعضها منتصب فيطول زمان طلوعها ويختلف ذلك في البلاد اختلافاً يطول ذكره نعم تصلح المنازل لأن يعلم بها قرب وقت الصبح وبعدة فأما حقيقة أول الصبح فلا يمكن ضبطه بمزتين أصلاً وعلى الجملة فإذا بقيت أربع منازل إلى طلوع قرن الشمس بمقدار منزلة يتيقن أنه الصبح الكاذب وإذا بقي قريب من مزتين يتحقق طلوع الصبح الصادق ويبقى بين الصبحين قدر ثلثي منزلة بالتقريب يشك فيه أنه من وقت الصبح الصادق أو الكاذب وهو مبداً يظهر البياض وانتشاره قبل اتساع عرضه فمن وقت الشك ينبغي أن يترك الصائم السحور ويقدم القامم الوتر عليه ولا يصلي صلاة الصبح حتى تنقضي مدة الشك فإذا تحقق صلى ولو أراد مريد أن يقدر على التحقيق وقتاً معيناً يشرب فيه متسحراً ويقوم عقيه ويصلي الصبح متصلاً به لم يقدر على ذلك فليس معرفة ذلك في قوة البشر أصلاً بل لا بد من مهلة للتوقف والشك ولا اعتماد إلا على العيان ولا اعتماد في العيان إلا على أن يصير الضوء منتشراً في العرض حتى تبدو مبادئ الصفرة وقد غلط في هذا جمع من الناس كثير يصلون قبل الوقت وبدل عليه ما روى أبو عيسى الترمذي في جامعه بإسناده عن طلق بن علي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « كلوا واشربوا ولا يهينكم الساطع المصعد وكلوا واشربوا حتى يعترض لكم الأحمر (٢) » وهذا صريح في رعاية الحمرة قال أبو عيسى وفي الباب عن عدي بن حاتم وأبي ذرّة ومرة بن جندب وهو حديث حسن غريب والعمل على هذا عند أهل العلم وقال ابن عباس رضي الله عنهما كلوا واشربوا مادام الضوء ساطعاً قال صاحب التريين أي مستطيلاً فإذا لا ينبغي أن يقول إلا على ظهور الصفرة وكأنها مبادئ الحمرة وإنما يحتاج السافر إلى معرفة الأوقات لأنه قديماً بالصلاة قبل الرحيل حتى لا يشق عليه الزوال أو قبل النوم حتى يسرع فإن وطن نفسه على تأخير الصلاة إلى أن يتيقن فتسمع نفسه بفوات

(١) حديث ليس الصبح هكذا وجمع كفيه وإنما الصبح هكذا ووضع إحدى سبابتي على الأخرى وفتحهما وأشار به إلى أنه معترض ابن ماجه من حديث ابن مسعود بإسناد صحيح مختصر دون الإشارة بالكف والسبابتين ولأحمد من حديث طلق بن علي : ليس القجر المستطيل في الأفق لكنه يعترض الأحمر وإسناده حسن (٢) حديث طلق بن علي كلوا واشربوا ولا يهينكم الساطع المصعد وكلوا واشربوا حتى يعترض لكم الأحمر قال المصنف رواه أبو عيسى الترمذي في جامعه وقال حسن غريب وهو كاد كر ورواه أبو داود أيضاً .

لتحضر حراً ومن
تحمض حراً أفلت من
شرك الوجد فترك
الوجد يسطد البقايا
ووجود البقايا لتخلف
شيء من المطايا . قال
الحصري رحمه الله
ما أدون حال من يحتاج
إلى مزعج يزجه
فالوجد بالسباع في حق
الحق كالوجد بالسباع
في حق البطل من حيث
النظر إلى انزعاجه
وتأثير الباطن به وظهور
أثره على الظاهر وتغييره
للبعد من حال إلى
حال وإنما يختلف الحال
بين الحق والبطل أن
البطل يجد لوجود
هوى النفس والحق
يجد لوجود إرادة
القلب ولهذا قيل
السباع لا يحدث في
القلب غيماً وإنما
يعرك مافي القلب فمن
متعلق بباطنه خير الله
يعركه السباع فيجد
بالهوى ومن متعلق
باطنه بمحبة الله يجد
بالإرادة إرادة القلب

فضيلة أول الوقت ويتجنب كلفة النزول وكلفة تأخير النوم إلى التيقن استغنى عن تعلم علم الأوقات فان للشكل أوائل الأوقات لا أوساطها .

(كتاب آداب السماع والوجد)

(وهو الكتاب الثامن من ربيع العادات من كتب إحياء علوم الدين)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

الحمد لله الذي أحرق قلوب أوليائه بنار محبته . واسترقق قلوبهم وأرواحهم بالشوق إلى لقاءه ومشاهدته . ووقف أبصارهم وبصائرهم على ملاحظة جمال حضرته . حتى أصبحوا من تنسم روح الوصال سكرى . وأصبحت قلوبهم من ملاحظة سبحات الجلال والهة حيرى . فلم يروا في الكونين شيئا سواه . ولم يذكروا في الدارين إلا إياه . إن حننت لأبصارهم صورة عبرت إلى الصور بصائرهم . وإن قرعت أسماعهم نغمة سبقت إلى المحبوب سرائرهم . وإن ورد عليهم صوت مزعج أو مقلق أو مطرب أو محزن أو مبهج أو مشوق أو مبهيج لم يكن ارتعاجهم إلا إليه . ولا طربهم إلا به . ولا قلقهم إلا عليه . ولا حزنهم إلا فيه . ولا شوقهم إلا إلى ماله به . ولا ابتعائهم إلا له . ولا ترددهم إلا حواله . فله سماعهم . وإليه استماعهم . فقد أقفل عن غيره أبصارهم وأسماعهم . وأولئك الذين اصطفاهم الله لولايته . واستخلصهم من بين أصفياه وخاصته . والصلاة على محمد البعوث برسائله وعلى آله وأصحابه أئمة الحق وقادته . وسلم كثيرا .

[أما بعد] فان القلوب والسرائر . خزائن الأسرار ومعادن الجواهر . وقد طويت فيها جواهرها كاطويت النار في الحديد والحجر . وأخفيت كما خفي الماء تحت التراب والدر . ولا سبيل إلى استتارة خفاياها إلا بقوادح السماع . ولا منفذ إلى القلوب إلا من دهليز الأسماع . فالتنعمات للوزونة للستنة تخرج مافيا . وتظهر محاسنها أو مساوئها . فلا يظهر من القلب عند التحريك إلا ما يحويه . كما لا يرشح إلا ما فيه . فالسماع للقلب محك صادق . ومقياس ناطق . فلا يصل نفس السماع إليه . إلا وقد تحرك فيما هو الغالب عليه وإذا كانت القلوب بالطباع مطيعة للأسماع حتى أبدت بوارداتها مكانها . وكشفت بها عن مساوئها وأظهرت محاسنها . وجب شرح القول في السماع والوجد وبين ما فيهما من القوائد والآفات . وما يستحب فيهما من الآداب والمهيات . وما يتطرق إليهما من خلاف العلماء في أنهما من المحظورات أو الباحات . ونحن نوضح ذلك في بابين . الباب الأول : في إباحة السماع . الباب الثاني : في آداب السماع وآثاره في القلب بالوجد وفي الجوارح بالرقص والزق وعزيق الثياب .

(الباب الأول في ذكر اختلاف العلماء في إباحة السماع وكشف الحق فيه)

(بيان أقاويل العلماء والمتصوفة في تحليله وعزيمه)

اعلم أن السماع هو أول الأمر ويشمر السماع حالة في القلب تسمى الوجد ويشمر الوجد تحريك الأطراف إما بحركة غير موزونة فتسمى الاضطراب وإما موزونة فتسمى التصفيق والرقص فلنبدأ بحكم السماع وهو الأول وننقل فيه الأقاويل العربية عن المذهب فيه ثم نذكر الدليل على إباحته ثم نردفه بالجواب عما تمسك به القائلون بتحريمه ، فأما نقل المذهب فقد حكى القاضي أبو الطيب الطبري عن الشافعي ومالك وأبي حنيفة وسفيان وجماعة من العلماء ألقاظا يستدل بها على أنهم رأوا تحريمه وقال الشافعي رحمه الله

(كتاب السماع والوجد)

(الباب الأول في ذكر اختلاف العلماء في إباحته)

قال بطل محبوب
بجباب النفس والحق
محبوب بجباب القلب
وحجاب النفس حجاب
أرضي ظماني وحجاب
القلب حجاب صماوى
نوراني ومن لم يفقد
بدوام التحقق بالشهود
ولا يشتر بأذلال الوجود
فلا يسمع ولا يجد
ومن هذه اللطافة قال
بعضهم الوجد نار دم
كلى لا ينفد في قول
ومر تمشاد الدينورى
رحمه الله قوم فيهم
قوال ظنا رأوه
أسكروا فقال ارجعوا
إلى ما كنتم فيه فوالله
لوجدت ملاهى الدنيا
في أذن ما شغلهمى ولا
شغى جنى ما بى فالوجد
صراخ الروح المبلى
بالنفس تارة في حق
البطل وبالقلب تارة
في حق الحق فثار
الوجد الروح الروحاني
في حق الحق والمبطل
ويكون الوجد تارة
من فهم الماني يظهر
وتارة من مجرد التفات

في كتاب آداب القضاء إن الغناء هو مكروه يشبه الباطل ومن استكثر منه فهو سفيه ترد شهادته وقال القاضي أبو الطيب استماعه من المرأة التي ليست بحرم له لا يجوز عند أصحاب الشافعي رحمه الله بحال سواء كانت مكشوفة أو من وراء حجاب وسواء كانت حرة أو مملوكة وقال قال الشافعي رضي الله عنه صاحب الجارية إذا جمع الناس لسامعها فهو سفيه ترد شهادته وقال وحكى عن الشافعي أنه كان يكره الطمطمة بالقضيب ويقول وضعت الزنادقة ليشتغلوا به عن القرآن وقال الشافعي رحمه الله ويكره من جهة الخبر اللعب بالنرد أكثر مما يكره اللعب بشئ من اللهي ولا أحب اللعب بالشرطنج وأكره كل ما يلعب به الناس لأن اللعب ليس من صنعة أهل الدين ولا الروعة . وأما مالك رحمه الله فقد نهى عن الغناء وقال إذا اشترى جارية فوجدها مغنية كان له ردها وهو مذهب سائر أهل المدينة إلا إبراهيم ابن سعد وحده . وأما أبو حنيفة رضي الله عنه فانه كان يكره ذلك ويجعل سماع الغناء من الذنوب وكذلك سائر أهل الكوفة : سفيان الثوري وحماد وإبراهيم والشعبي وغيرهم . فهذا كله نقله القاضي أبو الطيب الطبري ونقل أبو طالب الكلي بإباحة السماع عن جماعة فقال سمع من الصحابة عبد الله بن جعفر وعبد الله بن الزبير والغيرة بن شعبة ومعاوية وغيرهم وقال قد فعل ذلك كثير من السلف الصالح صحابي وتابعي بإحسان وقال لم يزل الحجازيون عندنا بمكة يسمعون السماع في أفضل أيام السنة وهي الأيام المندوبات التي أمر الله عباده فيها بذكره كأيام التشريق ولم يزل أهل المدينة مواظبين كأهل مكة على السماع إلى زماننا هذا فأذكر كما أبا من رواه القاضي وله جوار يسمعون الناس التلحين قد أعدهن للصوفية قال وكان لطاء جاريته يلحنان فكان إخوانه يستمعون إليهما قال وقيل لأبي الحسن بن سالم كيف تنكر السماع وقد كان الجنيد وسري السقطي وذو النون يستمعون قال وكيف أنكر السماع وقد أجازوه وسمعه من هو خير مني فقد كان عبد الله بن جعفر الطيار يسمع وإنما أنكر اللهو واللعب في السماع وروى عن يحيى بن معاذ أنه قال قد كنا ثلاثة أشياء فما أراها ولا أراها ترداد إلا قلة حسن الوجه مع الصيانة وحسن القول مع الديانة وحسن الإخاء مع الوفاء ورأيت في بعض الكتب هذا محكما بعينه عن الحرث المحاسبي وفيه ما يدل على تجوز السماع مع زهده وتساونه وجده في الدين وتشهيره قال وكان ابن مجاهد لا يجيب دعوة إلا أن يكون فيه سماع وحكى غير واحد أنه قال اجتمعنا في دعوة ومعنا أبو القاسم ابن بنت منيع وأبو بكر بن داود وابن مجاهد في نظرهم فحضر سماع فجعل ابن مجاهد يحرض ابن بنت منيع على ابن داود في أن يسمع فقال ابن داود حدثني أبي عن أحمد بن حنبل أنه كره السماع وكان أبي يكرهه وأنا على مذهب أبي فقال أبو القاسم ابن بنت منيع أما جدى أحمد ابن بنت منيع فحدثني عن صالح بن أحمد أن أباه كان يسمع قول ابن الحبازة فقال ابن مجاهد لابن داود دعني أنت من أهلك وقال لابن بنت منيع دعني أنت من جدك أي شئ تقول يا أبا بكر فيمن أنشد بيت شعر أهو حرام فقال ابن داود لا قال فإن كان حسن الصوت حرم عليه إنشاده قال لا قال فإن أنشده وطوله وقصر منه الممدود ومد منه المقصور أيحرم عليه قال أنا لم أقول ليطان واحد فكيف أقوى ليطانين قال وكان أبو الحسن العمقلائي الأسود من الأولياء يسمع ويوله عند السماع وحنف فيه كتابا ورد فيه على منكره وكذلك جماعة منهم صنفوا في الرد على منكره . وحكى عن بعض الشيوخ أنه قال رأيت أبا العباس الخضر عليه السلام قتلته ما تقول في هذا السماع الذي اختلف فيه أصحابنا فقال هو الصفو الزلال الذي لا يثبت عليه إلا أقدم العلماء . وحكى عن معشاد الدينوري أنه قال رأيت النبي صلى الله عليه وسلم في النوم قتلته يارسول الله هل تنكر من هذا السماع شيئا فقال ما أنكر منه شيئا ولكن قل لهم يفتحون قلبه بالقرآن ويغتمون بعده بالقرآن . وحكى عن طاهر بن بلال

والألحان فما كان من
قبيل للعاني تشارك
النفس الروح في السماع
في حق البطل ويشارك
القلب في حق الحق وما
كان من قبيل مجرد
النفات تتجرد الروح
للسماع ولكن في حق
البطل تسترق النفس
السمع وفي حق الحق
يسترق القلب السمع
ووجه استلذاذ الروح
النفات أن العالم
الروحاني يجمع الحسن
والجمال ووجود
التناسب في الأكواف
مستحسن قولاً وفلاً
ووجود التناسب في
الهياكل والصور
ميراث الروحانية لمحي
سمع الروح النفات
الليذنة والألحان
التناسب فأنزله لوجود
الجنسية ثم يتقيد ذلك
بالشرع بمصالح علم
الحكمة ورعاية الحدود
للمعبد عين الصلحة
عاجلاً وآجلاً . ووجه
آخر إنما يستلذد الروح
النفات لأن النفات بها

المحمداني الوراق وكان من أهل العلم أنه قال كنت معتكفا في جامع جدة على البحر فرأيت يوما طائفة يقولون في جانب منه قولاً ويستمعون فأُنكرت ذلك بقلبي وقلت في بيت من بيوت الله يقولون الشعر قال فرأيت النبي صلى الله عليه وسلم تلك الليلة وهو جالس في تلك الناحية وإلى جنبه أبو بكر الصديق رضي الله عنه وإذا أبو بكر يقول شيئاً من القول والنبي ^{صلى الله عليه وسلم} يستمع إليه ويضع يده على صدره كالواجد بذلك فقلت في نفسي ما كان ينبغي لي أن أنكر على أولئك الذين كانوا يستمعون وهذا رسول الله صلى الله عليه وسلم يستمع وأبو بكر يقول فالتفت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال هذا حق بحق أو قال حق من حق أنا أشك فيه وقال الجريد تنزل الرحمة على هذه الطائفة في ثلاثة مواضع عند الأكل لأنهم لا يأكلون إلا عن فاقة وعند اللذاكرة لأنهم لا يتحاورون إلا في مقامات الصديقين وعند السماع لأنهم يسمعون بوجد ويشهدون حقاً وعن ابن جريج أنه كان يرخص في السماع قليل له أن يؤتي يوم القيامة في جملة حسناتك أو سيئاتك فقال لا في الحسنات ولا في السيئات لأنه شبيه بالغو وقال الله تعالى - لا يؤاخذكم الله باللغو في أيمانكم - هذا ما نقل من الأقاويل ومن طلب الحق في التقليد فهما استقصى تمارضت عنده هذه الأقاويل فيبقى متحيراً أو مائلاً إلى بعض الأقاويل بالتشهي وكل ذلك قصور بل ينبغي أن يطلب الحق بطريقه وذلك بالبحث عن مدراك الخطر والإباحة كما سذكره.

(بيان الدليل على إباحة السماع)

اعلم أن قول القائل السماع حرام معناه أن الله تعالى يعاقب عليه وهذا أمر لا يعرف بمجرد العقل بل بالسمع ومعرفة الشرعيات محصورة في النص أو القياس على المنصوص وأعني بالنص ما أظهره صلى الله عليه وسلم بقوله أو فعله وبالقياس المعنى المفهوم من ألفاظه وأفعاله فإن لم يكن فيه نص ولم يستمع فيه قياس على منصوص بطل القول بتحريمه وبقي فعلاً لا حرج فيه كسائر الباحات ولا يدل على تحريم السماع نص ولا قياس ويتضح ذلك في جوابنا عن أدلة المائلين إلى التحريم ومهماتهم الجواب عن أدلتهم كان ذلك مسلماً كافياً في إثبات هذا الفرض لكن لستفتح ونقول قد دل النص والقياس جميعاً على إباحته . أما القياس فهو أن الغناء اجتمعت فيه معان ينبغي أن يبحث عن أفرادها ثم عن مجموعها فإن فيه سماع صوت طيب موزون مفهوم للعنى محرك للقلب فالوصف الأعم أنه صوت طيب ثم الطيب ينقسم إلى الموزون وغيره والموزون ينقسم إلى المفهوم كالأشعار وإلى غير المفهوم كأصوات الجمادات وسائر الحيوانات أما سماع الصوت الطيب من حيث إنه طيب فلا ينبغي أن يحرم بل هو حلال بالنص والقياس أما القياس فهو أنه يرجع إلى تلذذ حاسة السمع بادراك ما هو مخصوص به وللإنسان عقل وخمس حواس ولكل حاسة إدراك وفي مدركات تلك الحاسة ما يستلذ فتلذذ النظر في البصرات الجميلة كالخضرة والماء الجاري والوجه الحسن وبالجملة سائر الألوان الجميلة وهي في مقابلة ما يكره من الألوان السكدة القبيحة وللشم الروائح الطيبة وهي في مقابلة الأتبان المستكرهة وللذوق الطعوم اللذيذة كالسومة والحلاوة والخموضة وهي في مقابلة المرارة المستبعدة وللمس لذة اللين والنعومة والملاسة وهي في مقابلة الخشونة والضراصة والمقللدة للعلم والعرفه وهي في مقابلة الجهل والبلادة فكذلك الأصوات للمدركة بالسمع تنقسم إلى مسالمة كصوت العنادل والمزامير ومستكرهة كنبهق الخمر وغيرها فما أظهر قياس هذه الحاسة ولذتها على سائر الحواس ولذاتها . وأما النص فيدل على إباحة سماع الصوت الحسن امتنان الله تعالى على عباده به إذ قال - يزيد في الخلق ما يشاء - قليل هو الصوت الحسن وفي الحديث « ما بعث الله نبياً إلا حسن الصوت »^(١) وقال صلى الله عليه وسلم « الله أشد أذناً للرجل

نطق النفس مع الروح بالإيمان الحق إشارة ورمزاً بين المتعاقبين وبين النفوس والأرواح تماشق أصل يزعج ذلك إلى أنوثه النفس وذكرورة الروح وللليل والتعاشق بين الله كرم والأنثى بالطبيعة واقع قال الله تعالى - وجعل منها زوجها ليسكن إليها - وفي قوله سبحانه منها إشعار بتلازم وتلاصق موجب للاشتلاف والتعاشق والنفات يستلذها الروح لأنها مناعة بين للتعاقبين وكما أن في عالم الحكمة كونه حواء من آدم في عالم القدرة كونه النفس من الروح الروحاني فهذا التألف من هذا الأسس وذلك أن النفس روح حيواني تجنس بالقرب من الروح الروحاني وتجنسها بأن امتازت من أرواح جنس الحيوان بشرف

(١) حديث ما بعث الله نبياً إلا حسن الصوت الترمذي في الشرائع عن قتادة وزاد قوله وكان نبيكم

الحسن الصوت بالقرآن من صاحب القينة لفينته (١) « وفي الحديث في معرض المدح لداود عليه السلام « أنه كان حسن الصوت في النباحة على نفسه وفي تلاوة الزبور حتى كان يجتمع الناس والجن والوحوش والطير لسماع صوته وكان يحمل في محمله أربعمائة جنازة وما يقرب منها في الأوقات (٢) » وقال صلى الله عليه وسلم في مدح أبي موسى الأشعري « لقد أعطى زممارا من زمامر آل داود (٣) » وقول الله تعالى - إن أنكر الأصوات لصوت الخير - يدل بمفهومه على مدح الصوت الحسن ولوجاز أن يقال إنما أيسح ذلك بشرط أن يكون في القرآن للزمر أن يحرم سماع صوت الضليل لأنه ليس من القرآن وإذا جاز سماع صوت غفل لا معنى له فلم لا يجوز سماع صوت يهيم منه الحكمة والمآني الصحيحة وإن من الشعر لحكمة فهذا نظر في الصوت من حيث إنه طيب حسن : الدرجة الثانية النظر في الصوت الطيب الموزون فإن الوزن وراء الحسن فكم من صوت حسن خارج عن الوزن وكم من صوت موزون غير مستطاب والأصوات الموزونة باعتبار مخارجها ثلاثة فإما أن تخرج من جناد كصوت الزمير والأوتار وضرب القضيب والطلل وغيره وإما أن تخرج من حنجرة حيوان وذلك الحيوان إما إنسان أو غيره كصوت النادل والقمارى وذات السبع من الطيور فهي مع طيبها موزونة متناسبة للطالع والمقاطع فذلك يستلزم معانها والأصل في الأصوات بخارج الحيوانات وإما وضعت الزمير على أصوات الحناجر وهو تشبيه للصنعة بالحلقة وما من شيء توصل أهل الصناعات بصناعتهم إلى تصويره إلا وله مثال في الحلقة التي استأثر الله تعالى باختراعها فنه تعلم الصناعات وبه قصدوا الاقتداء وشرح ذلك يطول فسماع هذه الأصوات يستحيل أن يحرم لكونها طيبة أو موزونة فلا ذهاب إلى تحريم صوت العنديل وسائر الطيور ولا فرق بين حنجرة وحنجرة ولا بين جناد وحيوان فينبغي أن يقاس على صوت العنديل الأصوات الخارجة من سائر الأجسام باختیار الآدى كالتي تخرج من حلقه أو من القضيب والطلل والدف وغيره ولا يستثنى من هذه إلا للالهى والأوتار والزمير التي ورد الشرع بالمنع منها (٤) لا لأنها إذ لو كان للذة لقيس عليها كل ما يلذ به الإنسان ولكن حرمت الخمر واقتضت ضرارة الناس بها البالغة في الفطام عنها حتى انتهى الأمر في الابتداء إلى كسر الدنان لحرم معها ما هو شعار أهل الشرب وهي الأوتار والزمير قطع وكان تحريمها من

حسن الوجه حسن الصوت ورونياء متصلا في النليات من رواية قتادة عن أنس والصواب الأول قاله الدارقطني ورواه ابن مردويه في التفسير من حديث علي بن أبي طالب وطرقه كلها ضعيفة (١) حديث أنه أشد أذنا للرجل الحسن الصوت بالقرآن من صاحب القينة إلى قينته تقدم في كتاب تلاوة القرآن (٢) حديث كان داود حسن الصوت في النباحة على نفسه وفي تلاوة الزبور الحديث لم أجده أصلا (٣) حديث لقد أوتي زممارا من زمامر آل داود قاله في مدح أبي موسى تقدم في تلاوة القرآن (٤) حديث المنع من الملهى والأوتار والزمير البخارى من حديث أبي عامر أو أبي مالك الأشعري ليسكونن في أمي أقوام يستحلون الخمر والحرير والمعارف عند البخارى صورة التعليق ولذلك ضعفه ابن حزم ووصله أبو داود والاسماعيلي والمعارف الملهى قاله الجوهري ولأحمد من حديث أبي أمامة إن الله أمرني أن أعق الزمير والسكبرات يعني البرابط والمعارف وله من حديث قيس بن سعد بن عباد إن ربي حرم على الخمر والكوبة والفنين وله في حديث لأبي أمامة باستعمالهم الخمر وضربهم بالدفوف وكلها ضعيفة ولأبي الشيخ من حديث مكحول مرسل الاستماع إلى الملهى معصية الحديث ولأبي داود من حديث ابن عمر سمع زممارا فوضع أصبعه على أذنيه قال أبو داود وهو منكبر .

القرب من الروح
الروحاني فصارت لها
فإذا تكونت النفس من
الروح الروحاني في عالم
القدرة كصوت
حواء من آدم في عالم
الحكمة فهذا التألف
والتماثل ونسبة
الأئمة والكورة من
هنا ظهر وبهذا
الطريق استطاعت
الروح الثقات لأنها
مراسلات بين
للمتأملين ومكاملة
بينهما وقد قال القائل :
تكلم منا في الوجود
عبوتنا
فتنحسرت سكوت والهوى
يشكم
فإذا استلذت الروح النعمة
وجدت النفس للملولة
بالهوى وتحركت بما
فيها لحدوث العارض
ووجد القلب للملول
بالإرادة وتحرك بما فيه
لوجود العارض في
الروح :
شربنا وأهرقنا على
الأرض جرة
وللأرض من كأس
السكرام نصيب

قبل الاتباع كاحرمت الخلوة بالأجنبية لأنها مقدمة الجماع وحرم النظر إلى الفخذ لاتصاله بالسواطين وحرم قليل الخمر وإن كان لا يسكر لأنه يدعو إلى السكر وما من حرام إلا وله حريم يطيف به وحكم الحرمة ينسحب على حريمه ليكون حمي للحرام ووقاية له وحظارا مانعا حوله كما قال صلى الله عليه وسلم « إن لكل ملك حمي وإن حمي الله محارمه (١) » فهي محرمة بما لتحریم الخمر ثلاث علل : إحداهما أنها تدعو إلى شرب الخمر فإن اللذة الحاصلة بها إنما تتم بالخمر ولمثل هذه العلة حرم قليل الخمر . الثانية أنها في حق قريب العهد بشرب الخمر تذكر مجالس الأنس بالشرب فهي سبب التذكر والتذكر سبب انبعاث الشوق وانبعاث الشوق إذا قوى فهو سبب الإقدام ولهذا العلة « نهى عن الابتذال في الزفت والحنتم والتغير (٢) » وهي الأواني التي كانت مخصوصة بها لفتى هذا أن مشاهدة صورتها تذكرها وهذه العلة تفارق الأولى إذ ليس فيها اعتبار لذة في التذكر إذ لا لذة في رؤية القنية وأواني الشرب لكن من حيث التذكر بها فإن كان السماع يذكر الشرب تذكر الشوق إلى الخمر عند من ألف ذلك مع الشرب فهو منهى عن السماع لحصول هذه العلة فيه . الثالثة الاجتماع عليها لما أن صار من عادة أهل الفسق فيخرج من التشبه بهم لأن من تشبه بقوم فهو منهم وبهذه العلة يقول بترك السنة مهما صارت شعارا لأهل البدعة خوفا من التشبه بهم وبهذه العلة يحرم ضرب الكوبة وهو طبل مستطيل دقيق الوسط واسع الطرفين وضربها عادة الخنثين ولولا ما فيه من التشبه لكان مثل طبل الحبيج والغزو وبهذه العلة يقولوا اجتماع جماعة وزينوا مجلسا وأحضروا آلات الشرب وأقداحه وصبوا فيها السكنجين ونصبوا ساقيا يدور عليهم ويسقيهم يأخذون من الساق ويشربون ويحيي بعضهم بعضا بكلماتهم المعتادة بينهم حرم ذلك عليهم وإن كان للشروب مباحا في نفسه لأن في هذا تشبها بأهل الفساد بل لهذا ينهى عن لبس القباء وعن ترك الشعر على الرأس قزعا في بلاد صار القباء فيها من لباس أهل الفساد ولا ينهى عن ذلك فيها وراء التهر لاعتقاد أهل الصلاح ذلك فيهم فبهذه العلة حرم الزمار العراقي والأوتار كلها كالعود والصنج والرباب والبربط وغيرها وماعدا ذلك فليس في معانها كشاهين الرعاة والحبيج وشاهين الطبالين وكالطبل والقضيب وكل آلة يستخرج منها صوت مستطاب موزون سوى ما يعتاده أهل الشرب لأن كل ذلك لا يتعلق بالخمر ولا يذكر بها ولا يشوق إليها ولا يوجب التشبه بأربابها فلم يكن في معانها فبقي على أصل الاباحة قياسا على أصوات الطيور وغيرها بل أقول سماع الأوتار ممن يضربها على غير وزن متناسب مستلذ حرام أيضا وبهذا يتبين أنه ليست العلة في تحریمها مجرد اللذة الطيبة بل القياس تحليل الطيبات كلها إلا ما في تحليله فساد قال الله تعالى - قل من حرم زينة الله التي أخرج لعباده والطيبات من الرزق - فهذه الأصوات لا تحرم من حيث إنها أصوات موزونة وإنما تحرم بعارض آخر كما سيأتي في العوارض المحرمة . الدرجة الثالثة : الموزون والمفهوم وهو الشعر وذلك لا يخرج إلا من حنجرة الإنسان فيقطع بإباحة ذلك لأنه ما زاد إلا كونه مفهوما والسلام المفهوم غير حرام والصوت الطيب الموزون غير حرام فإذا لم يحرم الآحاد فمن أين يحرم المجموع نعم ينظر فيما يفهم منه فإن كان فيه أمر محظور حرم شره ونظمه وحرم النطق به سواء كان بالألحان أو لم يكن والحلق فيه ما قاله الشافعي رحمه الله إذ قال الشعر كلام حسن وقبيح قبيح ومهما جاز إنشاد الشعر بغير صوت والألحان جاز إنشاده مع الألحان فإن أفراد المباحات إذا اجتمعت كان ذلك المجموع مباحا

ففسد للبطل أرض
لساء قلبه وقلب الحق
أرض لساء روحه
قال بالغ مبلغ الرجال
والتجوهر التجرد من
أعراض الأحوال خلع
نعل النفس والقلب
بالوادي المقدس
وفي مقعد صدق عند
ملك مقتدر استقر
وعرس وأحرق بنور
إليان أجرام الألحان
ولم تضع روحه إلى
مناغاة عاشقه لشغله
بمطالعة آثار محبوه
فالهامم المشتاق لا يسمعه
كشف ظلامه المشتاق
ومن هذا حاله لا يهركه
السماع رأسا وإذا
كانت الألحان لا تلحق
هذا الروح مع لطافة
مناجاتها وخفي لطف
مناغاتها كيف يلحقه
السماع بطريق فهم
المعاني وهو أكتشف
ومن يضعف عن حمل
لطيف الاشارات كيف
يتحمل ثقل أعباء
العبارات وأقرب من
هذا عبارة تقرب إلى :

(١) حديث إن لكل ملك حمي وإن حمي الله محارمه تقدم في كتاب الحلال والحرام .

(٢) حديث النهي عن الابتذال في الحنتم والزفت والتغير متفق عليه من حديث ابن عباس .

ومهما انضم مباح لم يحرم إلا إذا تضمن المجموع محظورا لا تضمنه الآحاد ولا محظور ههنا وكيف
يشكر إنشاد الشعر وقد أنشد بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم (١) وقال عليه السلام « إن
من الشعر لحكمة (٢) » وأنشدت عائشة رضي الله عنها :

ذهب الدين يماش في أكنافهم وبقيت في خلف كجلد الأجر

وروي في الصحيحين عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت « لما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم
الدينة وعك أبو بكر وبلال رضي الله عنهما وكان بها وباء قتلت يا أبت كيف تجددك وبابلال كيف
تجددك ؟ فكان أبو بكر رضي الله عنه إذا أخذته الحمى يقول :

كل امرئ مصيب في أهله والموت أدنى من شرك نعله

وكان بلال إذا أقلمت عنه الحمى رفع فقيرته ويقول :

ألا ليت شعري هل أيتن ليلة بواد وحولي إذخر وجليل

وهل أردن يوما مياه مجنة وهل يدون لي شامة وطفيل

قالت عائشة رضي الله عنها فأخبرت بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال « اللهم حبب إلينا
الدينة كحبنا مكة أو أشد (٣) » وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ينقل اللبن مع القوم في بناء المسجد
وهو يقول : هذا الحمال لأحمال خير هذا أبر ربنا وأظهر

وقال أيضا صلى الله عليه وسلم مرة أخرى :

لاهم إن العيش عيش الآخرة فارحم الأنصار والمهاجرة (٤)

(١) حديث إنشاد الشعر بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم متفق عليه من حديث أبي هريرة
أن عمر مرتبة بحسان وهو ينشد الشعر في المسجد فلحظ إليه فقال قد كنت أنشد وفيه من هو خير منك
الحديث ، وسلم من حديث عائشة إنشاد حسان :

هجوت محمدا فأجبت عنه وعند الله في ذاك الجزاء القصيدة

وإنشاد حسان أيضا :

وإن سنام المجد من آل هاشم بنو بنت مخزوم ووالدك العبد

وللبخاري إنشاد ابن رواحة :

وفينا رسول الله يسألو كتابه إذا انشق معروف من الفجر ساطع الأيات

(٢) حديث إن من الشعر لحكمة البخاري من حديث أبي بن كعب وتقدم في العلم

(٣) حديث عائشة في الصحيحين لما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة وعك أبو بكر وبلال

الحديث وفيه إنشاد أبي بكر :

كل امرئ مصيب في أهله والموت أدنى من شرك نعله

وإنشاد بلال : ألا ليت شعري هل أيتن ليلة بواد وحولي إذخر وجليل

وهل أردن يوما مياه مجنة وهل يدون لي شامة وطفيل

قلت : هو في الصحيحين كما ذكر المصنف لكن أصل الحديث والشعر عند البخاري فقط ليس عند

مسلم (٤) حديث كان صلى الله عليه وسلم ينقل اللبن مع القوم في بناء المسجد وهو يقول :

هذا الحمال لأحمال خير هذا أبر ربنا وأظهر

وقال صلى الله عليه وسلم مرة أخرى :

لاهم إن العيش عيش الآخرة فارحم الأنصار والمهاجرة

الأنفهام : الوجد وورد

يرد من الحق سبحانه

وتعالى ومن يريد الله

لا يفتح بما من عنده

ومن صار في محل القرب

متحققا لا يليه ولا

يحركه ما ورد من عند

الله فالوارد من عند

الله مشعر يمد

والقريب واجد في

يصنع بالوارد والوجد

نار والقلب للواجد

ربه نور والنور لطف

من النار والكثيف

غير مسيطر على

اللطيف فإدام الرجل

البالغ مستمرا على

جادة استقامته غير

منحرف عن وجه

معهوده بنوازع

وجوده لا يدركه الوجد

بالسمع فان دخل عليه

فتور أو عاقه قصور

بدخول الابتلاء عليه

من اللبى المحسن يتألف

الحسن من تفريق صور

الابتلاء أى يدخل

عليه وجود يدركه

الواجد لعود العبد

عند الابتلاء إلى حجاب

وهذه في الصحيحين وكان النبي صلى الله عليه وسلم « يضع لحسان منبرا في السجد يقوم عليه قائما يفاخر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أو ينافح ويقول رسول الله صلى الله عليه وسلم إن الله يؤيد حسان بروح القدس ما نافع أو فاخر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم » (١) ولما أنشده النابغة شعره قاله صلى الله عليه وسلم « لا يفضض الله فاك » (٢) وقالت عائشة رضي الله عنها « كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يتناشدون عنده الأشعار وهو يتبسم » (٣) وعن عمرو بن الشريد عن أبيه قال « أنشدت رسول الله صلى الله عليه وسلم مائة قافية من قول أمية بن أبي الصلت كل ذلك يقول هيه هيه ثم قال إن كاد في شعره ليسلم » (٤) وعن أنس رضي الله عنه « أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يحذيه في السفر وإن أنجشة كان يحذو بالنساء والبراء بن مالك كان يحذو بالرجال فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا أنجشة رويدك سوك بالهوارير » (٥) ولم يزل الحذاء وراء الجمال من عادة العرب في زمان رسول الله صلى الله عليه وسلم وزمان الصحابة رضي الله عنهم وما هو إلا أشعار تؤدي بأصوات طيبة وألحان موزونة ولم ينقل عن أحد من الصحابة إنكاره بل ربما كانوا يلتمسون ذلك تارة لتحريك الجمال وتارة للاستلذاذ فلا يجوز أن يحرم من حيث إنه كلام مفهوم مستلذ مؤدى

قال للصف والبيتان في الصحيحين . قلت البيت الأول انفرد به البخاري في قصة الهجرة من رواية عروة مرسلا وفيه البيت الثاني أيضا إلا أنه قال الأجر بدل العيش تمثل بشعر رجل من المسلمين لم يسم إلى قال ابن شهاب ولم يبلغنا في الأحاديث أن رسول الله صلى الله عليه وسلم تمثل بيت شعر تام غير هذا البيت والبيت الثاني في الصحيحين من حديث أنس يرتجزون ورسول الله صلى الله عليه وسلم معهم يقولون :

اللهم لا خير إلا خير الآخرة فانصر الأنصار وللهاجرة

وليس البيت الثاني موزونا وفي الصحيحين أيضا أنه قال في حفر الخندق بلفظ : فبارك في الأنصار والهاجرة . وفي رواية فاغفروني رواية لمسلم فأكرم ولهما من حديث سهل بن سعد فاغفر للمهاجرين والأنصار (١) حديث كان يضع لحسان منبرا في السجد يقوم عليه قائما يفاخر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أو ينافح الحديث البخاري تطبيقا وأبو داود والترمذي والحاكم متصلا من حديث عائشة قال الترمذي حسن صحيح وقال الحاكم صحيح الإسناد وفي الصحيحين أنها قالت إنه كان ينافح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم (٢) حديث أنه قال للنابغة لما أنشده شعرا لا يفضض الله فاك البغوي في معجم الصحابة وابن عبد البر في الاستيعاب بأسناد ضعيف من حديث النابغة واسمه قيس بن عبد الله قال أنشدت النبي ﷺ : بلغنا السماء مجدنا وجدودنا وإنا لترجو فوق ذلك مظهرا الآيات وزواه البرار بلفظ : علونا العباد عفة ونكرما . الآيات وفيه فقال أحسنت يا أبا ليلى لا يفضض الله فاك وللحاكم من حديث خزيمة بن أوس سمعت العباس يقول يا رسول الله إني أريد أن أمتدحك فقال قل لا يفضض الله فاك فقال العباس :

من قبلها طبت في الظلال وفي مستودع حيث يخصف الورق الآيات

(٣) حديث عائشة كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يتناشدون الأشعار وهو يتبسم الترمذي من حديث جابر بن سمرة وصححه ولم أقف عليه من حديث عائشة (٤) حديث الشريد أنشدت النبي صلى الله عليه وسلم مائة قافية من قول أمية بن أبي الصلت كل ذلك يقول هيه هيه الحديث رواه مسلم (٥) حديث أنس كان يحذيه في السفر وإن أنجشة كان يحذو بالنساء وكان البراء بن مالك يحذو بالرجال الحديث أبو داود والطبراني واتفق الشيخان منه على قصة أنجشة دون ذكر البراء بن مالك

القلب فمن هومع الحق إذا زل وقع على القلب ومن هومع القلب إذا زل وقع على النفس سمعت بعض مشايخنا يحكي عن بعضهم أنه وجد من السماع قهيل له أين حالك من هذا فقال دخل على داخل أوردني هذا المورّد . قال بعض أصحاب سهل صحبت سهلا سنين مارأيت تغيّر عند شيء كان يسمعه من الذكر والقرآن فلما كان في آخر عمره قرئ عنده - فالיום لا يؤخذ منك فدية - فارتعد وكاد يسقط فستاك عن ذلك قال نعم لحقني ضعف وسمع مرت الملك يومئذ الحق للرحمن - فاضطرب فسأله ابن سالم وكان صاحبه قال قد ضعف قهيل له إن كان هذا من الضعف فما القوة قال القوة أن الكامل لا يرد عليه وارد إلا

بأصوات طيبة وألحان موزونة . الدرجة الزاوية : النظر فيه من حيث إنه محرك للقلب ومهييج لما هو الغالب عليه فأقول قد تعالى سر في مناسبة بالنغمات للوزونة للأرواح حتى إنها تؤثر فيها تأثيرا عجيبا فمن الأصوات ما يفرح ومنها ما يحزن ومنها ما ينوم ومنها ما يضحك ويضطرب ومنها ما يستخرج من الأعضاء حركات على وزنها باليد والرجل والرأس ولا ينبغي أن يظن أن ذلك لفهم معاني الشعر بل هذا جار في الأوتار حتى قبل من لم يحركه الريح وأزهاره والعود وأوتاره فهو فاسد المزاج ليس له علاج وكيف يكون ذلك لفهم المعنى وتأثيره مشاهد في الصبي في مهله فانه يسكته الصوت الطيب عن بكائه وتصرف نفسه عما يكره إلى الانصاف إلى العواجل مع بلادة طبعه يتأثر بالحداء تأثرا يستخف معه الأحمال الثقيلة ويستتفرق لقوة نشاطه في معاهه للسافات الطويلة ويثبت فيه من النشاط ما يسكره ويولفه قترها إذا طالت عليها البوادي واعتراها الإعياء والكلال تحت الهابل والأحمال إذا سمعت منادي الحداء تمد أعناقها وتضفي إلى الحادي ناصبة آذانها وتسرع في سيرها حتى تنزعزع عليها أحمالها وعاملها وربما تلف نفسها من شدة السير وتقل الجمل وهي لا تشعر به لنشاطها فقد حكى أبو بكر محمد بن داود الدينوري للعروف بالرقى رضي الله عنه قال كنت بالبادية فوافيت قبيلة من قبائل العرب فأضافني رجل منهم وأدخلني خبائه فرأيت في الخباء عبدا أسود مقيدا بقيد ورأيت جمالا قد ماتت بين يدي البيت وقد بقى منها جمل وهو نازل ذابل كأنه ينزع روحه فقال لي القلام أنت ضيف ولك حق فتشفع في إلى مولاي فانه مكرم لضيفه فلا يرد شفاعتك في هذا القدر فساه محل القيد عنى قال فلما أحضروا الطعام امتنعت وقلت لا آكل ما لم أشفع في هذا العبد فقال إن هذا العبد قد أقررتني وأهلك جميع مالي فقلت ماذا فعل فقال إن له صوتا طيبا وإن كنت أعيبني من ظهور هذه الجمال فحملها أحمالا ثقلا وكان يحمدو بها حتى قطعت مسيرة ثلاثة أيام في ليلة واحدة من طيب نغمته فلما حطت أحمالها ماتت كلها إلا هذا الجمل الواحد ولكن أنت ضيفي فلكرامتك قد وهبته لك قال فأجبت أن أسمع صوته فلما أصبحنا أمره أن يحمدو على جمل يستقي للماء من بئر هناك فلما رفع صوته هام ذلك الجمل وقطع حباله ووقفت أنا على وجهي لما أظن أنني سمعت قطصوتا أطيب منه فاذن تأثير السماع في القلب عسوس ومن لم يحركه السماع فهو ناقص مائل عن الاعتدال بعيد عن الروحانية زائد في غلظ الطبع وكثافته على الجمال والطيور بل على جميع البهائم فإن جميعها تتأثر بالنغمات الموزونة ولذلك كانت الطيور تقف على رأس داود عليه السلام لاستماع صوته ومهما كان النظر في السماع باعتبار تأثيره في القلب لم يجز أن يحكم فيه مطلقا بإباحة ولا تحريم بل يختلف ذلك بالأحوال والأشخاص واختلاف طرق النغمات فحكم ما في القلب قال أبو سليمان السماع لا يجعل في القلب ما ليس فيه ولكن يحرك ماهو فيه فالترنم بالكلمات المسجدة للوزونة معتاد في مواضع لأغراض مخصوصة ترتبط بها آثار في القلب وهي سبعة مواضع . الأول : غناء الحجيج فانهم أولا يدورون في البلاد بالطلب والشاهين والفتاء وذلك مباح لأنها أشعار نظمت في وصف الكعبة والقام والحطيم وزمزم وسائر للشاعر ووصف البادية وغيرها وأثر ذلك بهيج الشوق إلى حج بيت الله تعالى واشتعال نيرائه إن كان ثم شوق حاصل أو استتارة الشوق واجتلابه إن لم يكن حاصلًا وإذا كان الحج قربة والشوق إليه محمودا كان التشويق إليه بكل ما يشوق محمودا وكما يجوز للواعظ أن ينظم كلامه في الوعظ ويؤثره بالسجع ويشوق الناس إلى الحج بوصف البيت والمشاعر ووصف الثواب عليه جاز لغيره ذلك على تقم الشعر فإن الوزن إذا انضاف إلى السجع صار الكلام أوقع في القلب فإذا أضيف إليه صوت طيب ونغمات موزونة زاد وقته فإن أضيف إليه الطبل والشاهين وحركات الإيقاع زاد التأثير وكل ذلك جائز ما لم

يقتله بقوة حاله فلا يضره الوارد . ومن هذا القبيل قول أبي بكر رضي الله عنه هكذا كنا حتى قست القلوب لما رأى الباكي يسكي عند قراءة القرآن وقوله قست أي تصلبت وأدمنت مماع القرآن وأقمت أنواره لما استغربه حتى تغير والواجد كالمتغرب ولهذا قال بعضهم حالي قبل الصلاة كحالي في الصلاة إشارة منه إلى استمرار حال الشهود فكذا في السماع كقبل السماع . وقد قال الجنيذ لا يضر نقصان الوجد مع فضل العلم وفضل العلم أهم من فضل الوجد . وبلغنا عن الشيخ حماد رحمه الله أنه كان يقول البكاء من بقية الوجود وكل هذا يقرب البعض من البعض في المعنى لمن عرف الإشارة فيه وفهم وهو عزيز الفهم عزيز الوجود . واعلم أن

يدخل فيه الزامير والأوتار التي من شعار الأشرار ، نعم إن قصده تشويق من لا يجوز له الخروج إلى الحج كالذي أسقط الفرض عن نفسه ولم يأذن له أبواه في الخروج فهذا يحرم عليه الخروج فيحرم تشويقه إلى الحج بالسماع وبكل كلام يشوق إلى الخروج فإن التشويق إلى الحرام حرام وكذلك إن كانت الطريق غير آمنة وكان الهلاك غالباً لم يجز تحريك القلوب ومعالجتها بالتشويق . الثاني : ما يستأبه الغزاة لتحريض الناس على الغزو وذلك أيضاً مباح كما للحاج ولكن ينبغي أن تخالف أشرارهم وطرق ألعانهم أشرار الحاج وطرق ألعانهم لأن استئارة داعية الغزو بالتشجيع وتحريك الفيتز والفضب فيه على الكفار وتحسين الشجاعة واستحقار النفس والمال بالإضافة إليه بالأشعار للشجعة مثل قول للتنبؤ :

فان لا نعت تحت السيوف مكرماً نمت وتقاس القتل غير مكرم
وقوله أيضاً :

يرى الجبناء أن الجبن حزم وتلك خديعة الطبع الثيم

وأمثال ذلك وطرق الأوزان للشجعة تخالف الطرق المشوقة وهذا أيضاً مباح في وقت يباح فيه الغزو ومندوب إليه في وقت يستحب فيه الغزو ولكن في حق من يجوز له الخروج إلى الغزو . الثالث : الرجزيات التي يستعملها الشجعان في وقت اللقاء والفرض منها التشجيع للنفس وللافتار وتحريك النشاط فيهم للقتال وفيه التمدح بالشجاعة والنجدة وذلك إذا كان بلفظ زشيق وصوت طيب كان أوقع في النفس وذلك مباح في كل قتال مباح ومندوب في كل قتال مندوب ومحظور في قتال المسلمين وأهل الدمة وكل قتال محظور لأن تحريك الدواعي إلى المظهور محظور وذلك منقول عن شعبان الصحابة رضي الله عنهم كملى وخالد رضي الله عنهما وغيرها ولذلك تقول ينبغي أن يمنع من الضرب بالشاهين في معسكر الغزاة فإن صوته مرقق يحزن محل عقد الشجاعة ويضعف صرامة النفس ويشوق إلى الأهل والوطن ويورث الفتور في القتال وكذا سائر الأصوات والألحان الرقيقة للقلب فالألحان للرقعة المهرنة تبين الألحان المهرنة للشجعة فمن فعل ذلك على قصد تغيير القلوب وتغيير الآراء عن القتال الواجب فهو عاص ومن فعله على قصد التفتير عن القتال المحظور فهو ذاك مطيع . الرابع : أصوات النياحة ونهاتها وتأثيرها في تهيج الحزن والبكاء وملازمة الكابة والحزن فسمان : محمود ومذموم فأما للمذموم فكالحزن على ما فات الله تعالى - لكيلا تأسوا على ما فاتكم - والحزن على الأموات من هذا القبيل فإنه تسخط قضاء الله تعالى وتأسف على ما لا تدارك له فهذا الحزن لما كان مذموماً تحريكه بالنياحة مذموماً فلذلك ورد النهي الصريح عن النياحة (١) وأما الحزن المحمود فهو حزن الإنسان على قصيره في أمر دينه ، وبكائه على خطاياهم والبكاء والتباكى والحزن والتحازن على ذلك محمود وعليه بكاء آدم عليه السلام وتحريك هذا الحزن وتقويته محمود لأنه يبعث على التشمير للتدارك ولذلك كانت نياحة داود عليه السلام محموداً إذ كان ذلك مع دوام الحزن وطول البكاء بسبب الخطايا والذنوب فقد كان عليه السلام يبكي ويبكي ويحزن حتى كانت الجنائز ترفع من مجالس نياحته وكان يفعل ذلك بألفاظه وألحانه وذلك محمود لأن القضي إلى المحمود محمود وعلى هذا لا يحرم على الواعظ الطيب الصوت أن ينشد على المنبر بألحانه الأشعار المهرنة الرقيقة للقلب ولا أن يبكي ويتباكى ليتوصل به إلى تبكية غيره وإثارة حزنه . الخامس : السماع في أوقات السرور تأكيداً للسرور وتهيجاً له وهو مباح إن كان ذلك السرور مباحاً كالثناء في أيام العيد (١) حديث النهي عن النياحة متفق عليه من حديث أم عطية أخذ علينا النبي صلى الله عليه وسلم في البيعة أن لا نتوح .

لما يكن عند السماع
مواجيد مختلفة فمنهم
من يبكي خوفاً ومنهم
من يبكي شوقاً ومنهم
من يبكي فرحاً كما قال
القائل :

طمع السرور على حق إنني
من عظم ما قد سرتني أبكاني
قال الشيخ أبو بكر
الكتاني رحمه الله
سماع العوام على
متابعة الطمع وسماع
للريدين رغبة ورهبة
وسماع الأولياء رؤية
الآلاء والنعاء وسماع
العارفين على المشاهدة
وسماع أهل الحقيقة على
الكشف والبيان
ولكل واحد من
هؤلاء مصدر ومقام .
وقال أيضاً للوارد ترد
تصادف شكلاً أو
مواقفاً يوارد صادف
شكلاً مازجه وأي
وارد صادف موقفاً
ساكنه وهنم كلها
مواجيد أهل السماع
وما ذكرناه حال من

وفي العرس وفي وقت قدوم الغائب وفي وقت الوليمة والعقيقة وعند ولادة المولود وعند ختانه وعند حفظه القرآن العزيز وكل ذلك مباح لأجل إظهار السرور به ووجه جوازه أن من الألحان ما يثير الفرح والسرور والطرب فكل ما جاز السرور به جاز إثارة السرور فيه وبذلك على هذا من النقل إنشاد النساء على السطوح بالدف والألحان عند قدوم رسول الله صلى الله عليه وسلم (١) :

طلع البدر علينا من ثنيات الوداع وجب الشكر علينا ما دعا لله داع

فهذا إظهار السرور لقدمه صلى الله عليه وسلم وهو سرور محمود فإظهاره بالشعر والنفثات والرقص والحركات أيضا محمود فقد نقل عن جماعة من الصحابة رضي الله عنهم أنهم جعلوا في سرور أصابهم (٢) كما سيأتي في أحكام الرقص وهو جائز في قدوم كل قادم يجوز الفرح به وفي كل سبب مباح من أسباب السرور وبذلك على هذا ما روى في الصحيحين عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت « لقد رأيت النبي صلى الله عليه وسلم يسترن بردائه وأنا أنظر إلى الحبشة يلعبون في السجد حتى أكون أنا الذي أسأله (٣) » فاقدر واقدر الجارية الحديثة السن الحريصة على الإبهو إشارة إلى طول مدة وقوفها. وروى البخاري ومسلم أيضا في صحيحهما حديث عقيل عن الزهري عن عروة عن عائشة رضي الله عنها « أن أبا بكر رضي الله عنه دخل عليها وعندها جاريان في أيام مني تدفنان وتضربان والنبي صلى الله عليه وسلم متغشى بثوبه فاتهرها أبو بكر رضي الله عنه فكشف النبي صلى الله عليه وسلم عن وجهه وقال : دعهما يا أبا بكر فاتهما أيام عيد » وقالت عائشة رضي الله عنها « رأيت النبي صلى الله عليه وسلم يسترن بردائه وأنا أنظر إلى الحبشة وهم يلعبون في السجد فزجرهم عمر رضي الله عنه فقال النبي صلى الله عليه وسلم : أمنا يابني أرفدة (٤) » يعني من الأمن ومن حديث عمرو بن الحرث عن ابن شهاب نحوه وفيه تقيان وتضربان (٥) وفي حديث أبي طاهر عن ابن وهب والله لقد رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقوم على باب حجرني والحبشة يلعبون بحراهم في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يسترن بثوبه أو بردائه لكي أنظر إلى لعبهم ثم يقوم من أجلي حتى أكون أنا الذي أنصرف (٦) »

(١) حديث إنشاد النساء عند قدوم رسول الله صلى الله عليه وسلم :

طلع البدر علينا من ثنيات الوداع وجب الشكر علينا ما دعا لله داع

البقي في دلائل النبوة من حديث عائشة مضافا وليس فيه ذكر للدف والألحان (٢) حديث جعل جماعة من الصحابة في سرور أصابهم أبو داود من حديث علي وسيأتي في الباب الثاني (٣) حديث عائشة رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يسترن بردائه وأنا أنظر إلى الحبشة يلعبون في السجد الحديث هو كما ذكره للصف أيضا في الصحيحين لكن قوله إنه فيها من رواية عقيل عن الزهري ليس كما ذكر بل هو عند البخاري كما ذكر وعند مسلم من رواية عمرو بن الحرث عنه (٤) حديث عائشة رأيت النبي صلى الله عليه وسلم يسترن بثوبه وأنا أنظر إلى الحبشة وهم يلعبون في السجد فزجرهم عمر فقال النبي صلى الله عليه وسلم : أمنا يابني أرفدة تقدم قبله بحديث دون زجر عمر لم إلى آخره فرواه مسلم من حديث أبي هريرة دون قوله أمنا يابني أرفدة بل قال دعهم يا عمر زاد النساء فأنما هم بنو أرفدة ولها من حديث عائشة دونكم يابني أرفدة وقد ذكره الصف بهذا (٥) حديث عمرو بن الحارث عن ابن شهاب نحوه وفيه بخنيان ويضربان رواه مسلم وهو عند البخاري من رواية الأوزاعي عن ابن شهاب (٦) حديث أبي طاهر عن ابن وهب والله لقد رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقوم على باب حجرني والحبشة يلعبون بحراهم الحديث رواه مسلم أيضا .

ارتفع عن السماع وهذا الاختلاف منزل على اختلاف أقسام البكاء التي ذكرناها من الحرف والتشويق والفرح وأغلاها بكاء الفرح بمثابة قادم يقدم على أهله بعد طول غيبته فصدر رؤية الأهل يسكن من قوة الفرح وكثرته وفي البكاء رتبة أخرى أعز من هذه يزد ذكرها ويكثر فترها لقصور الافهام عن إدراكها فربما يقابل ذكرها بالانكار وغنى بالاستكبار ولكن يرفعها من وجدها قدما ووصولا أو فهمها نظرا كثيرا ومثولا وهو بكاء الوجدان غير بكاء الفرح وحدث ذلك في بعض مواطن حق اليقين ومن حق اليقين في الدنيا وإمامات يسيرة فيوجد البكاء في بعض مواطنه

وروى عن عائشة رضي الله عنها قالت كنت ألعب بالبنات عند رسول الله صلى الله عليه وسلم قالت وكان يأتيني صواحب لي فكنن يتقمن من رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يسير لحيثن إلى قلعين معي (١) وفي رواية أن النبي ﷺ قال لها يوما « ما هذا قالت تأتي قال لها هذا الذي أرى في وسطهن قالت فرس قال ما هذا الذي ألقى قالت جناحان قال فرس له جناحان قالت أو ما سمعت أنه كان لسلیمان بن داود عليه السلام خيل لها أجنحة قالت فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى بدت نواجذه » والحديث محمول عندنا على عادة الصبيان في اتخاذ الصور ومن الخنزف والرقاع من غير تكيل صورته بدليل ما روى في بعض الروايات أن الفرس كان له جناحان من رفاع وقالت عائشة رضي الله عنها « دخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم وعندي جاريان تغنيان بفناء بسات فاضطجع على الفراش وخول وجهه فدخل أبو بكر رضي الله عنه فاتهرني وقال مزمار الشيطان عند رسول الله ﷺ فأقبل عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال : دعهما فلما غفل غمزتهما فخرجا (٢) » وكان يوم عيد يلعب فيه السودان بالدرق والحراب فلما سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم وإما قال تشتهين تنظرين قلت نعم فأقامني وراءه وخذني على خده ويقول دونكم يا بني أرفدة حتى إذا مللت قال حسبك قلت نعم قال فاذهبي . وفي صحيح مسلم فوضعت رأسي على منكبيه فجعلت أنظر إلى لبيهم حتى كنت أنا الذي انصرفت فهذه الأحاديث كلها في الصحيحين وهو نص صريح في أن الفناء واللعب ليس بحرام وفيها دلالة على أنواع الرخص . الأول : اللعب ولا يخفى عادة الحبشة في الرقص واللعب . والثاني فعل ذلك في المسجد . والثالث قوله صلى الله عليه وسلم « دونكم يا بني أرفدة » وهذا أمر باللعب والخماس له فكيف بقدر كونه حرما . والرابع منه لأبي بكر وعمر رضي الله عنهما عن الإنكار والتخير وتعليقه بأنه يوم عيادي هو وقت سرور وهذا من أسباب السرور . والخامس : وقوفه طويلا في مشاهدة ذلك وسماعه لمواقفة عائشة رضي الله عنها وفيه دليل على أن حسن الخلق في تطيب قلوب النساء والصبيان بمشاهدة اللعب أحسن من خشونة الزهد والتعفف في الامتناع والنعمة منه . والسادس : قوله صلى الله عليه وسلم ابتداء لماتشة « أتشتهين أن تنظري » ولم يكن ذلك عن اضطرار إلى مساعدة الأهل خوفا من غضب أو وحشة فإن الالتباس إذا سبق ربما كان الرد سبب وحشة وهو محذور فيقدم محذور على محذور فأما ابتداء السؤال فلا حاجة فيه . والسابع : الرخصة في الفناء والضرب بالدف من الجاريتين مع أنه شبه ذلك بمزمار الشيطان وفيه بيان أن الزمار المحرم غير ذلك . والثامن أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يفرع صوته الجاريتين وهو مضطجع ولو كان يضرب بالأوتار في موضع لا يجوز الجلوس ثم تفرع صوت الأوتار معه فبدل هذا على أن صوت النساء غير محرم صوت للزمار بل إنما يحرم عند خوف الفتنة فهذه القاييس والنصوص تدل على إباحة الفناء والرقص والضرب بالدف واللعب بالدرق والحراب والنظر إلى رقص الحبشة والزنج في أوقات السرور كلها قياسا على يوم العيد فإنه وقت سرور وفي معناه يوم العرس والوليمة والعقيقة والختان ويوم القدوم من السفر

(١) حديث عائشة كنت ألعب بالبنات عند رسول الله صلى الله عليه وسلم الحديث وهو في الصحيحين كما ذكره المصنف لكن مختصرا إلى قولها فيلعبن معي . وأما الرواية المطولة التي ذكرها المصنف بقوله وفي رواية فليست من الصحيحين إنما رواها أبو داود بإسناد صحيح (٢) حديث عائشة دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم وعندي جاريان تغنيان بفناء بسات الحديث هو في الصحيحين كما ذكره المصنف والرواية التي عزاها لمسلم انفرد بها مسلم كما ذكر .

أوجود تقاير وتباين بين المحدث والتقدم فيكون البكاء رثعا هو من وصف الجذعان لوهج سطوة عظمة الرحمن ويقرب من ذلك مثلا في الشاهد قطر الغمام بتلاقى مختلف الأجرام وهذا وإن عز مشعر يقيته تقدر في صرف الفناء ، ثم قد يتحقق العبد في الفناء متجردا عن الآثار منعسا في الأنوار ثم يرتقي منه إلى مقام البقاء ويرد إليه الوجود مطهرا فتعود إليه أقسام البكاء خوفا وشوقا وفرحا وجدانا بمشكلة صورها ومباينة حقائقها بفرق لطيف يدركه أربابه وعند ذلك يسود عليه من السماع أيضا قسم وذلك القسم مقدوره مقهور معه يأخذه إذا أراد ويرده إذا أراد ويعكون هذا السماع من

وصائر أسباب الفرح وهو كل ما يجوز به الفرح شرعا ويجوز الفرح بزيارة الاخوان ولقائهم واجتماعهم في موضع واحد على طعام أو كلام فهو أيضا مظنة السماع . السادس : سماع العشاق تحريكاً للشوق وتهيجاً للعشق وتسلياً للنفس فإن كان في مشاهدة الممشوق فالغرض تأكيد اللذة وإن كان مع المفارقة فالغرض تهيج الشوق والشوق وإن كان ألماً فبقي نوع لذة إذا انضاف إليه رجاء الوصال فإن الرجاء لذيذ والياس مؤلم وقوة لذة الرجاء بحسب قوة الشوق والحب لشيء للرجو ففي هذا السماع تهيج العشق وتحريك الشوق وتحصيل لذة الرجاء القدر في الوصال مع الاطئاب في وصف حسن المحبوب وهذا حلال وإن كان للشقاق إليه عن ياح وصاله كن يشق زوجته أو سرته فيصنئ إلى غنائها لتضاعف لذة في لقائها فيحظى بالمشاهدة البصر والسماع الأذن ويفهم لطائف معاني الوصال والفراق القلب فتترادف أسباب اللذة فهذه أنواع تمتع من جملة مباحات الله تعالى ومناعتها وما الحياة إلا لهو ولعب وهذا من ذلك إن غضبت منه جارية أو حيل بينه وبينها بسبب من الأسباب فله أن يحرك بالسماع عوقه وأن يستتير به لذة رجاء الوصال فإن باعها أو طلقها حرم عليه ذلك بعده إذ لا يجوز تحريك الشوق حيث لا يجوز تحقيقه بالوصال واللقاء وأما من يمثل في نفسه صورة صبي أو امرأة لا يحل له النظر إليها وكان ينزل ما يسمع على ما تمثل في نفسه فهذا حرام لأنه يحرك الفكر في الأفهام المحظورة ومهيج للداعية إلى ما لا يباح الوصول إليه وأكثر العشاق والسفهاء من الشباب في وقت هيجان الشهوة لا يفكرون عن إضار شيء من ذلك وذلك ممنوع في فهم لما فيه من الداء الدفين لا الأمر يرجع إلى نفس السماع ولذلك سئل حكيم عن العشق فقال دخان يصعد إلى دماغ الانسان يزيله الجماع ويهيج السماع . السابع : سماع من أحب الله وعشقه واشتاق إلى لقائه فلا ينظر إلى شيء إلا أراه فيه سبحانه ولا يقرع سمعه قارع إلا سمع منه أوفيه فالسماع في حقه تهيج لشوقه ومؤكده لعشقه ووجه ومور زناد قلبه ومستخرج منه أحوالاً من الكشافات والملاطفات لا يحيط الوصف بها يرقها من ذاقها وينكرها من كل حسه عن ذوقها وتسمى تلك الأحوال بلسان الصوفية وجداً مأخوذاً من الوجود والصادقة أي صادف من نفسه أحوالاً لم يكن صادفها قبل السماع ثم تكون تلك الأحوال أسباباً لروادف وتوابع لها تحرق القلب بنيرانها وتقيمه من الكدورات كما تنقي النار الجواهر المعروضة عليها من الحب ثم يتبع الصفاء الحاصل به مشاهدات ومكاشفات وهي غاية مطالب المحبين لله تعالى ونهاية ثمرات القربات كلها فالغرض إليها من جملة الكربات لا من جملة المعاصي والمباحات وحصول هذه الأحوال للقلب بالسماع سببه سر الله تعالى في مناسبة النفقات الوزنة للأرواح وتسخير الأرواح لها وتأثيرها بها شوقاً وفرحاً وحزناً وانبطاطاً وانقباضاً ومعرفة السبب في تأثير الأرواح بالأصوات من دقائق علوم الكشافات والبلد الجامد القاسي القلب المحروم عن لذة السماع يتعجب من التذاذب المستمع ووجده واضطراب حاله وتغير لونه تعجب البهيمة من لذة اللوزينج وتعجب العنبر من لذة الباشرة وتعجب الصبي من لذة الرياضة واتساع أسباب الجلاء وتعجب الجاهل من لذة معرفة الله تعالى ومعرفة جلاله وعظمته وعجائب صنعه ولكل ذلك سبب واحد وهو أن اللذة نوع إدراك والادراك يستدعي مدركاً ويستدعي قوة مدركة فمن لم تكمل قوة إدراكه لم يتصور منه التلذذ فكيف يدرك لذة الطعوم من فقد الذوق وكيف يدرك لذة الألحان من فقد السمع ولذة العقولات من فقد العقل وكذلك ذوق السماع بالقلب بعد وصول الصوت إلى السمع يدرك بحاسة باطنة في القلب فمن قدها عديم لا محالة لذته ولملك تقول كيف يتصور العشق في حق الله تعالى حتى يكون السماع محرراً له . فاعلم أن من عرف الله أحبه لا محالة ومن تأكدت معرفته تأكدت محبته بقدر تأكد معرفته والمحبة إذا تأكدت سميت عشقاً فلا معنى للعشق إلا محبة مؤكدة مفردة ولذلك قالت العرب إن محمداً قد عشق ربّه لما رأوه يتخلى

للممكن بنفس الطمأنينة واستنارت وباينت طبعها واستكسبت طمأنينتها وأكسبها الروح معنى منه فيكون سماعه نوع تمتع للنفس كتمتعها بمباحات اللذات والشهوات لأن يأخذ السماع منه أو يزيد به أو يظهر عليه منه أثر فتكون النفس في ذلك بمثابة الطفل في حجر الوالد يفرحه في بعض الأوقات بعض ما يراه ومن هذا القبيل ما قل أن أبا محمد الرازي كان يشغل أصحابه بالسماع وينزل عنهم ناحية يصلي وقد تطرق هذه النفقات مثل هذا الصلي فتدلى إليها النفس متمتعة بذلك فترداد مورد الروح من الأنس صفاء عند ذلك ليعد النفس عن الروح في تمتعها فاتها مع طمأنينتها بوصف من الأجنبية بوضعها وجلبتها في بعدها توفر

للعادة في جبل حراء . واعلم أن كل جمال محبوب عند مدرك ذلك الجمال والله تعالى جميل يحب الجمال ولكن الجمال إن كان يتناسب الخلقة وصفاء اللون أدرك بحاسة البصر وإن كان الجمال بالجلال والعظمة وعلو الرتبة وحسن الصفات والأخلاق وإرافة الخيرات لكافة الخلق وإفاضتها عليهم على الدوام إلى غير ذلك من الصفات الباطنة أدرك بحاسة القلب ولفظ الجمال قد يستعار أيضا لها فيقال إن فلانا حسن وجميل ولا تراد صورته وإنما يعني به أنه جميل الأخلاق محمود الصفات حسن السيرة حتى قد يحب الرجل بهذه الصفات الباطنة استحسانا لها كما يحب الصورة الظاهرة وقد تأكد هذه المحبة فتسمى عشقا وكم من الفلاة في حب أبواب المذاهب كالشافعي ومالك وأبي حنيفة رضى الله عنهم حتى يذلوا أموالهم وأرواحهم في نصرتهم وموالاتهم ويزيدوا على كل عاشق في الغلو والمبالغة ومن المعبود أن يعقل عشق شخص لم تشاهد قط صورته أجميل هو أم قبيح وهو الآن ميت ولكن لجمال صورته الباطنة وسيرته للرضية والخيرات الحاصلة من عمله لأهل الدين وغير ذلك من الحاصل ثم لا يعقل عشق من ترى الخيرات منه بل على التحقيق من لاخير ولا جمال ولا محبوب في العالم إلا وهو حسنة من حسناته وأثر من آثار كرمه وغرفة من بحر جوده بل كل حسن وجمال في العالم أدرك بالقول والأبصار والسمع وسانير الحواس من مبتدا العالم إلى منقرضه ومن ذروة التريا إلى منتهى الترى فهو ذرة من خزائن قدرته ولمحة من أنوار حضرة فليت شعري كيف لا يعقل حب من هذا وصفه وكيف لا يتأكد عند العارفين بأوصافه حبه حتى يجاوز حدا يكون إطلاق اسم المشق عليه ظلمًا في حقه لقصوره عن الأنباء عن فرط محبته فسبحان من احتجب عن الظهور بشدة ظهوره واستتر عن الأبصار بإشراق نوره ولولا احتجابه بسبعين حجابا من نوره لأحرقت سبحات وجهه أبصار الملاحظين لجمال حضرة ولولا أن ظهوره بسبب خفائه لبهت العقول ودهشت القلوب وتخاذلت القوى وتافرت الأعضاء ولوركت القلوب من الحجارة والحديد لأصبحت تحت مبادئ أنوار تجليه دكا دكا فأتى تطبيق كنه نور الشمس أبصار الخفافيش وسيأتى تحقيق هذه الإشارة في كتاب المحبة ويتضح أن محبة غير الله تعالى تصور وجهه بل للتحقق بالمعرفة لا يعرف غير الله تعالى إذ ليس في الوجود تحقيقا إلا الله وأفعاله ومن عرف الأنفال من حيث إنها أفعال لم يجاوز معرفة الفاعل إلى غيره فمن عرف الشافعي مثلاً رحمه الله وعلمه وتصنيفه من حيث إنه تصنيفه لا من حيث إنه يفاض وجلد وجبر وورق وكلام منظوم ولغة عربية فلقد عرفه ولم يجاوز معرفة الشافعي إلى غيره ولا جاوزت محبته إلى غيره فكل موجود سوى الله تعالى فهو تصنيف الله تعالى وفعله وبديع أفعاله فمن عرفها من حيث هي صنع الله تعالى فرأى من الصنع صفات الصانع كما يرى من حسن التصنيف فضل المصنف وجلالة قدره كانت معرفته ومحبة مقصورة على الله تعالى غير مجاوزة إلى سواء ومن حد هذا المشق أنه لا يقبل الشراكة وكل ماسوى هذا المشق فهو قابل للشراكة إذ كل محبوب سواء يتصور له نظير إما في الوجود وإما في الامكان فأما هذا الجمال فلا يتصور له ثان لا في الامكان ولا في الوجود فكان اسم المشق على حب غيره مجازا محضاً لا حقيقة ، نعم الناقص القريب في نقصانه من البهيمة قد لا يدرك من لقطة المشق إلا طلب الوصال الذي هو عبارة عن تماس ظواهر الأجسام وقضاء شهوة الواقع فثل هذا الحمار ينبغي أن لا يستعمل معه لقطة المشق والشوق والوصال والأنس بل يجب هذه الألفاظ والمعاني كما تجنب البهيمة الرجس والريحان وتخصم بالقت والحشيش وأوراق القضاة فان الألفاظ إنما يجوز إطلاقها في حق الله تعالى إذا لم تكن موهمة معنى يجب تعديس الله تعالى عنه والأوهام تختلف باختلاف الأفهام فليتنبه لهذه الدقة في أمثال هذه الألفاظ بل لا يبعد أن ينشأ من مجرد السماع لصفات الله تعالى وجد غالب ينقطع بسببه نياط القلب فقد روى أبوهريرة رضى الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم

أقسام الروح من الفروع ويكون طروق الألحان صمعه في الصلاة غير محيل بينه وبين حقيقة النجاة وفهم تنزيل الكلمات وتصل الأقسام إلى المعال غير مزاحمة ولا مزاحمة وذلك كله لسعة شرح الصدر بالإيمان والله المحسن للثان ولهذا قبل السماع لقوم كاللدواء ولقوم كالنقاء ولقوم كالمروحة ومن عود أقسام البكاء ماروى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لأبي « اقرأ فقال أقرأ عليك وعليك أنزل فقال أحب أن أسمع من غيري فافتتح سورة النساء حتى بلغ قوله تعالى - فكيف إذا جثا من كل أمة شهيد وجثا بك على هؤلاء شهيدا - فإذا عيناه تهللن » . وروى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم استقبل الحجر واستلمه ثم وضع

« أنه ذكر غلاما كان في بني إسرائيل على جبل فقال لأمه من خلق السماء قالت الله عز وجل قل لمن خلق الأرض قالت الله عز وجل قال لمن خلق الجبال قالت الله عز وجل قال لمن خلق القيم قالت الله عز وجل قال إني لأسمع قه شأنا ثم رمى نفسه من الجبل فتقطع » وهكذا كأنه سمع ما دل على جلال الله تعالى وتعالى قدرته فطرب لذلك ووجد فرمى نفسه من الوجد وما أنزلت الكتب إلا بطربوا بذكر الله تعالى قال بعضهم رأيت مكتوبا في الأنجيل غنينا لكم فلم تطربوا وزمرنا لكم فلم ترقصوا أي شوقناكم بذكر الله تعالى فلم تشتاقوا فهذا ما أردنا أن نذكره من أقسام السباع وبواعثه ومقتضياته وقد ظهر على القطع بإباحته في بعض الواضع والتدب إليه في بعض الواضع . فان قلت فهل له حالة يحرم فيها . فأقول إنه يحرم بخمسة عوارض عارض في السمع وعارض في آلة الإسماع وعارض في نظم الصوت وعارض في نفس السميع أو في مواظبته وعارض في كون الشخص من عوام الخلق لأن أركان السباع هي السمع والسمع والسمع وآلة الإسماع العارض الأول أن يكون السمع امرأة لا يحل النظر إليها وتخفى الفتنة من سماعها وفي معناها الصبي الأحمرد الذي تخفى فتنه وهذا حرام لمنايه من خوف الفتنة وليس ذلك لأجل الغناء بل لو كانت المرأة بحيث يفتتن بصوتها في المحاورة من غير ألحان فلا يجوز محاورتها ومعادتها ولا سماع صوتها في القرآن أيضا وكذلك الصبي الذي تخاف فتنه . فان قلت فهل تقول إن ذلك حرام بكل حال حسب الباب أو لا يحرم إلى حيث تخاف الفتنة في حق من يخاف العنت . فأقول هذه مسألة محتملة من حيث الفقه يتجاذبها أصلا أن أحدهما أن الخلوة بالأجنبية والنظر إلى وجهها حرام سواء خيفت الفتنة أو لم تخف لأنها مظنة الفتنة على الجملة قضى الشرع بحسم الباب من غير التفات إلى الصور . والثاني أن النظر إلى الصبيان مباح إلا عند خوف الفتنة فلا يلحق الصبيان بالنساء في عموم الحسم بل يتبع فيه الحال وصوت المرأة دأر بين هذين الأصلين فان قسناه على النظر إليها وجب حسم الباب وهو قياس قريب ولكن بينهما فرق إذ الشهوة تدعو إلى النظر في أول هيئتها ولا تدعو إلى سماع الصوت وليس تحريك النظر لشهوة للماسة كتحرريك السماع بل هو أشد وصوت المرأة في غير الغناء ليس بعورة فلم تزل النساء في زمن الصحابة رضي الله عنهم يكلمن الرجال في السلام والاستفتاء والسؤال والشاورة وغير ذلك ولكن للغناء مزيد أثر في تحريك الشهوة قياس هذا على النظر إلى الصبيان أولى لأنهم لم يؤمروا بالاحتجاب كما لم تؤمر النساء بسر الأصوات فينبغي أن يتبع مثار الفتن ويقصر التحريم عليه هذا هو الأنيس عندي ويتأيد بحديث الجاريتين المغنيتين في بيت عائشة رضي الله عنها إذ يعلم أنه صلى الله عليه وسلم كان يسمع أصواتهما ولم يحترز منه ولكن لم تكن الفتنة مخوفة عليه فلذلك لم يحترز فاذن يختلف هذا بأحوال المرأة وأحوال الرجل في كونه شابا وشيخا ولا يبعد أن يختلف الأمر في مثل هذا بالأحوال فانا نقول للشيخ أن يقبل زوجته وهو صائم وليس للشاب ذلك لأن القبلة تدعو إلى الوقوع في الصوم وهو محظور والسباع يدعو إلى النظر والمقاربة وهو حرام فيختلف ذلك أيضا بالأشخاص . العارض الثاني في الآلة بأن تكون من شعار أهل الشرب أو الخنثين وهي الزامير والأوتار وطبل الكوبة فهذه ثلاثة أنواع متنوعة وماعدا ذلك يبقى على أصل الإباحة كالدف وإن كان فيه الجلال والكالطبل والشاهين والضرب بالعضيب وسائر الآلات . العارض الثالث في نظم الصوت وهو الشعر فان كان فيه شيء من الحنا والفحش والمجعو أو ما هو كذب على الله تعالى وعلى رسوله صلى الله عليه وسلم أو على الصحابة رضي الله عنهم كما رتبه الروافض في هجاء الصحابة وغيرهم فسباع ذلك حرام بالحنان

(١) حديث أبي هريرة إن غلاما كان في بني إسرائيل على جبل فقال لأمه من خلق السماء فقالت

الله الحديث وفيه ثم رمى نفسه من الجبل فتقطع رواه ابن حبان .

شفتيه عليه طويلا
يكي وقال يا عمرهنا
تسكب الصبرات
وللتمكن تعود إليه
أقسام البكاء وفي ذلك
فضيلة سألها النبي صلى
الله عليه وسلم فقال
« اللهم ارزقني عيتين
هطالتين » ويكون
البكاء في الله فيكون لله
ويكون بالله هو الأتم
لموده إليه بوجود
محتانف موهوب له
من الكريم النان في
مقام البقاء .

[الباب الخامس
والعشرون في القول في
السباع تأديبا واعتناء]
ويتضمن هذا الباب
آداب السباع وحكم
التغريق وإشارات
الشايع في ذلك وما في
ذلك من السأثور
والمحدور . مبنى
التصوف على الصدق
في سائر الأحوال وهو
جيد كله لا يبنى
لصادق أن يتمدد
الحضور في جمع يكون
فيه سماع إلا بعد أن

وغير أغانٍ وللمسمع شريك للقاتل وكذلك ما فيه وصف امرأة بينها فانه لا يجوز وصف الزاة بين
 ينس الرجال ، وأما هجاء الكفار وأهل البدع فذلك جائز ، فقد كان حسان بن ثابت رضي الله عنه
 ينافح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ويهاجى الكفار وأمره صلى الله عليه وسلم بذلك (١) فأما النسب
 وهو التشبيه بوصف الحدود والأعداء وحسن القامات وسائر أوصاف النساء فهذا فيه نظر ،
 والصحيح أنه لا يحرم نظمه وإنشاده بلحن وغير لحن وعلى السمع أن لا ينزله على امرأة معينة فان
 نزله فليزله على من يحل له من زوجته وجاريته فان نزل على أجنبية فهو العاصي بالنزول وإجالة
 التكرار فيه ومن هذا وصفه فينبغي أن يحتجب السماع رأساً فإن من غلب عليه عشق نزل كل ما يسمعه
 عليه سواء كان اللفظ مناسباً له أو لم يكن إذا ما من لفظ إلا ويمكن نزله على معان بطريق الاستعارة
 فالذي يغلب على قلبه حب الله تعالى يتذكر بسواد الصدى مثل ظلة الكفر وبضارة الخد نور الإيمان
 ويذكر الوصال لقاء الله تعالى ويذكر الفراق الحجاب عن الله تعالى في زمرة للرودين ويذكر الرقيب
 للشوش روح الوصال عوائق الدنيا وآفات الشوكة لعلوم الأنس بالله تعالى ولا يحتاج في تنزيل ذلك
 عليه إلى استنباط وتفكر ومهلة بل تسبق للعاني الغالبة على القلب إلى فهمه مع اللفظ كما روى عن
 بعض الشيوخ أنه مر في السوق فسمع واحداً يقول الخيار عشرة حبة فغلب عليه الوجد فمثل عن ذلك
 قال إذا كان الخيار عشرة حبة فما قيمة الأشرار واجتاز بعضهم في السوق فسمع قائلاً يقول يا سترى
 فغلب عليه الوجد فقيل له على ماذا كان وجدك قال ممته كأنه يقول اسع ترى حتى إن العجمي قد غلب
 عليه الوجد على الآيات المنظومة بلغة العرب فان بعض حروفها يوازن الحروف السجبية فيفهم منها
 معان أخر أشد بضمهم : • وما زارني في الليل إلا خياله • تواجد عليه رجل أجهمي فمثل عن سبب
 وجده فقال إنه يقول مازاريم وهو كما يقول فان لفظ زار يدل في السجبية على التشرف على الملاك
 فتوهم أنه يقول كلنا مشرفون على الملاك فاستشعر عند ذلك خطر هلاك الآخرة والمحترق في حب
 الله تعالى وجده بحسب فهمه وفهمه بحسب تخيله وليس من شرط تخيره أن يوافق مراد الشاعر ولقته
 فهذا الوجد حق وصدق ومن استشعر خطر هلاك الآخرة فجدد بأن ينشوش عليه عقله وتضطرب عليه
 أعضائه فاذن ليس في تغير أعيان الألفاظ كبير فائدة بل الذي غلب عليه عشق مخلوق فينبغي أن يحترز
 من السماع بأي لفظ كان والذي غلب عليه حب الله تعالى فلا تضره الألفاظ ولا تمنعه عن فهم المعاني
 اللطيفة المتعلقة بمجاري همته الشريفة . العارض الرابع في السمع : وهو أن تكون الشهوة غالبة
 عليه وكان في غرة الشباب وكانت هذه الصفة أغلب عليه من غيرها فالسماع حرام عليه سواء غلب
 على قلبه حب شخص معين أو لم يغلب فانه كيفما كان فلا يسمع وصف الصدى والحد والفراق والوصال
 إلا ويحرك ذلك شهوته وينزله على صورة معينة ينفخ الشيطان بها في قلبه فتشتمل فيه نار الشهوة
 وتحتد بواعث الشر وذلك هو النصرة لحزب الشيطان والتخذيذ للعقل للناع منه الذي هو حزب الله
 تعالى والقتال في القلب دائم بين جنود الشيطان وهي الشهوات وبين حزب الله تعالى وهو نور العقل
 الإلقي قلب قد فتحه أحد الجندين واستولى عليه بالكلية وغالب القلوب الآن قد فتحها جند الشيطان
 وغاب عليها فتحتاج حينئذ إلى أن تستأنف أسباب القتال لإزعاجها فكيف يجوز تكثير أسلحتها
 وتشجيع سيوفها وأستنها والسماع مشدّد لأسلحة جند الشيطان في حق مثل هذا الشخص فليخرج
 مثل هذا عن مجمع السماع فانه يستغربه . العارض الخامس أن يكون الشخص من عوام الخلق ولم

يخلص النية لله تعالى
 ويتوجه به مزيداً في
 إرادته وطلبه ويحذر
 من ميل النفس لشيء
 من هواها ثم يقدم
 الاستخارة للحضور
 وسأل الله تعالى إذا
 عزم البركة فيه وإذا
 حضر يلزم الصدق
 والوقار بسكون
 الأطراف قال أبو بكر
 الكنانى رحمه الله
 للسمع يجب أن يكون
 في صماعة غير مستروح
 إليه يهيج منه السماع
 وجداً أو شوقاً أو غلبة
 أو وارداً والوارد عليه
 يفنيه عن كل حركة
 وسكون ويتقى الصادق
 استدعاء الوجد
 ويحتجب الحركة فيه
 منها أمكن سبباً بحضرة
 الشيخ . حكى أن
 شاباً كان يصحب الجنيد
 رحمه الله وكلاهما جمع
 شيتار عن وتغير فقال له
 يوماً إن ظهر منك شيء
 بعد هذا فلا تصبني
 فكان بعد ذلك يصبط
 نفسه وربما كان من

(١) حديث أمره صلى الله عليه وسلم حسان بن ثابت بهجاء للتركيين متفق عليه من حديث البراء
 أنه صلى الله عليه وسلم قال لحسان اهجم أوهاجم وجبريل ملك .

يطلب عليه حب الله تعالى فيكون البيع له محبوبا ولا غلبت عليه شهوة فيكون في حقه محظورا ولكنه أيسر في حقه كسائر أنواع اللذات للباحة إلا أنه إذا اتخذ ديدنه وهجيراه وقصر عليه أكثر أوقاته فهذا هو السفيه الذي ترد شهادته فإن الواظبة على اللهو جناية وكان الصنيرة بالاصرار والمداومة تصير كبيرة فكذلك بعض الباحات بالمداومة يصير صغيرة وهو كالواظبة على متابعة الزوج والحبشة والنظر إلى لبيم على الدوام فانه ممنوع وإن لم يكن أصله ممنوعا إذ فعله رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن هذا القبيل اللعب بالشرط نجح فانه مباح ولكن الواظبة عليه مكروهة كراهة شديدة ومهما كان الترضى اللعب والتلذذ باللهو فذلك إثم يباح لما فيه من ترويح القلب إذ راحة القلب معالجة له في بعض الأوقات لتنبث دواعيه فتشتغل في سائر الأوقات بالجد في الدنيا كالكسب والتجارة أو في الدين كالصلاة والقراءة واستحسان ذلك فيما بين تضاعيف الجد كاستحسان الحال على الخلد ولو استوعبت الخيلان الوجه لشوخته فما أقبح ذلك فيعود الحسن قبيحا بسبب الكثرة فما كل حسن يحسن كثيره ولا كل مباح يباح كثيره بل الحزن مباح والاستكثار منه حرام فهذا للباح كسائر الباحات . فان قلت قد أدى مساق هذا الكلام إلى أنه مباح في بعض الأحوال دون بعض فلم أطلقت القول أولا بالإباحة إذ إطلاق القول في الفصل بلا أو بنم خلف وخطأ . فاعلم أن هذا غلط لأن الإطلاق إنما يمنع لتفصيل ينشأ من عين ما فيه النظر فأما ما ينشأ من الأحوال العارضة للتصلة به من خارج فلا يمنع الإطلاق لأننا إذا شئنا عن العمل أهو حلال أم لا قلنا إنه حلال على الإطلاق مع أنه حرام على المهرور الذي يستفر به وإذا شئنا عن المحرقنا إنها حرام مع أنها محل لمن غص بلمعة أن يبرها مهما لم يمد غيرها ولكن هي من حيث إنها محرمة حرام وإنما أيسر لعارض الحاجة والعسل من حيث إنه عسل حلال وإنما حرم لعارض الضرر وما يكون لعارض فلا يلتفت إليه فان البيع حلال ويحرم بعارض الوقوع في وقت النداء يوم الجمعة ونحوه من العوارض والبيع من جملة الباحات من حيث إنه سماع صوت طيب موزون مفهوم وإنما تحريمه لعارض خارج عن حقيقة ذاته فاذا انكشف الغطاء عن دليل الإباحة فلا نبالي بمن يخالف بعد ظهور الدليل وأما الشافعي رضي الله عنه فليس بتحريم القضاء من مذهبه أصلا وقد نص الشافعي وقال في الرجل يتخذ صناعة لا يجوز شهادته وذلك لأنه من اللهو المكروه الذي يشبه الباطل ومن اتخذ صنعة كان منسوبا إلى السفاهة وسقوط الرودة وإن لم يكن محرما بين التحريم فان كان لا ينسب نفسه إلى القضاء ولا يؤتى لذلك ولا يأتي لأجله وإنما يعرف بأنه قد يطرأ في الحال فيترجمها لم يسقط هذا مروءة ولم يبطل شهادته واستدل بحديث الجاريتين اللتين كانتا تغنيان في بيت عائشة رضي الله عنها وقال يونس ابن عبد الأعلى سألت الشافعي رحمه الله عن إباحة أهل المدينة للسمع فقال الشافعي لا أعلم أحدا من علماء الحجاز كره البيع إلا ما كان منه في لأوصاف فأما الحداء وذكر الأطلال والرابع وتعيين الصوت بألحان الأشعار فمباح وحيث قال إنه لم يكره يشبه الباطل فقوله لم يكره هو صحيح ولكن اللهو من حيث إنه لم يكره ليس بحرام فلهب الحبشة ورقصهم لم يكره وقد كان عليه السلام ينظر إليه ولا يكرهه بل اللهو واللغو لا يؤخذ الله تعالى به إن عني به أنه فعل ما لا فائدة فيه فان الإنسان لو وظف على نفسه أن يضع يده على رأسه في اليوم مائة مرة فهذا عبث لا فائدة له ولا يحرم قال الله تعالى - لا يؤخذكم الله باللغو في أيمانكم - فاذا كان ذكر اسم الله تعالى على الشيء على طريق القسم من غير عقد عليه ولا تصميم والمخالفة فيه مع أنه لا فائدة فيه لا يؤخذ به فكيف يؤخذ بالشعر والرقص . وأما قوله يشبه الباطل فهذا لا يدل على اعتقاد تحريمه بل لو قال هو باطل صريحا لما دل على التحريم وإنما يدل على خلوه عن الفائدة فالباطل ما لا فائدة فيه فقول الرجل لأمراته مثلا بعت نفسي منك وقولها اشتريت عقد باطل منهما كان قصد اللعب واللطاية وليس

كل شعرة منه تخطئ قطرة صرى فما كان يوما من الأيام زعق زعقة فخرج روحه فليس من الصدق إظهار الوجد من غير وجد نازل أو انداء الحال من غير حال حاصل وذلك عين النفاق . قيل كان النصر ابداً رحمه الله كثير الولع بالسمع فموت في ذلك قال نعم هو خير من أن تعد وتقتاب فقال له أبو عمرو ابن مجيد وغيره من إخوانه هيات يا أبا القاسم زلة في البيع شر من كذا كذا سنة تقتاب الناس وذلك أن زلة البيع إشارة إلى الله تعالى وترويح للحال بصرح المحال وفي ذلك ذنوب متعددة منها أنه يكذب على الله تعالى أنه وهب له شيئا وما وهب له والكذب على الله من أقبح الزلات ومنها أن يبر بعض الحاضرين فيحسن به الظن

بحرام إلا إذا قصد به التخليك المحقق الذي منع الشرع منه . وأما قوله مكروه فيزول على بعض الواضع التي ذكرتها لك أو يزول على التنزيه فانه نص على إباحة لعب الشرع وذكر أني أكره كل لعب وتعليه يدل عليه فانه قال ليس ذلك من عادة ذوى الدين وللروءة فهذا يدل على التنزيه ورده الشهادة بالمواظبة عليه لا يدل على تحريمه أيضا بل قد ترد الشهادة بالأكل في السوق وما يحرم للروءة بل الحياكة مباحة وليست من صنائع ذوى الروءة وقد ترد شهادة المحترف بالحرفة الحسية فعليه يدل على أنه أراد بالكرهية التنزيه وهذا هو الظن أيضا بغيره من كبار الأئمة وإن أرادوا التحريم لما ذكرناه حجة عليهم .

(بيان حجج القائلين بتحريم السماع والجواب عنها)

احتجوا بقوله تعالى - ومن الناس من يشتري لهو الحديث - قال ابن مسعود والحسن البصري والنخعي رضي الله عنهم إن لهو الحديث هو الغناء وروى عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ قال « إن الله تعالى حرم القينة ويعمها ونمناها وتعليمها^(١) » فنقول أما القينة فالمراد بها الجارية التي تقف للرجال في مجلس الشرب وقد ذكرنا أن غناء الأجنبية للفساق ومن يخاف عليهم الفتنة حرام وهم لا يصدقون بالفتنة إلا ما هو محظور فأما غناء الجارية لملكها فلا يفهم تحريمه من هذا الحديث بل لغير مالها سمعها عند عدم الفتنة بدليل ما روى في الصحيحين من غناء الجاريتين في بيت عائشة رضي الله عنها وأما شراء لهو الحديث بالدين استبداله بضره عن سبيل الله فهو حرام مذموم وليس الزنا فيه وليس كل غناء بدلا عن الدين مشترى به ومضلا عن سبيل الله تعالى وهو المراد في الآية ولو قرأ القرآن لضر به عن سبيل الله لكان حراما . حكى عن بعض الناقطين أنه كان يؤم الناس ولا يقرأ إلا سورة عبس لما فيها من العتاب مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فهم عمر بقتله ورأى فعله حراما لما فيه من الاضلال فلا ضلال بالشعر والغناء أولى بالتحريم . واحتجوا بقوله تعالى - أفمن هذا الحديث تعجبون وتضحكون ولا تبكون وأنتم سامدون - قال ابن عباس رضي الله عنهما هو الغناء بلغة حمير يعني السمد فتقول ينبغي أن يحرم الضحك وعدم البكاء أيضا لأن الآية تشتمل عليه فان قيل إن ذلك مخصوص بالضحك على المسلمين لاسلامهم فهذا أيضا مخصوص بأشعارهم وغنائهم في مرض الاستهزاء بالمسلمين كما قال تعالى - والشعراء يتبعهم الغاوى - وأراد به شعراء الكفار ولم يدل ذلك على تحريم نظم الشعر في نفسه . واحتجوا بما روى جابر رضي الله عنه أنه صلى الله عليه وسلم قال « كان إبليس أول من ناح وأول من تقى^(٢) » فقد جمع بين الناحية والغناء . قلنا لا جرم كما استثنى منه نباحة داود عليه السلام ونباحة للذين على خطاياهم فكذلك يستثنى الغناء الذي يراد به تحريك السرور والحزن والشوق حيث يباح تحريكه بل كما استثنى غناء الجاريتين يوم العيد في بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وغاؤه عند قدومه عليه السلام بقوله :
طلع البدر علينا من ثنيات الوداع

احتجوا بما روى أبو أمامة عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال « ما رفع أحد صوته بغناء إلا بعث الله له شيطانين على منكبيه يضربان بأعقابهما على صدره حتى يمسك^(٣) » قلنا هو منزل على بعض أنواع الغناء الذي قدمناه وهو الذي يحرك من القاب ما هو مراد الشيطان من الشهوة وعشق

(١) حديث عائشة إن الله حرم القينة ويعمها ونمناها وتعليمها الطبراني في الأوسط بإسناد ضعيف قال البيهقي ليس بحفوظ (٢) حديث جابر كان إبليس أول من ناح وأول من تقى لم أجده أصلا من حديث جابر وذكره صاحب الفردوس من حديث علي بن أبي طالب ولم يخرج له ولده في مسنده (٣) حديث أبي أمامة ما رفع أحد عقيرته بغناء إلا بعث الله له شيطانين على منكبيه يضربان بأعقابهما على صدره حتى يمسك ابن أبي الدنيا في ذم اللامى والطبراني في الكبير وهو ضعيف .

والاغرار خيانة قال عليه السلام « من غشنا فليس منا » ومنها أنه إذا كان مبطلا ويرى بين الصلاح فسوف يظهر منه بعد ذلك ما يفسد عقيدة للعقيد فيه . فيفسد عقيدته في غيره ممن يظن به الخير من أمثاله فيكون سببا إلى فساد العقيدة في أهل الصلاح ويدخل بذلك ضرر على الرجل الحسن الظن مع فساد عقيدته فيقطع عنه مدد الصالحين ويتشعب من هذا آفات كثيرة يعثر عليها من يبحث عنها ومن أنه يحوج الحاضرين إلى مواظبته في قيامه وقعوده فيكون متكلفا مكلفا للناس ياطله ويكون في الجمع من يرى بنور القراسة أنه مبطل ويعمل على نفسه للواقعة للجمع مداريا ويكثر شرح الذنوب في ذلك فليثق الله ربه ولا يتحرك إلا إذا

المخلوقين فأما ما يحرك الشوق إلى الله أو السرور بالعبد أو حدوث الولد أو قدوم الغائب فهذا كله يضاد مراد الشيطان بدليل قصة الجاريتين والحبشة والأخبار التي نقلناها من الصحاح فالتجوير في موضع واحد نص في الإباحة وللحجج في ألف موضع محتمل للتأويل ومحتمل للتزويل أما الفعل فلا تأويل له إذ ما حرم فعله إنما يحل بمرض الإكراه فقط وما أيسح فعله يحرم بعارض كثيرة حتى النيات والقصود . واحتجوا بما روى عقبه بن عامر أن النبي صلى الله عليه وسلم قال « كل شيء يلهو به الرجل فهو باطل إلا تأديبه فرسه ورميه بقوسه وملاعبته لامرأته ^(١) » قلنا فقله باطل لا يدل على التحريم بل يدل على عدم الفائدة وقد يسم ذلك على أن التلهي بالنظر إلى الحبشة خارج عن هذه الثلاثة وليس بحرام بل يلحق بالمصور غير المحصور قياسا كقولته صلى الله عليه وسلم « لا يحل دم امرئ مسلم إلا بإحدى ثلاث فانه يلحق به رابع وخامس ^(٢) » فكذلك ملاعبة امرأته لافائدة إلا التلذذ وفي هذا دليل على أن التفرج في البساتين وسماع أصوات الطيور وأنواع اللذائبات مما يلهو به الرجل لا يحرم عليه شيء منها وإن جاز وصفه بأنه باطل . واحتجوا بقول عثمان رضي الله عنه : ما تنبت ولا تميت ولا مست ذكرى يعني مذبايع بهار رسول الله صلى الله عليه وسلم قلنا فليكن التمني ومس الذكر بالتمني حراما إن كان هذا دليل بتحريم الفناء فمن أين يثبت أن عثمان رضي الله عنه كان لا يترك إلا الحرام . واحتجوا بقول ابن مسعود رضي الله عنه الفناء يثبت في القلب النفاق وزاد بعضهم كما يثبت للاء البقل ^(٣) ورفع بعضهم إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو غير صحيح قالوا ومروا على ابن عمر رضي الله عنهما قوم محرمون وفيهم رجل يتغنى فقال ألا لا أسمع الله لكم ألا لا أسمع الله لكم وعن نافع أنه قال كنت مع ابن عمر رضي الله عنهما في طريق فسمع زمارة راع فوضع أصبعيه في أذنيه ثم عدل عن الطريق فلم يزل يقول يا نافع أسمع ذلك حتى قلت لا فأخرج أصبعيه وقال هكذا رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم صنع ^(٤) وقال التفضيل بن عياض رحمه الله الفناء رقية الزنا وقال بعضهم الفناء رائد من رواد الفجور وقال يزيد بن الوليد إياكم والفناء فانه ينقص الحياء ويزيد الشهوة ويهدم الرودة وإنه لينوب عن الحر ويفعل ما يفعله السكر فان كنتم لابد فاعلمين فجنوبه النساء فان الفناء داعية الزنا فقول قول ابن مسعود رضي الله عنه يثبت النفاق أراد به في حق للنفي فانه في حقه يثبت النفاق إذ غرضه كله أن يعرض نفسه على غيره ويروج صوته عليه ولا يزال ينافق ويتودد إلى الناس ليرغبوا في غناؤه وذلك أيضا لا يوجب تحريما فان لبس الثياب الجليلة وركوب الخيل المملجة وسائر أنواع الزينة والتفاخر بالحرث والأنعام والزرع وغير ذلك يثبت في القلب النفاق والرياء ولا يطلق القول بتحريم ذلك كله فليس السبب في ظهور النفاق في القلب المعاصي فقط بل المباحات التي هي موانع نظر الخلق أكثر تأثيرا ولذلك نزل عمر رضي الله عنه عن فرس هملج تحته وقطع ذنبه لأنه استشعر في نفسه الخيلاء لحسن مطيته فهذا النفاق من المباحات وأما قول ابن عمر رضي الله عنهما ألا لا أسمع الله لكم فلا يدل على التحريم من

(١) حديث عقبه بن عامر كل شيء يلهو به الرجل فهو باطل إلا تأديبه فرسه ورميه بقوسه وملاعبته زوجته أصحاب السنن الأربعة وفيه اضطراب (٢) حديث لا يحل دم امرئ مسلم إلا بإحدى ثلاث متفق عليه من حديث ابن مسعود (٣) حديث ابن مسعود الفناء يثبت النفاق في القلب كما يثبت للماء البقل قال المصنف والرفوع غير صحيح لأن في إسناده من لم يسم رواه أبو داود وهو في رواية ابن العبد ليس في رواية الأوثري ورواه البيهقي مرفوعا وموقوفا (٤) حديث نافع كنت وابن عمر في طريق فسمع زمارة راع فوضع أصبعيه في أذنيه الحديث ورفع أبو داود وقال هذا حديث منكر.

صارت حركته حركة الرتعش الذي لا يجد سبيلا إلى الإمساك وكالعاطس الذي لا يقدر أن يرد العطسة وتكون حركته بمثابة النفس التي يدعوه إليه داعية الطبع قهرا . قال السري : شرط الواحد في زعقته أن يبلغ إلى حد لو ضرب وجهه بالسيف لا يشعر فيسه بوجع وقد يقع هذا لبعض الواجدين نادرا وقد لا يبلغ الواجد هذه الرتبة من الغيبة ولكن زعقته تخرج كالتنفس بنوع إرادة ممزوجة بالاضطرار فهذا الضبط من رغبة الحركات ورداثر عفات وهو في تمزيق الثياب أكد فان ذلك يكون إتلاف المال وإتلاف المال وهكذا رمى الحرقه إلى الحادي لا ينبغي أن يفعل إلا إذا حضرته نية يحتجب فيها التكلف والبراءة

حيث إنه غناء بل كانوا محرمين ولا يليق بهم الرفث وظهر له من عيالهم أن سمعهم لم يكن لوجد وشوق إلى زيارة بيت الله تعالى بل لمجرد اللهو فأنكر ذلك عليهم لكونه منكرا بالإضافة إلى حالهم وحال الإحرام وحكايات الأحوال تكثر فيها وجوه الاحتمال وأما وضه أصبعيه في أذنيه فيعارضه أنه لم يأمر نافعا بذلك ولا أنكر عليه سماعه وإنما فعل ذلك هو لأنه رأى أن ينزه سمعه في الجمال وقلبه عن صوت ربما يحرك اللهو ويمتنع عن فكر كان فيه أو ذكر هو أولى منه وكذلك فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم مع أنه لم يمنع ابن عمر لا يدل أيضا على التحريم بل يدل على أن الأولى تركه ونحن نرى أن الأولى تركه في أكثر الأحوال بل أكثر مباحات الدنيا الأولى تركها إذا علم أن ذلك يؤثر في القلب فقد خلع رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد الفراغ من الصلاة ثوب أبي جهم إذ كانت عليه أعلام شغلت قلبه (١) أقترى أن ذلك يدل على تحريم الأعلام على الثوب فلمعه صلى الله عليه وسلم كان في حالة كان صوت زمارة الرامي يشغله عن تلك الحالة كاشغله العلم عن الصلاة بل الحاجة إلى استتارة الأحوال الثريفة من القلب بحيلة السماع قصور بالإضافة إلى من هو دائم الشهود للحق وإن كان كالا بالإضافة إلى غيره ولذلك قال الحصري ماذا أمهل بسماع يقطع إدامات من يسمع منه إشارة إلى أن السماع من الله تعالى هو الدائم فالأنبياء عليهم السلام على الدوام في لغة السمع والشهود فلا يحتاجون إلى التحريك بالحيلة . وأما قول الفضيل هورقة الزنا وكذلك ماعداء من الأثاويل القرية منه فهو منزل على سماع الفساق والمفتلين من الشبان ولو كان ذلك عاما لما منع من الجارين في بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم . وأما القياس فضاية ما يذكر فيه أن يقاس على الأوتار وقد سبق الفرق أو يقال هو لم يوجب وهو كذلك ولكن الدنيا كلها الموهولاب . قال عمر رضي الله عنه لزوجته إنما أنت لعبة في زاوية البيت وجميع اللعابة مع النساء لموا إلا الحرمة التي هي سبب وجود الولد وكذلك الزح الذي لا فحش فيه حلال تقل ذلك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن الصحابة كما سيأتي تفصيله في كتاب آفات اللسان إن شاء الله (٢) وأي هو يزيد على الحبشة والنوح في لعبهم وقد ثبت بالنسب إباحته على أني أقول اللهو مروح للقلب ومخفف عنه أعبله الفكر والقلوب إذا أكرهت عمت وترويحها إغاثة لها على الجدة فالمواظب على التفقة مثلا ينبغي أن يتعطل يوم الجمعة لأن عطلة يوم تبعث على النشاط في سائر الأيام وللمواظب على نوافل الصلوات في سائر الأوقات ينبغي أن يتعطل في بعض الأوقات ولأجله كرهت الصلاة في بعض الأوقات فالمعطلة معونة على العمل واللهو معين على الجدة ولا يصير على الجدة المحض والحق للرب لا نفوس الأنبياء عليهم السلام فاللهو دواء القلب من داء الإعياء واللذات فينبغي أن يكون مباحا ولكن لا ينبغي أن يستكثر منه كما لا يستكثر من الدواء فإذا اللهو على هذه النية يصير قرينة هذا في حق من لا يحرك السماع من قلبه صفة محمودة يطلب تحريكها بل ليس له إلا اللبنة والاستراحة المحضة فينبغي أن يستحب له ذلك ليتوصل به إلى المقصود الذي ذكرناه نعم هذا يدل على نقصان عن ذروة الكمال فإن الكامل هو الذي لا يحتاج أن يروح نفسه بغير الحق ولكن حسنات الأبرار سيئات القريين ومن أحاط بعلم علاج القلوب ووجوه التلطف بها لسياقتها إلى الحق علم قطعا أن ترويحها بأمثال هذه الأمور دواء نافع لا غنى عنه .

(الباب الثاني في آثار السماع وآدابه)

(١) حديث خلع رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد الفراغ من الصلاة ثوب أبي جهم إذ كان عليه أعلام شغلت قلبه تقدم في الصلاة (٢) حديث مزاحه صلى الله عليه وسلم يأتي في آفات اللسان كما قال المصنف .

(الباب الثاني في آداب السماع وآثاره)

وهذا حفت النية فلا بأس بالقاء الخرقة إلى الحادي قد روى عن كعب بن زهير أنه دخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم للجد وأنشد أياتا التي أولها :

بانت سعاد قلبي اليوم متبول

حتى انتهى إلى قوله فيها :

إن الرسول لسيف يستأبه

مهند من سيوف الله مسلول

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من

أنت فقال أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن

محمد رسول الله أنا كعب بن زهير فرمى

رسول الله صلى الله عليه وسلم إليه بردة

كانت عليه فلما كان زمن معاوية بعث إلى

كعب بن زهير بعنا بردة رسول الله صلى

الله عليه وسلم بعشرة آلاف فوجه إليه

اعلم أن أول درجة السماع فهم السمع وتزيله على معنى يقع المستمع ثم يشعر الفهم الوجد ويشعر الوجد الحركة بالجوارح فلينظر في هذه المقامات الثلاثة . المقام الأول : في الفهم وهو يختلف باختلاف أحوال السمع . وللمستمع أربعة أحوال : أحدها أن يكون سماع بمجرد الطبع أى لاحظته في السماع إلا استلذاذ الألحان والنغمات وهذا مباح وهو أحسن رتب السماع إذ الإبل شريكة له فيه وكذا سائر البهائم بل لا يستدعى هذا الدوق إلا الحياة فلكل حيوان نوع تلذذ بالأصوات الطيبة . الحالة الثانية أن يسمع بفهم ولكن ينزله على صورة مخلوق إما معينا وإما غير معين وهو سماع الشباب وأرباب الشهوات ويكون تزليلهم للسمع على حسب شهواتهم ومقتضى أحوالهم وهذه الحالة أحسن من أن تسلك فيها إلا ببيان خستها والنهي عنها . الحالة الثالثة أن ينزل ما يسمعه على أحوال نفسه في معاملته لله تعالى وتقلب أحواله في التمكن مرة . والتعذر أخرى وهذا سماع الريدين لاسيا البتدين فان للريد لا محالة مراداً هو مقصده ومقصده معرفة الله سبحانه ولقاؤه والوصول إليه بطريق المشاهدة بالسر وكشف الغطاء وله في مقصده طريق هو سالكه ومعاملات هو مبرا عليها وحالات تستقبله في معاملاته فاذا سمع ذكر عتاب أو خطاب أو قبول أو رد أو وصل أو هجر أو قرب أو بعد أو تلهف على فائت أو تعطش إلى منتظر أو شوق إلى وارد أو طمع أو بأس أو وحشة أو استئناس أو وفاء بالوعد أو تمسك بالعهد أو خوف فراق أو فرح بوصول أو ذكر ملاحظة الحبيب ومدافعة الرقيب أو همول العبرات أو ترادف الحشرات أو طول الفراق أو عدة الوصال أو غير ذلك مما يشمل على وصفه الأشعار فلا بد أن يوافق بعضها حال الريد في طلبه فيجرب ذلك مجرى القدر الذى يورى زناد قلبه فتشتمل به نيرانه ويقوى به انبعاث الشوق وهيجانه ويهجم عليه بسية أحوال مخالفة لعادته ويكرن له مجال رحب في تزليل الألفاظ على أحواله وليس على السمع مراعاة مراد الشاعر من كلامه بل لكل كلام وجوه ولكل ذى فهم في اقتباس المعنى منه حظوظ وللضرب لهذه التزييلات والفهوم أمثلة كي لا يظن الجاهل أن السمع لأيات فيها ذكر القم والحد والصدغ إنما يفهم منها ظواهرها ولا حاجة بنا إلى ذكر كيفية فهم المعاني من الآيات ففي حكايات أهل السماع ما يكشف عن ذلك فقد حكى أن بعضهم سمع قائلاً يقول :

قال الرسول غدا تزور رقتك فقلت فقلت ما تقول

فاستغزاه اللحن والقول وتواجد وجعل يكرر ذلك ويجعل مكان التاء نوناً فيقول : قال الرسول غدا تزور . حتى غشى عليه من شدة الفرح واللذة والسرور فلما أفاق سئل عن وجهه م كان ؟ قال ذكرت قول الرسول صلى الله عليه وسلم « إن أهل الجنة يزورون ربهم في كل يوم جمعة مرة (١) » . وحكى الرقي عن ابن الدراج أنه قال : كنت أنا وابن القوطى مارين على دجلة بين البصرة والأبلة فاذا بقصر حسن له منظرة وعليه رجل بين يديه جارية تقف وتقول :

كل يوم تسلمون غير هذا بك أحسن

فاذا شاب حسن تحت النظرة ويديه ركوة وعليه مرقعة يستمع فقال يا جارية بالله وبحياة مولاي إلا أعدت على هذا البيت فأعدت فسكأت الشاب يقول هذا والله تلوأتى مع الحق في حالى فشوق شهقة ومات . قال : قلنا قد استقبلنا فرض فوقنا فقال صاحب القصر للجارية أنت حرة لوجه الله تعالى

(١) حديث إن أهل الجنة يزورون ربهم في كل جمعة الترمذى وابن ماجه من حديث أبي هريرة وفيه عبد الحميد بن حبيب بن أبي العنبرين مختلف فيه وقال الترمذى لا نعرفه إلا من هذا الوجه قال وقد روى سويد بن عمرو عن الأوزاعي شيئاً من هذا .

ما كنت لأؤثر ثوب رسول الله صلى الله عليه وسلم أحدا فلما مات كعبت معاوية إلى أولاده بمشرين ألفاً وأخذ البردة وهى البردة الباقية عند الامام الناصر لدين الله اليوم عادت بركتها على أيامه الزاهرة . وللتصوفة آداب يتعاهدونها ورعايتها حسن الأئب في الصلوة والمعاينة وكثير من السلف لم يكونوا يتمدون ذلك ولكن كل شئ استحسنوه وتواطوا عليه ولا ينكره الشرع لوجه الانكار فيه فمن ذلك أن أحدهم إذا تحرك في السماع فوقعت منه خرقة أو نازله وجد ورعى عمامته إلى الحادى فالمستحسن عندهم موافقة الحاضرين له في كشف الرأس إذا كان ذلك من متقدم وشيخ وإن كان ذلك من الشبان في حضرة

قال ثم إن أهل البصرة خرجوا فاضلوا عليه فلما فرغوا من دفنه قال صاحب القصر أشهدكم أن كل شيء لي في سبيل الله وكل جوارى أحرار وهذا القصر للسبيل قال ثم رى بياضه وانزى إليزار وارتنى بآخر ومرة على وجهه والناس ينظرون إليه حتى غاب عن أعينهم وهم يسعون فلم يسمع له بعد خبر والمقصود أن هذا الشخص كان مستغرق الوقت بحاله مع الله تعالى ومعرفة مجزئه عن الثبوت على حسن الأدب في المعاملة وتأسفه على تغلب قلبه وميله عن سنن الحق فلما قرع سمعه ما يوافق حاله سمعه من الله تعالى كأنه يخاطبه ويقول له :

كل يوم تسلون غير هذا بك أحسن

ومن كان سماعه من الله تعالى وعلى الله وفيه فينبغي أن يكون قد أحكم قانون العلم في معرفة الله تعالى ومعرفة صفاته وإلا خطر له من السماع في حق الله تعالى ما يستجلب عليه ويكفر به ففي سماع اللريد للبسدى خطر إلا إذا لم ينزل ما يسمع إلا على حاله من حيث لا يتعلق بوصف الله تعالى . ومثال الخطأ فيه هذا البيت بعينه فلو سمعه في نفسه وهو يخاطب به ربه عز وجل فيضيف التلون إلى الله تعالى فيكفر وهذا قد يقع عن جهل محض مطلق غير ممزوج بتحقيق وقد يكون عن جهل ساقط إليه نوع من التحقيق وهو أن يرى تغلب أحوال قلبه بل تغلب أحوال سائر العالم من الله وهو حق فانه تارة يسقط قلبه وتارة يقبضه وتارة ينوره وتارة يظلمه وتارة يقبضه وتارة يلمنه وتارة يشبهه على طاعته ويقويه عليها وتارة يسلط الشيطان عليه ليصرفه عن سنن الحق وهذا كله من الله تعالى ومن يصدر منه أحوال مختلفة في أوقات متقاربة قد يقال له في العادة إنه ذو بداوات وإنه متلون ولعل الشاعر لم يرد به إلا نسبة محبوه إلى التلون في قبوله ورده وتحميه وإيمانه وهذا هو المعنى فسماع هذا كذلك في حق الله تعالى كفر محض بل ينبغي أن يعلم أنسبجانه وتعالى يلون ولا يتلون ويغير ولا يتغير بخلاف عبادته وذلك العلم يحصل للريد باعتقاد تقليدى إيمانى وحصل للعارف البصير يتبين كشفى حقيقى وذلك من أعاجيب أوصاف الربوبية وهو للغير من غير تغير ولا يتصور ذلك إلا في حق الله تعالى بل كل مغير سواء فلا يغيره مالم يتغير ومن أرباب الوجد من يطلب عليه حال مثل السكر للدهش فيطابق لسانه بالعتاب مع الله تعالى ويستنكر اقتباره للقلوب وقسمته للأحوال الشريفة على تفاوت فانه المستصفي لقلوب الصديقين والبعيد لقلوب الجاحدين وللغروبين فلا مانع لما أعطى ولا منعطى لما منع ولم يقطع التوفيق عن الكفار لجناية متقدم ولا أمد الأنبياء عليهم السلام بتوفيقه ونور هدايته لوسيلة ساقطة ولكنه قال - ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين - وقال عز وجل - ولكن حق القول منى لأملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين - وقال تعالى - إن الذين سبقت لهم منا الحسنى أولئك عنها مبعدون - فان خطر يبالك أنه لم تختلف السابقة وهم في رتبة العبودية مشتركون نوديت من سرادقات الجلال لانهما وجد الأدب - فانه لا يستل عما يفعل وهم يسألون - ولعمري تأدب اللسان والظاهر مما يقدر عليه الأكثرون فأما تأدب السر عن إخمار الاستبصار بهذا الاختلاف الظاهر في التقریب والإبعاد والإشقاء والإسعاد مع بقاء السعادة والشقاوة أبد الآباد فلا يقوى عليه إلا العلماء الراسخون في العلم ولهذا قال الحضر عليه السلام لما سئل عن السماع في التام إنه الصفو الزلال الذى لا يثبت عليه إلا أقدام العلماء لأنه محرك لأسرار القلوب ومكامنها ومشوق لها تشويش السكر المدهش الذى يكاد يحل عقدة الأدب عن السر إلا عن عصمه الله تعالى بنور هدايته ولطيف عصمته ولذلك قال بعضهم ليتنا نجوئنا من هذا السماع رأساً برأس في هذا الفن من السماع خطر يزيد على خطر السماع المحرك للشهوة فان غاية ذلك مصيبة وغاية الخطأ ههنا كفر .

الشيخ فليس على الشيخ موافقة الشبان في ذلك وينصحب حكم الشيخ على بقية الحاضرين في ترك الموافقة للشبان فإذا حكوا عن السماع ردت الواجد إلى خرقته ويوافق الحاضرون برفع العلم ثم ردت على الرءوس في الحال للموافقة والحرقة إذا رميت إلى الحادى هي للحادى إذا قصد إعطاء إياها وإن لم يقصد إعطاءها للحادى قبل هي للحادى لأن الحركة هو ومنه صدر للوجد لى الحركة . وقال بعضهم هي للجمع والحادى واحد منهم لأن الحركة قول الحادى مع ركة الجمع في إحداث الوجد وإحداث الوجد لا يتقاصر عن قول القائل فيكون الحادى واحدا منهما في ذلك . روى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال

واعلم أن الفهم قد يختلف بأحوال المستمع فيطلب الوجد على مستمعين لبيت واحد وأحدهما مصيب في الفهم والآخر غلط. أو كلاهما مصيبان وقد فهما معنيين مختلفين متضادين ولكنه بالإضافة إلى اختلاف أحوالهما لا يتناقض كما حكى عن عتبة الغلام أنه سمع رجلا يقول :

سبحان جبار السما إن الحب لفي هنا

قال صدقت وسمعه رجل آخر قال كذبت فقال بعض ذوي البصائر أصابا جميعا وهو الحق فالصديق كلام محب غير ممكن من الراد بل مصدود ومتعب بالصد والمجهر ، والتكذيب كلام مستأنس بالحب مستلذ لما يقاسيه بسبب فرط حبه غير متأثر به أو كلام محب غير مصدود عن مراده في الحال ولا منتشر بخطر الصد في المال وذلك لاستيلاء الرجاء وحسن الظن على قلبه فاختلاف هذه الأحوال يختلف الفهم . وحكى عن أبي القاسم بن مروان ، وكان قد صحب أبا سعيد الخراز رحمه الله وترك حضور السماع سنين كثيرة فحضر دعوة وفيها إنسان يقول :

واقف في اللاء عطشا ن ولكن ليس يسقى

قام القوم وتواجدوا فلما سكنوا سألهم عن معنى ما وقع لهم من معنى البيت فأشاروا إلى التعطش إلى الأحوال الشريفة والحرمان منها مع حضور أسبابها فلم ينفقه ذلك فقالوا له لماذا عندك فيه فقال أن يكون في وسط الأحوال ويكرم بالكرامات ولا يعطى منها ذرة وهذه إشارة إلى إثبات حقيقة وراء الأحوال والكرامات والأحوال سوابقها والكرامات تسبق في مبادئها والحقيقة بعد لم يقع الوصول إليها ولا فرق بين المعنى الذي فهمه وبين ما ذكره إلا في تفاوت رتبة للتعطش إليه فان المحروم عن الأحوال الشريفة أولا يتعطش إليها فان مكن منها تعطش إلى ما وراءها فليس بين المعنيين اختلاف في الفهم بل الاختلاف بين الرتبتين . وكان السبيل رحمه الله كثيرا ما يتواجد على هذا البيت :

ودادكم هجر وجكم قلى ووصلكم صرم وسلكم حرب

وهذا البيت يمكن سماعه على وجوه مختلفة بعضها حق وبعضها باطل وأظهرها أن يفهم هذا في الخلق بل في الدنيا بأسرها بل في كل ما سوى الله تعالى فان الدنيا مكررة خداعة قتالة لأربابها معادية لهم في الباطن ومظهرة صورة الود « لما امتلأت منها دار حبرة إلا امتلأت عبرة » (١) « كأورد في الخبر وكما قال التلميذ في وصف الدنيا :

تنح عن الدنيا فلا تخطبها ولا تخطبن قتالة من تناكح
فليس في مرجوها بخوفها ومكروها إما تأملت راجع
لقد قال فيها الواصفون فأكثروا وعندى لها وصف لعمري صالح
سلاف قصارها زعاف ومركب شهي إذا استدلتته فهو جامع
وشخص جميل يؤثر الناس حسنه ولكن له أسرار سوء قبائح

والمعنى الثاني : أن ينزله على نفسه في حق الله تعالى فانه إذا تفكر فمعرفة جهل إذا قدروا الله حق قدره وطاعته رياء إذ لا يتق الله حق تقاته وجه معلول إذ لا يدع شهوة من شهواته في حبه ومن أراد الله به خيرا بصره بصوب نفسه فيرى مصداق هذا البيت في نفسه وإن كان على الرتبة بالإضافة إلى الغافلين ولذلك قال صلى الله عليه وسلم « لا أحصى ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك » (٢) وقال عليه الصلاة والسلام « إني لأستغفر الله في اليوم والليلة سبعين مرة » (٣) « وإنما كان استغفاره عن أحوال

(١) حديث ما امتلأت دار منها حبرة إلا امتلأت عبرة ابن المبارك عن عكرمة بن عمار عن يحيى بن أي كثير مرسل (٢) حديث لا أحصى ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك رواه مسلم وقد تقدم (٣) حديث إني لأستغفر الله في اليوم والليلة سبعين مرة تقدم في الباب الثاني من الأذكار .

يوم بدر » من وقف بمكان كذا فله كذا ومن قتل فله كذا ومن أسرفه كذا ففسارح الشبان وأقام الشيوخ والوجوه عند الرايات فلما فتح الله على المسلمين طلب الشبان أن يحمل ذلك لهم فقال الشيوخ كنا ظهرا لكم وردنا فلا تذهبوا بالفتنم دوننا فأنزله الله تعالى - يستلونك عن الأتقال قل الأتقال لله والرسول - قسم النبي صلى الله عليه وسلم بينهم بالسوية . وقيل إذا كان القول من القوم يحمل كواحد منهم وإذا لم يكن من القوم لما كان له قيمة يؤثر به وما كان من خرق الفقراء يقسم بينهم . وقيل إذا كان القول أجيرا فليس له منها شيء وإن كان متبرعا يؤثر بذلك وكل هذا إذا لم يكن هناك شيخ يحكم فأما إذا كان هناك شيخ يهاب

هي درجات بعد بالإضافة إلى ما بعدها وإن كانت قريبا بالإضافة إلى ما قبلها فلا قرب إلا ويقي وراه
 قرب لانهاية له إذ سبيل السلوك إلى الله تعالى غير متناه والوصول إلى أقصى درجات القرب محال وللحق
 الثالث أن ينظر في مبادئ أحواله ويرتضيها ثم ينظر في عواقبها فيزدريها لاطلاعها على خفايا القصور
 فيها فيرى ذلك من الله تعالى فيستمع البيت في حق الله تعالى شكاية من القضاء والقدر وهذا كفر
 كما سبق بيانه وما من بيت إلا ويمكن تنزيهه على معان وذلك بقدر غزارة علم السمع وصفاء قلبه .
 الحالة الرابعة : سماع من جاوز الأحوال والمقامات فمزب عن فهم ماسوى الله تعالى حتى عزب عن نفسه
 وأحواله ومعاملاتها وكان كالدهوش الغائص في بحر عين الشهود الذي يضاهى حاله حال النسوة
 اللاتي قطنن أيديهن في مشاهدة جمال يوسف عليه السلام حتى دهشن وسقط إحساسهن وعن
 مثل هذه الحالة تعبر الصوفية بأنه قد فنى عن نفسه ومهما فنى عن نفسه فهو عن غيره أفى فكأنه
 فنى عن كل شيء إلا عن الواحد للشهود وفنى أيضا عن الشهود فإن القلب أيضا إذا التفت إلى الشهود
 وإلى نفسه بأنه مشاهد فقد غفل عن الشهود فالمستبهر بالمرئي لا التفات له في حال استغراقه إلى رؤيته
 ولا إلى عينه التي بهار رؤيته ولا إلى قلبه الذي به لذته فالسكران لا خبره من سكره والتلذذ لا خبر له من
 التذاذع وإنما خبره من التلذذ به فقط ومثاله العلم بالشيء فإنه مغاير للعلم بالعلم بذلك الشيء فالعالم بالشيء
 مهمور وعليه العلم بالعلم بالشيء كان معرضا عن الشيء ومثل هذه الحالة قد تطرأ في حق الخلق وتطراً
 أيضا في حق الخالق ولكنها في الغالب تكون كالبرق الخاطف الذي لا يثبت ولا يدوم وإن دام لم تطفئه
 القوة البشرية فربما اضطرب تحت أعبائه اضطرابا تهلك به نفسه كما روى عن أبي الحسن النوري
 أنه حضر مجلسا فسمع هذا البيت :

مازلت أنزل من ودللك منزلا تتحير الألباب عند نزوله

فقام وتواجد وهام على وجهه فوق في أجمة نصب قد قطع وبقيت أصوله مثل السيوف فصار يمدونها ويبيع
 البيت إلى القداء والدم يخرج من رجليه حتى ورمت قدماء وساقاه وعاش بعد ذلك أياما ومات رحمه
 الله فهذه درجة الصديقين في الفهم والوجد فهي أعلى الدرجات لأن السماع على الأحوال نازل عن
 درجات الكمال وهي بمنزلة صفات البشرية وهو نوع قصور وإنما السكمال أن يفنى بالكلية عن نفسه
 وأحواله أعنى أنه ينساها فلا يبقى له التفات إليها كما لم يكن للنسوة التفات إلى الأيدي والسكاكين
 فيسمع لله وبالله وفي الله ومن الله وهذه رتبة من خاض لجة الحقائق وعبر ساحل الأحوال والأعمال
 وأخذ بصفاء التوحيد وتحقق بمحض الاخلاص فلم يبق فيه منه شيء أصلا بل خمدت بالكلية
 بشريته وفنى التفاته إلى صفات البشرية رأسا ولست أعنى بفنائه فناء جسده بل فناء قلبه ولست
 أعنى بالقلب اللحم والدم بل سر لطيفه إلى القلب الظاهر نسبة خفية وراءها سر الروح الذي هو
 من أمرائه عز وجل عرفها من عرفها وجهها من جهلها ولذلك السر وجود وصورة ذلك الوجود
 ما يحضر فيه فإذا حضر فيه غيره فكأنه لا وجود إلا للحاضر ومثاله المرأة المجلوبة إذ ليس لها نور
 في نفسها بل لونها لون الحاضر فيها وكذلك الزجاجة فانها تحكى لون قرارها ولونها لون الحاضر فيها
 وليس لها في نفسها صورة بل صورتها قبول الصور ولونها هويته الاستعداد لقبول الألوان ويعرب
 عن هذه الحقيقة أعنى سر القلب بالإضافة إلى ما يحضر فيه قول الشاعر :

رق الزجاج ورق الحمر فتشابه فتشاكل الأمر

فكأنما خمر ولا قدح وكأنما قدح ولا خمر

وهذا مقام من مقامات علوم الكاشفة منه نشأ خيال من ادعى الحلول والاتحاد ، وقال أنا الحق

وبمثل أمره فالشيخ
 يحكم في ذلك بما يرى
 فقد تختلف الأحوال
 في ذلك وللشيخ
 اجتهد فيقل ما يرى
 فلا اعتراض لأحد
 عليه وإن فداها
 بعض المحبين أو بعض
 الحاضرين فرضى
 للقول والقوم بما
 رضوا به وعاد كل
 واحد منهم إلى خرقته
 فلا بأس بذلك وإذا
 أصروا على الإتيار
 بما خرج منه لنية له
 في ذلك يؤثر بخرقته
 الحادى وأما تمزيق
 الحرقه المبروكة التي
 مزقها واحد صادق
 عن غلبة سلبت
 اختياره كغلبة النفس
 فمن يتعمد إمساكه
 فتيهم في تفرقتها
 وتمزيقها التبرك بالحرقه
 لأن الوجد أثر من
 آثار فضل الحق وتمزيق
 الحرقه أثر من آثار
 الوجد فصارت الحرقه
 متأثرة بأثر رباني من
 ضمنها أن تقدى بالنفوس

وحوله يدندن كلام النصارى في دعوى اتحاد الالهوت بالناسوت أو تدرعها بها أو حلولها فيها على ما اختلف فيهم عباراتهم وهو غلط محض يضاهى غلط من يحكم على المرأة بصورة الحجرة إذ ظهر فيها لون الحجرة من مقابلها وإذا كان هذا غير لائق بعلم العامة فلنرجع إلى الغرض فقد ذكرنا تفاوت الدرجات في فهم السموعات . المقام الثاني : بعد الفهم والتزيل الوجد . وللباس كلام طويل في حقيقة الوجد أعنى الصوفية والحكماء الناظرين في وجه مناسبة السماع للأرواح فلنقتل من أنوالهم ألقاظهم لنكشف عن الحقيقة فيه أما الصوفية فقد قال ذو النون المصري رحمه الله في السماع إنه وارد حق جاء بزعم القلوب إلى الحق فمن أضنى إليه بحق تحقق ومن أضنى إليه بنفس ترندق فكانه عبر عن الوجد بانزعاج القلوب إلى الحق وهو الذي يجده عند ورود وارد السماع إذسمى السماع وارد حق . وقال أبو الحسين الدراج مخبرا عما وجدته في السماع الوجد عبارة عما يوجد عند السماع وقال جال بن السماع في ميادين البهاء فأوجدني وجود الحق عند المطاء فسقاني بكأس الصفاء فأدركت به منازل الرضاء وأخرجني إلى رياض التنزه والفضاء . وقال الشبلي رحمه الله : السماع ظاهره فتنة وباطنه عبرة فمن عرف الإشارة حل له استماع العبارة وإلا فقد استدعى الفتنة وتعرض للبلية وقال بعضهم السماع غذاء الأرواح لأهل المعرفة لأنه وصف يندى عن سائر الأعمال ويدرك بركة الطبع لرقته وبصفاء السر لصفائه ولطفه عند أهله وقال عمرو بن عثمان السكي لا يقع على كيفية الوجد عبارة لأنه سر الله عند عباده المؤمنين المؤمنين وقال بعضهم الوجد مكاشفات من الحق وقال أبو سعيد بن الأعرابي الوجد رفع الحجاب ومشاهدة الرقيب وحضور الفهم وملاحظة الغيب ومحادثة السر وإيناس للفقود وهو فناؤك من حيث أنت وقال أيضا الوجد أول درجات الخسوس وهو ميراث التصديق بالغيب فلما ذاقوه وسطع في قلوبهم نوره زال عنهم كل شك وريب وقال أيضا الذي يحجب عن الوجد رؤية آثار النفس والتعلق بالعلائق والأسباب لأن النفس معجوبة بأسبابها فإذا انقطعت الأسباب وخلص الفكر وصحا القلب ورق وصفا ونجعت الموعظة فيه وحل من اللذات في محل قريب وخوطب وصمغ الخطاب بأذن واعية وقلب شاهد وسر ظاهر فتشاهد ما كان منه خاليا فذلك هو الوجد لأنه قد وجد ما كان معدوما عنده وقال أيضا الوجد ما يكون عند ذكر مزيج أو خوف مقلق أو توييح على زلة أو محادثة بلطفية أو إشارة إلى فائدة أو شوق إلى غائب أو أسف على فائت أو ندم على ماض أو استجلاب إلى حال أو داع إلى واجب أو مناجاة بسر وهو مقابلة الظاهر بالظاهر والباطن بالباطن والغيب بالغيب والسر بالسر واستخراج مالك بما عليك مما سبق للسمي فيه فيكتب ذلك لك بعد كونه منك فيثبت لك قدم بلا قدم وذكر بلا ذكر إذ كان هو البتدى . بالم والتولى وإليه يرجع الأمر كله فهذا ظاهر علم الوجد وأقوال الصوفية من هذا الجنس في الوجد كثيرة . وأما الحكماء فقال بعضهم في القلب فضيلة شريفة لم تقدر قوة النطق على إخراجها باللفظ فأخرجتها النفس بالألحان فلما ظهرت سرت وطربت إليها فاستمعوا من النفس وناجوها ودعوا مناجاة الظواهر وقال بعضهم نتائج السماع استنباط العاجز من الرأي واستجلاب العازب من الأفكار وحدة الكمال من الأفهام والآراء حتى يثوب ماعزب وينض ما محزب ووصفو ما كدر ويمرح في كل رأى ونية فيصيب ولا يخطئ . ويأتى ولا يخطئ . وقال آخر كأن الفكر يطرُق العلم إلى العلوم فالسماع يطرُق القلب إلى العالم الروحاني . وقال بعضهم وقد سئل عن سبب حركة الأطراف بالطبع على وزن الألحان والايقاعات فقال ذلك عشق عقل والعاشق العقلى لا يحتاج إلى أن يناغى مشوقة بالنطق الجرمي بل يناغيه ويناجيه بالتبسم واللمحظ والحركة اللطيفة بالحاجب والجفن والإشارة وهذه نواطق أجمع إلا أنهار روحانية وأما العاشق الهيمى فإنه يستعمل النطق الجرمي ليمر به

وترك على الروس
إسكراما واعزازا :
تضوع أرواح نجد
من ثيابهم
يوم القدوم تقرب
المهد بالدار
كان رسول الله صلى الله
عليه وسلم يستقبل
الغيب ويتبرك به
ويقول حديث عهد
ربه فالحرقة المزقة
حديثه العهد فكم
المجروحة أن تفرق على
الحاضرين وحكم
ما يتبعها من الحرق
الصالح أن يحكم فيها
الشيخ إن خصص
بعض منها بعض الفقهاء
فله ذلك وإن خرقها
خرقا فله ذلك ولا يقال
هذا تفریط وسرف
فإن الحرقة الصغيرة
ينفع بها في موضعها
عند الحاجات
كالكبيرة . وروى
عن أمير المؤمنين على
ابن أبي طالب رضي الله
عنه أنه قال « أهدى
لرسول الله صلى الله
عليه وسلم حلة حرير

عن عمرة ظاهر شوقه الضعيف وعشقه الزائف . وقال آخر من حزن فليسمع الألبان فان النفس إذا دخلها الحزن خمد نورها وإذا فرحت اشتعل نورها وظهر فرحها فيظهر الحنين بقدر قبول القابل وذلك بقدر صفاته ونقائه من الغش والدنس . والأقويل للقررة في السماع والوجد كثيرة ولا معنى للاستكثار من إيرادها فلنشتغل بتفهم المعنى الذي الوجد عبارة عنه فنقول إنه عبارة عن حالة يثمرها السماع وهو وارد حق جديد عقيب السماع يجده المستمع من نفسه وتلك الحالة لا تخلو عن قسمين فانها إما أن ترجع إلى مكاشفات ومشاهدات هي من قبيل العلوم والتبنيات وإما أن ترجع إلى تغيرات وأحوال ليست من العلوم بل هي كالشوق والخوف والحزن والقلق والسرور والأسف والندم والبسط والقبض وهذه الأحوال يهيجها السماع ويقويها فان ضعف بحيث لم يؤثر في تحريك الظاهر أو تسكينه أو تغيير حاله حتى يتحرك على خلاف عادته أو يطرق أو يسكن عن النظر والنطق والحركة على خلاف عادته لم يسم وجدا وإن ظهر على الظاهر ممي وجدا إما ضعيفا وإما قويا بحسب ظهوره وتغييره للظاهر وتحريكه بحسب قوة وروده وحفظ الظاهر عن التغيير بحسب قوة الواجد وقدرته على ضبط جوارحه فديقوى الوجد في الباطن ولا يتغير الظاهر لقوة صاحبه وقد لا يظهر لضعف الوارد وقصوره عن التحريك وحل عقد التماسك وإلى معنى الأول أشار أبو سعيد بن الأعرابي حيث قال في الوجد إنه مشاهدة الرقيب وحضور الفهم وملاحظة الغيب ولا يبعد أن يكون السماع سببا لكشف ما لم يكن مكشوفاً قبله فإن الكشف يحصل بأسباب منها التنبية والسماع منه ومنها تغير الأحوال ومشاهدتها وإدراكها فان إدراكها نوع علم يفيد إيضاح أمور لم تكن معلومة قبل الورد ومنها صفاء القلب والسماع يؤثر في تصفية القلب والصفاء يسبب الكشف ومنها انبعاث نشاط القلب بقوة السماع فيقوى به على مشاهدة ما كان تقصر عنه قبل ذلك قوته كما يقوى البعير على حمل ما كان لا يقوى عليه قبله وعمل القلب الاستكشاف وملاحظة أسرار اللكوت كما أن عمل البعير حمل الأثقال فبواسطة هذه الأسباب يكون سببا للكشف بل القلب إذا صفا ربما يمثل له الحق في صورة مشاهدة أو في لفظ منظوم يقرع سمعه يبر عنه بصوت الهاتف إذا كان في اليقظة والرؤيا إذا كان في المنام وذلك جزء من ستة وأربعين جزءا من النبوة وعلم تحقيق ذلك خارج عن علم للعامة وذلك كما روى عن محمد ابن مسروق البغدادي أنه قال خرجت ليلة في أيام جهالي وأنا نشوان وكنت أغنى هذا البيت :

بطور سيناء كرم ما مررت به إلا تعجبت ممن يشرب الماء

فسمعت قائلا يقول :

وفي جهنم ماء ما تجمعه خالق فأبقى له في الجوف أمعاء

قال فكان ذلك سبب توبتي واشتغالي بالعلم والعبادة ، فانظر كيف أثر الغناء في تصفية قلبه حتى يمثل له حقيقة الحق في صفة جهنم في لفظ مفهوم موزون وقرع ذلك سمعه الظاهر . وروى عن مسلم العباداني أنه قال قسم علينا مرة صالح المري وعتبة الغلام وعبد الواحد بن زيد ومسلم الأسوارى فزولوا على الساحل قال فهيات لهم ذات ليلة طعاما فدعوتهم إليه فجاءوا فلما وضعت الطعام بين أيديهم إذا بقائل يقول رافعا صوته هذا البيت :

وتلهيك عن دار الخلود مطاعم ولذة نفس غيبا غير نافع

قال فصاح عتبة الغلام صيحة وخر مغشيا عليه وبقي القوم فرضعت الطعام وماذاقوا والله منه لذة ، وكما يسمع صوت الهاتف عند صفاء القلب فيشاهد أيضا بالبصر صورة الحضرة عليه السلام فانه يمثل لأرباب القلوب بصور مختلفة وفي مثل هذه الحالة تمثل اللائكة للأنبياء عليهم السلام إما على حقيقة صورتها

فأرسل بها إلى غفرجت فيها فقال لي ما كنت لأكره لنفسى شيئا أرضاه لك فتشققها بين النساء خيرا وفي رواية أنيته قلت ما أصنع بها ألبسها قال ولكن اجعلها خيرا بين القواطم أراد فاطمة بنت أسد وفاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم وفاطمة بنت حمزة وفي هذه الرواية أن الهدية كانت حلة مكفوفة بحري وهذا وجه في السنة لتزيق الثوب وجعله خرقا . حكى أن الفقهاء والصوفية بنسبهم اجتمعوا في دعوة فوكت الحرقه وكان شيخ الفقهاء الشيخ أبو محمد الجويني وشيخ الصوفية الشيخ أبا القاسم القشيري قصمت الحرقه على عاداتهم فالتفت الشيخ أبو محمد إلى بعض الفقهاء وقال سرا هذا سرف وإضاعة للمال فسمع أبو القاسم

وإما على مثال بما حكى صورتها بعض المحاكاة وقد رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم جبريل عليه السلام مرتين في صورته وأخبر عنه بأنه سد الأفق (١) وهو المراد بقوله تعالى - علمه شديد القوى ذو مرة فاستوى وهو بالأفق الأعلى - إلى آخر هذه الآيات وفي مثل هذه الأحوال من الصفاء يقع الاطلاع على ضمائر القلوب وقد عبر عن ذلك الاطلاع بالنفوس ولذلك قال **عليه السلام** « اتقوا فراصة المؤمن فإنه ينظر بنور الله (٢) » وقد حكى أن رجلا من المهجوس كان يدور على المسلمين ويقول ما معنى قول النبي صلى الله عليه وسلم « اتقوا فراصة المؤمن » فكان يذكر له تفسيره فلا يقنعه ذلك حتى انتهى إلى بعض الشايخ من الصوفية فسأله فقال له معناه أن تقطع الزنار الذي على وسطك تحت ثوبك فقال صدقت هذا معناه وأسلم وقال الآن عرفت أنك مؤمن وأن إيمانك حق . وكما حكى عن إبراهيم الخواص قال كنت بغداد في جماعة من الفقهاء فأقبل شاب طيب الرائحة حسن الوجه فقلت لأصحابي يقع لي أنه يهودي نسلكهم كرهوا ذلك فخرج الشاب ثم رجع إليهم وقال أي شيء قال الشيخ في فاحتشموه فألج عليهم فقالوا له قال إنك يهودي قال فجاءني وأكب على يدي وقبل رأسي وأسلم وقال نجد في كتبنا أن الصديق لا تخطئ فراسته فقلت أمتحن المسلمين فتأملتهم فقلت إن كان فيهم صديق ففي هذه الطائفة لأنهم يقولون حديثه سبحانه ويقرءون كلامه فلبست عليكم فلما اطلع على الشيخ ونفوس في علمت أنه صديق قال وصار الشاب من كبار الصوفية وإلى مثل هذا الكشف الإشارة بقوله عليه السلام « لولا أن الشياطين يحومون على قلوب بني آدم لنظروا إلى ملكوت السماء (٣) » وإنما يحوم الشياطين على القلوب إذا كانت مشحونة بالصفات الذمومة فانها امرعى الشيطان وجنده ومن خلص قلبه من تلك الصفات وصفاه لم يطف الشيطان حول قلبه وإليه الإشارة بقوله تعالى - لإعبادك منهم المخلصين - وبقوله تعالى - إن عبادي ليس لك عليهم سلطان - والسماع سبب لصفاء القلب وهو شبكة للحق بواسطة الصفاء وعلى هذا يدل ما روى أن ذا النون المصري رحمه الله دخل بغداد فاجتمع إليه قوم من الصوفية ومعهم قوال فاستأذنوه في أن يقول لهم شيئا فأذن لهم في ذلك فأنشأ يقول :

صغير هواك عذبي فكيف به إذا احتنكا وأنت جمعت في قلبي
هوى قد كان مشتركا أما ترى لي كتب إذا ضحك الحلى بكى

فقام ذو النون وسقط على وجهه ، ثم قام رجل آخر فقال ذا النون الذي يراك حين تقوم فجلس ذلك الرجل وكان ذلك اطلاعا من ذي النون على قلبه أنه متكلف متواجد فعرفه أن الذي يراه حين يقوم هو الخصم في قيامه لعير الله تعالى ولو كان الرجل صادقا لما جلس ، فاذا قد رجع حاصل الوجد إلى مكاشفات وإلى حالات . واعلم أن كل واحد منهما ينقسم إلى ما يمكن التعبير عنه عند الافاقته وإلى ما لا تمكن العبارة عنه أصلا ولعلك تستبعد حالة أو علما لا تعلم حقيقة ولا يمكن التعبير عنه عن حقيقة فلا تستبعد ذلك فانك تجد في أحوالك القرية لذلك شواهد . أما العلم فكمن قفيه تعرض عليه مسئلتان متشابهتان في الصورة ويدرك القفيه بذوقه أن بينهما فرقا في الحكم وإذا كلف ذكر وجه الفرق لم يساعده اللسان على التعبير وإن كان من أفصح الناس فيدرك بذوقه الفرق ولا يمكنه التعبير عنه وإدراكه الفرق علم يصادفه في قلبه بالدوق ولا يشك في أن لوقوعه في قلبه سببا وله عند الله تعالى حقيقة ولا يمكنه الاخبار عنه لا لتصور في لسانه بل لدقة المعنى في نفسه عن أن تناله العبارة وهذا مما قد تفتن له

(١) حديث رأى جبريل عليه السلام مرتين في صورته فأخبر أنه سد الأفق متفق عليه من حديث عائشة (٢) حديث اتقوا فراصة المؤمن فإنه ينظر بنور الله تعالى الترمذي من حديث أبي سعيد وقال حديث غريب (٣) حديث لولا أن الشياطين يحومون على بني آدم لنظروا إلى ملكوت السماء تقدم في الصوم .

المشيري ولم يقل شيئا
حق فرغت القسمة ثم
استدعى الخادم وقال
انظر في الجمع من معه
سجادة خرق اتنى بها
لجاءه - بسجادة ثم
أحضر رجلا من أهل
الحبرة فقال هذه
السجادة بكم تشتري
في المزار؟ قال بدينار قال
ولو كانت قطعة واحدة
كم تساوى قال نصف
دينار ثم التفت إلى
الشيخ أبي محمد وقال
هذا لا يسمى اذاعة
للال والحركة للمزقة
تقسم على جميع
الحاضرين من كان
من الجنس أو من غير
الجنس إذا كان حسن
الظن بالقوم معتقدا
للتبرك بالحركة .
روى طبارق بن
شهاب أن أهل البصرة
غزوا نهاوند وأمدم
أهل الكوفة وعلى
أهل الكوفة عمار بن
ياسر فظهروا وأراد
أهل البصرة أن
لا يقسموا لأهل

الواظبون على النظر في المشكلات . وأما الحال فنسب من إنسان يدرك في قلبه في الوقت الذي يصبح فيه قبضا أو بسطا ولا يعلم سببه وقد يتفكر إنسان في شيء فيؤثر في نفسه أثرا فينبى ذلك السبب ويبقى الأثر في نفسه وهو يحس به وقد تكون الحالة التي يحسها سرورا ثبت في نفسه بتفكره في سبب موجب للسرور أو حزنا فينبى التفكير فيه ويحس بالأثر عقبيه وقد تكون تلك الحالة حالة غريبة لا يعرب عنها لفظ السرور والحزن ولا يصادف لها عبارة مطابقة لمقصود بل ذوق الشعر الوزون والفرق بينه وبين غير الوزون يختص به بعض الناس دون بعض وهي حالة يدركها صاحب الذوق بحيث لا يشك فيها أعنى التفرقة بين الوزون والتزخف فلا يمكنه التصبر عنها بما يتضح مقصوده به لمن لا ذوق له وفي النفس أحوال غريبة هذا وصفها بل المعاني المشهورة من الخوف والحزن والسرور إنما تحصل في السماع عن غناء مفهوم ، وأما الأوتار وسائر النغمات التي ليست بمفهومة فأنها تؤثر في النفس تأثيرا عجيبا ولا يمكن التعبير عن عجائب تلك الآثار وقد يعبر عنها بالشوق ولكن شوقه لا يعرف صاحبه الشائق إليه فهو محبب والذي اضطرب قلبه بسماع الأوتار أو الشاهين وما أشبهه ليس يدري إلى ماذا يشاق ويحب في نفسه حالة كأنها تقاضى أمرا ليس يدري ماهو حتى يقع ذلك للعوام ومن لا يغلب على قلبه لاجب آدمي ولا حب الله تعالى وهذا لاسر وهو أن كل شوق فله ركنان : أحدهما صفة الشائق وهو نوع مناسبة مع الشائق إليه . والثاني معرفة الشائق إليه ومعرفة صورة الوصول إليه فان وجدت الصفة التي بها الشوق ووجد العلم بصورة الشائق إليه كان الأمر ظاهرا وإن لم يوجد العلم بالمشتاق ووجدت الصفة المشوقة وحركت قلبك الصفة واشتعلت نازها أورت ذلك دهشة وحيرة لا محالة ولو نشأ آدمي وحده بحيث لم ير صورة النساء ولا عرف صورة الوقاع ثم راهق الحلم وغلبت عليه الشهوة لكان يحس من نفسه ناز الشهوة ولكن لا يدري أنه يشاق إلى الوقاع لأنه ليس يدري صورة الوقاع ولا يعرف صورة النساء فكذلك في نفس الآدمي مناسبة مع العالم الأعلى واللذات التي وعد بها في مدرة النسي والفراديس العلى إلا أنه لم يتخيل من هذه الأمور إلا الصفات والأسماء كالذي سمع لفظ الوقاع واسم النساء ولم يشاهد صورة امرأة قط ولا صورة رجل ولا صورة نفسه في المرأة يعرف بالمقايسة فالسماع يحرك منه الشوق والجهل المقرط والاشتغال بالدنيا قد أنساه نفسه وأنساه ربه وأنساه مستقره الذي إليه حنينه واشتياقه بالطبع فيتقاضاه قلبه أمرا ليس يدري ماهو فيدهش ويتعبر ويضطرب ويصكون كالخنتق الذي لا يعرف طريق الخلاص فهذا وأمثاله من الأحوال التي لا يدرك تمام حقائقها ولا يمكن التصف بها أن يعبر عنها فقد ظهر انقسام الوجد إلى ما يمكن إظهاره وإلى ما لا يمكن إظهاره . واعلم أيضا أن الوجد ينقسم إلى هاجم وإلى متكلف ويسمى التواجد وهذا التواجد المتكلف فنه مذموم وهو الذي يقصد به الرياء وإظهار الأحوال الشريفة مع الافلاس منها ومنه ماهو محمود وهو التوصل إلى استدعاء الأحوال الشريفة واكتسابها واجتلابها بالحيلة فان للسكسب مدخلا في جلب الأحوال الشريفة ولذلك أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم من لم يحضره البكاء في قراءة القرآن أن يتباكى ويتحازن (١) فان هذه الأحوال قد تكلف مبادئها ثم تتحقق أواخرها وكيف لا يكون التكلف سببا في أن يصير التكلف في الآخرة طبعيا وكل من يتعلم القرآن أو لا يحفظه تكلفا وبقروءه تكلفا مع تمام التأمل وإحضار الذهن ثم يصير ذلك ديدنا للسان مطردا حتى يجري به لسانه في الصلاة وغيرها وهو غافل فيقرأ تمام السورة وتثوب نفسه إليه بعد انتهائه إلى آخرها ويعلم أنه قرأها في حال غفلة وكذلك الكاتب يكتب في الابتداء بجهد شديد ثم

الكوفة من الغنمة شيئا فقال رجل من بني تميم لعمار أبيها الأجسدي تريد أن تشاركنا في غنائنا فكتب إلى عمر بذلك فكتب عمر رضى الله عنه أن الغنمة لمن شهد الواقعة وذهب بعضهم إلى أن المجرع من الحرق ينقسم على الجمع وما كان من ذلك صحيحا يعطى للقوال . واستدل بما روى عن أبي قتادة قال لما وضعت الحرب أوزارها يوم حنين وفرغنا من اقوم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من قتل قتيلًا فله سلبه » وهذا له وجه في الحرق الصحيحة فأما المجرعة فكيفها اسهام الحاضرين والقسم لهم ولو دخل على الجمع وقت القسم لم يكن حاضرا قسم له . روى أبو موسى الأشعري رضى الله

(١) حديث البكاء عند قراءة القرآن فان لم تبكوا فبأكوا ، تقدم في تلاوة القرآن في الباب الثاني .

تتمرن على الكتابة يده فيصير الكتاب له طبعاً فيكتب أوراقاً كثيرة وهو مستغرق القلب بفكر آخر فجميع ما تحتله النفس والجوارح من الصفات لاسيلاً إلى اكتسابه إلا بالتكلف والتصنع أولاً ثم يصير بالعادة طبعاً وهو المراد بقول بعضهم : العادة طبيعة خامسة . فكذا الأحوال الشريفة لا ينبغي أن يقع اليأس منها عند فقدتها بل ينبغي أن يتكلف اجتلابها بالسماع وغيره فلقد شوهده في العادات من انتهى أن يشق شخصاً ولم يكن يشقه فلم يزل يردد ذكره على نفسه ويديم النظر إليه ويقرر على نفسه الأوصاف المحبوبة والأخلاق المحمودة فيه حتى غشقه ورسخ ذلك في قلبه رسوخاً خرج عن حد اختياره فاشتبهى بعد ذلك الخلاص منه فلم يتخلص فكذلك حب الله تعالى والشوق إلى لقائه والخوف من سخطه وغير ذلك من الأحوال الشريفة إذا فقدتها الإنسان فينبغي أن يتكلف اجتلابها بمجالة الموصوفين بها ومشاهدة أحوالهم وتعيين صفاتهم في النفس وبالجلوس معهم في السماع وبالثناء والتضرع إلى الله تعالى في أن يرزقه تلك الحالة بأن ييسره لأسبابها . ومن أسبابها السماع ومجالة الصالحين والخائفين والحسينين والشتائين والحاشين فمن جالس شخصاً سرت إليه صفاته من حيث لا يدري وبدل على إمكان تحصيل الحب وغيره من الأحوال بالأسباب قول رسول الله صلى الله عليه وسلم في دعائه « اللهم ارزقني حبك » حب من أحبك وحب من يقرئني إلى حبك ^(١) » قد فزع عليه السلام إلى الدعاء في طلب الحب فهذا بيان انقسام الوجد إلى مكاشفات وإلى أحوال وانقسامه إلى ما يمكن الإفصاح عنه وإلى ما لا يمكن وانقسامه إلى التكلف وإلى المطبوع . فان قلت : فما بال هؤلاء لا يظهر وجدهم عند سماع القرآن وهو كلام الله ويظهر عند الغناء وهو كلام الشعراء فلو كان ذلك حقاً من لطف الله تعالى ولم يكن باطلاً من غرور الشيطان لكان القرآن أولى به من الغناء فنقول : الوجد الحق هو ما ينشأ من فرط حب الله تعالى وصدق إرادته والشوق إلى لقائه وذلك يهيج بسماع القرآن أيضاً وإنما الذي لا يهيج بسماع القرآن حب الحلق وعشق الخلق وبدل على ذلك قوله تعالى - ألا بذكر الله تطمئن القلوب - وقوله تعالى - مثاني نقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم ثم تلين جلودهم وقلوبهم إلى ذكر الله - وكل ما يوجد عقيب السماع بسبب السماع في النفس فهو وجد فالطمأنينة والانتعاش والخشية ولين القلب كل ذلك وجد وقد قال الله تعالى - إنما المؤمنون الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم - وقال تعالى - لو أنزلنا هذا القرآن على جبل لرأيته خائفاً متصدعاً من خشية الله - فالوجل والخشوع وجد من قبيل الأحوال وإن لم يكن من قبيل المكاشفات ولكن قد يصير سبباً للمكاشفات والتنبيهات ولهذا قال صلى الله عليه وسلم « زينوا القرآن بأصواتكم ^(٢) » وقال لآبي موسى الأشعري « لقد أوتى مزماراً من مزامير آل داود عليه السلام ^(٣) » . وأما الحكايات الدالة على أن أرباب القلوب ظهر عليهم الوجد عند سماع القرآن فكثيرة فقوله صلى الله عليه وسلم « شيتني هود وأخواتها ^(٤) » خبر عن الوجد فإن الشيب يحصل من الحزن والخوف وذلك وجد . وروى أن ابن مسعود رضي الله عنه قرأ على رسول الله صلى الله عليه وسلم سورة النساء فلما انتهى إلى قوله تعالى - فكيف إذا جثا من كل أمة بشهيد

تعالى عنه قال لما قدما على رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد خير ثلاث فأقسم لنا ولم يسم لأحد لم يشهد الفتح غيرنا ويكره للقوم حضور غير الجنس عندهم في السماع كتره لا ذوق له من ذلك فينكر ما لا ينكر أو صاحب دنيا يحوج إلى للدارة والتكلف أو متكلف للوجد يشوش الوقت على الحاضرين بتواجده أخبرنا أبو زرعة طاهر عن والده أبي الفضل الحافظ القدسي قال أخبرنا أبو منصور محمد بن عبد الملك المظفري برخص قال أخبرنا أبو علي الفضل بن منصور بن نصر الكاغدي السمرقندي إجازة قال حدثنا الهيثم بن كليب قال أخبرنا أبو بكر عمار بن اسحق قال ثنا سعيد بن عامر عن شعبة عن

(١) حديث اللهم ارزقني حبك وحب من أحبك الحديث تقدم في الدعوات (٢) حديث زينوا القرآن بأصواتكم تقدم في تلاوة القرآن (٣) حديث لقد أوتى مزماراً من مزامير آل داود قاله لآبي موسى تقدم فيه (٤) حديث شيتني هود وأخواتها الترمذي من حديث أبي جحيفة وله والحاكم من حديث ابن عباس نحوه قال الترمذي حسن وقال الحاكم صحيح على شرط البخاري

وجئنا بك على هؤلاء شهيدا - قال حبیبك وكانت عيناه تذرفان بالدموع (١) وفي رواية أنه عليه السلام قرأ هذه الآية أوترى عنده - إن لدينا أنكالا وجعيا وطعاما ذا غصة وعذابا أليما - فصق (٢) وفي رواية أنه صلى الله عليه وسلم قرأ - إن تعذبهم فإنهم عبادك - فبكى (٣) وكان عليه السلام إذا مرّ بآية رخصة دعا واستبشر (٤) والاستبشار وجد وقد أثنى الله تعالى على أهل الوجد بالقرآن فقال تعالى - وإذا سمعوا ما أنزل إلى الرسول ترى أعينهم تفيض من الدمع مما عرفوا من الحق - وروى أن رسول صلى الله عليه وسلم كان يصلي ولصدره أزيز كأزيز المرجل (٥) وأما ما نقل من الوجد بالقرآن عن الصحابة رضي الله عنهم والتابعين فكثير : فمنهم من صق ومنهم من بكى ومنهم من غشى عليه ومنهم من مات في غشيته وروى أن زرارة بن أوفى وكان من التابعين كان يؤم الناس بالرفة قرأ - فإذا قرأ في الناقور - فصق ومات في محرابه رحمه الله وسمع عمر رضي الله عنه رجلا يقرأ - إن عذاب ربك لواقع ماله من دافع - فصاح صيحة وخرّ مغشيا عليه فحمل إلى بيته فلم يزل مريضا في بيته شهرا وأبو جرير من التابعين قرأ عليه صالح للرى فشق ومات وسمع الشافعي رحمه الله قارئا يقرأ - هذا يوم لا ينطقون ولا يؤذن لهم فيعتذرون - فغشى عليه وسمع على ابن الفضيل قارئا يقرأ - يوم يقوم الناس لرب العالمين - فمقط مغشيا عليه فقال الفضيل شكر الله لك ما قد علمه منك وكذلك نقل عن جماعة منهم وكذلك الصوفية قد كان الشبلي في مسجده ليلة من رمضان وهو يصلي خلف إمامه قرأ الإمام - ولئن شئنا لنذهبن بالذي أوحينا إليك - فزعق الشبلي زعقة ظن الناس أنه قد طارت روحه واجمر وجهه وارتعدت فرائضه وكان يقوم بمثل هذا يخاطب الأحباب يردد ذلك مرارا . وقال الجنيد دخلت على سري السقطي فرأيت بين يديه رجلا قد غشى عليه فقال لي هذا رجل قد سمع آية من القرآن فغشى عليه فقلت أقرءوا عليه تلك الآية بعينها فقرأت فأذق فقال من أين قلت هذا فقلت رأيت يعقوب عليه السلام كان عماء من أجل مخلوق فمخلوق أبصر ولو كان عماء من أجل الحق ما أبصر بمخلوق فاستحسن ذلك ويشير إلى ما قاله الجنيد قول الشاعر :

وكأن شربت على لذة وأخرى تداويت منها بها

وقال بعض الصوفية كنت أقرأ ليلة هذه الآية - كل نفس ذائقة الموت - فجملت أرددها فإذا هاتف يهتف بي كم تردد هذه الآية فقد قلت أربعة من الجن ما رفعوا رءوسهم إلى السماء منذ خلقوا . وقال أبو طي النبالى للشبلي : ربما بطرق سمعي آية من كتاب الله تعالى فتجذبني إلى الإعراض عن الدنيا ثم أرحع إلى أحوالي وإلى الناس فلا أبقى على ذلك فقال ما طرق سمك من القرآن فاجتذبك به إليه فذلك عطف منه عليك ولطف منه بك وإذا ردك إلى نفسك فهو شفقة منه عليك فانه لا يصلح لك إلا التبري من الحول والقوة في التوجه إليه . وسمع رجل من أهل التصوف قارئا يقرأ - بأيها النفس

(١) حديث إن ابن مسعود قرأ عليه فلما انتهى إلى قوله - فكيف إذا جئنا من كل أمة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيدا - قال حبیبك الحديث متفق عليه من حديثه (٢) حديث أنه قرأ - إن لدينا أنكالا وجعيا وطعاما ذا غصة وعذابا أليما - فصق ، ابن عدي في الكامل والبيهقي في الشعب من طريقه من حديث أبي حرب بن أبي الأسود مرسلا (٣) حديث أنه قرأ - إن تعذبهم فإنهم عبادك - فبكى ، مسلم من حديث عبد الله بن عمرو (٤) حديث كان إذا مر بآية رخصة دعا واستبشر تقدم في تلاوة القرآن دون قوله واستبشر (٥) حديث أنه كان يصلي ولصدره أزيز كأزيز المرجل أبو داود والنسائي والترمذي في التمهال من حديث عبد الله ابن الشخير وقد تقدم .

عبد العزيز بن صهيب
عن أنس قال كنا عند
رسول الله صلى الله
عليه وسلم إذ نزل عليه
جبريل عليه السلام
فقال يا رسول الله إن
قراء أمك يدخلون
الجنة قبل الأغنياء
بنصف يوم وهو
خمسائة عام فخرج
رسول الله صلى الله
عليه وسلم فقال هل
فيكم من ينشدنا فقال
بدوي نعم يا رسول الله
فقال هات فأنشأ
الأعرابي :

قد لست حية المهوى
كبدى

فلا طيب لها ولا راق
إلا الحبيب الذي
شفعت به

فعنده رقيق وترباق
فتواجد رسول الله
صلى الله عليه وسلم
وتواجد الأصحاب معه
حتى سقط رداؤه عن
منكبه فلما فرغوا أوى
كل واحد منهم إلى
مكانه قال معاوية بن
أبي سفيان ما أحسن

الطمشة ارجى إلى ربك راضية مرضية - فاستعادها من القارىء - وقال كم أقول لها ارجى وليست ترجع وتواجد وزعق زعقة فخرجت روحه وسمع بكربن ماذا قارئاً يقرأ - وأنذرهم يوم الآزفة - الآية فاضطرب ثم صاح ارحم من أنذرته ولم يقبل إليك بعد الانذار بطاعتك ثم غشي عليه وكان إبراهيم ابن آدم رحمه الله إذا سمع أحداً يقرأ - إذا السماء انشقت - اضطربت أوصاله حتى كان يرتعد وعن محمد بن صبيح قال كان رجل يغتسل في القرات فتر به رجل على الشاطئ يقرأ - وامتاذا اليوم أيها المجرمون - فلم يزل الرجل يضطرب حتى غرق ومات . وذكر أن سلمان الفارسي أبصر شاباً يقرأ فاتى على آية فاقشعر جلده فأحبه سلمان وقدمه فسأل عنه فقيل له إنه مريض فأتاه يومه فإذا هو في اللوت فقال يا عبد الله : رأيت تلك التشعيرة التي كانت بي فانها أنتنى في أحسن صورة فأخبرتني أن الله قد غفر لي بها كل ذنب . وبالجملة لا يغلو صاحب القلب عن وجد عند سماع القرآن فإن كان القرآن لا يؤثر فيه أصلاً - مثله كمثل الذى ينق بما لا يسمع إلا دعاء ونداء صم بكم عسى فهم لا يفتقون - بل صاحب القلب تؤثر فيه الكلمة من الحكمة يسعها قال جعفر الخليلي دخل رجل من أهل خراسان على الجنيب وعنده جماعة فقال للجنيب متى يستوى عند العبد حامده وذامه فقال بعض الشيوخ إذا دخل البهارستان وقيد بقيدى فقال الجنيب ليس هذا من شأنك ثم أقبل على الرجل وقال إذا تحقق أنه مخلوق فشق الرجل شقة ومات . فان قلت فان كان سماع القرآن مفيداً للوجد فما بالهم يجتمعون على سماع الغناء من القوالين دون القارئين فكان ينبغي أن يكون اجتماعهم وتواجدهم في خلق القراء لا خلق اللغنين وكان ينبغي أن يطلب عند كل اجتماع في كل دعوة قارىء لا قولاً فإن كلام الله تعالى أفضل من الغناء لا محالة . فاعلم أن الغناء أشد تهيجاً للوجد من القرآن من سببه أوجه . الوجه الأول : أن جميع آيات القرآن لا تناسب حال السمع ولا تصلح لفهمه وتنزيله على ما هو ملائمه فمن استولى عليه حزن أو شوق أو ندم فمن أين يناسب حاله قوله تعالى - يوصيكم الله في أولادكم للذكر مثل حظ الأنثيين - وقوله تعالى - والذين يرمون المخصات - وكذلك جميع الآيات التي فيها بيان أحكام لليراث والطلاق والحدود وغيرها وإنما المحرك لما في القلب ما يناسبه والآيات إنما يضمها الشعراء لإعرابها عن أحوال القلب فلا يحتاج في فهم الحال منها إلى تكلف نعم من يستولى عليه حالة غالبة قاهرة لم تبق فيه متسعاً لغيرها ومعه يتقظ وذكاء ناقب يتفطن به للعانى البعيدة من الألفاظ قد يخرج وجده على كل مسموع كمن يخطر له عند ذكر قوله تعالى - يوصيكم الله في أولادكم - حالة اللوت المخرج إلى الوصية وأن كل إنسان لابد أن يخاف ماله وولده وهما محبوباه من الدنيا فيترك أحد المحبوبين للثاني ويهجرهما جميعاً فينقلب عليه الخوف والجزع أو يسمع ذكر الله في قوله - يوصيكم الله في أولادكم - فيدهش بمجرد الاسم عما قبله وبعده أو يخطر له رحمة الله على عباده وشقيقته بأن تولى قسم ووارثهم بنفسه نظراً لهم في حياتهم وموتهم فيقول إذا نظر لأولادنا بدموتنا فلان شك بأنه ينظر لنا فيبيع منه حال الرجاء وبورثه ذلك استشاراً وسروراً أو يخطر له من قوله تعالى - للذكر مثل حظ الأنثيين - تفضيل الذكور بكونه رجلاً على الأنثى وأن الفضل في الآخرة لرجال لانلهبهم تجارة ولا يبيع عن ذكر الله ، وأن من ألغاه غير الله تعالى عن الله تعالى فهو من الإناث لأن الرجال تحقيقاً فيخشى أن يحب أو يؤخر في نعيم الآخرة كما أخرت الأنثى في أموال الدنيا فأمثال هذا قد يحرك الوجد ولكن لمن فيه وصفان : أحدهما حالة غالبة مستفرقة قاهرة والآخر تفطن بليغ وتيقظ بالغ كامل للتنبه بالأمور القربية على العانى البعيدة وذلك مما يميز فلاجل ذلك يفرغ إلى الغناء الذى هو ألفاظ مناسبة للأحوال حتى يتسارع هيجانها . وروى أن أبا الحسن النوري كان مع جماعة

لعبكم يا رسول الله فقال
به يا معاوية ليس بكريم
من لم يهتز عند سماع
ذكر الحبيب ثم قسم
رداه رسول الله صلى
الله عليه وسلم على من
حاضرهم بأربعائة قطعة
فهذا الحديث أورده
مسنداً كما سمعناه
ووجدناه وقد تكلم
في محته أصحاب الحديث
وما وجدنا شيئاً نقل
عن رسول الله صلى
الله عليه وسلم يشاكل
وجد أهل الزمان
وسماعهم واجتماعهم
وهيئتهم إلا هذا وما
أحسنه من حجة
للصوفية وأهل الزمان
في سماعهم وتمزيقهم
الحرق وقسمتها أن
لوصح والله أعلم وبخالف
سرى أنه غير صحيح
ولم أجد فيه ذوق
اجتماع النبي صلى الله
عليه وسلم مع أصحابه
وما كانوا يستمدونه
على ما بلغنا في هذا
الحديث وبأبي القلب
قبوله والله أعلم
بذلك .

في دعوى جرى بينهم مسألة في العلم وألحسین ساكت ثم رفع رأسه وأنشدتم :
 رب ورقاء هتوف في الضحى ذات شجو صدحت في قن
 ذكرت إلها ودعها سالحا وبكت حزنا فهاجت حزني
 فبصكائي ربما أرقها وبكاها ربما أرقني
 ولقد أشكو لها أفهما ولقد تشكو لها فهمني
 غير أن بالجوى أعرفها وهي أيضا بالجوى تعرفني

قال لما بقي أحد من القوم لإقام وتواجد ولم يحصل لهم هذا الوجد من العلم الذي خاضوا فيه وإن كان العلم جدا وحقا . الوجه الثاني : أن القرآن محفوظ لأكثرين ومتكرر على الأسماع والقلوب وكما سمع أولا عظم أثره في القلوب وفي السكرة الثانية يضعف أثره وفي الثالثة يكاد يسقط أثره ولو كلف صاحب الوجد الغالب أن يحضر وجده على بيت واحد على الدوام في مرات متقاربة في الزمان في يوم أو أسبوع لم يمكنه ذلك ولو أبدل بيت آخر لتحده له أثر في قلبه وإن كان معربا عن عين ذلك المعنى ولكن كون النظم واللفظ غريبا بالإضافة إلى الأول يحرك النفس وإن كان المعنى واحدا وليس يقدر القارىء على أن يقرأ قرآنا غريبا في كل وقت ودعوة فإن القرآن محصور لا يمكن التريادة عليه وكله محفوظ متكرر وإلى ما ذكرناه أشار الصديق رضي الله عنه حيث رأى الأعراب يقدمون فيسمعون القرآن ويكونون فقال كنا كما كنتم ولكن قست قلوبنا ولا تظن أن قلب الصديق رضي الله عنه كان أقسى من قلوب الأجلاف من العرب وأنه كان أخلى عن حب الله تعالى وحب كلامه من قلوبهم ولكن التكرار على قلبه اقتضى للرون عليه وقلة التأثير به لما حصل له من الأنس بكثرة استماعه إذ حال في العادات أن يسمع السامع آية لم يسمعها قبل فيكي ثم يدوم على بكائه عليها عشرين سنة ثم يرددها ويكي ولا يفارق الأول الآخر إلا في كونه غريبا جديدا ولكل جديد لغة ولكل طارىء صدمة ومع كل مألوف أنس يناقض الصدمة ولذا هم عمر رضي الله عنه أن يمنع الناس من كثرة الطواف وقال قد خشيت أن يتهاون الناس بهذا البيت أي يأنسوا به ومن قدم حاجا فرأى البيت أولا بكى وزعق وربما غشى عليه إذ وقع عليه بصره وقديم بمكة شهرا ولا يحسن من ذلك في نفسه بأثر فاذا الغنى يقدر على الآيات القرية في كل وقت ولا يقدر في كل وقت على آية غريبة . الوجه الثالث : أن لوزن الكلام بذوق الشعر تأثيرا في النفس فليس الصوت الموزون الطيب كالصوت الطيب الذي ليس بموزون وإنما يوجد الوزن في الشعر دون الآيات ولوزحف المعنى البيت الذي ينشده أول من فيه أومال على حديثك الطريقة في اللحن لاضطرب قلب المستمع وبطل وجده وسماعه وتفرط به لعدم المناسبة وإذا نقر الطبع اضطرب القلب وتشوش فالوزن إذن مؤثر فلذلك طاب الشعر . الوجه الرابع : أن الشعر الموزون يختلف تأثيره في النفس بالألحان التي تسمى الطرق والديستانات وإنما اختلاف تلك الطرق بعد المقصور وقصر المدود والوقف في أثناء الكلمات والقطع والوصل في بعضها وهذا التصرف جائز في الشعر ولا يجوز في القرآن إلا التلاوة كما أنزل قصصه ومدد والوقف والوصل والقطع فيه على خلاف ما تقتضيه التلاوة حرام أو مكروه وإذا رتل القرآن كما أنزل سقط عنه الأثر الذي يسيبه وزن الألحان وهو سبب مستقل بالتأثير وإن لم يكن مفهوما كما في الأوتار والزمارة والشاهين وسائر الأصوات التي لا تفهم . الوجه الخامس : أن الألحان الموزونة تعضد وتؤكد بايقاعات وأصوات آخر موزونة خارج الخلق كالضرب بالقضيب والدف وغيره لأن الوجد الضعيف لا يستثار إلا بسبب قوى وإنما يبقى بمجموع هذه الأسباب ولكل واحد منها حظ في التأثير وواجب أن يسان القرآن عن مثل هذه القرائن لأن صورتها عند عامة الخلق

[الباب السادس
 والشعرون في خاصة
 الأربينية التي
 يتأهدها الصوفية]
 ليس مطلوب القوم
 من الأربين شيئا
 خصوصا لا يطلبونه في
 غيرها ولكن لما
 طرقهم غافلات حكم
 الأوقات أحبوا تقييد
 الوقت بالأربين
 رجاء أن ينسحب حكم
 الأربين على جميع
 زمانهم فيكونوا في
 جميع أوقاتهم كهمهم
 في الأربين على أن
 الأربين خصت بالذكر
 في قول رسول الله صلى
 الله عليه وسلم « من
 أخلص لله أربعين
 صباحا ظهرت ينابيع
 الحكمة من قلبه على
 لسانه » وقد خص الله
 تعالى الأربين بالذكر
 في قصة موسى عليه
 السلام وأمره بتخصيص
 الأربين بمزيد تبتل
 قال الله تعالى « وواعدنا
 موسى ثلاثين ليلة
 وأقمناها بعشر فتم »

صورة اللهو واللعب والقرآن جد كله عند كافة الخلق فلا يجوز أن يمزج بالخلق المحض ما هو له عند العامة وصورة الله عند الخاصة وإن كانوا لا ينظرون إليها من حيث إنها لهو بل ينبغي أن يقر القرآن فلا يقرأ على شوارع الطرق بل في مجلس ساكن ولا في جال الجنباء ولا على غير طهارة ولا يقدر على الوفاء بحق حرمة القرآن في كل حال إلا الراغبون لأحوالهم فيعدل إلى الفناء الذي لا يستحق هذه المراقبة وللراحة ولذلك لا يجوز الضرب بالدف مع قراءة القرآن ليل العرس وقدام رسول الله صلى الله عليه وسلم بضرب الدف في العرس فقال : « أظهروا النكاح ولو بضرب القربال (١) » أو بلفظ هذا معناه وذلك جائز مع الشرع والقرآن ولذلك لما دخل رسول الله ﷺ بيت الربيع بنت معوذ وعندها جوار يمين فيسمع إحداهن تقول وفينا نبي لم يأت في غد . على وجه الفناء فقال صلى الله عليه وسلم ودعى هذا وقول ما كنت تقولين (٢) . وهذه شهادة بالنبوة فزجرها عنها ووردها إلى الفناء الذي هو لهو لأن هذا جد محض فلا يقرن بصورة اللهو فإذا اعتذر بسببه تقوية الأسباب التي بها يصير السماع محرراً للقلب فواجب في الاحترام المدول إلى الفناء عن القرآن كما وجب على تلك الجارية المدول عن شهادة النبوة إلى الفناء . الوجه السادس : أن الغنى قد ينشئ بيت لا يوافق حال السامع في فكره وينها عنه ويستدعى غيره فليس كل كلام موافق لكل حال فلو اجتمعوا في الدعوات على القارئ فربما يقرأ آية لا توافق حالهم إذ القرآن شفاء للناس كلهم على اختلاف الأحوال ، فأيات الرحمة شفاء الحائف وآيات العذاب شفاء القرور الآمن وتفصيل ذلك مما يطول فإذا لا يؤمن أن لا يوافق القروء الحال وتكرهه النفس فيعرض به لخطر كراهة كلام الله تعالى من حيث لا يجد سبيلا إلى دفعه فلا احتراز عن خطر ذلك حزم بالغ وحتم واجب إذ لا يجد الخلاص عنه إلا بتزيله على وفق حاله ولا يجوز تنزيل كلام الله تعالى إلا على ما أراد الله تعالى . وأما قول الشاعر فيجوز تنزيله على غير مراده فيه خطر الكراهة أو خطر التأويل الخطأ لموافقة الحال فيجب توقير كلام الله وصيافته عن ذلك ، وهذا ما ينقدح لي في علل انصراف الشيوخ إلى سماع الفناء عن سماع القرآن . وههنا وجه سابع ذكره أبو نصر السراج الطوسي في الاعتذار عن ذلك فقال : القرآن كلام الله وصفة من صفاته وهو حق لا تطيقه البشرية لأنه غير مخلوق فلا تطيقه الصفات المخلوقة ولو كشف للقلوب ذرة من معناه وهيته لتصدعت ودهشت وتغيرت والألحان الطيبة مناسبة للطباع ونسبتها نسبة الحظوظ لأن نسبة الحقوق والشعر نسبة الحظوظ فإذا علت الألحان والأصوات بما في الآيات من الإشارات واللطائف شاكل بعضها بعضا كان أقرب إلى الحظوظ وأخف على القلوب لمشاكلة المخلوق المخلوق فمادامت البشرية أقيّة ونحن بصفاتنا وحظوظنا ننتم بالنفحات الشجية والأصوات الطيبة فانبساطنا لمشاهدة بقاء هذه الحظوظ إلى القصائد أولى من انبساطنا إلى كلام الله تعالى الذي هو صفته وكلامه الذي منه بدأ وإليه يعود هذا حاصل المقصود من كلامه واعتذاره . وقد حكى عن أبي الحسن الدراج أنه قال : قصدت يوسف بن الحسين الرازي من بغداد للزيارة والسلام عليه فلما دخلت الري كنت أسأل عنه فكل من سأله عنه قال أيتى تعمل بذلك الزنديق فضيقوا صدرى حتى عزمت على الانصراف ثم قلت في نفسي قد جئت هذا الطريق كله فلا أقل من أن أراه فلم أزل أسأل عنه حتى دخلت عليه في مسجد وهو قاعد في المجراب وبين يديه رجل ويده مصحف وهو يقرأ فإذا هو شيخ بهي حسن الوجه واللحية فسلمت عليه فأقبل علي وقال

(١) حديث الأمر بضرب الدف في العرس تقدم في النكاح (٢) حديث دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم بيت الربيع بنت معوذ وعندها جوار يمين الحديث البخاري من حديثها وقد تقدم في النكاح .

مقات ربه أربعين ليلة - وذلك أن موسى عليه السلام وعد بنى إسرائيل وهم بمصر أن الله تعالى إذا أهلك عدوهم واستغفروا من أيديهم بأنهم بكتاب من عند الله تعالى فيه تبيان الحلال والحرام والحدود والأحكام فلما فعل الله ذلك وأهلك فرعون ، سأل موسى ربه الكتاب فأمره الله تعالى أن يصوم ثلاثين يوما وهو ذو القعدة فلما تمت الثلاثون ليلة أنكر خلفه فقسموا له خرنوب قتالت له اللانكة كنانهم من فيك رائحة السك ففسدته بالسواك فأمره الله تعالى أن يصوم عشرة أيام من ذي الحجة وقال له أما علمت أن خلفك فم الصائم أطيب عندى من ريح السك ولم يكن صوم موسى عليه السلام ترك الطعام

من أين أقبلت فقلت من بغداد فقال وما الذي جاء بك فقلت قصدتك للسلام عليك فقال لو أن في بعض هذه البلدان قال لك إنسان أتم عندنا حتى نشترى لك داراً أو جارية أو كان يصدقك ذلك عن الجبى فقلت ما امتحنى الله بشئ من ذلك ولو امتحنى ما كنت أدرى كيف أكون ثم قال لي أحسن أن تقول شيئاً فقلت نعم فقال هات فأنشأت أقول :

رأيتك تبنى دائماً في قطيقتي ولو كنت ذا حزم لهدمت ما بيني
كأنى بك والبيت أفضل قولكم ألا ليتنا كنا إذ البت لا ينسى

قال فأطبق الصحف ولم يزل يسكن حتى ابتلت لحيتي وابتل ثوبه حتى رحته من كثرة بكائه ثم قال يا بني تلوم أهل الري يقولون يوسف زنديق هذا أنا من صلاة الغداة أقرأ في الصحف لم تنظر من عيني قطرة وقد قامت القيامة على لَهْذِينَ البيتين فإذا القلوب وإن كانت محترقة في حب الله تعالى فإن البيت الغريب يهيج منها مالا تهيج تلاوة القرآن ، وذلك لوزن الشعر ومشاكلته للطباع ولكونه مشاكلاً للطبع اقتدر البشر على نظم الشعر ، وأما القرآن فنظمه خارج عن أصاليب الكلام ومنهاجه وهو لذلك معجز لا يدخل في قوة البشر لعدم مشاكلته لطبعه . وروى أن إسرائيل أستاذ ذى النون المصري دخل عليه رجل فرآه وهو ينسكت في الأرض بأصبعه ويترنم بيت فقال هل تحسن أن تترنم جئى فقال لا قال فأنت بلا قلب أشاره إلى أن من له قلب وعرف طباعه علم أنه تحركه الأبيات والنغمات تحريكاً لا يصادف في غيرها فيتكلف طريق التحريك إما بصوت نفسه أو بغيره وقد ذكرنا حكم القام الأول في فهم السمع ونزله وحكم القام الثاني في الوجد الذي يصادف في القلب ، فلنذكر الآن أثر الوجد أعني ما يترشح منه إلى الظاهر من ضيقة وبكاء وحركة وتخزيق ثوب وغيره فنقول :

(القام الثالث من السماع)

نذكر فيه آداب السماع ظاهراً وباطناً وما يحمده من آثار الوجد وما يذم ، فأما الآداب فهي خمس جل الأول : مراعاة الزمان والمكان والاختوان . قال الجنيد : السماع يحتاج إلى ثلاثة أشياء والإفلا نسع الزمان والمكان والاختوان ومعناه أن الاشتغال به في وقت حضور طعام أو خصام أو صلاة أو صارف من الصوارف مع اضطراب القلب لا فائدة فيه فهذا معنى مراعاة الزمان فيراعى حالة فراغ القلب له . وأما للمكان فقد يكون شارعاً مطروفاً أو موضعاً كره الصورة أو فيه سبب يشغل القلب فيجتنب ذلك . وأما الاختوان فسيببه أنه إذا حضر غير الجنس من منكر السماع مترهذ الظاهر مفلس من لطائف القلوب كان مستقلاً في المجلس واشتغل القلب به وكذلك إذا حضر متكبر من أهل الدنيا يحتاج إلى مراقبته وإلى مراعاته أو متكلف متواجد من أهل التصوف يرأى بالوجد والرقص وتخزيق الشيا ب فكل ذلك مشوشات فترك السماع عند هذه الشروط أولى ففي هذه الشروط نظر للمستمع . الأدب الثاني : هو نظر الحاضرين أن الشيخ إذا كان حوله يريدون بضرهم السماع فلا ينبغي أن يسمع في حضورهم فإن سمع فليشغلهم بشغل آخر والريد الذي يستضر بالسماع أحد ثلاثة أقسام درجة هو الذي لم يدرك من الطريق إلا الأعمال الظاهرة ولم يكن له ذوق السماع فاشتغاله بالسماع اشتغال بما لا ينفعه فإنه ليس من أهل اللهو فيلهو ولا من أهل الذوق فيتنعم بذوق السماع ، فليشتغل بذكر أو خدمة وإلا فهو تضييع لزمانه . الثاني : هو الذي له ذوق السماع ولكن فيه بقيت من الحظوظ والاتلفات إلى الشهوات والصفات البشرية ولم ينكسر بعد انكساراً تؤمّن غوائله فربما يهيج السماع منه داعية اللهو والشهوة فيقطع عليه طريقه ويصدّه عن الاستكمال . الثالث : أن يكون قد انكسرت شهوته وأمنت غائلته واشتغلت بصيرته واستولى على قلبه حب الله تعالى ولكنه لم يحكم

بالبهار وأكله بالليل بل طوى الأربعين من غير أكل فدل على أن خلوه للمدة من الطعام أصل كبير في الباب حتى احتاج موسى إلى ذلك مستنداً لمكالمته الله تعالى والعلوم الدينية في قلوب المتفطين إلى الله تعالى ضرب من المكالمات ومن انقطع إلى الله أربعين يوماً غلصاً متاهداً نفسه بغفة للصلة بفتح الله عليه العلوم الدينية كما أخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك غير أن تعيين الأربعين من المدة في قول رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي أمر الله تعالى موسى عليه السلام بذلك والتحديد والتقييد بالأربعين لحكمة فيه ولا يطلع أحد على حقيقة ذلك إلا الأنبياء إذا عرفهم الحق ذلك أو من خصه الله تعالى بعرض ذلك من غير

ظاهر السمع ولم يعرف أسماء الله تعالى وصفاته وما يجوز عليه وما يستحيل فاذا فتح له باب السماع نزل السموع في حق الله تعالى على ما يجوز وما لا يجوز فيكون ضرره من تلك الخواطر التي هي كفر أعظم من تقع السماع . قال سهل رحمه الله : كل وجد لا يشهد له الكتاب والسنة فهو باطل فلا يصلح السماع لمثل هذا ولأن قلبه بدمالوث بحب الدنيا وحب المحمدة والتناء ولأنه يسمع لأجل التلذذ والاستطابة بالطبع فيصير ذلك عادة له ويشغله ذلك عن عبادته ومراعاة قلبه وينقطع عليه طريقه فالسمع مزلة قدم يجب حفظ الضمضاء عنه قال الجنيد : رأيت إبليس في النوم قلت له هل تنظر من أصحابنا شيء قال نعم في وقتين وقت السماع ووقت النظر فاني أدخل عليهم به فقال بعض الشيوخ لورأيت أنا قلت له ما أحقك من جمع منه إذا سمع ونظر إليه إذا نظر كيف تنظر به فقال الجنيد صدقت . الأدب الثالث : أن يكون مصفيا إلى ما يقول القائل حاضر القلب قليل الالتفات إلى الجوانب متحرزا عن النظر إلى وجوه السامعين وما يظهر عليهم من أحوال الوجد مشغلا بنفسه ومراعاة قلبه ومراقبة ما يفتح الله تعالى له من رحمته في سره متحفظا عن حركة تشوش على أصحابه قلوبهم بل يكون ساكن للظاهر هادئ الأطراف متحفظا عن التمتع والثاؤب ويجلس مطرقا رأسه كجلوسه في فكر مستغرق لقلبه متماسكا عن التصفيق والرقص وسائر الحركات على وجه التصنع والتكلف والراءة ساكنا عن النطق في أثناء القول بكل ما عنه بد فان غلبه الوجد وحركه بغير اختيار فهو فيه معذور غير ملوم ومهما رجع إليه الاختيار فليعد إلى هدوئه وسكونه ولا ينبغي أن يستدعيه حياء من أن يقال انقطع وجده على القرب ولأن تواجد خواطا من أن يقال هو قاسى القلب عديم الصفاء والركة . حكى أن شابا كان يصحب الجنيد فكان إذا سمع شيئا من الذكر يزعم فقال له الجنيد يوما إن فعلت ذلك مرة أخرى لم تصحبني فكان بعد ذلك يضبط نفسه حتى يقطر من كل شعرة منه قطرة ماء ولا يزعم فحكى أنه اختنق يوما لشدة ضبطه لنفسه فشبهق شهقة فانشق قلبه وتلفت نفسه . وروى أن موسى عليه السلام قص في بني إسرائيل فترق واحد منهم ثوبه أوقيصه فأوحى الله تعالى إلى موسى عليه السلام قل له مزق قلبك ولا تمزق ثوبك قال أبو القاسم النضر اباضى لأبي عمرو بن عبيد أنا أقول إذا اجتمع القوم فيكون معهم قوال يقول خيرا لهم من أن يتناوبا فقال أبو عمرو الرياء في السماع وهو أن ترى من نفسك حالا ليست فيك شر من أن تقتاب ثلاثين سنة أو نحو ذلك . فان قلت الأنضل هو الذي لا يحركه السماع ولا يؤثر في ظاهره أو الذي يظهر عليه ، فاعلم أن عدم الظهور تارة يكون لضعف الوارد من الوجد فهو نقصان وتارة يكون مع قوة الوجد في الباطن ولكن لا يظهر لكمال القوة على ضبط الجوارح فهو كمال وتارة يكون لكون حال الوجد ملازما ومصاحبا في الأحوال كلها فلا يتبين للسمع مزيد تأثير وهو غاية الكمال فان صاحب الوجد في غالب الأحوال لا يدوم وجده فمن هو في وجد دائم فهو الارتباط للحق والالزام لمعين الشهود فهذا لا تغيره طوارق الأحوال ولا يعد أن تكون الإشارة بقول الصديق رضى الله عنه كنا كما كنتم ثم قست قلوبنا معناه قويت قلوبنا واشتدت فصار تطبيق ملازمة الوجد في كل الأحوال فنحن في سماع معاني القرآن على الدوام فلا يكون القرآن جديدا في حقنا طارئا علينا حتى نتأثر به فاذا قوة الوجد تحرك قوة العقل والتماسك فنضبط الظاهر وقد يطلب أحدهما الآخر إما لشدة قوته وإما لضعف ما يقابله ويكون النقصان والكمال بحسب ذلك فلا تظن أن الذي يضطرب بنفسه على الأرض أتم وجدا من الساكن باضطرابه بل رب ساكن أتم وجدا من المضطرب قد كان الجنيد يتحرك في السماع في بدايته ثم صار لا يتحرك فقليل له في ذلك فقال - وتري الجبال تحسبها جامدة وهي تمر مر السحاب صنع الله الذي أتقن كل شيء - إشارة إلى أن القلب مضطرب جائل في الملوكوت

الأنبياء ويلوح في سر ذلك معنى والله أعلم وذلك أن الله تعالى لما أراد تكوين آدم من تراب قدر التخمير بهذا القدر من العدد كأورد خمرة طينة آدم يده أربعين صباحا فكان آدم لما كان مستصلا لصارة الدارين وأراد الله تعالى منه عمارة الدنيا كما أراد منه عمارة الجنة كونه من التراب تركيا يناسب عالم الحكمة والشهادة وهذه الدار الدنيا وما كانت عمارة الدنيا تأتي منه وهو غير مخلوق من أجزاء أرضية سفلية بحسب قانون الحكمة لمن التراب كونه وأربعين صباحا خمرة طينته ليعبد بالتخمير أربعين صباحا بأربعين حجابا من الحضرة الإلهية كل حجاب هو معنى مودع فيه يصلح به لعمارة الدنيا ويتوق به عن الحضرة الإلهية

والجوارح متأدبة في الظاهر ساكنة . وقال أبو الحسن محمد بن أحمد وكان بالبصرة : صحبت سهل ابن عبد الله ستين سنة فأرايته تغير عند شيء . كان يسمه من الذكر أو القرآن فلما كان في آخر عمره قرأ رجلين يديه - فالיום لا يؤخرنكم فدية - الآية فأرايته قد ارتعد وكاد يسقط فلما عاد إلى حاله سأله عن ذلك فقال نعم يا حبيبي قد ضغننا وكذلك مع مرة قوله تعالى - للملك يومئذ الحق لرحمن - فاضطرب فسأله ابن سالم وكان من أصحابه فقال قد ضفت قليله قال كان هذا من الضعف فاقوة الحال فقال أن لا يرد عليه وارد إلا وهو يلقيه بقوة حاله فلا تغيره الواردات وإن كانت قوية وسبب القدرة على ضبط الظاهر مع وجود الوجد استواء الأحوال بملزمة الشهود كما حكى عن سهل رحمه الله تعالى أنه قال حالتي قبل الصلاة وبعدها واحدة لأنه كان مراعيًا لقلب حاضر التذكر مع الله تعالى في كل حال فكذلك يكون قبل السماع وبعده إذ يكون وجهه دائمًا وعطشه متصلا وشربه مستمرا بحيث لا يؤثر السماع في زيادته كإروى أن عمشاد الدينوري أشرف على جماعة فيهم قالوا فسكوا فقال ارجعوا إلى ما كنتم فيه فلو جمعت ملاهي الدنيا في أذني ما شغلني ولا شفي بعض ما بي . وقال الجنيد رحمه الله تعالى لا يضر نقصان الوجد مع فضل العلم وفضل العلم أنم من فضل الوجد فإن قلت فمثل هذا لم يحضر السماع فاعلم أن من هؤلاء من ترك السماع في كبره وكان لا يحضر إلا نادرا المساعدة أخ من الإخوان وإدخلا للسرور على قلبه وربما حضر ليعرف القوم كمال قوته فيعلمون أنه ليس السكاه بالوجد الظاهر فيعلمون منه ضبط الظاهر عن التكلف وإن لم يقدروا على الاقتداء به في صبرورته طبعالهم وإن اتفق حضورهم مع غير أبناء جنسهم فيكونون معهم بأبدانهم نائين عنهم بقلوبهم وبواطنهم كما يجلسون من غير جماع مع غير جنسهم بأسباب عارضة تقتضي الجلوس معهم وبعضهم تقل عنه ترك السماع ويظن أنه كان سبب تركه استغناءه عن السماع بما ذكرناه وبعضهم كان من الزهاد ولم يكن له حظ روحاني في السماع ولا كان من أهل اللهو تركه لئلا يكون مشغولا بما لا ينيه وبعضهم تركه لفقد الإخوان . قيل لبعضهم لم لا تسمع فقال ممن ومع من . الأدب الرابع : أن لا يقوم ولا يرفع صوته بالكاء وهو يقدر على ضبط نفسه ولكن إن رقص أو تابا كي فهو مباح إذا لم يقصد به للراءة لأن التباكي استجلاب للحزن والرقص سبب في تحريك السرور والنشاط فكل سرور مباح فيجوز تحريكه ولو كان ذلك حراما لما نظرت عائشة رضي الله عنها إلى الحبشة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم يزفون (١) هذا لفظ عائشة رضي الله عنها في بعض الروايات وقد روى عن جماعة من الصحابة رضي الله عنهم أنهم حجوا لما ورد عليهم سرور أوجب ذلك وذلك في قصة ابنة حمزة لما اختصم فيها علي بن أبي طالب وأخوه جعفر وزيد بن حارثة رضي الله عنهم فقتلوا في تربيتها فقال صلى الله عليه وسلم لعلي « أنت مني وأنا منك فحجج علي وقل لجعفر أشبهت خلقي وخلق فحجج وراء فحجج علي » وقال زيد أنت أخونا ومولانا فحجج زيد وراء فحجج جعفر ثم قال عليه السلام هي لجعفر لأن خالتها تحتة والحالة والدة (٢) « وفي رواية أنه قال لعائشة رضي الله عنها « أتخمين أن تنظري إلى زفن الحبشة » والزفن والحجل هو الرقص وذلك يكون للفرح أو شوق فحكمه حكم مهيج إن كان فرحه محمودا والرقص يزيد ويؤكد فمحمود وإن كان مباحا فهو مباح وإن كان مذموما فهو مذموم نعم لا يلبق اعتياد ذلك بمنصب الأكابر وأهل القدوة لأنه

(١) حديث نظرت عائشة إلى رقص الحبشة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم يزفون تقدم في الباب قبله (٢) حديث اختصم علي وجعفر وزيد بن حارثة في ابنة حمزة فقال لعلي أنت مني وأنا منك فحجج وقال لجعفر أشبهت خلقي وخلق فحجج وقال زيد أنت أخونا ومولانا فحجج الحديث أبو داود من حديث علي باسناد حسن وهو عند البخاري دون فحجج .

ومواطن القرب إذ لولم يتوق بهذا الحجاب ما صمرت الدنيا فتأصل البعد عن مقام القرب فيه لصار عالم الحكمة وخلافة الله تعالى في الأرض فالتبتل لطاعة الله تعالى والاقبال عليه والاتزاع عن التوجه إلى أمر اللماش بكل يوم يخرج عن حجاب هو معنى فيه مودع على قدر زوال كل حجاب يتجذب ويتخذ منزلا في القرب من الحضرة الإلهية التي هي مجمع العلوم ومصدرها فإذا تمت الأربعون زالت الحجب وانصبت إليه العلوم والمعارف انصبابا ثم العلوم والمعارف هي أعيان اقلبت أنوارا باتصال اكسير نور العظمة الإلهية بها فاقبلت أعيان حديث النفس علوما إلهامية وتصدت أجرام حديث النفس لقبول أنوار العظمة فلولا وجود

في الآ كثر يكون عن لحو ولعب وماله صورة اللعب واللهو في أعين الناس فينبغي أن يجتنبه المقتدى به
لثلايصفر في أعين الناس فيترك الاقتداء به . وأما تمزيق الثياب فلا رخصة فيه إلا عند خروج الأمر عن
الاستتار ولا يبعد أن يضرب الوجد بحيث يمزق ثوبه وهو لا يدري لعلبة سكر الوجد عليه أو يدري
ولكن يكون كالمنظر الذي لا يقدر على ضبط نفسه وتكون صورته صورة السكره إذ يكون له
في الحركة أو التمزيق متغص فيضطر إليه اضطرار المريض إلى الأبن ولو كلف الصبر عنه لم يقدر عليه
مع أنه فعل اختياري فليس كل فعل حصوله بالارادة يقدر الإنسان على تركه فالتنفس فعل يحصل بالارادة
ولو كلف الإنسان أن يمسك النفس ساعة لا يضطر من باطنه إلى أن يختار التنفس فكذلك الرعقة
وتمزيق الثياب قد يكون كذلك فهذا لا يوصف بالتحريم فقد ذكر عند السرى حديث الوجد الحاد
الغالب فقال نعم يضرب وجهه بالسيف وهو لا يدري فروجع فيه واستبعد أن ينتهي إلى هذا الحد فأصر
عليه ولم يرجع ومعناه أنه في بعض الأحوال قد ينتهي إلى هذا الحد في بعض الأشخاص . فان قلت فأتقول
في تمزيق الصوفية الثياب الجديدة بعد سكون الوجد والفراغ من السماع فأنهم يمزقونها قطعاً صفاراً
ويفرقونها على القوم ويسمونهم الحرقه . فأعلم أن ذلك مباح إذا قطع قطعاً مربعة تصلح لترقيع الثياب
والسجادات فان السكران يمزق حتى يغط منه القميص ولا يكون ذلك تضيقاً لأنه تمزيق لمرض
وكذلك ترقيع الثياب لا يمكن إلا بالقطع الصفار وذلك مقصود والتمزيق على الجميع ليم ذلك الخير
مقصود مباح ولكل مالك أن يقطع كرباسه مائة قطعة ويعطيها لمائة مسكين ولكن ينبغي أن تكون
القطع بحيث يمكن أن ينفع بها في الرقاق وإنما منعا في السماع التمزيق الفسد للثوب الذي يهلك بضمه
بحيث لا يبقى متغص به فهو تضييع محض لا يجوز بالاختيار . الأدب الخامس : موافقة القوم في القيام
إذا قام واحد منهم في وجد صادق من غير رياء وتكلف أو قام باختيار من غير إظهار وجد وقامت له
الجماعة فلا بد من الموافقة فذلك من آداب الصحة وكذلك إن جرت عادة طائفة بتحية العامة على
موافقة صاحب الوجد إذا سقطت عمامته أو خلع الثياب إذا سقط عنه ثوبه بالتمزيق فالموافقة في هذه
الأمر من حسن الصحبة والعشرة إذا مخالفتها موحشة ولكل قوم رسم ولا بد من مخالفة الناس بأخلاقهم (١)
كما ورد في الخبر لاسيما إذا كانت أخلاقها فيها حسن العشرة والجمالة وتطيب القلب بالمساعدة وقول
القائل إن ذلك بدعة لم يكن في الصحابة فليس كل ما يحكم بإباحته منقولا عن الصحابة رضي الله عنهم
وإنما المندور ارتكاب بدعة تراغم سنة مأثورة ولم ينقل النبي عن شيء من هذا والقيام عند الدخول
للدخل لم يكن من عادة العرب بل كان الصحابة رضي الله عنهم لا يقومون لرسول الله ﷺ في بعض
الأحوال (٢) كما رواه أنس رضي الله عنه ولكن إذا لم يثبت فيه شيء عام فلا يرى به بأس في البلاد التي جرت
العادة فيها باكرام الداخل بالقيام فإن المقصود منه الاحترام والاكرام وتطيب القلب به وكذلك سائر
أنواع المساعدات إذا قصد بها تطيب القلب واصطلح عليها جماعة فلا بأس بمساعدتهم عليها بل الأحسن
المساعدة لإفيا ورد فيه شيء لا يقبل التأويل ومن الأدب أن لا يقوم للرفس مع القوم إن كان يستقل
رقصه ولا يشوش عليهم أجوالهم إذا الرفس من غير إظهار التواجد مباح والتواجد هو الذي يلوح للجمع
منه أثر التكلف ومن يقوم عن صدق لا تستثله الطباع فقلوب الحاضرين إذا كانوا من أرباب القلوب
عك للصدق والتكلف . مثل بعضهم عن الوجد الصحيح فقال محته قبول قلوب الحاضرين له إذا كانوا

النفس وحديثها
ما ظهرت العلوم الالهية
لأن حديث النفس
وطاء وجودي لقبول
الأنوار وما للقلب في
ذاته لقبول العلم شيء
وقول رسول الله صلى
الله عليه وسلم «ظهرت
يتابع الحكمة من
قلبه على لسانه» أشار
إلى القلب باعتبار أن
القلب وجهها إلى النفس
باعتبار توجهه إلى عالم
الشهادة وله وجه إلى
الروح باعتبار توجهه
إلى عالم القلب فيستمد
القلب العلوم للكونة
في النفس ويخرجها
إلى اللسان الذي هو
ترجمانه فظهور العلوم
من القلب لأنها متأصلة
فيه فالقلب والروح
مراتب من قرب اللهم
سبحانه وتعالى فوق
رب العالمين فالبد
بأنقطاعه إلى الله تعالى
واعترال الناس بقطع
مسافات وجوده
ويستنبط من معدن
نفسه جواهر العلوم

(١) حديث مخالفة الناس بأخلاقهم الحاكم من حديث أبي ذر خالقوا الناس بأخلاقهم الحديث قال
صحيح على شرط الشيخين (٢) حديث كانوا لا يقومون لرسول الله صلى الله عليه وسلم في بعض
الأحوال كما رواه أنس تقدم في آداب الصحة .

أشكالا غير أزداد . فإن قلت فما بال الطباع تنفر عن الرقص ويسبق إلى الأوهام أنه باطل ولهو
ومخالف للدين فلا يراه ذو جند في الدين إلا وينكره . فاعلم أن الجند لا يزيد على جد رسول الله صلى الله
عليه وسلم وقد رأى الحبشة يزفون في السجدة وما أنكروا لما كان في وقت لائق به وهو العبد ومن
شخص لائق به وهم الحبشة نعم نكرة الطباع عنه لأنه يرى غالباً مقرونا باللهو واللعب واللهو واللعب مباح
ولكن للعوام من الزنوج والحبشة ومن أشبههم وهو مكروه لدوى الناصب لأنه لا يليق بهم وما كره
لكونه غير لائق بمنصب ذي المنصب فلا يجوز أن يوصف بالتعزيم فمن سأل فقيرا شيئا فأعطاه رغبنا
كان ذلك طاعة مستحسنة ولو سأل ملكا فأعطاه رغبنا أو رغبين لكان ذلك منكرا عند الناس
كافة ومكتوبا في تواريخ الأخبار من جملة مساويه ويعبر به أعتابه وأشياعه ومع هذا فلا يجوز أن يقال
ما فعله حرام لأنه من حيث إنه أعطى خيرا للفقير حسن ومن حيث إنه بالإضافة إلى منصبه كالمنع بالإضافة
إلى الفقير مستحب فكذلك الرقص وما يجري مجراه من اللباحات ومباحات العوام سيئات الأبرار
وحسنات الأبرار سيئات القرين ولكن هذا من حيث الالتفات إلى الناصب وأما إذا نظر إليه في نفسه
وجب الحكم بأنه هو في نفسه لا تحريم فيه والله أعلم فقد خرج من جملة التفصيل السابق أن السماع قد
يكون حراما محضا وقد يكون مباحا وقد يكون مكروها وقد يكون مستحبا أما الحرام فهو لاكثر الناس من
الشبان ومن غلبت عليهم شهوة الدنيا فلا يحرك السماع منهم إلا ما هو الغالب على قلوبهم من الصفات
الذمومة وأما المكروه فهو لمن ينزله على صورة المخلوقين ولكنه يتخذ عادة له في أكثر الأوقات على
سبيل اللهو وأما المباح فهو لمن لاحظ له منه إلا التلذذ بالصوت الحسن وأما المستحب فهو لمن غلب عليه
حب الله تعالى ولم يحرك السماع منه إلا الصفات المحمودة والحمد لله وحده وصلى الله على محمد وآله .

(كتاب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر)

وهو الكتاب التاسع من ربيع العادات الثاني من كتب إحياء علوم الدين

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي لا تستفتح الكتب إلا بحمده . ولا تستمتع النعم إلا بواسطة كرمه وورفه . والصلاة
على سيد الأنبياء محمد رسوله وعبد . وعلى آله الطيبين وأصحابه الطاهرين من بعده .
[أما بعد] فإن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر هو القطب الأعظم في الدين . وهو اللهم الذي ابتعث الله له
النبيين أجمعين . ولو طوى بساطه وأهمل علمه وعمله تعطلت النبوة واضمحلت الديانة وعمت الفترة
وفشت الضلالة وشاعت الجهالة واستمرى الفساد واتسع الحرق وخربت البلاد . وهلك العباد . ولم يشعروا
بالهلاك إلا يوم الناد . وقد كان الذي خفنا أن يكون . فإنا لله وإنا إليه راجعون . إذ قد اندرس من هذا
القطب عمله وعلمه . وانعحق بالكلية حقيقته ورسمه . فاستولت على القلوب مدهانة الخلق وانعجت
عنها مراقبة الخالق واسترسل الناس في اتباع الهوى والشهوات استرسال البهائم . وعز على بساط الأرض
مؤمن صادق لا تأخذه في الله لومة لائم . فمن سعى في تلافى هذه الفترة وسد هذه الثغرة إما متكفلا
بعمليا أو متقلدا لتنفيذها مجددا لهذه السنة الدائرة ناهضا بأعبائها ومتشعرا في إحيائها كان مستأثرا
من بين الخلق بأحياء سنة أفضى الزمان إلى إقامتها . ومستبدا بقرينة تتضائل درجات القرب دون
ذروتها . وهانحن نشرح علمه في أربعة أبواب . الباب الأول : في وجوب الأمر بالمعروف والنهي
عن المنكر وفضيلته . الباب الثاني : في أركانه وشروطه . الباب الثالث : في مجاريه وبيان

وقد ورد في الخبر
« الناس معادن كعادن
الذهب والفضة خيارهم
في الجاهلية خيارهم في
الاسلام إذا قهوا »
ففي كل يوم بإخلاصه
في العمل لله يكشف
طبقة من الطباق
التراية الجبلية المبعدة
عن الله تعالى إلى أن
يكشف باستكمال
الأربعين أربعين طبقة
في كل يوم طبقة من
أطباق حجاب آية
حجة هذا المبدوع علامة
تأثره بالأربعين ووفائه
بشروط الاخلاص أن
يزهد بعد الأربعين في
الدنيا ويتجافى عن
دار القرور وينيب إلى
دار الخلود لأن الزهد
في الدنيا من ضرورة
ظهور الحكمة ومن
لم يزهد في الدنيا
ما ظفر بالحكمة ومن
لم يظفر بالحكمة بعد
الأربعين تبين أنه قد
أخل بالشروط ولم
يخلص لله تعالى ومن
لم يخلص لله ما عبد

(كتاب الأمر بالمعروف)

النكرات المألوفة في العادات . الباب الرابع : في أمر الأمراء والسلطين بالمعروف ونهيهم عن المنكر .

(الباب الأول : في وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

وفضيلته والمذمة في إهماله وإضاعته)

ويدل على ذلك بعد إجماع الأمة عليه وإشارات العقول السليمة إليه الآيات والأخبار والآثار . أما الآيات :
 قوله تعالى - ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم
 المفلحون - ففي الآية بيان الإيجاب فان قوله تعالى ولتكن أمر وظاهر الأمر الإيجاب وفيها بيان أن
 الفلاح منوط به إذ حصر وقال وأولئك هم المفلحون وفيها بيان أنه فرض كفاية لا فرض عين وأنه إذا
 قام به أمة سقط الفرض عن الآخرين إذ لم يقل كونوا كلكم آمرين بالمعروف بل قال ولتكن منكم
 أمة فإذا مهما قام به واحد أو جماعة سقط الحرج عن الآخرين واختص الفلاح بالقائمين به للباشرين
 وإن تعاقد عنه الخلق أجمعون هم المخرج بكافة القادرين عليه لاحالة وقال تعالى - ليسوا سواء من أهل
 الكتاب أمة قائمة يتلون آيات الله آناء الليل وهم يسجدون يؤمنون بالله واليوم الآخر ويأمرون
 بالمعروف وينهون عن المنكر ويسارعون في الخيرات وأولئك من الصالحين - فلم يشهد لهم بالصالح بمجرد
 الإيمان بالله واليوم الآخر حتى أضاف إليه الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وقال تعالى - وللمؤمنون
 والمؤمنات بعضهم أولياء بعض يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويقيمون الصلاة - فقد نفت
 للمؤمنين بأنهم يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر فالدلي هجر الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر
 خارج عن هؤلاء المؤمنين للمؤمنين في هذه الآية ، وقال تعالى - لمن الدين كفروا من بني إسرائيل على
 لسان داود وعيسى بن مريم ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون . كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه
 لبئس ما كانوا يفعلون - وهذا غاية التشديد إذ علل استحقاقهم للعنة بتركهم النهي عن المنكر وقال من
 وجب - كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف ونهون عن المنكر وهذا يدل على فضيلة الأمر
 بالمعروف والنهي عن المنكر إذ بين أنهم كانوا به خير أمة أخرجت للناس وقال تعالى - فلما نسوا
 ما ذكروا به آجبنا الذين ينهون عن سوء وأخذنا الذين ظلموا بعباد بئس بما كانوا يفعلون - فبين
 أنهم استفادوا النجاة بالنهي عن سوء ويدل ذلك على الوجوب أيضا . وقال تعالى - الذين إن مكناهم
 في الأرض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وآمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر - فقرر ذلك بالصلاة
 والزكاة في نعمت الصالحين والمؤمنين وقال تعالى - وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الإثم
 والعدوان - وهو أمر جزم ومعنى التعاون الحث عليه وتسهيل طرق الخير وسد سبل الشر والعدوان بحسب
 الامكان وقال تعالى - لولا بنهام الربايون والأخبار عن قولهم الإثم وأكلهم السحت لبئس ما كانوا
 يصنعون - فبين أنهم أئموا بترك النهي وقال تعالى - فلولا كان من القرون من قبلكم أولوا بقية ينهون
 عن الفساد في الأرض - الآية فبين أنه أهلك جميعهم لإقلالهم كانوا ينهون عن الفساد وقال تعالى
 - يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين بالمعصية شهداء لله ولوطي أنفسكم وألوالدين والأقربين - وذلك هو
 الأمر بالمعروف للوالدين والأقربين وقال تعالى - لا خير في كثير من نجواهم إلا من أمر بصدقة أو معروف
 أو إصلاح بين الناس ومن يفعل ذلك ابتغاء مرضاة الله فسوف نؤتيه أجرا عظيما - وقال تعالى
 - وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحو بينهما - الآية والإصلاح نهى عن البغي وإعادة إلى الطاعة
 فان لم يفعل فقد أمر الله تعالى بقتاله فقال - فقاتلوا التي تبغى حق تنفي إلى أمر الله وذلك هو النهي عن
 المنكر . وأما الأخبار : فلها ما روى عن أبي بكر الصديق رضي الله عنه أنه قال في خطبة خطبها :

(الباب الأول في وجوب الأمر بالمعروف)

الله لأن الله تعالى
 أمرنا بالاخلاص كما
 أمرنا بالعمل فقال
 تعالى - وما أمروا إلا
 ليعبدوا الله مخلصين له
 الدين - أخبرنا الشيخ
 طاهر بن أبي الفضل
 إجازة قال أنا أبو بكر
 أحمد بن خلف إجازة
 قال أنا أبو عبد الرحمن
 السلي قال أنا
 أبو منصور الضبي قال
 ثنا محمد بن أشرس
 قال ثنا حفص بن
 عبد الله قال ثنا إبراهيم
 ابن طهمان عن عاصم
 عن زر عن صفوان
 ابن عسال رضي الله
 عنه عن النبي صلى الله
 عليه وسلم قال وإذا
 كان يوم القيامة يحى
 الإخلاص والشرك
 يحثون بين يدي الرب
 عز وجل ، فيقول
 الرب للإخلاص انطلق
 أنت وأهلك إلى الجنة
 ويقول للشرك انطلق
 أنت وأهلك إلى النار
 وهذا الاسناد قال
 السلي سمعت علي بن

أيها الناس إنكم تفرءون هذه الآية وتؤولونها على خلاف تأويلها - يا أيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم (١) لا يضركم من ضل إذا اهتديتم - وإنى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « مامن قوم عملوا بالمعاصي وفيهم من يقدر أن ينكر عليهم فلم يفعل إلا يوشك أن يعذبهم الله بعذاب من عنده » وروى عن أبي ثعلبة الخشني « أنه سأل رسول الله ﷺ عن تفسير قوله تعالى - لا يضركم من ضل إذا اهتديتم (٢) - فقال يا أبا ثعلبة مر بالمعروف وانه عن المنكر فإذا رأيت شعرا مطاعا وهوى متبعا ودنيا مؤثرة وإعجاب كل ذي رأى برأيه فعليك بنفسك ودع عنك العوام إن من ورائكم قننا قطع الليل اللظم للظلم للتمسك فيها بمثل الذي أنتم عليه أجر خمسين منكم قيل بل منهم يارسل الله قال لا بل منكم لأنكم تجدون على الخير أعوانا ولا يجدون عليه أعوانا » وسئل ابن مسعود رضى الله عنه عن تفسير هذه الآية فقال إن هذا ليس زمانها إنها اليوم مقبولة ولكن قد أوشك أن آتى زمانها تأمرون بالمعروف فيصنع بكم كذا وكذا وتقولون فلا يقبل منكم فينشد عليكم أنفسكم لا يضركم من ضل إذا اهتديتم . وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لتأمرن بالمعروف وتنهون عن المنكر أو ليسلطن الله عليكم شراركم ثم يدعو خياركم فلا يستجاب لهم (٣) » معناه تسقط مباحاتهم من أعين الأشرار فلا يخافونهم . وقال صلى الله عليه وسلم « يا أيها الناس إن الله يقول لتأمرن بالمعروف وتنهون عن المنكر قبل أن تدعوا فلا يستجاب لكم (٤) » وقال صلى الله عليه وسلم « ما أعمال البر عند الجهاد في سبيل الله إلا كفتة في بحر لجى ، وما جميع أعمال البر والجهاد في سبيل الله عند الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر إلا كفتة في بحر لجى (٥) » وقال عليه أفضل الصلاة والسلام « إن الله تعالى ليسأل العبد مامنهك إذ رأيت المنكر أن تنكره فإذا لقن الله العبد حجة قال رب وثقت بك وفرقت من الناس (٦) » وقال ﷺ « إياكم والجلوس على الطرقات قالوا ما لنا بذلك إنما هي مجالسنا نتحدث فيها قال فإذا أبيتم إلا ذلك فأعطوا الطريق حقه قالوا وما حق الطريق قال غصن البصر وكف الأذى ورد السلام والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر (٧) » وقال صلى الله عليه وسلم « كلام ابن آدم كله عليه لاله إلا أمرا بمعروف أو نهيا عن منكر أو ذكر الله تعالى (٨) »

(١) حديث أبي بكر أيها الناس إنكم تفرءون هذه الآية وتؤولونها على خلاف تأويلها - يا أيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم - الحديث أصحاب السنن وتقدم في العزلة (٢) حديث أبي ثعلبة أنه سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن تفسير قوله تعالى - لا يضركم من ضل إذا اهتديتم - الحديث أبو داود والترمذي وحسنه وابن ماجه (٣) حديث لتأمرن بالمعروف وتنهون عن المنكر أو ليسلطن الله عليكم شراركم ثم يدعو خياركم فلا يستجاب لهم البزار من حديث عمر بن الخطاب والطبراني في الأوسط من حديث أبي هريرة وكلاهما ضعيف والترمذي من حديث حذيفة نحوه إلا أنه قال أو ليوشك أن يعذبكم عقابا منه ثم تدعونه فلا يستجيب لكم قال هذا حديث حسن (٤) حديث يا أيها الناس إن الله سبحانه يقول لتأمرن بالمعروف وتنهون عن المنكر قبل أن تدعوا فلا يستجاب لكم أحمد والبيهقي من حديث عائشة بلفظ مروا وانهموا وهو عند ابن ماجه دون عزوه إلى كلام الله تعالى وفي إسناده لين (٥) حديث ما أعمال البر عند الجهاد في سبيل الله إلا كفتة في بحر لجى - ورواه أبو منصور الديلمي في مسند الفردوس مقتصر على الشطر الأول من حديث جابر بسند ضعيف وأما الشطر الأخير فرواه على ابن معبد في كتاب الطاعة والعصية من رواية يحيى بن عطاء مرسلا أو معضلا ولا أدري من يحيى ابن عطاء (٦) حديث إن الله تعالى ليسأل العبد ما منعك إذ رأيت المنكر أن تنكره الحديث الحديث ابن ماجه وقد تقدم (٧) حديث إياكم والجلوس على الطرقات الحديث متفق عليه من حديث أبي سعيد (٨) حديث كل كلام ابن آدم عليه لاله إلا أمرا بمعروف الحديث تقدم في العلم .

سعيد وسأله عن الاخلاص ما هو قال سمعت إبراهيم الشقيق وسأله عن الاخلاص ما هو قال سمعت محمد ابن جعفر الحفاف وسأله عن الاخلاص ما هو قال سألت أحمد ابن بشار عن الاخلاص ما هو قال سألت أبا يعقوب الشروطى عن الاخلاص ما هو قال سألت أحمد بن محمد بن عثمان عن الاخلاص ما هو قال سألت أحمد بن محمد بن عيسى عن الاخلاص ما هو قال سألت عبد الواحد بن زيد عن الاخلاص ما هو قال سألت الحسن بن علي عن الاخلاص ما هو قال سألت حذيفة عن الاخلاص ما هو قال سألت النبي صلى الله عليه وسلم عن الاخلاص ما هو قال سألت جبريل عليه السلام عن الاخلاص ما هو قال سألت رب العزة عن الاخلاص

وقال صلى الله عليه وسلم « إن الله لا يذب الحامة بذنوب العامة حتى يرى المنكر بين أظهرهم وهم قادرون على أن ينكروه فلا ينكروه^(١) » وروى أبو أمامة الباهلي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال « كيف أنتم إذا طغى نساؤكم وفق شبابكم وتركتم جهادكم قالوا وإن ذلك لكانن يارسول الله قال نعم والذي نفسي بيده وأشد منه سيكون قالوا وما أشد منه يارسول الله قال كيف أنتم إذا لم تأمروا بالمعروف ولم تنهوا عن منكر قالوا وكائن ذلك يارسول الله قال نعم والذي نفسي بيده وأشد منه سيكون قالوا وما أشد منه قال كيف أنتم إذا أمرتم بالمنكر ونهيتم عن المعروف قالوا وكائن ذلك يارسول الله قال نعم والذي نفسي بيده وأشد منه سيكون يقول الله تعالى في حلفت لأنيبعن لهم فتنة بصير الخليم فيها حيران^(٢) » وعن عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ « لا تقفن عند رجل يضرب مظلوما فإن اللعنة تنزل على من حضره ولم يدفع عنه ولا تقفن عند رجل يقتل مظلوما فإن اللعنة تنزل على من حضره ولم يدفع عنه^(٣) » قال : وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لا ينبغي لامرئ أن يشهد مقاما فيه حق إلا تكلم به فإنه لن يقدم أجله ولن يحرمه رزقا هو له^(٤) » وهذا الحديث يدل على أنه لا يجوز دخول دور الظلمة والفسقة ولا حضور للمواضع التي يشاهد المنكر فيها ولا يقدر على تغييره فإنه قال اللعنة تنزل على من حضر ولا يجوز له مشاهدة المنكر من غير حاجة اعتذارا بأنه عاجز ولهذا اختار جماعة من السلف العزلة لمشاهدتهم للمنكرات في الأسواق والأعياد والمجامع وعجزهم عن التغيير وهذا يقتضي لزوم الهجر للخلق ولهذا قال عمر بن عبد العزيز رحمه الله ماسح السواح وخلوا دورهم وأولادهم إلا بعثل منازل بنا حين رأوا الشر قد ظهر والحير قد اندرس ورأوا أنه لا يقبل عن تكلم ورأوا الفتن ولم يأمنوا أن تعزيبهم وأن ينزل العذاب بأولئك القوم فلا يسلطون منه فرأوا أن مجاورة السباع وأكل البقول خير من مجاورة هؤلاء في نصيحهم ثم قرأ - قروا إلى الله إنى لكم منه نذير مبين - قال فقرأ قوم فلولا ما جعل الله جل ثناؤه في النبوة من السر لقلناهم بأفضل من هؤلاء فبما لنا ان اللاتكة عليهم السلام لتلقاهم وتصفاهم والسحاب والسباع تمر بأحدهم فيناديها فتجيبه ويسألها أين أمرت فتخبره وليس بنبي . وقال أبو هريرة رضي الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من حضر مصيبة فكرها ففكأنه غاب عنها

(١) حديث إن الله لا يذب الحامة بذنوب العامة حتى يروا المنكر الحديث أحد من حديث عدى ابن عميرة وفيه من لم يسم والطبراني من حديث أخيه العرس بن عميرة وفيه من لم أعرفه (٢) حديث أنى أمانة كيف بكم إذا طغى نساؤكم وفق شبابكم وتركتم جهادكم قالوا وإن ذلك لكانن يارسول الله قال نعم والذي نفسي بيده وأشد منه سيكون قالوا وما أشد منه قال كيف أنتم إذا لم تأمروا بالمعروف ولم تنهوا عن المنكر الحديث ابن أبي الدنيا بإسناد ضعيف دون قوله كيف بكم إذا أمرتم بالمنكر ونهيتم عن المعروف ورواه أبو يعلى من حديث أبي هريرة مقتصر على الأسئلة الثلاثة الأولى وأجوبتها دون الآخرين وإسناده ضعيف (٣) حديث عكرمة عن ابن عباس لا تقفن عند رجل يقتل مظلوما فإن اللعنة تنزل على من حضره حين لم يدفعوا عنه الطبراني بسند ضعيف والبيهقي في شعب الإيمان بسند حسن (٤) حديث لا ينبغي لامرئ أن يشهد مقاما فيه حق إلا تكلم به فإنه لن يقدم أجله ولن يحرمه رزقا هو له البيهقي في الشعب من حديث ابن عباس بسند الحديث الذي قبله وروى الترمذي وحسنه وابن ماجه من حديث أبي سعيد لا ينعن رجالا هيئة الناس أن يقول الحق إذا علمه .

ما هو ؟ قال هو سر من سرى أودعته قلب من أحببت من عبادى فمن الناس من يدخل الخلوة على مراغمة النفس إذ النفس بطبعها كارهة للخلوة مبالغة إلى مخالطة الخلق فإذا أزعجها عن مقام عاداتها وحبسها على طاعة الله تعالى يعقب كل مرارة تدخل عليها حلاوة في القلب . قال ذو النون رحمه الله : لم أر شيئا أبغث على الإخلاص من الخلوة ، ومن أحب الخلوة ، فقد استمسك بممود . الإخلاص وظفر بركن من أركان الصدق . وقال الشبلى رحمه الله لرجل استوصاه الزم الوحدة وامنع صمك عن القوم واستقبل الجدار حتى تموت . وقال يحيى ابن معاذ رحمه الله الوحدة منية الصديقين ومن الناس من ينبعث من باطنه داعية الخلوة

ومن غاب عنها فأحبها فكانت حاضرة (١) » ومعنى الحديث أن يحضر لحاجة أو يتفق جريان ذلك بين يديه فأما الحضور فقد امتنع بدليل الحديث الأول . وقال ابن مسعود رضى الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ما بعث الله عز وجل نبيا إلا وله حوارى فيمكث النبي بين أظهرهم ما شاء الله تعالى يصل فيهم بكتاب الله وبأمره حتى إذا قبض الله نبيه مكث الحواريون يعملون بكتاب الله وبأمره وبسنة نبيه فإذا انقضوا كان من بعدهم قوم يركبون رؤوس النابر يقولون ما يعرفون ويعملون ما ينكرون فإذا رأيتم ذلك فحق على كل مؤمن جهادهم يده فإن لم يستطع فبلسانه فإن لم يستطع فبقلبه وليس وراء ذلك إلا سلام (٢) » وقال ابن مسعود رضى الله عنه كان أهل قرية يعملون بالمعاصي وكان فيهم أربعة هريثرون ما يعملون فقام أحدهم فقال إنكم تعملون كذا وكذا فجعل ينههم ويخبرهم ببيع ما يصنعون فوصلوا ردون عليه ولا يرعون عن أمثالهم فسيبوه وقتلهم فقلبوه فاعتزل ثم قال اللهم إني قد نهيتهم فلم يطيعوني وشبهتهم فسبوني وقتلتهم فقلبوني ثم ذهب ثم قام الآخر قهاهم فلم يطيعوه فسيبوه فاعتزل ثم قال اللهم إني قد نهيتهم فلم يطيعوني وسببتهم فسبوني ولو قاتلتهم لقلبوني ثم ذهب ثم قام الثالث قهاهم فلم يطيعوه فاعتزل ثم قال اللهم إني قد نهيتهم فلم يطيعوني ولو سببتهم لسبوني ولو قاتلتهم لقلبوني ثم ذهب ثم قام الرابع فقال اللهم إني لو نهيتهم لسبوني ولو سببتهم لسبوني ولو قاتلتهم لقلبوني ثم ذهب قال ابن مسعود رضى الله عنه كان الرابع أدناهم منزلة وقليل فيكم مثله ، وقال ابن عباس رضى الله عنهما « قيل يا رسول الله أتهلك القرية وفيها الصالحون ؟ قال : نعم قيل يا رسول الله قال يهاونهم وسكوتهم على معاصي الله تعالى (٣) » وقال جابر ابن عبد الله قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « أوحى الله تبارك وتعالى إلى ملك من الملائكة أن اقلب مدينة كذا وكذا على أهلها فقال يارب إن فيهم عبدك فلانا لم يحصك طرفة عين قال اقلبها عليه وعليهم فان وجهه لم يتغير ساعة قط (٤) » وقالت عائشة رضى الله عنها قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « عذب أهل قرية فيها ثمانية عشر ألفا عملهم عمل الأنبياء قالوا يا رسول الله كيف قال لم يكونوا يفضون الله ولا يأمرون بالمعروف ولا ينهون عن المنكر (٥) » وعن عروة عن أبيه قال : قال موسى صلى الله عليه وسلم : يارب أى عبادك أحب إليك قال الذى يتسرع إلى هواى كما يتسرع النسر إلى هواه والذى يكلف بعبادى الصالحين كما يكلف الصبي بالثدى والذى يغضب إذا أنبت محارمى كما يغضب النمر لنفسه فان النمر إذا غضب لنفسه لم يبال قل الناس أم كثروا وهذا يدل على فضيلة الحسبة مع شدة الخوف وقال أبو ذر الغفارى

(١) حديث أبي هريرة من حضر مصيبة فسكرها فكانت غاب عنها ومن غاب عنها فأحبها فكانت حاضرة رواه ابن عدى وفيه يحيى بن أبى سليمان قال البخارى منكر الحديث (٢) حديث ابن مسعود ما بعث الله عز وجل نبيا إلا وله حوارى الحديث روى مسلم نحوه (٣) حديث ابن عباس قيل يا رسول الله أتهلك القرية وفيها الصالحون قال نعم قيل يا رسول الله قال يهاونهم وسكوتهم عن معاصي الله البزار والطبرانى بسند ضعيف (٤) حديث جابر أوحى الله إلى ملك من الملائكة أن اقلب مدينة كذا وكذا على أهلها قال فقال يارب إن فيهم عبدك فلانا الحديث الطبرانى فى الأوسط والبيهقى فى الشعب وضعفه وقال المحفوظ من قول مالك بن دينار (٥) حديث عائشة عذب أهل قرية فيها ثمانية عشر ألفا عملهم عمل الأنبياء لم أقف عليه مرفوعا وروى ابن أبى الدنيا وأبو الشيخ عن إبراهيم بن عمر الصنعاني أوحى الله إلى يوشع بن نون إني مهلك من قومك أربعين ألفا من خيارهم وستين ألفا من شرارهم قال يارب هؤلاء الأشرار فما بال الأخيار قال إنهم لم يفضوا لتضيئوا فكانوا يؤاكلونهم ويشاربونهم

وتنجذب النفس إلى ذلك وهذا أتم وأكمل وأدلى على كمال الاعتماد . وقدرى من حال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما يدل على ذلك فيما حدثنا شيخنا ضياء الدين أبو النجيب املاء قال أخبرنا الحافظ أبو القاسم اسمعيل ابن أحمد القرى قال أنا جعفر بن الحكاه للكي قال أنا أبو عبد الله الصنعاني قال أنا أبو البغوى قال أنا اسمعيل الديري قال أنا عبد الرزاق عن معمر قال أخبرني الزهري عن عروة عن عائشة رضى الله عنها قالت « أول ما بدئ به رسول الله صلى الله عليه وسلم من الوحي الرؤيا الصادقة في النوم فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح ثم حب إليه الخلاء فكان

قال أبو بكر الصديق رضي الله عنه « يا رسول الله هل من جهاد غير قتال للشركين فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم نعم يا أبا بكر إن الله تعالى مجاهد في الأرض أفضل من الشهداء أحياء مرزوقين بمشون على الأرض يباهي الله بهم ملائكة السماء وتزين لهم الجنة كما تزينت أم سلمة لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال أبو بكر رضي الله عنه يا رسول الله ومن هم ؟ قال الأمرون بالمعروف والناهون عن المنكر والمحبون في الله واللبضون في الله ثم قال والذي نفسي بيده إن العبد منهم ليكون في الرفعة فوق الرفعات فوق غرف الشهداء للرفعة منها ثلثمائة ألف باب من الباقوت والرمز الأخضر على كل باب نور وإن الرجل منهم ليزوج بثلاثمائة ألف حوراء قاصرات الطرف عني كما انتفت إلى واحدة منهن فنظر إليها تقول له أئذك يوم كذا وكذا أمرت بالمعروف ونهيت عن المنكر كما نظرت إلى واحدة منهن ذكرت له مقاما أمر فيه بمعروف ونهى فيه عن منكر ^(١) » وقال أبو عبيدة بن الجراح رضي الله عنه قلت يا رسول الله أي الشهداء أكرم على الله عز وجل قال رجل قام إلى وال جائر فأمره بالمعروف ونهاه عن المنكر قتلته فان لم يقتله فان القلم لا يجرى عليه بعد ذلك وإن عاش ما عاش ^(٢) » وقال الحسن البصري رحمه الله قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « أفضل شهداء أمي رجل قام إلى إمام جائر فأمره بالمعروف ونهاه عن المنكر قتلته على ذلك فذلك الشهيد منزلة في الجنة بين حمزة وجعفر ^(٣) » وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « بشئ القوم قوم لا يأمرهم بالقسط وبشئ القوم قوم لا يأمرهم بالمعروف وينهون عن المنكر ^(٤) » . أما الآثار :

فقد قال أبو البرداء رضي الله عنه : لتأمرن بالمعروف وتنهين عن المنكر أو ليسلطن الله عليكم سلطانا ظالما لا يعجل كبيركم ولا رحم صغيركم ويدعو عليه خياركم فلا يستجاب لهم وتستصرون فلا تتصرون وتستغفرون فلا ينظر لكم . وسئل حذيفة رضي الله عنه عن ميت الأحياء قال الذي لا ينكر للمنكر يده ولا لسانه ولا يقبله . وقال مالك بن دينار كان جبر من أخبار بني إسرائيل ينشئ الرجال والنساء منزله بمظهم ويدكرهم بأيام الله عز وجل فرأى بعض بنيهم يوما وقد غمز بعض النساء فقال مهلا يا بني مهلا وسقط من سريره فانتقطع نخاعه وأسقطت امرأته وقتل بنوه في الجيش فأوحى الله تعالى إلى نبي زمانه أن أخبر فلانا الخبر آتى لا أخرج من صلبك صديقا أبدا أما كان من غضبك لي إلا أن قتلته مهلا يا بني مهلا وقال حذيفة يأتي على الناس زمان لأن تكون فيهم جيفة حمار أحب إليهم من مؤمن يأمرهم

(١) حديث أبي ذر قال أبو بكر يا رسول الله هل من جهاد غير قتال للشركين قال نعم يا أبا بكر إن الله تعالى مجاهد في الأرض أفضل من الشهداء فذكر الحديث وفيه قال هم الأمرون بالمعروف والناهون عن المنكر الحديث بطوله لم أقفله على أصل وهو منكر (٢) حديث أبي عبيدة قلت يا رسول الله أي الشهداء أكرم على الله قال رجل قام إلى وال جائر فأمره بالمعروف ونهاه عن المنكر قتلته الحديث البزار مقتصرا على هذا دون قوله فان لم يقتله إلى آخره وهذه الزيادة منكورة وفيه أبو الحسن غير مشهور لا يعرف (٣) حديث الحسن البصري مرسل أفضل شهداء أمي رجل قام إلى إمام جائر فأمره بالمعروف ونهاه عن المنكر قتلته على ذلك فذلك الشهيد منزلة في الجنة بين حمزة وجعفر لم أره من حديث الحسن والحاكم في المستدرک وصحح إسناده من حديث جابر سيد الشهداء حمزة بن عبد المطلب ورجل قام إلى إمام جائر فأمره ونهاه قتلته (٤) حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال يا أيها الناس لا تأمرهم بالمعروف ولا ينهون عن المنكر رواه أبو الشيخ ابن حبان من حديث جابر بسند ضعيف وأما حديث عمر فأغار إليه أبو منصور الديلمي بقوله وفي الباب ورواه على ابن معبد في كتاب الطاعة والصلية من حديث الحسن مرسل .

يأتي حراء فيتحنث فيه الهيالى ذوات العدد ويتزود لذلك ثم يرجع إلى خديجة فيتزود لحملها حتى جاءه الحق وهو في غار حراء فجاءه الملك فيه فقال اقرأ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أنا بقارىء فأخذنى فغطنى حتى بلغ من الجهد ثم أرسلنى فقال اقرأ قلت ما أنا بقارىء فأخذنى فغطنى الثانية حتى بلغ من الجهد ثم أرسلنى فقال اقرأ قلت ما أنا بقارىء فأخذنى فغطنى الثالثة حتى بلغ من الجهد ثم أرسلنى فقال اقرأ باسم ربك الذى خلق خلق الانسان من علق حتى بلغ ما لم يعلم فرجع بها رسول الله صلى الله عليه وسلم رجف بوادره حتى دخل على خديجة فقال زملىنى زملىنى فزملىه حتى ذهب عنه الروع فقال لخديجة ما لى وأخبرها الخبر فقال

فيهم وأوحى الله تعالى إلى يوشع بن نون عليه السلام إن هلك من قومك أربعين ألفاً من خيارهم وستين ألفاً من شرارهم فقال يارب هؤلاء الأشرار فما بال الأبخار قال إنهم لم يفضوا لفضي وواكلوهم وشاربوهم وقال بلال بن سعد : إن المعصية إذا أخفيت لم تضر إلا صاحبها فإذا أعلنت ولم تغير أضرت بالامة ، وقال كعب الأحبار لأبي مسلم الخولاني كيف منزلتك من قومك ؟ قال حسنة . قال كعب إن التوراة لنقول غير ذلك . قال وما تقول ؟ قال تقول إن الرجل إذا أمر بالمعروف ونهى عن المنكر ساءت منزلته عند قومه فقال صدقت التوراة وكذب أبو مسلم ، وكان عبد الله بن عمر رضى الله عنهما يأتي العمال ثم قعد عنهم فيقبل له لوأتيهم فلعلمهم يحدون في أنفسهم فقال أرباب إن تكلمت أن يروا أن الذي بي غير الذي بي وإن سكت رهبت أن آثم وهذا يدل على أن من حجز عن الأمر بالمعروف فعليه أن يبعد عن ذلك للوضع ويستتر عنه حتى لا يجري بعشه منه ، وقال علي بن أبي طالب رضى الله عنه أول ما تغلبون عليه من الجهاد الجهاد بأيديكم ثم الجهاد بالسنة ثم الجهاد بقلوبكم فإذا لم يعرف القلب المعروف ولم ينكر المنكر نكس فجعل أعلاه أسفله . وقال سهل بن عبد الله رحمه الله أيما عبد عمل في شيء من دينه بما أمر به أو نهى عنه وتعلق به عند فساد الأمور وتكرهه وتشوش الزمان فهو بمن قد قام لله في زمانه بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، معناه أنه إذا لم يقدر إلا على نفسه فقام بها وأنكر أحوال الغير بقلبه فقد جاء بمنهاو الغاية في حقه ، وقيل للفضيل الأتامي ونهى ؟ فقال إن قوما أمروا ونهوا فكفروا وذلك أنهم لم يصبروا على ما أصيبوا ، وقيل للثوري الأتامي بالمعروف ونهى عن المنكر فقال إذا انبثق البحر فمن يقدر أن يسكره فقد ظهر بهذه الأدلة أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر واجب وأن فرضه لا يسقط مع القدرة إلا بقيام قائم به فلذلك ذكر الآن شروطه وشروط وجوبه .

(الباب الثاني في أركان الأمر بالمعروف وشروطه)

اعلم أن الأركان في الحسبة التي هي عبارة شاملة للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر أربعة المحتسب والمحتسب عليه والمحتسب فيه ونفس الاحتساب فهذه أربعة أركان ولكل واحد منها شروط .

(الركن الأول المحتسب)

وله شروط وهو أن يكون مكلفاً مسلماً قادراً فيخرج منه المجنون والصبي والكافر والمأجور ويدخل فيه آحاد الرعايا وإن لم يكونوا مآذونين ويدخل فيه الفاسق والرقيق والمرأة ، فلذلك روجه اشتراط ما اشتراطناه ووجه اطراح ما اطرحناه . أما الشرط الأول : وهو التكليف فلا يخفى وجه اشتراطه فان غير المكلف لا يلزمه أمر وما ذكرناه أردنا به شرط الوجوب فأما إمكان الفعل وجوازه فلا يستدعي إلا العقل حتى إن الضبي الزاهق للبلوغ المميز وإن لم يكن مكلفاً فله إنكار المنكر وله أن يريق الحجر ويكسر الملامى وإذا فعل ذلك نال به ثواباً ولم يكن لأحد منعه من حيث إنه ليس بمكلف فان هذه قرينة وهو من أهلها كالصلاة والامامة وسائر القربات وليس حكمه حكم الولايات حتى يشترط فيه التكليف ولذلك أثبتناه للعبد وآحاد الرعية نعم في المنع بالفعل وإبطال المنكر نوع ولاية وسلطنة ولكنها تستفاد بمجرد الإيمان كقتل المشرك وإبطال أميابه وسلب أسلحته فان للصبي أن يفعل ذلك حيث لا يستضره فالمنع من الفسق كالمنع من الكفر . وأما الشرط الثاني : وهو الإيمان فلا يخفى وجه اشتراطه لأن هذا نصرة للدين فكيف يكون من أهله من هو جاحد لأصل الدين وعدوه . وأما الشرط الثالث : وهو العدالة فقد اعتبرها قوم وقالوا ليس للفاسق أن يحتسب ، وربما استدلوا فيه بالنكير الوارد على من يأمر بما لا يفعله مثل قوله تعالى - أأأمرون الناس بالبر وهمون أنفسهم -

(الباب الثاني في أركان الأمر بالمعروف وشروطه)

قد خشيت على عقلي
فقلت كلا أجبني فوالله
ما يغزيك الله أبداً
إنك لتصل الرحم
وتصدق الحديث
وتعمل الكل وتكسب
للمعسر وتقرى الضيف
وتعين على نوايب الحق
ثم انطلقت به خديجة
رضي الله عنها حتى أتت
به ورقة بن نوفل
وكان امرأاً تنصر في
الجاهلية وكان يكتب
الكتاب العبراني
فيكتب من الانجيل
بالعبرانية ما شاء الله أن
يكتب وكان شيخاً
كبيراً قد غمى فقالت
له خديجة يا عم اسمع
من ابن أخيك فقال
ورقة يا ابن أخي ماذا
ترى فأخبره الخبر
رشول الله صلى الله
عليه وسلم فقال لرسول
الله صلى الله عليه وسلم
هذا هو الناموس
الذي أنزل على موسى
يا ليتني فيها جذعاً ليتني
أكون حيّاً إذ يخرجك
قومك فقال رسول الله

وقوله تعالى - كبر مقتا عند الله أن تقولوا مالا تفعلون - وبما روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال «مررت ليلة أسرى بي بقوم تفرض شفاهم بمقاريض من نار قفلت من أتم قالوا كئنا أمر بالخير ولا نأته ونهيه عن الشر» ونأته (١) وبما روى أن الله تعالى أوحى إلى عيسى صلى الله عليه وسلم عظم نفسك فإن اتفقت ففط الناس وإلا فاستحي مني ، وربما استدلووا من طريق القياس بأن هداية الغير فرع للاعتداء وكذلك تقويم الغير فرع للاستقامة والإصلاح زكاة عن نصاب الصلاح فمن ليس صالح في نفسه فكيف يصلح غيره ومضى يستقيم الظل والعود أعوج وكل مذكروه خيالات وإنما الحق أن الفاسق أن يحتسب وبرهانه هو أن قول هل يشترط في الاحتساب أن يكون متعاطيه معصوما عن المعاصي كلها فإن شرط ذلك فهو خرق للاجماع ثم حسم لباب الاحتساب إذ لا عصمة للصحابة فضلا عن دونهم والأنبياء عليهم السلام قد اختلف في عصمتهم عن الخطايا والقرآن العزيز دال على نسبة آدم عليه السلام إلى العصية وكذا جماعة من الأنبياء ، ولهذا قال سعيد بن جبير : إن لم يأمر بالمعروف ولم ينه عن المنكر إلا من لا يكون فيه شيء لم يأمر أحد بشيء فأنجب مالكا ذلك من سعيد ابن جبير وإن زعموا أن ذلك لا يشترط عن الصفات حتى يجوز للابن الحرير أن يمنع من الزنا وشرب الخمر فنقول : وهل لشارب الخمر أن يفرض الكفار ويحتسب عليهم بالنهي من الكفر فإن قالوا لا ، خرقوا الاجماع إذ جنود المسلمين لم تنزل مشتملة على البر والفاجر وشارب الخمر وظالم الأيتام ولم يمنعوا من الغزو لافي عصر رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا بعده فإن قالوا نعم فنقول : شارب الخمر هل له النهي من القتل أم لا فإن قالوا لا قلنا فما الفرق بينهما وبين لابس الحرير إذ جازله النهي من الخمر والقتل كبيرة بالنسبة إلى الشرب كالشرب بالنسبة إلى لابس الحرير فلا فرق ، وإن قالوا نعم وفصلوا الأمر فيه بأن كل مقدم على شيء فلا يمنع عن مثله ولا عما دونه وإنما يمنع عما فوقه فهذا تحكم فانه كما لا يبعد أن يمنع الشارب من الزنا والقتل فمن أين يبعد أن يمنع الزاني من الشرب بل من أين يبعد أن يشرب ويمنع غلامه وخدمته من الشرب ويقول يجب على الانتهاء والنهي فمن أين يلزم من العصيان بأحدهما أن أعصى الله تعالى بالثاني وإذا كان النهي واجبا على فمن أين يسقط وجوبه باقدا على إذ يستحيل أن يقال يجب النهي عن شرب الخمر عليه ما لم يشرب فإذا شرب سقط عنه النهي . فان قيل فيلزم على هذا أن يقول القائل الواجب على الوضوء والصلاة فأننا أتوينا وإن لم أصل وأتسحر وإن لم أصم لأن المستحب على السحور والصوم جميعا ولكن يقال أحدهما مرتب على الآخر فكذلك تقويم الغير مرتب على تقويمه نفسه فليبدأ بنفسه ثم بمن يقول . والجواب أن التسحر يراد للصوم ولولا الصوم لما كان التسحر مستحبا وما يراد لغيره لا ينفك عن ذلك الغير وإصلاح الغير لا يراد لإصلاح النفس ولا إصلاح النفس لإصلاح الغير فالقول بترتيب أحدهما على الآخر تحكم ، وأما الوضوء والصلاة فهو لازم فلا جرم أن من توضأ ولم يصل كان مؤديا أمر الوضوء وكان عقابه أقل من عقاب من ترك الصلاة والوضوء جميعا فليكن من ترك النهي والانتهاء أكثر عقابا ممن نهى ولم ينته كيف والوضوء شرط لا يراد لنفسه بل للصلاة فلا حكم له دون الصلاة . وأما الحسبة فليست شرطا في الانتهاء والاثار فلا مشابهة بينهما . فان قيل فيلزم على هذا أن يقال إذا زنى الرجل بامرأة وهي مكرهة مستورة الوجه فكشفت وجهها باختيارها فأخذ الرجل يحتسب في أثناء الزنا ويقول أنت مكرهة في الزنا ومختارة في كشف الوجه لغير محرم وما أنا غير محرم لك فاسترى وجهك فهذا احتساب شنيع يستنكره قلب كل عاقل ويستشغفه كل طبع سليم . فالجواب أن الحق قد يكون شديدا وأن الباطل قد يكون مستحسنا بالطباع والتبع

(١) حديث مررت ليلة أسرى بي بقوم تفرض شفاهم بمقاريض من نار الحديث تقدم في العلم .

صلى الله عليه وسلم
أو يخرجني هم قال ورقة
نعم إنه لم يأت أحد قط
بما جئت به إلا عودي
وأودي وإن يدركني
يومك أنصرك نصرا
مؤزرا وحدث جابر
ابن عبد الله رضي الله
عنه قال سمعت رسول
الله صلى الله عليه وسلم
وهو يحدث عن قرة
الوحى فقال في حديثه
« فبينما أنا أمشي سمعت
صوتا من السماء فرفت
رأسي فإذا الملك الذي
جاءني بحراء جالس
على كرسي بين السماء
والأرض فجثت منه
رعبا فرجت قلت
زملوني زملوني
فأنزل الله
تعالى - يا أيها المدثر
فأنذر - إلى - والرجز
فاهجر - » وقد نقل أن
رسول الله صلى الله
عليه وسلم ذهب مرارا
كي يردى نفسه من
شواحق الجبال فكليا
وأنى ذروة جبل لكي
يلقى نفسه منه تبدي له

الدليل دون فترة الأوهام والخيالات فانا نقول قوله لها في تلك الحالة لا تكشف وجهك واجب أو مباح أو حرام فان ظنم إنه واجب فهو الفرض لأن الكشف محبة والنهي عن المحبة حق وإن قلتم إنه مباح فإذن له أن يقول ما هو مباح فامعنى قولكم ليس للفاسق المحبة وإن قلتم إنه حرام فقول كان هذا واجبا فمن أين حرم باقدا مه على الزنا ومن الغريب أن يصير الواجب حراما بسبب ارتكاب حرام آخر وأما فترة الطباع عنه واستنكارها له فهو لسيئين : أحدهما أنه ترك الأثم واعتزل بما هو مهم وكما أن الطباع تنفر عن ترك اللهم إلى ما لا يعنى فتفر عن ترك الأثم والاشتغال بالمهم كما تنفر عمن يتخرج عن تناول طعام منصوب وهو مواظب على الربا وكما تنفر عمن يتصاون عن النية ويشهد بالزور لأن الشهادة بالزور الخش وأشد من النية التي هي إخبار عن كائن يصدق فيه الخبر وهذا الاستبعاد في النفوس لا يدل على أن ترك النية ليس بواجب وأنه لو اغتاب أو أكل لقمة من حرام لم تزد بذلك عقوبته فكذلك ضرره في الآخرة من مصيبته أكثر من ضرره من مصيبة غيره فاشتغاله عن الأقل بالأكثر مستنكر في الطبع من حيث إنه ترك الأكثر لامن حيث إنه أتى بالأقل فمن غضب فرسه ولجام فرسه فاشتغل بطلب اللجام وترك القرس قهرت عنه الطباع ويرى مبيثا إذا قد صدر منه طلب اللجام وهو غير منكرو ولكن للنكر تركه لطلب القرس بطلب اللجام فاشتد الانكار عليه لتركه الأثم بما دونه فكذلك حبة الفاسق تستبعد من هذا الوجه وهذا لا يدل على أن حسبه من حيث إنها حسبة مستنكرة . الثاني أن الحبة تارة تكون بالهوى بالوعظ وتارة بالقهر ولا يجمع وعظ من لا يمتنع أولا ونحن نقول من علم أن قوله لا يقبل في الحبة لم الناس بنفسه فليس عليه الحبة بالوعظ إذا لا فائدة في وعظه فالتسقي يؤثر في إسقاط فائدة كلامه ثم إذا سقطت فائدة كلامه سقط وجوب الكلام فأما إذا كانت الحبة بالمنع فالمراد منه القهر وتعم القهر أن يكون بالفعل والحجة جميعا وإذا كان فاسقا فان قهر بالفعل قد قهر بالحجة إذ يتوجه عليه أن يخال له فأنت لم تقدم عليه فتفر الطباع عن قهره بالفعل مع كونه مقهورا بالحجة وذلك لا يخرج الفعل عن كونه حقا كما أن من يذب الظالم عن آحاد المسلمين ويهمل أباه وهو مظلوم معهم تنفر الطباع عنه ولا يخرج دفعه عن المسلم عن كونه حقا فخرج من هذا أن الفاسق ليس عليه الحبة بالوعظ على من يعرف فسقه لأنه لا يمتنع وإذا لم يكن عليه ذلك وعلم أنه يفضي إلى تطويل اللسان في عرضه بالانكار فقول ليس له ذلك أيضا فرجع الكلام إلى أن أحد نوعي الاحتساب وهو الوعظ قد بطل بالفسق وصارت العدالة مشروطة فيه وأما الحبة القهرية فلا يشترط فيها ذلك فلا حرج على الفاسق في إراقة الخمر وكسر اللامى وغيرها إذا قدر وهذا غاية الانصاف والكشف في المسئلة وأما الآيات التي استدلوا بها فهو انكار عليهم من حيث تركهم المعروف لامن حيث أمرهم ولكن أمرهم دل على قوة عليهم وعقاب العالم ؛ شذائنه لا عذر له مع قوة علمه وقوله تعالى - لم تقولون مالا تفعلون - للرد به الوعد الكاذب وقوله عز وجل - وتنفسون أنفسكم - إنكار من حيث إنهم نسوا أنفسهم لامن حيث إنهم أمروا وغيرهم ولكن ذكر أمر القبر استدلالا به على علمهم وتأكيذا للحجة عليهم وقوله يا ابن مريم عطف نفسك الحديث هو في الحبة بالوعظ وقد سلمنا أن وعظ الفاسق ساقط الجدوى عند من يعرف فسقه ثم قوله فاستحى من لا يدل على تحريم وعظ الغير بل مضاه استحى من فلا ترك الأثم وتشتغل بالمهم كما يقال احفظ أباك ثم جارك وإلا فاستحى . فان قيل فليجز للكافر الذي أن يحتسب على المسلم إذا رآه زنى لأن قوله لا تزن حق في نفسه فمحال أن يكون حراما عليه بل ينبغى أن يكون مباحا

جبرائيل عليه السلام
قال يا محمد إنك
لرسول الله حقا فيمكن
لك ذلك جأشه وإذا طالت
عليه فترة الوحي عاد
مثل ذلك فيبتدى له
جبريل فيقول له مثل
ذلك فهذه الأخبار
المنبهة عن بدء أمر
رسول الله صلى الله
عليه وسلم هي الأصل
في إظهار الشايع الخلو
للردين والطالبين
فانهم إذا أخلصوا الله
تعالى في خلواتهم يفتح
الله عليهم ما يؤنسهم في
خلوتهم تمويا من الله
أيام عما تركوا لأجله
ثم خلوة القوم مستمرة
وإنما الأربعون
واستكمالها له أثر
ظاهر في ظهور مبادئ
بشار الحق سبحانه
وتعالى وسنوح مواهبه
السنية .

[الباب السابع]
والتحرون في ذكر
فتوح الأربعينية
وقد غلط في طريق
الخلوة والأربعينية

أو واجبا . قلنا الكافر إن منع المسلم بفعله فهو تسلط عليه فيمنع من حيث إنه تسلط وما جعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلا . وأما مجرد قوله لا تزن فليس بمحرم عليه من حيث إنه نهى عن الزنا ولكن من حيث إنه إظهار دالة الاحتكام على السلم وفيه إذلال للمحتكم عليه والفاسق يستحق الإذلال ولكن لا من الكافر الذي هو أولى بالدلالة منه فهذا وجه تمننا إياه من الحسبة وإلا فلنسا قول إن الكافر يقاب بسبب قوله لا تزن من حيث إنه نهى بل تقول إنه إذا لم يقل لا تزن يقاب عليه إن رأينا خطاب الكافر بفروع الدين وفيه نظر استوفينا في الفقهيات ولا يليق بضرنا الآن . الشرط الرابع : كونه مأذونا من جهة الإمام والوالى فقد شرط قوم هذا الشرط ولم يثبتوا للاتحاد من الرعية الحسبة وهذا الاعتراض فاسد فإن الآيات والأخبار التي أوردناها تدل على أن كل من رأى منكرا فسكت عليه عصى إذ يجب نهيه أينما رآه وكيفما رآه على العموم فالتخصيص بشرط التفويض من الإمام تحكم لأصله والعجب أن الروافض زادوا على هذا فقالوا لا يجوز الأمر بالمعروف ما لم يخرج الإمام للمصوم وهو الإمام الحق عندهم وهؤلاء أخس رتبة من أن يكلموا بل جوابهم أن يقال لهم إذا جاءوا إلى القضاء طالبين لحقوقهم في دماءهم وأموالهم إن نصرتكم أمر بالمعروف واستخراج حقوقكم من أيدي من ظلمكم نهى عن النكر وطلبكم لحقوقكم من جهة المعروف وما هذا زمان النهى عن الظلم وطلب الحقوق لأن الإمام الحق بعد لم يخرج . فان قيل في الأمر بالمعروف إثبات سلطنة وولاية واحتكام على المحكوم عليه ولذلك لم يثبت للكافر على المسلم مع كونه حقا فينبغي أن لا يثبت لاتحاد الرعية إلا بتفويض من الولي وصاحب الأمر . فنقول أما الكافر فمنع لما فيه من السلطنة وعز الاحتكام والكافر ذليل فلا يستحق أن ينال عز التحكم على المسلم وأما اتحاد المسلمين فيستحقون هذا العز بالدين والعرف وما فيه من عز السلطنة والاحتكام لا يجوز إلى تفويض كمن التعليم والتعريف إذ لا خلاف في أن تعريف التحريم والإيجاب لمن هو جاهل ومقدم على النكر بمجهله لا يحتاج إلى إذن والى وفيه عز الإرشاد وعلى العرف ذل التجهيل وذلك يكفي فيه مجرد الدين وكذلك النهى . وشرح القول في هذا أن الحسبة لها خمس مراتب كما سيأتي أولها التعريف . والثاني الوعظ بالكلام اللطيف . والثالث السب والتعنيف ولست أعنى بالسب القهش بل أن يقول يا جاهل بأحق الاتعاف الله وما يجري هذا المجرى . والرابع المنع بالقرع بطريق المباشرة ككسر اللهاى وإراقة الحجر واختطاف الثوب الحرير من لابه واستلاب الثوب المنصوب منه ورده على صاحبه . والخامس التخويف والتهديد بالضرب ومباشرة الضرب له حتى يمنع عما هو عليه كاللواظب على القية والتغذ فإن سلب لسانه غير ممكن ولكن يعمل على اختيار السكوت بالضرب وهذا قد يجوز إلى استماعة وجمع أعوان من الجانبين ويجز ذلك إلى قتال وسائر الراتب لا يخفى وجه استغنائها عن إذن الإمام إلا المرتبة الخامسة فإن فيها نظرا سيأتي أما التعريف والوعظ فكيف يحتاج إلى إذن الإمام . وأما التجهيل والتحميق والنسبة إلى الفسق وقلة الخوف من الله وما يجري مجراه فهو كلام صدق والصدق مستحق بل أفضل الدرجات كلمة حق عند إمام جائر^(١) كلورد في الحديث فإذا جاز الحكم على الإمام على مراغمته فكيف يحتاج إلى إذنه وكذلك كسر اللهاى وإراقة الخمر فإنه تماطى ما يعرف كونه حقا من غير اجتهد فلم ينتقم إلى الإمام وأما جمع الأعوان وشهر الأسلحة فذلك قد يجر إلى فتنة عامة ففيه نظر سيأتي واستمرار عادات السلف على الحسبة على الولاية

(١) حديث أفضل الجهاد كلمة حق عند إمام جائر أبو داود والترمذى وحسنه وابن ماجه من حديث أبي سعيد الخدرى .

قوم وحرّفوا الكلام
عن مواضع ودخل
عليهم الشيطان
وقنع عليهم بابا
من التورود ودخلوا
الحلوة على غير أصل
مستقيم من تأدية حق
الحلوة بالاخلاص
ومعوا أن الشايخ
والصوفية كانت لهم
خلوات وظهرت لهم
وقائع وكوشفوا بخراب
وعجائب فدخلوا الحلوة
لطلب ذلك وهذا عين
الاعتلال ومحض
الضلال وإنما القوم
اختاروا الحلوة
والوحدة لسلامة الدين
وتفقد أحوال النفس
وإخلاص العمل لله
تعالى . قل عن أبي
عمر الأنماطى أنه قال
لن يصفو لها قل فهم
الأخير إلا بإحكامه
ما يجب عليه من
إصلاح الحال الأول
والواطن التي ينبغي أن
يسرف منها أمزاد هو
أم منتقص فضله أن
يطلب مواضع الحلوة

لكي لا يعارضه شاغل
 فيفسد عليه ما يريد .
 أنبأنا طاهر بن أبي
 الفضل إجازة عن أبي
 بكر بن خلف إجازة قال
 أنبأنا أبو عبد الرحمن
 قال سمعت أبا عبد الرحمن
 يقول من اختار الخلوة
 على الصلابة فينبغي أن
 يكون خاليا من جميع
 الأفكار إلا ذكر ربه
 عز وجل وخاليا من
 جميع الرادات إلا مراد
 ربه وخاليا من مطالبه
 النفس من جميع
 الأسباب فإن لم يكن
 بهذه الصفة فإن خلوته
 توفقه في فتنه أو بلية .
 أخبرنا أبو زرعة إجازة
 قال أنا أبو بكر إجازة
 قال أنا أبو عبد الرحمن
 قال سمعت منصورا
 يقول سمعت محمد بن
 حامد يقول جاء رجل
 إلى زيارة أبي بكر
 الوراق وقال له أوصني
 فقال وجدت خير الدنيا
 والآخرة في الخلوة والقلة
 ووجدت شرها في
 السكرة والاختلاط

قاطع باجماعهم على الاستثناء عن التفويض بل كل من أمر بمعروف فإن كان الوالي راضيا به فذاك
 وإن كان ساخطا له فسخطه له منكر يجب الانكار عليه فكيف يحتاج إلى إذنه في الانكار عليه
 ويدل على ذلك عادة السلف في الانكار على الأئمة كما روى أن مروان بن الحكم خطب قبل صلاة
 العيد فقال له رجل إنما الخطبة بعد الصلاة فقال له مروان اترك ذلك يا فلان فقال أبو سعيد أما هذا
 فقد قضى ما عليه قال لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم « من رأى منكم منكرا فلينبهه »
 فإن لم يستطع فليسهه فإن لم يستطع فليقلبه وذلك أضنف الإيمان (١) « فلقد كانوا فهموا من هذه
 المومات دخول السلاطين تحتها فكيف يحتاج إلى إذنه وروى أن المهدي لما قدم مكة لبث بها
 ما شاء الله فلما أخذ في الطواف نهى الناس عن البيت فوثب عبد الله بن مرزوق فلبس بردائه ثم
 هزم وقال له انظر ما صنع من جعلك بهذا البيت أحق ممن أتاه من البعد حتى إذا صار عنده حلت
 بينه وبينه وقد قال الله تعالى - سواء العاكف فيه والباد - من جعل لك هذا فنظر في وجهه وكان
 يعرفه لأنهم من مواليم فقال أعبد الله بن مرزوق ! قال نعم فأخذ فضج به إلى بغداد فكره أن يعاقبه
 عقوبة يشنع بها عليه في العامة فجعله في اصطبل الدواب ليسوس الدواب وضموا إليه فرسا عضوا
 سوي الخلق يعقره الفرس فلين الله تعالى له الفرس قال ثم صيره إلى بيت وأغلق عليه وأخذ المهدي
 للفتاح عنده فاذا هو قد خرج بعد ثلاث إلى البستان يأكل البقل فأوذن به المهدي فقال له من
 أخرجك فقال الذي حبسني فضج المهدي وصاح وقال ما تخاف أن أقتلك فرفع عبد الله رأسه
 يضحك وهو يقول لو كنت تملك حياة أوموتا فما زال محبوسا حتى مات المهدي ثم خلفوا عنه فرجع
 إلى مكة قال وكان قد جعل على نفسه نذرا إن خلصه الله من أيديهم أن ينحر مائة بدنة فكان
 يعمل في ذلك حتى نحرها . وروى عن جبان بن عبد الله قال نذر هرون الرشيد بالدين وممرجل
 من بني هاشم وهو سليمان بن أبي جعفر فقال له هرون قد كانت لك جارية تفتي فتعسن فبعتها
 قال فجاءت ففتت فلم يعمد غناها فقال لها ما شأنك قالت ليس هذا عودي فقال للخادم جئنا
 بعودها قال فجاء بالعود فوافق شيئا يلقط النوى فقال الطريق يا شيخ فرفع الشيخ رأسه فرأى
 العود فأخذه من الخادم فضرب به الأرض فأخذه الخادم وذهب به إلى صاحب الربيع فقال احتفظ
 بهذا فإنه طلبة أمير المؤمنين فقال له صاحب الربيع ليس يغداد أعبد من هذا فكيف يكون طلبة
 أمير المؤمنين فقال له اسمع ما أقول لك ثم دخل على هرون فقال إني مررت على شيخ يلقط النوى
 فقات له الطريق فرفع رأسه فرأى العود فأخذه فضرب به الأرض فكسره فاستشاط هرون وغضب
 واحمرت عيناه فقال له سليمان بن أبي جعفر ما هذا الغضب يا أمير المؤمنين ابست إلى صاحب الربيع
 يضرب عنقه ويرم به في الدجلة فقال لا ولكن نبئت إليه ونناظره أولا فجاء الرسول فقال أجب
 أمير المؤمنين فقال نعم قال اركب قال لا فجاء يمشي حتى وقف على باب القصر فقبل له هرون قد جاء
 الشيخ فقال للندماء أي شيء ترون نرفع ما قدمنا من المنكر حتى يدخل هذا الشيخ أو تقوم إلى
 مجلس آخر ليس فيه منكر فقالوا له قوم إلى مجلس آخر ليس فيه منكر أصلح قداموا إلى مجلس
 ليس فيه منكر ثم أمر بالشيخ فأدخل وفيه السكيس الذي فيه النوى فقال له الخادم أخرج هذا
 من كلك وأدخل على أمير المؤمنين فقال من هذا عشائى الليلة قال نحن نمشيك قال لا حاجة لي في
 عشائكم فقال هرون للخادم أي شيء تريد منه قال في كنه نوى قلت له اطرحه وأدخل على أمير المؤمنين
 (١) حديث إن مروان خطب قبل الصلاة في العيد الحديث وفيه حديث أبي سعيد مرفوعا من رأى
 منكرا الحديث رواه مسلم .

فقال دعه لا يطرحه قال فدخل وسلم وجلس فقال له هرون يا شيخ ما حملك على ما صنعت قال وأنى شئ صنعت وجعل هرون يستحي أن يقول كسرت عودي فلما أكثر عليه قال إني سمعت أباك وأجدادك يقرءون هذه الآية على النهر - إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذى القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغى - وأنا رأيت منكرا فغيرته فقال فقيره فوالله ما قال إلا هذا فلما خرج أعطى الخليفة رجلا بدرة وقال اتبع الشيخ فإن رأيت يقول قلت لأمر المؤمنين وقال لى فلا تعطه شيئا وإن رأيت لا يكلم أحدا فاعطه البدره ، فلما خرج من القصر إذا هو بنواة فى الأرض قد غاصت فجعل يحالها ولم يكلم أحدا فقال له يقول لك أمير المؤمنين خذ هذه البدره فقال قل لأمر المؤمنين يرداهما من حيث أخذها . ويروى أنه أقبل بعد فراغه من كلامه على النواة التى يعالج قلعها من الأرض وهو يقول :

أرى الدنيا لمن همى فى يديه هموما كلها كثر لده
تهين الكرمين لها بصغر وتكرم كل من هانت عليه
إذا استغثت عن شئ فدعه وخذ ما أنت محتاج إليه

وعن سفیان الثورى رحمه الله قال حج المهدي سنة ست وستين ومائة فرأيت يرمى جمرة العقبة والناس يخطبون عينا وشمالا بالسياط فوقفت فقلت يا حسن الوجه حدثنا أين عن وائل عن قدامة ابن عبد الله الكلبي قال رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يرمى الجمرة يوم النحر على جمل لا ضرب ولا طرد ولا جلد ولا إليك إليك (١) وها أنت يخط الناس بين يديك عينا وشمالا فقال لرجل من هذا قال سفیان الثورى فقال يا سفیان لو كان المنصور ما احتملك على هذا فقال لو أخبرك المنصور بما لقي نقصت عما أنت فيه قال قيل له إنه قال لك يا حسن الوجه ولم يقل لك يا أمير المؤمنين فقال اطلبوه فطلب سفیان فاخفى . وقد روى عن المأمون أنه بلغه أن رجلا عتسب يمشى فى الناس يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ولم يكن مأمورا من عنده بذلك فأمر بأن يدخل عليه فلما صار بين يديه قال له إنه بلغنى أنك رأيت نفسك أهلا للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من غير أن تأمرك وكان للمأمون جالسا على كرسى ينظر فى كتاب أو قصة فأغفله فوقع منه فصار تحت قدمه من حيث لم يشعر به فقال له المحتسب ارفع قدمك عن أسماء الله تعالى ثم قل ما شئت فلم يفهم المأمون مراده فقال ماذا تقول حتى أعاده ثلاثا فلم يفهم فقال إما رفعت أو أذنت لى حتى أرفع فنظر المأمون تحت قدمه فرأى الكتاب فأخذه وقبله وخجل ثم عاد وقال لم تأمر بالمعروف وقد جعل الله ذلك إلينا أهل البيت ونحن الذين قال الله تعالى فيهم - الذين إن مكناهم فى الأرض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر - فقال صدقت يا أمير المؤمنين أنت كما وصفت نفسك من السلطان والتمسكن غير أننا أعوانك وأولياؤك فيه ولا ينكر ذلك إلا من جهل كتاب الله تعالى وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الله تعالى - وللمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض يأمررون بالمعروف - الآية ، وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا » (٢) وقد مكنت فى الأرض وهذا كتاب الله وسنة رسوله فان أتهدت لها شكرت لمن أعانك لحرمتهما وإن استكبرت عنهما ولم تنقد لهما لزمك منهما

(١) حديث قدامة بن عبد الله رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يرمى الجمرة يوم النحر على جمل لا ضرب ولا طرد ولا جلد ولا إليك إليك الترمذى وقال حسن صحيح والنسائى وابن ماجه وأما قوله فى أوله إن الثورى قال حج المهدي سنة ست وستين فليس بصحيح فان الثورى توفى سنة إحدى وستين (٢) حديث المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا متفق عليه من حديث أبى موسى وقد تقدم فى الباب الثالث من آداب الصلوة .

فمن دخل الحلوة معتلا
فى دخوله دخل عليه
الشیطان وسـوّل له
أنواع الطغیان وامتلا
من الفرور والمحال فظن
أنه على حسن الحال فقد
دخلت الفتنة على قوم
دخلوا الحلوة بغير
شروطها وأقبلوا على
ذكر من الأذکار
واستجمعوا نفوسهم
بالعزلة عن الخلوة
ومنعوا الشواغل من
الحواس كفعل
الرهايین والبراهمة
والفلاسفة والوحدة فى
جمع الهم لها تأثير فى
صفاء الباطن مطلقا
كان من ذلك بحسن
سیاسة الشرع وصدق
المتابعة لرسول الله صلى
الله عليه وسلم أنتج
تویر القلب والزهد فى
الدنيا وحلاوة الله كـ
والعامله لله بالاخلاص
من الصلاة والتلاوة
وغیر ذلك وما كان
من ذلك من غیر
سیاسة الشرع ومتابعة
رسول الله صلى الله

عليه وسلم ينتج صفاء في النفس يستبان به على اكتساب علوم الرياضة مما يعتق به الفلاسفة والتهنونيون خذلهم الله تعالى وكلما أكثر من ذلك بعد عن الله ولا يزال للقبل على ذلك يستغويه الشيطان بما يكتسب من العلوم الرباطية. أو بما قد يترأى له من صدق الخاطر وغير ذلك حتى يركن إليه الركون التام ويظن أنه فاز بالمقصود ولا يعلم أن هذا الفن من الفائدة غير ممنوع من التصاري والبراهمة وليس هو المقصود من الخلوة بقول بعضهم إن الحق يريد منك الاستقامة وأنت تطلب الكرامة وقد يفتح على الصادقين شيء من خوارق العادات وصدق الفراسفة ويتبين ما سيحدث في المستقبل وقد لا يفتح عليهم ذلك لولا قدح

فإن الذي إليه أمرك ويده عزك وذلك قد شرط أنه لا يضيع أجر من أحسن عملا قلل الآن ما شئت فأعجب المؤمن بكلامه وسريه وقال مثلك يجوز له أن يأمر بالمعروف فامض على ما كنت عليه بأمرنا وعن رأينا فاستمر الرجل على ذلك في سياق هذه الحكايات يبان الدليل على الاستثناء عن الأذن. فإن قيل أفتثبت ولاية الحسبة للولد على الوالد والعبد على المولى والزوجة على الزوج والتلميذ على الأستاذ والرعية على الوالي مطلقا كما ثبت للوالد على الولد والعبد على المولى والزوجة على الزوج والأستاذ على التلميذ والسلطان على الرعية أو بينهما فرق. فأعلم أن الذي نراه أنه ثبت أصل الولاية ولكن بينهما فرق في التفصيل ولنفرض ذلك في الولد مع الوالد فنقول قدرتنا للحسبة خمس مراتب وللولد الحسبة بالترتيب الأولين وهما التعريف ثم الوعظ والنصح بالتحفظ وليس له الحسبة بالسب والتعنيف والتهديد ولا مباشرة الضرب وهما الرتبان الأخريان وهل له الحسبة بالرتبة الثالثة حيث تؤدي إلى أذى الوالد وسخطه هذا فيه نظره هو بأن يكسر مثلا عوده ويريق حمرة ويحل الحيوط عن ثيابه للنسوجة من الحرير ويرد إلى الملك ما يجده في بيته من لئال الحرام الذي غصبه أوسرته أو أخذه عن إدرار رزق من ضرية المسلمين إذا كان صاحبه معينا ويطل الصور للنقوشة على حيطانه وللنفورة في خشب بيته ويكسر أو أواني الذهب والفضة فإن فعله في هذه الأمور ليس يتعلق بذات الأب بخلاف الضرب والسب ولكن الوالد يتأذى به ويسخط بسببه إلا أن فعل الولد حق وسخط الأب منشؤه حبه للبطل والحرام والأظهر في القياس أنه ثبت لولد ذلك بل يلزمه أن يفعل ذلك ولا يبعد أن ينظر فيه إلى قبح النكر وإلى مقدار الأذى والسخط فإن كان للنكر فاحشا وسخطا عليه قريبا كإراقة خمر من لا يشتد غضبه فذلك ظاهر وإن كان للنكر قريبا والسخط شديدا كالأول كانت له آية من بلور أو زجاج على صورة حيوان وفي كسر هاتين مال كثير فهذا مما يشتد فيه الغضب وليس تجرى هذه المسألة بجرى الحجر وغيره فهذا كله مجال النظر. فإن قيل ومن أين قلتم ليس له الحسبة بالتعنيف والضرب والإرهاق إلى ترك الباطل والأمر بالمعروف في الكتاب والسنة ورد عاما من غير تخصيص وأما التي عن التأفيف والإيذاء فقد ورد وهو خاص فيما لا يتعلق بارتكاب للنكرات فنقول قد ورد في حق الأب على الخصوص ما يوجب الاستثناء من العموم إذا خلا في أن الجلال ليس له أن يقتل أباه في الزنا حدا ولله أن يباشر إقامة الحد عليه بل لا يباشر قتل أبيه الكافر بل لو قطع يده لم يلزمه قصاص ولم يكن له أن يؤذيه في مقابته. وقد ورد في ذلك أخبار وثبت بعضها بالإجماع^(١) فإذا لم يجز له إيذاؤه بقوة هي حق على جناية سابقة فلا يجوز له إيذاؤه بقوته هي منع عن جناية مستقبله متوقعة بل أولى وهذا الترتيب أيضا ينبغي أن يجري في العبد والزوجة مع السيد والزوج فهما قريبان من الولد فيزوم الحق وإن كان ملك الجين آكد من ملك النكاح ولكن في الخبر أنه «لوجاز السجود لمخلوق لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها»^(٢) وهذا يدل على تأكيد الحق أيضا وأما الرعية مع السلطان فالأمر فيها أشد من الولد فليس لها مع إلا التعريف والنصح فأما الرتبة الثالثة ففيها نظر من حيث إن المجهوم على أخذ الأموال من خزائنه وردها إلى الملك وعلى تحليل الحيوط من ثيابه الحرير وكسر آنية الخمر في بيته يكاد يفضي إلى خرق هيئته وإسقاط شحمته وذلك محظور ورد النهي عنه كأورد النهي عن السكوت على النكر^(٣) فقد تعارض فيه أيضا محذوران والأمر فيه موكول

(١) الأخبار الواردة في أن الجلال ليس له أن يجلد أباه في الزنا ولأن يباشر إقامة الحد عليه ولا يباشر قتل أبيه الكافر وأنه لو قطع يده لم يلزمه قصاص ثم قال وثبت بعضها بالإجماع. قلت: لم أجده إلا حديث لا يقاد الوالد بالولد رواه الترمذي وابن ماجه من حديث عمر قال الترمذي فيه اضطراب (٢) حديث لوجاز السجود لمخلوق لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها تقدم في النكاح (٣) حديث النهي عن الإنكار

إلى اجتهاد منشؤه النظر في تفاشئ المنكر ومقدار ما يسقط من حشمته بسبب الهجوم عليه وذلك مما لا يمكن ضبطه وأما التليذ والأستاذ فالأمر فيها بينهما أخف لأن المحترم هو الأستاذ القيد للعلم من حيث الدين ولا حرمة لعالم لا يعمل بعلمه فله أن يعامله بموجب علمه الذي تعلمه منه . وروى أنه سئل الحسن عن الولد كيف يعتب على والده فقال يعظه ما لم يعضب فإن غضب سكت عنه . الشرط الخامس : كونه قادرا ولا يخفى أن العاجز ليس عليه حصة إلا بقلبه إذ كل من أحب الله يكره معاصيه وينكرها . وقال ابن مسعود رضي الله عنه جاهدوا الكفار بأيديكم فإن لم تستطيعوا إلا أن تكفروا في وجوههم فافعلوا . واعلم أنه لا يقف سقوط الوجوب على العجز الحسى بل يلحق بما يخاف عليه مكروها يناله فذلك في معنى العجز وكذلك إذا لم يغف مكروها ولكن علم أن إنكاره لا ينفع فليفت إلى معنيين : أحدهما عدم إفادة الإنكار امتناعا والآخر خوف مكروه . ويحصل من اعتبار العنيين أربعة أحوال أحدها أن يجتمع اللعيان بأن يعلم أنه لا ينفع كلامه ويضرب إن تكلم فلا تجب عليه الحسبة بل ربما تحرم في بعض المواضع نعم يلزمه أن لا يحضر مواضع المنكر ويعتزل في بيته حتى لا يشاهد ولا يخرج إلا الحاجة مبهمة أو واجب ولا يلزمه مقارنة تلك البلدة والمهجرة إلا إذا كان يرهق إلى الفساد أو يحمل على مساعدة السلاطين في الظلم والمنكرات فتلزمه المهجرة إن قدر عليها فإن الأكراه لا يكون عذرا في حق من يقدر على الحرب من الأكراه . الحالة الثانية أن يتنقى اللعيان جميعا بأن يعلم أن المنكر يزول بقوله وفعله ولا يقدر له على مكروه فيجب عليه الإنكار وهذه هي القدرة المطلقة . الحالة الثالثة أن يعلم أنه لا يفيد إنكاره لكنه لا يخاف مكروها فلا تجب عليه الحسبة لعدم فائدتها ولكن تستحب لأظهار شعائر الاسلام وتذكير الناس بأمر الدين . الحالة الرابعة عكس هذه وهو أن يعلم أنه يصاب بمكروه ولكن يبطل المنكر بفعله كما يقدر على أن يرمى زجاجة الفاسق بحجر فيكسرها ويريق الحمر أو يضرب العود الذي في يده ضربة محتظة فيكسره في الحال ويعطل عليه هذا المنكر ولكن يعلم أنه يرجع إليه فيضرب رأسه فهذا ليس بواجب وليس بمحرم بل هو مستحب ويدل عليه الخبر الذي أوردناه في فضل كلمة حق عند إمام جائر ولا شك في أن ذلك مظنة الحق . ويدل عليه أيضا ما روى عن أبي سليمان الداراني رحمه الله تعالى أنه قال صفحت من بعض الخلفاء كلاما فأردت أن أنكر عليه وعلت أني أقتل ولم يعنى القتل ولكن كان في ملأ من الناس غشيت أن يعتريني التزني للخلق فأقتل من غير إخلاص في الفعل . فان قيل فامعنى قوله تعالى - ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة - قلنا لا خلاف في أن المسلم الواحد له أن يهجم على صف الكفار ويقاتل وإن علم أنه يقتل وهذا ربما يظن أنه مخالف لوجب الآية وليس كذلك فقد قال ابن عباس رضي الله عنهما ليس التهلكة ذلك بل ترك النفقة في طاعة الله تعالى أي من لم يفعل ذلك فقد أهلك نفسه . وقال البراء بن عازب التهلكة هو أن يذنب الذنب ثم يقوله لا يتاب على ، وقال أبو عبيدة هو أن يذنب ثم لا يعمل بعده خيرا حتى يهلك وإذا جاز أن يقاتل الكفار حتى يقتل جاز أيضا له ذلك في الحسبة ولكن لو علم أنه لا نكاية لمجومه على الكفار كالأعمى يطرح نفسه على الصف أو العاجز فذلك حرام ودخل تحت عموم آية التهلكة وإنما جاز له الإقدام إذا علم أنه يقاتل إلى أن يقتل أو علم أنه يكره قلوب الكفار بعشاهدتهم جراته واعتقاده في سائر المسلمين قلة البالاة وحبهم للشهادة في سبيل الله فتكسر بذلك شوكتهم فكذلك يجوز على السلطان جهرة بحيث يؤدي إلى خرق هيئته الحاكم في المستدرك من حديث عياض بن غنم الأشعري من كانت عنده نصيحة لدى سلطان فلا يكلمه بها علانية وليأخذ يده فليدخل به فان قبلها قبلها وإلا كان قد أدى الذي عليه والذي له قال صحيح الاسناد ولترمذى وحسنه من حديث أبي بكر من أهان سلطان الله في الأرض أهانه الله في الأرض .

في حاله عدم ذلك وإنما يقدح في حاله الانحراف عن حد الاستقامة فما يفتح من ذلك على الصادقين يصير سببا لمزيد إيقانهم والداعى لهم إلى صدق المجاهدة والمعاملة والزهد في الدنيا والتخلق بالأخلاق الحميدة وما يفتح من ذلك على من ليس تحت سياسة الشرع يصير سببا لمزيد بعده وغروره وحماقته واستطائه على الناس وازدراؤه بالخلق ولا يزال به حتى يخلع ربقة الاسلام عن عنقه وينكر الحدود والأحكام والحلال والحرام ويظن أن القصد من العبادات ذكر الله تعالى وترك متابعة الرسول صلى الله عليه وسلم ثم يتدرج من ذلك إلى تلحد وتزندق نموذ بالله من الضلال وقد يلوح لأقوام خيالات

للمحتسب بل يستحب له أن يعرض نفسه للضرب والقتل إذا كان حسبه تأثير في رفع المنكر أو في كسر جاه الفاسق أو في تقوية قلوب أهل الدين وأما إن رأى فاسقا متغلبا وعنده سيف ويده قدح وعلم أنه لو أنكر عليه لشرب القدح وضرب رقبة فهذا مما لا أرى للحسبة فيه وجها وهو عين الهلاك فان المطلوب أن يؤثر في الدين أثرا ويفديه بنفسه فأما تعريض النفس للهلاك من غير أثر فلا وجه له بل ينبغي أن يكون حراما وإنما يستحب له الانكار إذا قدر على إبطال المنكر أو ظهر لفظه فائدة وذلك بشرط أن يقتصر للكروه عليه فإن علم أنه يضرب معه غيره من أصحابه أو أقاربه أو رفقائه فلا تجوز له الحسبة بل تحرم لأنه محذور عن دفع المنكر إلا بأن يفضي ذلك إلى منكر آخر وليس ذلك من القدرة في شيء بل لو علم أنه لو احتسب لبطل ذلك المنكر ولكن كان ذلك سببا لمنكر آخر يتعاطاه غير المحتسب عليه فلا يحل له الانكار على الأظهر لأن المقصود عدم منكر الشرع مطلقا لا من زيدا أو عمرو وذلك بأن يكون مثلامع الإنسان شراب حلال نجس بسبب وقوع نجاسة فيه وعلم أنه لو أراقه لشرب صاحبه الخمر أو تشرب أولاده الخمر لإعوازهم الشراب الحلال فلامعنى لاراقته ذلك ويحتمل أن يقال إنه يريق ذلك فيكون هو مبطلا لمنكروا وأما شرب الخمر فهو المعلوم فيه والمحتسب غير قادر على منعه من ذلك المنكر وقد ذهب إلى هذا ذاهبون وليس يعيد فان هذه مسائل فقهية لا يمكن فيها الحكم إلا بظن ولا يعد أن يفرق بين درجات المنكر الغير والمنكر الذي تفضي إليه الحسبة والتغير فانه إذا كان يذبح شاة لغيره ليأكلها وعلم أنه لو منعه من ذلك لذبح إنسانا وأكله فلامعنى لهذه الحسبة نعم لو كان منعه عن ذبح إنسان أو قطع طرفه يحمله على أخذ ماله فذلك له وجه فنهذه دقائق واقعة في محل الاجتهاد وعلى المحتسب اتباع اجتهاده في ذلك كله ولهذه الدقائق يقول : العاصي ينبغي له أن لا يحتسب إلا في الجليات المألومة كشراب الخمر والزنا وترك الصلاة فأما ما يعلم كونه معصية بالإضافة إلى ما يظن به من الأفعال ويفتقر فيه إلى اجتهاد فالعاصي إن خاض فيه كان مابفسده أكثر مما يصلحه وعن هذا يتأكد ظن من لا يثبت ولاية الحسبة إلا بتعيين الوالي إذ ربما يتدب لها من ليس أهلا لها لقصور معرفته أو قصور ديانتبه فيؤدي ذلك إلى وجوه من الخلل وسيأتي كشف الغطاء عن ذلك إن شاء الله فان قيل وحيث أطلقم العلم بأن يصيه مكروه أو أنه لا تفيد حسبه فلو كان بدل العلم ظن فما حكمه . قلنا : الظن الغالب في هذه الأبواب في معنى العلم وإنما يظهر الفرق عند تعارض الظن والعلم إذ يرجح العلم اليقيني على الظن ويفرق بين العلم والظن في مواضع أخرى وهو أنه لا يسقط وجوب الحسبة عنه حيث علم قطعا أنه لا يفيد فان كان غالب ظنه أنه لا يفيد ولكن يحتمل أن يفيد وهو مع ذلك لا يتوقع مكروهه فقد اختلفوا في وجوبه والأظهر وجوبه إذ لا ضرر فيه وجدواه متوقعة وعموم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر يقتضي الوجوب بكل حال ونحن إنما نستثنى عنه بطريق التخصيص ما إذا علم أنه لا فائدة فيه إما بالاجماع أو بقياس ظاهر وهو أن الأمر ليس يراد له بل المأمور فإذا علم اليأس عنه فلا فائدة فيه فأما إذا لم يكن يأس فينبغي أن لا يسقط الوجوب فان قيل فالمكروه الذي يتوقع إصابته إن لم يكن متيقنا ولا معلوما بغالب الظن ولكن كان مشكوكا فيه أو كان غالب ظنه أنه لا يصاب بمكروه ولكن احتتمل أن يصاب بمكروه فهذا الاحتمال هل يسقط الوجوب حتى لا يجب إلا عند اليقين بأنه لا يصيبه مكروه أم يجب في كل حال إلا إذا غلب على ظنه أنه يصاب بمكروه فلنا إن غلب على الظن أنه يصاب لم يجب وإن غلب أنه لا يصاب وجب ومجرد التجوز لا يسقط الوجوب فان ذلك ممكن في كل حسبة وإن شك فيه من غير رجحان فهذا محل النظر فيحتمل أن يقال الأصل الوجوب بحكم العمومات وإنما يسقط بمكروه والمنكر وهو الذي يظن أو يعلم حتى يكون متوقفا وهذا هو الأظهر ويحتمل أن يقال إنه إنما يجب عليه إذا علم أنه لا ضرر فيه عليه أو ظن أنه لا ضرر عليه

يظنونها ويشبهونها بوقائع الشايخ من غير علم بحقيقة ذلك فمن أراد تحقيق ذلك فليعلم أن العبد إذا أخلص لله وأحسن نيته وقصد في الخلوة أربعين يوما أو أكثر فمنهم من يباشر بابطنه صفو اليقين ويرفع الحجاب عن قلبه ويصير كما قال قائلهم : رأي قاي ربي ، وقد يصل إلى هذا اللقام تارة بأجاء الأوقات بالصالحات وكف الجوارح وموزع الأوراد من الصلاة والتلاوة والذكر على الأوقات وتارة يبادئه الحق لموضع صدقه وقوة استعداده مباداة من غير عمل وجد منه وتارة يجد ذلك بملازمة ذكر واحد من الأذكار لأنه لا يزال يردد ذلك الذكر ويقول وتكون عبادته الصلوات

والأول أصح نظرا إلى قضية العمومات الموجبة للأمر بالمعروف فإن قيل فالتوقع للمكروه يختلف بالجبن والجرأة فالجبان الضعيف القلب يرى البعيد قريبا حتى كأنه يشاهده ويرتاع منه والتهور الشجاع يعد وقوع المكروه به بحكم ما جبل عليه من حسن الأمل حتى إنه لا يصدق به إلا بعد وقوعه فعلى ماذا التعويل . قلنا التعويل على اعتدال الطبع وسلامة العقل والزواج فإن الجبن مرض وهو ضعف في القلب سببه قصور في القوة وتفريط والتهور إفراط في القوة وخروج عن الاعتدال بالزيادة وكلاهما نقصان وإنما السكالم في الاعتدال الذي يبرع به بالشجاعة وكل واحد من الجبن والتهور يصدر تارة عن نقصان العقل وتارة عن خلل في الزواج بتفريط أو إفراط فإن من اعتدل مزاجه في صفة الجبن والجرأة قد لا ينفطن للمدرك الشر فيكون سبب جرائمه جهله وقد لا ينفطن للمدرك دفع الشر فيكون سبب جبنه جهله وقد يكون علما بحكم التجربة والممارسة بمدخل الشر ودواخيه ولكن يعمل الشر البعيد في تحذيله وتحليل قوته في الإقدام بسبب ضعف قلبه ما يفعله الشر القريب في حق الشجاع المعتدل الطبع فلا انتفات إلى الطرفين وعلى الجبان أن يتكلف إزالة الجبن بإزالة علته وعلة جهل أوصف وزول الجهل بالتجربة وزول الضعف بممارسة الفعل الخوف منه تكلفا حتى يصير معتادا إذ البشدي في المناظرة والوعظ مثلا قد يجنب عنه طبعه لضعفه فإذا مارس واعتاد فأزاد الضعف فإن صار ذلك ضروريا غير قابل للزوال بحكم استيلاء الضعف على القلب فحكم ذلك الضعيف يتبع حاله فيعذر كما يعذر المريض في التقاعد عن بعض الواجبات ولذلك قد نقول على رأي لا يجب ركوب البحر لأجل حجة الإسلام على من يغاب عليه الجبن في ركوب البحر ويجب على من لا يعظم خوفه منه فكذلك الأمر في وجوب الحسية . فإن قيل فالمكروه للتوقع ماحده فإن الإنسان قد يكره كلمة وقد يكره ضربة وقد يكره طول لسان المحتسب عليه في حقه بالنبيه ومامن شخص يؤمر بالمعروف إلا ويتوقع منه نوع من الأذى وقد يكون منه أن يسمى به إلى سلطان أو يقدح فيه في مجلس يتضرر بقدمه فيه فما حدل المكروه الذي يسقط الوجوب به . قلنا هذا أيضا فيه نظر غامض وصورته منشرة وبجاريه كثيرة ولكننا نجتهد في ضم نشره وحصر أقسامه فنقول المكروه تقيض للطلوب ومنطالب الخلق في الدنيا ترجع إلى أربعة أمور : أما في النفس فالعلم . وأما في البدن فالصحة والسلامة . وأما في المال فالثروة . وأما في قلوب الناس فقيام الجاه ، فإذا التطلوب العلم والصحة والثروة والجاه ومعنى الجاه ملك قلوب الناس كما أن معنى الثروة ملك الدراهم لأن قلوب الناس وسيلة إلى الأغراض كما أن ملك الدراهم وسيلة إلى بلوغ الأغراض وسيأتي تحقيق معنى الجاه وسبب ميل الطبع إليه في ربيع الهامكات وكل واحدة من هذه الأربعة يطلبها الإنسان لنفسه ولأقاربه والمختصين به ويكره في هذه الأربعة أمران أحدهما زوال ما هو حاصل موجود والآخر امتناع ما هو منتظر مفقود أعني اندفاع ما يتوقع وجوده فلا ضرر إلا في فوات حاصل وزواله أو تعويق منتظر فإن المنتظر عبارة عن الممكن حصوله والممكن حصوله كأنه حاصل وفوات إمكانه كأنه فوات حصوله فرجع للمكروه إلى تسمين أحدهما خوف امتناع المنتظر وهذا لا ينبغي أن يكون مرخصا في ترك الأمر بالمعروف أصلا . ولذا ذكر مثاله في اللطال الأربعة . أما العلم فمثاله تركه الحسية على من يختص بأستاذة خوفا من أن يقبح حاله عنده فيمتنع من تعليمه . وأما الصحة فتركه الانكار على الطبيب الذي يدخل عليه مثلا وهو لا يلبس حريرا خوفا من أن يتأخر عنه فيمتنع بسببه صحته المنتظرة . وأما المال فتركه الحسية على السلطان وأصحابه وعلى من يواسيه من ماله خيفة من أن يقطع إدراره في المستقبل ويترك مواساته . وأما الجاه فتركه الحسية على من يتوقع منه نصرة وجاها في المستقبل خيفة من أن لا يحصل له الجاه أو خيفة من أن يقبح حاله

المحتسب يستبها الراتية
فحسب وسائر أوقاته
مشغولة بالذكر الواحد
لا يتخللها قنور ولا
يوجد منه قصور ولا
يزال يردد ذلك الذكر
ملتزما به حتى في طريق
الوضوء وساعة الأكل
لا يفتر عنه . واختار
جماعة من الشايخ من
الذكر كلمة لا إله إلا الله
وهذه الكلمة لها
خاصية في تنوير الباطن
وجمع الهم إذا دام
عليها صادق مخلص
وهي من مواهب الحق
لهذه الأمة وفيها خاصية
لهذه الأمة فيما حدثنا
شيخنا ضياء الدين
إسماء قال أنا
أبو القاسم الدمشقي
الحافظ قال أنا
عبد الكريم بن
الحسين قال أنا
عبد الوهاب الدمشقي
قال أنا محمد بن حريم
قال ثنا هشام بن
عمار قال ثنا الوليد
ابن مسلم قال أنا
عبد الرحمن بن زيد

عن أبيه أن عيسى
ابن حريم عليه السلام
قال : رب أنبئني عن
هذه الأمة الرحومة
قال أمة محمد عليه
الصلاة والسلام علماء
أخفاء أقياء حلما
أصفاء حكماء سكانهم
أنبياء يرضون مني
بالتفصيل من العطاء
وأرضى منهم بالسير من
العمل وأدخلهم الجنة
بلا إله إلا الله يا عيسى
هم أكثر سكان الجنة
لأنهم لم تذلل ألسن قوم
قط بلا إله إلا الله كما
ذلت ألسنتهم ولم تذلل
رقاب قوم قط بالسجود
كما ذلت رقابهم . وعن
عبد الله بن عمرو بن
العاص رضي الله عنهما
قال إن هذه الآية
مكتوبة في التوراة
يا أيها النبي إنا أرسلناك
شاهدا ومبشرا ونذيرا
وحرزا للمؤمنين وكفرا
للاميين أنت عبدى
ورسولى حيثك المتوكل
فليس بخط ولا غليظ
ولا صخاب فى الأسواق

عند السلطان الذى يتوقع منه ولاية وهذا كله لا يسقط وجوب الحسبة لأن هذه زيادات امتنعت
وتسمية امتناع حصول الزيادات ضررا مجاز وإنما الضرر الحقيقى فوات حاصل ولا يستثنى من هذا شيء
إلا ما تدعو إليه الحاجة ويكون فى فوائده عذور يزيد على عذور السكوت على المنكر كما إذا كان محتاجا إلى
الطبيب لمرض ناجز والصحة منتظرة من معالجة الطبيب ويعلم أن فى تأخر مشقة الضيق به وطول المرض وقد
يفضى إلى الموت وأغنى بالعلم الظن الذى يجوز بمثله ترك استعمال الماء والعدول إلى التيمم فإذا انتهى إلى
هذا الحد لم يعد أن يرخس فى ترك الحسبة وأما فى العلم فمثل أن يكون جاهلا بمهمات دينه ولم يجد لإمطها
واحدا ولا قدرة له على الرحلة إلى غيره وعلم أن المحتسب عليه قادر على أن يسد عليه طريق الوصول إليه
لكون العالم مطيعا له أو مستمعا لقوله ، فإذا الصبر على الجهل بمهمات الدين عذور والسكوت على المنكر
عذور ولا يعد أن يرجع أحدها ويختلف ذلك بتفاحش المنكر وبشدة الحاجة إلى العلم لتعلقه بمهمات
الدين وأما فى المال فكمن يعجز عن الكسب والسؤال وليس هو قوى النفس فى التوكل ولا منفق
عليه سوى شخص واحد ولو احتسب عليه قطع رزقه وانتقر فى تحصيله إلى طلب ائدار حرام أو مات
جوعا فهذا أيضا إذا اشتد الأمر فيه لم يعد أن يرخس له فى السكوت . وأما الجاه فهو أن يؤذيه شرير
ولا يجد سبيلا إلى دفع شره إلا بجاء يكتسبه من سلطان ولا يقدر على التوصل إليه إلا بواسطة شخص
يلبس الحرير أو يشرب الخمر ولو احتسب عليه لم يكن واسطة ووسيلة له فيمتنع عليه حصول الجاه
ويدوم بسببه أذى الشرير فهذه الأمور كلها إذا ظهرت وقويت لم يعد استثنائها ولكن الأمر فيها
منوط باجتهاد المحتسب حتى يستفتى فيها قلبه ويزن أحد المذنبين بالآخر ويرجع بنظر الدين لا بموجب
المهوى والطبع فإن رجح بموجب الدين سمى سكوته مداراة وإن رجح بموجب المهوى سمى سكوته
مداينة وهذا أمر باطن لا يطلع عليه إلا بنظر دقيق ولكن الناقد بصير فحق على كل متدين فيه أن
يراقب قلبه ويعلم أن الله مطلع على باعته وصارفه أنه الدين أو المهوى وستجد كل نفس ما عملت من
سوء أو خير محضرا عند الله ولو فى فلة خاطر أو فلة ناظر من غير ظلم وجور لما الله بنظام للعبيد .
وأما القسم الثانى وهو فوات الحاصل فهو مكروه ومعتبر فى جواز السكوت فى الأمور الأربعة إلا العلم فإن
فوائده غير مخوف إلا بتقصير منه وإلا فلا يقدر أحد على سلب العلم من غيره وإن قدر على سلب الصحة
والسلامة والثروة والمال وهذا أحد أسباب شرف العلم فإنه يدوم فى الدنيا ويدوم ثوابه فى الآخرة فلا
انقطاع له أبد الآباد . وأما الصحة والسلامة ففواتهما بالضرب فكل من علم أنه يضرب ضربا مؤلما
يتأذى به فى الحسبة لم تنزله الحسبة وإن كان يحتسب له ذلك كما سبق وإذا فهم هذا فى الإيلام بالضرب
فهو فى الجرح والقطع والقتل أظهر . وأما الثروة فهو بأن يعلم أنه تنهب داره ويخرب بيته وتسلم
ثيابه فهذا أيضا يسقط عنه الوجوب ويبقى الاستعجاب إذ لا بأس بأن يهدى دينه بدنياء ولكل واحد
من الضرب والنهب حد فى القلة لا يكثر به كالحبة فى المال واللطمة الخفيف ألما فى الضرب وحد
فى السكرة يتعين اعتباره ووسط يقع فى محل الاشتباه والاجتهاد وعلى المتدين أن يجتهد فى ذلك
ويرجع جانب الدين ما أمكن . وأما الجاه ففوائده بأن يضرب ضربا غير مؤلم أو يسب على ملائمتين
الناس أو يطرح منديله فى رقبته ويدار به فى البلد أو يسود وجهه ويطاف به وكل ذلك من غير
ضرب مؤلم للبدن وهو قاذح فى الجاه ومؤلم للقلب وهذا له درجات فالصواب أن يقسم إلى ما يجبر عنه
بستوط المروءة كالطواف به فى البلد حاسرا حافيا فهذا يرخس له فى السكوت لأن المروءة ما مورع حفظها
فى الشرع وهذا مؤلم للقلب ألما يزيد على ألم ضربات متعددة وعلى فوات دربهات قليلة فهذه درجة .
الثانية ما يجبر عنه بالجاء المحض وعلو الرتبة فإن الخروج فى ثياب فاخرة تجمل وكذلك الركوب للخيول

فلو علم أنه لو احتسب لكلف الشيء في السوق في ثياب لا يتباد هو مثلها أو كلف الشيء رجلا وعادته الركوب فهذا من جملة الزايا وليست الواظبة على حفظها محمودة وحفظها لارودة محمود فلا ينبغي أن يستطو وجوب الحسبة بمثل هذا القدر وفي معنى هذا ما لو خاف أن يتعرض له بالأسان إما في حضرته بالتجمل والتحميق والنسبة إلى الرياء والبهتان وإما في غيبته بأنواع الغيبة فهذا لا يسقط الوجوب إذ ليس فيه إلا زوال فضلات الجاه التي ليس إليها كبير حاجة ولو تركت الحسبة بلوم لأم أو باغتيال فاسق أو شتمه وتغيبه أو سقوط للزلة عن قلبه وقلب أمثاله لم يكن للحسبة وجوب أصلا إذ لا تنفك الحسبة عنه إلا إذا كان للشكر هو الغيبة وعلم أنه لو أنكر لم يسكت عن القتاب ولكن أضافه إليه وأدخله معه في الغيبة فتحرم هذه الحسبة لأنها سبب زيادة المعصية وإن علم أنه يترك تلك الغيبة ويقتصر على غيبته فلا تجب عليه الحسبة لأن غيبته أيضا معصية في حق القتاب ولكن يستحب له ذلك ليفدى عرض المذكور بمرض نفسه على سبيل الإيثار وقد دلت العمومات على تأكيد وجوب الحسبة وعظم الخطر في السكوت عنها فلا يقابل إلا ما عظم في الدين خطره والمال والنفس والمروءة قد ظهر في الشرع خطرها فأما مزايا الجاه والحشمة ودرجات التجمل وطلب ثناء الخلق فكل ذلك لا خطره . وأما امتناعه لحوف شيء من هذه المسكاره في حق أولاده وأقاربه فهو في حقه دونه لأن تأذيه بأمر نفسه أشد من تأذيه بأمر غيره ومن وجه الدين هو فوقه لأن له أن يسمع في حقوق نفسه وليس له المسامحة في حق غيره فإذا ينبغي أن يتمتع فانه إن كان ما يغوث من حقوقهم يغوث على طريق المعصية كالضرب والتب فليس له هذه الحسبة لأنه دفع منكر يغضي إلى منكر وإن كان يغوث لا بطريق المعصية فهو إيذاء للسلم أيضا وليس له ذلك إلا برضام فإذا كان يؤدي ذلك إلى أذى قومه فليتركه وذلك كالأزهد الذي له أقارب أغنياء فانه لا يخاف على ماله إن احتسب على السلطان ولكنه يقصد أقاربه انتقاما منه بواسطة من فإذا كان يتعدى الأذى من حسبه إلى أقاربه وجيرانه فليتركها فإن إيذاء المسلمين محذور كما أن السكوت على المنكر محذور ثم إن كان لا ينالهم أذى في مال أو نفس ولكن ينالهم الأذى بالشتم والسب فهذا فيه نظر ويختلف الأمر فيه بدرجات المنكرات في تفاحمها ودرجات الكلام المحذور في نكاته في القلب وقدحه في العرض . فان قيل فلو قصد الإنسان قطع طرف من نفسه وكان لا يتمتع عنه إلا بقتال ربما يؤدي إلى قتله فهل يقاتل عليه فان قتلهم يقاتل فهو محال لأنه اهلاك نفس خوفا من اهلاك طرف وفي اهلاك النفس اهلاك الطرف أيضا . قلنا يمتنع عنه ويقاؤه إذ ليس غرضنا حفظ نفسه وطرفه بل الترضي حسم سبيل المنكر والمعصية وقله في الحسبة ليس بمعصية وقطع طرف نفسه معصية وذلك كدفع الصائل على مال مسلم بما يأتي على قتله فانه جائز لا على معنى أننا نقدي درهما من مال مسلم بروح مسلم فان ذلك محال ولكن قصده لأخذ مال المسلمين معصية وقله في الدفع عن المعصية ليس بمعصية وإنما المقصود دفع المعاصي . فان قيل فلو علمنا أنه لو خلا بنفسه لقطع طرف نفسه فينبغي أن يقتله في الحال حسم باب المعصية . قلنا ذلك لا يسلم يقينا ولا يجوز سفك دمه بنوهم معصية ولكننا إذا رأينا في حال مباشرة القطع دفنناه فان قاتلنا قاتلناه ولم نبال بما يأتي على روحه فإذا المعصية لها ثلاثة أحوال : إحداهما أن تكون متصرمة فالعقوبة على ما تصرم منها حد أو تعزير وهو إلى الولاة لا إلى الأحاد . الثانية أن تكون المعصية راهنة وصاحبها مباشر لها كلبسه الحرير وأساكه العود والخمر فباطل هذه المعصية واجب بكل ما يمكن ما لم تؤد إلى معصية أغثن منها أو مثلها وذلك ثبت للأحاد والرعية الثالثة أن يكون المنكر متوقفا كالتدب بكنس المجلس وتزيينه وجمع الرياحين لشرب الخمر وبعد لم يحضر الخمر فهذا مشكوك فيه إذ ربما يعوق عنه عائق فلا يثبت للأحاد سلطنة على العازم على الشرب

ولا يجوز بالسبب السيئ ولكن بغو وصنع ولن أقضه حتى تمام به الله للمعوجة بأن يقولوا لا إله إلا الله ويقتضوا أعينا عيا وآذانا صما وقلوبا غلفا فلا يزال المبد في خلوته يرد هذه الكلمة على لسانه مع مواطاة القلب حتى يصير الكلمة متأصلة في القلب مزينة لحديث النفس ينوب معناها في القلب عن حديث النفس فإذا استولت الكلمة وسهلت على اللسان يتشرها القلب فلو سكت اللسان لم يسكت القلب ثم تتجهر في القلب وتتجهرها يستكن نور اليقين في القلب حتى إذا ذهب صورة الكلمة من اللسان والقلب لا يزال نورها متجوها ويتخذ الدكر مع رؤية عظمة المذكور سبحانه وتعالى ويصير الذكر حينئذ ذكر القادات

إلا بطريق الوعظ والنصح تأمرا بالتعنيف والغرب فلا يجوز للأسياد والالسلطان إلا إذا كانت تلك المعصية علمت منه بالعادة المستمرة وقد أقدم على السبب المؤدى إليها ولم يبق للحصول المعصية إلا ما ليس له فيه إلا الانتظار وذلك كوقوف الأحداث على أبواب حمامات النساء للنظر إليهن عند الدخول والخروج فانهم وإن لم يضيقوا الطريق لسعته فتجوز الحسبة عليهم بأقامتهم من اللوضع ومنعهم عن الوقوف بالتعنيف والضرب وكان تحقيق هذا إذا بحث عنه يرجع إلى أن هذا الوقوف في نفسه معصية وإن كان مقصد العاصي وراءه كما أن الخلوة بالأجنبية في نفسها معصية لأنها مظنة وقوع المعصية وتحصيل مظنة المعصية معصية ونفى بالمظنة ما يتعرض الانسان به لوقوع المعصية غالبا بحيث لا يقدر على الانكشاف عنها فإذا هو على التحقيق حسبة على معصية راهنة لاطى معصية منتظرة .

(الركن الثاني للحسبة مافيه الحسبة)

وهو كل منكر موجود في الحال ظاهر للتحسب بغير تجسس معلوم كونه منكرا بغير اجتihad فهذه أربعة شروط فلنبحث عنها . الأول : كونه منكرا ونفى به أن يكون محذور الوقوع في الشرع وعدلنا عن لفظ المعصية إلى هذا لأن المنكر أعم من المعصية إذ من رأى صبييا أو مجنونا يشرب الخمر فعليه أن يريق خمره ويمنعه وكذا إن رأى مجنونا يزنى بمجنونة أو بهيمة فعليه أن يمنعه منه وليس ذلك لتفاحش صورة الفعل وظهوره بين الناس بل لوصاف هذا المنكر في خلوة لوجب المنع منه وهذا لا يسمى معصية في حق المجنون إذ معصية لاعاصي بها محال فلنقتض المنكر أدل عليه وأعم من لفظ المعصية وقد أدرجنا في عموم هذا الصغيرة والكبيرة فلا تختص الحسبة بالكبائر بل كشف العورة في الحمام والخلوة بالأجنبية واتباع النظر للنساء الأجنبية كل ذلك من الصغار ويجب النهي عنها وفي الفرق بين الصغيرة والكبيرة نظريسياتي في كتاب التوبة . الشرط الثاني : أن يكون موجودا في الحال وهو احتراز أيضا عن الحسبة على من فرغ من شرب الخمر فان ذلك ليس إلى الأساد وقد انقضى المنكر واحتراز عما سيجد في ثاني الحال كمن يعلم بقرينة حاله أنه عازم على الشرب في ليلته فلا حسبة عليه إلا بالوعظ وإن أنكر عزمه عليه لم يجز وعظه أيضا فان فيه اساءة ظن بالمسلم وربما صدق في قوله وربما لا يقدم على ما عزم عليه لعائق وليتنبه للدقيقة التي ذكرناها وهو أن الخلوة بالأجنبية معصية ناجزة وكذا الوقوف على باب حمام النساء وما يجري مجراه . الشرط الثالث : أن يكون المنكر ظاهرا للتحسب بغير تجسس : فشكل من ستر معصية في داره وأغلق بابها لا يجوز أن يتجسس عليه وقد نهى الله تعالى عنه وقصة عمر وعبدالرحمن بن عوف فيه مشهورة وقد أوردناها في كتاب آداب الصحبة وكذلك ما روى أن عمر رضي الله عنه تسلق دار رجل فرآه على حالة مكروهة فأنكر عليه فقال بأمر المؤمنين إن كنت أنا قد عصيت الله من وجه واحد فأنت قد عصيته من ثلاثة أوجه فقال وما هي ؟ فقال قد قال الله تعالى - ولا تجسسوا - وقد تجسست . وقال تعالى - وأتوا البيوت من أبوابها - وقد آسورت من السطح . وقال - لا تدخلوا بيوتا غير بيوتكم حتى تستأنسوا وتسلموا على أهلها - وما سلمت قركه عمر وشرط عليه التوبة ولذلك شاور عمر الصحابة رضي الله عنهم وهو على المنبر وسألهم عن الإمام إذا شاهد بنفسه منكرا فهل له إقامة الحد فيه ؟ فأشار على رضي الله عنه بأن ذلك منوط بديلين فلا يكفي فيه واحد وقد أوردنا هذه الأخبار في بيان حق المسلم من كتاب آداب الصحبة فلا نعيدها فان قلت لما حد الظهور والاستتار . فاعلم أن من أغلق باب داره وتستر بعيطانه فلا يجوز الدخول عليه بغير إذنه لتعرف المعصية إلا أن يظهر في الدار ظهورا يعرفه من هو خارج الدار كأصوات المزمار والأوتار إذا ارتفع بحيث جاوز ذلك حيطان الدار فمن سمع ذلك فله دخول الدار وكسر الملامى وكذا

وهذا الذكر هو
الشاهدة والكاشفة
وللعناية أغنى ذكر
الذات بتجوهر نور
الذكر وهذا هو
المقصد الأقصى من
الخلوة وقد يحصل
هذان من الخلوة لا بذكر
الكلمة بل بتلاوة
القرآن إذا أكرر من
التلاوة واجتهد في
مواظاة القلب مع
السان حتى تجرى
التلاوة على اللسان
ويقوم معنى الكلام
مقام حديث النفس
فيدخل على العبد
سهولة في التلاوة
والصلاة ويتنور
الباطن بتلك السهولة
في التلاوة والصلاة
ويتجوهر نور الكلام
في القلب ويكون منه
أيضا ذكر الذات
ويجتمع نور الكلام

إذا ارتفعت أصوات السكارى بالكلمات اللألفة بينهم بحيث يسمعون أهل الشوارع فهذا إظهار موجب للحسبة فاذن إنما يدرك مع غلغل الحيطان صوت أوراعها فإذا فاحت روائح الخمر فإن احتمل أن يكون ذلك من الخمر المحترمة فلا يجوز قصدها بالإراقة وإن علم بقرينة الحال أنها فاحت لتعاطيهم الشرب فهذا محتمل والظاهر جواز الحسبة وقد تستر فإرورة الخمر في الكم ونحت الدليل وكذلك اللامهي فإذا روى فاسق ونحت ذيله شيء لم يجوز أن يكشف عنه ما لم يظهر بعلامة خاصة فإن فسقها لا يدل على أن الذي منه خمر إذ الفاسق محتاج أيضا إلى الحلق وغيره فلا يجوز أن يستدل باخفائه وأنه لو كان حلالا لأخفاه لأن الأغراض في الإخفاء مما تكره وإن كانت الرائحة فائحة فهذا محل النظر والظاهر أن له الاحتمال لأن هذه علامة نفيد الظن والظن كالعلم في أمثال هذه الأمور وكذلك العود ربما يعرف بشكه إذا كان الثوب الساتر له رقيقا فدلالة الشكل كدلالة الرائحة والصوت وما ظهرت دلالة فهو غير مستور بل هو مكتشف وقد أمرنا بأن نستمر استر الله ونشكر على من أبدى لنا صفحته والإبداء له درجات فتارة يبدو لنا بحاسة السمع وتارة بحاسة الشم وتارة بحاسة البصر وتارة بحاسة اللمس ولا يمكن أن نخصص ذلك بحاسة البصر بل للراد العلم وهذه الحواس أيضا تفيد العلم فاذن إنما يجوز أن يكسر ماتحت الثوب إذا علم أنه خمر وليس له أن يقول أرني لأعلم ما فيه فإن هذا تجسس ومعنى التجسس طلب الأمارات للعرفة فالأمارات للعرفة إن حصلت وأورثت للعرفة جاز العمل بمقتضاها فما طلب الأمارات للعرفة فلا رخصة فيه أصلا . الشرط الرابع أن يكون كونه منكرا معلوما بغير اجتهد فكل ما هو في محل الاجتهاد فلا حسبة فيه فليس للحنفي أن ينكر على الشافعي أكله الضب والضبيج ومتروك التسمية ولا للشافعي أن ينكر على الحنفي شربه النبيذ الذي ليس بمسكر وتناوله ميراث ذوى الأرحام وجلوسه في دار أخذها بشفعة الجوار إلى غير ذلك من مجاري الاجتهاد نعم لو رأى الشافعي شافعيًا شرب النبيذ ونكح بلا ولي ويطأ زوجته فهذا في محل النظر والأظهر أن له الحسبة والانكار إذ لم ينهب أحد من المصلين إلى أن المجتهد يجوز له أن يعمل بموجب اجتهد غيره ولا أن الذي أذى اجتهدا في التقليد إلى شخص رآه أفضل العلماء أن له أن يأخذ بمذهب غيره فينتقد من للذهاب أطيبا عنده بل على كل مقلد اتباع مقلبه في كل تفصيل فاذن مخالفته للمقلد متفق على كونه منكرا بين المصلين وهو عاص بالمخالفة إلا أنه يلزم من هذا أمر أغمض منه وهو أنه يجوز للحنفي أن يترض على الشافعي إذا نكح بغير ولي بأن يقول له الفعل في نفسه حق ولكن لا في حقك فأنت مبطل بالأقدام عليه مع اعتقادك أن الصواب مذهب الشافعي ومخالفة ما هو صواب عندك معصية في حقك وإن كانت صوابا عند الله وكذلك الشافعي يحسب على الحنفي إذا شاركه في أكل الضب ومتروك التسمية وغيره ويقول له إما أن تعتقد أن الشافعي أولى بالاتباع ثم تقدم عليه أولا تعتقد ذلك فلا تقدم عليه لأنه على خلاف معتقدك ثم ينجر هذا إلى أمر آخر من المحسومات وهو أن يجمع الأصم مثلا امرأة على قصد الزنا وعلم المحتسب أن هذه امرأته زوجته أبوه إياها في صفره ولكنه ليس يدري وعجز عن تعريفه ذلك لصاحبه أو لكونه غير عارف بلغته فهو في الأقدام مع اعتقاده أنها أجنبية عاص ومعاقب عليه في الدار الآخرة فينبغي أن يمنعها عنه مع أنها زوجته وهو بعيد من حيث إنه حلال في علم الله قريب من حيث إنه حرام عليه بحكم غلظه وجهله ولا شك في أنه لو علق طلاق زوجته على صفة في قلب المحتسب مثلاً من مشيئة أو غضب أو غير موقد وجدت الصفة في قلبه وعجز عن تعريف الزوجين ذلك ولكن علم وقوع الطلاق في الباطن فإذا رآه يجمعها فلينع النع أعنى باللسان لأن ذلك زنا إلا أن الزاني غير عالم به والمحتسب عالم بأنهما طلقا منه ثلاثا وكونهما غير عاصين لجهلها بوجود الصفة لا يخرج الفعل عن كونه منكرا ولا يتقاعد ذلك عن زنا المجنون

في القلب مع مطالعة
عظمة للتكلم سبحانه
وتعالى ودون هذه
للوهبة ما يفتح على
العبد من العلوم
الالهامية القدسية وإلى
حين بلوغ العبد هذا
البلغ من حقيقة الذكر
والتلاوة إذا صفا باطنه
قد يضيء في الذكر من
كأن أنه وحلاوة
ذكره حتى يلتحق في
غيته في الذكر بالنائم
وقد تتجلى له الحقائق
في لبسة الخيال أولا
كما تتكشف الحقائق
للتائم في لبسة الخيال
كأن رأى في المنام أنه
قتل حبة فيقول له
المعبر تظفر بالعدو وتظفر
بالعدو هو كشف
كاشفه الحق تعالى به
وهذا الظفر روح
مجرد صاغ ملك الرؤيا
له جسدا لهذا الروح

وقد بينا أنه يمنع منه فإذا كان يمنع مما هو منكرو عند أقواله لم يكن منكرا عند الفاعل ولا هو عاص به لمندرك الجهل فيلزم من عكس هذا أن يقال ما ليس بمنكر عند الله إنما هو منكرو عند الفاعل لجهله لا يمنع منه وهذا هو الأظهر والعلم عند الله ، فتحصل من هذا أن الحنفى لا يعترض على الشافعى فى النكاح بلاولى وأن الشافعى يعترض على الشافعى فيه لكون التعرض عليه منكرا باتفاق المحتسب والمحتسب عليه وهذه مسائل قضية دقيقة والاحتمالات فيها متعارضة وإنما أتينى فيها بحسب ما ترجح عندنا فى الحال ولنا قطع خطأ ترجيح المخالف فيها إن رأى أنه لا يعجز الاحتساب إلا فى معلوم على القطع وقد ذهب إليه ذاهبون وقالوا لاحسبة إلا فى مثل الخمر والحزير وما يقطع بكونه حراما ولكن الأشبه عندنا أن الاجتهاد يؤثر فى حق المجتهد إذ يعطى البعد أن يجتهد فى القبة ويعترف بظهور القبة عنده فى جهة بالدلالات الظنية ثم يستدبرها ولا يمنع منه لأجل ظن غيره لأن الاستدبار هو الصواب ورأى من يرى أنه يجوز لكل مقلدان يختار من المذاهب ما أراد غير معتد به وولاه لا يصح ذهاب ذاهب إليه أصلا فهذا مذهب لا يثبت وإن ثبت فلا يعتد به . فان قلت إذا كان لا يعترض على الحنفى فى النكاح بلاولى لأنه يرى أنه حق فينبى أن لا يعترض على المعتزلى فى قوله إن الله لا يرى وقوله وإن الخير من الله والشر ليس من الله وقوله كلام الله مخلوق ولا على الحشوى فى قوله إن الله تعالى جسم وله صورة وإنه مستقر على العرش بل لا ينبى أن يعترض على الفيلسوفى فى قوله الأجساد لا تبعث وإتباع تبعث النفوس لأن هؤلاء أيضا أدى اجتهدهم إلى ما قالوه وهم يظنون أن ذلك هو الحق . فان قلت بطلان مذهب هؤلاء مظاهر فبطلان مذهب من يخالف نص الحديث الصحيح أيضا مظاهر وكأنت بظواهر النصوص أن الله تعالى يرى والمعتزلى ينكرها بالتأويل فكذلك ثبت بظواهر النصوص مسائل خالف فيها الحنفى كمشكلة النكاح بلاولى ومشكلة شعبة الجوار ونظارها . فاعلم أن المسائل تنقسم إلى ما يتصور أن يبدل فيه كل مجتهد مصيب وهى أحكام الأفعال فى الحل والحرمه وذلك هو الذى لا يعترض على المجتهدين فيه إذ لم يعلم خطأهم قطعا بل ظنا وإلى ما لا يتصور أن يكون المصيب فيه إلا واحد كمشكلة الرؤية والقدر وقدم الكلام ونفى الصورة والجسميه والاستقرار عن الله تعالى فهذا مما يعلم خطأ المخطئ فيه قطعا ولا يبقى لحظه الذى هو جهل بمحض وجهه فاذن البدع كلها ينبى أن تحسم أبوابها وتبصر على البدعين بدعمهم وإن اعتقدوا أنها الحق كما يرد على اليهود والنصارى كفرهم وإن كانوا يعتقدون أن ذلك حق لأن خطأهم معلوم على القطع بخلاف الخطأ فى مظان الاجتهاد . فان قلت فهما اعترضت على القدرى فى قوله الشر ليس من الله اعترض عليك القدرى أيضا فى قولك الشر من الله وكذلك فى قولك : إن الله يرى وفى سائر المسائل إذ البدع محق عند نفسه والحق مبتدع عند البدع وكل يدعى أنه محق وينكر كونه مبتدعا فكيف يتم الاحتساب . فاعلم أنا لأجل هذا التعارض نقول ينظر إلى البلدة التى فيها أظهرت تلك البدعة فإن كانت البدعة ضرية والناس كلهم على السنة فلهم الحسبة عليه بغير إذن السلطان وإن انقسم أهل البلد إلى أهل البدعة وأهل السنة وكان فى الاعتراض تحريك فتنة بالمقاتلة فليس للأحاد الحسبة فى المذاهب إلا بنصب السلطان فإذا رأى السلطان رأى الحق ونصره وأذن لواحد أن يزجر البدعة عن إظهار البدعة كان له ذلك وليس لغيره فإن ما يكون باذن السلطان لا يتقابل وما يكون من جهة الأحاد فيتقابل الأمر فيه وعلى الجملة فالحسبة فى البدعة أهم من الحسبة فى كل المنكرات ولكن ينبى أن يراعى فيها هذا التفصيل الذى ذكرناه كيلا يتقابل الأمر فيها ولا يتجر إلى تحريك الفتنة بل لو أذن السلطان مطلقا فى منع كل من يصرح بأن القرآن مخلوق أو أن الله لا يرى أو أنه مستقر على العرش مماس له أو غير ذلك من البدع لتسلط الأحاد على المنع منه ولم يتقابل الأمر فيه وإنما يتقابل عند عدم إذن السلطان فقط .

من خيال الحية فالروح الذى هو كشف الظفر أخبار الحق ولبسة الخيال الذى هو بمثابة الجسد مثال انبثاق من نفس الرأى فى المنام من استصحاب القوة الوهمية والخيالية من اليقظة فيتألف روح كشف الظفر مع جسد مثال الحية فافتقر إلى التعبير إذ لو كشف بالحقيقة التى هى روح الظفر من غير هذا المثال الذى هو بمثابة الجسد ما احتاج إلى التعبير فكان يرى الظفر ويصبح الظفر وقد يتجرد الخيال باستصحاب الخيال والوهم من اليقظة فى المنام من غير حقيقة فيكون المنام أضغاث أحلام لا يبر وقد يتجرد

(الركن الثالث : المحتسب عليه)

وشرطه أن يكون بصفة يصير الفعل الممنوع منه في حقه منكرا أو أقل ما يكفي في ذلك أن يكون إنسانا. ولا يشترط كونه مكلفا إذ بينا أن الصبي لو شرب الخمر منع منه واحتسب عليه وإركان قبل البلوغ ولا يشترط كونه عميرا إذ بينا أن المجنون لو كان يزني بعجوزة أو يأتى بهيمة لوجب منعه منه نعم من الأفعال ما لا يكون منكرا في حق المجنون كترك الصلاة والصوم وغيره. ولكنك لست نلتفت إلى اختلاف التفاصيل فإن ذلك أيضا مما يختلف فيه القيم والمسافر والمريض والصحيح وغرضنا الإشارة إلى الصفة التي بها يتبين توجه أصل الانكار عليه لا ما به انتهى للتفاصيل . فإن قلت فاكثف بكونه حيوانا ولا تشترط كونه إنسانا فإن البهيمة لو كانت تفسد زرعنا لانسان لكننا نمنعها منه كإمتناع المجنون من الزنا وإتيان البهيمة . فاعلم أن تسمية ذلك حسبة لواجهها إذا حسبة عبارة عن المنع عن منكرا لحق الله صيانة للممنوع عن مفارقة المنكر ومنع المجنون عن الزنا وإتيان البهيمة لحق الله وكذا منع الصبي عن شرب الخمر والانسان إذا ألتف زرع غيره ممنعه من الحقيقتين : أحدهما حق الله تعالى فإن فعله معصية والثاني حق المتلف عليه فهما علتان تتصل إحداها عن الأخرى فلو قطع طرف غيره بأذنه فقد وجدت المعصية وسقط حق المجني عليه بأذنه فنثبت الحسبة والمنع بإحدى العلتين والبهيمة إذا ألتفت فقد عذمت المعصية ولكن يثبت المنع بإحدى العلتين ولكن فيه دققة وهو أننا لست نقصد بإخراج البهيمة منع البهيمة بل حفظ مال المسلم إذ البهيمة لو أكلت ميتة أو شربت من إناء فيه خمر أو ماء مشوب بخمر لم تمنعها منه بل يجوز إطعام كلاب الصيد الجيف والميتات ولكن مال المسلم إذا تعرض للضياع وقدرنا على حفظه بغير تعب وجب ذلك علينا حفظا للمال بل لو وقعت جرة لانسان من علو ونحتها قارورة لغيره فتدفع الجرة لحفظ القارورة لالتمس الجرة من السقوط فإنا لا نقصد منع الجرة وحراستها من أن تصير كاسرة لقارورة ومنع المجنون من الزنا وإتيان البهيمة وشرب الخمر وكذا الصبي لاصيانة للبهيمة المائية أو الخمر المشروب بل صيانة للمجنون عن شرب الخمر وتزويجها له من حيث إنه إنسان محترم فهذه لطائف دققة لا يتقطن لها إلا المحققون فلا ينبغي أن يغفل عنها ثم فيما يجب تزويج الصبي والمجنون عنه نظر إذ قد يتردد في منعهما من لبس الحرير وغير ذلك ويستعرض لما أشير إليه في الباب الثالث . فإن قلت فكل من رأى بهائم قد استرسلت في زرع إنسان فهل يجب عليه إخراجها وكل من رأى مالا لمسلم أشرف على الضياع هل يجب عليه حفظه . فإن قلتم إن ذلك واجب فهذا تكليف شطط يؤدي إلى أن يصير الانسان مستغرا لغيره طول عمره. وإن قلتم لا يجب فلم يجب الاحتساب على من يصب مال غيره وليس له سبب سوى مراعاة مال الغير . فنقول : هذا بحث دقيق غامض والقول الوجيز فيه أن نقول مهما قدر على حفظه من الضياع من غير أن يناله تعب في بدنه أو خسران في ماله أو نقصان في جاهه وجب عليه ذلك فذلك القدر واجب في حقوق المسلم بل هو أقل درجات الحقوق والأدلة الموجبة لحقوق المسلمين كثيرة وهذا أقل درجاتها وهو أولى بالإيجاب من رد السلام فإن الأذى في هذا أكثر من الأذى في ترك رد السلام بل لا خلاف في أن مال الانسان إذا كان بضيع بظلم ظالم وكان عنده شهادة لو تكلم بها لرجع الحق إليه وجب عليه ذلك وعصى بكتان الشهادة ففي معنى ترك الشهادة ترك كل دفع لاضرر على الدافع فيه فأما إن كان عليه تعب أو ضرر في مال أو جوارح لم يلزمه ذلك لأن حقه مرعى في منفعة بدنه وفي ماله وجاهه كحق غيره فلا يلزمه أن يفدى غيره بنفسه نعم الإشارة مستحب وتجنب المصاعب لأجل المسلمين قربة فأما إيجابها فلا فإذن إن كان يتعب بإخراج البهائم عن الزرع يلزمه السمي في ذلك والسكن إذا كان لا يتعب بتربيته صاحب الزرع من نومه أو باعلامه يلزمه ذلك فاهمال تعريفه وتربيته كاهمال تعريف القاضي بالشهادة وذلك لارخصة فيه ولا يمكن أن يراعى فيه الأقل والأكثر حتى يقال

لصاحب الحلوة الخيال
النبيث من ذاته من
غير أن يكون وعاء
لحقيقة فلا ينبغي على
ذلك ولا يلتفت إليه
فليس ذلك واقعة وإنما
هو خيال فأما إذا غاب
الصادق فيه ذكر الله
تعالى حتى يذهب عن
المحسوس بحيث لو
دخل عليه داخل من
الناس لا يعلم به لنيته
في الذكر فمندد ذلك قد
ينبث في الابتداء من
نفسه مثال وخيال
ينفخ فيه روح
الكشف فإذا عاد من
غيبته فإما يأتية تفسيره
من باطنه موهبة من
الله تعالى وإما يفسره
له شيخه كما يبر للمبر
النم ويكون ذلك
واقعة لأنه كشف
حقيقة في لبسة مثال
وشرط صحة الواقعة

إن كان لا يصح من منفته في مدة اشتغاله باخراج البهائم إلا قدر درهم مثلا وصاحب الزرع يفوته مال كثير فيترجع جانبه لأن الدرهم الذي له هو يستحق حفظه كما يستحق صاحب الألف حفظ الألف ولا سبيل للمصير إلى ذلك فأما إذا كان قوات المال بطريق هو معصية كانهصب أو قتل عبد مملوك لغير فهذا يجب النعم منه وإن كان فيه تعب ما لأن المقصود حق الشرع والغرض دفع المعصية وطى الإنسان أن يتعب نفسه في دفع المعاصي كما عليه أن يتعب نفسه في ترك المعاصي والمعاصي كلها في تركها تعب وإنما الطاعة كلها ترجع إلى مخالفة النفس وهي غاية التعب ثم لا يلزمه احتمال كل ضرر بل التفصيل فيه كما ذكرناه من درجات المخذورات التي يغافها المحتسب وقد اختلف الفقهاء في مسئلتين تقربان من غرضنا : إحداهما أن الالتقاط هل هو واجب واللاقط ضائعة والملتقط مانع من الضياع وساع في الحفظ والحق فيه عندنا أن يفصل ويقال إن كانت اللقطة في مواضع لو تركها فيه لم تقع بل يلقطها من يعرفها أو تركها كالوكان في مسجد أو رباط يتعين من يدخله وكلهم أمناه فلا يلزمه الالتقاط وإن كانت في مضيق نظر فإن كان عليه تعب في حفظها كما لو كانت بهيمة وتحتاج إلى علف وإصطبل فلا يلزمه ذلك لأنه إنما يجب الالتقاط لحق المالك وحقه بسبب كونه إنسانا محترما والملتقط أيضا إنسان وله حق في أن لا يتعب لأجل غيره كما لا يتعب غيره لأجله فإن كانت ذبها أو ثوبا أو شيئا لا ضرر عليه فيه إلا مجرد تعب التعريف فهذا ينبغي أن يكون في محل الوجهين فقايل يقول التعريف والقيام بشرطه فيه تعب فلا سبيل إلى إلزامه ذلك إلا أن يتبع فيلزم طلبا للثواب وقائل يقول : إن هذا القدر من التعب مستصغر بالإضافة إلى مراعاة حقوق المسلمين فينزل هذا منزلة تعب الشاهد في حضور مجلس الحكم فانه لا يلزمه السفر إلى بلدة أخرى إلا أن يتبع به فإذا كان مجلس القاضي في جواره لزمه الحضور وكان التعب بهذه الخطوات لا يعد تعباً في غرض إقامة الشهادة وأداء الأمانة وإن كان في الطرف الآخر من البلد وأحوج إلى الحضور في المهاجرة وشدة الحر فهذا قد يقع في محل الاجتهاد والنظر فإن الضرر الذي يبال الساعي في حفظ حق الغير له طرف في القلة لا يشك في أنه لا يبال به وطرف في الكثرة لا يشك في أنه لا يلزمه احتمالاً . ووسط يتجاذبه الطرفان ويكون أبداً في محل الشبهة والنظر وهي من الشبهات المزمعة التي ليس في مقدور البشر إزالتها إذ لا علة تفرق بين أجزائها المتقاربة ولكن لنتق ينظر فيها لنفسه ويدع ما يريه إلى ما لا يريه ، فهذا نهاية الكشف عن هذا الأصل .

(الركن الرابع : نفس الاحتساب)

وله درجات وآداب أما الدرجات فأولها التعرف ثم التعريف ثم النهي ثم الوعظ والنصح ثم السب والتعنيف ثم التغيير باليد ثم التهديد بالضرب ثم إيقاع الضرب وتحقيقه ثم شهر السراح ثم الاستظهار فيه بالأعوان وجمع الجنود . أما الدرجة الأولى وهي التعرف ونعني به طلب المعرفة بجريان السكر وذلك منهي عنه وهو التجسس الذي ذكرناه فلا ينبغي أن يترق السمع على دار غيره ليعلم صوت الأوتار ولأن يستنشق ليدرك رائحة الخمر ولأن يمس ما في ثوبه ليعرف شكل الزمار ولأن يستخبر من جيرانه ليخبروه بما يجري في داره نعم لو أخبره عدلان ابتداء من غير استخبار بأن فلانا يشرب الخمر في داره أو بأن في داره خمر أعدده للشرب فله إذ ذاك أن يدخل داره ولا يلزمه الاستئذان ويكون تخطي ملسكه بالدخول للتوصل إلى دفع السكر ككسر رأسه بالضرب للمنع مهما احتاج إليه وإن أخبره عدلان أو عدل واحد وبالجملة كل من تقبل روايته لاشهادته في جواز الهجوم على داره بقولهم فيه نظر واحتمال الأولى أن يتمتع لأن له حقا في أن لا يتخطى داره بغير إذنه ولا يسقط حق السلم عما ثبت عليه حقه إلا بشاهدين فهذا أولى ما يعمل مردا فيه . وقد قيل إنه كان نفس خاتم ايمان السر لما عاينت أحسن من إذاعة ما ظننت .

الإخلاص في الذكر أولا
ثم الاستراف في الذكر
ثانيا وعلمة ذلك
الزهد في الدنيا وملازمة
التقوى لأن الله جملة
بما يكشف به في واقعة
مورد الحكمة والحكمة
تحكم بالزهد والتقوى
وقد يتجرد للذاكر
الحقائق من غير لبسة
المثال فيكون ذلك
كشفا وإخبارا من الله
تعالى إياه ويكون ذلك
تارة بالرؤية وتارة
بالسمع وقد يسمع من
باطنه وقد يطرق ذلك
من الهواء لا من باطنه
كالهوائف يعلم بذلك
أمرا يريد الله إحدائه
له أو لغيره فيكون
إخبار الله إياه بذلك
مزيدا ليقينه أو يرى
في المنام حقيقة الشيء .
تقل عن بعضهم أنه
أتى بمراب في قدح

الدرجة الثانية : التعريف فان المنكر قد يقدم عليه القدم بجهله وإذا عرف أنه منكر تركه كالسواذى
يصل ولا يحسن الركوع والسجود فيعلم أن ذلك لجهله بأن هذه ليست بصلاة ولورضى بأن لا يكون
مصليا ترك أصل الصلاة فيجب تعريفه باللطف من غير عنف وذلك لأن ضمن التعريف نسبة
إلى الجهل والحق والتجهيل إيذاء وقلم يرضى الانسان بأن ينسب إلى الجهل بالأمر لاسيما بالشرع
ولذلك ترى الذى يظلم عليه الغضب كيف يغضب إذا تلبس على الخطأ والجهل وكيف يجتهد في محاسبة
الحق بعد معرفته خيفة من أن تتكشف عورة جهله والطباع أحرم على ستر عورة الجهل منها على
ستر العورة الحقيقية ، لأن الجهل قبح في صورة النفس وسواد في وجهه وصاحبه ملوم عليه وقبح
السواتين يرجع إلى صورة البدن والنفس أشرف من البدن وقبحها أشد من قبح البدن ثم هو غير
ملوم عليه لأنه خلقة لم يدخل تحت اختياره حصوله ولا في اختياره إزالته ونحسينه والجهل قبح يمكن
إزالته وتبديله بحسن العلم فذلك يعظم تألم الانسان بظهور جهله ويعظم احتياجه في نفسه بصلته ثم لفته
عند ظهور جمال علمه لغيره وإذا كان التعريف كشفا للمورة مؤذيا للقلب فلا بد وأن يعالج دفع آذاه
بلطف الرفق فنقول له إن الانسان لا يولد عالما ولقد كنا أيضا جاهلين بأمور الصلاة فعلنا العلماء
ولعل قرينك خالية عن أهل العلم أو علمها مقصر في شرح الصلاة وإيضاحها وإنما شرط الصلاة الطمأنينة
في الركوع والسجود وهكذا يتلطف به ليحصل التعريف من غير إيذاء فان إيذاء السلم حرام محذور
كما أن تقريره على المنكر محذور وليس من العقلاء من يضل الدم بالدم أو بالبول ومن اجتنب محذور
السكوت على المنكر واستبدل عنه محذور الإيذاء للسلم من الاستغناء عنه فقد غسل الدم بالبول على
التحقيق ، وأما إذا وقفت على خطأ في غير أمر الدين فلا ينبغي أن ترد عليه فانه يستفيد منك علما
ويصيرك عدوا إلا إذا علمت أنه يغتم العلم وذلك عزيز جدا . الدرجة الثالثة : التمسك بالوعظ والنصح
والتخويف بالله تعالى وذلك فيمن يقدم على الأمر وهو عالم بكونه منكرا أو فيمن أصر عليه بعد
أن عرف كونه منكرا كالذى يواطى على الشرب أو على الظلم أو على اغتيال المسلمين أو ما يجرى
مجره فينبغى أن يوعظ ويخوف بالله تعالى وتورد عليه الأخبار الواردة بالوعيد في ذلك وتحكى له سيرة
السلف وعبادة التقيين وكل ذلك بشفقة ولطف من غير عنف وغضب بل ينظر إليه نظر الترحم عليه
ويرى إقدامه على العصية مصيبة على نفسه إذ السلون كنفس واحدة ، وههنا آفة عظيمة ينبغي
أن يتوفاها فانها مهلكة ، وهى أن العالم يرى عند التعريف عز نفسه بالعلم وذله غيره بالجهل فرمما
يقصد بالتعريف الإذلال وإظهار التميز بشرف العلم والإذلال صاحبه بالنسبة إلى خسة الجهل فان كان
الباعث هذا فهذا المنكر أقبح في نفسه من المنكر الذى يعترض عليه ، ومثال هذا المحتسب مثال
من يخلص غيره من النار باحراق نفسه وهو غاية الجهل ، وهذه مذلة عظيمة وغائلة هائلة وغرور
للسيطان يتدلى بحبله كل إنسان إلا من عرفه الله عيوب نفسه وفتح بصيرته بنور هدايته فان في
الاحتكام على الغير لذة للنفس عظيمة من وجهين : أحدهما من جهة دالة العلم والآخر من جهة دالة
الاحتكام والسلطنة وذلك يرجع إلى الرياء وطلب الجاه وهو الشهوة الخفية الداعية إلى التملك الخفى
وله محكم ومعيان ينبغي أن يتحسب به نفسه وهو أن يكون امتناع ذلك الانسان عن المنكر
بنفسه أو باحتساب غيره أحب إليه من امتناعه باحتسابه فان كانت الحجة شاقة عليه ثقيلة على نفسه
وهو يورد أن يكفى بغيره فليحتسب فان باعته هو الدين وإن كان اتماظ ذلك العاصى بوعظه وأزجاره
بزجره أحب إليه من اتماظه بوعظه غيره فهاهو إلا متبع هوى نفسه وتوصل إلى إظهار جاه نفسه
بواسطة حبيبته فليترك الله تعالى وليحتسب أولا على نفسه وعند هذا يقال ما قيل لعيسى عليه السلام

فوضعه من يده وقال
قد حدث في العالم
حدث ولا أشرب هذا
دون أن أعلم ما هو
فانكشف له أن قوما
دخلوا مكة ولوا فيها.
وحكى عن أبي سليمان
الحواص قال كنت
راكبا حمرا إلى يوما
وكان يؤذيه الدباب
فيطأطأ رأسه فكنت
أضرب رأسه بخشبة
كانت في يدي فرفع
الحمار رأسه إلى وقال
اضرب فانك على
رأسك تضرب قبل له
يا أبا سليمان وقع لك
ذلك أو سمعته فقال
سمعته يقول كما سمعته.
وحكى عن أحمد بن
عطاء الروذبارى قال
كان لى مذهب في أمر
الطهارة فكنت ليلة
من الليالى أستنجى
إلى أن مضى ثلث الليل

يا ابن مريم عظ نفسك فان اتمظت فمظ الناس وإلا فاستحي مني ، وقيل لداود الطائي رحمه الله : رأيت رجلا دخل على هؤلاء الأمراء فأمرهم بالمعروف ونهاهم عن المنكر فقال أخاف عليه السوط قال إنه يتقوى عليه قال أخاف عليه السيف قال إنه يقوى عليه قال أخاف عليه الدماء الذين وهو العجب .

الدرجة الرابعة : السب والتعنيف بالقول الغليظ الحشن وذلك يعدل إليه عند العجز عن المنع باللفظ وظهور مبادئ الإصرار والاستهزاء بالوعظ والنصح وذلك مثل قول إبراهيم عليه السلام - أفلكم ولما تعبدون من دون الله أفلا تعقلون - ولنا نفي بالسب الفحش بما فيه نسبة إلى الزنا ومقدماته ولا الكذب بل أن يخاطبه بما فيه مما لا يبعد من جملة الفحش كقوله يافاسق يا أحمق يا جاهل أنت أخاف الله وكقوله يا سوادى يا غي وما يجري هذا المجرى فان كل فاسق فهو أحمق وجاهل ولو لا حققة لما عصى الله تعالى بل كل من ليس بكيس فهو أحمق والكيس من شهد له رسول الله صلى الله عليه وسلم بالكياسة حيث قال « الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت والأحمق من أتبع نفسه هواها وتمنى على الله »^(١) ولهذا الرتبة أدبان : أحدهما أن لا يقدم عليها إلا عند الضرورة والعجز عن اللطف . والثاني أن لا ينطق إلا بالصدق ولا يسترسل فيه فيطلق لسانه الطويل بما لا يحتاج إليه بل يقتصر على قدر الحاجة فان علم أن خطابه بهذه الكلمات الزاجرة ليست تزره فلا ينبغي أن يطلقه بل يقتصر على إظهار الغضب والاستحقار له والازدراء بمحلته لأجل معصيته وإن علم أنه لو تكلم ضرب ولوا كفهر وأظهر الكراهة بوجهه لم يضرب لزمه ولم يكفه الإنكار بالقلب بل يلزمه أن يعطى وجهه ويظهر الإنكار له . الدرجة الخامسة : التشهير باليد وذلك ككسر اللامى وإراقة الحجر وخلع الحرير من رأسه وعن بدنه ومنعه من الجلوس عليه ودفعه عن الجلوس على مال الغير وإخراجه من الدار القسوة بالجور برجله وإخراجه من المسجد إذا كان جالسا وهو جنب وما يجري مجراه ويتصور ذلك في بعض المعاصي دون بعض ، فأما معاصي اللسان والقلب فلا يقدر على مباشرة تغييرها وكذلك كل معصية تقتصر على نفس المعاصي وجوارحه الباطنة ، وفي هذه الدرجة أدبان : أحدهما أن لا يباشر بيده التغيير ما لم يعجز عن تكليف المحتسب عليه ذلك فإذا أمكنه أن يكلفه الشئ في الخروج عن الأرض القسوة والمسجد فلا ينبغي أن يدفعه أو يحجره وإذا قدر على أن يكلفه إراقة الحجر وكسر اللامى وحل دروز ثوب الحرير فلا ينبغي أن يباشر ذلك بنفسه فان في الوقوف على حد الكسر نوع عسر فإذا لم يتعاط بنفسه ذلك كفى الاجتهاد فيه وتولاه من لا حرج عليه في فعله . الثاني أن يقتصر في طريق التغيير على القدر المحتاج إليه وهو أن لا يأخذ بلحيته في الإخراج ولا برجله إذا قدر على جره بيده فان زيادة الأذى فيه مستغنى عنه وأن لا يمزق ثوب الحرير بل يحل دروزه فقط ولا يحرق اللامى والصليب الذي أظهره النصارى بل يطل صلاحيتها للفساد بالكسر وحد الكسر أن يصير إلى حالة تحتاج في استئصال إصلاحه إلى تعب يساوى تعب الاستئصال من الخشب ابتداء وفي إراقة الخمر يتوقى كسر الأواني إن وجد إليه سبيلا فان لم يقدر عليها إلا بأن يرمى ظروفها بحجر فله ذلك وسقطت قيمة الظرف وتقومه بسبب الحجر إذ صار حائلا بينه وبين الوصول إلى إراقة الخمر ولو ستر الخمر بيده لكنها تقصد بدنه بالجرح والضرب لتوصل إلى إراقة الخمر فاذن لا تزيد حرمة ملكه في الظروف على حرمة نفسه ولو كان الخمر في قوارير ضيقة الرأس ولو اشتغل باراقها طال الزمان وأدركه الفساق ومنعوه فله كسرهما فهذا عذر وإن كان لا يعذر ظفر الفساق به ومنعهم ولكن كان يضيع في زمانه وتتعطل عليه أشغاله فله أن يكسرها فليس عليه أن يضيع منقمة بدنه وغرضه من أشغاله

(١) حديث الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت الحديث الترمذى وقال حسن وابن ماجه من حديث شداد بن أوس .

ولم يطب قلبي فتضجرت فبكيت وقلت يا رب العفو فسمعت صوتا ولم أر أحدا يقول يا أبا عبد الله العفو في العلم وقد يكشف الله تعالى عيده بآيات وكرامات ترية للعبد وتقوية ليقينه وإيمانه قيل كان عند جعفر الخلدى رحمه الله فص له قيمة وكان يوما من الأيام راكبا في السارية في دجلة فهم أن يعطى السلاح قطعة وحل الحرقه فوق القصر في الدجلة وكان عنده دعاء للفضالة مجرب وكان يدعو به فوجد النص في وسط أوراق كان يتصفحها والدعاء هو أن يقول يا جامع الناس ليوم لا ريب فيه اجمع على صائى . وسمعت شيخنا بهمدان حكاه

لأجل ظروف المحرو حيث كانت الارقاة متيسرة بلا كسر فكسره لزمه الضمان . فان قلت فهذا جاز
الكسر لأجل الزجر وهلا جاز الجرا بالرجل في الاخراج عن الأرض المنصوبة ليكون ذلك أبلغ في الزجر .
فاعلم أن الزجر إنما يكون عن المستقبل والعقوبة تكون على الماضي والدفع على الحاضر الزجر وليس
إلى أحاد الرعية إلا الدفع وهو إعدام النكر لما زاد على قدر الإعدام فهو ما عقوبة على جريمة سابقة
أو زجر عن لاحق وذلك إلى الولاية لا إلى الرعية . نعم الوالي له أن يفعل ذلك إذا رأى للصلحة فيه . وأقول
له أن يأمر بكسر الظروف التي فيها المحذور زجرا وقد فعل ذلك في زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم
تأكيذا للزجر^(١) ولم يثبت نسخه ولكن كانت الحاجة إلى الزجر والقطام شديدة فإذا رأى الوالي
باجتهاد مثل تلك الحاجة جاز له مثل ذلك وإذا كان هذا منوطا بنوع اجتهاد دقيق لم يكن ذلك لأحاد
الرعية . فان قلت : فليجز للسلطان زجر الناس عن المعاصي باتلاف أموالهم وتخريب دورهم التي فيها
يحبسون ويصون وإحراق أموالهم التي بها يتوصلون إلى المعاصي . فاعلم أن ذلك لو ورد الشرع به لم
يكن خارجا عن سنن الصالح ولكن لا ينتدع الصالح بل يتبع فيها وكسر ظروف المحر قد ثبت عند
شدة الحاجة وتركه بعد ذلك لعدم شدة الحاجة لا يكون نسخا بل الحكم يزول بزوال العلة ويعد بمودها
وإنما جوزنا ذلك للإمام بحكم الاتباع ومنعنا أحاد الرعية منه لحفاء وجه الاجتهاد فيه بل تقول لو أريقت
المحذور أو لا فلا يجوز كسر الأواني بعدها وإنما جاز كسرها تبعاً للتحريم فإذا خلت عنها فهو إتلاف مال إلا أن
تكون ضاربة بالمحر لا تصلح إلا لها فكان الفعل للنقول عن المصر الأول كان مقرونا بمعيين : أحدهما
شدة الحاجة إلى الزجر والآخر تبعية الظروف للخمر التي هي مشغولة بها وهما معنيان مؤثران لا سبيل
إلى حذفهما ومعنى ثالث وهو صدوره عن رأى صاحب الأمر لعله بشدة الحاجة إلى الزجر وهو أيضا
مؤثر فلا سبيل إلى إلغائه فهذه تصرفات دقيقة صعبة يحتاج المحتسب لا محالة إلى معرفتها . الدرجة السادسة
التهديد والتخويف كقوله دع عنك هذا أو لا كسر رأسك أو لأضربن رقبتك أو لأمرن بك
وما أشبه وهذا ينبغي أن يقدم على تحقيق الضرب إذا أمكن تنديده والأدب في هذه الرتبة أن لا يهدده
بوعيد لا يجوز له تحقيقه كقوله لأنهن دارك أو لأضربن ولدك أو لأسبين زوجتك وما جرى مجراه بل
ذلك إن قاله عن عزم فهو حرام وإن قاله من غير عزم فهو كذب نعم إذا تعرض لوعيده بالضرب
والاستخفاف فله العزم عليه إلى حد ما معلوم يقتضيه الحال وله أن يزيد في الوعيد على ما هو في عزمه الباطن
إذا علم أن ذلك يحميه ويردعه وليس ذلك من الكذب المحذور بل بالعلقة مثل ذلك معتادة وهو معنى
مبالغة الرجل في إصلاحه بين شخصين وتأليفه بين الضرتين وذلك بما قد رخص فيه للحاجة وهذا في معناه
فإن قصد به إصلاح ذلك الشخص وإلى هذا المعنى أشار بعض الناس أنه لا يقبح من الله أن يتوعد بما لا يفعل
لأن الخلف في الوعيد كرم وإنما يقبح أن يمد بما لا يفعل وهذا غير مرضي عندنا فإن الكلام القديم
لا يتطرق إليه الخلف وعدا كان أو وعيدا وإنما يتصور هذا في حق العباد وهو كذلك إذ الخلف في الوعيد
ليس بحرام . الدرجة السابعة : مباشرة الضرب باليد والرجل وغير ذلك مما ليس فيه شهر سلاح وذلك
جائز للأحاد بشرط الضرورة والاقتصار على قدر الحاجة في الدفع فإذا اندفع النكر فينبغي أن يكف
والقاضي قد يرهق من ثبت عليه الحق إلى الأداء بالحبس فان أصر المحبوس وعلم القاضي قدرته

(١) حديث تكسير الظروف التي فيها المحذور في زمنه صلى الله عليه وسلم الترمذي من حديث أبي
طلحة أنه قال : يا نبي الله إني اشتريت خرا لأيتام في حجرى قال اهرق الخمر واكسر الدنان وفيه
يث بن أبي سليم والأصح رواية السدي عن يحيى بن عباد عن أنس أن أبا طلحة كان عندي
قاله الترمذي .

شخص أنه كوشف في
بعض خلواته بوله له
في جيحون كاد يسقط
في الماء من السفينة قال
فزجرته فلم يسقط
وكان هذا الشخص
بنواحي همدان وولده
يجيحون فها قدم الولد
أخبر أنه كاد يسقط في
الماء فسمع صوت والده
فلم يسقط . وقال عمر
رضي الله عنه يا سارية
الجيل على التبر بالمدينة
وسارية بنهاوند فأخذ
سارية نحو الجبل وظفر
بالعدو فقيل لسارية
كيف علت ذلك فقال
سمعت صوت عمرو وهو
يقول يا سارية الجبل .
مثل ابن سالم وكان قد
قال للإيمان أربعة
أركان ركن منه
الإيمان بالقدر وركن
منه الإيمان بالحكمة
وركن منه التبري من

على أداء الحق وكونه معاندا فله أن يلزمه الأداء بالضرب على التدرج كما يحتاج إليه وكذلك المحتسب
برعى التدرج فان احتاج إلى شهر سلاح وكان يقدر على دفع النكر بشهر السلاح وبالجرح فله
أن يتعاطى ذلك ما لم تثر فتنة كالوقبص الفاسق مثلا على امرأة أو كان يضرب بجزمار معه وبينه
وبين المحتسب نهر حائل أو جدار مانع فيأخذ قوسه ويقول له خلّ عنها أولأرمينك فان لم يخلّ
عنها فله أن يرمى وينبى أن لا يقصد القتل بل الساق والعضد وما أشبهه ويراعى فيه التدرج وكذلك
بسلّ سيفه ويقول أرك هذا النكر أولأضربك فكل ذلك دفع للمعكر ودفعه واجب بكل ممكن
ولا فرق في ذلك بين ما يتعلق بخاص حق الله وما يتعلق بالأميين وقالت الصرخة لا يتعلق بالأميين
فلا حجة فيه إلا بالكلام أو بالضرب ولكن للامام لالآحاد . الدرجة الثامنة : أن لا يقدر عليه
بنفسه ويحتاج فيه إلى أعوان يشهرون السلاح وربما يستمخّ الفاسق أيضا بأعوانه ويؤذى ذلك
إلى أن يتقابل الصفان ويتقاتلا فهذا قد ظهر الاختلاف في احتياجه إلى اذن الامام فقال قائلون
لا يستقلّ آحاد الرعية بذلك لأنه يؤدي إلى تحريك الفتن وهيجان الفساد وخراب البلاد . وقال
آخرون لا يحتاج إلى الاذن وهو الأفيس لأنه إذا جاز للآحاد الأمر بالمعروف وأوائل درجاته تخرج
إلى نوان والثواني إلى ثوان وقد انتهى لامحالة إلى التضارب والتضارب يدعو إلى التعاون فلا ينبغي
أن يبالى بلوازم الأمر بالمعروف ومنتهاه تجنيد الجنود في رضا الله ودفع معاصيه ونحن نجوز للآحاد
من القزاة أن يجتمعوا ويقاتلوا من أرادوا من فرق الكفار فمعا لأهل الكفر فكذلك قمع أهل
الفساد جائز لأن الكافر لا بأس بقتله والمسلم إن قتل فهو شهيد فكذلك الفاسق الناضل عن فسقه لا بأس
بقتله والمحتسب الحق إن قتل . ظلوما فهو شهيد . وعلى الجملة فانتهاه الأمر إلى هذا من النواذر في الحسبة
فلا يغيره قانون القياس بل يقال كل من قدر على دفع منكر فله أن يدفع ذلك يده وبسلاحه
وبنفسه وبأعوانه فالمسئلة إذن محتملة كما ذكرناه فهذه درجات الحسبة فلنذكر آدابها والله الووفق .

(اب آداب المحتسب)

قد ذكرنا تفاصيل الآداب في آحاد الدرجات ونذكر الآن جملة أو مصادرهما فنقول جميع آداب المحتسب مصدرها ثلاث صفات في المحتسب: العلم والورع وحسن الخلق . أما العلم فليعلم مواقع الحسنة وحدودها ومحارمها وموانعها ليقصر على حد الشرع فيه . والورع ليردعه عن مخالفة معلومه فما كل من علم عمل بعله بل ربما يعلم أنه مسرف في الحسنة وزائد على الحد للأذنون فيه شرعا ولكن يجعله عليه عرض من الأغراض وليكن كلامه ووعظه مقبولا فان الفاسق يهزأ به إذا اختسب ويورث ذلك جراءة عليه . وأما حسن الخلق فليتمكن به من اللطف والرفق وهو أصل الباب وأسبابه والعلم والورع لا يكفيان فيه فان الغضب إذا هاج لم يكف مجرد العلم والورع في نفسه مالم يكن في الطبع قبوله بحسن الخلق وعلى التحقيق فلا يتم الورع إلا مع حسن الخلق والتقديرة على ضبط الشهوة والغضب وبه يصبر المحتسب على ما أصابه في دين الله وإلا فإذا أصيب عرضه أو ماله أو نفسه بدم أو ضرب نسي الحسنة وغفل عن دين الله واشتغل بنفسه بل ربما يقدم عليه ابتداء لطاب الحياء والاسم فهذه الصفات الثلاث بها تنصير الحسنة من القربات وبها تندفع النكرات وإن فقدت لم يندفع النكر بل ربما كانت الحسنة أيضا منكورة لمجاورة حد الشرع فيها ودل على هذه الآداب قوله صلى الله عليه وسلم « لا يأمر بالمعروف ولا ينهى عن المنكر إلا رفيق فيما يأمر به رفيق فيما ينهى عنه حليم فيما يأمر به حليم فيما ينهى عنه قهيه فيما يأمر به قهيه فيما ينهى عنه »^(١) وهذا يدل على أنه لا يشترط

(١) حديث لا يأمر بالمعروف ولا ينهى عن المنكر إلا رفيق فيما يأمر به رفيق فيما ينهى عنه الحديث

الحول والقوة وركن
منه الاسعانة بالله عز
وجل في جميع الأشياء
قليل له مامنى قولك
الايمان بالقدره قال
هو أن تؤمن ولا تسكر
أن يكون لله عبد
بالمشرق قائما على يمينه
ويكون من كرامة الله
له أن يطيه من القوة
ما ينقلب من يمينه على
يساره فيكون بالمغرب
تؤمن بمسواز ذلك
وكونه، وحكى لى فقير
أنه كان بمكروأرجف
على شخص ينفاد أنه
قد مات فكاشفة الله
بالرجل وهو راكب
يمشى فى سوق بنفاد
فأخبر إخوانه أن
الشخص لم يمت وكان
كذلك حتى ذكر لى
هذا الشخص أنه فى
تلك الحالة التى كشف
بالشخص راكبا قال

أن يكون فقها مطلقا بل فها يأمر به وينهى عنه وكذا الحلم . ول الحسن البصري رحمه الله تعالى :
إذا كنت ممن يأمر بالمعروف فكُنْ من أخذ الناس به وإلا هلك . وقد قيل :

لا تلم للرء على فعله وأنت منسوب إلى مثله
من ذم شيئا وآتى مثله فانما يذرى على عقله

رأيت في السوق وأنا
أسمع بأذني صوت
للطرفة من الحداد في
سوق بغداد وكل هذه
مواهب الله تعالى وقد
يكشف بها قوم وتمطى
وقد يكون فوق هؤلاء
من لا يكون له شيء
من هذا الآن هذه كلها
تقوية اليقين ومن
منع صرف اليقين
لا حاجة له إلى شيء من
هذا فكل هذه
الكرامات دون
ما ذكرناه من تجوهر
الذكر في القلب
ووجوده ذكر الذات
فإن تلك الحكمة فيها
تقوية للريدن وترية
للسالكين ليزدادوا
بها يقينا يجذبون به إلى
مراغمة النفوس
واللو عن ملاذ الدنيا
ويستنهض منهم
بذلك ما كن عزمهم

ولسنا نفي بهذا أن الأمر بالمعروف يصير مخموتا بالفسق ولكن يسقط أثره عن القلوب بظهور نفسه
لناس . فقد روى عن أنس رضي الله عنه قال « قلنا يا رسول الله لا تأمر بالمعروف حتى نعمل به كله
ولا نهى عن النكر حتى نجتنبه كله فقال صلى الله عليه وسلم بل مروا بالمعروف وإن لم تعملوا به كله
وانهوا عن النكر وإن لم تجنبوه كله (١) » وأوصى بعض السلف بنيه فقال إن أراد أحدكم أن
يأمر بالمعروف فليوطن نفسه على الصبر وليثق بالثواب من الله فمن وثق بالثواب من الله لم يجد من
الأذى ، فاذن من آداب الحسبة توطئ النفس على الصبر ولذلك قرن الله تعالى الصبر بالأمر بالمعروف
فقال حاكيا عن لقمان - يابن أتم الصلاة وأمر بالمعروف وانه عن النكر واصبر على ما أصابك - .
ومن الآداب تقليل العلائق حتى لا يكثر خوفه وقطع الطمع عن الخلائق حتى تزول عنه المداينة .
فقد روى عن بعض الشايع أنه كان له سنور وكان يأخذ من قصاب في جواره كل يوم شيئا من
الفند لسنوره فرأى على القصاب منكرا فدخل الدار أولا وأخرج السنور ثم جاء واحتسب على
القصاب فقال له القصاب لا أعطيك بعد هذا شيئا السنورك فقال ما احتسبت عليك إلا بعد إخراج
السنور وقطع الطمع منك وهو كما قال فمن لم يقطع الطمع من الخلق لم يقدر على الحسبة ومن طمع
في أن تكون قلوب الناس عليه طيبة وألسنتهم بالثناء عليه مطلقة لم تيسر له الحسبة . قال كعب
الأخبار لأبي مسلم الخولاني : كيف منزلتك بين قومك ؟ قال حسنة قال إن التوراة تقول : إن الرجل
إذا أمر بالمعروف ونهى عن النكر ساءت منزلته عند قومه فقال أبو مسلم : صدقت التوراة وكذب
أبو مسلم . ويدل على وجوب الرفق ما استدل به المؤمنون إذ وعظه واعظ وعنف له في القول فقال
يا رجل ارفق فقد بعث الله من هو خير منك إلى من هو شر مني وأمره بالرفق فقال تعالى - قولا
له قولا لنا لعله يتذكر أو يخشى - فليكن اقتداء المحتسب في الرفق بالأنبياء صلوات الله عليهم . فقد
روى أبو أمامة « أن غلاما شابا أتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يابن الله أتأذن لي في الزنا فصاح
الناس به فقال النبي صلى الله عليه وسلم قربه أدن فدنا حتى جلس بين يديه فقال النبي صلى الله عليه وسلم
والسلام أعجب لأمرك ؟ فقال لا ، جعلني الله فداك قال كذلك الناس لا يحبونه لأمرهم أعجب لأمرهم ؟ قال لا ،
جعلني الله فداك قال كذلك الناس لا يحبونه لبناهم أعجب لأمرهم (٢) » وزاد ابن عوف حتى ذكر
العمه والحالة وهو يقول في كل واحد ، لا جعلني الله فداك وهو صلى الله عليه وسلم يقول كذلك الناس
لا يحبونه وقلا جيما في حديثهما أعنى ابن عوف والراوى الآخر فوضع رسول الله صلى الله عليه وسلم
يده على صدره وقال « اللهم طهر قلبه واغفر ذنبه وحسن فرجه » فلم يكن شيء أبغض إليه منه يعني
من الزنا وقيل للفضيل بن عياض رحمه الله : إن سفيان بن عيينة قبل جوائز السلطان فقال الفضيل

لم أجده هكذا وللهي في الشعب من رواية عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده من أمر بمعروف فليكن
أمره بمعروف (١) حديث أنس قلنا يا رسول الله لا تأمر بالمعروف حتى نعمل به كله ولا نهى عن النكر
حتى نجتنبه كله فقال صلى الله عليه وسلم بل مروا بالمعروف وإن لم تعملوا به كله وانهوا عن النكر وإن لم
تجتنبوه كله الطبراني في المعجم الصغير والأوسط وفيه عبد القدوس بن حبيب أجمعوا على تركه .
(٢) حديث أبي أمامة أن شابا قال يا رسول الله أئذن لي في الزنا فصاح الناس به الحديث رواه أحمد بإسناد جيد

ما أخذ منهم إلا دون حقه ثم خلا به وعذله ووجعه فقال سفيان يا أبا علي إن لم تكن من الصالحين فانا لنحب الصالحين . وقال حماد بن سلمة : إن صلة بن أشيم مرّ عليه رجل قد أسبل إزاره فهم أصحابه أن يأخذوه بشدة فقال دعوني أنا أكفيكم فقال يا ابن أخي إن لي إليك حاجة قال وما حاجتك يا عم ؟ قال أحب أن ترفع من إزارك فقال نعم وكرامة فرفع إزاره فقال لأصحابه لو أخذتموه بشدة لقال لا ولا كرامة وشتمكم . وقال محمد بن زكريا الغلابي : شهدت عبد الله بن محمد بن عائشة ليلة وقد خرج من للمسجد بعد المغرب يريد منزله وإذا في طريقه غلام من قريش سكران وقد قبض على امرأة فجذبها فاستغاث فاجتمع الناس يضربونه فنظر إليه ابن عائشة فصره فقال للناس تتحوا عن ابن أخي ثم قال لي يا ابن أخي فاستحي الغلام فجاء إليه فنهض إلى نفسه ثم قال له امض معي فمضى معه حتى صار إلى منزله فأدخله الدار وقال لبعض غلمانه يته عندك فإذا أفاق من سكره فأعلمه بما كان منه ولا تدعه ينصرف حتى تأتيني به فلما أفاق ذكر له ما جرى فاستحيا منه وبكى وهم بالانصراف فقال الغلام قد أمر أن تأتيه فأدخله عليه فقال له أما استحييت لنفسك أما استحييت لشرfk أمارتي من ولدك ؟ فاتق الله واتزع عما أنت فيه فبكى الغلام منسكسا رأسه ثم رفع رأسه وقال عاهدت الله تعالى عهدا يسألني عنه يوم القيامة أتى لأعود للرب البيذ ولا شيء مما كنت فيه وأنا نائب فقال ادن مني قبل رأسه وقال أحسنت يا بني فكان الغلام بعد ذلك يلزمه ويكتب عنه الحديث وكان ذلك يركه رفته ثم قال : إن الناس يأمرؤن بالمعروف وينهون عن المنكر ويكون معروفهم منكرا فليكن بالرفق في جميع أموركم تتألون به ما تطلبون . وعن الفتح بن شخرف قال : تعلق رجل بامرأة وقرض لها ويده سكين لا يدنو منه أحد إلا عقره وكان الرجل شديد البدن فيينا الناس كذلك والمرأة تصبح في يده إذ مر بشر بن الحرث فدنا منه وحك كتفه بكف الرجل فوق الرجل على الأرض ومشى بشر فدنا من الرجل وهو يترشح عرقا كثيرا ومضت للمرأة لحالها فسألوه ما حالك ؟ قال ما أدري ولكن حاكني شيخ وقال لي إن الله عز وجل ناظر إليك وإلى ما تعمل فضغفت لقوله قدمي قدمي وهتبه هبة شديدة ولا أدري من ذلك الرجل ؟ فقالوا له هو بشر بن الحرث فقال واسألتاه كيف ينظر إليّ بعد اليوم وحس الرجل من يومه ومات يوم السابع ، فهكذا كانت عادة أهل الدين في الحسبة وقد قلنا فيها آثارا وأخبارا في باب البغض في الله والحب في الله من كتاب آداب الصبغة فلا نطول بالاعادة فهذا عام النظر في درجات الحسبة وآدابها والله الوفاق بكرمه والحمد لله على جميع نعمه .

(الباب الثالث في المنكرات التألوفة في العادات)

فنشير إلى جمل منها ليستدل بها على أمثالها إذ لا مطلق في حصرها واستقصائها . فمن ذلك :

(منكرات الساجد)

اعلم أن المنكرات تنقسم إلى مكروهة وإلى محظورة فإذا قلنا هذا منكر مكروه فاعلم أن المنع منه مستحب والسكوت عليه مكروه وليس بمحرام إلا إذا لم يعلم الفاعل أنه مكروه فيجب ذكره له لأن الكراهة حكم في الشرع يجب تبليغه إلى من لا يعرفه وإذا قلنا منكر محظور أو قلنا منكر مطلقا فنريد به المحظور ويكون السكوت عليه مع القدرة محظورا . فما يشاهد كثيرا في الساجد إساءة الصلاة بترك الطمأنينة في الركوع والسجود وهو منكر مبطل للصلاة بنفس الحديث فيجب النهي عنه إلا عند الحنفى الذى يعتقد أن ذلك لا يمنع صحة الصلاة إذ لا ينفع النهي معه ومن رأى مبيثا في صلاته فسكت عليه فهو شريكه هكذا ورد به الآثار وفي الخبر ما يدل عليه إذ ورد في الحديث أن السمع شريك القائل (١)

رجالهم الأوقات بالقرابات فيترجون بذلك ويروقون لطرفة من كوشف بصرف اليقين من ذلك لكان أن نفسه أسرع إجابة وأسهل اقتيادا وأتم استعدادا والأولون استلين بذلك منهم ما استوعروا واستكشف منهم ما استروا وقد لا يمنع صور ذلك الرهايين والبراهمة عن هو غير منتهج سبل الهدى وراكب طريق الردى ليكون ذلك في حقهم مكررا واستدراجا ليستحسنوا حالهم يستقروا في مقار الطرد والبعث إبقاء لهم فيها أراد الله منهم من العمى والضلال والردى والوبال حتى لا يضتر السالك يسير شوء يفتح له ويسلم أنه

(الباب الثالث في المنكرات التألوفة)

(١) حديث الغتاب والسمع شريكان في الإثم تقدم في الصوم .

وكذلك كل ما يمدح في صحة الصلاة من نجاسة على ثوبه لا يراها أو انحراف عن القبلة بسبب ظلام أو غمي فكل ذلك يجب الحسبة فيه . ومنها قراءة القرآن باللحن يجب النهي عنه ويجب تلقين الصحيح فان كان العتكف في المسجد يضيع أكثر أوقاته في أمثال ذلك ويشغل به عن التطوع والله كره فليستغل به فان هذا أفضل له من ذكره وتطوعه لأن هذا فرض وهي قرينة تمدى فائدتها فهي أفضل من نافلة تقتصر عليه فائدتها وإن كان ذلك عن غم عن الوراثة مثلا أو عن الكسب الذي هو طعمته فان كان معه مقدار كفايته لزمه الاشتغال بذلك ولم يجزله ترك الحسبة لطلب زيادة الدنيا وإن احتاج إلى الكسب لقوت يومه فهو عذر له فيسقط الوجوب عنه لعجزه والذي يكثر اللحن في القرآن إن كان قادرا على التعلم فليمتنع من القراءة قبل التعلم فانه عاص به وإن كان لا يطاوعه اللسان فان كان أكثر ما يقرؤه لحنًا فليتركه وليجتهد في تعلم الفاتحة وتصحيحها وإن كان الأكثر صحيحا وليس يقدر على التسوية فلا بأس له أن يقرأ ولكن ينبغي أن يخفف به الصوت حتى لا يسمع غيره ولعله سرا منه أيضا وجه ولكن إذا كان ذلك منتهى قدرته وكان له أنس بالقراءة وحرص عليها فليست أرى به بأسا والله أعلم . ومنها ترأس المؤذنين في الأذان وتطويلهم بعد كلماته وانحرافهم عن صوب القبلة بجميع الصدر في الجملة أو أفراد كل واحد منهم بأذان ولكن من غير توقف إلى انقطاع أذان الآخر بحيث يضطرب على الحاضرين جواب الأذان لتداخل الأصوات فكل ذلك منكرات مكروهة يجب تعريضها فان صدرت عن معرفة فيستحب النصح منها والحسبة فيها وكذلك إذا كان للمسجد مؤذن واحد وهو يؤذن قبل الصبح فينبغي أن يمنع من الأذان بعد الصبح فذلك مشوش للصوم والصلاة على الناس إلا إذا عرف أنه يؤذن قبل الصبح حتى لا يبول على أذانه في صلاة وترك سجود أو كان معه مؤذن آخر معروف الصوت يؤذن مع الصبح . ومن المكروهات أيضا تكرير الأذان مرة بعد أخرى بعد طلوع الفجر في مسجد واحد في أوقات متعاقبة متقاربة إما من واحد أو جماعة فانه لا فائدة فيه إذ لم يبق في المسجد تأم ولم يكن الصوت مما يخرج عن المسجد حتى يذهب غيره فكل ذلك من المكروهات الخالقة لسنة الصحابة والسلف . ومنها أن يكون الخطيب لابسا ثوبا أسود يغلب عليه الإبريسم أو ممسكا سيف مذهب فهو فاسق والانكار عليه واجب وأما مجرد السواد فليس بمكروه لكنه ليس بمحبوب إذ أحب الثياب إلى الله تعالى البيض ومن قال إنه مكروه وبدعة أراد به أنه لم يكن معهودا في العصر الأول لكن إذا لم يرد فيه شيء فلا ينبغي أن يسمى بدعة ومكروها ولكنه ترك للأحباب . ومنها كلام القصاص والوعاظ الذين يمزجون بكلامهم البدعة بالقاص إن كان يكذب في أخباره فهو فاسق والانكار عليه واجب وكذا الوعاظ للبتدع يجب منعه ولا يجوز حضور مجلسه إلا على قصد إظهار الرد عليه إما لكافة إن قدر عليه أو لبعض الحاضرين حوالة فان لم يقدر فلا يجوز صماع البدعة قال الله تعالى لنبيه - فأعرض عنهم حتى يخوضوا في حديث غيره - ومهما كان كلامه مائلا إلى الإرجاء وتجرئة الناس على المعاصي ، وكان الناس يزدادون بكلامه جرأة وبغفوا الله وبرحمته وثوقا يزيد بسببه رجاؤهم على خوفهم فهو منكر ويجب منعه عنه لأن فساد ذلك عظيم بل لو رجح خوفهم على رجاؤهم فذلك أليق وأقرب بطباع الخلق فاتهم إلى الخوف أحوج وإنما العدل تعديل الخوف والرجاء كما قال عمر رضي الله عنه لو نادى مناد يوم القيامة ليدخل النار كل الناس إلا رجلا واحدا لرجوت أن أكون أنا ذلك الرجل ولو نادى مناد ليدخل الجنة كل الناس إلا رجلا واحدا لحقت أن أكون أنا ذلك الرجل ومهما كان الوعاظ شامرا بمنزلة النساء في ثيابه وهيئته كثير الأسماء والاشارات والحركات وقد حضرت مجلسه النساء فهذا منكر يجب للنوع منه فان الفساد فيه أكثر من الصلاح ويتبين ذلك منه برأى أحواله

لو مشى على الماء والهواء لا ينفعه ذلك حتى يؤدي حتى التوقى والهد فاما من توقي بخيال أو وقع بمحال ولم يحكم أساس خلوته بالاخلاص يدخل الخلوة بالزور ويدخل بالغرور فيرفض العبادات ويستحقرها ويسلبه الله تعالى لذة للعامة وتذهب عن قلبه هيبة الشريعة ويفتضح في الدنيا والآخرة فليعلم الصادق أن القصور من الخلوة التقرب إلى الله تعالى بسارة الأوقات وكف الجوارح عن المكروهات فيصلح لقوم من أرباب الخلوة إدامة الأوراد وتوحيدها على الأوقات ويصلح لقوم ملازمة ذكر واحد

بل لا ينبغي أن يسلم الوعظ إلا لمن ظاهره الورع وحيثه السكينة والوقار وزيه زى الصالحين وإفلا
 بزاد الناس به إلا تماديا في الضلال ويجب أن يضرب بين الرجال والنساء حائل يمنع من النظر فإن
 ذلك أيضا مظنة الفساد والعادات تشهد لهذه المنكرات ويجب منع النساء من حضور الساجد للصلوات
 ومجالس الذكر إذا خيفت الفتنة بين قد منتهين عائشة رضي الله عنها قيل لها : إن رسول الله صلى الله
 عليه وسلم مامتهم من الجماعات فقال لو علم رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أحدثت بعده لمتهن (١)
 وأما اجتياز المرأة في المسجد مستورة فلا يمنع منه إلا أن الأولى أن لا تتخذ المسجد مجازا أصلا وقراءة القرآن
 بين يدي الوعظ مع التقيد والألحان على وجه يغير نظم القرآن ويجاوز حد التنزيل منكر مكروه
 شديد الكراهة أنكره جماعة من السلف . ومنها الخلق يوم الجمعة لبيع الأدوية والأطعمة
 والتعويذات وكقيام السؤال وقراءتهم القرآن وإنشادهم الأشعار وما يجري مجراه فهذه الأشياء منها
 ما هو محرم لكونه تليسا وكذبا كالكذابين من طريقة الأطباء وكأهل الشمبنة والتليسات وكذا
 أرباب التعويذات في الأغلب يتوصلون إلى بيعها بتليسات على الصبيان والسوداء فهذا حرام في المسجد
 وخارج المسجد ويجب المنع منه بل كل بيع فيه كذب وتليس وإخفاء عيب على المشتري فهو حرام .
 ومنها ما هو مباح خارج المسجد كالحياطة وبيع الأدوية والكتب والأطعمة فهذا في المسجد أيضا لا يحرم
 إلا بعارض وهو أن يضيق المحل على الصلطين ويشوش عليهم صلاتهم فإن لم يكن شيء من ذلك فليس
 بحرام والأولى تركه ولكن شرط إباحتها أن يجري في أوقات نادرة وأيام معدودة فإن اتخذ المسجد
 ذكنا على الدوام حرم ذلك ومنع منه فمن الباحات ما يباح بشرط القلة فإن كثرت صار صغيرة كما أن من
 القنوب ما يكون صغيرة بشرط عدم الإصرار فإن كان القليل من هذا لوقوع بابه خفيف منه أن ينجر
 إلى الكثير فليمنع منه وليكن هذا المنع إلى الوالي أو إلى القيم بمصالح المسجد من قبل الوالي لأنه
 لا يدرك ذلك بالاجتهاد وليس للأحد للنسب مما هو مباح في نفسه خوفاً أن ذلك يكثر . ومنها دخول
 المجانين والصبيان والسكران في المسجد ولا بأس بدخول الصبي المسجد إذا لم يلعب ولا يحرم عليه اللعب
 في المسجد ولا السكوت على لعبه إلا إذا اتخذ المسجد لعبا وصار ذلك معتادا فيجب المنع منه فهذا مما يحل
 قليله دون كثيره ، ودليل حل قليله ما روي في الصحيحين « أن رسول الله ﷺ وقف لأجل عائشة رضي الله
 عنها حتى نظرت إلى الحبشة يزفون ويلعبون بالدرق والحرايب يوم العيد في المسجد » ولا شك في أن
 الحبشة لو اتخذوا المسجد لعبا لمنعوا منه ولم يرد ذلك على الندرة والقلة منكر حتى نظريته بل أمرهم به
 رسول الله صلى الله عليه وسلم لتبصرهم عائشة تطيبا لقلبها إذ قال « دونكم بابي أرفدة » كما نقلناه
 في كتاب السماع . وأما المجانين فلا بأس بدخولهم المسجد إلا أن يغشى ثوبهم له أو شتمهم أو نطقهم بما هو
 لغش أو تماطيهما لما هو منكر في صورته ككشف العورة وغيره . وأما المجنون الهادي الساكن الذي قد
 علم بالعادة سكونه وسكوته فلا يجب إخراجه من المسجد والسكران في معنى المجنون فإن خيف منه
 القذف أعنى القذف أو الإبداء باللسان وجب إخراجه وكذا لو كان مضطرب العقل فإنه يخاف ذلك منه
 وإن كان قد شرب ولم يسكر والرائحة منه تفوح فهو منكر مكروه شديد الكراهة وكيف لا ، ومن
 أكل الثوم والبصل (٢) فقد نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن حضور الساجد ولكن يحمل ذلك
 على الكراهة والأمر في الحرأشد . فإن قال قائل ينبغي أن يضرب السكران ويخرج من المسجد زجرا .
 قلنا لا ، بل ينبغي أن يلزم القعود في المسجد ويدعى إليه ويؤمر بترك الشرب مهما كان في الحال عاقلا

ويصلح يقوم دوام
 المراقبة ويصلح يقوم
 الانتقال من الذكر
 إلى الأوراد وقوم
 الانتقال من الأوراد
 إلى الذكر ومعرفة
 مقادير ذلك يسلمه
 للصاحب فليشيخ للطاع
 على اختلاف الأوضاع
 وتنوعها مع نصحه
 للأمة وشفقته على
 الكافة يريد للريد لله
 لالنفسه غير مبتلى
 بهوى نفسه مما
 للاستتباع ومن كان
 محبا للاستتباع لما
 يفسده مثل هذا أكثر
 مما يصلحه .

(الباب الثامن)

والعشرون في كيفية
 الدخول في الأربينية
 روى أن داود عليه
 السلام لما ابتلى بالحطية
 خرقة ساجدا أربعين
 يوما و ليلة حتى أتاه

(١) حديث عائشة لو علم رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أحدثت أي النساء من بعده لمتهن المنكرات
 منكرات الساجد (٢) هذا الحديث لم يخرج في البخاري ومسلم وغيرهما .

فأما ضربه للزجر فليس ذلك إلى الأحاد بل هو إلى الولاة وذلك عند إقراره أو شهادة شاهدين فأما لجرد الراحة فلا ، نعم إذا كان عثى بين الناس متايلا بحيث يعرف سكره فيجوز ضربه في المسجد وغير المسجد منعا له عن إظهار أثر السكر فإن إظهار أثر الفاحشة فاحشة والمعاصي يجب تركها وبعد الفعل يجب سترها وستر آثارها فإن كان مستترا مخفيا لأثره فلا يجوز أن يتجسس عليه والراحة قد تفوح من غير شرب بالجلوس في موضع الحر وبوصوله إلى النعم دون الابتلاع فلا ينبغي أن يعول عليه .

(منكرات الأسواق)

من المنكرات المعتادة في الأسواق الكذب في الرابحة وإخفاء العيب فمن قال اشتريت هذه السلعة مثلا بعشرة وأرج فيها كذا وكان كاذبا فهو فاسق وطى من عرف ذلك أن يخبر المشتري بكذبه فإن سكت مراعاة لقلب البائع كان شريكا له في الحيانة وعصى بسكوته وكذا إذا علم به عيا فليؤمره أن يئنه للمشتري عليه وإلا كان راضيا بضياح مال أخيه للمسلم وهو حرام وكذا التفاوت في الدراع والمكيال والميزان يجب على كل من عرفه تغييره بنفسه أو رفضه إلى الوالى حتى يغيره . ومنها ترك الإيجاب والقبول والاكتفاء بالمعطاة ولكن ذلك في محل الاجتهاد فلا ينكر إلا على من اعتقد وجوبه وكذا في الشروط الفاسدة المعتادة بين الناس يجب الانكار فيها فانها مفسدة للمعقود وكذا في الربويات كلها وهى غالبية وكذا سائر التصرفات الفاسدة . ومنها بيع للالهى وبيع أشكال الحيوانات المصورة في أيام العيد لأجل الصبيان فتلك يجب كسرها والنزع من بيعها كاللاهى وكذلك بيع الآواني المتخذة من الذهب والفضة وكذلك بيع ثياب الحرير وقلاس الذهب والحرير أعنى التى لا تصلح إلا للرجال أو يعلم بعادة البلد أنه لا يلبسه إلا الرجال فكل ذلك منكر محظور وكذلك من يعتاد بيع الثياب المتخذة المصورة التى يلبس على الناس بقصارتها وابتذالها ويؤمر أنها جديدة فهذا الفعل حرام والنزع منه واجب وكذلك تلبس الخرق الثياب بالرؤف وما يؤدى إلى الالتباس وكذلك جميع أنواع العقود المؤدية إلى التلبس وذلك بطول إحصاؤه . فليقتس بما ذكرناه ما لم نذكره .

(منكرات الشوارع)

فمن المنكرات المعتادة فيها وضع الاسطوانات وبناء الدكاك التصلة بالأبنية الملوكة وغرس الأشجار وإخراج الرواشن والأجنحة ووضع الحطب وأحمال الحبوب والأطعمة على الطرق فكل ذلك منكر إن كان يؤدى إلى تعديق الطرق واستضرار للارة وإن لم يؤد إلى ضرر أصلا لسعة الطريق فلا يمنع منه نعم يجوز وضع الحطب وأحمال الأطعمة في الطريق في القدر الذى ينقل إلى البيوت فإن ذلك يشترك في الحاجة إليه الكفاية ولا يمكن النزع منه وكذلك ربط الدواب على الطريق بحيث يضيق الطريق وينجس المجتازين منكر يجب النزع منه إلا بقدر حاجة النزول والركوب وهذا لأن الشوارع مشتركة المنفعة وليس لأحد أن يختص بها إلا بقدر الحاجة والمرعى هو الحاجة التى تراد الشوارع لأجلها في العادة دون سائر الحاجات . ومنها سوق الدواب وعليها الشوك بحيث يعرق ثياب الناس فذلك منكر إن أمكن شدها وضمها بحيث لا تعرق أو أمكن العدول بها إلى موضع واسع والإفلاء منع إذ حاجة أهل البلد تنس إلى ذلك نعم لا تترك ملقاة على الشوارع إلا بقدر مدة النقل ، وكذلك تحميل الدواب من الأحمال ما لا تطيقه منكر يجب منع الملاك منه . وكذلك ذبح القصاب إذا كان يذبح في الطريق حذاء باب الحانوت ويلوث الطريق بالدم فإنه منكر يمنع منه بل حقه أن يتخذ في مكانه مذبحا فإن في ذلك تضيقا بالطريق وإضرارا بالناس بسبب ترشيش النجاسة وبسبب استقدار الطباع للفاذورات وكذلك طرح القمامة

الغفران من ربه وقد

تقرر أن الوحيدة

والعزلة ملاك الأمر

ومتسك أرباب

الصدق فمن استمرت

أوقاته على ذلك فجميع

عمره خلوة وهو الأسلم

لدينه فإن لم يتيسره

ذلك وكان مبتلى

بنفسه أولانم بالأهل

والأولاد ثانيا فليجعل

لنفسه من ذلك نصيبا .

قل عن سفیان

الثورى فيأروى أحمد

ابن حرب عن خالد بن

زيد عنه أنه قال كان

يقال ما أخلص عبده

أربعين صباحا إلا أنبت

الله سبحانه الحكمة

في قلبه وزهده الله

في الدنيا ورغبه

في الآخرة وبصره داء

الدنيا ودواءها فتعاهد

العبد نفسه في كل سنة

على جواد الطرق وتبديده شور البطيخ أورش الماء بحيث يخشى منه التزاق والتضرر كل ذلك من المنكرات وكذلك إرسال الماء من اليازبب المخرجة من الحائط في الطريق الضيقة فإن ذلك ينجس الثياب أو يضيئ الطريق فلا يمنع منه في الطرق الواسعة إذا المدول عنه يمكن فأما ترك مياه المطر والأحوال والتلوج في الطرق من غير كسح فذلك منكر ولكن ليس يختص به شخص معين إلا الثلج الذي يختص بطرحه على الطريق واحد والماء الذي يجتمع على الطريق من ميزاب معين فعلى صاحبه على الخصوص كسح الطريق وإن كان من المطر فذلك حسبة عامة فعلى الولاة تكليف الناس القيام بها وليس للأحاديث إلا الوعظ فقط وكذلك إذا كان له كلب عقور على باب داره يؤذى الناس فيجب منعه منه وإن كان لا يؤذى إلا بتنجيس الطريق وكان يمكن الاحتراز عن نجاسته لم يمنع منه وإن كان يضيئ الطريق ببسط ذراعيه فيمنع منه بل يمنع صاحبه من أن ينالم على الطريق أو يقعد قموذا يضيئ الطريق فكلمه أولى بالمنع .

(منكرات الحمامات)

منها الصور التي تكون على باب الحمام أو داخل الحمام يجب إزالتها على كل من يدخلها إن قدر فإن كان الموضع مرتفعاً لاتصل إليه يده فلا يجوز له الدخول إلا لضرورة فليعدل إلى حمام آخر فإن مشاهدة المنكر غير جائزة ويكفيه أن يشوه وجهها ويبطل به صورتها ولا يمنع من صور الأشجار وسائر النقوش سوى صورة الحيوان . ومنها كشف العورات والنظر إليها ومن جملتها كشف الدلاك عن الفخذ وما تحت السرة لتحية الوسخ بل من جملتها ادخال اليد تحت الإزار فإن مس عورة الغير حرام كالنظر إليها . ومنها الانبطاح على الوجه بين يدي الدلاك لتفخيز الأفعاذ والأعجاز فهذا مكروه إن كان مع حائل ولكن لا يكون محظوراً إذ لم يخش من حركة الشهوة وكذلك كشف العورة للجماع القمى من الفواحش فإن المرأة لا يجوز لها أن تكشف بدنيتها للذمية في الحمام فكيف يجوز لها كشف العورات للرجال . ومنها غمس اليد والأواني النجسة في المياه القليلة وغسل الإزار والطاس النجس في الحوض وماؤه قليل فإنه منجس للماء إلا على مذهب مالك فلا يجوز الإنكار فيه على المالكية ويجوز على الحنفية والشافعية وإن اجتمع مالكي وشافعي في الحمام فليس للشافعي منع المالكي من ذلك إلا بطريق الالتماس واللفظ وهو أن يول له إن احتاج أن تغسل اليد أولاً ثم تغمسها في الماء وأما أنت فمستثنى عن إيدائي وتقويت الطهارة على وما يجري مجرى هذا فإن مظان الاجتهاد لا يمكن الحسبة فيها بالتهير . ومنها أن يكون في مداخل بيوت الحمام ومجاري مياهها حجارة مساءمة مزلة يزلق عليها الغافلون فهذا منكر ويجب قلمه وإزالته وينكر على الحمامي إهماله فإنه يفضى إلى السقطة وقد تؤدي السقطة إلى انكسار عضو أو انخلاعه وكذلك ترك الصدر والصابون الزلق على أرض الحمام منكر ومن فعل ذلك وخرج وتركه فزلق به إنسان وانكسر عضو من أعضائه وكان ذلك في موضع لا يظهر فيه بحيث يتعذر الاحتراز عنه فالضمان متردد بين الذي تركه وبين الحمامي إذ حقه تنظيف الحمام والوجه إيجاب الضمان على تاركه في اليوم الأول وعلى الحمامي في اليوم الثاني إذ إعادة تنظيف الحمام كل يوم معتادة والرجوع في مواقيت إعادة التنظيف إلى العادات فليعتبر بها وفي الحمام أمور أخرى مكروهة ذكرناها في كتاب الطهارة فلتنظر هناك .

(منكرات الضيافة)

فمنها فرش الحرير للرجال فهو حرام وكذلك تبخير البخور في محبرة فضة أو ذهب أو الشراب أو استعمال ماء الورد في أواني الفضة أو ما رؤوسها من فضة . ومنها إسدال الستور وعليها الصور . ومنها صناع الأوتار أو صناع القينات . ومنها اجتماع النساء على السطوح للنظر إلى الرجال مهما كان في الرجال

مرة وأما للريد الطالب إذا أراد أن يدخل الخلوة فأكمل الأمر في ذلك أن يتجرد من الدنيا ويخرج كل ما يملكه ويستسل غسلاً كاملاً بعد الاحتياط للثوب وللصلى بالنظافة والطهارة ويصلى الركعتين ويتوب إلى الله تعالى من ذنوبه يكاء وتضرع واستكانة وتخضع ويسوى بين السريرة العلانية ولا ينطوى على غل وغش وحقد وحسد وخيانة ثم يقعد في موضع خلوته ولا يخرج إلا لصلاة الجمعة وصلاة الجماعة فترك المحافظة على صلاة الجماعة غلط وخطأ فإن وجد نفرقة في خروجه يكون له شخص يصلي معه جماعة

دياب يخاف الفتنة منهم فكل ذلك محظور منكر يجب تغييره ومن يحجز عن تغييره لزمه الخروج ومن لم يحجز له الجلوس فلا رخصة له في الجلوس في مشاهدة المنكرات وأما الصور التي على النمارق والزرايا الفروشة فليس منكرها وكذلك على الأطباق والتصاع لا الأواني المتخذة على شكل الصور فقد تكون رؤوس بعض الجوامر على شكل طير فذلك حرام يجب كسر مقدار الصورة منه وفي المسكحة الصغيرة من الفضة خلاف وقد خرج أحمد بن حنبل عن الضيافة بسببها ومهما كان الطعام حراما أو كان الموضع منصوبا أو كانت الثياب الفروشة حراما فهو من أشد المنكرات فإن كان فيها من يتعاطى شرب الخمر وحده فلا يجوز الحضور إذ لا يحل حضور مجالس الشرب وإن كان مع ترك الشرب ولا يجوز مجالسة الفاسق في حالة مباشرته للفسق وإنما النظر في مجالسته بعد ذلك وأنه هل يجب بغضه في الله ومقاطعته كما ذكرناه في باب الحب والبغض في الله وكذلك إن كان فيهم من يلبس الحرير أو خاتم الذهب فهو فاسق لا يجوز الجلوس معه من غير ضرورة فإن كان الثوب على صبي غير بالغ فهذا في محل النظر والصحيح أن ذلك منكر ويجب نزع عنه إن كان مجرما لمعوم قوله عليه السلام «هذان حرام على ذكور أمتي»^(١) وكما يجب منع الصبي من شراب الخمر لا لكونه مكلفا ولكن لأنه يأنس به فإذا بلغ عسر عليه الصبر عنه فكذلك شهوة الزين بالحرير قلب عليه إذا اعتاده فيكون ذلك بذرا الفساد يئثر في صدره فثبت منه شجرة من الشهوة راسخة يصير قلعا بعد البلوغ أما الصبي الذي لا يميز فيضغف معنى التحريم في حقه ولا يخلو عن احتمال العلم عند الله فيه والمجنون في معنى الصبي الذي لا يميز نعم يحل الزين بالذهب والحرير للنساء من غير إسراف ولا أرى رخصة في تنقيب أذن الصبية لأجل تطبيق حلق الذهب فيها فإن هذا جرح مؤلم ومثله موجب للقصاص فلا يجوز إلا الحاجة مهيمة كالقصد والحجامة والحتان والزين بالخلق غير مهم بل في التفريط بتعليقه على الأذن وفي المخانق والأسورة كفاية عنه فهذا وإن كان معتادا فهو حرام وللتنع منه واجب والاستنجار عليه غير صحيح والأجرة الأخوذة عليه حرام إلا أن ثبت من جهة الثقل فيه رخصة ولم يسلطنا إلى الآن فيه رخصة. ومنها أن يكون في الضيافة مبتدع يتكلم في بدعته فيجوز الحضور لمن يقدر على الرد عليه على عزم الرد فإن كان لا يقدر عليه لم يحجز فإن كان البتدع لا يتكلم يدعته فيجوز الحضور مع إظهار الكراهة عليه والإعراض عنه كما ذكرناه في باب البغض في الله وإن كان فيها مضحك بالحكايات وأنواع النوادر فإن كان يضحك بالفحش والكذب لم يحجز الحضور وعند الحضور يجب الانكار عليه وإن كان ذلك بمنزلة لا كذب فيه ولا فحش فهو مباح أعنى ما يقل منه فأما تخافه صنعة وعادة فليس بمباح وكل كذب لا يخفى أنه كذب ولا يقصد به التلبيس فليس من جملة المنكرات كقول الإنسان مثلا طلبتك اليوم مائة مرة وأعدت عليك الكلام ألف مرة وما يجري مجراه مما يعلم أنه ليس يقصد به التحقيق فذلك لا يهدح في العدالة ولا ترد الشهادة به وسيأتي حد المزاج المباح والكذب المباح في كتاب آفات اللسان من ربيع المهلكات. ومنها الإسراف في الطعام والبناء فهو منكر بل في المال منكران: أحدهما الإضاعة والآخر الإسراف فالإضاعة تفويت مال بلا فائدة يعتد بها كاحراق الثوب وتمزيقه وهدم البناء من غير غرض واتقاء المال في البحر وفي معناه صرف المال إلى النافعة والمطرب وفي أنواع الفساد لأنها فوائد محرمة شرعا فصارت كالمعدومة وأما الإسراف فتعدي يطلق لإرادة صرف المال إلى النافعة والمطرب والمنكرات وقد يطلق على الصرف إلى المباحات في جنسها ولكن مع المبالغة والمبالغة تختلف بالاضافة إلى الأحوال فنقول لمن لم يملك إلا مائة دينار مثلاً ومنعه عياله وأولاده

(١) حديث هذان حرامان على ذكور أمتي أبو داود والنسائي وابن ماجه من حديث على وقد تقدم في الباب الرابع من آداب الأكل.

في خلوة ولا ينبغي أن يرضى بالصلاة منفردا ألبتة فترك الجماعة يخفى عليه آفات وقد رأينا من يتشوش عقله في خلوته ولعل ذلك يشؤم إصراره على ترك صلاة الجماعة غير أنه ينبغي أن يخرج من خلوته لصلاة الجماعة وهو ذكر لا يفتر عن الذكر ولا يكثر إرسال الطرف إلى ما يرى ولا يضي إلى ما يسمع لأن القسوة الحافظة والتخلة كلوح ينتش بكل حرق ومسموع فيكثر بذلك الوسواس وحديث النفس والخيال ويجتهد أن يحضر الجماعة بحيث يدرك مع الإمام تكبيرة الاحرام فأفاسم الإمام وانصرف ينصرف إلى خلوته يتق في خروجه

ولا ممشة لهم سواء فأنفق الجميع في ولاية فهو مسرف يجب منعه منه قول تعالى - ولا تبسطها كل البسط فتعند ملوما محسورا - نزل هذا في رجل بالمدينة قسم جميع ماله ولم يبق شيئا له ياله فطولب بالنفقة فلم يقدر على شيء وقال تعالى - ولا تبذر تبذيرا إن البذرين كانوا إخوان الشياطين - وكذلك قال عز وجل - والذين إذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا - فمن يسرف هذا الاسراف ينكر عليه ويجب على القاضي أن يحجر عليه إلا إذا كان الرجل وحده وكان له قوة في التوكل صادقة فله أن ينفق جميع ماله في أبواب البر ومن له عيال أو كان عاجزا عن التوكل فليس له أن يتصدق بجميع ماله وكذلك لو صرف جميع ماله إلى نقوش حيطانه وزين بيانه فهو أيضا إسراف محرم وفعل ذلك ممن له مال كثير ليس بحرام لأن التزيين من الأغراض الصحيحة ولم نزل المساجد زين وتنقش أبوابها وسقوفها مع أن نقش الباب والسقف لا فائدة فيه إلا مجرد الزينة فكذا الدور وكذلك القول في التجميل بالثياب والأطعمة فذلك مباح في جنسه ويصير إسرافا باعتبار حال الرجل وثروته وأمثال هذه النكرات كثيرة لا يمكن حصرها فقس بهذه النكرات الجامع ومجالس القضاة ودواوين السلاطين ومدارس الفقهاء ورباطات الصوفية وخانات الأسواق فلا تخلو بقعة عن منكر مكروه أو محذور . واستقصاء جميع النكرات يستدعي استيعاب جميع تفاصيل الشرع أصولها وفروعها فلنقتصر على هذا القدر منها.

(النكرات العامة)

اعلم أن كل قاعد في بيته أينما كان فليس خاليا في هذا الزمان عن منكر من حيث التقاعد عن ارشاد الناس وتعليمهم وحملهم على العروف فأكثر الناس جاهلون بالشرع في شروط الصلاة في البلاد فكيف في القرى والبادي ومنهم الأعراب والأكراد والتركمانية وسائر أصناف الخلق وواجب أن يكون في كل مسجد ومحلة من البلد قه يعلم الناس دينهم وكذا في كل قرية وواجب على كل قه فرغ من فرض عبته وتفرغ لفرض الكفاية أن يخرج إلى من يجاور بلده من أهل المواد ومن العرب والأكراد وغيرهم ويعلمهم دينهم وفرائض شرعهم ويستصحب مع نفسه زادا يأكله ولا يأكل من أطعمتهم فإن أكثرهم فاصوب فإن قام بهذا الأمر واحد سقط الحرج عن الآخرين وإلا غم الحرج الكافة أجمعين أما العالم فلتقصيره في الخروج وأما الجاهل فلتقصيره في ترك التعلم وكل عاى عرف شروط الصلاة فعليه أن يعرف غيره وإلا فهو شريك في الإثم ومعلوم أن الإنسان لا يولد عالما بالشرع وإنما يجب التبليغ على أهل العلم فكل من تعلم مسألة واحدة فهو من أهل العلم بها ولعمري الإثم على الفقهاء أشد لأن قدرتهم فيه أظهر وهو بصاعتهم أليق ، لأن المحترفين لو تركوا حرفة لم يطلت العايش فهم قد تقلدوا أمرا لا بد منه في صلاح الخلق وشأن الفقيه وحرفته تبليغ ما بلغه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فإن الطلاء هم ورثة الأنبياء وليس للإنسان أن يقعد في بيته ولا يخرج إلى المسجد لأنه يرى الناس لا يحسنون الصلاة بل إذا علم ذلك وجب عليه الخروج للتعليم والنهي وكذا كل من يتيقن أن في السوق منكرًا يجري على الدوام أو في وقت بعينه وهو قادر على تغييره فلا يجوز له أن يسقط ذلك عن نفسه بالعود في البيت بل يلزمه الخروج فإن كان لا يقدر على تغيير الجميع وهو محتز عن مشاهدته ويقدر على البعض لزمه الخروج لأن خروجه إذا كان لأجل تغيير ما يقدر عليه فلا يضره مشاهدة ما لا يقدر عليه وإنما يمنع الحضور لمشاهدة المنكر من غير عرض صحيح فحق على كل مسلم أن يبذل نفسه فيصلحها بالمواظبة على الفرائض وترك المحرمات ثم يعلم ذلك أهل بيته ثم يتعدى بعد الفراغ منهم إلى جيرانه ثم إلى أهل محله ثم إلى أهل بلده ثم إلى أهل السواد المكتشف يبلده ثم إلى أهل البوادي من الأكراد والعرب وغيرهم وهكذا إلى أقصى العالم فإن قام به الأدنى سقط عن الأبعد وإلا حرج به على كل قادر عليه قريبا

استجلاء نظر الخلق إليه وعلمهم بحلوسه في خلوته قيد قيل لا تطمع في المنزلة عند الله وأنت تريد للمنزلة عند الناس وهذا أصل يتهدد به كثير من الأعمال إذا أهمل وينصلح به كثير من الأحوال إذا اعتبر ويكون في خلوته جاهلا وقته شيئا واحدا موهوبا فبادامة فعل الرضا إماتلاوة أو ذكر أو صلاة أو مراقبة وأي وقت فتر عن هذه الأنعام ينال فإن أراد تعيين أعداد من الركعات ومن التلاوة والذكر أتى بذلك شيئا فشيئا وإن أراد أن يكون بحكم الوقت يعتمد أخف ما على قلبه من هذه الأنعام فإذا قرع عن ذلك ينال وإن

كان أو بعيدا ولا يسقط الحرج مادام يبقى على وجه الأرض جاعل جرح من فروض دينه وهو قادر على أن يسعى إليه بنفسه أو غيره فيعلمه فرضه وهذا فعل شاغل لمن بهمه أمر دينه يشغله عن تجرئة الأوقات في التفرجات النادرة والتعق في دقائق الصلوات التي هي من فروض الكفايات ولا يتقدم على هذا إلا فرض عين أو فرض كفاية هو أهم منه .

(الباب الرابع في أمر الأمراء والولاة بالمعروف ونهيهم عن المنكر)

قد ذكرنا درجات الأمر بالمعروف وأن أوله التمرض بآية الوعظ وتلك التخصيص في القول بوجوبه للنع بالهجر في الحلق على الحق بالضرب والقوة والجأز من جملة ذلك مع السلاطين الثبتان الأوليان وهما التعريف والوعظ وأما النع بالهجر فليس ذلك لأحد الرعية مع السلطان فإن ذلك يحرك الفتنة ويهيج الشر ويكون مايتولد منه من المفسد أكثر ، وأما التخصيص في القول كقوله : يا ظالم لا تخاف الله وما يجري مجراه فذلك إن كان يجري مجراه فتنة يتعدى شرها إلى غيره لم يجز ولأن كان لا يخاف إلا على نفسه فهو جائز بل مندوب إليه فلقد كان من عادة السلف التمرض لأخطاروا التصريح بالانكار من غير مبالاة بولاك اللهجة والتمرض لأنواع العذاب لهم بأن ذلك شهادة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « خير الشهداء حمزة بن عبد المطلب ثم رجل قام إلى إمام فأمره ونهاه في ذات الله فقتله على ذلك (١) » وقال عليه « أفضل الجهاد كلمة حق عند سلطان جائر (٢) » ووصف النبي صلى الله عليه وسلم عمر بن الخطاب رضي الله عنه فقال « قرن من حديد لا تأخذه في العلم لومة لائم وترك قوله الحق ماله من صديق (٣) » ولما علم الصليبيون في الدين أن أفضل الكلام كلمة حق عند سلطان جائر وأن صاحب ذلك إذا قتل فهو شهيد كقوله في الأخبار قسموا على ذلك موطنين أنفسهم على الملائكة عتلمين أنواع العذاب وصار بن عليه في ذات الله تعالى ومجتسبين لما يبدلون من مهجهم عند الله وطريق وعظ السلاطين وأمرهم بالمعروف ونهيهم عن المنكر ما نقل علماء السلف . وقد أوردنا جملة من ذلك في باب الدخول على السلاطين في كتاب الحلال والحرام وتقتصر الآن على حكايات تعرف وجه الوعظ وكيفية الانكار عليهم . فلما مروى من إنكار أبي بكر الصديق رضي الله عنه على أكار قريش حين قصدوا رسول الله صلى الله عليه وسلم بالسوء وذلك ما روى عن عروة رضي الله عنه قال « قلت لبيد الله بن عمرو ما أكثر ما رأيت قريشا تالت من رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما كانت تظهر من عداوته فقال حضرتهم وقد اجتمع أشرفهم يوما في الحجر فذكروا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا ما رأينا مثل ما صبرنا عليه من هذا الرجل منه أحلامنا وشم آباءنا وعبادتنا وفرق جماعتنا وسب آلنا وقد صبرنا منه على أمر عظيم أو كما قالوا فيناهم في ذلك إذ طلع عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فأقبل يمشي حتى استلم الزكن ثم مر بهم طائفا بالبيت فلما مر بهم غمزوه ببعض القول

(الباب الرابع في أمر الأمراء والولاة بالمعروف ونهيهم عن المنكر)

(١) حديث خير الشهداء حمزة بن عبد المطلب ثم رجل قام إلى رجل فأمره ونهاه في ذات الله فقتله على ذلك الحاكم من حديث جابر وقال صحيح الإسناد وتقدم في الباب قبله (٢) حديث أفضل الجهاد كلمة حق عند سلطان جائر تقدم (٣) حديث وصفه صلى الله عليه وسلم عمر بن الخطاب بأنه قرن من حديد لا تأخذه في العلم لومة لائم تركه الحق ماله من صديق الترمذي بسند ضعيف مقتصر على آخر الحديث من حديث على رحم الله عمر يقول الحق وإن كان مرا تركه الحق وماله من صديق وأما أول الحديث فرواه الطبراني إن عمر قال لكعب الأبحار كيف نجد نعي ، قال أجد نعتك قرنا من حديد قال وما قرن من حديد قال أمير شديد لا تأخذه في العلم لومة لائم .

قال ففرفت ذلك في وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم مضى فلما مرت بهم الثانية غمزوه بمثلها ففرفت ذلك في وجهه عليه السلام ثم مضى لمر بهم الثالثة فغمزوه بمثلها حتى وقف ثم قال أسمعوني يا معشر قريش : أما والذي نفسي محمد بيده لقد جئتكم بالذبح قال فأتى القوم حتى قام بهم رجل إلا كأنما طلى رأسه طائر واقع حتى إن أشدتم فيه وطأة قبل ذلك ليرفؤه بأحسن ما يجدر من القول حتى إنه ليقول انصرف يا أبا القاسم راهدا فوالله ما كنت جهولا قال فانصرف رسول الله ﷺ حتى إذا كان من القدر اجتمعوا في الحبر وأنا معهم فقال بعضهم لبعض ذكرتم ما بلغ منكم وما بلغكم عنه حتى إذا بدأكم بما تكرهون تركتموه فبيناهم في ذلك إذ طلع رسول الله صلى الله عليه وسلم فوثبوا إليه وثبة رجل واحد فأحاطوا به يقولون : أنت الذي تقول كذا أنت الذي تقول كذا لما كان قد بلغهم من عيب آلهم ودنهم قال فيقول رسول الله صلى الله عليه وسلم نعم أنا الذي أقول ذلك قال فلقد رأيت رجلا منهم أخذ بجميع رداؤه قال وقام أبو بكر الصديق رضي الله عنه دونه يقول وهو يسكن ويلكم أفتلون رجلا أن يقول ربي الله قال ثم انصرفوا عنه وإن ذلك لأشد ما رأيت قريشا بلغت منه ^(١) وفي رواية أخرى عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال « بينا رسول الله صلى الله عليه وسلم بفناء الكعبة إذ أقبل عقبة بن أبي معيط فأخذ بمنكب رسول الله ﷺ فلف ثوبه في عنقه فغفقه خنقا فهدبا لجاء أبو بكر فأخذ بمنكبه ودفعه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال : أفتلون رجلا أن يقول ربي الله وقد جاءكم بالبيئات من ربكم ^(٢) » وروى أن معاوية رضي الله عنه حبس المطاء فقام إليه أبو مسلم الحولاني فقال له يا معاوية إنه ليس من كذا ولا من كذا أيك ولا من كذا أمك قال فغضب معاوية ونزل عن المنبر وقال لهم مكانكم ، وغاب عن أعينهم ساعة ثم خرج عليهم وقد اغتسل فقال إن أبا مسلم كفى بكلام أغضبني وإني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « الغضب من الشيطان والشيطان خلق من النار وإنما تطفأ النار بالماء فإذا غضب أحدكم فليغتسل ^(٣) » وإني دخلت فاغتسلت وصدق أبو مسلم أنه ليس من كذا ولا من كذا أي فلهوا إلى عطائكم . وروى عن ضبة بن محسن العنزي قال كان علينا أبو موسى الأشعري أميراً بالبصرة فكان إذا خطبنا حمد الله وأثنى عليه وصلى على النبي صلى الله عليه وسلم وأنشأ يدعو لعمر رضي الله عنه قال فقاطني ذلك فنهضت فقلت له أين أنت من صاحبة فضله عليه ففصنع ذلك جعاً ثم كتب إلى عمر يشكوني يقول إن ضبة بن محسن العنزي يتعرض لي في خطبتي فكتب إليه عمر أن أشخصه إلى قال فأشخصني إليه فقدمت فضربت عليه الباب فخرج إلى قال من أنت قلت أنا ضبة فقال لي لا مرحبا ولا أهلا قلت أما المرحب فمن الله وأما الأهل فلا أهلي ولا مال فبأذا استحللت يا عمر إشخاصي من مصري بلا ذنب أذنبته ولا شيء أنته قتاله ما الذي شجر بينك وبين عاملي قال قلت الآن أخبرك به إنه كان إذا خطبنا حمد الله وأثنى عليه وصلى على النبي صلى الله عليه وسلم ثم أنشأ يدعو لك فقاطني ذلك فنهضت فقلت له أين أنت من صاحبة فضله عليه ففصنع ذلك جعاً ثم كتب إليك يشكوني قال فاندفع عمر رضي الله عنه باكياً وهو يقول أنت والله أوفى منه وأرشد فهل أنت غافر لي ذنبي يغفر الله لك قال قلت غفر الله لك يا أمير المؤمنين قال

والخولة فالأولى أن يقتنع بالحبر والمخ ويتناول كل ليحترطوا واحدا بالبندادي يتناوله بعد المشاء الآخرة وإن قسمه نصفين يأكل أول الليل نصف رطل وآخر الليل نصف رطل فيكون ذلك أخف للمعدة وأعون على قيام الليل وإحيائه بالدهن والصلاة وإن أراد تأخير فطوره إلى السحر فليفعل وإن لم يصبر على ترك الإدام يتناول الإدام وإن كان الإدام شيئا يقوم مقام الحبر يتقص من الحبر بقدر ذلك وإن أراد التقليل من هذا القدر أيضا ينقص كل ليلة دون القصة بحيث ينتهي قلبه في العشر الأخير من الأربعين

(١) حديث عزرة قلت لعبد الله بن عمرو ما أكثر ما رأيت قريشا نالت من رسول الله صلى الله عليه وسلم فبأ كانت تظهر من عداوته الحديث بطوله البخاري مختصراً وابن جابر بن عامر (٢) حديث عبد الله بن عمرو بينا رسول الله صلى الله عليه وسلم بفناء الكعبة إذ أقبل عقبة بن أبي معيط فأخذ بمنكب رسول الله صلى الله عليه وسلم الحديث رواه البخاري (٣) حديث معاوية الغضب من الشيطان الحديث وفي أوله قصة أبو نعيم في الحلية وفيه من لا أعرفه .

ثم اندفع بأبيا وهو يقول والله ليلة من أبي بكر ويوم خير من عمر وآل عمر فهل لك أن أحدثك بليته ويومه قلت نعم قال أما ليلة فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما أراد الخروج من مكة هاربا من المشركين خرج ليلا فقبه أبو بكر فجعل يمشي مرة أمامه ومرة خلفه ومرة عن يمينه ومرة عن يساره فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما هذا يا أبا بكر ما أعرف هذا من أهلك فقال يا رسول الله أذكر الرصد فأكون أمامك وأذكر الطلب فأكون خلفك ومرة عن يمينك ومرة عن يسارك لا آمن عليك قال فمشى رسول الله صلى الله عليه وسلم ليته على أطراف أصابعه حتى خفيت فلما رأى أبو بكر أنها قد خفيت حمله على عاتقه وجعل يشتد به حتى أتى قم القار فأنزله ، ثم قال والذي يميتك بالحق لا تدخله حتى أدخله فإن كان فيه شيء نزل بي قبلك قال فدخل فلم يرفه شيئا فجعله فأدخله وكان في القار خرق فيه حبات وأفاع فألقه أبو بكر قدمه مخافة أن يخرج منه شيء إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فيؤذيه وجعلن يضربن أبا بكر في قدمه وجعلت دموعه تتحدر على خديه من ألم ما يجد ورسول الله ﷺ يقول يا أبا بكر لا تعزن إن الله معنا فأنزل الله سكينته عليه والطمأنينة لأبي بكر فهذه ليته ، وأما يومه فماتتوفى رسول الله صلى الله عليه وسلم ارتدت العرب فقال بعضهم نعلني ولا تزكي فأنيت لا آلوهم نصحا فقلت يا خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم تألف الناس وارتفق بهم فقال لي أجبنا في الجاهلية خوار في الإسلام فبماذا أنالهم قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم وارتفع الوحي فوالله لو منعوني عقلا كانوا يبطونه رسول الله صلى الله عليه وسلم لقاتلتهم عليه قال فقاتلنا عليه فكان والله رشيد الأمر فهذا يومه ثم كتب إلى أبي موسى يَوْمَهُ (١) . وعن الأصمعي قال دخل عطاء بن أبي رباح على عبد الملك بن مروان وهو جالس على سريرته وحواليه الأشراف من كل بطن وذلك بمكة في وقت حجه في خلافته فلما بصر به قام إليه وأجلسه معه على السرير وقعد بين يديه وقال له يا أبا محمد ما حاجتك ؟ فقال يا أمير المؤمنين اتق الله في حرم الله وحرم رسوله فتعاهد بالصمارة واتق الله في أولاد المهاجرين والأنصار فانك بهم جلست هذا المجلس واتق الله في أهل الثغور فانهم حصن المسلمين وتفقد أمور المسلمين فانك وحدك السئول عنهم واتق الله فيمن على بابك فلا تغفل عنهم ولا تغلق بابك دونهم فقال له أجل أفعل ثم نهض وقام فقبض عليه عبد الملك فقال يا أبا محمد إنما سألتنا حاجة لغيرك وقد قضيناها فما حاجتك أنت ؟ فقال مالي إلى مخلوق حاجة ثم خرج فقال عبد الملك : هذا وأبيك الشرف . وقد روى أن الوليد بن عبد الملك قال لحاجبه يوما قف على الباب فإذا مر بك رجل فأدخله على ليحدثني فوقفت للحاجب على الباب مدة فتربه عطاء بن أبي رباح وهو لا يعرفه فقال له يا شيخ أدخل إلى أمير المؤمنين فإنه أمر بذلك فدخل عطاء على الوليد وعنده عمر بن عبد العزيز فلما دنا عطاء من الوليد قال السلام عليك يا وليد قال فضرب الوليد على حاجبه وقال له وبلك أمرتك أن تدخلني إلى رجلا يحدثني ويسامرنى فأدخلني رجلا لم يرش أن يسميني بالاسم الذي اختاره لي الله فقال له حاجبه ما مر بي

(١) حدثت ضبة بن محسن كان علينا أبو موسى الأشعري أميرا بالبصرة وفيه عن عمر أنه قال والله ليلة من أبي بكر ويوم خير من عمر وآل عمر فهل لك أن أحدثك بيومه وليته فذكر ليلة الهجرة ويوم الردة بطوله رواه البيهقي في دلائل النبوة باسناد ضعيف هكذا وقصة الهجرة رواها البخاري من حديث عائشة بنير هذا السياق واتفق عليها الشيخان من حديث أبي بكر بلهظ آخر ولهما من حديثه قال قلت يا رسول الله لو أن أحدهم نظر إلى قدميه أبصرنا تحت قدميه فقال يا أبا بكر ما ظنك باثنين الله ثالثهما وأما قتاله لأهل الردة ففي الصحيحين من حديث أبي هريرة لما توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم واستخلف أبو بكر وكثر من كفر من العرب قال عمر لأبي بكر كيف تقاتل الناس الحديث.

إلى نصف رطل وإن قوى فقسق النفس بنصف رطل من أول الأربعين وتقص يسيرا كل ليلة بالتدريج حتى يعود فطوره إلى ربيع رطل في العشر الأخير . وقد اتفق مشايخ الصوفية على أن بناء أمرهم على أربعة أشياء : قلة الطعام وقلة المنام وقلة الكلام والاعتزال عن الناس وقد جعل للجوع وقتان : أحدهما آخر الأربع والعشرين ساعة فيكون من الرطل لكل ساعتين أوقية بأكلة واحدة يعملها بسد المشاء الآخرة أو يقسمها أكلتين كما ذكرنا والوقت الآخر على رأس اثنتين وسبعين ساعة فيكون الطهي

أحد غيره ثم قال لطاء اجلس لم أقبل عليه يحدثه فيمكن فيها حديثه عطاء أن قال له بلغنا أن في جهنم واديا يقال له هيب أعداء الله لكل إمام جائر في حكمه ضيق الوليد من قوله وكان جالسا بين يدي عتبة باب المجلس فوقع على قفاه إلى جوفه المجلس منشيا عليه فقال عمر لطاء قلت أمير المؤمنين فقبض عطاء على ثراخ عمر بن عبد العزيز فغرز غمزة شديدة وقال له يا عمر إن الأمر جد فجد ثم قام عطاء وانصرف فبلغنا عن عمر بن عبد العزيز رحمه الله أنه قال مكثت سنة أجد ألم غمزته في ذراعي . وكان ابن أبي عميلة يوصف بالقل والأدب فدخل على عبد الملك بن مروان فقال له عبد الملك تسكلم قال بيم أنكلم وقد علمت أن كل كلام تسكلم به التسكلم عليه وبال . إلا ما كان لله فبكى عبد الملك ثم قال يرحمك الله لم يزل الناس يتواظفون ويتواصون فقال الرجل يا أمير المؤمنين إن الناس في القيامة لا ينجون من غصص مزارتها ومعاينة الردى فيها إلا من أراضى الله بسخط نفسه فبكى عبد الملك ثم قال لا جرم لأجلن هذه الكلمات مثالا نصب عيني ما عشت ، ويروي عن ابن عائقة أن الحجاج دعا بفقهاء البصرة وقهء الكوفة فدخلنا عليه ودخل الحسن البصري رحمه الله آخر من دخل قال الحجاج مرحبا بآبى سعيد إلى . ثم دعا بكرسى فوضع إلى جنب سريره فعمد عليه فجعل الحجاج يذاكرنا ويسألنا إذ ذكر على بن أبي طالب رضى الله عنه فقال منه وثلاثه مقاربة له وفرقا من شره والحسن ساكت غاض على إبهامه فقال يا أباسعيد مالى أراك ساكتا قال ما عسيت أن أقول قال أخبرني برأيك في أبي تراب قال سمعت الله جل ذكره يقول - وما جعلنا القبلة التي كنت عليها إلا لنعلم من يتبع الرسول ممن ينقلب على عقبيه وإن كانت لكبيرة إلا لى الدين هدى الله وما كان الله ليضيع إيمانكم إن الله بالناس لرؤوف رحيم - فلى بمن هدى الله من أهل الإيمان فأقول ابن عم النبي عليه السلام وختنه على ابنته وأحب الناس إليه وصاحب سوايق مباركاته سبقت له من الله لن تستطيع أنت ولا أحد من الناس أن يعطرها عليه ولا يحول بينه وبينها وأقول إن كانت لى هناة فله حصبه والله ما أجد فيه تولا أعدل من هذا فبسر وجه الحجاج وتغير وقام عن السرير مضطبا فدخل بيتا خلفه وخرجنا . قال عامر الشعبي فأخذت بيد الحسن فقلت يا أباسعيد أغضبت الأمير وأوغرت صدره فقال إليك عنى يا عامر يقول الناس عامر الشعبي عالم أهل الكوفة أنتيت شيطانا من عياطين الإنس تكلمه بهواه وتجاربه في رأيه وبحك يا عامر هلا أتيت إن مثلت فصدعت أو سكت فسلمت قال عامر يا أباسعيد قد قلتها وأنا أعلم ما فيها قال الحسن فذاك أعظم فى الحجة عليك وأشد فى التبعة قال وبست الحجاج إلى الحسن فلما دخل عليه قال أنت الذى تقول قاتلهم الله قتلوا عباد الله على الدينار والدرهم قال نعم قال ما حملك على هذا قال ما أخذ الله على العلماء من لأوائق - ليبيخته للناس ولا يكتمونه - قال يا حسن أمسك عليك لسانك وإياك أن يلقى عنك ما أكره فأفرق بين رأسك وجسدك . وحكى أن حطيطا الزيات جرى به إلى الحجاج فلما دخل عليه قال أنت حطيط قال نعم قال سل عما بدا لك لاني عاهدت الله عند النقام على ثلاث خصال إن مثلت لأصدقن وإن ابتليت لأصبرن وإن عوفيت لأشكرن قال فقامتقول في قال أقول إنك من أعداء الله فى الأرض تشبهك المحارم وتقتل بالظنة قال فقامتقول فى أمير المؤمنين عبد الملك بن مروان قال أقول إنه أعظم جرم ما منك وإنما أنت خطيئة من خطاياهم قال فقال الحجاج ضموا عليه المذاب قال فأتتهى به العذاب إلى أن شقق له القصب ثم جعلوا على لحمه وشدوه بالحبال ثم جعلوا يمدون قصبه قصبه حتى استحلوا لحمه فاصعوه يقول شيئا قال فقيل للحجاج إياه فى آخر رمق فقال أخرجوه فارسوا به فى السوق قال جعفر فأتيته أنا وصاحب له فقلنا له حطيط ألك حاجة قال شربة ماء فأتوه بشربة ثم مات وكان ابن ثمان عشرة سنة رحمه الله عليه . وروى أن عمر بن هبيرة دعا بفقهاء أهل البصرة وأهل الكوفة وأهل

ليتين والانطار فى
الليلة الثالثة ويكون
لكل يوم وليلة ثلث
رطل وبين هذين
الوقتين وقت وهو أن
يفطر من كل ليلتين
ليلة ويكون لكل يوم
وليلة نصف رطل
وهذا ينهى أن يفعله إذا
لم ينتج ذلك عليه سامة
وضجرا وقلة اشراح
فى الذكر والمأمة فإذا
وجد شيئا منه ذلك
فليفطر كل ليلة
وبأ كل الرطل فى
الوقتين أو الوقت
الواحد فالنفس إذا
أخذت بالإفطار من
كل ليلتين ليلة ثم ردت
إلى الإفطار كل ليلة
تفنع وإن سومت
بالإفطار كل ليلة لا تفنع
بالرطل وتطلب الأدام
والشهوات وقس على
هذا فهى إن أطعت

المدينة وأهل الشام وقرأنا فحولهم وأمرهم وجعل يكلم عامر الشعبي فجعل لا يسأله عن شيء إلا وجد عنده منه علما ثم أقبل على الحسن البصري فسأله ثم قال هما هذان هذا رجل أهل الكوفة يعني الشعبي وهذا رجل أهل البصرة يعني الحسن فأمر الحاجب فأخرج الناس وخلا بالشعبي والحسن فأقبل على الشعبي فقال يا أبا عمرو إني أمين أمير المؤمنين على العراق وعامله عليها ورجل مأمور على الطاعة ابتليت بالرعية ولزمى حقهم فأنا أحب حفظهم وتعهد ما يصلحهم مع النصيحة لهم وقد يلقى عن العصابة من أهل الديار الأمر أجد عليهم فيه فأقبض طائفة من عطايتهم فأضربه في بيت المال ومن نيتي أن أردعه عليهم فيبلغ أمير المؤمنين أني قد قبضته على ذلك النحو فيكتب إلي أن لا تردعه فلا أستطيع رد أمره ولا إنفاذ كتابه وإنما أنا رجل مأمور على الطاعة فهل على في هذا نعمة وفي أضليله من الأمور والثبة فيها على ما ذكرت قال الشعبي : قلت أصلح الله الأمير إنما السلطان والدي خطي . ويجب قال فسر بقولي وأهيب به ورايت البشر في وجهه وقال فله الحمد ثم أقبل على الحسن فقال ما تقول يا أبا سعيد قال قد سمعت قول الأمير يقول إنه أمين أمير المؤمنين على العراق وعامله عليها ورجل مأمور على الطاعة ابتليت بالرعية ولزمى حقهم والنصيحة لهم والتعهد لما يصلحهم . وحق الرعية لازم لك وحق عليك أن تحوطينهم بالنصيحة وإني سمعت عبد الرحمن بن حمزة القرشي صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من استرعى رعية فلم يعطها بالنصيحة حرم الله عليه الجنة » (١) ويقول إني ربما قبضت من عطايتهم إرادة صلاحهم واستصلاحهم وأن رجعوا إلى طاعتهم فيبلغ أمير المؤمنين أني قبضتها على ذلك النحو فيكتب إلي أن لا تردعه فلا أستطيع رد أمره ولا إنفاذ كتابه وحق الله أن أزم من حق أمير المؤمنين والله أحق أن يطاع ولا طاعة لمخلوق في معصية الخالق فأعرض كتاب أمير المؤمنين علي بن أبي طالب الله عز وجل فإن وجدته موافقا لكتاب الله فخذ به وإن وجدته مخالفا لكتاب الله فابذه يا ابن هيرة اتق الله فانه يوشك أن يأتيك رسول من رب العالمين يزيدك من سررك ويخرجك من سعة قصرك إلى ضيق قبرك فتدع سلطانك ودينك خلف ظهرك وتقدم على ربك وتزل على عمالك يا ابن هيرة إن الله لينمك من يزيد وإن يزيد لا ينمك من الله وإن أمر الله فوق كل أمر وإنه لا طاعة في معصية الله وإني أحذرك بأسماء الله لا يرد عن القوم المهجرين ، فقال ابن هيرة إربع على ظلمك أيها الشيخ وأعرض عن ذكر أمير المؤمنين فإن أمير المؤمنين صاحب العلم وصاحب الحكم وصاحب الفضل وإنما ولاه الله تعالى ما ولاه من أمر هذه الأمة لعله به وما يمله من فضله ونيته فقال الحسن يا ابن هيرة الحساب من ورائك سوط بسوط وغضب بغضب واثق بالمرصاد يا ابن هيرة إنك أن تلقى من يبيع لك في دينك ويعمل لك على أمر آخرتك خير من أن تلقى رجلا يترك وعينك فقام ابن هيرة وقد بسر وجهه وتغير لونه وقال الشعبي قلت يا أبا سعيد أغضبت الأمير وأوغرت صدره وحرمتنا ومروقه وصلته فقال إليك عني يا عامر قال فخرجت إلى الحسن التحف والطرف وكانت له للزلة واستخف بنا وجفينا فكان أهلا لما أدى إليه وكنا أهلا أن يفعل ذلك بنا لما رأيت مثل الحسن فيمن رأيت من العلماء إلا مثل الفرس العربي بين المقارف وما شهدنا مشهدا إلا برز علينا وقال لله عز وجل وقتلنا مقاربة لهم قال عامر الشعبي وأنا أعاهد الله أن لا أشهد سلطانا بعد هذا المجلس فأحياه . ودخل محمد بن واسع على بلال بن أبي بردة فقال له ما تقول في القدر ؟ فقال جيرانك أهل القبور فتفكر فيهم

(١) حديث الحسن عن عبد الرحمن بن حمزة من استرعى رعية فلم يعطها بالنصيحة حرم الله عليه الجنة رواه البغوي في معجم الصحابة بإسناد لين وقد اشق عليه الشيخان بنحوه من رواية الحسن عن معقل بن بسار .

طغت وإن أقمت
قمت . وقد كان بعضهم
ينقص كل ليلة حتى برد
النفس إلى أقل قوتها
ومن الصالحين من
كان يسير القوت بنوي
التمر وينقص كل ليلة
نواة ومنهم من كان
يسير بمود رطب
وينقص كل ليلة بقدر
نشاف العود . ومنهم
من كان ينقص كل
ليلة ربع سبع الرغيف
حتى يبقى الرغيف في
شهر ومنهم من كان
يؤخر الأكل ولا يعمل
في تقليل القوت ولكن
يعمل في تأخير
التدريج حتى تندرج
ليلة في ليلة وقد فعل
ذلك طائفة حتى انتهى
طوبهم إلى سبعة أيام
وعشرة أيام وخمسة
عشر يوما إلى الأربعين
وقد قيل لسهل بن

فان فيهم شغلا عن القدر . وعن الشافعي رضي الله عنه قال حدثني عمي محمد بن علي قال إني لحاضر مجلس أمير المؤمنين أبي جعفر المنصور وفيه ابن أبي ذؤيب وكان والي المدينة الحسن بن زيد قال قال الثغفاريون فشكوا إلى أبي جعفر شيئا من أمر الحسن بن زيد فقال الحسن بن زيد يا أمير المؤمنين سل عنهم ابن أبي ذؤيب قال فسأله فقال ما تقول فيهم يا ابن أبي ذؤيب فقال أشهد أنهم أهل تحطم في أعراض الناس كثير والأذى لهم ، فقال أبو جعفر : قد سمعتم فقال الثغفاريون يا أمير المؤمنين سل عن الحسن بن زيد فقال قال يا ابن أبي ذؤيب ما تقول في الحسن بن زيد فقال أشهد عليه أنه يحكم بغير الحق ويتبع هواه فقال قدمتم يا حسن ما قال فيك ابن أبي ذؤيب وهو الشيخ الصالح ، فقال يا أمير المؤمنين أسأله عن نفسك قال ما تقول في قال تعفي يا أمير المؤمنين قال أسألك بالله ألا أخبرني ذل تسألني بالله كأنك لا تعرف نفسك قال والله لتخبرني قال أشهد أنك أخذت هذا المال من غير حقه فجعلته في غير أهله وأشهد أن الظلم يابك فاش قال فجاء أبو جعفر من موضعه حتى وضع يده في قفا ابن أبي ذؤيب قبض عليه ثم قال له أما والله لو لآتي جالس هنا لأخذت فارس والروم والديلم والترك بهذا المكان منك قال قال ابن أبي ذؤيب يا أمير المؤمنين قد ولي أبو بكر وعمر فأخذوا الحق وقبوا بالسوية وأخذوا بأقفاء فارس والروم وأسفروا آفاقهم قال غلب أبو جعفر قفاه وخلق سبيله وقال والله لو لآتي أعلم أنك صادق لقتلتك ، فقال ابن أبي ذؤيب والله يا أمير المؤمنين إني لأنصح لك من ابنك للمهدي قال فبلغنا أن ابن أبي ذؤيب لما انصرف من مجلس المنصور لقيه سفيان الثوري فقال له يا أبا الحرث قد سرني ما خاطبت به هذا الجبار ولكن سألني قولك له ابنك للمهدي فقال ينفر الله لك يا أبا عبد الله كنا مهدي كلنا كان في للمهدي . وعن الأوزاعي عبد الرحمن بن عمرو قال بعث إلى أبو جعفر المنصور أمير المؤمنين وأنا بالساحل فأبته فما وصلت إليه وصلت عليه بالخلافة رد علي واستجلسني ثم قال لي ما الذي أبطأك عنا يا أوزاعي قال قلت وما الذي تريد يا أمير المؤمنين قال أريد الأخذ عنكم والانتباس منكم قال فقلت فانظر يا أمير المؤمنين أن لا تجهل شيئا مما أقول لك قال وكيف أجعله وأنا أسألك عنه وفيه وجهت إليك وأقدمت لك له قال قلت أخاف أن تسمعه ثم لا تعمل به قال فصاح بي الربيع وأهوى يده إلى السيف فآثره المنصور وقال هذا مجلس مثوبة لا مجالس عقوبة (١) فطابت نفسي وانبسطت في الكلام ، فقلت يا أمير المؤمنين حدثني مكحول عن عطية بن بشر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « أيما عبد جاءته موعظة من الله في دينه فأتها نعمة من الله سقت إليه فان قبلها بشكر وإلا كانت حجة من الله عليه ليزداد بها إثمها ويزداد الله بها سخطا عليه (٢) » يا أمير المؤمنين حدثني مكحول عن عطية بن ياسر قال قال رسول الله ﷺ « أيما وال مات غاشا لرعيته حرم الله عليه الجنة (٣) » يا أمير المؤمنين من كره الحق فقد كره الله إن الله هو الحق المبين إن الذي لين قلوب أمتكم لكم حين ولاكم أمورهم لقرايتكم من رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد كان بهم

(١) حديث الأوزاعي مع المنصور وموعظته له وذكر فيها عشرة أحاديث مرفوعة والقصة بمحملتها رواها ابن أبي الدنيا في كتاب مواعظ الخلفاء ورويناها في مشيخة يوسف بن كامل الخفاف ومشيخة ابن طبرزد وفي إسنادهما أحمد بن عبيد بن ناصح قال ابن عدي يحدث بمناكير وهو عندي من أهل الصدق وقد رأيت سرد الأحاديث المذكورة في الموعظة لتذكر هل لبعضها طريق غير هذا الطريق وليرف صحابي كل حديث أو كونه مرسلًا فالها (٢) حديث عطية بن بشر أيما عبد جاءته موعظة من الله في دينه فأتها نعمة من الله الحديث ابن أبي الدنيا في مواعظ الخلفاء (٣) حديث عطية بن ياسر أيما وال مات غاشا لرعيته حرم الله عليه الجنة ابن أبي الدنيا في ابن عدي في الكامل في ترجمة أحمد بن عبيد

عبد الله هذا الذي يأكل في كل أربعين وأكثر أكلة أين يذهب لخب الجوع عنه قال يطعمه النور . وقد سألت بعض الصالحين عن ذلك فذكر لي كلاما بمباراة دلت على أنه يجد فرحاً به ينطفئ معه لخب الجوع وهذا في الخلق واقع أن الشخص يطرقه فرح وقد كان جائعا فيذهب عنه الجوع وهكذا في طرق الخوف يقع ذلك ومن فعل ذلك ودرج نفسه في شيء من هذه الأقسام التي ذكرناها لا يؤثر ذلك في نقصان عقله واضطراب جسمه إذا كان في حاية الصدق والاخلاص وإنما غنى في ذلك وفي دوام الله كرم على من لا يخلص لله تعالى .

ردوا فارجعوا مواصلهم بنفسه في ذات يده محمودا عند الله وعند الناس خفيق بك أن تقوم له فيهم بالحق وأن تكون بالقسط له فيهم قائما ولعوراتهم سائرا لاتنلق عليك دونهم الأبواب ولا تقيم دونهم الحجاب تبتجج بالعمه عندهم وتبتش بما أصابهم من سوء يأمر المؤمنين قد كنت في شغل شاغل من خاصة نفسك عن عامة الناس الذين أصبحت تملكهم أحمرهم وأسودهم مسلمهم وكافرهم وكل له عليك نصيب من العدل فكيف بك إذا ابتعت منهم قدام وراء قدام وليس منهم أحد إلا وهو يشكو بلية أدخلتها عليه أو ظلامه سقها إليه يأمر المؤمنين حدثني مكحول عن عروة بن ربيع قال «كانت يد رسول الله صلى الله عليه وسلم جريدة يستاك بها ويروع بها المنافقين فأتاه جبرائيل عليه السلام فقال له يا محمد ماهذه الجريدة التي كسرت بها قلوب أملاك وملأت قلوبهم رعبا (١) » فكيف بمن شقق أستارهم وسفك دماءهم وخرب ديارهم وأجلامهم عن بلادهم وغيبهم الخوف منه يأمر المؤمنين حدثني مكحول عن زياد عن حارثة عن حبيب بن مسلمة «أن رسول الله صلى الله عليه وسلم دعا إلى القصاص من نفسه في خدش خدشه أعرايا لم يتعمده فأتاه جبريل عليه السلام فقال يا محمد إن الله لم ييمتك جبارا ولا متكبرا فدعا النبي صلى الله عليه وسلم الأعرايا فقال اقتص مني فقال الأعرايا قد أحللتك بأبي أنت وأمي وما كنت لأفعل ذلك أبدا ولو أتيت على نفسي فدعاه غير (٢) » يأمر المؤمنين رض نفسك لنفسك وخذ لها الأمان من ربك وارغب في جنة عرضها السموات والأرض التي يقول فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم «لقد قوس أحدكم من الجنة خير له من الدنيا وما فيها (٣) » يأمر المؤمنين إن الملك لو بقى لمن قبلك لم يصل إليك وكذا لا يبقى لك كالم يبق لغيرك يأمر المؤمنين أتدري ما جاء في تأويل هذه الآية عن جدك - ماهذا الكتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها - قال الصغيرة التيسم والكبيرة الضحك فكيف بما عملته الأيدي وحصدته الألسن يأمر المؤمنين بلغني أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال : لو ماتت سخلة على شاطئ القرات ضيمة لحشيت أن أسأل عنها فكيف بمن حرم عدلك وهو على إساطك يأمر المؤمنين أتدري ما جاء في تأويل هذه الآية عن جدك - يادادو إنا جعلناك خليفة في الأرض فاحكم بين الناس بالحق ولا تتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله - قال الله تعالى في الزبور : يادادو إذا فقد الخصمان بين يديك فكان لك في أحدهما هوى فلا تمنين في نفسك أن يكون الحق له فيفلق على صاحبه فأعحوك عن نبوتى ثم لا تكون خليفة ولا كرامة يادادو إنما جعلت رسلى إلى عبادى رعاء كرعاء الإبل لهممهم بالرعاية ورقهمهم بالسياسة ليحبروا الكسير ويدلوا المهزبل على الكلا والملاء . يأمر المؤمنين إنك قد بليت بأمر لو عرض على السموات

(١) حديث عروة بن ربيع كانت يد رسول الله صلى الله عليه وسلم جريدة يستاك بها ويروع بها المنافقين الحديث ابن أبي الدنيا فيه وهو مرسل وعروة ذكره ابن حبان في ثقات التابعين (٢) حديث حبيب بن مسلمة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم دعا إلى القصاص من نفسه في خدش خدشه أعرايا لم يتعمده الحديث ابن أبي الدنيا فيه ، وروى أبو داود والنسائي من حديث عمر قال رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم أقص من نفسه وللحاكم من رواية عبد الرحمن بن أبي ليلى عن أبيه طعن رسول الله صلى الله عليه وسلم في خاصرة أسيد بن حضير ، فقال أوجعتي قال اقتص الحديث قال صحيح الاسناد (٣) حديث لقد قوس أحدكم من الجنة خير من الدنيا وما فيها ابن أبي الدنيا من رواية الأوزاعي مضملا لم يذكر اسناده ورواه البخارى من حديث أنس بلفظ لقاب .

وقد قيل حد الجوع أن لا يميز بين الحبز وغيره مما يؤكل ومعنى عيت النفس الحبز فليس بجائع وهذا المعنى قد يوجد في آخر الحديث بعد ثلاثة أيام وهذا جوع الصديقين وطلب الغذاء عند ذلك يكون ضرورة لقوام الجسد والقيام بفرائض العبودية ويكون هذا حد الضرورة لمن لا يعتمد في التقليل بالتدريج فأما من درج نفسه في ذلك فتدبر على أكثر من ذلك إلى الأربعمائة كاذكرنا وقد قال بعضهم حد الجوع أن يبرق فإذا لم يقع الباب على براقه يدل هذا على خلوة المعدة من الدسومة وصفاء البزاق كالماء الذى لا يقصده الباب . روى أن سفيان

والأرض والجبال لا يئن أن يحمله وأعفقت منه يأمر المؤمنين حديثي يزيد بن جابر عن عبد الرحمن بن عمار الأنصاري أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه استعمل رجلا من الأنصار على الصدقة فراه بعد أيام مقبلا فقال له : ما معك من الخروج إلى عملك ؟ أنا علمت أن لك مثل أجر المجاهد في سبيل الله قال لا قال وكيف ذلك ؟ قال إنه بلغني أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « ما من وال يلى شيئا من أمور الناس إلا آتى به يوم القيامة مغلوله يده إلى عنقه لا يفسكه إلا عمله فيوقف على جسر من النار يتنفض به ذلك الجسر انفضاضا تزيل كل عضو منه عن موضعه ثم يباد فيجاسب فإن كان محسنا نجما بإحسانه وإن كان مسيئا انخرق به ذلك الجسر فيبوي به في النار سبعين خريفا (١) » وقال له عمر رضي الله عنه ممن سمعت هذا ؟ قال من أبي ذر وسلمان فأرسل إليهما فقرأ لهما قالانم سمعناه من رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال عمر وأمهراء من يتولاها بما فيها فقال أبو ذر رضي الله عنه من سلت الله أمه وألقى خده بالأرض ، قال فأخذ للتدليل فوضعه على وجهه ثم بكى وانتحب حتى أبكى ثم قلت يأمر المؤمنين قد سأل جدك عباس النبي صلى الله عليه وسلم إمارة مكة أو الطائف أو اليمن فقال له النبي عليه السلام « يا عباس يا عم النبي نفس تنجيا خيرا من إمارة لا تحسبها (٢) » نصيحة منه لعمه وعفقه عليه وأخبره أنه لا يئى عنه من الله شيئا إذ أوحى الله إليه وأمره أنذر عشيرتك الأقربين - قال « يا عباس وباصفية عبي النبي وباطمة بنت محمد إنى لست أغنى عنكم من الله شيئا إن لى عملى ولكم عملكم (٣) » وقد قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه لا يقيم أمر الناس إلا خفيف العقل أريب البعد لا يطلع منه على عورة ولا يخاف منه على حرة ولا تأخذه في الله لومة لائم . وقال الأمراء أربعة : فأمر قوى ظلف نفسه وماله فذلك كالمجاهد في سبيل الله يد الله بأسطة عليه بالرحمة ، وأمر فيه ضعف ظلف نفسه وأرتع عماله لضفه فهو على شفاهلاك إلا أن يرحمه الله ، وأمر ظلف عماله وأرتع نفسه فذلك الخطمة القدى قاله فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم « شر الرعاة الخطمة فهو المسالك وحده (٤) » وأمر أرتع نفسه وعماله فلهكوا جميعا وقد بلغني يأمر المؤمنين أن جبرائيل عليه السلام أتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال « أتيتك حين أمر الله بتأفيع النار فوضعت على النار تسع ليوم القيامة فقال له يا جبريل صف لى النار فقال إن الله تعالى أمر بها فأوقد عليها ألف عام حتى احترت ثم أوقد عليها ألف عام حتى اصفرت ثم أوقد عليها ألف عام حتى اسودت فمضى سوداء مظلمة لا يضىء جمرها ولا يطفأ لها واللهى بشك بالحق لو أن ثوبا من ثياب أهل النار أظهر لأهل الأرض لماتوا جميعا ولو أن ذنوبا من شرابها صب فى مياه الأرض جيعا لقتل من ذاقه

(١) حديث عبد الرحمن بن عمر أن عمر استعمل رجلا من الأنصار على الصدقة الحديث وفيه مرفوعا ما من وال يلى شيئا من أمور الناس إلا آتى يوم القيامة مغلوله يده إلى عنقه الحديث ابن أبي الدنيا فيه من هذا الوجه ورواه الطبرانى من رواية سويد بن عبد العزيز عن يسار بن أبي الحكم عن أبي وائل أن عمر استعمل بشر بن عاصم فذكر أخضر منه وأن بشرا محمه من النبي صلى الله عليه وسلم ولم يذكر فيه سلمان (٢) حديث يا عباس يا عم النبي نفس تنجيا خيرا من إمارة لا تحسبها ابن أبي الدنيا هكذا مضلا بغير إسناد ورواه البيهقي من حديث جابر متصلا ومن رواية ابن المنكر مرسلا وقال هذا هو المخطوط مرسلا (٣) حديث يا عباس وباصفية وباطمة لا أغنى عنكم من الله شيئا لى عملى ولكم عملكم ابن أبي الدنيا هكذا مضلا دون إسناد ورواه البخارى من حديث أبي هريرة متصلا دون قوله لى عملى ولكم عملكم (٤) حديث شر الرعاة الخطمة رواه مسلم من حديث عائذ ابن عمر الزنى متصلا وهو عند ابن أبي الدنيا عن الأوزاعى مضلا كما ذكره المنصف.

التورى وإبراهيم بن آدم رضي الله عنهما كانا بطوليان ثلاثا وثلاثين وكان أبو بكر الصديق رضي الله عنه بطوى حنا . وكان عبد الله بن الزبير رضي الله عنه بطوى سبعة أيام . واشتهر حال جدنا محمد ابن عبد الله المعروف بمويده رحمه الله وكان صاحب أحمد الأسود الدينورى أنه كان بطوى أربعين يوما وأقصى ما بلغ فى هذا المعنى من الطلى رجل أدركنا زمانه وما رأته كان فى أجهر يقال له الزاهد خليفة كان يأكل فى كل شهر لوزة ولم نسمع أنه بلغ فى هذه الأمة أحد بالطلى والتدريج إلى هذا الحد وكان فى أول أمره على ما حكى بنقص القوت

ولو أن ذراعا من السلسلة التي ذكرها الله وضع على جبال الأرض جميعا لذابت وما استقلت ولو أن رجلا أدخل النار ثم أخرج منها لمات أهل الأرض من فتن ريغ وتشويه خلقه وعظمه فبكى النبي صلى الله عليه وسلم وبكى جبريل عليه السلام لبكائه فقال أنبكي يا محمد وقد غفر لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر فقال أفلا أكون عبدا شكورا ولم يكبت يا جبريل وأنت الروح الأمين أمين الله على وحيه ؟ قال أخاف أن أتبلى بما ابتلى به هاروت وماروت فهو الذي منعتني من أنسكالي على منزلي عند ربى فأكون قد أمنت مكره فلم يزالا يكيان حتى نوديا من السماء يا جبريل ويا محمد إن الله قد آمنتكما أن تصياه فيعذبكما وفضل محمد على سائر الأنبياء كفضل جبريل على سائر الملائكة (١) . وقد بلغني يا أمير المؤمنين أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال : اللهم إن كنت تعلم أنى أبالي إذا قعد الحصان بين يدي على من مال الحق من قريب أو بعيد فلا تمهلنى طرفة عين يا أمير المؤمنين إن أشد الشدة القيام لله بحقه وإن أكرم الكرم عند الله التقوى وإنه من طلب العز بطاعة الله رفعه الله وأعزه ومن طلبه بمصيبة الله أذله الله ووضع ، فهذه نصيحتى إليك والسلام عليك . ثم نهض فقال لى إلى أين ؟ قلت إلى الولد والوطن بإذن أمير المؤمنين إن شاء فقال قد أذنت لك وشكرت لك نصيحتك وقبلتها والله الموفق للخير والمعين عليه وبه أمتين وعليه أتوكل وهو حسي ونعم الوكيل فلا تخفى من مطالعتك إياي بمثل هذا فانك للقبول القول غير التهم في النصيحة . قلت أفضل إن شاء الله . قال محمد بن مصعب : فأمر له بمال يستعين به على خروجه فلم يقبله وقال أنا فى غنى عنه وما كنت لأبيع نصيحتى بعرض من الدنيا وعرف المنصور مذهبه فلم يجد عليه فى ذلك . وعن ابن المهاجر قال قدم أمير المؤمنين المنصور مكة شرفها الله حاجبا فكان يخرج من دار الندوة إلى الطواف فى آخر الليل يطوف ويصلى ولا يعلم به فإذا طلع الفجر رجع إلى دار الندوة وجاء المؤذنون فسلموا عليه وأقيمت الصلاة فبصلى بالناس فخرج ذات ليلة حين أسحر فيينا هو يطوف إذ سمع رجلا عند المئزر وهو يقول : اللهم إني أشكو إليك ظهور البنى والفساد فى الأرض وما يحول بين الحق وأهله من الظلم والطمع فأسرع المنصور فى مشيه حتى ملا مسامحه من قوله ثم خرج فجلس ناحية من المسجد وأرسل إليه فدعاه فأثاء الرسول وقال له أجب أمير المؤمنين فصلى ركعتين واستلم الركن وأقبل مع الرسول فسلم عليه فقال له المنصور ما هذا الذى سمعتك تقوله من ظهور البنى والفساد فى الأرض وما يحول بين الحق وأهله من الظلم والطمع والظلم فوالله لقد حشوت مسامعى ما أمرضنى وألقاى ؟ فقال يا أمير المؤمنين إن أمنتنى على نفي أنباتك بالأمور من أصولها وإلا اقتصرت على نفسى فيها لى شغل شاغل فقال له أنت آمن على نفسك فقال الذى دخله الطمع حتى حال بينه وبين الحق وإصلاح ما ظهر من البنى والفساد فى الأرض أنت فقال وريحك وكيف يدخلنى الطمع والصفراء والبيضاء فى يدي والحلو والحامض فى بطني قال وهل دخل أحدا من الطمع ما دخلك يا أمير المؤمنين إن الله تعالى استرعاك أمور المسلمين وأموالهم فأغفلت أمورهم واهتممت بجمع أموالهم وجعلت بينك وبينهم حجابا من الجص والآجر وأبوابا من الحديد وحجة معهم السلاخ ثم سجن نفسك فيها منهم وبشت عمالك فى جمع الأموال وجبايتها واتخذت وزراء وأعوانا طلبة إن نسيت لم يذكروك وإن ذكرت لم يمينوك وقويتهم على ظلم الناس بالأموال والسكران والسلاح وأمرت بأن لا يدخل عليك من الناس إلا فلان وفلان ثم مبيتهم ولم تأمر بإصلاح الظلوم ولا للهلوف ولا الجائع ولا العارى ولا الضعيف ولا الفقير ولا أحد إلاولة فى هذا المال حتى

(١) حديث بلغني أن جبريل أتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال أتيتك حين أمر الله بمنافع النار وضعت على النار تسمر لروم القيامة الحديث بطوله ابن أبي الدنيا فيه هكذا معضلا بغير إسناد .

بنشاف العود ثم طوى
حتى انتهى إلى اللوزة فى
الأربعين ثم إنه قد
يسلك هذا الطريق
جمع من الصادقين وقد
يسلك غير الصادق هذا
لوجود هوى مستكن
فى باطنه يهون عليه
ترك الأكل إذا كان
له استعلاء لظفر الخاق
وهذا عين التفاق نموذ
بالله من ذلك والصادق
ربما يقدر على الطى
إذا لم يعلم بحاله أحد
وربما تضعف عزيمته
فى ذلك إذا علم بأنه
يطوى فإن صدقه فى
الطى ونظره إلى من
يطوى لأجله يهون
عليه الطى فإذا علم به
أحد تضعف عزيمته فى
ذلك وهذا علامة
الصادق فهما أحسن
فى نفسه أنه يحب أن
يرى بعين التقل

فلما رآك هؤلاء النفر الذين استخلصتهم لنفسك وآثرتهم على رعيتك وأمرت أن لا يحببوا عنك
 تحبب الأموال ولا تقسمها قالوا هذا قد خان الله فما لنا نأخونه وقد سخر لنا فائتمروا على أن لا يصل
 إليك من علم أخبار الناس شيء إلا ما أرادوا وأن لا يخرج لك عامل فيخالف لهم أمرا إلا أقتصوه
 حتى تسقط منزلته ويصغر قدره فلما انتشر ذلك عنك وغنم أعظمهم الناس وها يوم وكان أول
 من صانهم عمالك بالهدايا والأموال ليتقوا بهم على ظلم رعيتك ثم فعل ذلك ذوو القدرة والثروة
 من رعيتك لينالوا ظلم من دونهم من الرعية فامتلات بلاد الله بالطمع بئيا وفسادا وصار هؤلاء
 القوم شركاءك في سلطانتك وأنت غافل فإن جاء متظلم حيل بينه وبين الدخول إليك وإن أراد
 رفع صوته أوقصته إليك عند ظهورك وجسدك قد نهيت عن ذلك ووقفت للناس رجلا ينظر في
 مظالمهم فإن جاء ذلك الرجل فبلغ بطانتك سألوا صاحب الظالم أن لا يرفع مظلمته وإن كانت للمتظلم
 به حرمة وإجابة لم يمكنه مما يريد خوفا منهم فلا يزال المظلوم يختلج إليه ويلوذ به ويشكو
 ويستثيت وهو يدفعه ويعتل عليه فإذا جهدوا خرج وظهرت صرخ بين يديك فيضرب ضربا
 مبرحا ليكون نكالا لغيره وأنت تنظر ولا تنكر ولا تغير فما بقاء الاسلام وأهله على هذا ولقد
 كانت بنو أمية وكانت العرب لا يبتغي إليهم المظلوم إلا رفعت ظلامته إليهم فينصف ولقد كان الرجل
 يأتي من أقصى البلاد حتى يبلغ باب سلطانهم فينادي بأهل الإسلام فيبتدرونه مالك مالك فيرفعون
 مظلمته إلى سلطانهم فينصف ولقد كنت يا أمير المؤمنين أسافر إلى أرض الصين وبها ملك قد مضى
 مرة وقد ذهب مع ملكهم فجعل يبكي فقال له وزيراه مالك تبكي لابتك عينك فقال أما إنني
 لست أبكي على الصية التي نزلت بي ولكن أبكي للمظلوم يصرخ بالباب فلا أسمع صوته ثم قال أما إن
 كان قد ذهب سمى فإن بصري لم يذهب نادوا في الناس ألا لا يلبس ثوبا أحمر إلا مظلوم فكان
 يركب الثيل ويطوف طرفي النهار هل يرى مظلوما فينصفه هذا يا أمير المؤمنين مشرك بالله قد غلبت
 رأفته بالمشركين ورقته على شع نفسه في ملكه وأنت مؤمن بالله وابن عم نبي الله لا تغلبك رأفتك
 بالمسلمين ورقتك على شع نفسك فأنك لا تجمع الأموال إلا لواحد من ثلاثة إن قلت أجمعها لولدي
 فقد أراك الله عبدا في الطفل الصغير يسقط من بطن أمه وماله على الأرض مال ومامن مال إلا ودونه
 يد شحيرة تحويه فما زال الله تعالى يلطف بذلك الطفل حتى تعظم رغبة الناس إليه ولست الذي تعطى
 بل الله يعطى من يشاء وإن قلت أجمع المال لأشد سلطاني فقد أراك الله عبدا فيمن كان قبلك ما أغنى عنهم
 ما جمعه من الذهب والفضة وما أعدوا من الرجال والسلاح والكرام وما ضرز وولد أباك ما كنتم
 فيه من قلة الجدة والضعف حين أراد الله بكم ما أراد وإن قلت أجمع المال لطلب غاية هي أجسم من الغاية
 التي أنت فيها فوالله ما فوق ما أنت فيه إلا منزلة لا تدرك إلا بالعمل الصالح يا أمير المؤمنين هل تعاقب من
 عصاك من رعيتك بأشد من القتل قال لا قال فكيف تصنع بالملك الذي خولك الله وما أنت عليه
 من ملك الدنيا وهو تعالى لا يعاقب من عصاه بالقتل ولكن يعاقب من عصاه بالخلود في العذاب الأليم وهو
 الذي يرى منك ما عقد عليه قلبك وأضمرت جوارحك فإذا تقول إذا انتزع لللك الحق المبين ملك الدنيا
 من يدك ودعاك إلى الحساب هل يفي عنك عنده شيء مما كنت فيه مما شجحت عليه من ملك الدنيا
 فبكي المنصور بكاء شديدا حتى عب وارتفع صوته ثم قال يا ليتني لم أخلق ولم أكن شيئا ثم قال كيف احتياي
 فيما حولي فيه ولم أرم من الناس إلا خائفا قال يا أمير المؤمنين عليك بالأئمة الأعلام المرشدين قال ومن هم ؟
 قال العلماء قال وروايتي قال هربوا منك مخافة أن يعملهم على مظهر من طريقك من قبل عمالك
 ولكن أفتح الأبواب وسهل الحجاب واتصبر للمظلوم من الظالم وامنع المظالم وخذ الشيء مما حلت وطاب

عليهم نفسه فإن فيه
 شائبة النفاق ومن
 بطوى لله يرضه الله
 تعالى فرحا في باطنه
 ينسبه الطعام وقد
 لا ينسى الطعام ولكن
 امتلاء قلبه بالأنوار
 يقوى جاذب الروح
 الروحاني فيجذبه إلى
 مركزه ومستقره من
 العالم الروحاني وينفرد
 بذلك عن أرض
 الشهوة والنفسانية وأما
 أثر جاذب الروح إذا
 تخلف عنه جاذب
 النفس عند كمال
 طمأنينتها وانكسار
 أنوار الروح عليها
 بواسطة القلب المستنير
 فأجل من جذب
 المغناطيس للحديد إذ
 المغناطيس يجذب
 الحديد لروح في الحديد
 مشا كل للمغناطيس
 فيجذبه بنسبة الجنسية

واقسمه بالحق والعدل وأناضامن على أن من هرب منك أن يأتيك فيعاونك على صلاح أمرك ورعتك
 فقال المنصور : اللهم وفقني أن أعمل بما قال هذا الرجل وجاء المؤذنون أسلموا عليه وأقيمت الصلاة فخرج
 فصلى بهم ثم قال للحرس عليك بالرجل إن لم تأتني به لأضربن عنقك واغتاط عليه غيطا شديدا فخرج
 الحرس يطلب الرجل فبينما هو يطوف فإذا هو بالرجل يصل في بعض الشجرات فقام حتى صلى ثم قال إذا
 الرجل أمتنى الله قال بلى قال أمتعرفه قال بلى قال فانطلق معي إلى الأمير فقد آلى أن يقتلني إن لم آتته
 بك قال ليس لي إلى ذلك من سبيل قال يقتلني قال لا قال كيف قال تحسن تهرأ قال لا فأخرج من
 مزود كان معه رقما مكتوب فيه شيء فقال خذنه فاجعله في جيبك فإن فيه دعاء الفرج قال وما دعاء الفرج
 قال لا يرزقه إلا الشهاداء قلت رحمك الله قد أحسنت إلى فإن رأيت أن تخبرني ماهذا الدعاء وما فضله قال من
 دعا به مساء وصباحا هدمت ذنوبه ودام سروره وبقيت خطاياه واستجيب دعاؤه وبسط له في رزقه
 وأعطى أمله وأعين على عدوه وكتب عند الله صديقا ولا يموت إلا شهيدا تقول اللهم كما لطفت في عظمتك
 دون اللطفاء وعلوت بسظمتك على العظماء وعلت ماتحت أرضك كملكك بما فوق عرشك وكانت
 وسائس الصدور كالعلانية عندك وعلانية القول كالسر في علمك واقاد كل شيء لعظمتك وخضع
 كل ذي سلطان لسلطانك وصار أمر الدنيا والآخرة كله بيدك اجعل لي من كل هم أمسيته فيه فرجا
 ومخرجا اللهم إن عفوك عن ذنوبي وتجاوزك عن خطيئتي وسترك على قبيح عملي أطمئني أن أسألك
 ما لا أستجبه بما قصرت فيه أدعوك آمنا وأسألك مستأنسا وإنك المحسن إلى وأنا للشيء إلى نفسي
 فيما بيني وبينك تتوعد إلى بنعمتك وأبغض إليك بالمعاصي ولكن الثقة بك حملتني على الجرأة عليك
 فقد بفضلك وإحسانك على إنك أنت الثواب الرحيم قال فأخذته فصورته في جيبه ثم لم يكن لي هم غير
 أمير المؤمنين فدخلت فسلمت عليه فرفع رأسه فنظر إلى وتبسم ثم قال ويلك ونحسن السحر قتلنا والله
 يا أمير المؤمنين ثم قصصت عليه أمرى مع الشيخ فقال هات الرق الذي أعطاك ثم جعل يبكي وقال قد
 نجوت وأمر ينسخه وأعطاني عشرة آلاف درهم ثم قال أتعرفه قلت لا قال ذلك الخضر عليه السلام .
 وعن أبي عمران الجوني قال لما ولي هرون الرشيد الخلافة زاره العلماء فهنوه بما صار إليه من أمر الخلافة
 ففتح بيوت الأموال وأقبل يميزهم بالجوائز السنية وكان قبل ذلك يجالس العلماء والزهاد وكان يظهر
 التمسك والتعشق وكان مؤاخيا لسفيان بن سعيد بن النضر الثوري قديما فنهجه سفيان ولم يرزه فاشتاق
 هرون إلى زيارته ليخلو به ويحدثه فلم يرزه ولم يعبأ بموضعه ولا بمأساره إليه فاشتد ذلك على هرون
 فكتب إليه كتابا يقول فيه : بسم الله الرحمن الرحيم من عبد الله هرون الرشيد أمير المؤمنين إلى
 أخيه سفيان بن سعيد بن النضر أما بعد يا أخي قد علمت أن الله تبارك وتعالى وأخيه بين المؤمنين وعجل
 ذلك فيه وله واعلم أنني قد واخيتك مواخاة لم أصرم بها حبلك ولم أقطع منها ودك وإنني منطوئك على
 أفضل المحبة والارادة ولولا هذه القلادة التي قلدها الله لأتيتك ولوجوا لما أجده في قلبي من المحبة
 واعلم يا أبا عبد الله أنه ما بقى من إخواني وإخوانك أحد إلا وقد زارني وهناني بما صرت إليه وقد قمت
 بيوت الأموال وأعطيته من الجوائز السنية ما فرحت به نفسي وقرت به عيني وإنني استبطأتك فلم
 تأتني وقد كتبت إليك كتابا شوقا مني إليك شديدا وقد علمت يا أبا عبد الله ما جاء في فضل المؤمن
 وزيارته ومواصلته فإذا ورد عليك كتابي فالعجل العجل ، فلما كتب الكتاب التفت إلى من عنده فإذا
 كلهم يرفون سفيان الثوري وخشوته فقال على رجل من الباب فأدخل عليه رجلا يقال له
 عباد الطالقاني فقال يا عباد خذ كتابي هذا فانطلق به إلى الكوفة فإذا دخلتها فسل عن قبيلة بني
 ثور ثم سل عن سفيان الثوري فإذا رأيته فالتق كتابي هذا إليه وع بسمعك وقلبك جميع ما يقول

الخاصة فإذا تجسست
 النفس بعكس نور
 الروح الواصل إليها
 بواسطة القلب يصير
 في النفس روح
 استمدتها القلب من
 الروح وأدناها إلى
 النفس فتجلب الروح
 النفس بجنية الروح
 الحادثة فيها فيزدرى
 الأطعمة الدنيوية
 والشهوات الحيوانية
 ويتحقق عنده قول
 رسول الله صلى الله
 عليه وسلم « أبيت
 عند ربى يطعمني
 ويسقيني » ولا يقدر
 على ما وصفناه إلا بعد
 تصير أعماله وأقواله
 وسائر أحواله ضرورة
 فيتناول من الطعام
 أيضا ضرورة ولو
 تكلم مثلا بكلمة
 من غير ضرورة
 التهب فيه نار الجوع

فأحسن عليه دة في أمره وجلبه لتخبرني به فأخذ عبد الكتاب وانطلق به حتى ورد الكوفة فسأل عن القبيبة فأرشد إليها ثم سأل عن سفيان فقيل له هو في المسجد قال عباد فأقبلت إلى المسجد فلما رأيته قام قائما وقال أهوذا بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم وأعوذ بك اللهم من طارق يطرق إلا غير قل عباد فوقت الكلمة في قلبي فخرجت فلما رأيته قلت يا رب السجد لهما يصلي ولم يكن وقت صلاة فربطت فرسي بباب المسجد ودخلت فإذا جلساؤه قعود قد نكسوا رؤوسهم كأنهم لموص قد ورد عليهم الساطان فهم جاثون من عقوبته فسلمت لما رفع أحد إلى رأسه وردوا السلام على برموس الأصابع فبقيت وانما لما منهم أحد يمرض على الجلوس وقد علاني من هيتهم الرعدة ومددت عنى إليهم فقلت إن الصلى هو سفيان فرميت بالكتاب إليه فلما رأى الكتاب ارتعد وقاعد منه كأنه حية عرضت له في محرابه فركع وسجد وسلم وأدخل يده في كفه ولها بها بقاءته وأخذ قلبه يده ثم رماء إلى من كان خلفه وقال يأخذه بضعكم بقرؤه فاني أستغفر الله أن أمس شيئا منه ظالم يده قال عباد فأخذه بضمهم فله كأنه خائف من فم حية ثم شه ثم فضه وقرأه وأقبل سفيان يتبسم تبسم للتعجب فلما فرغ من قراءته قال اتقبلوه واكتبوا إلى الظالم في ظهر كتابه فقيل له يا أبا عبد الله إنه خليفة فلو كتبت إليه في قرطاس نقي فقال اكتبوا إلى الظالم في ظهر كتابه فان كان اكتبته من حلال فسوف يعجزى به وإن كان اكتبته من حرام فسوف يصلى به ولا يبق شيء منه ظالم عندنا فيفسد علينا ديننا فقيل له ما نكتب فقال اكتبوا : بسم الله الرحمن الرحيم من العبد للذنب سفيان بن سعيد بن النضر الثوري إلى العبد للثور بالآمال هرون الرشيد الذي سلب حلاوة الإيمان . أما بعد فاني قد كتبت إليك أعرفك آني قد صرمت جملتك وقطعت وذك وقلت موضعك فأنك قد جعلتني شاهدا عليك باقرارك على نفسك في كتابك بما هجمت به على بيت مال المسلمين فأنتفتحه في غير حقه وأنتفتحه في غير حكمه ثم لم أرض بما فعلت وأنت ما عني حتى كتبت إلى تشهدني على نفسك أما إني قد شهدت عليك أنا وإخواني الذين شهدوا قراءة كتابك وسنؤدى الشهادة عليك غدا بين يدي الله تعالى ياهرون هجمت على بيت مال المسلمين بغير رضام هل رضيت بفعلك المؤلفة قلوبهم والعاملون عليها في أرض الله تعالى والمجاهدون في سبيل الله وابن السبيل أم رضيت بذلك حملة القرآن وأهل العلم والأرامل والأيتام أم هل رضيت بذلك خلق من رعيته فسد ياهرون مؤزك وأعد للمثلة جوابا وللبلاء جلبا واعلم أنك ستقف بين يدي الحكم العدل قد رزئت في نفسك إذ سلبت حلاوة العلم والزهد ولذيق القرآن ونجالة الأخبار ورضيت لنفسك أن تكون ظالما للظالمين إماما ياهرون قدت على السرير ولبست الحرير وأسبلت سترا دون بابك وتشبهت بالحجة رب العالمين ثم أقصدت أجنالك الظلمة دون بابك وسترك بظلمون الناس ولا ينصفون يشربون الخمر ويضربون من يشربها ويذنون ويعدون الزاني ويسرقون ويقطعون السارق أفلا كانت هذه الأحكام عليك وعليهم قبل أن تحكم بها على الناس فكيف بك ياهرون غدا إذا نادى للنادي من قبل الله تعالى احشروا الذين ظلموا وأزواجهم أين الظلمة وأعوان الظلمة قد مدت بين يدي الله تعالى ويداك مغلولتان إلى عنقك لا ينسكهما إلا عدلك وإنصافك والظالمون حولك وأنت لهم سابق وإمام إلى النار ، كأنك بك ياهرون وقد أخذت بضيق الحنق ووردت للساق وأنت ترى حسناتك في ميزان غيرك وسيئات غيرك في ميزانك زيادة عن سيئاتك بلاء على بلاء وظلمة فوق ظلمة فأحتفظ بوصيقي واتمظ بموعظتي التي وعظتكم بها . واعلم آني قد نصحتك وما أقيت لك في النصيحة غاية فانق الله ياهرون في رعيته واحفظ عمدا صلى الله عليه وسلم في أمته وأحسن الخلافة عليهم واعلم أن هذا الأمر لو بقي لغيرك لم يصل إليك وهو صائر إلى غيرك وكذا الدنيا تنتقل

التهاب الحلقاء بالنار
لأن النفس الراقدة
تستيقظ بكل ما يوقظها
وإذا استيقظت
نزعته إلى هواها فالعبد
للراد بهذا إذا فطن
لسياسة النفس ورزق
العلم سهل عليه
الطى وتدبر كنهه
للمونة من الله تعالى
لا سيما إن كوشف
شيء من المنح الإلهية .
وقد حكى في تغير أنه
اشتد به الجوع وكان
لا يظب ولا ينسب
قال فلما انتهى جوعى
إلى الغاية بعد أيام
فتح الله على بفاحة
قال فتناولت التفاحة
وقصدت أكلها فلما
كسرتها كوشفت
بحوراء نظرت إليها
عقب كسرها فحدث
عندي من الفرح
يذلك ما استغثت

بأهلها واحدا بعد واحد فمنهم من تزود زادا ففقه ومنهم من خسر ديناه وآخرته وإن أحسبك ياهرون
 بمن خسر ديناه وآخرته فإياك إياك أن تكتب لي كتابا بعد هذا فلا أجيئك عنه والسلام. قال عبد
 القوي إلى الكتاب منشورا غير مطوي ولا عتوم فأخذته وأقبلت إلى سوق الكوفة وقد وقفت للوعظة
 من قلبي فنادت يا أهل الكوفة فأجابوني قلت لهم يا قوم من يشتري رجلا هرب من الله إلى الله فأقبلوا
 إلى بالله نائير والدرهم قلت لأحاجة لي في اللال ولكن جبة صوف خشنه وعباءة قطوانية قال فأتييت
 بذلك ونزعت ما كان على من اللباس الذي كنت ألبسه مع أمير المؤمنين وأقبلت أقود البرذون وعليه
 السلاح الذي كنت أحمله حتى أتيت باب أمير المؤمنين هرون حافيا راجلا فها أنا من كان على باب الخليفة
 ثم استؤذن لي فلما دخلت عليه وبصر بي على تلك الحالة قام وقدمت قام فأعما وجهي بطم رأسه ووجهه
 وبدعو بالويل والجزن ويقول استفع الرسول وخاب الرسل مالي ولدينا مالي والملك يزول عن سريعا
 ثم أقيت الكتاب إليه منشورا كما دفع إلى فأقبل هرون يقرؤه ودموعه تتحدر من عينيه ويقرأ
 ويشيق فقال بعض جلسائه : يا أمير المؤمنين لقد اجتبراً عليك سفيان فلو وجهت إليه فأثقلت بالحديد
 وضيق عليه السجن كنت نعمة عبرة لغيره فقال هرون : أتركوا يا عبيد الله بنا المنور من غررتهم
 والشقي من أهلكتموه وإن سفيان أمة وحده فتركوا سفيان وشأنه ثم لم يزل كتاب سفيان إلى
 جنب هرون يقرؤه عند كل صلاة حتى توفي رحمه الله فرحم الله عبداً نظر لنفسه واتقى الله فليأخذ
 عليه غدا من عمله فانه عليه بحاسب وبه يجازي والله ولي التوفيق . وعن عبد الله بن مهران قال
 حج الرشيد فوافي الكوفة فأقام بها أياماً ثم ضرب بالرحيل فخرج الناس وخرج بهلول المجنون فيمن
 خرج بالكسامة والصبيان يؤذونه ويولعون به إذ أقبلت هودج هرون فكيف الصبيان عن الولوع
 به فلما جاء هرون نادى بأعلى صوته يا أمير المؤمنين فكشف هرون السجاف يده عن وجهه فقال
 ليك يا بهلول فقال يا أمير المؤمنين : حدثنا أيمن بن نائل عن قدامة بن عبد الله العامري قال رأيت النبي
 صلى الله عليه وسلم منصوراً من عرفة على ناقه له صبياء لا ضرب ولا طرد ولا إليك إليك^(١) وتم اضمك
 في سفرك هذا يا أمير المؤمنين خير لك من تكبرك وتجربك قال فيكي هرون حتى سقطت دموعه على
 الأرض ثم قال يا بهلول زدنا رحمك الله قال نعم يا أمير المؤمنين رجل آتاه الله المالا والجمالاً فأتق من ماله
 وعف في جماله كتب في خالص ديوان الله تعالى مع الأبرار قال أحسنت يا بهلول ودفع له جائزة. فقال
 اردد الجائزة إلى من أخذتها منه فلا حاجة لي فيها قال يا بهلول فإن كان عليك دين قضيت قال يا أمير المؤمنين
 هؤلاء أهل العلم بالكوفة متوافرون قد اجتمعت آراؤهم أن قضاء الله بين يدي لا يجوز قال يا بهلول فنجري
 عليك ما يقتوك أو يقيمك قال فرفع بهلول رأسه إلى السماء ثم قال يا أمير المؤمنين أنا وأنت من عباد الله
 فبحال أن يذكرك وينساني قال فأقبل هرون السجاف ومضى . وعن أبي اللباس الهاشمي عن صالح
 ابن اللأمون قال دخلت على الحرب الهاشمي رحمه الله فقلت له : يا أبا عبد الله هل حاسبت نفسك؟ فقال كان
 هذا مرة قلت له فاليوم قال أكنتم حالي إني لأقرأ آية من كتاب الله تعالى فأضن بها أن تسمعها نفسي
 ولولا أن يظنني فيها فرح ما أعلنت بها ولقد كنت ليلة قاعدا في محرابي فإذا أنا بفتي حسن الوجه مليح
 الرائحة فسلم على ثم قد بين يدي قلت له من أنت فقال أنا واحد من السباحين أقصد التصديق في
 محاربيهم ولا أرى لك اجتهداً فأبى سئء محمك قال قلت له كتمان للصاب واستجلاب الفوائد قال

عن الطعام أياما
 وذكر لي أن الحوراء
 خرجت من وسط
 الفضاحة والايمن
 بالقدره ركن من
 أركان الايمان فلم
 ولا تذكر . وقال
 سهل بن عبد الله
 رحمه الله من طوى
 أربعين يوما ظهرت له
 القدرة من اللسكوت
 وكان يقال : لا يزهد
 البعد حقيقة الزهد
 التي لا مشوبة فيه
 إلا بمشاهدة قدرة
 من اللسكوت . وقال
 الشيخ أبو طالب
 للكر رحمه الله :
 عرفنا من طوى
 أربعين يوما برياضة
 النفس في تأخير
 القوت وكان يؤخر
 فطره كل ليلة إلى
 نصف سبع اليك
 حتى يطوى ليلة

(١) حديث قدامة بن عبد الله العامري رأيت النبي صلى الله عليه وسلم منصوراً من عرفة على ناقه
 له صبياء لا ضرب ولا طرد ولا إليك إليك الترمذي وصححه والنسائي وابن ماجه دون قوله منصوراً
 من عرفة وإنما قالوا يرى الجرة وهو الصواب وقد تبهم في الباب الثاني .

فصاح وقال ما علمت أن أحدا بين جنبي المشرق والغرب هذه صفته قال الحرث فأردت أن أزيد عليه
قلت له أما علمت أن أهل القلوب يخفون أحوالهم ويكتُمون أسرارهم ويسألون الله كتمان ذلك عليهم
فمن أين تعرفهم قال فصاح صيحة غشى عليه منها فسكت عندي يومين لا يعقل ثم أفاق وقد أحدث في
ثيابه فعلت إزالة عقله فأخرجت له ثوبا جديدا وقلت له هذا كفى قد أثرتك به فاغتسل وأعد صلاتك
فقال هات الماء فاغتسل وصلى ثم التحف بالثوب وخرج فقلت له أين تريد فقال لي قم معي فلم يزل يمشي حتى
دخل على المأمون فسلم عليه وقال يا ظالم أنا ظالم إن لم أقل لك يا ظالم أستغفر الله من تقصيري فيك أما تتق
الله تعالى فيما قد ملكك وتكلم بكلام كثير ثم أقبل يريد الخروج وأنا جالس بالباب فأقبل عليه
المأمون وقال من أنت قال أنا رجل من السياحين فكثرت فيما عمل الصديقون قبل فلم أجد لنفسى فيه
حظا فتملقت بموعظتك لعلى ألحقهم قال فأمر بضرب عنقه فأخرج وأنا قاعد على الباب ملفوفا في ذلك
الثوب ومناد ينادى من ولى هذا فلما أخذه قال الحرث فاخبتني عنه فاخذه أقوام غرباء فدفعوه
وكنيت معهم لا أعلمهم بحاله فاقتت في مسجد بالمقابر محزوننا على الفتي فطلبني عيناى فاذا هو بين وصائف
لم أر أحسن منهن وهو يقول يا حرث أنت والله من السكاكين الذين يخفون أحوالهم ويطيعون ربهم
قلت وما فعلوا قال الساعة يلقونك فنظرت إلى جماعة ركبان فقلت من أنتم قالوا السكاكين وأحوالهم حرك
هذا الفتى كلامك له فلم يكن في قلبه مما وصفته شئ فخرج للأمر والهنى وأن الله تعالى أنزله معنا
وغضب لعبد . وعن أحمد بن إبراهيم المقرئ قال كان أبو الحسين النورى رجلا قليل الفضول لا يسأل
عما لا يهنيه ولا يفتش عما لا يحتاج إليه وكان إذا رأى منكرا غيره ولو كان فيه تلفه فنزل ذات يوم
إلى مشرعة تعرف بمشرعة الفحامين يتطهر للصلاة إذ رأى زورقا فيه ثلاثون دنا مكتوب عليهم بالقرار
لطف قراء وانكسر لانه لم يعرف في التجارات ولا في البيوع شيئا يعبر عنه بلطف فقال للملاح إيش
في هذه الدنان قال وإيش عليك امض في شغلك فلما سمع النورى من الملاح هذا القول ازداد تطشا إلى
معرفة فقال أحب أن تخبرنى إيش في هذه الدنان قال وإيش عليك أنت والله صوفى فضولى هذا آخر
للمعتضد يريد أن يتم به مجلسه فقال النورى وهذا آخر قال نعم فقال أحب أن تعطى ذلك المدرى فاغتاط
للملاح عليه وقال لغلامه أعطه حتى أنظر ما يصنع فلما صارت المدرى في يده صعد إلى الزورق ولم يزل
يكسرها دنا دنا حتى أتى على آخرها لإدنا واحد الملاح يستغيث إلى أن ركب صاحب الجسر وهو يومئذ
ابن بشر أفلح فقبض على النورى وأشخصه إلى حضرة المعتضد وكان المعتضد سيفه قبل كلامه ولم يشك
الناس في أنه سيقته قال أبو الحسين فأدخلت عليه وهو جالس على كرسي حديد ويده عمود يقبله
فلما رأى قال من أنت قلت عمتب قال ومن ولاك الحسبة قلت الذى ولاك الامامة ولا فى الحسبة يا أمير
المؤمنين قال فأطرق إلى الأرض ساعة ثم رفع رأسه إلى وقال ما الذى حملك على ما صنعت ؟ قلت بشقة
منى عليك إذ بسطت يدي إلى صرف مكروه عنك فقصرت عنه قال فأطرق فمكرا فى كلامى ثم رفع
رأسه إلى وقال كيف تخاص هذا الدين الواحد من جملة الدنان فقلت فى تخلصه علة أخبرهم يا أمير المؤمنين
إن أذن فقال هات خبرنى فقلت يا أمير المؤمنين إني أقبلت على الدنان بمطالبة الحق سبحانه لى بذلك
وغمر قلبى شاهد الاجلال للحق وخوف المطالبة فتابت هية الخلق عنى فأقدمت عليها بهذه الحال إلى
أن صرت إلى هذا الدين فاستشعرت نفسى كبرا على أنى أقدمت على مثلك فتمت ولو أقدمت عليه بالحال
الأول وكانت ملء الدنيا دنان لكسرتها ولم أبال فقال المعتضد اذهب فقد أطلقنا يدك غير ما أحببت
أن تغيره من المنكر . قال أبو الحسين فقلت يا أمير المؤمنين بنص إلى التغيير لأنى كنت أغير عن الله
تعالى وأنا الآن أغير عن شرطى فقال المعتضد ما حاجتك قلت يا أمير المؤمنين تأمر بإخراجى سالما

في نصف شهر
فيطوى الأربعين
في سنة وأربعة
أشهر فتندرج الأيام
والأيالي حتى يكون
الأربعين بمنزلة يوم
واحد . وذكري أن
الذى فعل ذلك ظهرت
له آيات من اللكوت
وكوشف بمعاني قدرة
من الجبروت تجلى الله
بهاله كيف شاء . واعلم
أن هذا المعنى من الطي
والثقل لو أنه عين
الفضيلة ما فات أحدا
من الأنبياء ولكان
رسول الله صلى الله عليه
وسلم يبلغ من ذلك إلى
أقصى غايته ولا شك
أن لذلك فضيلة لا تنكر
ولكن لا تحصر
مواهب الحق تعالى في
ذلك فقد يكون من
ياكل كل يوم أفضل
من يطوى أربعين

فأمر له بذلك وخرج إلى البصرة فكان أكثر أيامه بها خوفاً من أن يسأله أحد حاجة يسألها المعتضد فأقام بالبصرة إلى أن توفي المعتضد ثم رجع إلى بغداد فهذه كانت سيرة العلماء وعادتهم في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وقلة مبالغاتهم بسطوة السلاطين لكنهم انكسروا على فضل الله تعالى أن يحرمهم ورضوا بحكم الله تعالى أن يبرزهم الشهادة فلما أخلاصوا لله النية أنزل كلامهم في القلوب القاسية فليتها وأزال قساوتها وأما الآن فقد قيدت الأطماع ألسن العلماء فسكتوا وإن تكلموا لم تساعد أقوالهم أحوالهم فلم ينجحوا ولو صدقوا وقصدوا حق العلم لأفلحوا فساد الرأيا بفساد للولك وفساد للولك بفساد العلماء وفساد العلماء باستيلاء حب المال والجاه ومن استولى عليه حب الدنيا لم يقدر على الحسبة على الأراذل فكيف على للولك والأكابر والله المستعان على كل حال .

(كتاب آداب المعيشة وأخلاق النبوة)

(وهو الكتاب العاشر من ربيع العادات من كتب إحياء علوم الدين)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

الحمد لله الذي خلق كل شيء فاحسن خلقه وترتيبه ، وأدب نبيه محمد ﷺ فأحسن تأديبه ، وزكى أوصافه وأخلاقه ثم اتخذ منه صفيه وحييه ، ووفق للاقتداء به من أراد تهذيبه ؟ وحرم عن التخلق بأخلاقه من أراد تحبيبه . وصلى الله على سيدنا محمد سيد المرسلين وعلى آله الطيبين الطاهرين وسلم كثيرا .
أما بعد : فإن آداب الظواهر عنوان آداب البواطن وحركات الجوارح ثمرات الخواطر والأعمال نتيجة الأخلاق والآداب رشح للمعارف وسرائر القلوب هي غارس الأفعال ومنابعها وأنوار السرائر هي التي تشرق على الظواهر فتزينا وتجليها وتبدل المحاسن مكارهها ومساوئها ومن لم يفتح قلبه لم تحتمل جوارحه ومن لم يكن صدره مشكاة الأنوار الإلهية لم يفيض على ظاهره جمال الآداب النبوية ولقد كنت عزمت أن أختتم ربيع العادات من هذا الكتاب بكتاب جامع لآداب المعيشة لئلا يشق على طالبا استخراجها من جميع هذه الكتب ثم رأيت كل كتاب من ربيع العادات قد أتى على جملة من الآداب فاستغنت تكررهما وإعادتهما فإن طلب الإعادة ثقيل والنفوس مجبولة على معاداة العادات فرأيت أن أقصر في هذا الكتاب على ذكر آداب رسول الله صلى الله عليه وسلم وأخلاقه الماثورة عنه بالإسناد فأسردها مجموعة فصلا فصلا معذوقة الأسانيد ليجتمع فيه مع جميع الآداب تجديد الإيمان وتأكيد به مشاهدة أخلاقه الكريمة التي شهد آحادها على القطع بأنه أكرم خلق الله تعالى وأعلام رتبة وأجلهم قدرا فكيف مجموعها ثم أضيف إلى ذكر أخلاقه ذكر خلقته ثم ذكر معجزاته التي صحت بها الأخبار ليكون ذلك معربا عن مكارم الأخلاق والشم ومنزعا عن آذان الجاحدين لنبوته صام الصمم والله تعالى ولي التوفيق للاقتداء بسيد المرسلين في الأخلاق والأحوال وسائر معالم الدين فإنه دليل المتحيرين ومجيب دعوة المضطربين ولتذكر فيه أوليائنا تأديب الله تعالى إياهم بالقرآن ثم بيان جوامع من محاسن أخلاقه ثم بيان جملة من آدابه وأخلاقه ثم بيان كلامه وضحه ثم بيان أخلاقه وآدابه في الطعام ثم بيان أخلاقه وآدابه في اللباس ثم بيان عفوه مع القدرة ثم بيان إغضائه عما كان يكره ثم بيان سخاوته وجوده ثم بيان شجاعته وبأسه ثم بيان تواضعه ثم بيان صورته وخلقته ثم بيان جوامع معجزاته وآياته صلى الله عليه وسلم .

(كتاب آداب المعيشة وأخلاق النبوة)

يوما وقد يكون من
لا يكشف شيء من
معاني القدرة أفضل من
يكشفها إذا كاشفه
الله بصرف اللزعة
فالقدره أثر من القادر
ومن أهل قرب القادر
لا يستغرب ولا يستنكر
شيئا من القدرة ويرى
القدرة تتجلى له من
سجف أجزاء علم
الحكمة فإذا أخلص
العبد لله تعالى أربعين
يوما واجتهد في ضبط
أحواله بشيء من
الأنواع التي ذكرنا
من العمل والتذكر
والقوت وغير ذلك
تعود بركة تلك
الأربعين على جميع
أوقاته وساعاته وهو
طريق حسن اعتماد
طاقة من الصالحين
وكان جماعة من
الصالحين يختارون

(بيان تأديب الله تعالى حبيبه وصفه محمدا صلى الله عليه وسلم بالقرآن)

كان رسول الله صلى الله عليه وسلم كثير الضراعة والابتهال دائم السؤال عن الله تعالى أن يزيده بمجلس الآداب ومكارم الأخلاق فكان يقول في دعائه « اللهم حسن خلقى وخلقى »^(١) ويقول « اللهم جنبني منكرات الأخلاق »^(٢) فاستجاب الله تعالى دعاءه وفاء بقوله عز وجل - ادعوني استجب لكم - فأنزل عليه القرآن وأدبه به فكان خلقه القرآن . قال سعد بن هشام دخلت على عائشة رضى الله عنها وعن أبيها فسألتهما عن أخلاق رسول الله ﷺ فقالت أم القريش قالت كان خلقى رسول الله صلى الله عليه وسلم القرآن^(٣) وإنما أدبه القرآن بمثل قوله تعالى - خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين - وقوله - إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذى القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغى - وقوله - واصبر على ما أصابك إن ذلك من عزم الأمور - وقوله - ولن صبر وغفر إن ذلك لمن عزم الأمور - وقوله - فاعف عنهم واصفح إن الله يحب المحسنين - وقوله - وليصبروا وليصبروا ألا تحبون أن يغفر الله لكم - وقوله - ادفع بالحق هي أحسن فإذا الذى بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم - وقوله - والكافرين القبيض والعافين عن الناس والله يحب المحسنين - وقوله - اجتنبوا كثيرا من الظن إن بعض الظن إثم ولا تجسسوا ولا يغتب بعضكم بعضا - ولما كسرت رباعيته وشجع يوم أحد فجعل الدم يسيل على وجهه وهو يمسح الدم ويقول كيف يفلح قوم خضبوا وجه نبيهم بالدم وهو يدعوهم إلى دينهم^(٤) فأنزل الله تعالى - ليس لك من الأمر شيء - تأديبا له على ذلك وأمثال هذه التأديبات في القرآن لانحصر وهو عليه السلام المقصود الأول بالتأديب والتحذير ثم منه بشرق النور على كافة الخلق فانه أدب بالقرآن وأدب الخلق به ولذلك قال صلى الله عليه وسلم « بثت لأتكم مكارم الأخلاق »^(٥) ثم رغب الخلق في محاسن الأخلاق بما أوردناه في كتاب رياضة النفس وتهذيب الأخلاق فلانميده ثم لما أكمل الله تعالى خلقه أنى عليه فقال تعالى - وإنك لملئ خلق عظيم - فسبحان ما أعظم شأنه وأنتم امتنانه ثم انظر إلى عظيم لطفه وعظيم فضله كيف أعطى ثم ألقى فهو الذى زينه بالخلق الكريم ثم أصناف إليه ذلك فقال - وإنك لملئ خلق عظيم - ثم بين رسول الله صلى الله عليه وسلم للخلق أن الله يحب مكارم الأخلاق وينفض سفافها^(٦) قال صلى الله عليه وسلم يا عبي الله لا ينجى أخوه المسلم في حاجة فلا يرى نفسه للخير أهلا فلو كان لا يرجو ثوابا ولا يخشى عقابا لقد كان ينبغي له أن يسارع إلى مكارم الأخلاق فانها مما تدل على سبيل النجاة فقال له رجل أسمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال نعم وما هو خير منه لما أتى بسبايا طيقت جارية في السبي فقالت يا محمد

للأربعين ذا القعدة وعشر ذى الحجة وهى أربعون موسى عليه السلام . أخبرنا شيخنا ضياء الدين أبو النجيب إجازة قال أنا أبو منصور محمد ابن عبد الملك بن خيرون إجازة قال أنا أبو محمد الحسن بن طي الجوهري إجازة قال أنا أبو عمر محمد بن العباس قال ثنا أبو محمد يحيى بن محمد بن صاعد قال ثنا الحسين بن الحسن الروزى قال ثنا عبد الله بن المبارك قال ثنا أبو معاوية الضرير قال ثنا الحجاج عن مكحول قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن أخلص لله تعالى العبادة أربعين يوما ظهرت ينابيع الحكمة من قلبه على لسانه .

(١) حديث كان يقول في دعائه اللهم حسن خلقى وخلقى أحمد من حديث ابن مسعود ومن حديث عائشة ولفظهما اللهم أحسن خلقى فأحسن خلقى وإسنادهما جيد وحديث ابن مسعود رواه حب (٢) حديث اللهم جنبني منكرات الأخلاق ت وحسنه وك وصححه واللفظ له من حديث قطبة ابن مالك وقالت ت اللهم إني أعوذ بك (٣) حديث سعد بن هشام دخلت على عائشة فسألتهما عن أخلاق رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت كان خلقه القرآن رواه مسلم وروى الحاكم في قوله إنهما لم يخرجاه (٤) حديث كسرت رباعيته صلى الله عليه وسلم يوم أحد الحديث في نزوله ليس لك من الأمر شيء من حديث أنس وذكره خ تعليقا (٥) حديث بثت لأتكم مكارم الأخلاق أحمد وك حق من حديث أبي هريرة قال الحاكم صحيح على شرطه وقد تقدم في آداب الصحبة (٦) حديث إن الله يحب معالي الأخلاق وينفض سفافها حق من حديث سهل بن سعد متصلا ومن رواية طلحة ابن عبيد الله بن كرز مرسلًا ورجلها ثقات .

إن رأيت أن تغلى عنى ولا تشمت بى أحياء العرب فأتى بفت سيد قومى وإن أبى كان يحمى الدمار
 وفك العاتى ويشبع الجائع ويظم الطعام ويفشى السلام ولم يرد طالب حاجة قط أنا ابنه حاتم
 الطائى فقال صلى الله عليه وسلم يا جارية هذه صفة المؤمنين حقا لو كان أبوك مسلما لرحمنا عليه خلوا
 عنها فإن أباهما كان يحب مكارم الأخلاق وإن الله يحب مكارم الأخلاق فقالوا نعم لا يدخل الجنة إلا من كان له مكارم الأخلاق (١)
 وعن معاذ بن جبل عن النبي ﷺ قال «إن الله حفي بالاسلام بمكارم الأخلاق ومحاسن الأعمال» (٢)
 ومن ذلك حسن المعاشرة وكرم الضيعة ولين الجانب وبذل العزوف وإطعام الطعام وإفشاء السلام
 وعيادة المريض المسلم برآ كان أوفاجرا وتشجيع جنازة المسلم وحسن الجوار لمن جاورت مسلما كان
 أو كافرا وتوقير ذى الشبهة للسلم وإجابة الطعام والدعاء عليه والعفو والإصلاح بين الناس والجود
 والكرم والسباحة والابتداء بالسلام وكظم الغيظ والعفو عن الناس واجتناب ما حرمه الاسلام من
 اللهو والباطل والفناء والمعاذف كلها وكل ذى وتر وكل ذى دخل والفسية والكذب والبخل والشح
 والجفاء والسكر والخديعة والنيمة وسوء ذات البين وقطيعة الأرحام وسوء الخلق والتكبر والفخر
 والاختيال والاستطالة والبخس والفحش والتفحش والحدود والحدود الطيرة والبنى والعدوان والظلم .
 قال أنس رضى الله عنه فلم يدع نصيحة جميلة إلا وقد دعانا إليها وأمرنا بها ولم يدع غشا أو قال عيبا أو
 قال شينا إلا حذرناه ونهانا عنه (٣) ويكنى من ذلك كله هذه الآية - إن الله يأمر بالعدل والإحسان -
 وقال معاذ أوصانى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال «يا معاذ أوصيك باتقاء الله وصدق الحديث
 والوفاء بالمهد وأداء الأمانة وترك الحيانة وحفظ الجار ورحمة اليتيم ولين الكلام وبذل السلام
 وحسن العمل وقصر الأمل وزوم الإيمان والتفقه فى القرآن وحب الآخرة والجزع من الحساب
 وخفض الجناح وأنهاك أن تسب حكما أو تكذب صادقا أو تطيع آثما أو تهوى إماما عادلا أو
 تفسد أرضا وأوصيك باتقاء الله عند كل حجر وشجر ومدر وأن تحدث لكل ذنب توبة السرى السر
 والعلاية بالعلاية (٤) فهكذا أدب عباد الله ودعاهم إلى مكارم الأخلاق ومحاسن الآداب .
 (بيان جملة من محاسن أخلاقه التى جمعها بعض العلماء والتقطها من الأخبار)

فقال كان صلى الله عليه وسلم أحلم الناس (٥)

(١) حديث طى قوله وإعجاب الرجل مسلم يحبه أخوه السلم فى حاجة فلا يرى نفسه للخير أهلا الحديث
 وفيه مرفوعا لما أتى بسبايا طي* وقتت جارية فى السى فقالت يا محمد إن رأيت أن تغلى عنى الحديث
 ت الحكيم فى نوادر الأصول بإسناد فيه ضعف (٢) حديث معاذ حفي الاسلام بمكارم الأخلاق
 ومحاسن الأعمال الحديث بطوله لم أقف له على أصل وينفى عنه حديث معاذ الآلى بعده بحديث
 (٣) حديث أنس لم يدع صلى الله عليه وسلم نصيحة جميلة إلا وقد دعانا إليها وأمرنا بها لم أقف له
 على إسناد وهو صحيح من حيث الواقع (٤) حديث يا معاذ أوصيك باتقاء الله وصدق الحديث أبو نعيم
 فى الحلية وهى فى الزهد وقد تقدم فى آداب الصحبة (٥) حديث كان صلى الله عليه وسلم أحلم الناس
 أبو الشيخ فى كتاب أخلاق رسول الله صلى الله عليه وسلم من رواية عبد الرحمن بن أبزى كان
 رسول الله صلى الله عليه وسلم من أحلم الناس الحديث وهو مرسل . وروى أبو حاتم بن حبان من
 حديث عبد الله بن سلام فى قصة إسلام زيد بن شعث من أخبار اليهود وقول زيد لعمر بن الخطاب
 يا عمر كل علامات النبوة قد عرفت فى وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم حين نظرت إليه إلا اثنتين
 لم أخبرهما به يسبق حلمه جهله ولا تزيد شدة الجهل عليه إلا حلما فقد اخترتهما الحديث.

[الباب التاسع]

والعشرون فى أخلاق

الصوفية وشرح الخلق

الصوفية وأوفى الناس

حظا فى الاقتداء

برسول الله صلى الله

عليه وسلم وأحتم

بأحياء سنته والتخلق

بأخلاق رسول الله

صلى الله عليه وسلم من

حسن الاقتداء وإحياء

سنته طى ما أخبرنا

الشيخ العالم ضياء

الدين شيخ الاسلام

أبو أحمد عبد الوهاب

ابن طى قال أنا أبو الفتح

عبد للك بن أبى

القاسم المروى قال

أنا أبو نصر عبد العزيز

ابن حمد الترياقى قال

أنا أبو محمد عبد الجبار

ابن محمد الجراحى قال

أنا أبو العباس محمد بن

أحمد المبوبى قال أنا

أبو عيسى محمد بن

وأشجع الناس (١) وأعدل الناس (٢) وأعطف الناس لم تمس يده قط يدا امرأة لا يملك رقها أو عصمة نكاحها أو تكون ذات محرم منه (٣) وكان أسخى الناس (٤) لا يبيت عنده دينار ولا درهم وإن فضل شيء لم يجد من يعطيه وفجأة الليل لم يأو إلى منزله حتى يتبرأ منه إلى من يحتاج إليه (٥) لا يأخذ مما آتاه الله إلى قوت عامه قط من أيسر ما يجد من التمر والشعير ويضع سائر ذلك في سبيل الله (٦) لا يسئل شيئا إلا أعطاه (٧) ثم يعود على قوت عامه فيؤثر منه حتى إنه ربما احتاج قبل انقضاء العام إن لم يأت به شيء (٨) وكان يخفف النمل ويرقع الثوب ويخدم في مهنة أهله (٩)

(١) حديث أنه كان أشجع الناس مثق عليه من حديث أنس (٢) حديث كان أعدل الناس ت في الثمائل من حديث علي بن أبي طالب في الحديث الطويل في صفته صلى الله عليه وسلم لا يقصر عن الحق ولا يجاوزه وفيه قد وسع الناس بسطه وخلقه فصار لهم أبوا صاروا عنده في الحق سواء الحديث وفيه من لم يسم (٣) حديث كان أعف الناس لم تمس يده قط يدا امرأة لا يملك رقها أو عصمة نكاحها أو تكون ذات محرم له الشيخان من حديث عائشة مامست يد رسول الله صلى الله عليه وسلم يد امرأة إلا امرأة يملكها (٤) حديث كان أسخى الناس الطبراني في الأوسط من حديث أنس فضلت على الناس بأربع بالسقاء والشجاعة الحديث ورجاله ثقات وقال صاحب اليزان إنه منكر وفي الصحيحين من حديثه كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أجود الناس واتفقا عليه من حديث ابن عباس وتقدم في الزكاة (٥) حديث كان لا يبيت عنده دينار ولا درهم قط وإن فضل لم يجد من يعطيه وفجأة الليل لم يأو إلى منزله حتى يبرأ منه إلى من يحتاج إليه من حديث بلال في حديث طويل فيه أهدى صاحب فذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم أربع ركائب عليهن كسوة وطعام ويسع بلال لذلك ووفاء دينه ورسول الله صلى الله عليه وسلم قاعد في السجد وحده وفيه قال فضل شيء قلت نعم دينار قال انظر أن تريحنى منهما فلست بدخلت على أحد من أهلي حتى تريحنى منهما فلم يأتنا أحد فبات في السجد حتى أصبح وظل في السجد اليوم الثاني حتى إذا كان في آخر النهار جاء راكبان فانطلقت بهما فكسوتهما وأطعمتهما حتى إذا صلى العشاء دعاني فقال ما فعل الذي قبلك قلت قد أراحك الله منه فكبر وحمد الله شفقا من أن يدركه الموت وعنده ذلك ثم اتبعته حتى جاء أزواجه الحديث والبخاري من حديث عقبة ابن الحارث ذكرت وأنا في الصلاة فكرهت أن يمسي ويبيت عندنا فأمرت بقسمته ولأبي عبيد في غريبه من حديث الحسن بن محمد مرسلان لا يقبل مالا عنده ولا يبيت (٦) حديث كان لا يأخذ مما آتاه الله إلا قوت عامه قط من أيسر ما يجد من التمر والشعير ويضع سائر ذلك في سبيل الله متفق عليه بنحوه من حديث عمر بن الخطاب وقد تقدم في الزكاة (٧) حديث كان لا يسئل شيئا إلا أعطاه الطيالسي والدارمي من حديث سهل بن سعد والبخاري من حديثه في الرجل الذي سأله الشعلة فقيل له سأله إياها وقد علمت أنه لا يرد سائلا الحديث ولهم من حديث أنس ما سئل على الإسلام شيئا إلا أعطاه وفي الصحيحين من حديث جابر ما سئل شيئا قط فقال لا (٨) حديث أنه كان يؤثر مما ادخر لبياته حتى ربما احتاج قبل انقضاء العام هذا معلوم ويدل عليه ما رواه ت ن ه من حديث ابن عباس أنه صلى الله عليه وسلم توفي ودرعه مرهونة بشرين صا من طعام أخذه لأهله وقال ه بثلاثين صا من شعير وإسناده جيد وخ من حديث عائشة توفي ودرعه مرهونة عند يهودي بثلاثين وفي رواية هق بثلاثين صا من شعير (٩) حديث وكان صلى الله عليه وسلم يخفف النمل ويرقع الثوب ويخدم في مهنة أهله أحمد من حديث عائشة كان يخفف نمله ويخيط ثوبه ويسمل في بيته كما يعمل أحدكم في بيته ورجاله رجال الصحيح ورواه أبو الشيخ بلفظ ويرقع الثوب والبخاري من حديث عائشة كان

عيسى بن سورة الترمذي قال ثنا مسلم ابن حاتم الأنصاري البصري قال ثنا محمد ابن عبد الله الأنصاري عن أبيه عن علي بن زيد عن سعيد بن المسيب قال قال أنس ابن مالك رضى الله عنه قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم «يا بني إن قدرت أن تصبح وتمسى وليس في قلبك غش لأحد فافعل» ثم قال : يا بني وذلك من سنن ومن أحيائى قد أحيائى ومن أحيائى كان معى في الجنة » فالصوفية أحيوا سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم لأنهم وقفوا في بداياتهم لرعاية أقواله وفي وسط حالمهم اقتدوا بأعماله فأنمزلهم ذلك أن تحققوا

ويقطع اللحم معهم^(١) وكان أشد الناس حياء لا يثبت بصره في وجه أحد^(٢) ويجيب دعوة العبد والحر^(٣) ويقبل الهدية ولو أنها جرعة لبن أو غنخ أرنب ويكافئ عليها^(٤) ويأكلها ولا يأكل الصدقة^(٥) ولا يستكبر عن إجابة الأمة والمساكين^(٦) يغضب لربه ولا يغضب لنفسه^(٧) وينفذ الحق وإن عاد ذلك عليه بالضرر أو على أصحابه عرض عليه الانتصار بالمشركين على المشركين وهو في قلة وحاجة إلى إنسان واحد يزيد في عدد من معه فأي وقال : أنا لا أتصبر بمشرك^(٨) ووجد من فضلاء أصحابه وخيارهم قتيلا بين اليهود فلم يحف عليهم ولا زاد على مر الحق بل وداه بمائة ناقة وإن بأصحابه حاجة إلى بعير واحد يتقوون به^(٩) وكان يصب الحجر على بطنه

يكون في مهنة أهله^(١٠) حديث أنه كان يقطع اللحم أحمد من حديث عائشة أرسل إلينا آل أبي بكر بقائمة شاة ليلا فامسكت وقطع رسول الله صلى الله عليه وسلم أوقا قالت فامسك رسول الله صلى الله عليه وسلم وقطعت وفي الصحيحين من حديث عبد الرحمن بن أبي بكر في أثناء حديث وأيم الله ما من الثلاثين ومائة إلا حزنه رسول الله صلى الله عليه وسلم من سواد بطنها^(١١) حديث كان من أشد الناس حياء لا يثبت بصره في وجه أحد الشيخان من حديث أبي سعيد الخدري قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أشد حياء من العذراء في خدرها^(١٢) حديث كان يجيب دعوة العبد والحر هك من حديث أنس كان يجيب دعوة المملوك قال ك صحيح الاسناد : قلت بل ضعيف وللدار قطني في غرائب مالك وضعفه والخطيب في أسماء من روى عن مالك من حديث أبي هريرة كان يجيب دعوة العبد إلى أي طعام دعى ويقول لودعيت إلى كراع لأجبت وهذا بعمومه دال على إجابة دعوة الحر وهذه القطعة الأخيرة عند من حديث أبي هريرة وقد تقدم وروى ابن سعد من رواية حمزة بن عبد الله بن عتبة كان لا يدعوهم أحمر ولا أسود من الناس إلا أجابه الحديث وهو مرسل^(١٣) حديث كان يقبل الهدية ولو أنها جرعة لبن أو غنخ أرنب ويكافئ عليها من حديث عائشة قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقبل الهدية ويثيب عليها ، وأما ذكر جرعة اللبن وخنخ الأرنب ففي الصحيحين من حديث أم الفضل أنها أرسلت بقدر لبن إلى النبي صلى الله عليه وسلم وهو واقف بعرفة فشربه ولأحمد من حديث عائشة أهدت أم سلمة لرسول الله صلى الله عليه وسلم لبنا الحديث وفي الصحيحين من حديث أنس أن أباطلة بعث بورك أرنب أو غنخها إلى رسول الله ﷺ قبله^(١٤) حديث كان يأكل الهدية ولا يأكل الصدقة متفق عليه من حديث أبي هريرة وقد تقدم^(١٥) حديث كان لا يستكبر أن يمشي مع المسكين نك من حديث عبد الله بن أبي أوفى بسند صحيح وقد تقدم في الباب الثاني من آداب الصجبة ورواه أيضا من حديث أبي سعيد الخدري وقال صحيح على شرط الشيخين^(١٦) حديث كان يغضب لربه ولا يغضب لنفسه في الثمائل من حديث هند بن أبي هالة وفيه وكان لا تغضبه الدنيا وما كان منها فإذا تمضى الحق لم يبق له شيء حتى ينتصر له ولا يغضب لنفسه ولا ينتصر لها وفيه من لم يسم .^(١٧) حديث وينفذ الحق وإن عاد ذلك بالضرر عليه وعلى أصحابه عرض عليه الانتصار بالمشركين على المشركين وهو في قلة وحاجة إلى إنسان واحد يزيد في عدد من معه فأي وقال أنا لا أستصبر بمشرك من حديث عائشة خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما كان بحرة البصرة أدركه رجل قد كان يذكر منه جرأة ونجدة ففرح به أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم حين راوه فلما أدركه قال جئت لأتبعك واصيب معك فقال له اتؤمن بالله ورسوله قال لا قال فارجع فلن استعين بمشرك الحديث^(١٨) حديث وجد من فضلاء أصحابه وخيارهم قتيلا بين اليهود فلم يحف عليهم فوداه بمائة ناقة الحديث متفق عليه من حديث سهل بن أبي حنيفة ورافع بن خديج والرجل الذي وجد مقتولا هو عبد الله بن سهل الأنصاري .

في نهاياتهم بأخلاقه وتحسين الأخلاق لا يأتي إلا بعد تزكية النفس وطريق التزكية بالإذعان لسياسة الشرع وقد قال الله تعالى لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم - وإنك لعلى خلق عظيم - لما كان أشرف الناس وأزكاهم نفسا كان أحسنهم خلقا قال مجاهد على خلق عظيم أي على دين عظيم والدين مجموع الأعمال الصالحة والأخلاق الحسنة . مثلت عائشة رضي الله عنها عن خلق رسول الله صلى الله عليه وسلم قالت كان خلقه القرآن قال قتادة هو ما كان يأتمر به من أمر الله تعالى وينتهي عما نهى الله عنه وفي قول عائشة كان خلقه القرآن سر

مرة من الجوع^(١) ومرة يأكل ما حضر ولا يرد ما وجد ولا يتورع عن مطعم حلال وإن وجد تمرًا دون خبز أكله^(٢) وإن وجد شواء أكله وإن وجد خبز بر أو شعير أكله وإن وجد حلوا أو عسلا أكله وإن وجد لبنًا دون خبز أكتفى به وإن وجد بطيخًا أو رطبًا أكله ، لا يأكل متكثًا^(٣) ولا طيخًا^(٤) منديلًا باطن قدميه^(٥) لم يشبع من خبز بر ثلاثة أيام متوالية^(٦) حتى لقي الله تعالى إشارًا على نفسه لا تقرا ولا بهلا^(٧) يجب الوليمة ويعود المريض^(٨) ويشهد الجنائز ويمشي وحده بين أعدائه بلا حارس^(٩)

(١) حديث كان يصب الحبر على بطنه من الجوع متفق عليه من حديث جابر في قصة حفر الخندق وفيه فإذا رسول الله صلى الله عليه وسلم شد على بطنه حجرًا وأغرب حب فقال في صحبته إنما هو الحبر بضم الحاء وآخره زاي جمع حجرة وليس بتابع على ذلك ويرد على ذلك ما رواه ت من حديث أبي طلحة شكونا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم الجوع ورفعنا عن بطوننا عن حجر فرفع رسول الله صلى الله عليه وسلم عن حجرين ورجاله كلهم تمات (٢) حديث كان يأكل ما حضر ولا يرد ما وجد ولا يتورع عن مطعم حلال إن وجد تمرًا دون خبز أكله وإن وجد خبز بر أو شعير أكله وإن وجد حلوا أو عسلا أكله وإن وجد بطيخًا أو رطبًا أكله انتهى . هذا كله معروف من أخلاقه ففي ت من حديث أم هانئ دخل على النبي صلى الله عليه وسلم فقال أعندك شيء ؟ قلت لا إلا خبز يابس وخبث فقال هات الحديث ، وقال حسن غريب وفي كتاب التماثل لأبي الحسن بن الضحاك بن المقرئ من رواية الأوزاعي قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أبالي ما رددت به الجوع وهذا معضل ولمسلم من حديث جابر أن النبي صلى الله عليه وسلم سأل أهله الأدم فقالوا ما عندنا إلا خبث فدعا به الحديث وله من حديث أنس رأيته مقفيا يأكل تمرات وت وصحبه من حديث أم سلمة أنها قربت إليه جنبًا مشويًا فأكل منه الحديث وللشيخين من حديث عائشة ما شبع رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثة أيام تباعا خبز بر حتى مضى لسبيله لفظه وفي رواية له ما شبع من خبز شعير يومين متتابعين وت وصحبه وه من حديث ابن عباس كان أكثر خبرهم الشعير وللشيخين من حديث عائشة كان يحب الحلواء والعسل ولهما من حديث ابن عباس أن النبي صلى الله عليه وسلم شرب لبنًا فدعا بساء فمضض ون من حديث عائشة كان يأكل الرطب بالبطيخ واستاده صحيح (٣) حديث أنه كان لا يأكل متكثًا تقدم في آداب الأكل في الباب الأول (٤) حديث أنه كان لا يأكل على خوان تقدم في الباب المذكور (٥) حديث كان منديلًا باطن قدمه لا أعرفه من فعله وإنما المعروف فيه ما رواه ه من حديث جابر كنا زمان رسول الله صلى الله عليه وسلم قليلًا ما نجد الطعام فإذا وجدناه لم يكن لنا مناديل إلا أكفنا وسواعدنا وقد تقدم في الطهارة (٦) حديث لم يشبع من خبز بر ثلاثة أيام متوالية حتى لقي الله تقدم في جملة الأحاديث التي قبله بثلاثة أحاديث (٧) حديث كان يجب الوليمة هذا معروف وتقدم قوله لودعيت إلى كراع لأجبت وفي الأوسط للطبراني من حديث ابن عباس أنه كان الرجل من أهل العوالي ليدعو رسول الله صلى الله عليه وسلم نصف الليل على خبز الشعير فيجيب واستاده ضيف (٨) حديث كان يعود المريض ويشهد الجنائز وت وضعفه وه ك وصحبه من حديث أنس ورواه ك من حديث سهل بن حنيف ، وقال صحيح الاستاد وفي الصحيحين عدة أحاديث من عيادته للمرضى وشهوده للجنائز (٩) حديث كان يمشي وحده بين أعدائه بلا حارس ت ك من حديث عائشة كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحرس حتى نزلت هذه الآية - والله يعصمك من الناس - فأخرج رأسه من القبة فقال انصرفوا فقد عصمني الله قال ت غريب وقال ك صحيح الاستاد .

كبير وعلم غامض ما نطق بذلك إلا بما خصها الله تعالى به من بركة الوحي السباوي ومحبة رسول الله صلى الله عليه وسلم وتخصيصه إياها بكلمة خذوا شطر دينكم من هذه الحبراء وذلك أن النفوس مجبولة على غرائز وطباع هي من لوازمها وضرورتها خلقت من تراب ولها بحسب ذلك طبع وخلقت من ماء ولها بحسب ذلك طبع وهكذا من حمائم نون ومن صلصال كالفخار وبحسب تلك الأصول التي هي مبادئ تكوينها استفادت صفات من البهيمية والسبية والشيطانية وإلى صفة الشيطنة في الإنسان إشارة بقوله تعالى - من

أشد الناس تواضعا وأسكنهم في غير كبر (١) وأبلغهم في غير تطويل (٢) وأحسنهم بشرا (٣) لايهوله شيء من أمور الدنيا (٤) ويلبس ما وجد ثمرة شملة ومرة بردحبة يمانيا ومرة جبة صوف ما وجد من اللباس لبس (٥) وخاتمه فضة (٦) يلبسه في خنصره الأيمن (٧) والأيسر (٨) يردف خلفه عبده أو غيره (٩) يركب ما أمكنه مرة فرسا ومرة بعيرا ومرة بغلة وشيئا ومرة حمارا ومرة يمشى

(١) حديث كان أشد الناس تواضعا وأسكنهم من غير كبر أبو الحسن بن الضحاك في الثمائل من حديث أبي سعيد الخدري في صفته صلى الله عليه وسلم حين للثؤنة ليل الخلق كريم الطبيعة جميل المعاشرة طليق الوجه إلى أن قل متواضع في غير ذلة وفيه دائب الاطراق واسناده ضعيف وفي الأحاديث الصحيحة الدالة على شدة تواضعه غنية عنه منها عند ن من حديث ابن أبي أوفى كان لا يألف ولا يستكبر أن يمشى مع الأرملة والمسكين الحديث وقد تقدم وعند أبي داود من حديث البراء فجلس وجلسنا كان على رؤسنا الطير الحديث ولأصحاب السنن من حديث أسامة بن شريك أتيت النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه كأنما على رؤوسهم الطير (٢) حديث كان أبلغ الناس من غير تطويل خ م من حديث عائشة كان يحدث حديثا لو عده العاد لأحصاه ولهما من حديثها لم يكن يسرد الحديث كسر دم علقه خ ووصله م زادت ولكنه كان يتكلم بكلام يبينه فصل يحفظه من جلس إليه وله في الثمائل من حديث ابن أبي هالة يتكلم بمجامع الكلام فصل لا فضول ولا تقصير (٣) حديث كان أحسنهم بشرا ت في الثمائل من حديث علي بن أبي طالب كان رسول الله صلى الله عليه وسلم دائم البشر سهل الخلق الحديث وله في الجامع من حديث عبد الله بن الحارث بن جزء ما رأيت أحدا كان أكثر تبسما من رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال غريب قلت وفيه ابن لميعة (٤) حديث كان لايهوله شيء من أمور الدنيا أحمد من حديث عائشة ما أعجب رسول الله صلى الله عليه وسلم شيء من الدنيا وما أعجبه أحد قط إلا ذوتني وفي لفظ له ما أعجب النبي صلى الله عليه وسلم شيء من الدنيا إلا أن يكون فيها ذوتني وفيه ابن لميعة (٥) حديث كان يلبس ما وجد ثمرة شملة ومرة جبة صوف ما وجد من اللباس لبس خ م من حديث سهل بن سعد جاءت امرأة يردة . قال سهل هل تدرون ما البردة هي الشملة منسوج في حاشيتها وفيه فخرج إلينا وانها لإزاره الحديث ولا بن ماجه من حديث عبادة بن الصامت أن رسول الله صلى الله عليه وسلم صلى في شملة قد عقد عليها فيه الأحوص بن حكيم يختلف فيه وللشيخين من حديث أنس كان أحب الثياب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يلبسها الحبرة ولهما من حديث المغيرة بن شعبه وعليه جبة من صوف (٦) حديث خاتمه فضة متفق عليه من حديث أنس اتخذ خاتما من فضة (٧) حديث لبيه الخاتم في خنصره الأيمن م من حديث أنس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لبس خاتم فضة في يمينه وللبخاري من حديثه فأنى لأرى بريقه في خنصره (٨) حديث تحتته في الأيسر م من حديث أنس كان خاتم النبي صلى الله عليه وسلم في هذه وأشار إلى الخنصر من يده اليسرى (٩) حديث إردافه خلفه عبده أو غيره أردف صلى الله عليه وسلم أسامة بن زيد من عرفة كما ثبت في الصحيحين من حديث ابن عباس ومن حديث أسامة وأردفه مرة أخرى على حمار وهو في الصحيحين أيضا من حديث أسامة وهو مولاة وابن مولاة وأردف الفضل بن عباس من الزدلفة وهو في الصحيحين أيضا من حديث أسامة ومن حديث ابن عباس والفضل بن عباس وأردف معاذ بن جبل وابن عمر وغيرهم من الصحابة .

صلصال كالصخر
لدخول النار في الفخار
وقد قال الله تعالى -
وخلق الجنان من مارج
من نار والله تعالى بغي
لطفه وعظيم عنايته
نزع نصيب الشيطان
من رسول الله صلى الله
عليه وسلم على ماورد
في حديث حليمة ابنة
الحارث أنها قالت
في حديث طويل فينا
نحن خائف بيوتنا
ورسول الله صلى الله
عليه وسلم مع أخ له
من الرضاعة في بهم
لنا جاءنا أخوه يشتد
فقال ذلك أخى القرشى
قد جاءه رجلان عليهما
ثياب بياض فأضجعا
فشقا بطنه فخرجت
أنا وأبوه نشدت نحوه
فوجداه قائما منتعما لونه
فاعتقه أبوه ، وقال
أى بنى ماشأناك ؟ قال

رجلا حافيا بلارداء ولا عمامة ولا قلنسوة يعود الرضى في أقصى المدينة^(١) يحب الطيب ويكره الرائحة الكريهة^(٢) ويجالس الفقراء^(٣) ويؤاكل الساكنين^(٤) ويكرم أهل الفضل في أخلاقهم ويتألف أهل الشرف بالبر لهم^(٥) يصل ذوى رحمه من غير أن يؤثرهم على من هو أفضل منهم^(٦) لا يجفو على أحد^(٧)

(١) حديث كان يركب ما أمكنه مرة فرسا ومرة بعيرا ومرة بقلنسوء ومرة حمارا ومرة رثيلة ومرة حافيا بلارداء ولا عمامة ولا قلنسوة يعود الرضى في أقصى المدينة في الصحيحين من حديث أنس ركوبه صلى الله عليه وسلم فرسا لأبي طلحة ومسلم من حديث جابر بن سمرة ركوبه الفرس عرياحين انصرف من جنازة ابن الدحداح ومسلم من حديث سهل بن سعد كان لنبى ﷺ فرس يقال له: اللحيض ولهما من حديث ابن عباس طاف النبى صلى الله عليه وسلم في حجة الوداع على بعير ولهما من حديث البراء رأيت النبى صلى الله عليه وسلم على بقلته البيضاء يوم حنين ولهما من حديث أسامة أنه صلى الله عليه وسلم ركب على حمار على إكاف الحديث ولهما من حديث ابن عمر كان يأتى قبا راكبا وماشيا ومسلم من حديثه في عيادته صلى الله عليه وسلم لسعد بن عباد ققام وقمنا معه ونحن بضعة عشر ماعلينا نعال ولا خفاف ولا قلانس ولا قمص نغشى في السباخ الحديث (٢) حديث كان يحب الطيب والرائحة الطيبة ويكره الروائح الكريهة من حديث أنس حبيب إلى النساء والطيب وذلك من حديث عائشة أنها صنعت لرسول الله صلى الله عليه وسلم جبة من صوف فلبسها فلما عرق وجد ريح الصوف فخلعها وكان يعجبه ريح الطيبة لفظك وقال صحيح على شرط الشيخين وابن عدى من حديث عائشة كان يكره أن يوجد منه إلا ريح طيبة (٣) حديث كان يجالس الفقراء من حديث أبى سعيد جاست في عصابة من ضعفاء المهاجرين وإن بعضهم ليستربضا من العري الحديث وفيه فجلس رسول الله ﷺ وسطنا ليعدل بنفسه فينا الحديث وهو من حديث خباب وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يجلس معنا الحديث في نزول قوله تعالى ولا تطرد الذين يدعون ربهم - إصداهما حسن (٤) حديث مؤاكلته للعساكين خ من حديث أبى هريرة قال وأهل الصفة أضياف الإسلام لا يأوون إلى أهل ولا مال ولا على أحد إذا أتته صدقة يمت بها إليهم ولم يتناول منها وإذا أتته هدية أرسل إليهم وأصاب منها وأشركهم فيها (٥) حديث كان يكرم أهل الفضل في أخلاقهم ويتألف أهل الشرف بالبر لهم ت في الثبائل من حديث على الطويل في صفته صلى الله عليه وسلم وكان من سيرته إشار أهل الفضل بأذنه وقسمه على قدر فضلهم في الدين وفيه يؤلفهم ولا ينفهم ويكرم كريم كل قوم ويؤلف عليهم الحديث والطبراني من حديث جرير في قصة إسلامه فأتى إلى كسائه ثم أقبل على أصحابه ثم قال إذا جاءكم كريم قوم فاكرموه وإسناده جيد ورواه ك من حديث معبد بن خالد الأنصارى عن أبيه نحوه وقال صحيح الإسناد (٦) حديث كان يصل ذوى رحمه من غير أن يؤثرهم على من هو أفضل منهم ك من حديث ابن عباس كان يحمل العباس إجلال الوالد والوالدة وله من حديث سعد بن أبى وقاص أنه أخرج عمه العباس وغيره من المسجد فقال له العباس تخرجنا ونحن عصبتك وعمومتك وتسكن عليا فقال ما أنا أخرجكم وأسكنه ولكن الله أخرجكم وأسكنه قال في الأول صحيح الإسناد وسكت عن الثانى وفيه مسلم اللأى ضيف فأثر عليا لفضله بتقدم إسلامه وشهوده بدره والله أعلم وفي الصحيحين من حديث أبى سعيد لا يقيين في المسجد باب إلا سد إلا باب أبى بكر (٧) حديث كان لا يجفو على أحد دت في الثبائل ون في اليوم والليلة من حديث أنس كان قلما يواجه رجلا بشئ يكرهه وفيه ضعف وللشيخين من حديث أبى هريرة أن رجلا استأذن عليه صلى الله عليه وسلم فقال بشئ أخو العشرة فلما دخل ألان له القول الحديث .

جاء في رجلان عليهما ثياب يابض فأضجاني فتقاطبني ثم استخرجنا منه شيئا فطرحاه ثم رداه كما كان فرجعنا به معنا فقال أبوه يا حليلة لقد خشيت أن يكون أبى هذا قد أصيب انطلقى بنا فلنرده إلى أهله قيل أن يظهر به ما تخوف قالت فاحتملناه فلم نترع أمه إلا وقد قدمنا به عليها قالت ما ردك قد كتبنا عليه حريصين قلنا لا والله لأخبر إلا أن الله عز وجل قد أدى عنا وقضينا القدى كان علينا وقلنا نغشى الأنثاف والأحداث نرده إلى أهله فقالت ماذا لك بكما فاصدقاني شأنكما فلم تدعنا حتى أخبرناها خبره فقالت خشيتا عليه الشيطان

يقبل معذرة المعتذر إليه (١) يمزح ولا يقول إلا حقا (٢) يضحك من غير قهقهة (٣) يرى اللعب الباح فلا ينكره (٤) يسابق أهله (٥) وترفع الأصوات عليه فيصبر (٦) وكان له لقاح وغنم يتقوت هو وأهله من ألبانها (٧) وكان له عبيد وإماء لا يرتفع عليهم في مأكل ولا ملابس (٨) ولا يغضى له وقت في غير عمل لله تعالى أو فيها لا بد منه من صلاح نفسه (٩) يخرج إلى بساتين أمهاته (١٠)

(١) حديث يقبل معذرة المعتذر إليه متفق عليه من حديث كعب بن مالك في قصة الثلاثة الذين خلفوا وقبه طفق الخلقون يعتذرون إليه قبل منهم علانيتهم الحديث (٢) حديث يمزح ولا يقول إلا حقا أحمد من حديث أبي هريرة وهو عند ثلقظ قالوا إنك تداعبنا قال إى ولا أقول إلا حقا وقال حسن (٣) حديث ضحكه من غير قهقهة الشيخان من حديث عائشة مارأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم مستجمعا ضاحكا حتى أرى لمواته إنما كان يتبسم وت من حديث عبد الله بن الحارث ابن جزء ما كان ضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا تبسما قال صحيح غريب وله في السائل في حديث هند بن أبى هالة جل ضحكه التبسم (٤) حديث يرى اللعب الباح ولا يكرهه الشيخان من حديث عائشة في لعب الحبسة بين يديه في المسجد وقال لهم دونكم يابى أرفدة وقد تقدم في كتاب السماع (٥) حديث مسابقتة صلى الله عليه وسلم أهله دهن في الكبرى وه من حديث عائشة في مسابقتها لها وتقدم في الباب الثالث من النكاح (٦) حديث ترفع الأصوات عنده فيصبرخ من حديث عبد الله بن الزبير قدم ركب من بنى تميم على النبي صلى الله عليه وسلم فقال أبو بكر أمر القمقام بن معبد وقال عمر بل أمر الأقرع بن حابس فقال أبو بكر ما أردت إلا خلافي وقال عمر ما أردت خلافتك قماريا حتى ارتفعت أصواتهما قتلت - يا أيها الذين آمنوا لا تقدموا بين يدي الله ورسوله - (٧) حديث وكان له لقاح وغنم يتقوت هو وأهله من ألبانها محمد بن سعد في الطبقات من حديث أم سلمة كان عيشنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم اللبن أوفالأت أكثر عيشنا كانت لرسول الله صلى الله عليه وسلم لقاح بالثابة الحديث وفي رواية له كانت لنا أغز سبع فكان الراعى يبلغ بهن مرة الحمى ومرة أحدا وروح بهن علينا وكانت لقاح بنى الجبل فيؤب إلينا ألبانها بالليل الحديث وفي إسنادهما محمد بن عمر الواقدي ضعيف في الحديث وفي الصحيحين من حديث سلمة بن الأكوع كانت لقاح رسول الله صلى الله عليه وسلم ترى بنى قرد الحديث ولأبى داود من حديث لقيط بن صبرة لنا غنم مائة لا تزيد أن تزيد فإذا ولد الراعى بهمة ذبحنا مكانها شاة الحديث (٨) حديث كان له عبيد وإماء فلا يرتفع عليهم في مأكل ولا ملابس محمد بن سعد في الطبقات من حديث سلمى قالت كان خدم النبي صلى الله عليه وسلم أنا وخضرة ورضوى وميمونة بنت سعد أعتقهن كلهن وإسناده ضعيف وروى أيضا أن أبا بكر بن حزم كتب إلى عمر بن عبد العزيز بأسماء خدم رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكر بركة أم أيمن وزيد بن حارثة وأبا كبشة وأنسة وشقران وسفينة وثوبان ورباحا ويسارا وأبارافع وأبامويهبة ورافعا أعتقهم كلهم وفضالة ومدعما وكركرة وروى أبو بكر بن الضحاك في السائل من حديث أبى سعيد الخدرى بإسناد ضعيف كان صلى الله عليه وسلم يأكل مع خادمه وم من حديث أبى اليسر أطعموم مما تأكلون وألبسوم مما تلبسون الحديث (٩) حديث لا يغضى له وقت في غير عمل لله تعالى أو فيها لا بد منه من صلاح نفسه ت في السائل من حديث على بن أبى طالب كان إذا أوى إلى منزله جزأ دخوله ثلاثة أجزاء جزءا لله وجزءا لأهله وجزءا لنفسه ثم جزأ جزأ بينه وبين الناس فرد ذلك بالخاصة على العامة الحديث (١٠) حديث يخرج إلى بساتين أمهاته تقدم في الباب الثالث من آداب الأكل آخر وجه صلى الله عليه وسلم إلى بستان أبى الهيثم بن التيهان وأبى أيوب الأنصارى وغيرهما.

كلا والله ما للشيطان عليه سيل وإنه لكأن لابنى هذا شأن ألا أخبركما بخبره قلنا بلى قالت حملت به لما حملت حملا قط أخف منه قالت فرأيت في النوم حين حملت به كأنه خرج منى نور قد أضاءت بمقصور الشام ثم وقع حين ولدته وقوطا لم يقعه المولود معتمدا على يديه رافعا رأسه إلى السماء فدعاه عنكما فبعد أن طهر الله رسوله من نصيب الشيطان بقيت النفس الزكية النبوية على حد نفوس البشر لها ظهور بصفات وأخلاق مبقاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم رحمة للخلق لوجود أمهات تلك الصفات في نفوس الأمة بمزيد من الظلمة

لا يحقر مسكينا لفقره وزماته ولا يهاب ملكا لملكه يدعو هذا وهذا إلى الله دعاء مستويا (١) قد جمع الله تعالى له السيرة الفاضلة والسياسة الثابتة وهو أسمى لا يقرأ ولا يكتب نشأ في بلاد الجهل والصحارى في قعر وفي رعاية الغنم بنينا لأب له ولأم ضله الله تعالى جميع محاسن الأخلاق والطرق الحميدة وأخبار الأولين والآخرين ومافيه النجاة والفوز في الآخرة والقبطة والخلص في الدنيا ولزوم الواجب وترك الفضول (٢) . وقتنا الله لطاعته في أمره والتأسي به في ضله آمين يارب العالمين .

(بيان جملة أخرى من آدابه وأخلاقه)

كما رواه أبو البختري قالوا ما شتم رسول الله صلى الله عليه وسلم أحدا من المؤمنين بشتمه إلا جعل لها كفارة ورحمة (٣) وما لمن امرأة قط ولا خادما بلعة (٤) وقيل له وهو في القتال لولعنتهم يارسول الله

(١) حديث لا يحقر مسكينا لفقره وزماته ولا يهاب ملكا لملكه يدعو هذا وهذا إلى الله دعاء واحدا مخ من حديث سهل بن سعد مرّ رجل على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ما تقولون في هذا ؟ قالوا حري إن خطب أن ينكح الحديث وفيه مرّ رجل من قراء المسلمين فقال ما تقولون في هذا ؟ قالوا حري إن خطب أن لا ينكح الحديث وفيه هذا خير من ملء الأرض مثل هذا وم من حديث أنس أن النبي صلى الله عليه وسلم كتب إلى كسرى وقصر والنجاشي وإلى كل جبار يدعوهم إلى الله عز وجل (٢) حديث قد جمع الله له السيرة الفاضلة والسياسة الثابتة وهو أسمى لا يقرأ ولا يكتب نشأ في بلاد الجهل والصحارى وفي قعر وفي رعاية الغنم لأب له ولأم ضله الله جميع محاسن الأخلاق والطرق الحميدة وأخبار الأولين والآخرين ومافيه النجاة والفوز في الآخرة والقبطة والخلص في الدنيا ولزوم الواجب وترك الفضول هذا كله معروف معلوم فروى ت في التماثل من حديث علي ابن أبي طالب في حديثه الطويل في صفته وكان من سيرته في جزء الأمة إشار أهل الفضل بأذنه وقسمه الحديث وفيه فسأله عن سيرته في جلسائه قال كان دائم البشر سهل الخلق لين الجانب الحديث وفيه كان يحزن لسانه إلا فها يئنه وفيه قد ترك نفسه من ثلاث من اللراء والإكثار وما لا يئنه الحديث وقد تقدم بضه وروى ابن مردويه من حديث ابن عباس في قوله - وما كنت تتلو من قبله من كتاب ولا تخطه يمينك - قال كان نبي الله صلى الله عليه وسلم أميا لا يقرأ ولا يكتب وقد تقدم في العلم والبخارى من حديث ابن عباس قال إذا سرك أن تعلم جهل العرب فاقرا ما فوق الثلاثين ومائة في سورة الأنعام - قد خسر الدين قتلا أولادهم سفها بغير علم - وحم وحب من حديث أم سلمة في قصة هجرة الحبشة أن جفرا قال لنجاشي أيها الملك كنا قوما أهل جاهلية نعبد الأصنام ونأكل الميتة الحديث ولأحمد من حديث أبي بن كعب إني لفي صحراء ابن عشرين وأشهر فإذا كلام فوق رأسي الحديث وخ من حديث أبي هريرة كنت أرهاها أي الغنم على قرار يربط لأهل مكة ولأبي يعلى وحب من حديث حليمة إنما نرجوا كرامة الرضاة من والد لللود وكان يئنها الحديث وتقدم حديث بشت بمكارم الأخلاق (٣) حديث ما شتم أحدا من المؤمنين إلا جعلها الله كفارة ورحمة متفق عليه من حديث أبي هريرة في أثناء حديث فيه فأى المؤمنين لعنته شتمته جلدة فاجعلها له صلاة وزكاة وقربة . وفي رواية فاجعلها زكاة ورحمة وفي رواية فاجعلها كفارة وقربة وفي رواية فاجعل ذلك كفارة له يوم القيامة (٤) حديث ما لمن امرأة ولا خادما قط المروف ماضرب مكان لمن كما هو متفق عليه من حديث عائشة والبخارى من حديث أنس لم يكن خلفا ولا مانا وسيأتى الحديث الذي بعده فيه هذا المعنى .

خاوت حال رسول الله صلى الله عليه وسلم وحال الأمة فاستمدت تلك الصفات للبقاء بظهورها في رسول الله صلى الله عليه وسلم بتزليل الآيات المحكمات بجزائها لقمعها ناديا من الله لئنه رحمة خاصة له وطامة للأمة موزعة بنزول الآيات على الآنام والأوقات عند ظهور الصفات قال الله تعالى - وقالوا لولا نزل عليه القرآن جملة واحدة كذلك لنثبت به فؤادك ورتلناه ترتيلا - وتثبيت الفؤاد بعد اضطراب بحركة النفس بظهور الصفات لارتباط بين القلب والنفس وعند كل اضطراب آية متضمنة لخلق صالح متى إما

قال : إنما بعثت رحمة ولم أبعث لعنا (١) وكان إذا سئل أن يدعو على أحد مسلم أو كافر عام أو خاص عدل عن الدعاء عليه إلى الدعاء له (٢) وما ضرب يده أحدا قط إلا أن يضرب بها في سبيل الله تعالى وما اتقم من شيء صنع إليه قط إلا أن تنتهك حرمة الله وما خير بين أمرين قط إلا اختار أيسرهما إلا أن يكون فيه إثم أو قطيعة رحم فيكون أبعد الناس من ذلك (٣) وما كان يأتيه أحد حر أو عبداً أو أمة إلا قام معه في حاجته (٤) وقال أنس رضي الله عنه والذي بعثه بالحق ما قال لي في شيء قط كرهه لمضلة ولا لأمي نساؤه إلا قال دعوه إنما كان هذا بكتاب وقدر (٥) قالوا وما عاب رسول الله ﷺ مضجعا إن فرشوا له اضطجع وإن لم يفرش له اضطجع على الأرض (٦) وقد وصفه الله تعالى في التوراة قبل أن يبعثه في السطر الأول فقال محمد رسول الله عبدى المختار لافظ ولا غليظ ولا صخاب في الأسواق ولا يجزى بالسبيطة السيئة ولكن ينفو ويصنع ، مولده بمكة وهجرته بطابة وملكه بالشام يآزر على وسطه هو ومن معه دعاه للقرآن والعلم يتوضأ على أطرافه وكذلك نعمته في الإنجيل وكان خلقه أن يبدأ من لقيه بالسلام (٧) ومن قاومه لحاجة صابره حتى يكون هو للنصرف (٨) وما أخذ أحد يده فيرسل يده حتى يرسلها الآخر (٩)

(١) حديث إنما بعثت رحمة ولم أبعث لعنا م من حديث أبي هريرة (٢) حديث كان إذا سئل أن يدعو على أحد مسلم أو كافر عام أو خاص عدل عن الدعاء عليه ودعا له الشيخان من حديث أبي هريرة قالوا يارسول الله إن دوسا قد كفرت وأبت فادع عليهم قيل هل كنت دوس فقال اللهم اهد دوسا واثبتهم (٣) حديث ما ضرب يده أحدا قط إلا أن يضرب في سبيل الله وما اتقم في شيء صنع إليه إلا أن تنتهك حرمة الله الحديث متفق عليه من حديث عائشة مع اختلاف وقد تقدم في الباب الثالث من آداب الصلوة (٤) حديث ما كان يأتيه أحد حر أو عبداً أو أمة إلا قام معه في حاجته تخ تعليقاً من حديث أنس إن كانت الأمة من إماء أهل المدينة لتأخذ بيد رسول الله ﷺ فتطلق به حيث شاءت وتوصله وقال فما ينزع يده من يدها حتى تذهب به حيث شاءت من المدينة في حاجتها وقد تقدم وأيضاً من حديث ابن أبي أوفى ولا يأتف ولا يستكبر أن يمشی مع الأرملة والسكينة حتى يقضى لهما حاجتهما (٥) حديث أنس والذي بعثه بالحق ما قال في شيء قط كرهه لمضلة ولا لأمي أحد من أهله إلا قال دعوه إنما كان هذا بكتاب وقدر الشيخان من حديث أنس ما قال شيء صنعته لم صنعته ولا شيء تركته لم تركته وروى أبو الشيخ في كتاب أخلاق رسول الله صلى الله عليه وسلم من حديث له فيه ولا أمرني بأمر فتوانيت فيه فأتيتني عليه فان عاتبنى أحد من أهله قال دعوه فلو قدر شيء كان وفي رواية له كذا قضى (٦) حديث ما عاب مضجعا إن فرشوا له اضطجع وإن لم يفرشوا له اضطجع على الأرض ، لم أجده بهذا اللفظ والمعروف ما عاب طعاما ويؤخذ من عموم حديث على بن أبي طالب ليس يغط إلى أن قال ولا عياب رواه في الثمائل والطبراني وأبو نعيم في دلائل النبوة ، وروى ابن أبي عاصم في كتاب السنة من حديث أنس ما عابه عاب شيئاً قط وفي الصحيحين من حديث عمر اضطجعه على حصير وتوضأ وصحبه من حديث ابن مسعود نام على حصير قمام وقد أثر في جنبه الحديث (٧) حديث كان من خلقه أن يبدأ من لقيه بالسلام في الثمائل من حديث هند بن أبي هالة (٨) حديث ومن قاومه لحاجة صابره حتى يكون هو للنصرف الطبراني ومن طريقه أبو نعيم في دلائل النبوة من حديث على بن أبي طالب وهو من حديث أنس كان إذا لقي الرجل يكلمه لم يصرف وجهه حتى يكون هو للنصرف ورواه تميمه وقال غريب (٩) حديث وما أخذ أحد يده فيرسل يده حتى يرسلها الآخر م من حديث أنس الذي قبله كان إذا استقبل الرجل فصاحه لا ينزع يده من يده حتى يكون الرجل ينزع لفظت وقال غريب .

تصريحاً أو تعرضاً كما
تحركت النفس الشريفة
النسوية لما كسرت
رباعيته وصار الغم
يسيل على الوجوه
ورسول الله صلى الله
عليه وسلم بمسحه
ويقول: كيف يطلع قوم
خضبوا وجهه نبيهم وهو
يدعومهم إلى ربهم فأنزل
الله تعالى - ليس لك
من الأمر شيء -
فاكتسى القلب التبوى
لباس الاضطراب وقاء
بعد الاضطراب إلى
القرار فلما توزعت
الآيات على ظهور
الصفات في مختلف
الأوقات صفت الأخلاق
النسوية بالقرآن
ليكون خلقه القرآن
ويكون في إحياء تلك
الصفات في نفس رسول
الله صلى الله عليه وسلم

وكان إذا لقي أحدا من أصحابه بدأه بالمصافحة ثم أخذ يده فشا به ثم شد قبضته عليها^(١)، وكان لا يقوم ولا يجلس إلا على ذكر الله^(٢)، وكان لا يجلس إليه أحد وهو يصلي إلا خفف صلاته وأقبل عليه فقال ألك حاجة؟ فإذا فرغ من حاجته عاد إلى صلاته^(٣)، وكان أكثر جلوسه أن ينصب ساقيه جميعا ويمسك يديه عليهما شبه الحبوة^(٤)، ولم يكن يعرف مجلسه من مجلس أصحابه^(٥)، لأنه كان حيث انتهى به المجلس جلس^(٦)، وما رؤى قط ماداً رجله بين أصحابه حتى لا يضيق بهما على أحد إلا أن يكون للسكان واسعا لا يضيق فيه وكان أكثر ما يجلس مستقبل القبلة^(٧)، وكان يكرم من يدخل عليه حتى ربما بسط ثوبه لمن ليست بينه وبينه قرابة ولا رضاع يجلسه عليه^(٨)، وكان يؤثر الداخل عليه بالوسادة التي تحته فإن أبي أن يقبلها عزم عليه حتى يفعل^(٩)، وما استصفاه أحد إلا ظن أنه أكرم الناس عليه^(١٠)، حتى يعطى كل من جلس إليه نصيبه من وجهه حتى كان مجلسه وسمعه وحديثه ولطيف محاسنه وتوجهه للجالس إليه ومجلسه مع ذلك مجلس حياء وتواضع وأمانة

معنى قوله عليه السلام «إنما أنسى لأسن»
فظهر صفات نفسه الشريفة وقت استئصال الآيات لتأديب نفوس الأمة وتهذيبها رحمة في حقهم حتى تزكي قلوبهم وتصرف أخلاقهم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «الأخلاق محزونة عند الله تعالى فإذا أراد الله تعالى ببعد خيرا منحه منها خلقا» وقال صلى الله عليه وسلم «إنما بشت لأسم مكارم الأخلاق» .
وروى عنه صلى الله عليه وسلم «إن الله تعالى مائة وخمسة عشر

(١) حديث كان إذا لقي أحدا من أصحابه بدأه بالمصافحة ثم أخذ يده فشا به ثم شد قبضته ومن حديث أبي ذرٍّ وسأله رجل من عزة هل كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصالحكم إذا لقبتموه قال ما لقبته قط إلا صالحني الحديث، وفيه الرجل الذي من عزة ولم يسم وسماء البيهقي في الأدب عبد الله وروينا في علوم الحديث للحاكم من حديث أبي هريرة قال شريك يدي أبو القاسم صلى الله عليه وسلم وهو عندم بلفظ أخذ رسول الله ﷺ يدي (٢) حديث كان لا يقوم ولا يجلس إلا على ذكر الله عز وجل ت في الثمائل من حديث على في حديثه الطويل في صفته وقال على ذكر بالتونين (٣) حديث كان لا يجلس إليه أحد وهو يصلي إلا خفف صلاته وأقبل عليه فقال ألك حاجة فإذا فرغ من حاجته عاد إلى صلاته لم أجده أصلا (٤) حديث كان أكثر جلوسه أن ينصب ساقيه جميعا ويمسك يديه عليهما شبه الحبوة د ت في الثمائل من حديث أبي سعيد الخدري كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا جلس في المجلس احتبى يديه وإسناده ضعيف والبخاري من حديث ابن عمر رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم في المجلس احتبى يديه (٥) حديث إنه لم يكن يعرف مجلسه من مجالس أصحابه دن من حديث أبي هريرة وأبي ذرٍّ قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يجلس بين ظهراني أصحابه فيجىء التريب فلا يدري أيهم هو حتى يسأل الحديث (٦) حديث إنه حيثما انتهى به المجلس جلس ت في الثمائل في حديث على الطويل (٧) حديث ما رؤى قط ماداً رجله بين أصحابه حتى يضيق بهما على أحد إلا أن يكون السكان واسعا لا يضيق فيه الدار قط في غرائب مالك من حديث أنس وقال باطل وتوهلر مندما ركبته بين يدي جلس له زاد ابن ماجه قط وسنده ضعيف (٨) حديث كان يكرم من يدخل عليه حتى ربما بسط ثوبه لمن ليست بينه وبينه قرابة ولا رضاع يجلسه عليه ك وصح إسناده من حديث أنس . دخل جرير بن عبد الله على النبي صلى الله عليه وسلم وفيه فأخذ برده فأتاها عليه فقال اجلس عليها يا جرير الحديث وفيه فإذا أتاكم كرم قوم فأكرموا وقد تقدم في الباب الثالث من آداب الصحبة والطبراني في الكبير من حديث جرير فألقى إلى كساء ولأبي نعيم في الحلية فبسط إلى رداءه (٩) حديث كان يؤثر الداخل بالوسادة التي تكون تحته الحديث تقدم في الباب الثالث من آداب الصحبة (١٠) حديث ما استصفاه أحد إلا ظن أنه أكرم الناس عليه حتى يعطى كل من جلس إليه نصيبه من وجهه حتى كان مجلسه وسمعه وحديثه وتوجهه للجالس إليه ومجلسه مع ذلك مجلس حياء وتواضع وأمانة ت في الثمائل من حديث على الطويل وفيه يعطى كل جلسائه نصيبه لا يحب جلسيه أن أحدا أكرم عليه منه وفيه مجلسه مجلس حلم وحياء وصبر وأمانة.

ذل الله تعالى - فبارحة من الله لنت لهم ولو كنت فظا غليظ القلب لا لقضوا من حولك - ولقد كان يدعو أصحابه بكنائهم إكراما لهم واستئالة لقلوبهم (١) ويكنى من لم تكن له كنية فكان يدعو بما كناه به (٢) ويكنى أيضا النساء اللاتي لمن الأولاد واللاتي لم يلدن يبتدىء لمن الكنى (٣) ويكنى الصبيان فيستأين به (٤) فلو بهم وكان أبعد الناس غضبا وأسرعهم رضا (٥) وكان أرف الناس بالناس وخير الناس للناس وأنفع الناس للناس (٦) ولم تكن ترفع في مجلسه الأصوات (٧) وكان إذا قام من مجلسه قال سبحانك اللهم وبمحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك ثم يقول عني بن جبريل عليه السلام (٨) .

(بيان كلامه وضحكه صلى الله عليه وسلم)

كان صلى الله عليه وسلم أفصح الناس منطقا وأحلام كلاما ويقول (٩) :

خلقنا من آفاه واحدا
منها دخل الجنة
فتقديرها وتعيدها
لا يكون إلا بوحى
سماوى لم يرسل ونبي
والله تعالى أبرز إلى
الخلق أسماء منبئة
عن صفاته سبحانه
وتعالى وما أظهرها
لهم إلا ليدعوم إليها
ولولا أن الله تعالى أودع
في القوس البشرية
التخلق بهذه الأخلاق
ما أبرزها لهم دعوة
لهم إليها يختص رحمته
من يشاء ولا يعد
والله أعلم أن قول
عائشة رضى الله عنها
كان خلقه القرآن فيه
رمز تامض ولزعماء

(١) حديث كان يدعو أصحابه بكنائهم إكراما لهم واستئالة لقلوبهم في الصحيحين في قصة الغار من حديث أنى بكر يا أبا بكر ما ظنك باثنين الله ثالثهما وللحاكم من حديث ابن عباس أنه قال لعمر يا أبا حفص أبصرت وجه عم رسول الله صلى الله عليه وسلم قال عمر إنه لأول يوم كنانى فيه بأبى حفص وقال صحيح على شرطه وفي الصحيحين أنه قال لعلى قم يا أبا تراب وللحاكم من حديث رفاعة بن مالك أن أبا حنسن وجد منضا في بطنه فتخلفت عليه يريد عليا ولأبى يعلى الوصلى من حديث سعد ابن أبى وقاص فقال من هذا أبو إسحاق فقلت نعم وللحاكم من حديث ابن مسعود أن النبي صلى الله عليه وسلم كناه أبا عبد الرحمن ولم يولد له (٢) حديث كان يكنى من لم يكن له كنية وكان يدعو بما كناه به ت من حديث أنس قال كنانى النبي صلى الله عليه وسلم بيقة كنت أختليها بنى أبا حمزة قال حديث غريب وه أن عمر قال لصبيب بن مالك تكتنى وليس لك ولد قال كنانى رسول الله صلى الله عليه وسلم بأبى يحيى للطبرانى من حديث أبى بكر تديت بكرة من الطائف فقال لى النبي صلى الله عليه وسلم فأنت أبوبكرة (٣) حديث كان يكنى النساء اللاتي لمن الأولاد واللاتي لم يلدن يبتدىء لمن الكنى ك من حديث أم أيمن في قصة شربها بول النبي صلى الله عليه وسلم فقال يأمن أيمن قومي إلى تلك الفخارة الحديث وه من حديث عائشة أنها قالت للنبي ﷺ كل أزواجك كنيته غيرى قال فأنت أم عبد الله وخ من حديث أم خالد أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لها يأمن خالد هذا ساء وكانت صغيرة وفيه مولى للزير لم يسم ولأبى داود باسناد صحيح أنها قالت يا رسول الله كل صواحبى لمن كنى قال فاكتنى بابنك عبد الله بن الزبير (٤) حديث كان يكنى الصبيان في الصحيحين من حديث أنس أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لأخ له صغير يا أبا عمير ما فعل الصغير (٥) حديث كان أبعد الناس غضبا وأسرعهم رضا هذا من المعلوم ويدل عليه إخباره صلى الله عليه وسلم أن بنى آدم خيرهم بطى الغضب سريع النى رواه ت من حديث أبى سعيد الخدرى وقال حديث حسن وهو صلى الله عليه وسلم خير بنى آدم وسيدهم وكان ﷺ لا يفض لنفسه ولا ينتصر لها رواه ت في الثمائل من حديث هذبن أبى هالة (٦) حديث كان أرف الناس بالناس وخير الناس للناس وأنفع الناس للناس هذا من المعلوم وروينا في الجزء الأول من فوائد أبى الدحداح من حديث على في صفة النبي صلى الله عليه وسلم كان أرحم الناس بالناس الحديث بطوله (٧) حديث لم تكن ترفع في مجلسه الأصوات ت في الثمائل من حديث على الطويل (٨) حديث كان إذا قام من مجلسه قال سبحانك اللهم وبمحمدك الحديث أخرجه النسائى في اليوم واليلة وك في الاستدرك من حديث رافع بن خديج وتقدم في الأذكار والدعوات (٩) حديث كان أفصح الناس منطقا وأحلام كلاما أبو الحسن بن الضحاك في كتاب الثمائل وابن الجوزى

أنا أفصح العرب (١) وإن أهل الجنة يتكلمون فيها بلغة محمد صلى الله عليه وسلم (٢) وكان زر الكلام صحيح المقالة إذا نطق ليس بهذار وكان كلامه كخرزات نظمن (٣) قالت عائشة رضي الله عنها كان لا يسرد الكلام كسر دم هذا كان كلامه زرا وأتم تنزون الكلام ترا (٤) قالوا وكان أوجز الناس كلاما وبذلك جاءه جبريل وصحان مع الإيجاز يجمع كل ما أراد (٥) وكان يتكلم بجوامع الكلم لافضول ولا تقصير كأنه يتبع بضه بعضا بين كلامه توقف يحفظه سامعه ويعيه (٦) وكان جهر الصوت أحسن الناس نعمة (٧) وكان طويل السكوت لا يتكلم في غير حاجة (٨)

في الوفاء بأسناد ضعيف من حديث بريدة كان رسول الله صلى الله عليه وسلم من أفصح العرب وكان يتكلم بالكلام لا يدرون ماهو حتى يجبرهم (١) حديث أنا أفصح العرب الطبراني في الكبير من حديث أبي سعيد الخدري أنا أعرب العرب وإسناده ضعيف وك من حديث عمر قال قالت يا رسول الله ما بالك أفصحنا ولم تخرج من بين أظهرنا الحديث . وفي كتاب الرعد والطرلاب أبي الدنيا في حديث مرسل أن أعرابيا قال للنبي صلى الله عليه وسلم ما رأيت أفصح منك (٢) حديث إن أهل الجنة يتكلمون بلغة محمد صلى الله عليه وسلم ك من حديث ابن عباس ومعه كلام أهل الجنة عربي (٣) حديث كان زر الكلام صحيح المقالة إذا نطق ليس بهذار وكان كلامه خرزات النظم الطبراني من حديث أم معبد وكان منطق خرزات نظم ينحدرون حلو المنطق لا تزر ولا هنر وقد تقدم وسيأتي من حديث عائشة بسده كان إذا تكلم تكلم زرا وفي الصحيحين من حديث عائشة كان يحدثنا حديثا لوعده العاد لأحصاء (٤) حديث عائشة كان لا يسرد كسر دم هذا كان كلامه زرا وأتم تنزونه ترا اتفق الشيخان على أول الحديث وأما الجملتان الأخيرتان فرواه الحلبي في فوائده بأسناد منقطع (٥) حديث كان أوجز الناس كلاما وبذلك جاءه جبريل وكان مع الإيجاز يجمع كل ما أراد عبد بن حميد من حديث عمر بن عبد المنذر والدارقطني من حديث ابن عباس بأسناد جيد أعطيت جوامع الكلم واختصر لي الحديث اختصارا وشطره الأول متفق عليه كما سيأتي قال خ بلقي في جوامع الكلم أن الله جمع له الأمور الكثيرة في الأمر الواحد والأمرين ونحو ذلك ولها ك من حديث عمر المتقدم كانت لغة اسماعيل قد درست فجاء بها جبريل لحفظها (٦) حديث كان يتكلم بجوامع الكلم لافضول ولا تقصير كلام يتبع بضه بعضا بين كلامه توقف يحفظه سامعه ويعيه ت في الشرائع من حديث هند بن أبي هالة وفي الصحيحين من حديث أبي هريرة بثت بجوامع الكلم ولأبي داود من حديث جابر كان في كلام النبي صلى الله عليه وسلم ترتيب أو ترسيل وفيه شيخ لم يسم له ولترمذي من حديث عائشة كان كلام النبي صلى الله عليه وسلم كلاما فصلا يفهمه كل من سمعه وقالت يحفظه من جلس إليه وقالت في اليوم واليلة يحفظه من سمعه وإسناده حسن (٧) حديث كان جهر الصوت أحسن الناس نعمة ت ن في الكبرى من حديث صفوان بن عسال قال كنا مع النبي صلى الله عليه وسلم في سفر بيننا نحن عنده إذ ناداه أعرابي بصوته له جهوري يا محمد فأجابه رسول الله صلى الله عليه وسلم على نحو من صوته هاؤم الحديث . وقال أحمد في مسنده وأجابه نحو مما تكلم به الحديث وقد يؤخذ من هذا أنه صلى الله عليه وسلم كان جهوري الصوت ولم يكن يرفعه دائما وقد يقال لم يكن جهوري الصوت وإنما رفع صوته رفقا بالأعرابي حتى لا يكون صوته أرفع من صوته وهو الظاهر وللشيخين من حديث البراء مامعت أحدا أحسن صوتا منه (٨) حديث كان طويل السكوت لا يتكلم في غير حاجة ت في الشرائع من حديث هند بن أبي هالة .

خفي إلى الأخلاق
الروائية فاحتشمت
من الحضرة الإلهية
أن تقول متخلقا
بأخلاق الله تعالى
فصبرت عن الغنى بقولها
كان خلقه القرآن
استحياء من صيحات
الجلال واسترا للحال
بلطف اللقال وهذا
من وفور علمها وكال
أدبها وبين قوله تعالى
- ولقد آتيناك سمعا
من الثاني والقرآن
العظيم - وبين قوله
- وإنك لعل خلق عظيم -
مناسبة مشعرة بقول
عائشة رضي الله عنها
كان خلقه القرآن .
قال الجنيدي رحمه الله

ولا يقول المنكر ولا يقول في الرضا والغضب إلا الحق (١) ويعرض عن تكلم بغير جميل (٢) ويكنى عما اضطره الكلام إليه مما يكره (٣) وكان إذا سكت تكلم جليساؤه ولا يتنازع عنده (٤) في الحديث ويعظ بالجد والنصيحة (٥) ويقول لا تضربوا القرآن بعنه يعرض فانه أنزل على وجوه (٦) وكان أكثر الناس تبسما وضحكا في وجوه أصحابه وتمجبا مما تحدثوا به وغلطا لنفسه بهم (٧) وربما ضحك حتى تبدو نواجذه (٨) وكان ضحك أصحابه عنده التبس اقتداء به وتوقيرا له (٩) قالوا ولقد جاءه أعرابي يوما وهو عليه السلام متغير اللون ينكره أصحابه فأراد أن يسأله فقالوا لا تفعل يا أعرابي فانا نسكر لونه فقال دعوني فوالذي بئس بالحق نبيا لا أدعه حتى يتبسّم فقال يا رسول الله بلغنا أن المسيح يعنى الدجال يأتي الناس بالثريد وقد هلكوا جوعا أفترى لي بأبي أنت وأمي أن أكف عن ثريده تعففا وتنزها حتى أهلك هزالا أم أضرب في ثريده حتى إذا تضلعت شبا آمنت بالله وكفرت به قالوا فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى بدت نواجذه ثم قال لا بل يفنيك الله بما يفني به المؤمنين (١٠) قالوا وكان

(١) حديث لا يقول المنكر ولا يقول في الرضا والغضب إلا الحق د من حديث عبد الله بن عمرو قال كنت أكتب كل شيء أسمعه من رسول الله صلى الله عليه وسلم أريد حفظه فتهنى قريش وقالوا تكتب كل شيء ورسول الله صلى الله عليه وسلم يستر يتكلم في الغضب والرضا فأمسكت عن الكتاب ذكرت ذلك لرسول الله ﷺ فأوما بأصبعه إلى فيه وقال أكتب فوالذي نفسي بيده ما يخرج منه إلا حق رواه ك وصححه (٢) حديث يعرض عن تكلم بغير جميل ت في الشئام من حديث علي الطويل يتغافل عما لا يشئ الحديث (٣) حديث يكنى عما اضطره الكلام مما يكره فمن ذلك قوله صلى الله عليه وسلم لامرأة رفاعه حتى تذوق عسيلته ويذوق عسيلتك رواه خ من حديث عائشة ومن ذلك ما اتفقا عليه من حديثها في المرأة التي سأته عن الاغتسال من الحيض خذى فرصة ممسكة فتطهرى بها الحديث (٤) حديث كان إذا سكت تكلم جليساؤه ولا يتنازع عنده في الحديث ت في الشئام من حديث علي الطويل (٥) حديث يعظ بالجد والنصيحة م من حديث جابر كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا خطب احمرت عيناه وتلاصوته واشتد غضبه حتى كأنه منذر جيش يقول صبحكم ومساكم الحديث (٦) حديث لا تضربوا القرآن بعنه يعرض وأنه أنزل على وجوه الطبراني من حديث عبد الله بن عمرو باسناد حسن إن القرآن يصدق بعنه بعضا فلا تكذبوا بعنه يعرض وفي رواية للهروي في ذم الكلام إن القرآن لم ينزل لتضربوا بعنه يعرض وفي رواية له أبهذا أمرتم أن تضربوا كتاب الله بعنه يعرض وفي الصحيحين من حديث عمر بن الخطاب إن هذا القرآن أنزل على سبعة أحرف (٧) حديث كان أكثر الناس تبسما وضحكا في وجوه أصحابه وتمجبا مما تحدثوا به وغلطا لنفسه بهم ت من حديث عبد الله بن الحارث بن جزء ما رأيت أحدا أكثر تبسما من رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي الصحيحين من حديث جرير ولا رآني إلا تبسم وت في الشئام من حديث علي يضحك مما تضحكون منه ويتعجب مما تعجبون منه وم من حديث جابر بن سمرة كانوا يتحدثون في أمر الجاهلية فيضحكون ويتبسّم (٨) حديث وربما ضحك حتى تبدو نواجذه متفق عليه من حديث عبد الله بن مسعود في قصة آخر من يخرج من النار وفي قصة الخبر الذي قال إن الله يضع السموات على أصبع ومن حديث أبي هريرة في قصة الجامع في رمضان وغير ذلك (٩) حديث كان ضحك أصحابه عنده التبسّم اقتداء به وتوقيرا له ت في الشئام من حديث هند بن أبي هالة في أثناء حديثه الطويل جل ضحك التبسّم (١٠) حديث جاءه أعرابي يوما وهو متغير ينكره أصحابه فأراد أن يسأله فقالوا لا تفعل يا أعرابي فانا نسكر لونه فقال دعوني والذي بئس بالحق نبيا لا أدعه حتى يتبسّم فقال

كان خلقه عظيما لأنه لم يكن له همة سوى الله تعالى وقال الواسطي رحمه الله لأنه جاد بالكونين عوضا عن الحق وقيل لأنه عليه السلام عاشر الخلق بخلقهم وبإينهم بقلبه وهذا ما قاله بعضهم في معنى التصوف: التصوف الخلق مع الخلق والصدق مع الحق وقيل عظم خلقه حيث صغرت الأكوان في عينه بمشاهدة مكوناتها وقيل سمى خلقه عظيما لاجتماع مكارم الأخلاق فيه . وقد ندب رسول الله صلى الله عليه وسلم أمته إلى

من أكثر الناس تبسما وأطيبهم نفسا ما لم ينزل عليه قرآن أو يذكر الساعة أو يحط بحظبة عظة (١) وكان إذا سرور رضى فهو أحسن الناس رضا فان وعظ وعظ بمجد وإن غضب وليس يغضب إلا لله لم يقم لغضبه شيء وكذلك كان في أموره كلها (٢) وكان إذا نزل به الأمر فوض الأمر إلى الله وتبرا من الحول والقوة واستنزل الهدى فيقول : اللهم أرني الحق حقا فأتبعه وأرني المنكر منكرا وأرزقني اجتنابه وأعذني من أن يشقبه على فأتبع هواي بغير هدى منك واجعل هواي تبعا لطاعتك وخذ رضا نفسك من نفسي في عافية واهدني لما اختلف فيه من الحق بإذنك إنك تهدي من تشاء إلى صراط مستقيم (٣).

(بيان أخلاقه وآدابه في الطعام)

كان صلى الله عليه وسلم يأكل ما وجد (٤) وكان أحب الطعام إليه ما كان على صنف (٥) والصف

بارسول الله بلغنا أن السبيح الدجال يأتي الناس بالثرید وقد هلكوا جوعا الحديث وهو حديث منكر لم أقفله على أصل وورده قوله صلى الله عليه وسلم في حديث الغيرة بن شعبة التفتي عليه حين سأله أنهم يقولون إن معه جبل خبز ونهر ماء قال هو أهون على الله من ذلك وفي رواية لمسلم أنهم يقولون إن معه جبلا من خبز ولحم الحديث نعم في حديث حذيفة وأبي مسعود التفتي عليهما إن معه ماء ونارا الحديث (١) حديث كان من أكثر الناس تبسما وأطيبهم نفسا ما لم ينزل عليه القرآن أو يذكر الساعة أو يغضب بحظبة عظة تقدم حديث عبد الله بن الحارث ما رأيت أحدا أكثر تبسما منه وللطبراني في معارج الأئمة من حديث جابر كان إذا نزل عليه الوحي قلت نذير قوم فإذا سرى عنه فأكثر الناس ضحكا الحديث ولأحمد من حديث علي أو الزبير كان يغضب فيذكر بأيام الله حتى يعرف ذلك في وجهه وكأنه نذير قوم يصبحهم الأمر غدوة وكان إذا كان حديث عهد بجبريل لم يتبسم ضاحكا حتى يرتفع عنه ورواه أبو يعلى من حديث الزبير من غير شك وللحاكم من حديث جابر كان إذا ذكر الساعة احمرت وجنتاه واشتد غضبه وهو عند مسلم بألفاظ كان إذا خطب (٢) حديث كان إذا سرور رضى فهو أحسن الناس رضا وإن وعظ وعظ بمجد وإن غضب ولا يغضب إلا لله لم يقم لغضبه شيء وكذلك كان في أموره كلها أبو الشيخ بن حبان في كتاب أخلاق النبي ﷺ من حديث ابن عمر كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعرف غضبه ورضاه بوجهه كان إذا رضى فكأنما تلاحك الجدر وجهه وإسناده ضعيف والراد به المرأة توضع في الشمس فيرى ضوءها على الجدار وللشيخين من حديث كعب بن مالك قال وهو يرق وجهه من السرور وفيه وكان إذا سر استنار وجهه حتى كأنه قطعة قر وكننا نعرف ذلك منه الحديث وم كان إذا خطب احمرت عيناه وعلاصوته واشتد غضبه الحديث وقد تقدم وت في السائل في حديث هناد بن أبي هالة لا تغضبه الدنيا وما كان منها فإذا تعدى الحق لم يقم لغضبه شيء حتى ينتصره ولا يغضب لنفسه ولا ينتصر لها وقد تقدم (٣) حديث كان يقول اللهم أرني الحق حقا فأتبعه وأرني المنكر منكرا وأرزقني اجتنابه وأعذني من أن يشقبه على فأتبع هواي بغير هدى منك واجعل هواي تبعا لطاعتك وخذ رضا نفسك من نفسي في عافية واهدني لما اختلف فيه من الحق بإذنك إنك تهدي من تشاء إلى صراط مستقيم لم أقف لأوله على أصل ، وروى الاستغفري في الدعوات من حديث أبي هريرة كان النبي صلى الله عليه وسلم يدعو فيقول : اللهم إنك سألتنا من أنفسنا ما لا نملكه إلا بك فأعطانا منها ما برزنا عنا وم من حديث عائشة فيما كان يفتح به صلاته من الليل اهدني لما اختلف فيه إلى آخر الحديث .

(بيان أخلاقه وآدابه في الطعام)

(٤) حديث كان يأكل ما وجد تقدم (٥) حديث كان أحب الطعام إليه ما كان على صنف

حسن الخلق في حديث أخبرنا به الشيخ العالم ضياء الدين عبد الوهاب ابن طي قال أنا أبو نصر الهروي قال أنا أبو محمد الترياق قال أنا أبو محمد الجبراحي قال أنا أبو العباس الهبوبي قال أنا أبو عيسى الحافظ الترمذي قال حدثنا أحمد بن الحسين ابن خراش قال حدثنا حبان بن هلال قال حدثنا مبارك بن فضالة قال حدثني عبد الله ابن سعيد عن محمد بن النكدر عن جابر رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « إن

ما كثرت عليه الأبدى ، وكان إذا وضعت المائدة قال : باسم الله اللهم اجعلها نعمة مشكورة تصل بها نعمة الجنة (١) وكان كثيرا إذا جلس يأكل يجمع بين ركبته وبين قدميه كما يجلس للصلى إلا أن الركبة تكون فوق الركبة والقدم فوق القدم ويقول : إنما أنا عبد آكل كما يأكل العبد وأجلس كما يجلس العبد (٢) وكان لا يأكل الحار ويقول : إنه غير ذي بركة وإن الله لم يطعمنا ناراً فأبردوه (٣) وكان يأكل مما يليه (٤) ويأكل بأصابعه الثلاث (٥) وربما استعان بالراصة (٦) ولم يأكل بأصبعين ويقول إن ذلك أكلة الشيطان (٧) وجاءه عثمان بن عفان رضى الله عنه بغالودج فأكل منه وقال ما هذا يا أبا عبد الله قال باني أنت وأمي تجعل السمن والصل في البرمة ونضعها على النار ثم نعليهم

أى كثرت عليه الأبدى أبو يعلى والطبراني في الأوسط وابن عدى في الكامل من حديث جابر بسند حسن أحب الطعام إلى الله ما كثرت عليه الأبدى ولأبي يعلى من حديث أنس لم يجتمع له غذاء وعشاء خبر ولحم إلا على صنف وإسناده ضعيف (١) حديث كان إذا وضعت المائدة قال باسم الله اللهم اجعلها نعمة مشكورة تصل بها نعمة الجنة ، أما التسمية فرواهان من رواية من خدم النبي صلى الله عليه وسلم ثمان سنين أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا قرب إليه طعاما يقول باسم الله الحديث وإسناده صحيح وأما بقية الحديث فلم أجده (٢) حديث كان كثيرا إذا جلس يأكل يجمع بين ركبته وقدميه كما يفعل للصلى إلا أن الركبة تكون فوق الركبة والقدم فوق القدم ويقول إنما أنا عبد آكل كما يأكل العبد وأجلس كما يجلس العبد . عبد الرزاق في الصنف من رواية أيوب مضملا أن النبي صلى الله عليه وسلم كان إذا أكل احتفز وقال آكل كما يأكل العبد الحديث وروى ابن الضحاك في الشامل من حديث أنس بسند ضعيف كان إذا قعد على الطعام استوفز على ركبته اليسرى وأقام اليمنى ثم قال إنما أنا عبد آكل كما يأكل العبد وأفضل كما يفعل العبد روى أبو الشيخ في أخلاق النبي صلى الله عليه وسلم بسند حسن من حديث أبي بن كعب أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يجنو على ركبته وكان لا يشكى . أوردته في صفة أكل رسول الله صلى الله عليه وسلم ولقبرار من حديث ابن عمر إنما نأخذ آكل كما يأكل العبد ولأبي يعلى من حديث عائشة آكل كما يأكل العبد وأجلس كما يجلس العبد وسندهما ضعيف (٣) حديث كان لا يأكل الحار ويقول إنه غير ذي بركة وإن الله لم يطعمنا ناراً البيهقي من حديث أبي هريرة بإسناد صحيح أن النبي صلى الله عليه وسلم يوما بطعام سخن فقال ما دخل بطني طعام سخن منذ كذا وكذا قبل اليوم ولأحمد بإسناد جيد والطبراني والبيهقي في الشعب من حديث حولة بنت قيس وقدمت له حريرة فوضع يده فيها فوجد حرها فقبضها لفظ الطبراني والبيهقي وقال أحمد فأحرقت أصابعه فقال حسن والطبراني في الأوسط من حديث أبي هريرة أبردوا الطعام فإن الطعام الحار غم ذي بركة وله فيه وفي الصغير من حديثه أني بصحفة ثور فرفخ يده منها وقال إن الله لم يطعمنا ناراً وكلامها ضعيف (٤) حديث كان يأكل مما يليه أبو الشيخ بن جبان من حديث عائشة وفي إسناده رجل لم يسم وصحاه في رواية له وكذلك البيهقي في روايته في الشعب عبيد بن القاسم نسيب سفيان الثوري وقال البيهقي تفرد به عبيد هذا وقد رماه ابن معين بالكذب ولأبي الشيخ من حديث عبد الله بن جعفر نحوه (٥) حديث أكله بأصابعه الثلاث م من حديث كعب بن مالك (٦) حديث استأثنته بالراصة رويته في العيلانيات من حديث عامر بن ربيعة وفيه القاسم بن عبد الله العمري هالك وفي مصنف ابن أبي شيبة من رواية الزهري مرسل كان النبي صلى الله عليه وسلم يأكل بالحس (٧) حديث لم يأكل بأصبعين ويقول إن ذلك أكلة الشيطان الدار قطنى في الأفراد من حديث ابن عباس بإسناد ضعيف لا تأكل بأصبع فإنه أكل للوك ولا تأكل بأصبعين فإنه أكل للشياطين الحديث .

من أحبك إلى وأقربكم
من مجلس يوم القيامة
أحسنكم أخلاقاً وإن
أبضكم إلى وأبعدكم
من مجلس يوم القيامة
الثرثرون للتشدقون
للتفريقون قالوا يا رسول
الله علنا الثرثرون
والتشدقون فما
التفريقون ؟ قال
التكبرون والثرثار هو
للكثار من الحديث
والتشدق للتطاول
على الناس في الكلام
قال الواسطي رحمه الله
الخلق العظيم أن
لا يخاصم ولا يخاضم
وقال أيضاً وإنك لملئ
خلق عظيم لو جردناك
حلاوة للطلالة على

ناخذ مخ الحنطة إذا طحنت فتقليه على السمن والعسل في البرمة ثم نسوطه حتى ينضج فيأتي كاري
 فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إن هذا الطعام طيب ^(١) وكان يأكل خبز الشعير غير منخول ^(٢)
 وكان يأكل القثاء بالرطب ^(٣) وبالملح ^(٤) وكان أحب الفواكه الرطبة إليه البطيخ والعنب ^(٥)
 وكان يأكل البطيخ بالخبز وبالسكر ^(٦) وربما أكله بالرطب ^(٧) ويستعين باليدن جميعاً وأكل
 يوماً الرطب في يمينه وكان يحفظ النوى في يساره فمرت شاة فأشار إليها بالنوى فجعلت تأكل
 من كفه اليسرى وهو يأكل يمينه حتى فرغ وانصرفت الشاة ^(٨) وكان ربما أكل العنب

(١) حديث جاءه عثمان بن عفان بفالودج الحديث قلت للعروف أن الذي صنعه عثمان الخبيص روله
 البيهقي في الشعب من حديث ليث بن أبي سليم قال إن أول من خبص الخبيص عثمان بن عفان قدمت
 عليه غير تحمل النقي والعسل الحديث. وقال هذا منقطع وروى الطبراني والبيهقي في الشعب من حديث
 عبد الله بن سلام أقبل عثمان ومعه راحلة عليها غرارتان وفيه فاذا دقيق وسمن وعسل وفيه ثم قال
 لأصحابه كلوا هذا الذي تسميه فارس الخبيص وأما خبر الفالودج فرواه إسناد ضعيف من حديث
 ابن عباس قال أول ما صنعنا بالفالودج أن جبريل أتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال إن أمتك تفتح
 عليهم الأرض ويغاض عليهم من الدنيا حتى إنهم ليأكلون الفالودج قال النبي صلى الله عليه وسلم وما
 الفالودج قال يغلطون السمن والعسل جميعاً قال ابن الجوزي في اللوضعات هذا حديث باطل لأصله
 (٢) حديث كان يأكل خبز الشعير غير منخول البخاري من حديث سهل بن سعد (٣) حديث كان
 يأكل القثاء بالرطب متفق عليه من حديث عبد الله بن جعفر (٤) حديث كان يأكل القثاء بالملح
 أبو الشيخ من حديث عائشة وفيه يحيى بن هاشم كذبه ابن معين وغيره ورواه ابن عدي وفيه عباد
 ابن كثير متروك (٥) حديث كان أحب الفاكهة الرطبة إليه البطيخ والعنب أبو نعيم في الطب النبوي
 من رواية أمية بن زيد العنسي أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يحب من الفاكهة العنب والبطيخ
 وروى أبو الشيخ وابن عدي في السكامل والطبراني في الأوسط والبيهقي في الشعب من حديث أنس
 كان يأخذ الرطب يمينه والبطيخ يساره ويأكل الرطب بالبطيخ وكان أحب الفاكهة إليه فيه يوسف
 ابن عطية الصغار يجمع على ضعفه وروى ابن عدي من حديث عائشة كان أحب الفاكهة لرسول الله
 صلى الله عليه وسلم الرطب والبطيخ وله من حديث آخر لها فإن خير الفاكهة العنب وكلاهما ضعيف
 (٦) حديث كان يأكل البطيخ بالخبز والسكر أما أكل البطيخ بالخبز فلم أره وإنما وجدت أكل
 العنب بالخبز فيما رواه ابن عدي من حديث عائشة مرفوعاً عليكم بالمرامة قيل يا رسول الله وما المرامة
 قال أكل الخبز مع العنب فإن خير الفاكهة العنب وخير الطعام الخبز وإسناده ضعيف وأما أكل البطيخ
 بالسكر فإن أريد بالسكر نوع من التمر والرطب مشهور فهو الحديث الآتي بعده وإن أريد به السكر
 الذي هو الطبرزد فلم أره أصلاً إلا في حديث منكر معضل رواه أبو عمر النوفلي في كتاب البطيخ من
 رواية محمد بن علي بن الحسين أن النبي صلى الله عليه وسلم أكل بطيخاً بسكر وفيه موسى بن إبراهيم
 للروزي كذبه يحيى بن معين (٧) حديث أكل البطيخ بالرطب ت من حديث عائشة وحسنه وه
 من حديث سهل بن سعد كان يأكل الرطب بالبطيخ وهو عند الدارمى بلفظ البطيخ بالرطب (٨) حديث
 استعانت باليدن جميعاً فأكل يوماً الرطب في يمينه وكان يحفظ النوى في يساره فمرت شاة فأشار إليها
 بالنوى فجعلت تأكل من كفه اليسرى وهو يأكل يمينه حتى فرغ وانصرفت الشاة أما استعانت يديه
 جميعاً فرواه أحمد من حديث عبد الله بن جعفر قال آخر ما رأيت من رسول الله ﷺ في إحدى يديه
 رطبات وفي الأخرى قثاء يأكل من هذه وبعض من هذه وتقدم حديث أنس في أكله يديه قبل

سرك وقال أيضاً أنك
 قبلت فنون ما أسديت
 إليك من نعمي أحسن
 مما قبله غيرك من
 الأنبياء والرسل. وقال
 الحسين لأنه لم يؤثر
 فيك جفاء الخلق مع
 مطالعة الحق وقيل
 الخلق العظيم لباس
 التقوى والتخلق
 بأخلاق الله تعالى إذ لم
 يبق للأعواض عنده
 خطر. وقال بعضهم
 قوله تعالى ولو تقول
 علينا بعض الأقاويل
 لأخذنا منه باليمين -
 آثم لأنه حيث قال وإنك
 أحضره وإذا أحضره
 أغفله وحجبه وقوله
 لأخذنا آثم لأن فيه
 قناه في قول هذا القائل

خرطاً يرى زؤانه على لحية تكثرز اللؤلؤ (١) وكان أكثر طعامه للماء والتمر (٢) وكان يجمع اللبن بالتمر ويسميهما الأطينين (٣) وكان أحب الطعام إليه اللحم ويقول هو يزيد في السمع وهو سيد الطعام في الدنيا والآخرة ولو سألت ربي أن يطعمني كل يوم لعل (٤) وكان يأكل الثريد باللحم والقرع (٥) وكان يحب القرع ويقول إنها شجرة أخى يونس عليه السلام (٦) قالت عائشة رضي الله عنها وكان يقول «يا عائشة إذا طبختم قدراً فأكثرُوا فيها من الدباء فإنه يشد قلب الحزين» (٧) وكان يأكل لحم الطير الذي يصاد (٨) وكان لا يتبعه ولا يصيده ويحب أن يصاد له ويؤتى به فياً كله (٩) وكان إذا أكل اللحم لم يطأطى رأسه إليه وبرضه إلى فيه رفاهم ينتهش انتهاشاً (١٠) وكان يأكل الحبز والسمن (١١)

هذا بثلاثة أحاديث وأما قصته مع الشاة فرويناها في فوائد أبي بكر الشافعي من حديث أنس بإسناد ضعيف (١) حديث ربما أكل الضب خرطاً الحديث ابن عدى في الكامل من حديث العباس والعقيل في الضعفاء من حديث ابن عباس هكذا مختصراً وكلاهما ضعيف (٢) حديث كان أكثر طعامه للماء والتمر خ من حديث عائشة توفي رسول الله ﷺ وقد شبعنا من الأسودين التمر والماء (٣) حديث كان يجمع اللبن بالتمر وبسميهما الأطينين أحمد من رواية إسماعيل بن أبي خالد عن أبيه قال دخلت على رجل وهو يجمع لبناً بتمر وقال ادن فان رسول الله صلى الله عليه وسلم سماها الأطينين ورجاله تقات وإيهامه لا يضر (٤) حديث كان أحب الطعام إليه اللحم ويقول هو يزيد في السمع وهو سيد الطعام في الدنيا والآخرة ولو سألت ربي أن يطعمني كل يوم لعل أبو الشيخ من رواية ابن سمعان قال سمعت من علمائنا يقولون كان أحب الطعام إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم اللحم الحديث وت في التماثل من حديث جابر أنا النبي صلى الله عليه وسلم في منزلنا فذبحنا له شاة فقال كأنهم علموا أنا نحب اللحم وإسناده صحيح و ه من حديث أبي الدرداء بإسناد ضعيف سيد طعام أهل الدنيا وأهل الجنة اللحم (٥) حديث كان يأكل الثريد باللحم والقرع م من حديث أنس (٦) حديث كان يحب القرع ويقول إنها شجرة أخى يونس ن ه من حديث أنس كان النبي صلى الله عليه وسلم يحب القرع وقال ن الدباء وهو عند م بلفظ تعجبه وروى ابن مردويه في تفسيره من حديث أبي هريرة في قصة يونس فلفظته في أصل شجرة وهي الدباء (٧) حديث يا عائشة إذا طبختم قدراً فأكثرُوا فيها من الدباء فإنها تشد قلب الحزين رويناه في فوائد أبي بكر الشافعي (٨) حديث كان يأكل لحم الطير الذي يصاد ت من حديث أنس قال كان عند النبي صلى الله عليه وسلم طير فقال اللهم ائتني بأحب الخلق إليك يأكل معي هذا الطير فجاء على فأكل معه قال حديث غريب قلت وله طرق كلها ضعيفة ، وروى دت واستتر به من حديث سفيانة قال أكلت مع النبي صلى الله عليه وسلم لحم جباري (٩) حديث كان لا يتبعه ولا يصيده ويحب أن يصاد له فيؤتى به فياً كله قلت هذا هو الظاهر من أحواله فقد قال من تبع الصيد غفل رواه د ن ت من حديث ابن عباس وقال حسن غريب وأما حديث صفوان بن أمية عند الطبراني قد كانت قبله لله رسل كلهم يصطاد ويطلب الصيد فهو ضعيف جداً (١٠) حديث كان إذا أكل اللحم لم يطأطى رأسه إليه ورضه إلى فيه رفاهم ينتهش د من حديث صفوان بن أمية قال كنت أكل مع النبي صلى الله عليه وسلم فأخذ اللحم من العظم فقال أدن اللحم من فيك فإنه أهني وأمرأ وت من حديث أنهش اللحم نهشاً فإنه أهني وأمرأ وهو منقطع والذي قبله منقطع أيضاً والشيخين من حديث أبي هريرة فتناول الذراع فنهش منها نهشة الحديث (١١) حديث كان يأكل الحبز والسمن متفق عيه من حديث أنس في قصة طويلة فيها فأنت بذلك الحبز فأمر به رسول الله صلى الله عليه وسلم ففت وعصرت أم سليم عكة فأدتمته الحديث وفيه ثم أكل النبي صلى الله عليه وسلم وفي رواية ه فصنعت فيها شيئاً من سمن ولا يصح و د ه من

نظر فهل قال إن كان
في ذلك فناء فقي قوله
وإنك بقاء وهو بقاء
بعد فناء والبقاء أتم
من الفناء وهذا أليق
بمنصب الرسالة لأن
الفناء إنما عز لمزاحمة
وجوده منموم فإذا نزع
للمنوم من الوجود
وتبدلت النعوت فأى
عزة تبقى في الفناء
فيكون حضوره بالله
لا بنفسه فأى حجة
تبقى هنالك . وقيل
من أوتى الخلق العظيم
فقد أوتى أعظم اللقائات
لأن اللقائات ارتباطاً
عاماً والخلق ارتباط
بالنعوت والصفات .
وقال الجليل اجتمع

وكان يحب من الشاة الدراع والسكتف ، ومن القدر الدباء ومن الصباغ الحل ومن التمر العجوة ^(١) ودعا في العجوة بالبركة وقال هي من الجنة وشفاء من السم والسيهر ^(٢) وكان يحب من البقول الهندباء والباذروج والبقلة الحقاء التي يقال لها الرحلة ^(٣) وكان يكره الكليتين لساكنهما من البول ^(٤) وكان لا يأكل من الشاة سباعا : الذكر والأثنين والثلاثة والبراة والفرد والحيا والسم ، ويكره ذلك ^(٥) وكان لا يأكل الثوم ولا البصل ولا السكرات ^(٦) وماذم طعاما قط لكن إن أحبه أكله وإن كرهه تركه وإن عافه لم يفضه إلى غيره ^(٧) وكان يعاف الضب والطحال ولا يحرمهما ^(٨)

حديث ابن عمر وددت أن عندي خبزة يضاء من بر صمراء ملبقة بسمن الحديث قال د منسك .
(١) حديث كان يحب من الشاة الدراع والسكتف ومن القدر الدباء ومن الصباغ الحل ومن التمر العجوة وروى الشيخان من حديث أبي هريرة قال وضعت بين يدي النبي صلى الله عليه وسلم قطعة من ثريد ولحم فتناول الدراع وكانت أحب الشاة إليه الحديث . وروى أبو الشيخ من حديث ابن عباس كان أحب اللحم إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم السكتف وإسناده ضعيف ومن حديث أبي هريرة ولم يكن يصعبه من الشاة إلا السكتف وتقدم حديث أنس كان يحب الدباء قبل هذا بسة أحاديث ولأبي الشيخ من حديث أنس كان أحب الطعام إليه الدباء وله من حديث ابن عباس باسناد ضعيف كان أحب الصباغ إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم الحل وله بالاسناد المذكور كان أحب التمر إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم العجوة (٢) حديث دعا في العجوة بالبركة وقال هي من الجنة وشفاء من السم والسحر البراز والظبراني في الكبير من حديث عبد الله بن الأسود قال كنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم في وفد سدوس فأهدبنا له تمرا وفيه حتى ذكرنا تمر أهلنا هذا الجذاعي فقال بارك الله في الجذاعي وفي حديقته خرج هذا منها الحديث قال أبو موسى للدينى قيل هو تمر أحمر وت ن ه من حديث أبي هريرة العجوة من الجنة وهي شفاء من السم وفي الصحيحين من حديث سعد بن أبي وقاص من تصبغ سبع تمرات من عجوة لم يضره ذلك اليوم سم ولا سحر (٣) حديث كان يحب من البقول الهندباء والباذروج والبقلة الحقاء التي يقال لها الرحلة أبو نعيم في الطب النبوى من حديث ابن عباس عليكم بالهندباء فانه مايوم إلا ويقطر عليه قطرة من قطر الجنة وله من حديث الحسن بن علي وأنس بن مالك نحوه وكلها ضيفة وأما الباذروج فلم أجد فيه حديثا وأما الرحلة فروى أبو نعيم من رواية ثور قال مر النبي صلى الله عليه وسلم بالرحلة وفي رجله قرحة فداواها بها فبرئت فقال رسول الله ﷺ بارك الله فيك أنبتى حيث شئت فأنت شفاء من سبعين داء أدناه الصداق وهذا مرسل ضعيف (٤) حديث كان يكره الكليتين لساكنهما من البول وروناه في جزء من حديث أبي بكر محمد بن عبيد الله بن الشخير من حديث ابن عباس باسناد ضعيف فيه أبو سعيد الحسن بن علي العدوى أحد الكذابين (٥) حديث كان لا يأكل من الشاة : الذكر والأثنين والثلاثة والبراة والفرد والحيا والسم ، ابن عدى ومن طريقه البيهقي من حديث ابن عباس باسناد ضعيف ورواه البيهقي من رواية مجاهد مرسل (٦) حديث كان لا يأكل الثوم ولا البصل ولا السكرات مالك في اللوطا عن الزهرى عن سليمان بن يسار مرسل ووصله الدارقطني في غرائب مالك عن الزهرى عن أنس وفي الصحيحين من حديث جابر أتى بقدر فيه خضرات من بقول فوجد لها ريحا الحديث وفيه قال فأتى أناجى من لاتجافى ولمسلم من حديث أبي أيوب في قصة بعثه إليه بطعام فيه ثوم فلم يأكل منه وقال إني أكرهه من أجل ريحه (٧) حديث مادم طعاما قط لساكن إن أحبه أكله وإن كرهه تركه وإن عافه لم يفضه إلى غيره تقدم أول الحديث وفي الصحيحين من حديث ابن عمر في قصة الضب فقالوا فانه ليس بحرام ولا بأس به ولكنه ليس من طعام قومى (٨) حديث كان يعاف الضب والطحال ولا يحرمهما

فيه أربعة أعيان :
السقاء والألفة
والنصيحة والشفقة .
وقال ابن عطاء : الخلق
العظيم أن لا يكون له
اختيار ويكون تحت
الحكم مع فناء النفس
وفناء للألوفات . وقال
أبو سعيد القرشى :
العظيم هو الله ومن
أخلاقه الجود والكرم
والصفح والصفو
والإحسان ألا ترى إلى
قوله عليه السلام « إن
له مائة وبضعة عشر
خلقا من أتى بواحد
منها دخل الجنة » فلا
تخلق بأخلاق الله
تعالى وجد الثناء عليه
بقوله - وإنك لملئ

وكان يلعق بأصابعه الصلصة ويقول آخر الطعام أكثر بركة (١) وكان يلعق أصابعه من الطعام حتى
تحمّر (٢) وكان لا يمسح يده بالمنديل حتى يلعق أصابعه واحدة واحدة ويقول إنه لا يدري في أي
الطعام البركة (٣) وإذا فرغ قال الحمد لله اللهم لك الحمد أطعمت فأشبعت وسقيت فأرويت لك الحمد
غير مكفور ولا مودع ولا مستغنى عنه (٤) وكان إذا أكل الخبز واللحم خاصة غسل يديه بغسل جيد ثم
يمسح بفضل الماء على وجهه (٥) وكان يشرب في ثلاث دفعات وله فيها ثلاث تسميات وفي أواخرها ثلاث
تحميدات (٦) وكان يمسح اللسان بمصا ولا يمسح بها (٧) وكان يدفع فضل سؤره إلى من على يمينه (٨) فإن
كان من على يساره أجل رتبة قال للذي على يمينه السنة أن تعطى فإن أحببت آثرتهم (٩) وربما كان
يشرب بنفس واحد حتى يفرغ (١٠) وكان لا يتنفس في الإناء بل ينحرف عنه (١١) وآتى بإناءه فيه

أما الضب في الصحيحين عن ابن عباس لم يكن بأرض قومي فأجدني أعافه ولهما من حديث ابن عمر
أحلت لنا ميثان ودمان وفيه أما الدمان فالكبد والطحال واليهيق موقوف على زيد بن ثابت إني
لا أكل الطحال وما بي إليه حاجة إلا ليعلم أهلي أنه لا بأس به (١) حديث كان يلعق الصلصة ويقول
آخر الطعام أكثر بركة اليبهيق في شعب الإيمان من حديث جابر في حديث قال فيه ولا ترفع القصعة حتى
تلعقها أو تلعقها فإن آخر الطعام فيه البركة وم من حديث أنس أمرنا أن نسلت الصلصة وقال إن أحدكم
لا يدري أي طعامه يبارك له فيه (٢) حديث كان يلعق أصابعه من الطعام حتى تحمّر م من حديث
كعب بن مالك دون قوله حتى تحمّر فلم أنف له على أصل (٣) حديث كان لا يمسح يده بالمنديل حتى
يلعق أصابعه واحدة واحدة ويقول إنه لا يدري في أي أصابعه البركة م من حديث كعب بن مالك
أن النبي صلى الله عليه وسلم كان لا يمسح يده حتى يلعقها وله من حديث جابر فإذا فرغ فيلعق أصابعه
فانه لا يدري في أي طعامه تكون البركة واليهيق في الشعب من حديثه لا يمسح أحدكم يده بالمنديل
حتى يلعق يده فإن الرجل لا يدري في أي طعامه يبارك له فيه (٤) حديث وإذا فرغ قال اللهم لك
الحمد أطعمت وأشبعت وسقيت وأرويت لك الحمد غير مكفور ولا مودع ولا مستغنى عنه الطبراني من
حديث الحرث بن الحارث بسند ضعيف والبخاري من حديث أبي أمامة كان إذا فرغ من طعامه قال
الحمد لله الذي كفانا وآوانا غير مكفي ولا مكفور وقال مرة الحمد لله ربنا غير مكفي ولا مودع ولا مستغنى
عنه ربنا (٥) حديث كان إذا أكل الخبز واللحم خاصة غسل يديه غسلا جيدا ثم يمسح بفضل الماء
على وجهه أبو يعلى من حديث ابن عمر بأسناد ضعيف من أكل من هذه اللحوم شيئا فليغسل يده من
ريح وضرة لا يؤذى من حذاه (٦) حديث كان يشرب في ثلاث دفعات له فيها ثلاث تسميات وفي
آخرها ثلاث تحميدات الطبراني في الأوسط من حديث أبي هريرة ورجاله ثقات وم من حديث أنس
كان إذا شرب بنفس ثلاثا (٧) حديث كان يمسح اللسان بمصا ولا يمسح بها بغوى والطبراني وابن
عدي وابن قانع وابن منده وأبو نعيم في الصحابة من حديث بهز كان يستاك عرضا ويشرب مصا
ولطبراني من حديث أم سلمة كان لا يمسح ولأبي الشيخ من حديث ميمونة لا يمسح ولا يلمس وكلها
ضعيفة (٨) حديث كان يدفع فضل سؤره إلى من عن يمينه متفق عليه من حديث أنس (٩) حديث
استثناه من على يمينه إذا كان على يساره أجل رتبة متفق عليه من حديث سهل بن مسعد
(١٠) حديث شربه بنفس واحد أبو الشيخ من حديث زيد بن أرقم بأسناد ضعيف وللحاكم من
حديث أبي قتادة وصححه إذا شرب أحدكم فليشرب بنفس واحد ولعل تاويل هذين الحديثين على
ترك التنفس في الإناء والله أعلم (١١) حديث كان لا يتنفس في الإناء حتى ينحرف عنه ك من حديث
أبي هريرة ولا يتنفس أحدكم في الإناء إذا شرب منه ولكن إذا أراد أن يتنفس فليؤخره عنه ثم ليتنفس

خلق عظيم - وقيل
عظم خلقك لأنك لم
ترض بالأخلاق
وسرت ولم تسكن إلى
النوع حتى وصلت إلى
الذات . وقيل لما بحث
محمد عليه الصلاة
والسلام إلى الحجاز
حجزه بها عن اللذات
والشهوات وأقام في
الغربة والجفوة فمأصفا
بذلك عن دنس
الأخلاق قال له
- وإنك لم تخلق
عظيم - . وأخبرنا
الشيخ الصالح أبو زرعة
ابن الحافظ أبي الفضل
محمد بن طاهر المقدسي
عن أبيه قال أنا أبو عمر
المليخي قال أنا أبو محمد

عدل ولبن فأبى أن يشربه وقال شربتان في شربة وإدامان في إناء واحد (١) ثم قال صلى الله عليه وسلم « لا أحرمه ولكني أكره الفخر والحساب بفضول الدنيا غدا وأحب التواضع فإن من تواضع لله رفعه الله » وكان في بيته أشد حياء من العاتق لا يسألهم طعاما ولا يتشبهاء عليهم إن أطعموهما أكل وما أعطوه قبل وما سقوه شرب (٢) وكان ربما قام فأخذ ما يأكل بنفسه أو يشرب (٣).

(بيان آدابه وأخلاقه في اللباس)

كان صلى الله عليه وسلم يلبس من الثياب ما وجد من إزار أو رداء أو قميص أو جبة أو غير ذلك (٤) وكان يعجبه الثياب الخضر (٥) وكان أكثر لباسه البياض ويقول ألبسوها أحباءكم وكفنوا فيها موتاكم

وقال حديث صحيح الاسناد (١) حديث أتى بإثناء فيه عمل وماء فأبى أن يشربه وقال شربتان في شربة وإدامان في إناء واحد الحديث البزار من حديث طلحة بن عبيد الله دون قوله شربتان في شربة إلى آخره وسنده ضعيف (٢) حديث كان في بيته أشد حياء من العاتق لا يسألهم طعاما ولا يتشبهاء عليهم إن أطعموهما أكل وما أطعموه قبل وما سقوه شرب الشيخان من حديث أبي سعيد كان أشد حياء من العذراء في خدرها الحديث وقد تخدم وأما كونه كان لا يسألهم طعاما فإنه أراد أي طعام بعينه من حديث عائشة أنه قال ذات يوم يا عائشة هل عندكم شيء ؟ قالت قلت ما عندنا شيء الحديث وفيه فلما رجع قلت أهديت لنا هدية قال ما هو قلت حبس قال هاتيه وفي رواية قريه وفي رواية للنسائي أصبح عندكم شيء تطعمينه ولأبي داود هل عندكم طعام وت أعندك غداء وفي الصحيحين من حديث عائشة فدعا بطعام فأبى فخبز وأدم من أدم البيت فقال ألم أربم على النار فيها لحم الحديث وفي رواية لسم لو صنعت لنا من هذا اللحم الحديث فليس في قصة بريرة إلا الاستفهام والرضا والحكمة فيه بيان الحكم لا التشهي والله أعلم . وللشيخين من حديث أم الفضل أنها أرسلت إليه بقدر لبن وهو واقف على بعيره فشربه ولأبي داود من حديث أم هانئ فجات الوليدة بإثناء فيه شراب فتأوله فشرب منه وإسناده حسن (٣) حديث وكان ربما قام فأخذ ما يأكل أو يشرب بنفسه من حديث أم النضر بنت قيس دخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم فشرب ومعه على وعلى ناقه - ولنا دوال معلقة بتمام رسول الله صلى الله عليه وسلم فأكل منها الحديث وإسناده حسن وللترمذي ومصححه وابن ماجه من حديث كبشة دخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم فشرب من في قربة معلقة قائما الحديث .

(بيان أخلاقه وآدابه في اللباس)

(٤) حديث كان يلبس من الثياب ما وجد من إزار أو رداء أو قميص أو جبة أو غير ذلك الشيخان من حديث عائشة أنها أخرجت إزارا مما يصنع باليمن وكساء من هذه الملبدة فقالت في هذا قميص رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي رواية إزارا غليظا ولها من حديث أنس كنت أمشي مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وعليه رداء نجرائي غليظ الحاشية الحديث لفظ مسلم وقال خ برد نجرائي وه بسند ضعيف من حديث ابن عباس كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يلبس قميصا قصيرا يدين والطول ودت وحسنه ون من حديث أم سلمة كان أحب الثياب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم القميص ولأبي داود من حديث أسماء بنت زيد كانت يد قميص رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الرسغ وفيه شهر بن حوشب مختلف فيه وتقدم قبل هذا الحديث الجبة والشملة والخبرة (٥) حديث كان أكثر لباسه البياض ويقول ألبسوها أحباءكم وكفنوا فيها موتاكم هـ من حديث ابن عباس خير ثيابكم البياض فألبسوها أحباءكم وكفنوا فيها موتاكم قال ك صحيح الاسناد وله ولاصحاب السنن من حديث عمرة عليكم بهذه الثياب البياض فليلبسها

عبد الله بن يوسف قال أنا أبو سعيد بن الأعرابي قال ثنا جعفر بن الحجاج الرقي قال أنا أيوب بن محمد الوزان قال حدثني الوليد قال حدثني ثابت عن يزيد عن الأوزاعي عن الزهري عن عروة عن عائشة رضي الله عنها قالت: كان نبي الله صلى الله عليه وسلم يقول « مكرام الأخلاق عشرة تكون في الرجل ولا تكون في ابنه وتكون في أبيه ولا تكون في أمه وتكون في العبد ولا تكون في سيده يقسمها الله تعالى لمن

وكان يلبس القباء المحشو للحرب وغير الحرب ^(١) وكان له قباء سندس فيلبسه فتحسن خضرته على يياض لونه ^(٢) وكانت ثيابه كلها مشمرة فوق الكعبين ويكون الإزار فوق ذلك إلى نصف الساق ^(٣) وكان قميصه مشدود الأزرار وربما حل الأزرار في الصلاة وغيرها ^(٤) وكانت له ملحفة مصبوغة بالزعفران وربما صلى بالناس فيها وحدها ^(٥) وربما لبس الكساء وحده ما عليه غيره ^(٦) وكان له كساء ملبد بلبسه ويقول إنما أنا عبد ألبس كما يلبس العبد ^(٧)

أحباؤكم وكفتموا فيها موتاكم لفظ الحاكم وقال صحيح على شرط الشيخين وقال ت حسن صحيح ^(١) حديث كان يلبس القباء المحشو للحرب وغير المحشو الشيخان من حديث السور بن مخرمة أن النبي صلى الله عليه وسلم قدمت عليه أقية من ديباج مززر بالذهب الحديث وليس في طرق الحديث لبسها إلا في طريق علقها قال نخرج وعليه قباء من ديباج مززر بالذهب الحديث وم من حديث جابر لبس النبي صلى الله عليه وسلم يوما قباء من ديباج أهدي له ثم نزعه الحديث ^(٢) حديث كان له قباء سندس فيلبسه الحديث أحمد من حديث أنس أن أكيدر دومة أهدي إلى النبي صلى الله عليه وسلم جبة سندس أوديباج قبل أن ينهى عن الحرير فلبسها والحديث في الصحيحين وليس فيه أنه لبسها وقال فيه وكان ينهى عن الحرير وعند ت ومحمد ن أنه لبسها ولكنه قال بجبة ديباج منسوجة فيها الذهب ^(٣) حديث كان ثيابه كلها مشمرة فوق الكعبين ويكون الإزار فوق ذلك إلى نصف الساق أبو الفضل محمد بن طاهر في كتاب صفوة التصوف من حديث عبد الله بن بسر كانت ثياب رسول الله صلى الله عليه وسلم إزاره فوق الكعبين وقيصه فوق ذلك ورداؤه فوق ذلك وإسناده ضعيف وك ومحمد من حديث ابن عباس كان يلبس قميصا فوق الكعبين الحديث وهو عنده بلفظ قميصا قصير اليدن والطول وعندها وت في الثمائل من رواية الأشعث قال سمعت عمتي تحدث عن عمها فذكر النبي صلى الله عليه وسلم وفيه فاذا إزاره إلى نصف ساقه ورواه ن وصحاح بن عبيد بن خالد واسم عمه الأشعث وهم بيت الأسود ولا يعرف ^(٤) حديث كان قميصه مشدود الأزرار وربما حل الأزرار في الصلاة وغيرها ذه ت في الثمائل من رواية معاوية بن قررة بن ياس عن أبيه قال أتيت النبي ﷺ في رهط من مزينة وبائنه وإن قميصه مطلق الأزرار وللبني من رواية زيد بن أسلم قال رأيت ابن عمر صلى على محلاة أزاره فسأله عن ذلك فقال رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يفعل وفي العلل للترمذي أنه سأل خ عن هذا الحديث فقال أنا ألقى هذا الشيخ كأن حديثه موضوع يعني زهير بن محمد راويه عن زيد بن أسلم قلت تابعه عليه الوليد بن مسلم عن زيد رواه ابن خزيمة في صحيحه والطبراني من حديث ابن عباس بإسناد ضعيف دخلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يصلي محتبيا محلل الأزرار ^(٥) حديث كان له ملحفة مصبوغة بالزعفران وربما صلى بالناس فيها د ت من حديث قيلة بنت مخرمة قالت رأيت النبي ﷺ وعليه أحمال ملاءتين كانتا بزعفران قالت لا نعرفه إلا من عبد الله بن حسان قلت ورواته م وتون ود من حديث قيس بن سعد فاغتسل ثم ناوله أبي سعد ملحفة مصبوغة بزعفران أو ورس فاشتمل بها الحديث ورجاله ثقات ^(٦) حديث ربما لبس الكساء وحده ليس عليه غيره ه وابن خزيمة من حديث ثابت بن الصامت أن النبي صلى الله عليه وسلم صلى في بني عبد الأشهل وعليه كساء متلفف به الحديث وفي رواية البزار في كساء ^(٧) حديث كان له كساء ملبد بلبسه ويقول أنا عبد ألبس كما يلبس العبد الشيخان من رواية أبي بردة قال أخرجت إلينا عائشة كساء ملبدا وإزارا غليظا فقالت في هذين قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم وللبخاري من حديث ممر إنما أنا عبد ولعبد الرزاق في المصنف من رواية أيوب السخيتي مرفوعا معضلا إنما أنا عبد آكل كما يأكل العبد وأجلس كما يجلس العبد وتقدم من حديث أنس وابن عمر وعائشة متصلا .

أراد به السعادة : صدق
الحديث وصدق اليأس
وأن لا يشبع وجاره
وصاحبه جاعان
وإعطاء السائل
والكفاة بالصنائع
وحفظ الأمانة وصلة
الرحم والتذم للصاحب
وإقراء الضيف
ورأسهن الحياء .
وسئل رسول الله صلى
الله عليه وسلم عن
أكثر ما يدخل الناس
الجنة قال « تقوى الله
وحسن الخلق » وسئل
عن أكثر ما يدخل
الناس النار قال : النّم
والفرح يكون هذا
النّم غم فوات الحظوظ
العاجلة لأن ذلك

وكان له ثوبان لجمته خاصة سوى ثيابه في غير الجمعة (١) وربما لبس الإزار الواحد ليس عليه غيره ويسعد طرفه بين كتفيه (٢) وربما أم به الناس على الجنائز (٣) وربما صلى في بيته في الإزار الواحد ملتصقا به مخالفا بين طرفيه ويكون ذلك الإزار الذي جامع فيه يومئذ (٤) وكان ربما صلى بالليل في الإزار ويرتدى ببعض الثوب مما يلي هديه ويلقى البقية على بعض نسائه فيصلي كذلك (٥) ولقد كان له كساء أسود فوهبه فقالت له أم سلمة بأبي أنت وأمي ما فعل ذلك الكساء الأسود فقال كسوته مارأيت شيئا قط كان أحسن من يياضك على سواده (٦) وقال أنس وربما رأيته يصلي بنا الظهر في شملة عاقدا بين طرفيه (٧) وكان يتختم (٨) وربما خرج وفي خاتمه الحيط المربوط بتذكرة به الشيء (٩)

(١) حديث كان له ثوبان لجمته خاصة الحديث الطبراني في الصغير والأوسط من حديث عائشة بسند ضعيف زاد فإذا انصرف طويناها إلى مثله وورده حديث عائشة عند ابن ماجه مارأيته يسب أحدا ولا يطوى له ثوب (٢) حديث ربما لبس الإزار الواحد ليس عليه غيره فقد طرفه بين كتفيه الشيخان من حديث عمر في حديث اعتزاله أهله فإذا عليه إزاره وليس عليه غيره وللبخاري من رواية محمد بن النكدر صلى بنا جابر في إزار قد عنده من قبل قلعه وثيابه موضوعة على الشجب وفي رواية له وهو يصلي في ثوب ملتصقا به ورداؤه موضوع وفيه رأيت النبي صلى الله عليه وسلم يصلي هكذا (٣) حديث ربما أم به الناس على الجنائز لم أفق عليه (٤) حديث ربما صلى في بيته في الإزار الواحد ملتصقا به مخالفا بين طرفيه ويكون ذلك الإزار الذي جامع فيه يومئذ أبو يعلى بإسناد حسن من حديث معاوية قال دخلت على أم حبيبة زوج النبي صلى الله عليه وسلم فرأيت النبي صلى الله عليه وسلم في ثوب واحد فقلت يا أم حبيبة أبصلي النبي صلى الله عليه وسلم في الثوب الواحد قالت نعم وهو الذي كان فيه ما كان تعني الجماع ورواه الطبراني في الأوسط (٥) حديث ربما كان يصلي بالليل ويرتدى ببعض الثوب مما يلي هديه ويلقى البقية على بعض نسائه د من حديث عائشة أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يصلي في ثوب بعضه على ولمسلم كان يصلي من الليل وأنا إلى جنبه وأنا حائض وعلى مرط بعضه على رسول الله صلى الله عليه وسلم وللطبراني في الأوسط من حديث أبي عبد الرحمن حاضن عائشة رأيت النبي صلى الله عليه وسلم وعائشة بصليان في ثوب واحد نصفه على النبي صلى الله عليه وسلم ونصفه على عائشة وسنده ضعيف (٦) حديث كان له كساء أسود فوهبه فقالت له أم سلمة بأبي أنت وأمي ما فعل ذلك الكساء الحديث لم أفق عليه من حديث أم سلمة وسلم من حديث عائشة خرج النبي صلى الله عليه وسلم وعليه مرط مرحل أسود ولأبي داود ون صنع للنبي صلى الله عليه وسلم ردة سوداء من صوف فلبسها الحديث وزاد فيه ابن سعد في الطبقات فذكرت يياض النبي صلى الله عليه وسلم وسوداءها ورواه ك بلفظ جبة وقال صحيح على شرط الشيخين (٧) حديث أنس وربما رأيته يصلي بنا الظهر في شملة عاقدا بين طرفيها البرار وأبو يعلى بلفظ صلى ثوب واحد وقد خالف بين طرفيه وللبرار خرج في مرضه الذي مات فيه مرتديا ثوب قطن فضلى بالناس وإسناده صحيح و من حديث عبادة بن الصامت صلى في شملة قد عقد عليها وفي كامل ابن عدى قد عقد عليها هكذا وأشار سفيان إلى قفاه وفي جزء الطبريف فمقدما في عتقه ما عليه غيرها وإسناده ضعيف (٨) حديث كان يتختم الشيخان من حديث ابن عمر وأنس (٩) حديث ربما خرج وفي خاتمه خيط مربوط بتذكرة به الشيء عد من حديث وائلة بسند ضعيف كان إذا أراد الحاجة أوثق في خاتمه خيطا وزاد الحارث ابن أبي أسامة في مسنده من حديث ابن عمر ليدكره به وسنده ضعيف .

بعض من التخط والتضرع وفيه الاعتراض على الله تعالى وعدم الرضا بالقضاء ويكون الفرح للشار إليه الفرح بالحفظ العاجلة المنوع منه بقوله تعالى - لكيلا تأسوا على ما فاتكم ولا تفرحوا بما آتاكم - وهو الفرح الذي قال الله تعالى - إذ قال له قومه لا تفرح إن الله لا يحب الفرحين - لما رأى مفاتحه تنوء بالعصبة أوى القوة فأما الفرح بالأقسام الأخروية فمحمود ينافس فيه قال الله تعالى - قل

وكان يَحْتَمُّ به على الكتب ويقول الحاتم على الكتاب خير من التهمة (١) وكان يلبس القلانس تحت العمام ويغير عمامة وربما نزع قلنسوته من رأسه فجعلها سترة بين يديه ثم يصلي إليها (٢) وربما لم تكن العمامة فيشد العصاية على رأسه وعلى جبهته (٣) وكانت له عمامة تسمى السحاب فوهبها من على فرميا طلع على فيها فيقول صلى الله عليه وسلم أنا كم على في السحاب (٤) وكان إذا لبس ثوبا لبسه من قبل ميامنه (٥) ويقول الحمد لله الذي كساني ما أؤاري به عورتي وأجعل به في الناس (٦) وإذا نزع ثوبه أخرجه من مياسره (٧) وكان إذا لبس جديدا أعطى خلق ثيابه مسكينا ثم يقول ما من مسلم يكسو مسلما من ثوبه إلا يكسوه إلا الله إلا كان في ضمان الله وحرزه وخيره ما واره حيا وميتا (٨)

(١) حديث كان يَحْتَمُّ به على الكتب ويقول الحاتم على الكتاب خير من التهمة الشيخان من حديث أنس لما أراد النبي صلى الله عليه وسلم أن يكتب إلى الروم قالوا إنيهم لا يقرءون إلا كتابا محتوما فأتخذ خاتما من فضة الحديث ون ت في التماثل من حديث ابن عمر أتخذ خاتما من فضة كان يَحْتَمُّ به ولا يلبسه وسنده صحيح وأما قوله الحاتم على الكتاب خير من التهمة فلم أقف له على أصل (٢) حديث كان يلبس القلانس تحت العمام ويغير عمامة وربما نزع قلنسوته من رأسه فجعلها سترة بين يديه ثم يصلي إليها الطبراني وأبو الشيخ والبيهقي في شعب الإيمان من حديث عمر كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يلبس قلنسوة بيضاء ولأبي الشيخ من حديث ابن عباس كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثة قلانس: قلنسوة بيضاء مضرية وقلنسوة بردنجية وقلنسوة ذات آذان يلبسها في السفر فرميا وضما بين يديه إذا صلى وإسنادها ضعيف ولأبي داود وت من حديث ركانة فرق ما بيننا وبين للتشركين العمام على القلانس قالت غريب وليس إسنادها بالقائم (٣) حديث ربما لم تكن العمامة فيشد العصاية على رأسه وعلى جبهته خ من حديث ابن عباس سعد رسول الله صلى الله عليه وسلم للنبر وقد عصب رأسه بعصاة دهماء الحديث (٤) حديث كانت له عمامة تسمى السحاب فوهبها من على فرميا طلع على فيها فيقول صلى الله عليه وسلم أنا كم على في السحاب ابن عدى وأبو الشيخ من حديث جعفر بن محمد عن أبيه عن جده وهو مرسل ضعيف جدا ولابن نعيم في دلائل النبوة من حديث عمر في أثناء حديث عمامته السحاب الحديث (٥) حديث كان إذا لبس ثوبا يلبسه من قبل ميامنه ت من حديث أبي هريرة ورجاله رجال الصحيح وقد اختلف في رقبته (٦) حديث الحمد لله الذي كساني ما أؤاري به عورتي وأجعل به في الناس ت وقال غريب وهك وصححه من حديث عمر بن الخطاب (٧) حديث كان إذا نزع ثوبه خرج من مياسره أبو الشيخ من حديث ابن عمر كان إذا لبس شيئا من الثياب بدأ بالأيمن وإذا نزع بدأ بالأيسر وله من حديث أنس كان إذا ارتدى أو ترجل أو اتعل بدأ يمينه وإذا خلع بدأ ييساره وسندها ضعيف وهو في الاعتال في الصحيحين من حديث أبي هريرة من قوله لا من فعله [١] حديث كان له ثوب لجمته خاصة الحديث تقدم قريبا بلفظ توبين (٨) حديث كان إذا لبس جديدا أعطى خلق ثيابه مسكينا ثم يقول ما من مسلم يكسو مسلما الحديث ك في الاستدراك والبيهقي في الشعب من حديث عمر قال رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم دعا ثيابه قلبها فلما بلغ تراقيه قال الحمد لله الذي كساني ما أجعل به في حياتي وأؤاري به عورتي ثم قال ما من مسلم يلبس ثوبا جديدا الحديث دون ذكر تصدقه صلى الله عليه وسلم بثيابه وهو عند ه دون ذكر لبس النبي صلى الله عليه وسلم بثيابه وهو أصح وقد تقدم قال البيهقي وهو غير قوي .

[١] قول الرازي: حديث كان له ثوب الخ ليس هذا الحديث بنسختنا فاعلمه بنسخة الرازي .

بفضل الله وبرحمته
فذلك فليفرحوا -
وقر عبد الله بن
البارك حسن الخلق
قال هو بسط الوجه
وبذل للعروف وكف
الأذى فالصوفيا رضوا
تفوسهم بالمكابدات
والمجاهدات حتى أجابت
إلى تحسين الأخلاق
وكم من نفس نجيب
إلى الأعمال ولا نجيب
إلى الأخلاق فنفس
العباد أجابت إلى
الأعمال وجمعت
عن الأخلاق ونفوس
الزهاد أجابت إلى
بعض الأخلاق دون
المنش وتوسوس
الصوفية أجابت إلى

وكان له فراش من آدم حشوه ليف طوله ذراعان أو نحوه وعرضه ذراع وشبر أو نحوه (١) وكانت له عباءة تفرش له حيثما تنقل ثني طاقين تحته (٢) وكان ينام على الحصير ليس تحته شيء غيره (٣) وكان من خلقه تسمية دوابه وسلاحه ومتاعه وكان اسم رايته العقاب واسم سيفه الذي يشهد به الحروب ذو الفقار وكان له سيف يقال له الخنم وآخر يقال له الرسوب وآخر يقال له القضيبي وكانت قبضة سيفه محلاة بالفضة (٤) وكان يلبس المنطقة من الأدم فيها ثلاث حلق من فضة (٥) وكان اسم قوسه الكتوم وجعبته الكافور (٦) وكان اسم ناقته القصواء وهي التي يقال لها الضياء واسم بقلته الدلدل

(١) حديث كان له فراش من آدم حشوه ليف الحديث متفق عليه من حديث طائفة مقتصر على هذا دون ذكر عرضه وطوله ولأبي الشيخ من حديث أم سلمة كان فراش النبي صلى الله عليه وسلم نحو ما يوضع الإنسان في قبره وفيه من لم يسم (٢) حديث كانت له عباءة تفرش له حيثما تنقل تفرش طاقين تحته ابن سعد في الطبقات وأبو الشيخ من حديث عائشة دخلت على امرأة من الأنصار فرأت فراش رسول الله صلى الله عليه وسلم عباءة مثنية الحديث ولأبي سعيد عنها أنها كانت تفرش للنبي صلى الله عليه وسلم عباءة بائتين الحديث وكلاهما لا يصح وث في الثمائل من حديث حفصة وستلت ما كان فراشه قالت مسح ثنيته فنام عليه الحديث وهو منقطع (٣) حديث كان ينام على الحصير ليس تحته شيء غيره متفق عليه من حديث عمر في قصة اعتزال النبي صلى الله عليه وسلم نساءه (٤) حديث كان من خلقه تسمية دوابه وسلاحه ومتاعه وكان اسم رايته العقاب واسم سيفه الذي يشهد به الحروب ذو الفقار وكان له سيف يقال له الخنم وآخر يقال له الرسوب وآخر يقال له القضيبي وكان قبضة سيفه محلاة بالفضة الطبراني من حديث ابن عباس كان لرسول الله ﷺ سيف قاعته من فضة وقيعته من فضة وكان يسمى ذا الفقار وكانت له قوس تسمى السداد وكانت له كنانة تسمى الجمع وكانت له درع موشحة بنحاس تسمى ذات الفضول وكانت له حريرة تسمى التيمة وكانت له بحرن تسمى الدفن وكان له ترس أبيض يسمى موجزا وكان له فرس أدم يسمى السكب وكان له سرج يسمى الداج المؤخر وكان له بقله شبيه يقال لها الدلدل وكانت له ناقه تسمى القصواء وكان له حمار يسمى ينفور وكان له بساط يسمى الكر وكانت له عنزة تسمى النمر وكانت له ركوة تسمى الصادر وكانت له مرآة تسمى الرآة وكان له مقراض يسمى الجامع وكان له قصب شوحط يسمى للمشوق وفيه على بن غررة الدمشقي نسب إلى وضع الحديث ورواه ابن عدي من حديث أبي هريرة بسند ضعيف كانت راية رسول الله صلى الله عليه وسلم سوداء تسمى العقاب ورواه أبو الشيخ من حديث الحسن مرسلًا وله من حديث على بن أبي طالب كان اسم سيف رسول الله ﷺ ذا الفقار ت ه من حديث ابن عباس أنه صلى الله عليه وسلم تنقل سيفه ذا الفقار يوم بدر وكان من حديث على في أثناء حديث وسيفه ذو الفقار وهو ضعيف ولابن سعد في الطبقات من رواية مروان بن أبي سعيد بن الحلي مرسلًا قال أصاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من سلاح بني قينقاع ثلاثة أسياف: سيف قلبي وسيف يدعى بتارا وسيف يدعى الخنف وكان عنده بعد ذلك الخنم ورسوب أصابهما من القلبي وفي حسنه الواقدي وذكر ابن أبي خيثمة في تاريخه أنه يقال إنه ﷺ قدم المدينة ومعه سيفان يقال لأحدهما العضب شهده بدرًا ولابن داود وث وقال حسن ون وقال منكر من حديث أنس كانت قيمة سيف رسول الله صلى الله عليه وسلم فضة (٥) حديث كان يلبس المنطقة من الأدم فيها ثلاث حلق من فضة لم أقف له على أصل ولابن سعد في الطبقات وأبي الشيخ من رواية محمد بن علي بن الحسين مرسلًا كان في درع النبي صلى الله عليه وسلم حلقتان من فضة (٦) حديث كان اسم قوسه الكتوم وجعبته الكافور لم أجد

الأخلاق الكريمة كلها
أخبرنا الشيخ أبو زرعة
إجازة عن أبي بكر
ابن خلف إجازة عن
السلي قال سمعت
حسين بن أحمد بن
جعفر يقول سمعت
أبا بكر الكتاني يقول
التصوف خلق فمن
زاد عليك بالخلق زاد
عليك بالتصوف فالعباد
أجابت قوسهم إلى
الأعمال لأنهم يسلكون
بنور الاسلام والزهاد
أجابت قوسهم إلى بعض
الأخلاق لكونهم
سلكوا بنور الإيمان
والتصوف أهل القرب
سلكوا بنور الاحسان
قلنا باشر بواطن أهل

وكان اسم حمارة ينفور واسم شاته التي يشرب لبنها عينة (١) وكان له مطهرة من غفار يتوضأ فيها ويشرب منها (٢) فيرسل الناس أولادهم الصغار الذين قد عقلوا فيدخلون على رسول الله صلى الله عليه وسلم فلا يذفون عنه فإذا وجدوا في المطهرة ماء شربوا منه ومسحوا على وجوههم وأجسادهم ويتنعمون بذلك البركة .

(بيان عفوہ صلی اللہ علیہ وسلم مع القدرۃ)

كان صلى الله عليه وسلم أحلم الناس (٣) وأرغبهم في العفو مع القدرۃ حتى أتى قلائد من ذهب وفضة قسمها بين أصحابه فقام رجل من أهل البادية فقال « يا محمد والله لئن أمرت الله أن تعدل فأرأيت تعدل فقال ويحك فمن يعدل عليك بعدى فلما ولى قال ردوه على رويدها (٤) » روى جابر « أنه صلى الله عليه وسلم كان يقبض للناس يوم خير من فضة في ثوب بلال فقال له رجل يا رسول الله اعدل فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: ويحك فمن يعدل إذا لم أعدل فقد خبت إذن وخسرت إن كنت لا أعدل فقام عمر فقال ألا أضرب عنقه فإنه منافق فقال معاذ الله أن يتحدث الناس أني أقتل أصحابي (٥) » وكان رسول الله ﷺ في حرب فرأوا من المسلمين غرة فجهاد رجل حتى قام على رأس رسول الله صلى الله عليه وسلم بالسيف فقال من يمنعك مني فقال الله قال فسقط السيف من يده فأخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم السيف وقال من يمنعك مني فقال كن خير آخذ قال قل أشهد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله فقال لا غير أني لا أقاتلك ولا أكون معك ولا أكون مع قوم يقاتلونك غلى سبيله فجهاد أصحابه فقال جثمت من عند خير الناس (٦) » وروى أنس « أن يهودية أمت النبي صلى الله عليه وسلم بشاة مسمومة لبأ كل منها فجيء بها إلى النبي صلى الله عليه وسلم فسألها عن ذلك فقالت أردت قتلك فقال

له أصلاً وقد تقدم في حديث ابن عباس أنه كانت له قوس تسمى السداد وكانت له كنانة تسمى الجمع وقال ابن أبي خيثمة في تاريخه: أخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم أحد من سلاح بني قينقاع ثلاثة قوس: قوس اسمها الروحاء وقوس شوحت تدعى البيضاء وقوس صفراء تدعى الصفراء من سبع (١) حديث كان اسم ناقته القصواء وهي التي يقال لها البيضاء واسم بقلته الدليل واسم حمارة ينفور واسم شاته التي يشرب لبنها عينة تقدم بضعه من حديث ابن عباس عند الطبراني والبخاري من حديث أنس كان للنبي صلى الله عليه وسلم ناقه يقال لها البيضاء ولمسلم من حديث جابر في حجة الوداع ثم ركب القصواء وك من حديث علي: ناقته القصواء وبقلته دليل وحمارة غفيرة الحديث ورويناه في فوائد ابن الدحداح فقال حمارة ينفور وفيه شاته بركة وخ من حديث معاذ كنت ردفت النبي صلى الله عليه وسلم على حمار يقال له غفير ولابن سعد في الطبقات من رواية إبراهيم بن عبد الله من ولد عتبة بن غزوان كانت منائح رسول الله صلى الله عليه وسلم من الغنم سبعاً: عجورة وزمزم وسقيا وبركة ورشة واهلال وأطراف وفي سنده الواقدي وله من رواية مكحول مرسلات كانت نهشة تسمى قمر (٢) حديث كانت له مطهرة من غفار يتوضأ فيها ويشرب منها الحديث لم أقف له على أصل .

(بيان عفوہ صلی اللہ علیہ وسلم مع القدرۃ)

(٣) حديث كان أحلم الناس تقدم (٤) حديث أتى قلائد من ذهب وفضة قسمها بين أصحابه الحديث أبو الشيخ من حديث ابن عمر باسناد جيد (٥) حديث جابر أنه كان يقبض للناس يوم حنين من فضة في ثوب بلال فقال له رجل يابني الله اعدل الحديث رواه (٦) حديث كان في حرب قرؤى في المسلمين غرة فجهاد رجل حتى قام على رسول الله صلى الله عليه وسلم بالسيف الحديث منق على من حديث جابر بنحوه وهو في مسند أحمد أقرب إلى لفظ المصنف وصلى الرجل غورث بن الحارث .

القرب والصوفية نور
اليقين وتواصل في
بواطنهم ذلك انصلح
القلب بكل أرجائه
وجوانبه لأن القلب
يبيض بوضه بنور
الاسلام وبضه بنور
الايمان وكله بنور
الاحسان والايقان فاذا
ايض القلب وتور
انكس نوره على
النفس والقلب وجه
إلى النفس ووجه إلى
الروح والنفس وجه
إلى القلب ووجه إلى
الطبع والغريزة والقلب
إذ لم يبيض كله لم
يتوجه إلى الروح بكلمه
ويكون ذا وجهين
وجه إلى الروح ووجه

ما كان الله ليلسطك على ذلك قالوا أفلا تقتلها فقال لا ^(١) وسحر رجل من اليهود فأخبره جبريل عليه أفضل الصلاة والسلام بذلك حتى استخرجه وحلّ العقد فوجد ذلك خفة وماذ كرك ذلك لليهودى ولا أظهره عليه قط ^(٢) وقال على رضى الله عنه « بعثنى رسول الله صلى الله عليه وسلم أنا والزبير ولقد ادّ قال انطلقوا حتى تأتوا روضة خاخ فان بها ظمينة معها كتاب فخذوه منها فانطلقنا حتى أتينا روضة خاخ قلنا أخرجنى الكتاب قالت مامى من كتاب قلنا لنخرجن الكتاب وألتزعن الثياب فأخرجته من عقاصها فأتينا به النبي صلى الله عليه وسلم فاذا فيه من حطب بن أبى بلثة إلى أناس من المشركين بمكة يخبرهم أمرا من أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا حاطب ما هذا قال يا رسول الله لا تعجل علىّ إني كنت أمرا ملصقا في قومي وكان من معك من المهاجرين لهم قرابات بمكة يحمون أهلهم فأجبت إذ فاتني ذلك من النسب منهم أن آخذ فيهم يدا يحمون بها قرابتي ولم أفضل ذلك كفر أو لارجة بالكفر بعد الاسلام ولا ارتدادا عن ديني فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم إنه صدقكم فقال عمر رضى الله عنه دعني أضرب عنق هذا المنافق فقال صلى الله عليه وسلم إنه شهد بدرا وما يدريك لعل الله عز وجل قد اطلع على أهل بدر فقال اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم ^(٣) . وقسم رسول الله صلى الله عليه وسلم قسمة قال رجل من الأنصار هذه قسمة ما أريد بها وجه الله فذكر ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم فاحمر وجهه وقال: « رحم الله أخى موسى قد أودى بأكثر من هذا فصبر ^(٤) » وكان صلى الله عليه وسلم يقول « لا يلقى أحد منكم عن أحد من أصحابي شيئا فإني أحب أن أخرج إليكم وأنا سليم الصدر ^(٥) » .

(بيان إغضاؤه صلى الله عليه وسلم عما كان يكرهه)

كان رسول الله صلى الله عليه وسلم رقيق البشرة لطيف الظاهر والباطن يعرف في وجهه غضبه ورضاه ^(٦) وكان إذا اشتد وجهه أكثر من مس لحية الكريهة ^(٧) وكان لا يشافه أحدا بما يكرهه دخل عليه رجل وعليه صفرة فكرهها فلم يقل له شيئا حتى خرج فقال لبعض القوم لو قلتم لهذا أن يدع هذه ^(٨) يعني الصفرة ، وبأل أعرابي في السجد بعضرتة فهم به الصعابة فقال صلى الله عليه وسلم

(١) حديث أنس أن يهودية أتت النبي صلى الله عليه وسلم بشاة مسمومة الحديث رواه وهو عندخ من حديث أبى هريرة (٢) حديث سحره رجل من اليهود فأخبره جبريل بذلك حتى استخرجه الحديث ن باسناد صحيح من حديث زيد بن أرقم وقصة سحره في الصحيحين من حديث عائشة بلفظ آخر (٣) حديث على بعثنى رسول الله صلى الله عليه وسلم أنا والزبير ولقد ادّ وقال انطلقوا حتى تأتوا روضة خاخ الحديث متفق عليه (٤) حديث قسم رسول الله صلى الله عليه وسلم قسمة فقال رجل من الأنصار هذه قسمة ما أريد بها وجه الله الحديث متفق عليه من حديث ابن مسعود (٥) حديث لا يلقى أحد منكم عن أحد من أصحابي شيئا فإني أحب أن أخرج إليكم وأنا سليم الصدر دت من حديث ابن مسعود وقال غريب من هذا الوجه .

(بيان إغضاؤه صلى الله عليه وسلم عما يكرهه)

(٦) حديث كان رقيق البشرة لطيف الظاهر والباطن يعرف في وجهه غضبه أبو الشيخ من حديث ابن عمر كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعرف رضاه وغضبه بوجهه الحديث وقد تقدم .

(٧) حديث كان إذا اشتد وجهه أكثر من مس لحية الكريهة الحديث وقد تقدم أبو الشيخ من حديث عائشة باسناد حسن (٨) حديث كان لا يشافه أحدا بما يكرهه دخل عليه رجل وعليه صفرة فكرهه فلم يقل شيئا حتى خرج فقال لبعض القوم لو قلتم لهذا أن يدع هذه يعني الصفرة دت في الشامل ون في اليوم والليلة من حديث أنس وإسناده ضعيف .

إلى النفس فاذا ابيض
كله توجه إلى الروح
بكله فيتداركه مدد
الروح ويزداد إشراقا
وتورا وكلما انجذب
القلب إلى الروح
انجذبت النفس إلى
القلب وكلما انجذبت
توجهت إلى القلب
بوجهها القدي يليه
وتور النفس لتوجهها
إلى القلب بوجهها
الذي يلي القلب وعلامة
تورها طمأنينتها قال
الله تعالى - يا أيها

«لا ترموه» أى لا تقطعوا عليه البول ثم قال له «إن هذه للساجد لا تصلح لى» من القدر والبول والحلاء (١) وفي رواية قربوا ولا تنفروا وجاءه أعرابي يوما يطلب منه شيئا فأعطاه صلى الله عليه وسلم ثم قال له أحسنت إليك قال الأعرابي لا ولا أجملت قال فنضب للسبون وقاموا إليه فأشار إليهم أن كفوا ثم قام ودخل منزله وأرسل إلى الأعرابي وزاده شيئا ثم قال أحسنت إليك قال نعم فجزاك الله من أهل وعشيرة خيرا فقال له النبي صلى الله عليه وسلم إنك قلت ما قلت وفي نفس أصحابي شيء من ذلك فإن أحببت قل بين أيديهم ما قلت بين يدي حتى ينهب من صدورهم ما فيها عليك قال نعم فلما كان القد أو المني جاء فقال النبي صلى الله عليه وسلم إن هذا الأعرابي قال ما قال فزدناه فزعم أنه رضى كذلك فقال الأعرابي نعم فجزاك الله من أهل وعشيرة خيرا فقال صلى الله عليه وسلم : إن مثلي ومثل هذا الأعرابي كمثل رجل كانت له ناقة شردت عليه فاتبعها الناس فلم يزدوها إلا قهورا فناداهم صاحب الناقة خلوا بيني وبين ناتيقي فاني أرفق بها وأعلم فتوجه لها صاحب الناقة بين يديها فأخذ لها من قمام الأرض فردها هونا هونا حتى جاءت واستناخت وشد عليها رحلها واستوى عليها وإنى لو تركتكم حيث قال الرجل ما قال فقتلتموه دخل النار (٢)

(بيان سخاوته وجوده صلى الله عليه وسلم)

كان صلى الله عليه وسلم أجود الناس وأسخم وكان في شهر رمضان كالريح المرسلة لا يمسك شيئا (٣) وكان على رضى الله عنه إذا وصف النبي صلى الله عليه وسلم قال كان أجود الناس وكفا وأوسع الناس صدرا وأصدق الناس لهجة وأوفام ذمة وألينهم عريكة وأكرمهم عشيرة من رآه بديهة هابه ومن خالطه معرفة أحبه ، يقول ناعته لم أر قبله ولا بعده مثله (٤) وما سئل عن شيء قط على الإسلام إلا أعطاه (٥) وإن رجلا أتاه فسأله فأعطاه غنما سدت مابين جبلين فرجع إلى قومه وقال أسلموا فإن محمدا يعطى عطاء من لا يخشى الفاقة ومما مثل شيئا قط فقال لا (٦) وحمل إليه تسعون ألف درهم فوضعها على حصير ثم قام إليها فقسها فما رد سائلا حتى فرغ منها (٧) وجاءه رجل فسأله

(١) حديث بال أعرابي في المسجد يحضرته فقال صلى الله عليه وسلم لا ترموه الحديث متفق عليه من حديث أنس (٢) حديث جاء أعرابي يوما يطلب منه شيئا فأعطاه رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال أحسنت إليك فقال الأعرابي لا ولا أجملت الحديث بطوله البزار وأبو الشيخ من حديث أبي هريرة بسند ضعيف .

(بيان سخائه وجوده صلى الله عليه وسلم)

(٣) حديث كان أجود الناس وأسخم في شهر رمضان كالريح المرسلة الشيخان من حديث أنس . كان رسول الله ﷺ أحسن الناس وأجود الناس ولهما من حديث ابن عباس كان أجود الناس بالخير وكان أجود ما يكون في شهر رمضان وفيه فإذا لقيه جبريل كان أجود بالخير من الريح المرسلة (٤) حديث كان على إذا وصف النبي صلى الله عليه وسلم قال كان أجود الناس وكفا وأجرأ الناس صدرا الحديث رواه ت وقال ليس إسناده بتصل (٥) حديث ما سئل شيئا قط على الإسلام إلا أعطاه الحديث متفق عليه من حديث أنس (٦) حديث ما سئل شيئا قط فقال لا متفق عليه من حديث جابر (٧) حديث حمل إليه تسعون ألف درهم فوضعها على حصير ثم قال إليها يقسمها فما رد سائلا حتى فرغ منها أبو الحسن ابن الضحاك في الثمائل من حديث الحسن مرسل أن رسول الله ﷺ قدم عليه مال من البحرين ثمانون ألفا لم يقدم عليه مال أكثر منه لم يسأله يومئذ أحد إلا أعطاه ولم يمنع سائلا ولم يعط ساكتا فقال له العباس الحديث والبخاري تعليقا من حديث أنس أتى النبي صلى الله عليه وسلم بمال من البحرين وكان أكثر مال أتى به رسول الله صلى الله عليه وسلم الحديث وفيه لما كان يرى أحدا إلا أعطاه

النفس للطمئة ارجى

إلى ربك راضية

مرضية وتور وجهها

الذى إلى القلب بمثابة

نورانية أحد وجهي

الصدف لا اكتساب

النورانية من اللؤلؤ

وبقاء شيء من الظلة

على النفس لنسبة

وجهها الذى إلى

النريزة والطبع كبقاء

ظاهر الصدف على

ضرب من السكر

والنقصان عفاها

لنورانية باطنه وإذا

فقال ما عندي شيء ولكن اتبع على فاذا جاءنا شيء قضينا فقال عمر يا رسول الله ما كلفك الله ما لا تقدر عليه فكره النبي صلى الله عليه وسلم ذلك فقال الرجل أنفق ولا تخش من ذي العرش إقلالا فتبسم النبي صلى الله عليه وسلم وعرف السرور في وجهه (١) ولما قفل من حنين جاءت الأعراب يسألونه حتى اضطروه إلى شجرة فخطفت رداءه فوقف رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال أعطوني ردائي لو كان لي عدد هذه الغناء لقسمتها بينكم ثم لا تجدوني بخيلا ولا كذابا ولا جباناً (٢)

(بيان شجاعته صلى الله عليه وسلم)

كان صلى الله عليه وسلم أنجد الناس وأشجعهم (٣) قال صلى الله عليه وسلم لقد رأيته يوم بدر ونحن نلوذ بالنبي صلى الله عليه وسلم وهو أقربنا إلى العدو وكان من أشد الناس يومئذ بأساً (٤) وقال أيضاً كنا إذا احمر البأس ولقي القوم القوم اتقينا برسول الله صلى الله عليه وسلم فما يكون أحد أقرب إلى العدو منه (٥) قيل وكان صلى الله عليه وسلم قليل الكلام قليل الحديث فاذا أمر الناس بالقتال تشمر وكان من أشد الناس بأساً (٦) وكان الشجاع هو الذي يقرب منه في الحرب لقربه من العدو (٧) وقال عمران بن حصين مالتى رسول الله صلى الله عليه وسلم كتيبة إلا كان أول من يضرب (٨) وقالوا كان قوى البطش (٩) ولما غشيه للشركون نزل عن بغلته فجعل يقول : أنا النبي لا كذب أنا ابن عبد المطلب فما روى يومئذ أحد كان أشد منه (١٠)

إذ جاءه العباس الحديث ووصله عمر بن محمد البحري في صحيحه (١) حديث جاءه رجل فسأله فقال ما عندي شيء ولكن اتبع على فاذا جاءنا شيء قضينا فقال عمر يا رسول الله ما كلفك الله الحديث في الشامل من حديث عمر وفيه موسى بن علقمة القروي لم يروه غير ابنه هرون (٢) حديث لما قفل من حنين جاءت الأعراب يسألونه حتى اضطروه إلى شجرة فخطفت رداءه الحديث خ من حديث جابر بن مطعم .

(بيان شجاعته صلى الله عليه وسلم)

(٣) حديث كان أنجد الناس وأشجعهم الدارمي من حديث ابن عمر بسند صحيح ما رأيت أنجد ولا أجود ولا أشجع ولا أرى من رسول الله صلى الله عليه وسلم وللشيخين من حديث أنس كان أشجع الناس وأحسن الناس الحديث (٤) حديث على لقد رأيته يوم بدر ونحن نلوذ بالنبي صلى الله عليه وسلم الحديث أبو الشيخ في أخلاق النبي صلى الله عليه وسلم بأسناد جيد (٥) حديث على أيضاً كنا إذا حمى البأس ولقي القوم القوم اتقينا برسول الله صلى الله عليه وسلم الحديث بأسناد صحيح ولمس نحوه من حديث البراء (٦) حديث كان قليل الكلام قليل الحديث فاذا أمر بالقتال تشمر الحديث أبو الشيخ من حديث سعد بن عبياض التميمي مراسلاً (٧) حديث كان الشجاع هو الذي يقرب منه في الحرب الحديث م من حديث البراء والله إذا حمى الوطيس تنق به وإن الشجاع ما الذي يحاذي به (٨) حديث عمران بن حصين مالتى كتيبة إلا كان أول من يضرب أبو الشيخ أيضاً وفيه من لم أعرفه (٩) حديث كان قوى البطش أبو الشيخ أيضاً من رواية أبي جعفر مفضلاً للطبراني في الأوسط من حديث عبد الله بن عمرو أعطيت قوة أربعين في البطش والجماع وسنده ضعيف (١٠) حديث لما غشيه الشركون نزل فجعل يقول : أنا النبي لا كذب . الحديث متفق عليه من حديث البراء دون قوله لما روى أحد يومئذ أشد منه وهذه الزيادة لأبي الشيخ وله من حديث على في قصة بدر وكان من أشد الناس يومئذ بأساً

تور أحد وجهي
النفس لجأت إلى تحصيل
الأخلاق وتبديل
النموت وقدك جمى
الأبدال أبداً والسر
الأكبر في ذلك أن قلب
الصوفي بدوام الإقبال
على الله ودوام التذكر
بالقلب واللسان يرتقى
إلى ذكر القدرات ويصير
حينئذ بمثابة العرش
فالعرش قلب الكائنات
في عالم الخلق والحكمة
والقلب عرش في عالم
الأمر والقدرة . قال

(بيان تواضعه صلى الله عليه وسلم)

كان صلى الله عليه وسلم أشد الناس تواضعا في علو منصبه (١) قال ابن عامر رأيت برى الجفرة على ناقه شبيه لا ضرب ولا طرد ولا إليك إليك (٢) وكان يركب الحمار موكفا عليه قطيفة وكان مع ذلك يستردف (٣) وكان يمود للرئيس ويتبع الجنائز ويجيب دعوة المملوك (٤) ويخفف النعل ويرقع الثوب وكان يصنع في يمتع أهله في حاجتهم (٥) وكان أصحابه لا يقومون له لما عرفوا من كراهته لذلك (٦) وكان يمر على الصبيان فيسلم عليهم (٧) وآتى صلى الله عليه وسلم برجل فأرعد من هيئته فقال له هون عليك فلست بملك إنما أنا ابن امرأة من قريش تأكل القديد (٨) وكان يجلس بين أصحابه مختلطا بهم كأنه أحدهم فيأتي الغريب فلا يدري أيهم هو حتى يسأل عنه حتى طلبوا إليه أن يجلس مجلسا يعرفه الغريب فبنوا له دكانا من طين فكان يجلس عليه (٩) وقالت له عائشة رضي الله عنها كل جلتي الله فذلك متكئا فانه أهون عليك قال فأصنى رأسه حتى كاد أن تصيب جبهته الأرض ثم قال بل آكل كما يأكل العبد وأجلس كما يجلس العبد (١٠) وكان لا يأكل على خوان ولا في سكرجة حتى لحق بالله تعالى (١١) وكان لا يدعو أحد من أصحابه وغيرهم إلا قال ليك (١٢) وكان إذا جلس مع الناس إن تكلموا في معنى الآخرة أخذ معهم وإن تحدثوا في طعام أو شراب تحدث معهم وإن تكلموا في الدنيا تحدث معهم رقابهم وتواضعا لهم (١٣) وكانوا يتناشدون الشعرين يديه

(بيان تواضعه صلى الله عليه وسلم)

(١) حديث كان أشد الناس تواضعا في علو منصبه أبو الحسن بن الضحاك في الثمائل من حديث أبي سعيد الخدري في حديث طويل في صفته قال فيه متواضع في غير مذلة وإسناده ضعيف (٢) حديث قال ابن عامر رأيت برى الجفرة على ناقه شبيه لا ضرب ولا طرد ولا إليك إليك ت ن ه من حديث قدامة ابن عبد الله بن عمار قال ت حسن صحيح وفي كتاب أبي الشيخ قدامة بن عبد الله بن عامر كاذ كره للصف (٣) حديث كان يركب الحمار موكفا عليه قطيفة وكان مع ذلك يستردف متفق عليه من حديث أسامة بن زيد (٤) حديث كان يمود للرئيس ويتبع الجنائز ويجيب دعوة المملوك ت وضعه وك وصح إسناده من حديث أنس وتقدم منقطعاً (٥) حديث كان يخفف النعل ويرقع الثوب ويصنع في بيته مع أهله في حاجته هو في للسند من حديث عائشة وقد تقدم في أوائل آداب اللبسة (٦) حديث كان أصحابه لا يقومون له لما يملون من كراهته لذلك هو عند ت من حديث أنس وصححه وتقدم في آداب الصحبة (٧) حديث كان يمر على الصبيان فيسلم عليهم متفق عليه من حديث أنس وتقدم في آداب الصحبة (٨) حديث آتى برجل فأرعد من هيئته فقال هون الله عليك فلست بملك إنما أنا ابن امرأة من قريش تأكل القديد ك من حديث جرير وقال صحيح على شرط الشيخين (٩) حديث كان يجلس مع أصحابه مختلطا بهم كأنه أحدهم فيأتي الغريب فلا يدري أيهم هو الحديث دن من حديث أبي هريرة وأبى ذر وقد تقدم (١٠) حديث قالت عائشة كل جلتي الله فذلك متكئا فانه أهون عليك الحديث أبو الشيخ من رواية عبد الله بن عبيد بن عمير عنها بسند ضعيف (١١) حديث كان صلى الله عليه وسلم لا يأكل على خوان ولا في سكرجة حتى لحق الله خ من حديث أنس وتقدم في آداب الأكل (١٢) حديث وكان ﷺ لا يدعو أحد من أصحابه ولا من غيرهم إلا قال ليك أبو نعيم في دلائل النبوة من حديث عائشة وفيه حسين بن علوان منهم بالكذب والطبراني في الكبير باسناد جيد من حديث محمد بن حاطب في أثناء حديث أن أمة قالت يا رسول الله فقال ليك وسعدك الحديث (١٣) حديث كان صلى الله عليه وسلم إذا جلس مع الناس إن تكلموا في معنى

سهل بن عبد الله
القسري القلب كالعرش
والصدر كالكرسي
وقد ورد عن الله تعالى
« لا يسعني أرضي ولا
سمائي ويسعني قلب
عبدى للؤمن » فلذا
اكتحل القلب بنور
ذكر الآداب وصار
بحرا مواجعا من نبات
القرب جرى في جداول
أخلاق النفس صفاء
النعمت والصفات
وتحقق التخلق بأخلاق
الله تعالى . حكى عن

أحيانا يذكرون أشياء من أمر الجاهلية ويضحكون فيتبسم هو إذا ضحكوا ولا يزجرهم إلا عن حرام (١) .

(بيان صورته وخلقه صلى الله عليه وسلم)

كان من صفة رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه لم يكن بالطويل البائن ولا بالقصير المتردد بل كان ينسب إلى الرقة إذا مشى وحده ، ومع ذلك فلم يكن يمشي أحد من الناس ينسب إلى الطول إلا طاله رسول الله صلى الله عليه وسلم ولربما اكتنفه الرجلان الطويلان فيطولهما فإذا فارقه نسباً إلى الطول ونسب هو عليه السلام إلى الرقة ويقول صلى الله عليه وسلم « جعل الخير كله في الرقة (٢) » وأمالونه فقد كان أزهر اللون ولم يكن بالآدم ولا بالشديد البياض والأزهر هو الأبيض الناصع الذي لا تشوبه صفرة ولا حمرة ولا شيء من الألوان ، ونفته عمه أبو طالب قال :

وأبيض يستسقى الغمام بوجهه ثمال اليتامى عصمة للأرامل (٣)

ونفته بعضهم بأنه مشرب بحمرة فقالوا إما كان للشرب منه بالحمرة ما ظهر للشمس والرياح كالوجه والرقبة والأزهر الصافي عن الحمرة ماتحت الثياب منه وكان عرقه يتلألأ في وجهه كالثلؤلؤ أطيب من المسك الأدفروأما شعره فقد كان رجل الشعر حسنة ليس بالسيط ولا الجمد القططوكان إذا مشطه بالمشط يأتي كأنه حبك الرمل وقيل كان شعره يضرب منكبيه وأكثر الرواية أنه كان إلى شحمة أذنيه وربما جعله غدائر أربعة تخرج كل أذن من بين غديرتين وربما جعل شعره على أذنيه تشبدو سوائفه تلالاً وكان يشبه في الرأس واللحية سبع عشرة شعرة مازاد على ذلك وكان صلى الله عليه وسلم أحسن الناس

أمر الآخرة أخذ معهم وإن تحدثوا في طعام أو شراب تحدث معهم الحديث في الثمائل من حديث زيد بن ثابت دون ذكر الشراب وفيه سليمان بن خازجة تفرد عنه الوليد بن أبي الوليد وذكره ابن حبان في الثقات (١) حديث كانوا يتناشدون الشعر بين يديه أحيانا يذكرون أشياء من أمر الجاهلية الحديث م من حديث جابر بن مرة دون قوله ولا يزجرهم إلا عن حرام .

(بيان صورته صلى الله عليه وسلم)

(٢) حديث كان من صفته رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه لم يكن بالطويل البائن ولا بالقصير المتردد الحديث بطوله أبو نعيم في دلائل النبوة من حديث عائشة زيادة وتقصان دون شعر أبي طالب الآتي ودون قوله وربما جعل شعره على أذنيه تشبدو سوائفه تلالاً ودون قوله وربما كان واسع الجبهة إلى قوله وكان سهل الحديث وفيه صبيح بن عبد الله الفرغاني منكر الحديث قاله الخطيب في الصحيحين من حديث البراء له شعر يبلغ شحمة أذنيه ودت وحسنه وه من حديث أم هانئ قدم إلى مكه وله أربع غدائر وت من حديث علي في صفته صلى الله عليه وسلم أدعج العينين أهدب الأشفار الحديث وقال ليس إسناده متصل وله في الثمائل من حديث ابن أبي هالة أزهر اللون واسع الجبين أزج الحواجب سوابغ في غير قرن بينهما عرق يدره المضب ألقى العينين له نور يعلوه يحبه من لم يتأمله أشم كثر اللحية سهل الحديث ضليع الفم مفلج الأسنان الحديث (٣) حديث نفته عمه أبو طالب قال :

وأبيض يستسقى الغمام بوجهه ثمال اليتامى عصمة للأرامل

ذكره ابن إسحاق في السيرة وفي السند عن عائشة أنها تمثلت بهذا البيت وأبو بكر يفضي فقال أبو بكر ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم وفيه على بن زيد بن جعدان مختلف فيه وخ تليقا من حديث ابن عمر ربما ذكرت قول الشاعر وأنا أنظر إلى وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم ليستسقى فما ينزل حتى يحش كل ميزاب فأنشده وقد وصله بإسناد صحيح

الشيخ أبي علي
الفارمزي أنه حكى
عن شيخه أبي القاسم
البركاني أنه قال إن
الأسماء التسعة
والثمين تصير أوصافا
للعبد السالك وهو بعد
في السلوك غير واصل
ويكون الشيخ عتي
هذا أن العبد يأخذ
من كل اسم وصف يلائم
ضعف حال البشر
وقصوره مثل أن يأخذ
من اسم الله تعالى
الرحيم معنى من الرحمة

وجها وأنور لم يصفه واصف إلا شبهه بالقمير ليل البدر وكان يرى رضاه وغضبه في وجهه لصفاء بشرته
وكانوا يقولون هو كما وصفه صاحبه أبو بكر الصديق رضي الله عنه حيث يقول :

أمين مصطفى للخير يدعو كضوء البدر زايله الظلام

وكان صلى الله عليه وسلم واسم الحبة أزج الحاجبين ما بينهما وكان أبلغ ما بين الحاجبين كأن ما بينهما
الفضة المخلصة وكانت عيناه مجلاوين أدعجهما وكان في عينيه نمزج من حمرة وكان أحدهما الأشعار
حتى تكاد تلتبس من كثرتها وكان أرقى العينين : أي مستوى الأنف وكان مفلج الأسنان : أي
منفرد بها وكان إذا أقر ضاحكا أقر عن مثلي سنا البرق إذا تلاحأ وكان من أحسن عباد الله شفتين
والطغفم ختم فم ، وكان سهل الحدين صليهما ليس بالطويل الوجه ولا للكثم كث اللحية وكان يفي
لحيته ويأخذ من شاربه وكان أحسن عباد الله عفا لا ينسب إلى الطول ولا إلى القصر ما ظهر من عقه
الشمس والرياح فكان أنه إريق فضة مشرب ذهابا تلاحأ في رياض الفضة وفي حمرة للذهب ، وكان صلى
الله عليه وسلم عريض الصدر لا يبدو لحم بعض بدنه بشا كالأرأة في استوائها وكالقمر في ياضه
موجوله ما بين لبته وسرته بشعر متقاد كالقضب لم يكن في صدره ولا بطنه شعر غيره وكانت له عكن
ثلاث يغطي الأزار منها واحدة ويظهر اثنتان ، وكان عظيم التكوين أشعرهما ضخم الكراديس : أي
رموس العظام من التكوين وللرقين والوركين وكان واسع الظهر ما بين كنفه خاتم التوبة وهو
مما يلي منكبه الأيمن فيه شامة سوداء تضرب إلى الصفرة حولها شعرات متواليات كأنها من حرف
فرس وكان على الضدين والدرعين طويل الزندين رجب الراحتين سائل الأطراف كأن أصابعه
قضبان الفضة كفه ألين من الخز كان كفه كف عطار طيبا مسها بطيب أو لم يمسا بصاغها للصانع
فيظل يومه يمد ريعها ويضع يده على رأس الصبي فيعرف من بين الصبيان برعها على رأسه وكان
على ماتحت الأزار من القندين والساق وكان معتدل الخلق في السمن بدن في آخر زمانه وكان له
مناسكا يكاد يكون على الخلق الأول لم يضره السمن . وأما مشيه صلى الله عليه وسلم فكان يمشي
كأنما يتقلع من صخر وينحدر من صلب يخطو تكفيا ويمشي المويبي غير تبخر والمويبي تقارب
الخطا وكان عليه الصلاة والسلام يقول : أنا أشبه الناس بآم صلى الله عليه وسلم وكان أبي إبراهيم
صلى الله عليه وسلم أشبه الناس بي خلقا وخلقاً وكان يقول : إن لي عند ربى عشرة أسماء أنا محمد
وأنا أحمد وأنا للناس الذي يحو الله بي الكفر وأنا العاقب الذي ليس بعده أحد وأنا الحاشر عشر
الله العباد على قدمي وأنا رسول الرحمة ورسول التوبة ورسول اللامح والتقى قيت الناس جميعا وأنا
قم (١) قال أبو الجحري : والقثم الكامل الجامع ، والله أعلم .

على قدر قصور البشر
وكل إشارات الشايع
في الأسماء والصفات
التي هي أعز علومهم
على هذا النبي والقصير
وكل من توم بذلك شيئا
من الحلول تزندق
والحد وقد أوصى
رسول الله صلى الله
عليه وسلم معانا
بوصية جامعة لمحاسن
الأخلاق فقال له وبإمام
أوصيك بتقوى الله
وصدق الحديث والوفاء
بالمهد وأداء الأمانة

(١) حديث إن لي عند ربى عشرة أسماء الحديث ابن عدى من حديث على وجار وأسامة بن
زيد وابن عباس وعائشة بإسناد ضعيف وله ولأبي نعيم في الدلائل من حديث أبي الطفيل لي عند ربى
عشرة أسماء قال أبو الطفيل حفظت منها ثمانية فذكرها بزيادة ونقص وذكر سيف بن وهب أن
أبا جعفر قال إن الامين طه ويس وإسناده ضعيف وفي الصحيحين من حديث جبير بن مطعم لي
أسماء أنا أحمد وأنا محمد وأنا الحاشر وأنا للناس وأنا العاقب ولمسلم من حديث أبي موسى وللقتيبي
التوبة ونبي الرحمة وأنا محمد من حديث حذيفة ونبي اللامح وسده صحيح .

(بيان معجزاته وآياته الدالة على صدقه)

اعلم أن من شاهد أحواله صلى الله عليه وسلم وأصغى إلى صمغ أخباره الشتملة على أخلاقه وأفعاله وأحواله وعادته وسجاياه وسياسة لأصناف الخلق وهدايته إلى ضبطهم وتألقه أصناف الخلق وقوده بإمام إلى طاعته مع ما يحكى من هجائب أجوبته في مضائق الأسئلة وبدائع تدبيراته في مصالح الخلق ومحاسن إشاراته في تفصيل ظاهر الشرع الذى يميز الفقهاء والعقلاء عن إدراك أوائل دقائقها في طول أعمارهم لم يبق له ريب ولا شك فى أن ذلك لم يكن مكتسبا بحيلة تقوم بها القوة البشرية بل لا يتصور ذلك إلا بالاستعداد من تأييد سماوى وقوة الهيبة وأن ذلك كله لا يتصور لكذاب ولا ملبس بل كانت شمائله وأحواله شواهد قاطعة بصدقه حتى إن العربى القمع كان يراه فيقول : والله ما هذا وجه كذاب فكان يشهد له بالصدق بمجرد شمائله فكيف من شاهد أخلاقه وممارس أحواله فى جميع مصادره وموارده وإنما أوردنا بعض أخلاقه لتعرف محاسن الأخلاق ولتنبه لصدقه عليه الصلاة والسلام وعلو منصبه ومكانته العظيمة عند الله إذ آتاه الله جميع ذلك وهو رجل أمى لم يمارس العلم ولم يطالع الكتب ولم يسافر قط فى طلب عالم ولم يزل بين أظهر الجبال من الأعراب يتبا ضعيفا مستضعفا فمن أين حصل له محاسن الأخلاق والآداب ومعرفة مصالح الفقه مثلا فقط دون غيره من العلوم فضلا عن معرفة الله تعالى وملائكته وكتبه وغير ذلك من خواص النبوة لولا صريح الوحي ومن أين لقوة البشر الاستقلال بذلك فلم يكن له إلا هذه الأمور الظاهرة لكان فيه كفاية وقد ظهر من آياته ومعجزاته ما لا يترتب فيه محصل ، فلنذكر من جعلها ما استفادنت به الأخبار واشتملت عليه الكتب الصحيحة إشارة إلى عجمها من غير تطويل علكية التفصيل فقد خرق الله العادة على يده غير مرة ، إذ شق له القمر بمكة لما سأله قريش آية ^(١) وأطمع النفر الكثير فى منزل جابر ^(٢) وفى منزل أبى طلحة ويوم الخندق ^(٣) ومرة أطمع ثمانين من أربعة أمداد شمير وعناق ^(٤) وهو من أولاد النضر فوق التود ومرة أكثر من ثمانين رجلا من أقرض شمير حملها أنس فى يده ^(٥) ومرة أهل الجيش من تمر يسير ساقته بنت بشير فى يدها فأكلوا كلهم حتى شبعوا من ذلك وفضل لهم ^(٦) ونبع الماء من بين أصابعه عليه السلام فشرب أهل المعسكر كلهم وهم عطاش وتوضوا من قدح صغير ضاق عن أن ييسط عليه السلام يده فيه ^(٧)

(بيان معجزاته)

(١) حديث انشقاق القمر متفق عليه من حديث ابن مسعود وابن عباس وأنس ^(٢) حديث إطعام النفر الكثير فى منزل جابر متفق عليه من حديثه ^(٣) حديث إطعامه النفر الكثير فى منزل أبى طلحة متفق عليه من حديث أنس ^(٤) حديث إطعامه ثمانين من أربعة أمداد شمير وعناق الإسماعيل فى صحبته ومن طريقه البيهقى فى دلائل النبوة من حديث جابر وفيه أنهم كانوا ثمانمائة أو ثلثمائة وهو عند ذكر العدد وفى رواية أبى نعيم فى دلائل النبوة وهم ألف ^(٥) حديث إطعامه أكثر من ثمانين رجلا من أقرض شمير حملها أنس فى يده م من حديث أنس وفيه حتى فعل ذلك ثمانين رجلا ثم أكل النبي صلى الله عليه وسلم بعد ذلك وأهل البيت وتركوا سؤرا وفى رواية لأبى نعيم فى الدلائل حتى أكل منه بضع وثمانون رجلا وهو متفق عليه بلفظ والقوم سبعون أو ثمانون رجلا ^(٦) حديث إطعامه أهل الجيش من تمر يسير ساقته بنت بشير فى يدها الحديث البيهقى فى دلائل النبوة من طريق ابن إسحاق : حدثنا سعيد بن ميناء عن ابنة بشير بن سعد وإسناده جيد ^(٧) حديث نبع الماء من بين أصابعه فشرب أهل المعسكر وهم عطاش وتوضوا الحديث متفق عليه

وترك الحيانة وحفظ الجوار ورحمة اليتيم ولين الكلام ويدل السلام وحسن العمل وقصر الأمل ولزوم الإيمان والتفقه فى القرآن وحب الآخرة والجزع من الحساب وخفض الجناح وإياك أن تسب حلما أو تكذب صادقا أو تطمع آثما أو تعمى إماما عادلا أو تفسد أرضا أو سيك باتقاء الله عند كل حجر وشجر ومدر

وأهراق عليه السلام وضوءه في عين تبوك ولا ماء فيها ، ومرة أخرى في بئر الحديبية فجاشت بالماء فشرب من عين تبوك أهل الجيش وهم ألوف حتى رووا وشرب من بئر الحديبية ألف وخمسمائة ولم يكن فيها قبل ذلك ماء (١) وأمر عليه السلام عمر بن الخطاب رضي الله عنه أن يزود أربعمائة راكب من تمر كان في اجتماعه كربة البعير وهو موضع بروكة فزودهم كلهم منه وبقي منه فحبسه (٢) ورعى الجيش بقبضة من تراب فعميت عيونهم ونزل بذلك القرآن في قوله تعالى - وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى - (٣) وأبطل الله تعالى الكهانة بجميعه ^{عليه السلام} فعدمت وكانت ظاهرة موجودة (٤) وحنّ الجذع الذي كان يغضب إليه لما عمل له التبر حتى سمع منه جميع أصحابه مثل صوت الابل فضمه إليه فسكن (٥) ودعا اليهود إلى تنقي الموت وأخبرهم بأنهم لا يتحنونه فحيل بينهم وبين النطق بذلك وعجزوا عنه (٦) وهذا مذكور في سورة يقرأ بها في جميع جوامع الاسلام من شرق الأرض إلى غربها يوم الجمعة جهرا تعظيما للآية التي فيها وأخبر عليه السلام بالقيوب وأنذر عثمان بأن تصيبه بلوى بعدها الجنة (٧) وبأن عمارا تقتله الفئة الباغية (٨) وأن الحسن بإصلاح الله به بين فئتين من المسلمين عظيمة (٩)

من حديث أنس في ذكر الوضوء فقط ولأبي نعيم من حديثه خرج إلى قبا فأتى من بعض بيوتهم بقدر صغير وفيه ثم قال هلم إلى الشرب قال أنس بصر عيني بنبع الماء من بين أصابعه ولم يرد القدر حتى رووا منه وإسناده جيد وللبزار والمافظ له والطبراني في الكبير من حديث ابن عباس كان في سفر فشكا أصحابه العطش فقال اتوني بماء فأتوه بأناء فيه ماء فوضع يده في الماء فجعل الماء ينبع من بين أصابعه الحديث (١) حديث إهراقه وضوءه في عين تبوك ولا ماء فيها ومرة أخرى في بئر الحديبية فجاشت بالماء الحديث م من حديث معاذ بقصة عين تبوك ومن حديث سلمة بن الأكوع بقصة عين الحديبية وفيه فاما دعا وإما بسق فيها فجاشت الحديث وللبخاري من حديث البراء أنه نوضاً وصبه فيها وفي الحديثين معا أنهم كانوا أربعة عشر مائة وكذا عند خ من حديث البراء وكذلك عندهما من حديث جابر ، وقال البيهقي إنه الأصح ولهما من حديثه أيضا ألف وخمسمائة وسلم من حديث ابن أبي أوفى ألف وثلثمائة (٢) حديث أمر عمر أن يزود أربعمائة راكب من تمر كان كربة البعير الحديث أحمد من حديث النعمان بن مقرن وحديث دكين بن سعيد بن أسد بن صحيحين وأصل حديث دكين عند أبي داود مختصرا من غير بيان لعددهم (٣) حديث رمية الجيش بقبضة من تراب فعميت عيونهم الحديث م من حديث سلمة بن الأكوع دون ذكر نزول الآية فرواه ابن مردويه في تفسيره من حديث جابر وابن عباس (٤) حديث إبطال الكهانة بجميعه الخرائطي من حديث مرداس بن قيس الدوسي قال حضرت النبي صلى الله عليه وسلم وذكرت عنده الكهانة وما كان من تغييرها عند مخرجه الحديث ولأبي نعيم في الدلائل من حديث ابن عباس في استراق الجن السمع فيلقونه على أوليائهم فلما بعث محمد صلى الله عليه وسلم دحروا بالنجوم وأصله عند خ بغير هذا السياق (٥) حديث حين الجذع خرج من حديث جابر وسهل بن سعد (٦) حديث دعا اليهود إلى تنقي الموت وأخبرهم بأنهم لا يتحنونه الحديث خ من حديث ابن عباس لو أن اليهود تنقوا الموت لما اتوا الحديث والبيهقي في الدلائل من حديث ابن عباس لا يقولها رجل منكم إلا غص ريقه فعمات مكانه فأبوا أن يملوا الحديث وإسناده ضيف (٧) حديث إخباره بأن عثمان تصيبه بلوى بعدها الجنة متفق عليه من حديث أبي موسى الأشعري (٨) حديث إخباره بأن عمارا تقتله الفئة الباغية م من حديث أبي قتادة وأم سلمة وخ من حديث أبي سعيد (٩) حديث إخباره أن الحسن يصلح الله به بين فئتين من المسلمين عظيمة من حديث أبي بكر .

وأن تحدث لكل ذنب
توبة السرّ بالسرّ
والعلانية بالعلانية
بذلك أدب الله عباده
ودعاهم إلى مكارم
الأخلاق ومحاسن
الآداب . وروى معاذ
أيضا عن رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال
حفّ الاسلام بمكارم
الأخلاق ومحاسن
الآداب . أخبرنا الشيخ
العالم ضياء الدين
عبد الوهاب بن علي
باسناده التقدم إلى

وأخبر عليه السلام عن رجل قاتل في سبيل الله أنه من أهل النار ^(١) فظهر ذلك بأن ذلك الرجل قتل نفسه وهذه كلها أشياء إلهية لا تعرف ألبتة بشيء من وجوه تقدمت المعرفة بها لا بنجوم ولا بكشف ولا بخط ولا بزجر لكن بأعلام الله تعالى له ووحية إليه ، وأتبعه سراق بن مالك فساخت قدما فرسه في الأرض وأتبعه دخان حتى استغاثه فدعا له فانطلق الفرس وأنذره بأن سيوضع في ذراعيه سوارا كسرى ^(٢) فكان كذلك وأخبر بمقتل الأسود العنسي الكذاب ليلة قتله وهو بصنعاء العنسي وأخبر بمن قتله ^(٣) وخرج على مائة من قريش ينتظرونه فوضع التراب على رؤوسهم ولم يروه ^(٤) وشكا إليه البعير بحضرة أصحابه وتذلل له ^(٥) وقال لنذر من أصحابه مجتمعين أحدكم في النار ضربه مثل أحد فساقوا كلهم على استقامة وارتد منهم واحد قتل مرتدا ^(٦) وقال لآخرين منهم آخركم موتا في النار فسقط آخرهم موتا في النار فاحترق فيها فمات ^(٧) ودعا شجرتين فأنتاه واجتمعتا ثم أمرهما فاقتربتا وكان عليه السلام نحو الربرة فاذا مشى مع الطوال طالمه ^(٨) ودعا عليه السلام النصارى إلى الباهلة فامتنعوا فرفقهم صلى الله عليه وسلم أنهم إن فعلوا ذلك هلكوا فعلموا صحة قوله فامتنعوا ^(٩) وأتاه عامر بن الطفيل بن مالك وأربد بن قيس وهما فارسا العرب وفاتسكاهم عازمين على قتله عليه السلام فحبل بينهما وبين ذلك ودعا عليهما فهلك عامر بصدقه وهلك ثر بدبصاعة أحرقته ^(١٠) وأخبر عليه السلام

الترمذي رحمه الله قال أنا أبو صكر بن الليث حدثنا قبيصة بن الليث عن مطرف عن عطاء عن أم الدرداء عن أبي الدرداء قال سمعت النبي عليه السلام يقول « ما من شيء يوضع في اللوزان أثقل من حسن الخلق وإن صاحب حسن الخلق يبلغ به درجة صاحب الصوم والصلاة » وقد كان من

(١) حديث إخباره عن رجل قاتل في سبيل الله أنه من أهل النار متفق عليه من حديث أبي هريرة وسهل بن سعد (٢) حديث اتباع سراق بن مالك له في قصة الهجرة فساخت قدما فرسه في الأرض الحديث متفق عليه من حديث أبي بكر الصديق (٣) حديث إخباره بمقتل الأسود العنسي ليلة قتله وهو بصنعاء العنسي وأخبر بمن قتله ومن قتله وهو مذكور في السير والذي قتله فيروز الديلمي وفي الصحيحين من حديث أبي هريرة بينا أنا نائم رأيت في يدي سوارين من ذهب فأمنى شأنهما فأوحى إلي في المنام أن اتخذهما فنفتختهما فطارا فتأولتهما كذا بين يخرجان بهدي فكان أحدهما العنسي صاحب صنعاء الحديث (٤) حديث خرج على مائة من قريش ينتظرونه فوضع التراب على رؤوسهم ولم يروه ابن مردويه بسند ضيف من حديث ابن عباس وليس فيه أنهم كانوا مائة وكذلك رواه ابن اسحاق من حديث محمد بن كعب القرظي مرسل (٥) حديث شكا إليه البعير وتذلل له د من حديث عبد الله بن جعفر في أثناء حديث وفيه فانه شكا إلى إنك تبعه وتدبه وأول الحديث عند د من ذكر قصة البعير (٦) حديث قال لنذر من أصحابه أحدكم ضربه في النار مثل أحد الحديث ذكره الدارقطني في المؤلف والمختار من حديث أبي هريرة بغير اسناد في ترجمة الرجال ابن عثرة وهو الذي رتد وهو بالجيم وذكره عبد الله بالمهمل وسبقه إلى ذلك الواقدي والدائلي والأول أصح وأكثر كما ذكره الدارقطني وابن ماكولا ووصله الطبراني من حديث رافع بن خديج بلنظ أحد هؤلاء النفر في النار وفيه الواقدي عن عبد الله ابن نوح متروك (٧) حديث قال لآخرين منهم آخركم موتا في النار فسقط آخرهم موتا في النار فاحترق فيها فمات الطبراني والبيهقي في الدلائل من حديث ابن محذورة وفي رواية البيهقي أن آخرهم موتا صخرة بن جندب لم يذكر أنه احترق ورواه البيهقي من حديث أبي هريرة نحوه ورواه ثقات وقال ابن عبد البر إنه سقط في قدر مخلوة ماء حارا فمات وروى ذلك بإسناد متصل إلا أن فيه داود بن المهبر وقد ضعفه الجمهور (٨) حديث دعا شجرتين فأنتاه فاجتمعتا ثم أمرهما فاقتربتا أحدهما من حديث علي بن مرة بسند صحيح (٩) حديث دعا النصارى إلى الباهلة وأخبر إن فعلوا ذلك هلكوا فامتنعوا من حديث ابن عباس في أثناء حديث ولو خرج الذين يباهلون رسول الله ﷺ لرجعوا لا يبعدون مالا ولا أهلا (١٠) حديث أتاه عامر بن الطفيل بن مالك وأربد بن قيس وهما فارسا العرب وفاتسكاهم عازمين على قتله

أنه يقتل أبي بن خلف الجمحي فغدته يوم أحد خدشا لطيفا فكانت منيته فيه ^(١) وأطمع عليه السلام والسموم ^(٢) وأخبر عليه السلام يوم بدر بمصارع صناديد قريش ووقفهم على مصارعهم وجلا رجلا فلم يتعد واحد منهم ذلك الموضع ^(٣) وأنذر عليه السلام بأن طوائف من أمته يفرون في البحر فكان كذلك وزويت له الأرض فأرى مشارقها ومغاربها وأخبر بأن ملك أمته سيلغ مازوى منها فكان كذلك فقد بلغ ملكهم من أول الشرق من بلاد الترك إلى آخر الغرب من بحر الأندلس وبلاد البربر ولم يتسعوا في الجنوب ولا في الشمال كما أخبر صلى الله عليه وسلم سواء بدواء ^(٤) وأخبر فاطمة ابنته رضى الله عنها بأنها أول أهله لحاقا به ^(٥) فكان كذلك وأخبر نساءه بأن أطولهن بدا أسرعهن لحاقا به فكانت زينب بنت جحش الأسدية أطولهن بدا بالصدقة وأولهن لحوقا به رضى الله عنها ^(٦) ومسح ضرع شاة لالبن لما قدرت ^(٧) وكان ذلك سبب إسلام ابن مسعود رضى الله عنه وفعل ذلك مرة أخرى في خيمة أم عبد الحزاعية وندرت عين بعض أصحابه فسقطت فردها عليه السلام بيده فكانت أصح عينيه وأحسنهما ^(٨) وتفل في عين على رضى الله عنه وهو أرمم يوم خير فصيح من وقته وبعثه بالراية ^(٩) وكانوا يسمعون تسييح الطعام بين يديه صلى الله عليه وسلم ^(١٠) وأصابت رجل بعض أصحابه صلى الله عليه وسلم فمسحها بيده فبرأت من حينها ^(١١) وقل زاد جيش كان معه عليه السلام فقتل جميع ما بقى فاجتمع شئ يسير جدا فدعا فيه بالبركة ثم أمرهم فأخذوا فلم يبق وعاء

فيل بينهما وبين ذلك الحديث طب في الأوسط والأكبر من حديث ابن عباس بطوله بسندلين ^(١) حديث إخباره أنه يقتل أبي بن خلف الجمحي فغدته يوم أحد خدشا لطيفا فكانت منيته البيهقي في دلائل النبوة من رواية سعيد بن المسيب ومن رواية عروة بن الزبير مرسلا ^(٢) حديث إنه أطمع السمقات الذي أكله معه وعاش هو بعده أربع سنين وكله الدراع السموم د من حديث جابر في رواية له مرسل أن الذي مات بشر بن البراء وفي الصحيحين من حديث أنس أن يهودية أنت النبي صلى الله عليه وسلم بشاة مسمومة فأكل منها الحديث وفيه ما زلت أعرفها في لطوات رسول الله صلى الله عليه وسلم ^(٣) حديث إخباره صلى الله عليه وسلم يوم بدر بمصارع صناديد قريش الحديث م من حديث عمر بن الخطاب ^(٤) حديث إخباره بأن طوائف من أمته يفرون في البحر فكان كذلك متفق عليه من حديث أم حرام ^(٥) حديث زويت له الأرض مشارقها ومغاربها وأخبر بأن ملك أمته سيلغ مازوى له منها الحديث م من حديث عائشة وفاطمة أيضا ^(٦) حديث إخباره فاطمة أنها أول أهله لحاقا به متفق عليه من حديث عائشة وفاطمة أيضا ^(٧) حديث أخبر نساءه أن أطولهن بدا أسرعهن لحاقا به فكانت زينب الحديث م من حديث عائشة وفي الصحيحين أن سودة كانت أولهن لحوقا به قال ابن الجوزي وهذا غلط من بعض الرواة بلا شك ^(٨) حديث مسح ضرع شاة لالبن لما قدرت فكان ذلك سبب إسلام ابن مسعود أحمد من حديث ابن مسعود بإسناد جيد ^(٩) حديث ندرت عين بعض أصحابه فسقطت فردها فكانت أصح عينيه وأحسنهما أبو نعيم والبيهقي كلاهما في دلائل النبوة من حديث قتادة بن النعمان وهو الذي سقطت عينه ففي رواية للبيهقي أنه كان يدر وفي رواية أبي نعيم أنه كان بأحد وفي إسناده اضطراب وكذا رواه البيهقي فيه من حديث أبي سعيد الخدري ^(١٠) حديث تفل في عين على وهو أرمم يوم خير فصيح من وقته وبعثه بالراية متفق عليه من حديث على ومن حديث سهل بن سعد أيضا ^(١١) حديث كانوا يسمعون تسييح الطعام بين يديه م من حديث ابن مسعود ^(١٢) حديث أصابت رجل بعض أصحابه فمسحها بيده فبرأت من حينها م في قصة قتل أبي رافع .

أخلاق رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه كان أسخى الناس لا يبيت عنده دينار ولا درهم وإن فضل ولم يجد من يعطيه، ويأتيه الليل لا يأوى إلى منزله حتى يبرأ منه ولا ينال من الدنيا وأكثر قوت عامه من أسر ما يجد من الثمر والشعر ويضع ماعدا ذلك في سبيل الله لا يسئل شيئا إلا يعطى

في العسكر إلا ملئ من ذلك^(١) وحكى الحكم بن العاص بن وائل [١] مشيته عليه السلام مستهزئاً فقال صلى الله عليه وسلم كذلك فكان فلم يزل يرتعش حتى مات^(٢) وخطب عليه السلام امرأة فقال له أبوها إن بها برصاً امتناعاً من خطبته واعتذاراً ولم يكن بها برص فقال عليه السلام فلتسكن كذلك^(٣) فبرصت وهي أم شبيب بن البرصاء الشاعر إلى غير ذلك من آياته ومعجزاته صلى الله عليه وسلم وإنما اقتصرنا على المستفيض ومن يستريب في انخراق العادة على يده ويزعم أن آحاد هذه الوقائع لم تنقل تواتراً بل للتواتر هو القرآن قط كمن يستريب في شجاعة على رضى الله عنه وسخاوة حاتم الطائي ومعلوم أن آحاد وقائعهم غير متواترة ولكن مجموع الوقائع يورث علماً ضرورياً لا يتمارى في تواتر القرآن وهي المعجزة الكبرى الباقية بين الخلق وليس لى معجزة باقية سواء عليه السلام إذ تهدى بها رسول الله صلى الله عليه وسلم بلغاء الخلق ونصحاء العرب وجزيرة العرب حينئذ معلومة بألاف منهم والفصاحة صنعتهم وبها منافستهم ومباهجتهم وكان ينادى بين أظهرهم أن يأتوا بثلثه أو بغيره سور مثله أو بسورة من مثله إن شكوا فيه وقال لهم - قل لئن اجتمعت الانس والجن على أن يأتوا بثلث هذا القرآن لا يأتون بثلثه ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً - وقال فلئ تعجزوا عنهم فجزوا عن ذلك بغيره فوافعه حتى عرضوا أنفسهم للقتل ونساءهم وذرائعهم لى وما استطاعوا أن يمارضوا ولا أن يقدحوا في جزائه وحسنه ثم انتشر ذلك بعده في أقطار العالم شرقاً وغرباً قرناً بعد قرنة وعصراً بعد عصر وقد اقرض اليوم قريب من خمسين سنة فلم يقدر أحد على معارضته فأعظم بجاوة من ينظر في أحواله ثم في أقواله ثم في أفعاله ثم في أخلاقه ثم في معجزاته ثم في استمرار شرعه إلى الآن ثم في انتشاره في أقطار العالم ثم في إذعان ملوك الأرض له في عصره وبعد عصره مع ضعفه ويتمه يتمارى بعد ذلك في صدقه وما أعظم توفيق من آمن به وصدقته واتبه في كل ما ورد وصدر ففسأل الله تعالى أن يوفقنا للاقتداء به في الأخلاق والأفعال والأحوال والأقوال بمنه وسعة جوده . ثم كتاب آداب المعيشة وأخلاق النبوة بحمد الله وعونه ومنه وكرمه ، ويتلوه كتاب شرح عجائب القلب من ربيع المهلكات إن شاء الله تعالى .

ثم يعود إلى قوت عامه فيؤثر منه حتى وبما احتاج قبل انقضاء العام . وكان يخصف النعل ويرقع الثوب ويغتم في مهنة أهله ويقطع اللحم معين . وكان أشد الناس حياءً وأكثرهم تواضعاً فضلات الرحمن عليه وعلى آله وأصحابه أجمعين .

(١) حديث قل زاد جيشي كان معه فدعا بما بقي فاجتمع شيء يسير فدعا فيه بالبركة الحديث متفق عليه من حديث سلمة بن الأكوع (٢) حديث حكى الحكم بن العاص مشيته مستهزئاً به فقال فكذلك كن الحديث البيهقي في الدلائل من حديث هند بن خديج صححه إسناده جيد وللحاكم في المستدرک من حديث عبد الرحمن بن أبي بكر نحوه ولم يسم الحكم وقال صحيح الإسناد . [٢] حديث يد طلحة لما أزال ما كان بها من شمل أصابها يوم أحد حين مسحها بيده من حديث جابر لما كان يوم أحد وفيه قتال طلحة قتال الأحد عشر حتى ضربت يده فقطعت أصابعه فقال حسن وليس فيه أنه مسحها والبخاري من حديث قيس رأيت يد طلحة سلا . وفيها النبي صلى الله عليه وسلم يوم أحد (٣) حديث خطب امرأة فقال أبوها إن بها برصاً امتناعاً من خطبته واعتذاراً ولم يكن بها برص فقال فلتسكن كذلك فبرصت المرأة ذكرها ابن الجوزي في التلخيص وصحاحه جرة بنت الحرت ابن عوف الزني وتبعه على ذلك الدمايطي في جزء له في نساء النبي صلى الله عليه وسلم ولم يصح ذلك .

[١] قوله الحكم بن العاص بن وائل هكذا في النسخ وصوابه كما في الشارح الحكم بن العاص بن أمية بن عبد شمس [٢] قول العراقي حديث يد طلحة الخ لم يكن بنسختنا ولا بنسخة الشارح وأثبتناه بما للأصل فليُنظر .

[قد تم بحون الله وحسن توفيقه طبع : الجزء الثاني من كتاب إحياء علوم الدين]

وبيله : الجزء الثالث إن شاء الله تعالى . وأوله كتاب شرح عجائب القلب]

فهرس الجزء الثانى

من كتاب إحياء علوم الدين لحجة الإسلام الإمام الغزالى

صفحة

صفحة

٢ كتاب آداب الأكل

وهو الأول من ربيع العادات

٣ (الباب الأول فيما لا بد للتفرد منه وهو ثلاثة

أقسام: قسم قبل الأكل ، وقسم مع الأكل ،

وقسم بعد الفراغ منه

القسم الأول فى الآداب التى تقدم على

الأكل وهى سبعة

٥ القسم الثانى فى آداب حالة الأكل

٦ القسم الثالث ما يستحب بعد الطعام

٧ (الباب الثانى فيما يزيد بسبب الاجتماع

والشاركة فى الأكل وهى سبعة)

٨ (الباب الثالث فى آداب تقديم الطعام إلى

الإخوان الزرين)

١٢ (الباب الرابع فى آداب الضيافة)

١٩ فصل يجمع آداباً ومناهى طبية وشرعية متفرقة

٢١ كتاب آداب النكاح

وهو الكتاب الثانى من ربيع العادات

٢٢ (الباب الأول فى الترتيب فى النكاح

والترتيب عنه)

الترتيب فى النكاح

٢٤ ما جاء فى الترهيب عن النكاح

٢٥ آفات النكاح وفوائده

٣٧ (الباب الثانى فيما راعى حالة العقد من أحوال

للرأة وشروط العقد)

٤٣ (الباب الثالث فى آداب المعاشرة وما يجرى

فى دوام النكاح والنظر فيما على الزوج

وفما على الزوجة)

٥٨ القسم الثانى من هذا الباب النظر فى

حقوق الزوج عليها

٦٢ كتاب آداب الكسب والمعاش

وهو الكتاب الثالث من ربيع العادات

٦٣ (الباب الأول فى فضل الكسب والحش عليه)

٦٦ (الباب الثانى فى علم الكسب بطريق البيع الخ

وبيان شروط الشرع فى صحة هذه التصرفات

التي هى مدار الكسب فى الشرع)

(العقد الأول البيع

٧٠ (العقد الثانى عقد الربا

٧١ (العقد الثالث السلم

٧٢ (العقد الرابع الإجارة

٧٣ (العقد الخامس القراض

(العقد السادس الشركة

٧٤ (الباب الثالث فى بيان العدل واجتناب الظلم

فى العامة)

القسم الأول فيما يعم ضرره وهو أنواع

٧٦ القسم الثانى ما يخص ضرره للعامل

٨٠ (الباب الرابع فى الإحسان فى العامة)

٨٤ (الباب الخامس فى شقنة التاجر على دينه

فما يخص ويم آخرته)

٨٩ كتاب الحلال والحرام

وهو الكتاب الرابع من ربيع العادات

(الباب الأول فى فضيلة الحلال ومذمة

الحرام وبيان أصناف الحلال ودرجاته

وأصناف الحرام ودرجات الورع فيه)

فضيلة الحلال ومذمة الحرام

٩٣ أصناف الحلال ومداخله

القسم الأول الحرام لصفة فى عينه الخ

٩٤ القسم الثانى ما يحرم لخلل فى جهة إثبات

اليد عليه

| صفحة | صفحة |
|--|---|
| ١٥٥ (الباب الأول في فضيلة الألفة والأخوة وفي شروطها ودرجاتها وفوائدها) | ٩٥ درجات الحلال والحرام |
| ١٥٩ بيان معنى الأخوة في الله وتمييزها من الأخوة في الدنيا | ٩٦ أمثلة الدرجات الأربع في الورع وشواهدا |
| ١٦٤ بيان البغض في الله | ٩٩ (الباب الثاني في مراتب الشبهات ومثاراتها وتمييزها عن الحلال والحرام) |
| ١٦٦ بيان مراتب الذين ينفذون في الله وكيفية معاملتهم | ١٠٠ للثار الأول الشك في السبب الحلال والمحرّم |
| ١٦٨ بيان الصفات المشروطة فيمن يختار محبته | ١٠٣ للثار الثاني للشبهة شك منشؤه الاختلاط |
| ١٧٠ (الباب الثاني في حقوق الأخوة والصحبة) | ١١٠ للثار الثالث للشبهة أن يتصل بالسبب المحلل محبة |
| ١٧١ الحق الأول في المال | ١١٥ للثار الرابع الاختلاف في الأدلة |
| ١٧٢ الحق الثاني في الإعانة بالنفس الخ | ١١٨ (الباب الثالث في البحث والسؤال والمهجوم والإيهال ومظاتها) |
| ١٧٤ الحق الثالث في اللسان بالسكوت الخ | الثار الأول أحوال المالك |
| ١٧٨ الحق الرابع على اللسان بالنطق | ١٢١ للثار الثاني ما يستند الشك فيه إلى سبب المالك لا في حال المالك |
| ١٨١ الحق الخامس العفو عن الزلات والمفوضات | ١٢٧ (الباب الرابع في كيفية خروج الثائب عن المطام المالية وفيه نظران) |
| ١٨٣ الحق السادس الدعاء للأخ في حياته الخ | النظر الأول في كيفية التمييز والإخراج |
| ١٨٤ الحق السابع الوفاء والإخلاص | ١٢٩ النظر الثاني في الصرف |
| ١٨٦ الحق الثامن التخفيف وترك التكلف الخ | ١٣٣ (الباب الخامس في إدرات السلاطين |
| ١٨٩ (خاتمة) لهذا الباب نذكر فيها جملة الخ | وصلاتهم وما يحل منها وما يحرم وفيه نظران) |
| ١٩٠ (الباب الثالث في حق المسلم والرحم والجوار والمالك وكيفية المعاشرة مع من يدلى بهذه الأسباب) | ١٣٤ النظر الأول في جهات الدخول لاسلطان |
| ١٩١ حقوق المسلم | ١٣٨ النظر الثاني من هذا الباب في قدر المأخوذ وصفة الآخذ |
| ٢١١ حقوق الجوار | ١٤٠ (الباب السادس فيما يحل من مخالطة السلاطين الظلمة ومحرم وحكم غشيان مجالسهم والدخول عليهم والإكرام لهم) |
| ٢١٥ حقوق الأقارب والرحم | ١٥١ (الباب السابع في مسائل متفرقة يكثر ميسر الحاجة إليها وقد سئل عنها في الفتاوى) |
| ٢١٦ حقوق الوالدين والولد | ١٥٤ (كتاب آداب الألفة والأخوة) |
| ٢١٩ حقوق المملوك | والصحبة والمعاشرة مع أصناف الخلق وهو الكتاب الخامس من ربيع العادات الثاني وفيه ثلاثة أبواب |
| ٢٢١ (كتاب آداب العزلة) | |
| وهو الكتاب السادس من ربيع العادات وفيه بابان | |
| ٢٢٢ (الباب الأول في نقل المذاهب والأقاويل وذكر حجج الفريقين في ذلك) | |
| ٢٢٣ ذكر حجج المائتين إلى المخالطة ووجه ضعفها | |
| ٢٢٤ ذكر حجج المائتين إلى تفضيل العزلة | |

| صفحة | صفحة |
|---|--|
| ٢٦٦ (كتاب آداب السماع والوجد) | ٢٢٦ (الباب الثانى فى فوائد العزلة وتوغلها وكشف الحق فى فضلها) |
| وهو الكتاب الثامن من ربيع العادات | الفائدة الأولى التفرغ للعبادة والفكر الخ |
| وفيه بابان : الباب الأول فى ذكر اختلاف العلماء فى إباحة السماع وكشف الحق فيه . | ٢٢٨ الفائدة الثانية التخلص بالعزلة عن المعاصى التى يمرض الانسان لها الخ |
| بيان أقويل العلماء والتصوفة فى تحليه وتحريمه | ٢٣٢ الفائدة الثالثة الخلاص من الفتن والحصومات وصيانة الدين والنفس الخ |
| ٢٦٨ بيان الدليل على إباحة السماع | ٢٣٣ الفائدة الرابعة الخلاص من شر الناس |
| ٢٨٢ بيان حجج القائلين بتحريم السماع والجواب عنها | ٢٣٤ الفائدة الخامسة أن ينقطع طمع الناس عنك وينقطع طمعك عن الناس |
| (الباب الثانى فى آثار السماع وآدابه وفيه مقامات ثلاث) | ٢٣٥ الفائدة السادسة الخلاص من مشاهدة التقلأء والحقى ومقاساة حقيهم وأخلاقهم الخ |
| ٢٨٥ المقام الأول فى الفهم | ٢٣٦ آفات العزلة المبينة على فوات فوائد المخالطة السبعة الآتية |
| ٢٨٩ المقام الثانى بعد الفهم والتزليل الوجد | الفائدة الأولى التعليم والتعلم |
| ٢٩٨ المقام الثالث من السماع نذكر فيه آداب السماع ظاهرا وباطنا الخ | ٢٣٨ الفائدة الثانية النفع والانتفاع |
| ٣٠٢ (كتاب الأمر بالمعروف) | الفائدة الثالثة التأديب والتأديب |
| والتهى عن النكر وهو الكتاب التاسع من ربيع العادات الثانى وفيه أربعة أبواب | ٢٣٩ الفائدة الرابعة الاستئناس والإيناس |
| (الباب الأول فى وجوب الأمر بالمعروف والتهى عن النكر وفضيلته والذمة فى إيماله وإضاخته) | الفائدة الخامسة فى فضل الثواب وإنائه |
| ٣٠٣ (الباب الثانى فى أركان الأمر بالمعروف وشروطه ، وأركانه أربعة) | الفائدة السادسة من فوائد المخالطة التواضع |
| الركن الأول المحتسب | ٢٤١ الفائدة السابعة التجارب |
| ٣٢٠ الركن الثانى للحسبة ما فيه الحسبة | ٢٤٣ (كتاب آداب السفر) |
| ٣٢٣ الركن الثالث المحتسب عليه | وهو الكتاب السابع من ربيع العادات |
| ٣٢٤ الركن الرابع نفس الاحتساب (باب آداب المحتسب) | وفيه بابان |
| (الباب الثالث فى المنكرات المألوفة فى العادات) | ٢٤٤ (الباب الأول فى الآداب من أول التمهوض إلى آخر الرجوع وفى نية السفر وفائدته وفيه فصلان) |
| منكرات للساجد | الفصل الأول فى فوائد السفر وفضله ونيته |
| ٣٣٣ منكرات الأسوالى | ٢٥٠ الفصل الثانى فى آداب المسافر من أول تمهوضه إلى آخر رجوعه وهى أحد عشر أدبا |
| منكرات الثوارع | ٢٥٦ (الباب الثانى فيما لا بد للمسافر من تعلمه من رخص السفر وأدلة القبلة والأوقات الخ) |
| | القسم الأول العلم برخص السفر |
| | ٢٦١ القسم الثانى ما يتجدد من الوظيفة الخ |

| صفحة | صفحة |
|-----------|--|
| ٣٦٠ | ٣٣٤ منكرات الحماقات |
| ٣٦٣ | ٣٣٥ منكرات الضيافة |
| ٣٦٦ | ٣٣٦ للنكرات العامة |
| ٣٧٢ | ٣٣٧ (الباب الرابع في أمر الأمراء والسلاطين بالمعروف ونهيم عن المنكر) |
| ٣٧٧ | ٣٥١ (كتاب آداب الميعة وأخلاق النبوة) |
| ٣٧٨ | وهو الكتاب العاشر من ربيع العادات من كتب إحياء علوم الدين |
| كان يكرهه | ٣٥٢ |
| ٣٧٩ | ٣٥٣ |
| ٣٨٠ | ٣٥٤ |
| ٣٨١ | ٣٥٥ |
| ٣٨٢ | ٣٥٦ |
| ٣٨٤ | ٣٥٧ |

فهرس بقية عوارف المعارف للسهروردي الذي بالهامش

| صفحة | صفحة |
|------|--|
| ١٧٢ | ٢ (الباب التاسع في ذكر من ائتمروا بالصوفية وليس منهم) |
| ١٩٥ | ١٣ (الباب العاشر في شرح رتبة المشيخة) |
| ٢٢٠ | ٣٤ (الباب الحادي عشر في شرح حال الخادم ومن يتشبه به) |
| ٢٥٣ | ٤٢ (الباب الثاني عشر في شرح خرقه الصوفية) |
| ٢٦٤ | ٦٢ (الباب الثالث عشر في فضيلة سكان الرباط) |
| ٢٧٩ | ٧٠ (الباب الرابع عشر في مشاهبة أهل الرباط بأهل الصفة) |
| ٢٩٦ | ٨٠ (الباب الخامس عشر في خصائص أهل الرباط والصوفية فيما يتعاهدونه ويختصون به) |
| ٣١٠ | ٩٥ (الباب السادس عشر في ذكر اختلاف أحوال مشايخهم في السفر والمقام) |
| ٣٣٢ | ١٢٢ (الباب السابع عشر فيما يحتاج إليه الصوفي في سفره من الفرائض والفضائل) |
| ٣٥٣ | ١٤٠ (الباب الثامن عشر في القدوم من السفر ودخول الرباط والأدب فيه) |
| | ١٥٨ (الباب التاسع عشر في حال الصوفي للتسبب) |